عقيدة أهل السنة والجماعة

في الصحابة الكرام رضي الله عنهم

تأليف

الدكتور ناصر بن علي عائض حسن الشيخ

الناشر

مكتبة الرشد

الرياض





الدكتور ناصر بن علي

عائض حسن الشيخ

عقيدة

أهل السنة

والجماعة

في

الصحابة الكرام

عقيدة أهل السنة والجماعة

في الصحابة الكرام رضي الله عنهم

تأليف
الدكتور ناصر بن علي عائض حسن الشيخ

الجزء الأول

الناشر
مكتبة الرشد
الرياض

○ الطبعة الأولى ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الناشر

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - طريق الحجاز

ص.ب : ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٨٣٧١٢

تلكس ٤٠٥٧٩٨ فاكس ملي ٤٥٧٣٣٨١



بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة تقدم به الباحث إلى قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية شعبة العقيدة وقد نوقشت فى ١٤١١/٦/١٢هـ.

وكانت اللجنة مكونة من :

١ - الشيخ عبد المحسن العبّاد مشرفاً .

٢ - الشيخ الدكتور على بن ناصر فقيهي عضواً .

٣ - الدكتور أحمد عطية العامدى عضواً .

وقد منح صاحبها درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى .

المقـدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعـد : فإن الله تبارك وتعالى منّ على البشرية جميعاً بمنة عظيمة وهي إرساله – جل وعلا – إليهم رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون لهم حجة بعد الرسل ، فالأنبياء والمرسلون هم الذين يقودون موكب البشرية ، وفي صدارة البشرية أصحابهم وحملة دعوتهم من بعدهم ، ويأتي في طليعتهم أصحاب رسول الله ﷺ ، فقد تحقق فيهم رضي الله عنهم ما لم يتحقق في غيرهم منذ بدء الخليقة إلى قيام الساعة ، فعوامل الخير التي تجمعت فيهم لم تجتمع في جيل قبلهم أو بعدهم ولهذا كان لهم من الشرف والكرامة عند الله – جل وعلا – ما ليس لغيرهم ؛ ذلك لأنهم أخلصوا دينهم لله وجردوا متابعتهم لرسول الله ﷺ على التمام والكمال ودافعوا عنه في جميع الأحوال هان عليهم في سبيله الأموال والأولاد والأرواح والدماء ، غادروا الأوطان وهي عزيزة عليهم راضين مختارين ، مخلفين وراءهم كل شيء إلى أراض لا عهد لهم بها وأمم لا نسب ولا ألفة بينهم وبينها ، ومكثوا وراء البحر في بلاد الحبشة سنين وأعواماً ، حتى أعز الله دينه ، ونصر جنده ، وأعلى كلمته ، كما خرجوا من مكة مهاجرين إلى المدينة كل على قدر حاله وقوته : إمّا سراً ، وإمّا إعلاناً ، وكان من جملة المهاجرين من مكة صهيب

ابن سنان الرومي ، فاتبعه نفر من قريش فقالوا له : أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا ، فبلغت ما بلغت ، ثم تنطلق بنفسك ومالك ؟! والله لا يكون ذلك ، فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال : يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلا ، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء فافعلوا ما شئتم فإن شئتم دللتكم علي مالي وخليتم سبيلي قالوا : نعم ففعل ، فلما قدم على النبي ﷺ قال : « **ربح البيع أبا يحيى . ربح البيع** » فنزل قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[1] .

هكذا كانوا رضي الله عنهم إذا طمع غيرهم في المال والمتاع جعلوه فداء لعقيدتهم مسترخصاً في أدنى حرمة من حرمات دينهم .

وأما دفاعهم ، وذبهم رضي الله عنهم عن نبيهم واسترخاصهم كل شيء في سبيل ذلك فقد نوه الله – عز وجل – بذلك وسجله لهم في كتابه العزيز بقوله : ﴿ وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَٰهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[2] .

ولقد حفظت لنا كتب السيرة والتواريخ ما أجاب به المهاجرون والأنصار النبي ﷺ من القول الدال على عظيم استجابتهم لله ولرسوله عندما استشارهم صلوات الله وسلامه عليه في غزوة بدر لما لاقوا العدو على غير ميعاد وغير استعداد فقد قام فيهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه خطيباً فقال : « **أشيروا علي أيها الناس** » فقام الصديق فقال وأحسن القول ، ثم قام عمر فقال وأحسن

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٢٨/٣ ، ورواه الحاكم في المستدرك ٣٩٨/٣ وقال عقبه صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، أسباب النزول للواحدي ص ٣٩ .

(٢) سورة الأحزاب آية / ٢٢ – ٢٣ .

القول ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنوا إسرائيل لموسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد[1] لجالدنا معك دونه حتى تبلغه ، ثم قام سعد بن معاذ فقال : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : « **أجل** » قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله ﷺ ثم قال : « **سيروا وأبشروا فإن الله تعالى وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم** »[2] .

وإذا تأمل الإنسان مساومة قريش لزيد بن الدثنة عندما أخرجته قريش من مكة لتقتله في الحل بعد أن أسر هو وخبيب بن عدي يوم الرجيع رأى صلابة الصحابة في الدين وحبهم للنبي ﷺ ولتملكه العجب كما تملك أبا سفيان بن حرب فإنه قال لزيد بن الدثنة عندما قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأني جالس في أهلي قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً[3] .

---

(١) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر وقيل : بلد باليمن دفن عنده عبد الله بن جدعان التيمي القرشي « معجم البلدان » ١/٣٩٩ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/٦١٤ - ٦١٥ ، تاريخ الأمم والملوك ٢/٤٣٤ - ٤٣٥ وأورده ابن الأثير في الكامل ٢/١٢٠ ، وابن كثير في البداية والنهاية ٣/٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢/١٧٢ ، وانظر تاريخ الطبري ٢/٥٤٢ ، أيام العرب في الإسلام ص ٤٩ .

وليس هذا التفاني والإخلاص أحرزه الرجال دون النساء والشبان بل كانوا جميعاً سواء ، يتسابقون في مرضاة الله ورسوله ويتهافتون على حياض الموت في سبيل الله ففي إثر وقعة أحد التي أثخنت جراحها المسلمين وفقدوا عظماء فيها من كبارهم وفضلائهم مر سيد الأولين والآخرين بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما نعوا لها قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين قالت : أرونيه حتى أنظر إليه فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ! تريد صغيرة[١] .

وأمّا بذلهم للمال والمتاع فلم تشهد الأرض في مسيرة بني آدم الطويلة عليها أن توارث قوم فيما بينهم من غير قرابة ولا رابطة دم وعن طواعية واختيار ورضى إلا في أصحاب رسول الله ﷺ ، ولم تتفجر ينابيع السخاء والكرم في أمة من الأمم كما تفجرت في جيل الصحابة الكرام الذين استظلوا براية الإسلام وشرفوا بتربية سيد الأنام ولذلك استحقوا ثناء الله - عز وجل - الذي تتلوه الألسنة على الدوام وعلى ممر السنين والأعوام ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢] .

إن الصحابة الكرام رضي الله عنهم هم أعلام الفضيلة ، ودعاة الهداية ، الذين حملوا نور الإسلام في أنحاء المعمورة وأنقذوا به البشرية من أغلال الوثنية ، وأرسوا قواعد الحق والخير والعدل للإنسانية ، نشروا كلمة الله حتى علت في الأرض ورفرف علم الإسلام في الآفاق ولقد بذلوا في سبيل ذلك قصارى جهدهم ، سهروا من أجل تبليغ كلمة الله ونشرها الليل والنهار دون ملل أو كلل

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٩٩/٢ ، تاريخ الأمم والملوك ٥٣٣/٢ .

(٢) سورة الحشر آية / ٩ .

بل كانوا كما أخبر الله عنهم ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾[1] لم يميلوا إلى دعة ولا أخلدوا إلى راحة ولم تغرهم الحياة الدنيا بزخارفها ، ضحوا بكل غال ورخيص لكي يخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .

حرصوا رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ حتى أخذوا عنه الكتاب والسنة واجتهدوا في حفظهما وفهمهما فهماً متقناً ثم بلغوهما إلى من جاء بعدهم كما تلقوهما عن رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل ، فهم الواسطة بين الرسول ﷺ وبين من جاء بعدهم من الأمة فمن قدح في تلك الواسطة فقد قدح في الدين إذ القدح في الناقل قدح في المنقول ومهما مدح المادحون الصحابة الكرام رضي الله عنهم فإنه ضئيل إلى جانب ثناء الله ورسوله عليهم يكفيهم شرفاً وفخراً أن يكون الكتاب العزيز ناطقاً بجميل وصفهم وعظيم مدحهم ، كما يكفيهم فخراً ورفعة أن يكون حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام مشيداً بتعداد محاسنهم ، ومنوهاً بفضائلهم ومآثرهم إنه لا يعرف عظم قدرهم إلا من قرأ سيرتهم وتابع أخبار حركتهم ومسيرتهم ومتى عرف الإنسان ذلك أدرك لماذا أثنى الله عليهم وزكاهم في محكم التنزيل فقد عدَّلهم الله من فوق سبع سماوات ، ووصفهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[3]. وقال عليه الصلاة والسلام فيهم : « **خير الناس قرني ثم الذين يلونهم...** »[4] وقال : « **لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن**

---

(١) سورة آل عمران آية / ١٤٦ .

(٢) سورة البقرة آية / ١٤٣ .

(٣) سورة آل عمران آية / ١١٠ .

(٤) صحيح البخاري ٢٨٨/٢ ، صحيح مسلم ١٩٦٣/٤ .

أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه »[1] وبهذا فهم لا يحتاجون بعد شهادة الله والرسول لهم بالفضل والخيرية إلى ثناء أحد أو تزكية بشر إنهم جيل نصر وثلة خير وأئمة دعوة ولهذا كان من تقدير العزيز العليم ومن حكمة الله البالغة أن جعلهم أمناء على حمل الرسالة السماوية الأخيرة التي ختم الله بها جميع الرسالات والتي أنزلها الله على محمد عليه الصلاة والسلام ليقوموا بمهمة الأنبياء في التبليغ والأداء ورغم ما تبوءه جيل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم من مكانة عالية ومقام رفيع فقد تعرض هذا الجيل في القديم والحديث إلى حملات العداء والتشويه لتاريخهم وسيرتهم المشرقة ممن أصيبوا بالخذلان والزندقة فقد وقف منهم الشيعة الرافضة والخوارج المارقة والنواصب وبعض المعتزلة موقفاً سيئاً فقد جعلوهم غرضاً لمطاعنهم القبيحة التي خالفوا بها وصية المصطفى عليه الصلاة والسلام إذ أنه وصى أمته أن يكرموهم ويحترموهم وحذرهم من التعرض لهم بالقول السيىء ولكنهم انقادوا للشيطان بزمام فلم يوفقوا للاعتقاد السديد فيهم بل طعنوا فيهم وملأوا قلوبهم بالغل والكراهية لهم ، ولم يوفق لمعرفة قدر الصحابة إلا أهل السنة والجماعة فقد وفوهم حقهم من التكريم والإجلال ، فقد كانوا موضع محبتهم واعترفوا لهم بفضلهم ولا يذكرونهم إلا بالجميل والثناء الحسن فهم الذين انطبق عليهم الوصف الإلـهي الكريم في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[2] فأهل السنة والجماعة هم الذين يسألون ربهم المغفرة لهم ولإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان ويدعونه أن لا يجعل في قلوبهم حقداً وحسداً للمؤمنين الذين في مقدمتهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم فقد هداهم الله لموالاة الجميع ومحبتهم وعرفوا لكل حقه وفضله ورأوا أنهم أكمل الأمة إسلاماً وإيماناً وعلماً وعملا وحكمة وأنزلوهم منازلهم التي استحقوها وأكرمهم الله بها .

---

(١) صحيح البخاري ٢٩٢/٢ ، صحيح مسلم ١٩٦٧/٤ ، واللفظ له .

(٢) سورة الحشر آية / ١٠ .

ولهذا اخترت أن يكون موضوع رسالتي لنيل درجة العالمية العالية الدكتوراه (عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم) .

* سبب اختيار الموضوع :

إن الذي دفعني لاختيار هذا الموضوع والبحث فيه أمران :

الأمر الأول : لما كان رأس مال الرافضة قديماً وحديثاً هو التدين بالسب والشتم والوقيعة في أصحاب رسول الله ﷺ وإنكار فضلهم وسابقتهم ومحاسنهم بل بلغ بهم الحد إلى القول بتكفيرهم جميعاً إلا بعض أفراد منهم[1] ، ولما أطل الرفض أيضاً : في هذا الزمن على بلاد المسلمين وغيرها من البلدان بوجه كالح ، وكشر عن أنيابه في هذه الآونة وألقى شباكه لاصطياد من لا يعرف حقيقته . أردت أن يكون هذا البحث إسهاماً مني للدفاع والذب عن الصحابة الأخيار ، والأتقياء الأبرار الذين ما كان مثلهم ولا يكون أبداً إلى يوم القيامة ، ولبيان أن مطاعن الرافضة فيهم منذ أن انفصلوا عن الإمام زيد بن عليٍّ بن الحسين بن عليٍّ ابن أبي طالب رضي الله عنه وعادوه وتبرءوا منه بسبب توليه الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وشهادته لهما بأنهما كانا وزيري صدق لجده المصطفى عليه الصلاة والسلام وأنهما كانا إمامي هدى[2] إنما هي شطح وتوغل في الضلال وأنهم ما ازدادوا بها على مرور الأيام والليالي إلا تطرفاً وانحداراً وتمادياً في محاربة أولياء الله وأنصار دينه رضي الله عنهم أجمعين وكذا مطاعن غير الرافضة فيهم كبعض المعتزلة الذين قالوا بعدم عدالة من حضر موقعة الجمل من الصحابة[3] ، والخوارج المارقة الذين كفروا علياً وكل من حضر التحكيم ورضي

---

(١) انظر الأصول من الكافي للكليني رواية رقم (٣٤١) والرواية رقم (٤٥٥) وانظر كتاب الإرشاد للمفيد ص ٩ .

(٢) كان تبرؤ الرافضة من زيد رحمه الله ومعاداتهم له سنة اثنتين وعشرين ومائة انظر تاريخ الطبري ١٨٠/٧ - ١٨١ .

(٣) انظر قولهم هذا في التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني ص٦٨ - ٦٩ ، الفرق بين الفرق =

به[1]، والنواصب الذين يبغضون أهل بيت النبوة[2] كل هؤلاء لم تزدهم مطاعنهم في أولئك الأخيار إلا سخفاً ولا يذكرون بها إلا من باب الذم والتنقص لهم كلما ذكرها من بعدهم .

الأمر الثاني : لما كان أهل السنة والجماعة هم أسعد الناس بمعرفة ما يجب للصحابة الكرام من أنهم خير خلق الله بعد الأنبياء والمرسلين وأنهم يقرون بما آتاهم الله من الفضل ويثبتونه ويعرفون لهم سابقتهم ومحاسنهم ويترحمون عليهم ويستغفرون لهم وأنهم وسط بين الغلاة والجفاة يحبونهم جميعاً وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف فلا يرفعونهم إلى ما لا يستحقون ، ولا يقصرون بهم عما يليق بهم فألسنتهم رطبة بذكرهم بالجميل اللائق بهم وقلوبهم عامرة بحبهم ، وأن عقيدتهم فيما صح مما جرى بينهم من خلاف أنهم فيه مجتهدون ، إمَّا مصيبون ولهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة ، وإمَّا مخطئون ولهم أجر الاجتهاد وخطؤهم مغفور ، وليسوا معصومين ، ولما كانت كتب أهل السنة والجماعة مملوءة ببيان هذه العقيدة الصافية النقية في حق أولٰئك الصفوة المختارة من البشر لصحبة خير البشر ﷺ عزمت على أن أجمع ما أمكنني الوقوف عليه من أقوالهم الطيبة التي فيها بيان تلك العقيدة المشرقة لتكون منارة لمن أراد أن يعرف ما يجب من الحق على كل مسلم للصحابة الكرام رضي الله عنهم وليعلم أن معتقد أهل السنة والجماعة فيهم هي الطريقة المثلى والسبيل الأقوم من سلكها وفق للصراط المستقيم ومن حاد عنها فقد تعدى وظلم .

* * *

= ص ١١٩ - ١٢٠ .

(١) انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/١٦٧ - ١٧٠ ، انظر الفرق بين الفرق ص ٧٤ .

(٢) انظر زيغ النواصب عما يجب لأهل البيت ص ١١٩٣ وما بعدها من هذه الرسالة .

★ خطة البحث ★

لقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة ، فأمَّا المقدمة فقد ضمنتها بيان منزلة الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأن درجتهم التي أنزلهم الله فيها وأكرمهم بها لا يمكن أن يلحقهم فيها أحد مهما قدم من العمل والإخلاص فإنه دونهم كما ضمنتها سبب اختياري لهذا الموضوع ، وأما التمهيد فقد تحدثت فيه عن المراد بأهل السنة والجماعة وتعريف الصحابة لغة واصطلاحاً ، وبيان الطرق التي يعرف بها الصحابي وذكر طبقات الصحابة ، وما قيل في عددهم رضي الله عنهم وأمَّا الأبواب فهي :

□ « الباب الأول » □

الثناء في القرآن والسنة على الصحابة وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : الثناء عليهم عموماً في القرآن والسنة وأقوال السلف وفيه مباحث :

المبحث الأول : الثناء عليهم في القرآن .

المبحث الثاني : الثناء عليهم في السنة .

المبحث الثالث : الثناء عليهم في أقوال السلف .

الفصل الثاني : الثناء على أصناف معينة منهم رضي الله عنهم وفيه مباحث :

المبحث الأول : الثناء على السابقين الأولين .

المبحث الثاني : الثناء على أهل بدر .

المبحث الثالث : الثناء على أهل أحد .

المبحث الرابع : الثناء على أهل بيعة الرضوان .

الفصل الثالث : فضل العشرة المبشرين بالجنة وفيه مباحث :

المبحث الأول : فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

المبحث الثاني : فضل عمر الفاروق رضي الله عنه .

المبحث الثالث : فضل ذي النورين عثمان رضي الله عنه .

المبحث الرابع : فضل أبي السبطين علي رضي الله عنه .

المبحث الخامس : فضل الستة بقية العشرة وهم :

١) طلحة بن عبيد الله .

٢) الزبير بن العوام .

٣) عبد الرحمٰن بن عوف .

٤) سعد بن أبي وقاص .

٥) أبو عبيدة بن الجراح .

٦) سعيد بن زيد .

الفصل الرابع : ما جاء في فضل الصحابة من أهل بيت النبي ﷺ وفيه مباحث :

المبحث الأول : المراد بأهل البيت .

المبحث الثاني : ما جاء في فضل أهل البيت عموماً وزوجات النبي ﷺ خصوصاً .

المبحث الثالث : فضل أهل بيته الذكور وهم :

١) إبراهيم بن رسول الله ﷺ .

٢) الحسن بن علي رضي الله عنه .

٣) الحسين بن علي رضي الله عنه .

٤) حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

٥) العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .

٦) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

٧) الفضل بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما .
٨) جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .
٩) عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما .
١٠) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه .
١١) عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه .

المبحث الرابع : فضل أهل بيته الإناث وفيه :

أ - فضل زوجاته ﷺ أمهات المؤمنين وهن :

١) خديجة رضي الله عنها .
٢) سودة رضي الله عنها .
٣) عائشة رضي الله عنها .
٤) حفصة رضي الله عنها .
٥) زينب بنت خزيمة رضي الله عنها .
٦) أم سلمة رضي الله عنها .
٧) زينب بنت جحش رضي الله عنها .
٨) جويرية بنت الحارث رضي الله عنها .
٩) أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها .
١٠) صفية بنت حيي رضي الله عنها .
١١) ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها .

ب - فضل بناته ﷺ وهن :

١) زينب رضي الله عنها .
٢) رقية رضي الله عنها .
٣) أم كلثوم رضي الله عنها .
٤) فاطمة رضي الله عنها .

□ « الباب الثاني » □

أهل السنة والجماعة يثبتون إمامة الخلفاء الراشدين على حسب ترتيبهم في الفضل وفيه تمهيد تضمن تعريف الإمامة في اللغة والاصطلاح وحكم الإمامة، وفصول أربعة :

الفصل الأول : خلافة الصديق رضي الله عنه وفيه مباحث :

المبحث الأول : الإمام بعد النبي ﷺ أبو بكر رضي الله عنه .

المبحث الثاني : كيفية مبايعته رضي الله عنه بالخلافة .

المبحث الثالث : ذكر النصوص التي فيها الإشارة إلى خلافته من الآيات والأحاديث النبوية .

المبحث الرابع : بيان انعقاد الإجماع على خلافته رضي الله عنه .

المبحث الخامس : ذكر بعض شبه الشيعة الإمامية في أن الخليفة بعد وفاة النبي ﷺ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبيان بطلانها .

الفصل الثاني : خلافة الفاروق رضي الله عنه وفيه مباحث :

المبحث الأول : استخلاف الفاروق بعهد من أبي بكر رضي الله عنهما .

المبحث الثاني : حقية خلافته رضي الله عنه .

المبحث الثالث : انعقاد الإجماع على خلافته .

الفصل الثالث : خلافة ذي النورين عثمان رضي الله عنه وفيه مباحث :

المبحث الأول : كيفية توليه الخلافة رضي الله عنه .

المبحث الثاني : حقية خلافته رضي الله عنه .

المبحث الثالث : انعقاد الإجماع على خلافته رضي الله عنه .

الفصل الرابع : خلافة علي رضي الله عنه وفيه مباحث :

المبحث الأول : كيف تمت له البيعة بالخلافة رضي الله عنه .

□ « الباب الثالث » □

☐ « الباب الرابع » ☐

ردود أهل السنة على الفرق المنحرفة في اعتقادها نحو الصحابة وفيه فصلان :

الفصل الأول : ردهم على مطاعن الشيعة في الصحابة وفيه مباحث :

المبحث الأول : تعريف التشيع والرفض لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : بداية نشأة التشيع .

المبحث الثالث : التعريف بأهم فرق الشيعة .

المبحث الرابع : الرد على مطاعنهم في الصحابة على سبيل العموم .

المبحث الخامس : الرد على مطاعنهم في أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

المبحث السادس : الرد على مطاعنهم في حق الفاروق رضي الله عنه .

المبحث السابع : الرد على مطاعنهم في حق ذي النورين عثمان رضي الله عنه .

المبحث الثامن : من مطاعنهم في حق أمهات المؤمنين رضي الله عنهن والرد على ذلك .

المبحث التاسع : آثار عن السلف في ذم الرافضة .

الفصل الثاني : ردود أهل السنة على مطاعن الخوارج والنواصب في الصحابة وفيه مباحث :

المبحث الأول : نشأة الخوارج .

المبحث الثاني : التعريف بأهم فرق الخوارج .

المبحث الثالث : الرد على مطاعنهم في الصحابة .

المبحث الرابع : ذكر أحاديث وآثار تتضمن ذمهم .

المبحث الخامس : الرد على معتقد النواصب في الصحابة .

وأما الخاتمة : فقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها في الرسالة .

* منهجي في البحث :

إن المنهج الذي اتبعته في هذا البحث وسلكته فيه هو كما يلي :

١- عمدت إلى جمع الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي فيها الدلالة على منقبة أو فضيلة للصحابة على سبيل العموم أو لأصناف بأعيانهم وعند وضعها في المباحث المناسبة لها سقت الآيات القرآنية مرتبة على حسب ترتيب سور القرآن .

٢- أحياناً أكرر الآية القرآنية والحديث النبوي الشريف في أكثر من مبحث وذلك لاشتمال الآية أو الحديث على أكثر من منقبة أو فضيلة فأضطر إلى إعادة ذلك في مباحث كثيرة من مباحث الرسالة .

٣- أتبع الآيات القرآنية والآحاديث النبوية ببيان وجه الدلالة على المدح والثناء على الصحابة بنقول عن أهل العلم من أهل السنة والجماعة لأثبت بذلك أنهم يقبلون كل ما جاء به الكتاب والسنة من فضائلهم ولا ينقصونهم من ذلك شيئاً ، وإن لم أجد لهم كلاماً لبيان وجه دلالة أي نص أبين وجه الدلالة من ذلك النص على فضل الصحابة الكرام على حسب ما أفهم من النص .

٤- عندما أذكر فضائل شخص معين من الصحابة أبدأ بذكر اسمه ونسبه أولا ثم أتبع ذلك بذكر النصوص المشتملة على بيان ما له من المناقب الجليلة والمآثر الحميدة .

٥- وضعت فصلا خصصته بذكر فضائل أهل البيت من الصحابة ذكوراً وإناثاً لبيان أن أهل السنة والجماعة هم أولى الناس بأهل البيت حباً واحتراماً وموالاة وأنهم ينزلونهم منازلهم التي استحقوها بدون إفراط أو تفريط ولبيان أن الشيعة الزاعمين محبة أهل البيت ليس لهم من حبهم إياهم إلا الغلو بغير الحق .

٦- بينت أن أهل السنة والجماعة يثبتون إمامة الخلفاء الراشدين على حسب

ترتيبهم في الفضل وأوردت كثيراً من نصوص الكتاب والسنة التي استنبطوا منها أن ترتيبهم في الخلافة كذلك ، ثم ذكرت عقب ذلك إجماعهم على اعتقاد ذلك .

٧ – أوضحت أن أهل السنة والجماعة هم الفرقة الوحيدة التي سلمت قلوبهم وألسنتهم مما وقع فيه غيرهم من الانحراف نحو الصحابة الكرام رضي الله عنهم ودللت على ذلك بالنقول الكثيرة من كتبهم التي تنص على أن معتقدهم هو الاعتراف بفضلهم وذكرهم بالجميل وعدم الخوض فيما شجر بينهم .

٨ – حرصت كل الحرص على حفظ الرسالة من ذكر ما لا يليق بمقام الصحابة الكرام رضي الله عنهم مما دس عليهم وامتلأت به الكثير من كتب التواريخ في موضوع التشاجر بينهم وما ذكرته مما جرى بينهم في موقعتي الجمل وصفين فإنما كان بطريقة مختصرة لأبين موقف أهل السنة والجماعة من ذلك ولولا هذا الغرض ما ذكرت ذلك إذ الواجب على المسلم الإمساك عن كل ما شجر بينهم وعدم الخوض فيه .

٩ – كل ما عرضته في الرسالة من شبه ومطاعن الفرق المنحرفة المتضمنة الطعن على الصحابة عموماً وخصوصاً فإني قرنت ذلك بالرد الحاسم الذي يبين بطلان وزيف تلك الشبه والمطاعن معتمداً في ذلك على نقول من كتب أهل السنة والجماعة .

١٠– بينت مواضع الآيات التي وردت في الرسالة بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش مع وضع الآية بين قوسين .

١١– عزوت الأحاديث التي أوردتها في الرسالة إلى مصادرها الأصلية من كتب السنة المعتمدة بذكر الجزء والصفحة في الهامش مع البيان غالباً لدرجة الحديث من خلال أقوال أهل العلم بالحديث إن كان الحديث من غير

الصحيحين .

١٢- التزمت عند النقل من أي مرجع ، أو الاستفادة منه الإشارة إلى رقم جزئه وصفحته بالإضافة إلى ذكر طبعات المراجع في الفهرست .

١٣- ترجمت لكثير من أعلام الصحابة وبعض الأعلام الذين جرى نقل شيء من كلامهم .

١٤- شرحت المفردات الغريبة التي وردت في بعض الأحاديث مستعيناً في ذلك بكتب غريب الحديث ، ومعاجم اللغة وشروح الحديث ثم ختمت الرسالة بفهارس خمسة هي :

- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
- فهرس الآثار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات التي اشتملت عليها الرسالة .

وفي الختام أحمد الله – سبحانه وتعالى – على عونه وتوفيقه لإتمام هذا البحث حيث سهل لي صعبه وذلل أمامي عقباته ، وإني لأرى لزاماً علي أن أسجل هنا وافر شكري ، وعظيم تقديري وصادق دعواتي لفضيلة شيخنا عبد المحسن ابن حمد العباد الذي تولى الإشراف على هذه الرسالة فكان لحسن إشرافه ودقة متابعته أكبر الأثر في إنجاز هذه الرسالة وإخراجها إلى حيز الوجود ، فله مني خالص الشكر والثناء ومن الله المثوبة والجزاء ، فجزاه الله عني أحسن الجزاء ، وجعل سعيه مشكوراً ، وأكرمه في الآخرة والأولى .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أقدم شكري أيضاً : لكل من أفادني من مشائخي وزملائي بكتاب ، أو إرشاد ، أو أي نوع من المساعدة .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية ممثلة في القائمين عليها الذين قاموا بما يجب عليهم نحو طلابهم خير قيام ، وحرصوا على تقديم كل ما يعينهم على أداء مهمتم وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه . وجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ومنّ علينا بالتوفيق والسداد ، إنه جواد كريم وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الكرام والتابعين لهم بإحسان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف :
في ١٤١١/٦/١٢هـ .

* * *

التمهيد



□ تمهيد □

يشتمل على :

* المراد بأهل السنة
* تعريف الصحابة
* بم يعرف الصحابي
* طبقات الصحابة
* عددهم رضي الله عنهم

* * *



* المراد بأهل السنة :

المراد بأهل السنة الذين نريد بيان عقيدتهم في الصحابة رضي الله عنهم في هذه الرسالة هم : المتمسكون بما جاء في الكتاب والسنة والتزموا بما فيهما قولا وعملا وكان معتقدهم موافقاً لما جاء فيهما وموافقاً لما كان عليه السلف الصالح من الصحابة الكرام رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان وأتباعهم من أئمة الدين ممن شهد لهم بالإمامة وعرف عظم شأنهم في الدين وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي كالخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء ، وقد بين جماعة من أهل العلم المراد من أهل السنة :

فقد قال أبو محمد بن حزم معرفاً أهل السنة : « وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة فإنهم – أي أهل السنة – الصحابة رضي الله عنهم وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم ، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا إلى يومنا هذا ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم »[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبيناً المراد من لفظة كلمة « أهل السنة » : « فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول : إن القرآن غير مخلوق وأن الله يرى في الآخرة ويثبت القدر وغير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنة »[2] .

وعرفهم محمد صديق حسن خان بقوله : « أهل السنة والجماعة هم

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١١٣/٢ .

(٢) منهاج السنة ٢٠٤/١ .

المحدثون المتبعون الموحدون المقتدون بكتاب الله العزيز وسنة رسوله المطهرة »[1] .

وقال محمود شكري الألوسي في صدد رده على الشيعة الرافضة في دعواهم أنهم الفرقة الناجية المتبعون لأهل بيت النبوة قال : « بل الحق الحقيق بالقبول أن أهل السنة هم أتباع بيت الرسول وهم السالكون طريقتهم والمجيبون دعوتهم والأئمة الأطهار كانوا على ما عليه أهل السنة الأخيار كيف لا وأبو حنيفة ومالك وغيرهما من العلماء الأعلام قد أخذوا العلم عن أولئك الأئمة العظام والحمد لله على ذلك الإنعام »[2] .

وقال صاحب[3] كتاب غاية الأماني في الرد على النبهاني : « اعلم أن أهل السنة والجماعة هم أهل الإسلام والتوحيد المتمسكون بالسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ في العقائد والنحل والعبادات الباطنة والظاهرة الذين لم يشوبوها ببدع أهل الأهواء وأهل الكلام في أبواب العلم والاعتقادات ولم يخرجوا عنها في باب العمل والإرادات كما عليه جهال أهل الطرايق والعبادات فإن السنة في الأصل تقع على ما كان عليه رسول الله ﷺ وما سنه أو أمر به من أصول الدين وفروعه حتى الهدى والسمت[4] ثم خصت في بعض الإطلاقات بما كان عليه أهل السنة من إثبات الأسماء والصفات خلافاً للجهمية المعطلة النفاة ، وخصت بإثبات القدر

---

(١) الدين الخالص ٤١٨/٣ .

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٣٤ .

(٣) هو محمود شكري بن عبد الله بن محمود بن عبد الله بن محمود الحسيني الألوسي البغدادي (جمال الدين – أبو المعالي) مؤرخ أديب لغوي من علماء الدين ، حمل على أهل البدع في الإسلام برسائل فعاداه كثيرون وسعوا به لدى والي بغداد عبد الوهاب ، فكتب هذا إلى السلطان عبد الحميد الثاني العثماني فصدر الأمر بنفيه إلى بلاد الأناضول ، فلما وصل إلى الموصل كتب أعيانها إلى السلطان يحتجون فسمح له بالعودة إلى بغداد فعاد ، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف وتوفي سنة اثنتين واربعين وثلاثمائة وألف ، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٤٩/٨ – ٥٠ ، معجم المؤلفين ١٦٩/١٢ .

(٤) السمت : هو الهيئة الحسنة : النهاية ٣٩٧/٢ .

ونفي الجبر خلافاً للقدرية النفاة وللقدرية الجبرية العصاة وتطلق أيضاً : على ما كان عليه السلف الصالح في مسائل الإمامة والتفضيل ، وللكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وهذا من إطلاق الاسم على بعض مسمياته لأنهم يريدون بمثل هذا الإطلاق التنبيه على أن المسمى ركن أعظم وشرط أكبر كقوله : « **الحج عرفة** »[1] أو لأنه الوصف الفارق بينهم وبين غيرهم ، ولذلك سمى العلماء كتبهم في هذه الأصول كتب السنة مثل كتاب السنة للالكائي والسنة لأبي بكر الأثرم والسنة للخلال والسنة لابن خزيمة والسنة لعبد الله بن أحمد ومنهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية[2] .

وقد اشتهر ناس بالإمامة في مذهب أهل السنة والجماعة ومن هؤلاء : الإمام أحمد والإمام مالك والإمام الشافعي وأبو حنيفة والليث بن سعد والأوزاعي وحماد ابن زيد وحماد بن سلمة ونعيم بن حماد وإسحاق بن راهويه وغير هؤلاء من أئمة الإسلام الذين لهم لسان صدق في الأمة[3] .

وقد وصف الإمام أحمد بأنه إمام أهل السنة[4] وذلك لأنه انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره وابتلي بالمحنة والرد على أهل

---

(١) سنن ابن ماجة ١٠٠٣/٢ من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي .

(٢) غاية الأماني ٣٨٩/١ - ٣٩٠ وانظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢٠/١ - ٢٢ .

(٣) مجموع الفتاوى ٤٢١/٤ .

(٤) قال أبو الحسن الأشعري : فإن قال لنا قائل : هل أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له : قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ورفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وخليل معظم مفخم وعلى جميع أئمة المسلمين » ا . هـ الإبانة عن أصول الديانة ص ٨ .

البدع أكثر من غيره فصار إماماً في السنة أظهر من غيره[1] .

وممن اشتهر بالذب عن مذهب أهل السنة والجماعة وحارب أهل البدع من فلاسفة ومتكلمين ومتصوفة ومتزندقين وغيرهم من أهل الأهواء الضالين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وبدفاعهما وذبهما عن مذهب أهل السنة انكشف زيف الكثير من المذاهب المنحرفة عن طريق أهل السنة والجماعة والتي كادت أن تطبق المعمورة ولكن بفضل الله تعالى ثم بمجاهدة هذين الإمامين نصرة لدين الله تعالى ظهر مذهب أهل السنة وعلا على جميع المذاهب الباطلة حتى عرف الكثير من أولى الألباب أن الخير كل الخير في التمسك بالكتاب والسنة والاقتداء بالسلف الصالح الذين كانوا في صدر هذه الأمة ، فإذن المراد بأهل السنة هم الذين يلتزمون في أقوالهم وأعمالهم بما دل عليه الكتاب والسنة ويردون ما تنازع فيه الناس إليهما إذعاناً وامتثالا لقول الباري – سبحانه وتعالى – : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[2] وهذه الميزة من أبرز صفاتهم لأن غيرهم من الطوائف لم يلتزموا ذلك التزاماً كاملا والناظر في أحوال الفرق من غير أهل السنة يجد أنهم يردون بعض الأحاديث الصحيحة ويتأولون الآيات الواضحة الصريحة بدعوى أنها تتعارض مع العقل وتصادمه كما في آيات الصفات وأحاديثها حيث لم يثبتها جميعها إلا السلف الصالح وأتباعهم أهل السنة والجماعة .

* * *

(١) انظر لوامع الأنوار البهية ٧٤/١ .
(٢) النساء آية / ٥٩ / .

* تعريف الصحابة :

جاء في القاموس : « استصحبه : أي دعاه إلى الصحبة ولازمه »[1] .

وفي الصحاح للجوهري : « كل شيء لاءم شيئاً فقد استصحبه »[2] .

وقال أبو بكر محمد بن الطيب : « لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول « صحابي » مشتق من الصحبة وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص بل هو جار على كل من صحب غيره قليلا كان أو كثيراً ... يقال صحبت فلاناً حولا ودهراً وسنة وشهراً ويوماً وساعة فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار »[3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « والأصحاب جمع صاحب والصاحب اسم فاعل من صحبه يصحبه وذلك يقع على قليل الصحبة وكثيرها »[4] .

وأمّا تعريف الصحابي في عرف علماء الحديث فقد اختلفت أقوالهم في ذلك اختلافاً كثيراً :

فقد قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى : « من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه »[5] .

وروى الخطيب البغدادي بإسناده إلى عبدوس بن مالك العطار قال : « سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل : وذكر من أصحاب رسول الله ﷺ أهل بدر

---

(١) ١/٩٥ ، اللسان ١/٥١٩ ، وانظر ترتيب القاموس ١/٧٩٨ .

(٢) ١/١٦٢ .

(٣) الكفاية للخطيب البغدادي ص ٦٩ - ٧٠ ، أسد الغابة ١/١٩ ، فتح المغيث ٣/٩٤ .

(٤) الصارم المسلول ص ٥٧٥ وانظر نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ص ٣٩٢ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ٧/٣ .

فقال : ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بعث فيهم كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه له الصحبة على قدر ما صحبه وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه »[1] .

وقال عليّ بن المديني : « من صحب النبي ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي ﷺ »[2] .

وروى أيضاً بإسناده إلى سعيد بن المسيب أنه كان يقول : « الصحابة لا نعدهم إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين »[3] وتعريف سعيد بن المسيب هذا تعقبه الحافظ ابن حجر بقوله « والعمل على خلاف هذا القول لأنهم اتفقوا على عد جمع جم في الصحابة لم يجتمعوا بالنبي ﷺ إلا في حجة الوداع »[4] .

وذكر ابن الأثير في كتابه أسد الغابة عن الواقدي أنه قال : « ورأينا أهل العلم يقولون كل من رأى رسول الله ﷺ وقد أدرك الحلم فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممن صحب رسول الله ﷺ ولو ساعة من نهار ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدمهم في الإسلام »[5] .

وقال أبو نعيم الأصبهاني معرفاً الصحابي : « من عرف بصحبة النبي ﷺ أو روى عنه أو رآه من الذكور والإناث »[6] .

وقال أيضاً في تعريف آخر هو : « من ثبتت له عن الرسول ﷺ رواية

---

(١) الكفاية ص ٦٩ ، تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٠١ ، المقدمة لابن الصلاح ص ١٤٦ فتح المغيث ٩٣/٣.

(٢) فتح الباري ٥/٧ .

(٣) الكفاية ص ٦٨ – ٦٩ ، تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٠٠ .

(٤) الفتح ٤/٧ .

(٥) ١٩/١ ، تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٠٠ – ١٠١ .

(٦) معرفة الصحابة لأبي نعيم ٣٩٤/٢ مخطوط في الجامعة الإسلامية برقم / ٢٧٥٩ / .

أو صحت له صحبة وولاية »[1] .

وقال أبو محمد بن حزم : « أمَّا الصحابة رضي الله عنهم فهو كل من جالس النبي ﷺ ولو ساعة وسمع منه ولو كلمة فما فوقها أو شاهد منه عليه السلام أمراً يعيه ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر حتى ماتوا على ذلك ولا مثل من نفاه عليه السلام ... فمن كان كمن وصفنا أولا فهو صاحب »[2] .

وجاء في أسد الغابة أن أبا حامد الغزالي قال : « لا يطلق اسم الصحبة إلا على من صحبه ثم يكفي في الاسم من حيث الواضح الصحبة ولو ساعة ولكن العرف يخصصه بمن كثرت صحبته » اهـ[3] .

والتعريفات التي وضعها العلماء للصحابة كثيرة ولكن التعريف الصحيح المعتمد هو ما قرره الحافظ ابن حجر بقوله : « وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام » . ثم شرح التعريف فقال : « فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له ، أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغز ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى ، وقولنا به يخرج من لقيه مؤمناً بغيره كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة . ويدخل في قولنا مؤمنا به كل مكلف من الجن والإنس ... وخرج بقولنا ومات على الإسلام من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على ردته والعياذ بالله .. ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا وهذا هو الصحيح المعتمد » اهـ[4] .

---

(١) المصدر السابق القسم المطبوع ١٠٦/١ .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ٨٩/٥ .

(٣) أسد الغابة ١٩/١ .

(٤) الإصابة ١٠/١ - ١٢ وانظر نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص ٥٥ ، ٥٦ .

* بم يعرف الصحابي :

لقد وضع العلماء رحمهم الله طرقاً وضوابط لمعرفة كون الشخص صحابياً وتلك الطرق أو الضوابط هي :

١- أن تثبت صحبته بطريق التواتر المقطوع به لكثرة ناقليه أن فلاناً من الصحابة وذلك كأبي بكر وعمر وبقية العشرة وناس آخرون من الصحابة رضي الله عنهم .

٢- أن تثبت الصحبة للشخص عن طريق الاستفاضة والشهرة .

٣- أن يروي عن أحد من الصحابة أن فلاناً له صحبة وكذا عن آحاد التابعين بناء على قبول التزكية من واحد وهو الراجح .

٤- أن تثبت الصحبة بإخباره عن نفسه إذا كان ثابت العدالة والمعاصرة بقوله أنا صحابي[١] .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ضابطاً يستفاد منه معرفة جمع كثير يكتفى فيهم بوصف يدل على أنهم صحابة وهذا الضابط مأخوذ من أمور ثلاثة :

أحدها : أنهم كانوا لا يؤمرون في المغازي إلا الصحابة فمن تتبع الأخبار الواردة في حروب الردة والفتوح وجد من ذلك الشيء الكثير .

الثاني : قال عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه : كان لا يولد لأحد مولود إلا أتي به النبي ﷺ فدعا له[٢] وهذا أيضاً : يؤخذ منه شيء كثير .

الثالث : لم يبق بمكة والطائف أحد في سنة عشر إلا أسلم وشهد حجة

---

(١) انظر الكفاية للخطيب البغدادي ص ٧٠ ، الباعث الحثيث لابن كثير ص ١٨٥ ، الإصابة في تمييز الصحابة ١/١٤ وما بعدها ، فتح المغيث ٣/١٠٤ - ١٠٨ ، تدريب الراوي ٢/٢١٣ ، وانظر مقدمة ابن الصلاح ص ١٤٦ ، التقييد والإيضاح ص ٢٩٩ .

(٢) المستدرك ٤/٤٧٩ .

الوداع فمن كان في ذلك الوقت موجوداً اندرج فيهم لحصول رؤيتهم النبي ﷺ وإن لم يرهم هو[1].

* * *

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ١/١٦ .

* طبقات الصحابة :

إن الصحابة رضي الله عنهم يتفاوتون في مراتبهم من حيث السبق إلى الإسلام أو الهجرة أو شهود المشاهد الفاضلة وقد ذكر العلماء أنهم على اثنتي عشرة طبقة :

الطبقة الأولى : قوم أسلموا بمكة مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ وغيرهم رضي الله عنهم .

الطبقة الثانية : أصحاب دار الندوة حيث بايعه جماعة فيها على الإسلام .

الطبقة الثالثة : المهاجرة إلى الحبشة .

الطبقة الرابعة : الذين بايعوا النبي ﷺ عند العقبة الأولى ، يقال : فلان عقبي ، وفلان عقبي .

الطبقة الخامسة : أصحاب العقبة الثانية وأكثرهم من الأنصار .

الطبقة السادسة : أول المهاجرين الذين وصلوا إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء وهو يبني المسجد .

الطبقة السابعة : أهل بدر الذين قال رسول الله ﷺ فيهم « **لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** »[1] .

الطبقة الثامنة : المهاجرة الذين هاجروا بين بدر والحديبية .

الطبقة التاسعة : أهل بيعة الرضوان الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[2] .

الطبقة العاشرة : المهاجرون بين الحديبية والفتح ومن هؤلاء خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وأبو هريرة ، وغيرهم وفيهم كثرة فإن رسول الله ﷺ لما فتح خيبر قصده خلق كثير من كل ناحية من أجل الهجرة .

---

(١) الحديث رواه مسلم من حديث عليّ رضي الله عنه ١٩٤١/٤ – ١٩٤٢ .

(٢) سورة الفتح آية / ١٨ .

الطبقة الحادية عشرة : هم الذين أسلموا يوم الفتح وهم جماعة من قريش .

الطبقة الثانية عشرة : صبيان وأطفال رأوا رسول الله ﷺ يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرها وعدادهم في الصحابة ومن هؤلاء السائب بن يزيد وعبد الله ابن ثعلبة بن أبي صعير فإنهما قدما إلى رسول الله ﷺ ودعا لهما ومن هؤلاء أيضاً : أبو الطفيل عامر بن واثلة وأبو جحيفة وهب بن عبد الله فإنهما رأيا رسول الله ﷺ في الطواف وعند زمزم[1] .

هذه طبقات الصحابة كما ذكرها أهل العلم من المحدثين وغيرهم .

قال العلامة ابن الصلاح : « وإذا نظرنا إلى تفاوت الصحابة في سوابقهم ومراتبهم كانوا بضع عشرة طبقة »[2] ومن العلماء من زاد على ذلك[3] .

وأمّا العلامة محمد بن سعد فقد جعلهم خمس طبقات :

الأولى : البدريون .

الثانية : من أسلم قديماً ممن هاجر عامتهم إلى الحبشة وشهدوا أحدا فما بعدها .

الثالثة : من شهد الخندق فما بعدها .

الرابعة : مسلمة الفتح فما بعدها .

الخامسة : الصبيان والأطفال ممن لم يغز سواء حفظ عنه وهم الأكثر أم لا[4] وقد ذهب أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي إلى أن طبقات

---

(١) انظر معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٢٢ - ٢٤ ، أحكام القرآن لابن العربي ١٠٠٢/٢ الباعث الحثيث لابن كثير ص ١٨٣ ، فتح المغيث شرح ألفية الحديث ١٢٤/٣ ، العواصم لابن الوزير ٤١٢/١ - ٤١٣ ، والروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ص ٦٥ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص ١٩٧ .

(٣) نفس المصدر ص ١٤٩ .

(٤) انظر ج ٣ و ٤ من كتابه الطبقات فإنه خص هذين الجزئين بتراجم الصحابة ، فتح المغيث شرح ألفية الحديث ١٢٤/٣ .

الصحابة سبع عشرة طبقة[1] .

ويلاحظ على من ذهب إلى أن طبقاتهم أقل من اثنتي عشرة طبقة أنه ترك كثيراً من مواقف الفضل لم يذكرها مثل : العقبة الأولى ، والثانية فإن لأصحابها فضلًا زائداً على غيرهم لم ينله سواهم وأمّا من ذكر أنهم أكثر من اثنتي عشرة طبقة يلاحظ في ذلك أن بعض تلك الطبقات يدخل بعضها في بعض . فطبقاتهم رضي الله عنهم اثنتا عشرة طبقة وهذه الطبقات لأولئك الأخيار نالوها حسب منازلهم في الدين والإيمان وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . قال العلامة ابن عبد البر في « خطبة الاستيعاب » قال الله تعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾[2] الآية إلى أن قال : وليس كذلك جميع من رآه وآمن به ، وسترى منازلهم من الدين والإيمان والله تعالى قد فضل بعض النبيين على بعض ، وكذلك سائر المسلمين والحمد لله رب العالمين[3]

* * *

---

(١) أصول الدين ص ٢٩٨ - ٣٠٣ .

(٢) سورة الفتح آية / ٢٩ .

(٣) الاستيعاب في أسماء الأصحاب على حاشية الإصابة ٢/١ .

* عددهم رضي الله عنهم :

انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى وقد دخل الناس في دين الله أفواجاً وجاءوا إليه من كل حدب وصوب من جميع أنحاء الجزيرة العربية ولهذا فليس من الممكن حصرهم رضي الله عنهم ولا عدهم إجمالا فضلا عن تفصيلهم إذ أنهم تفرقوا في نواحي شتى وفي كثير من البلدان .

فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث كعب بن مالك في غزوة تبوك أنه قال : « والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ »[1] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وللحاكم في « الإكليل » من حديث معاذ خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً وبهذه العدة جزم ابن إسحاق وأورده الواقدي بسند آخر موصول وزاد أنه كان معهم عشرة آلاف فرس[2] ... وقد نقل عن أبي زرعة الرازي أنهم كانوا في غزوة تبوك أربعين ألفاً ولا تخالف الرواية التي في الإكليل أكثر من ثلاثين ألفاً لاحتمال أن يكون من قال أربعين ألفاً جبر الكسر[3] .

وتعقب السخاوي هذا الجمع بقوله « فيمكن أن يكون ذلك في ابتداء خروجهم كما يشعر به قوله خرجنا وتكاملت العدة بعد ذلك ، ووقع لشيخنا في الفتح هذا السهو حيث عين قول أبي زرعة في تبوك بأربعين ألفاً وجمع بينه وبين قول معاذ أكثر من ثلاثين ألفاً باحتمال جبر الكسر وجاء ضبط من كان بين يدي النبي ﷺ عام الفتح بمكة بأنهم خمسة عشر ألف عنان[4] قاله الحاكم ومن طريقه

---

(١) صحيح البخاري ٨٧/٣ ، صحيح مسلم ٢١٢٣/٤ .

(٢) انظر المغازي للواقدي ١٠٠٢/٣ .

(٣) فتح الباري ١١٧/٨ - ١١٨ .

(٤) جاء في النهاية لابن الأثير : وذو العنان ... يريد الفرس والذلول .. والعنان سير اللجام ٣١٣/٣ .

أبو موسى[1] في الذيل بل عنده عن ابن عمر أنه قال : وافى النبي ﷺ يوم فتح مكة بعشرة آلاف من الناس ووافى حنيناً باثني عشر ألفاً وقالوا لن تغلب اثنا عشر من قلة[2] وقد شهد مع النبي ﷺ حجة الوداع عدد كثير جداً قال جابر ابن عبد الله رضي الله عنه واصفاً هذه الكثرة « نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك » . وفي نفس هذا الحديث يقول جابر : فقدم المدينة بشر كثير[3] .

وقال العلامة ابن الصلاح رحمه الله تعالى : « روينا عن أبي زرعة الرازي أنه سئل عن عدة من روى عن النبي ﷺ فقال : ومن يضبط هذا ؟ شهد مع النبي ﷺ حجة الوداع أربعون ألفاً وشهد معه تبوك سبعون ألفاً .

وروينا عن أبي زرعة أيضاً : أنه قيل له أليس يقال حديث النبي ﷺ أربعة آلاف حديث ؟ قال : ومن قال ذا قلقل الله أنيابه . هذا قول الزنادقة ، ومن يحصي حديث رسول الله ﷺ . قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه وفي رواية فقيل له : يا أبا زرعة هؤلاء أين كانوا وأين سمعوا منه ؟ قال : أهل المدينة وأهل مكة ، ومن بينهما والأعراب ومن شهد حجة الوداع كل رآه وسمع منه بعرفة »[4] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : وأمَّا جملة الصحابة ، فقد اختلف الناس

---

(١) هو محمد بن عمر بن أحمد أبو موسى المديني الأصفهاني المتوفى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة له كتاب الذيل على معرفة الصحابة لابن مندة انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٨٦/٤ ، سير أعلام النبلاء ١٥٢/٢١ - ١٥٩ .

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٢٧٣/٤ .

(٢) فتح المغيث شرح ألفية الحديث ١٢٢/٣ .

(٣) صحيح مسلم ٨٨٧/٢ .

(٤) المقدمة لابن الصلاح ص ١٤٨ - ١٤٩ ، الإصابة ٤/١، البداية والنهاية ٣٩٧/٥ فتح المغيث ١٢١/٣ .

في عدتهم فنقل عن أبي زرعة أنه قال : يبلغون مائة ألف وعشرين ألفاً[1] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « ومما يؤيد قول أبي زرعة ما ثبت في الصحيحين عن كعب بن مالك في قصة تبوك والناس كثير لا يحصيهم ديوان »[2] .

وقال ابن الأثير : « وأصحاب رسول الله ﷺ ... كثيرون فإن رسول الله ﷺ شهد حنيناً ومعه اثنا عشر ألفاً سوى الأتباع والنساء وجاء إليه هوازن مسلمين فاستنقذوه حريمهم وأولادهم وترك مكة مملوءة ناساً وكذلك المدينة أيضاً : وكل من اجتاز به من قبائل العرب كانوا مسلمين ، فهؤلاء كلهم لهم صحبة وقد شهد معه تبوك من الخلق الكثير ما لا يحصيهم ديوان وكذلك حجة الوداع وكلهم له صحبة »[3] . وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في عدد الصحابة بعد وفاته ﷺ على أقوال :

١- فعن الإمام الشافعي كما في مناقبه للآبري والساجي من طريق ابن عبد الحكم عنه قال : « قبض رسول الله ﷺ والمسلمون ستون ألفاً ، ثلاثون ألفاً بالمدينة وثلاثون يعني ألفاً في قبائل العرب »[4] .

٢- وعن الإمام أحمد رحمه الله تعالى فيما رواه البيهقي من طريق إبراهيم بن علي الطبري قال : قبض النبي ﷺ وقد صلى خلفه ثلاثون ألف رجل قال السخاوي : جامعاً بين قول أحمد وقول الشافعي « وكأنه عنى بالمدينة ليلتئم مع ما قبله »[5] .

٣- ثبت عن الثوري فيما أخرجه الخطيب بسنده الصحيح إليه قال : من قدم

---

(١) البداية والنهاية ٣٩٧/٥ .

(٢) الإصابة ٥/١ والحديث رواه الشيخان صحيح البخاري ٨٧/٣ ، صحيح مسلم ٢١٢٣/٤ .

(٣) أسد الغابة ١٩/١ .

(٤) ذكره عنه الذهبي في التجريد ٢/١ ، البداية والنهاية ٣٩٧/٥ ، فتح المغيث ١٢٤/٣ .

(٥) فتح المغيث ١٢٤/٣ .

علياً على عثمان فقد أزرى على اثني عشر ألفاً مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، قال النووي : وذلك بعد النبي ﷺ باثني عشر عاماً بعد أن مات في خلافة أبي بكر في الردة والفتوح الكثير ممن لم يضبط أسماؤهم ثم مات في خلافة عمر في الفتوح وفي الطاعون العام وعمواس وغير ذلك من لا يحصى كثرة وسبب خفاء أسمائهم أن أكثرهم أعراب وأكثرهم حضروا حجة الوداع والله أعلم[(١)] .

٤- وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله تعالى كما في ترتيب المدارك للقاضي عياض : « قبض رسول الله ﷺ عن عشرين ألف عين تطرف »[(٢)] .

وبمثل قول أبي زرعة قال الغزالي في كتابه الإحياء[(٣)] .

وكما اختلف العلماء في جملة الصحابة وفي عددهم حين توفي عنهم رسول الله ﷺ كذلك اختلفوا في عدد من خرج منهم من المدينة واستقر في غيرها من الأمصار كما اختلفوا كذلك في عدد الرواة عنه ﷺ منهم وكان اختلافهم في ذلك كما يلي :

١- نقل القاضي عياض عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال : مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف وباقيهم تفرق في البلدان[(٤)] .

٢- وقال أبو بكر بن أبي داود فيما رواه عن الوليد بن مسلم بالشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله ﷺ .

٣- وقال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله تعالى : « نزل بالكوفة من الصحابة ألف وخمسون منهم أربعة وعشرون بدريون قال : وأخبرت أنه قدم حمص من الصحابة خمسمائة رجل » .

---

(١) ذكره الحافظ في الإصابة ١/٥ - ٦ .

(٢) ترتيب المدارك ١/٩٦ .

(٣) الإحياء ١/٢٨٧ ، فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي ٣/١٢٢ .

(٤) ترتيب المدارك ١/٩٦ .

٤- وعن بقية نزلها من بني سليم أربعمائة[١] .

وأمَّا اختلافهم في عدد الرواة منهم رضي الله عنهم فقد نقل الحافظ ابن كثير عن أبي عبد الله الحاكم أنه قال : « روى الحديث عن قريب من خمسة آلاف صحابي »[٢] .

ونقل الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى عن الحاكم أيضاً : أنه قال : « الرواة عن النبي ﷺ أربعة آلاف وتعقبه بقوله بأنهم لا يصلون إلى ألفين بل هم ألف وخمسمائة وذكر أن كتابه « التجريد » لعل جميع من فيه ثمانية آلاف نفس إن لم يزيدوا لم ينقصوا مع أن الكثير فيهم لا يعرفون »[٣] .

وقال الحافظ ابن كثير : والذي روى عنهم الإمام أحمد مع كثرة روايته واطلاعه واتساع رحلته وإمامته فمن الصحابة تسعمائة وسبعة وثمانون نفساً ووضع في الكتب الستة من الزيادات على ذلك - قريب من ثلاثمائة صحابي أيضاً[٤] .

ومن هذا يتبين أنه لم يرو الحديث إلا عدد قليل من الصحابة ، أو لم يصل إلينا إلا حديث هؤلاء بعد أن انتشروا في الأرض للفتوح وتفرقوا في الأمصار والذي أخلص إليه من هذا أنه من الصعب ومن العسير جداً حصر الصحابة جميعاً في عدد معين لكثرتهم وتفرقهم في الأمصار .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « وقد وقع لي بالتتبع كثير من الأسماء فجمعت كتاباً كبيراً في ذلك ميزت فيه الصحابة من غيرهم ومع ذلك فلم يحصل لنا من ذلك جميعاً الوقوف على العشر من أسامي الصحابة بالنسبة

---

(١) هذه الأقوال الثلاثة ذكرها السخاوي في كتابه « فتح المغيث شرح ألفية الحديث ١٢٣/٣ » .

(٢) البداية والنهاية ٣٩٧/٥ .

(٣) التجريد ٢/١ - ٣ ، الإصابة ٥/١ ، فتح المغيث للسخاوي ١٢٣/٣ .

(٤) البداية والنهاية ٣٩٧/٥ .

إلى ما جاء عن أبي زرعة الرازي » اهـ[1] .

والأقوال التي قدمنا ذكرها عن أهل العلم عندما يسمعها الإنسان يفهم أن ظاهرها التعارض والأمر ليس كذلك فكل حكى على قدر تتبعه ومبلغ علمه وأشار بذلك إلى وقت خاص وحال فإذاً لا تضاد بين كلامهم والله المستعان[2] .

* * *

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ١/٤ .

(٢) انظر « فتح المغيث شرح ألفية الحديث » ٣/١٢٤ .

□ « الباب الأول » □

الثناء في القرآن والسنة على الصحابة

□ « الباب الأول » □

الثناء في القرآن والسنة على الصحابة

وفيه أربعة فصول :

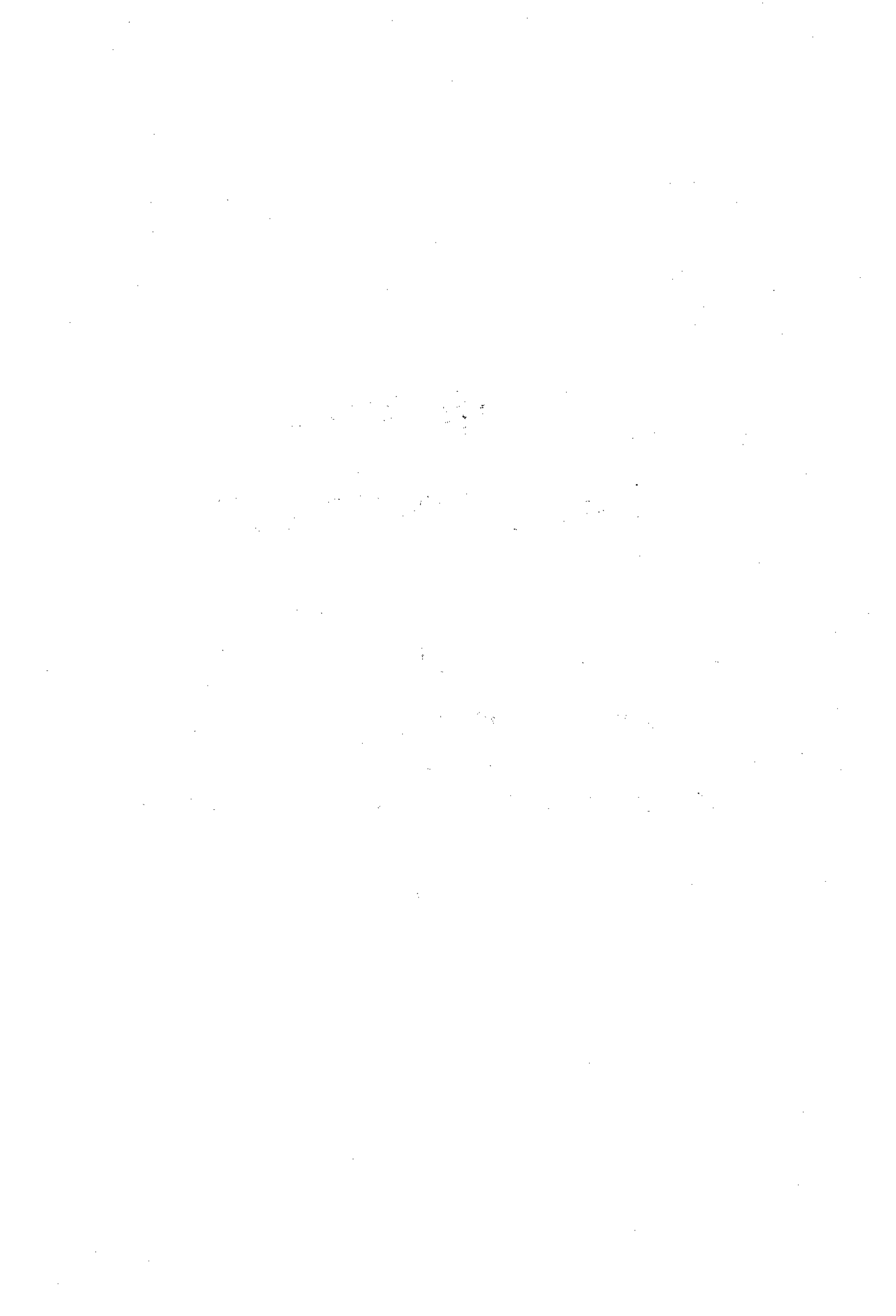
الفصل الأول : الثناء عليهم عموماً في القرآن والسنة وأقوال السلف .

الفصل الثاني : الثناء على أصناف معينة منهم رضي الله عنهم .

الفصل الثالث : فضل العشرة المبشرين بالجنة .

الفصل الرابع : ما جاء في فضل الصحابة من أهل بيت النبي ﷺ .

* * *



○ الفصل الأول ○

الثناء عليهم عموماً في الكتاب والسنة وأقوال السلف



○ الفصل الأول ○

الثناء عليهم عموماً في الكتاب والسنة وأقوال السلف

وفيه مباحث :

المبحث الأول : الثناء عليهم في القرآن .

المبحث الثاني : الثناء عليهم في السنة .

المبحث الثالث : الثناء عليهم في أقوال السلف .

★ المبحث الأول ★

الثناء عليهم في القرآن

إن أهل السنة والجماعة يثبتون فضل الصحابة رضي الله عنهم الذي نطق به القرآن الكريم المنزل من لدن حكيم حميد على نبيه محمد ﷺ ، كما يثبتون جميع ما صح في فضلهم عن رسول الله ﷺ سواء كان هذا الفضل على وجه العموم ، أو على وجه الخصوص الكل يثبتونه ويعتقدونه اعتقاداً جازماً ويسلمون به لأولئك الأطهار الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وصاغهم أعظم صياغة ليكونوا وزراء لنبيه عليه الصلاة والسلام ، وليحملوا رسالته من بعده ، ويبلغوها إلى جميع الناس في هذه المعمورة ولقد أثنى الله عليهم في كتابه الكريم على سبيل الجملة في آيات كثيرة ومواضع شتى منها :

١ - قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(١) هذه الآية الكريمة وجه الله تعالى فيها الخطاب إلى جميع الأمة المحمدية من أولها إلى أن تقوم الساعة وهذا الخطاب يتضمن أنه سبحانه جعلهم خيار الأمم ليكونوا يوم القيامة شهداء على الناس ، والوسط في الآية بمعنى الخيار والأجود ولكن أولوية الدخول في هذا الخطاب إنما هو لأصحاب رسول الله ﷺ قبل بقية الأمة الإسلامية إذ هم أول من وجه إليهم هذا الخطاب في هذه الآية وهم الموجودون حين نزوله .

قال العلامة ابن جرير الطبري : مبيناً معنى هذه الآية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ « كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام وبما جاءكم

---

(١) سورة البقرة آية / ١٤٣ .

به من عند الله فخصصناكم ففضلناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطاً ... والوسط في كلام العرب الخيار يقال : فلان وسط الحسب في قومه أي : متوسط الحسب إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه وهو وسط في قومه وواسط ... وأرى أن الله تعالى ذكره : إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه ، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به ، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها ... إلى أن قال : القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ والشهداء جمع شهيد : فمعنى ذلك : وكذلك جعلناكم أمة وسطاً عدولا شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ أنها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها ويكون رسولي محمد ﷺ شهيداً عليكم بإيمانكم به وبما جاء به من عندي » اهـ[1] .

وقال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ المعنى : وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطاً أي : جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم والوسط العدل وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها .

وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال عدلا قال هذا حديث حسن صحيح[2] وفي التنزيل ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾[3] أي : أعدلهم وخيرهم ... ولما كان الوسط

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/٦ ، ٨ .

(٢) سنن الترمذي ٤/٢٧٥ .

(٣) سورة القلم آية / ٢٨ .

مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً أي : هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في أنبيائهم ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم وقوله تعالى ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي : في المحشر للأنبياء على أممهم[1] .

وقد روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « **يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له : هل بلغت فيقول نعم يارب ، فتسئل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقول : من شهودك فيقول محمد وأمته فيجاء بكم فتشهدون** » . ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : « **عدلا** » ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2] .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ يقول تعالى : إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لكم بالفضل ، والوسط ههنا الخيار والأجود كما يقال : قريش أوسط العرب نسباً وداراً أي أخيرها وكان رسول الله ﷺ وسطاً في قومه أي : أشرفهم نسباً . ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[3] .

وقال السفاريني[4] رحمه الله تعالى مبيناً معنى الآية :﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥٣/٢ - ١٥٤ .

(٢) صحيح البخاري ٢٦٨/٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٣٥/١ والآية رقم (٧٨) من سورة الحج .

(٤) هو محمد بن أحمد من سالم السفاريني شمس الدين أبو العون عالم الحديث والأصول والأدب ولد سنة أربع عشرة ومائة وألف ، وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائة وألف هجرية انظر ترجمته في الأعلام =

﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ الآية أي: أمة خياراً عدولا فإن هذا حقيقة الوسط، فهم خير الأمم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإراداتهم ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم فهم شهداؤه ولهذا نوه بهم ورفع ذكرهم وأثنى عليهم اهـ[1].

فإذن معنى الآية الكريمة: أن الله تعالى كما جعل قبلة أمة محمد ﷺ خير القبل وجعلها متوسطة بين المشرق والمغرب كذلك جعلهم خير الأمم وسطاً بين الغلو والتقصير فلم يغلوا غلو النصارى حيث وصفوا عيسى عليه الصلاة والسلام بالألوهية، ولم يقصروا تقصير اليهود حيث وصفوه بأنه ولد زنا فأخبر - سبحانه - بما أنعم به على أمة محمد ﷺ من تفضيله لها بالعدالة والشهادة على سائر الأمم يوم القيامة، وعلى هذا فلا ريب ولا شك في أن أصحاب رسول الله ﷺ هم أحق من كل أحد من أمته عليه الصلاة والسلام بهاتين الصفتين ألا وهما: العدالة والشهادة على سائر الأمم يوم القيامة بأن الرسل قد بلغوا أممهم ما أنزل الله إليهم من الرسالات السماوية.

٢ - قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2]. وفي هذه الآية الكريمة بين الله تعالى أنه جعل أمة محمد خير أمة أخرجت للناس وذلك بسبب ما اتصفت به من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولما استقر في قلوبهم من الإيمان بالله والصحابة رضي الله عنهم هم أول وأفضل من دخل في هذا الخطاب وحاز قصب السبق في هذه الخيرية بلا نزاع لأنهم أول من خوطب بهذه الآية الكريمة قال الزجاج[3] وأصل الخطاب لأصحاب النبي ﷺ وهو يعم سائر

= للزركلي ٦/٢٤٠.

(١) لوامع الأنوار البهية ٢/٣٨٤.

(٢) سورة آل عمران الآية / ١١٠.

(٣) هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج عالم بالنحو واللغة ولد ببغداد سنة إحدى وأربعين =

أمته[1] . وقال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى بعد ذكره لهذه الآية : « وهذا اللفظ وإن كان عاماً فالمراد به الخاص وقيل هو وارد في الصحابة » اهـ[2] .

وقال السفاريني رحمه الله تعالى :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قيل : اتفق المفسرون أن ذلك في الصحابة لكن الخلاف في التفاسير مشهور ورجح كثير عمومها في أمة محمد ﷺ وكذلك قوله تعالى :﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[3] وهذا خطاب للموجودين حينئذ اهـ[4] .

وأخرج الإمام البخاري بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال : خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام[5] .

وقال العلامة ابن جرير الطبري : « اختلف أهل التأويل في قوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ فقال بعضهم : هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وخاصة من أصحاب رسول الله ﷺ .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال : هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة .

وعن السدي : أنه قال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ قال عمر بن الخطاب : لو شاء الله لقال أنتم

= ومائتين وتوفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٤٩/١ - ٥٠ ، تاريخ بغداد ٨٩/٦ .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤٦٧/١ ، زاد المسير ٤٣٨/١ - ٤٣٩ .

(٢) الكفاية ص ٩٤ .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٤) لوامع الأنوار البهية ٣٧٧/٢ .

(٥) صحيح البخاري ١١٣/٣ .

فكنا كلنا ولكن قال (كنتم) في خاصة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

وعنه رضي الله عنه أنه قال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال : تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا .

وعن قتادة قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال في حجة حجها ورأى من الناس رعة[1] سيئة فقرأ هذه ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ الآية ثم قال : يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها .

وقال الضحاك في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال : هم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة يعني وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم .

وقال آخرون : معنى ذلك كنتم خير أمة أخرجت للناس إذ كنتم بهذه الشروط التي وصفهم – جل ثناؤه – بها فكان تأويل ذلك عندهم كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... وعن قتادة قال : كان الحسن يقول : نحن آخرها وأكرمها على الله .

وبعد ذكره لأقوال المفسرين في هذه الآية قال : « وأولى الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن ثم ساق بإسناده إلى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ألا إنكم وفيتم سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله** »[2] .

فابن جرير رحمه الله تعالى رجح حمل الآية على عموم الأمة وأيد العموم

---

(١) قال الأصمعي : الرعة الهدى وحسن الهيئة ، أو سوء الهيئة يقال : قوم حسنة رعتهم أي : شأنهم وأمرهم وأدبهم وأصله من الورع وهو الكف عن القبيح اهـ .
لسان العرب ٣٨٨/٨ ، وانظر النهاية في غريب الحديث ١٧٥/٥ .

(٢) جامع البيان ٤٣/٤ – ٤٥ .

بحديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وهذا الحديث عند الترمذي[١] .

وابن ماجة[٢] والحاكم[٣] بلفظ « **أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله** » .

قال الحافظ في الفتح وله شاهد مرسل عن قتادة عند الطبري[٤] رجاله ثقات وفي حديث علي عند أحمد[٥] بإسناد حسن أن النبي ﷺ قال : « **... وجعلت أمتي خير الأمم** »[٦] .

وممن حمل الآية على العموم في جميع الأمة الحافظ ابن كثير فإنه قال : بعد ذكره لأقوال المفسرين : « والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم كما قال في الآية الأخرى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي أخياراً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ » اهـ[٧] .

وعلى هذا فمن أراد أن يوسم بسمة الخيرية التي وسم بها صحابة رسول الله ﷺ كما شهد لهم رب العالمين بها في الآية السابقة التي نحن بصدد الحديث عنها فليتحل بصفاتهم وأخلاقهم ويتبع المنهج الذي التزموه وساروا عليه .

قال الحافظ ابن كثير بعد أن ساق الأحاديث الثابتة في فضل أمة محمد ﷺ : « فهذه الأحاديث في معنى قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ فمن اتصف من هذه الأمة

---

(١) سنن الترمذي ٢٩٤/٤ .

(٢) سنن ابن ماجة ١٤٣٣/٢ .

(٣) المستدرك ٨٤/٤ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(٤) جامع البيان ٤٥/٤ .

(٥) المسند ٩٨/١ .

(٦) الفتح ٢٢٥/٨ .

(٧) تفسير القرآن العظيم ٨٩/٢ والآية رقم (١٤٣) من سورة البقرة .

بهذه الصفات دخل معهم في المدح : ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله : ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ » اهـ[1] .

٣ – قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] .

هذه الآية الكريمة ، الخطاب فيها موجه لعباده المؤمنين إلى أن تقوم الساعة وهي تتضمن وعداً من الله – عز وجل – لهذه الأمة وهذا الوعد هو أن من ارتد عن دين الإسلام فإنه يأتي – سبحانه – بقوم ينصرون هذا الدين وبين – سبحانه – أنه يحبهم ويحبونه وأن فيهم رقة وليناً لإخوانهم المؤمنين ، كما أنهم متصفون بالغلظة والشدة على الكافرين ، وأنهم يجاهدون في سبيل الله من كفر بهذا الدين ، ولا يخافون في الحق من لوم اللائم ، وهذه الصفات الطيبة وإن كانت عامة في جميع المؤمنين إلا أن أصحاب رسول الله ﷺ وفي مقدمتهم – الصديق أبو بكر – هم أقعد وأحق وأولى بهذه الصفات من كل مؤمن يأتي بعدهم فهم أول من يتناوله الخطاب ويدخل فيه دخولا أولياً .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله وبرسوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي : صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم محمد ﷺ ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ يقول : من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه اليوم فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر إمَّا في اليهودية أو النصرانية ، أو غير ذلك من صنوف الكفر فلن يضر الله شيئاً وسيأتي الله بقوم

---

(١) المصدر السابق ٢/٩٨ والآية رقم ٧٩ من سورة المائدة .

(٢) سورة المائدة آية / ٥٤ .

يحبهم ويحبونه يقول : فسوف يجيء الله بدلا منهم بالمؤمنين الذين لم يبدلوا ولم يغيروا ولم يرتدوا بقوم خير من الذين ارتدوا وبدلوا دينهم ، يحبهم الله ويحبون الله وكان هذا الوعيد من الله لمن سبق في علمه أنه سيرتد بعد وفاة نبيه محمد ﷺ وكذلك وعده من وعد من المؤمنين ما وعده في هذه الآية لمن سبق له في علمه أنه لا يبدل ولا يغير دينه ، ولا يرتد ، فلما قبض الله نبيه ﷺ ارتد أقوام من أهل الوبر وبعض أهل المدر فأبدل الله المؤمنين بخير منهم كما قال تعالى ذكره ، ووفى للمؤمنين بوعده وأنفذ فيمن ارتد منهم وعيده ... إلى أن قال ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أتى الله بهم المؤمنين وأبدل المؤمنين مكان من ارتد منهم . فقال بعضهم : هو أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة حتى أدخلوهم من الباب الذي خرجوا منه ، وروى بإسناده إلى الحسن البصري في قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال : هذا والله أبو بكر وأصحابه .

وقال آخرون : يعني بذلك قوماً من أهل اليمن ، وقال بعض من قال ذلك منهم : هم رهط أبي موسى الأشعري : عبد الله بن قيس ثم روى بإسناده إلى عياض بن غنم الأشعري قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال : أومأ رسول الله ﷺ إلى أبي موسى بشيء كان معه فقال هم قوم هذا .

وقال آخرون : بل هم أهل اليمن جميعاً .

وذكر بإسناده إلى مجاهد في قوله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال : أناس من أهل اليمن وقال آخرون : هم الأنصار .

وروى بإسناده إلى السدي في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال : إنهم الأنصار[1] .

وقال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى : عند قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) جامع البيان ٦/ ٢٨٢ – ٢٨٥ ، زاد المسير ٢/٣٨١ – ٣٨٢ ، تفسير البغوي على حاشية الخازن ٢/٥٤ .

ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ الآية . قال : « يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله سيستبدل به من هو خير لها وأشد منعة وأقوم سبيلا كما قال تعالى :﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾[1] .... وذكر عن محمد بن كعب القرظي أنه قال : إنها نزلت في الولاة من قريش .

وعن الحسن البصري : أنها نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر .

وعن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال : هؤلاء قوم من أهل اليمن ، ثم من كندة ثم من السكون ... إلى أن قال : وقوله تعالى : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه متعززاً على خصمه وعدوه وفي صفة رسول الله ﷺ أنه الضحوك القتال فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه[2].

وكل ما تقدم من تنوع سبب نزول الآية في أنها نزلت في الأشعريين ، أو في أحياء من أهل اليمن ، أو في الولاة من قريش ، أو في الأنصار فإن ذلك لا ينافي عموم الآية فالآية عامة في كل مؤمن يحب الله ويحبه ، ويوالي فيه ، ويعادي فيه ولا يخاف في الله لومة لائم ، وكان أبو بكر وأصحابه أسعد الناس بذلك وأقدمهم وأسبقهم إليه وهو أول من تناولته الآية رضي الله عنه وأرضاه وعن أنصار الإسلام وحزبه أجمعين ، ومما يؤيد هذا ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنه : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلا الله فمن قال لا إلـه إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله** –

---

(١) سورة محمد الآية رقم ٣٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٩٥/٢ .

عز وجل - » فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه فقال عمر بن الخطاب : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله - عز وجل - قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق[1] .

هذا وفي الآية السابقة دلالة واضحة على صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم - إذ أنهم جاهدوا في الله - عز وجل - في حياة رسول الله ﷺ وجاهدوا المرتدين وسائر الكفرة بعد وفاته ﷺ ومن المقطوع به أن الصفات المذكورة في الآية المتقدمة متوفرة فيهم ومنطبقة عليهم رضي الله عنهم أجمعين .

٤ - قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[2] .

الموصوفون في الآية الأولى من هذه الآيات بالصفات الثلاث التي هي الإيمان والهجرة والجهاد هم المهاجرون الأولون الذين تركوا ديارهم وأموالهم وأولادهم إيثاراً لله ولرسوله من أجل إعلاء كلمة الله ، وإظهار الدين الإسلامي الحنيف على سائر الأديان سواه لأنه الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه والموصوفون في الآية نفسها بالإيواء والنصرة هم الأنصار الذين هم الأوس

---

(١) صحيح البخاري ٣٤٣/١ ، صحيح مسلم ٥١/١ - ٥٢ .
(٢) سورة الأنفال آية / ٧٢ - ٧٤ .

والخزرج فإنهم آووا الرسول وأصحابه المهاجرين في منازلهم ونصروا نبي الله عليه الصلاة والسلام بمقاتلة أعداء الدين ، ثم بين – سبحانه – الولاء والتلاحم الثابت بين المهاجرين والأنصار بقوله ﴿ أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أي : في النصرة والمساعدة . وهذا مما يؤكد قطع الموالاة بينهم وبين الكفار والآية الأخيرة من الآيات السابقة أخبر تعالى عنهم بحقيقة الإيمان وأنه – سبحانه – سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن ذنوبهم إن وجدت وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب الشريف الدائم الأبدي المستمر الذي لا ينقطع ولا ينقص ، ولا يسأم ولا يمل لتنوعه وحسنه .

قال العلامة ابن كثير عند قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾ الآية : ذكر تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاءوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك .

وإلى أنصار وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم وواسوهم في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم فهؤلاء بعضهم أولياء بعض ... وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ بل أقاموا في بواديهم فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصيب ولا في خسمها إلا ما حضروا فيه القتال اهـ[1] .

قال أبو عبد الله القرطبي عند قوله تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ الآية : « حقاً » مصدر أي : حققوا إيمانهم بالهجرة والنصرة وحقق الله إيمانهم بالبشارة في قوله ﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أي ثواب عظيم اهـ[2] .

والمقصود أن الآيات المتقدمة اشتملت على الثناء الحسن على عموم الصحابة

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٥١ – ٣٥٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨/٥٨ .

من مهاجرين وأنصار رضي الله عنهم أجمعين .

٥ - وقال تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1] .

هذه الآية الكريمة اشتملت على أبلغ الثناء من الله رب العالمين على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان حيث أخبر تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه بما أكرمهم الله به من جنات النعيم والنعيم المقيم فيها الذي لا يفنى ولا يبيد ، فقد خسر نفسه بعد هذا من ملأ قلبه ببغضهم واستعمل لسانه في سبهم والوقيعة فيهم كالطائفة المخذولة من الرافضة التي عميت عن ثناء الله عليهم في كتابه العزيز بمثل هذا الثناء وغيره فأخذوا يعادونهم ويبغضونهم ويسبونهم عياذاً بالله وهذا يدل على أن قلوبهم انتكست وعقولهم فسدت وإلا فأين هم من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم ورضوا عنه ؟. وقد عصم الله أهل السنة والجماعة مما وقع فيه الرافضة فلم يقولوا في أسلاف هذه الأمة منكراً ، أو يطعنوا فيهم طعناً ، فلم يقولوا في المهاجرين والأنصار وأعلام الدين ولا في أهل بدر وأحد وأهل بيعة الرضوان إلا أحسن المقال .

٦ - قال تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] .

وفي هذه الآية المباركة ثناء آخر من الله تعالى على النبي الكريم وصحبه الأكرمين من المهاجرين والأنصار ألا وهو إخباره تعالى أنه من لطفه وإحسانه أن تاب عليهم فغفر لهم الزلات ووفر لهم الحسنات ورقاهم إلى أعلى الدرجات وذلك بسبب قيامهم بالأعمال الصعبة الشاقة ولهذا قال : ﴿ ٱلَّذِينَ

(١) سورة التوبة آية / ١٠٠ .

(٢) سورة التوبة آية / ١١٧ .

﴿ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ أي : خرجوا معه لقتال الأعداء في غزوة تبوك وكانت في حر شديد وضيق من الزاد والركوب وكثرة عدد مما يدعو إلى التخلف فاستعانوا الله تعالى وقاموا بذلك ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ -أي : تنقلب قلوبهم ويميلوا إلى الدعة والسكون ولكن الله ثبتهم وقواهم[1] رضوان الله عليهم أجمعين وأعظم بها من منقبة لأولٰئك الصفوة حيث شملهم الله تعالى بالتوبة عليهم ومن تاب الله عليه تحققت سعادته في الدار الآخرة .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : من تاب الله عليه لم يعذبه أبداً[2] .

قال أبو بكر أحمد بن علي الجصاص : « وقوله تعالى ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ فيه مدح لأصحاب النبي ﷺ الذين غزوا معه من المهاجرين والأنصار وإخبار بصحة بواطن ضمائرهم وطهارتهم لأن الله تعالى لا يخبر بأنه قد تاب عليهم إلا وقد رضي عنهم ورضي أفعالهم وهذا نص في رد قول الطاعنين عليهم والناسبين لهم إلى غير ما نسبهم الله إليه من الطهارة ووصفهم به من صحة الضمائر وصلاح السرائر رضي الله عنهم » اهـ[3]

٧ - قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾[4] .

الوعد بالاستخلاف في هذه الآية عام يدخل تحته كل من تولى وظيفة من

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمٰن بن ناصر السعدي ١٤٥/٣ .
(٢) ذكره البغوي في تفسيره المسمى معالم التنزيل ١٢٩/٣ . على حاشية الخازن .
(٣) أحكام القرآن للجصاص ١٦٠/٣ .
(٤) سورة النور آية / ٥٥ .

وظائف المسلمين من أمة محمد ﷺ ولكن بشرط أن تتوفر الصفتان المذكورتان في الآية وهما : الإيمان والعمل الصالح فتشمل الخلافة وإقامة الدعوة وعموم الشريعة بنفاذ الوعد في كل أحد بقدره وعلى حاله والخطاب في الآية موجه للنبي ﷺ ولمن معه فيندرج تحت هذا العموم جميع الصحابة والخلفاء الأربعة رضي الله عنهم يدخلون فيه قبل كل من اتصف بالصفتين ممن جاء بعدهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : موضحاً لمعنى آية النور « هذه والآية التي ختمت بها سورة « الفتح » : « فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف كما وعدهم في تلك مغفرة وأجراً عظيماً ، والله لا يخلف الميعاد ، فدل ذلك على أن الذين استخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم ومكن لهم دين الإسلام وهو الدين الذي ارتضاه لهم كما قال تعالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1] . وبدلهم بعد خوفهم أمناً لهم المغفرة والأجر العظيم وهذا يستدل به من وجهين : على أن المستخلفين مؤمنون وعملوا الصالحات لأن الوعد لهم لا لغيرهم . ويستدل به على أن هؤلاء مغفور لهم ، ولهم أجر عظيم لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات فتناولتهم الآيتان آية « النور » وآية « الفتح » ومن المعلوم أن هذه النعوت منطبقة على الصحابة على زمن أبي بكر وعمر وعثمان فإنه إذ ذاك حصل الاستخلاف وتمكن الدين بعد الخوف لما قهروا فارس والروم وفتحوا الشام والعراق ومصر وخراسان وأفريقية .. وحينئذ فقد دل القرآن على إيمان أبي بكر وعمر وعثمان ومن كان معهم في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن وأدركوا زمن الفتنة كعلي وطلحة والزبير وأبي موسى الأشعري ومعاوية وعمرو ابن العاص دخلوا في الآية لأنهم استخلفوا ومكنوا وأمنوا وأمّا من حدث في زمن الفتنة كالرافضة الذين حدثوا في الإسلام في زمن الفتنة والافتراق ، وكالخوارج المارقين فهؤلاء لم يتناولهم النص فلم يدخلوا فيمن وصف بالإيمان

---

(١) سورة المائدة جزء من الآية رقم / ٣ .

والعمل الصالح المذكورين في هذه الآية لأنهم أولا ليسوا من الصحابة المخاطبين بهذا ، ولم يحصل لهم من الاستخلاف والتمكين والأمن بعد الخوف ما حصل للصحابة بل لا يزالون خائفين مقلقلين غير ممكنين فإن قيل لم قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم ولم يقل وعدهم كلهم قيل : كما قال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ولم يقل وعدكم ، ومن تكون لبيان الجنس فلا يقتضي أن يكون قد بقي من المجرور بها شيء خارج عن ذلك الجنس » اهـ[1] .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية : « هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي : أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً وحكماً فيهم وقد فعله – تبارك وتعالى – وله الحمد والمنة : فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر واسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه ، ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق – فلم شعث الأمة – وأخذ جزيرة العرب ومهدها وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتحوا طرفاً منها وقتلوا خلقاً من أهلها ، وجيشاً آخر صحبة أبي عبيدة رضي الله عنه ، ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام ، وثالثاً صحبة عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر ، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصري ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها ، وتوفاه الله – عز وجل – واختار له ما عنده من الكرامة ومنّ على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر بعده قياماً تاماً

(١) منهاج السنة ١/١٥٧ .

لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها ، وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس ، وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته وقصر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام ، وانحدر إلى القسطنطينية ، وأنفق أموالهما في سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة . ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص ، وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط ، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين ، وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية ، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز ، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان ، وجبي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ... ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها** »[1] .

٨ - قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾[2] .

قال العلامة ابن جرير الطبري : « ... الذين اصطفاهم يقول : الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به الجاحدين نبوة نبيه » . ثم ذكر بإسناده إلى ابن عباس في قوله ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ قال : أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه .

ثم قال : حدثنا عليّ بن سهل قال حدثنا الوليد بن مسلم قال : قلت

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١١٩/٥ - ١٢٠ والحديث رواه مسلم في صحيحه ٢٢١٥/٤ من حديث ثوبان رضي الله عنه .

(٢) سورة النمل آية / ٥٩ .

لعبد الله بن المبارك أرأيت قول الله ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ من هؤلاء فحدثني عن سفيان الثوري قال : هم أصحاب رسول الله ﷺ[1].

وأمّا العلامة ابن كثير فقد ذكر في قوله تعالى ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ قولين :

أحدهما : أن المراد بعباده الذين اصطفى هم أنبياؤه ورسله الكرام .

الثاني : أن المراد بعباده الذين اصطفى هم : أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم .

ثم قال جامعاً بين القولين : ولا منافاة فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى . اهـ[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ قال طائفة من السلف : هم أصحاب محمد ﷺ ولا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة التي قال الله فيها : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[3]

فأمة محمد ﷺ الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم اليهود والنصارى وقد أخبر الله تعالى أنهم الذين اصطفى وتواتر عن النبي ﷺ أنه قال : « **خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين**

---

(١) جامع البيان ٢٠/٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥/٢٤٥ .

(٣) سورة فاطر آية / ٣٢ - ٣٥ .

يلونهم »[1] ، ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه هم المصطفون من المصطفين من عباد الله اهـ[2] .

وقال السفاريني رحمه الله تعالى : وقوله ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ وهم أصحاب محمد ﷺ اهـ[3] .

٩ – قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4] .

فالصحابة رضي الله عنهم داخلون في هذا الثناء على هذا الصنف الذي يجيء بالصدق ويصدق به فهم الأئمة الصادقون في أقوالهم المصدقون بالحق إذا جاءهم وكل صادق بعدهم فهو إنما يأتم بهم في صدقه وتصديقه اتباعاً لهم واقتداء بهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ فيها ثناء على الصحابة رضي الله عنهم حيث قال : « وهذا الصنف الذي يقول الصدق ويصدق به خلاف الصنف الذي يفتري الكذب أو يكذب به والصحابة ... هم أفضل من جاء بالصدق وصدق به بعد الأنبياء ، وليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أعظم افتراء للكذب على الله وتكذيباً بالحق من المنتسبين إلى التشيع اهـ[5] .

والحال كما قال رحمه الله تعالى فإن الصحابة الكرام رضي الله عنهم هم أزكى الأمة وأطهرها فهم الصادقون فيما يقولون وهم في أولية الأمة تصديقاً للحق لما جاءهم فرضي الله عنهم أجمعين ، وعلى من يبغضهم ويعاديهم اللعنة إلى

---

(١) صحيح البخاري ٢٨٧/٣ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه .
(٢) منهاج السنة ١٥٦/١ .
(٣) لوامع الأنوار البهية ٣٨٤/٢ .
(٤) سورة الزمر آية / ٣٣ – ٣٥ .
(٥) منهاج السنة ١٥٦/١ .

يوم الدين .

١٠ – قال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[١] .

هذه الآية تضمنت ذكر منزلة الرسول ﷺ بالثناء عليه ثم ثنى الله تعالى فيها بالثناء على سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . فذكر تعالى أن من صفاتهم الشدة والغلظة على أهل الكفر ، كما وصفهم بالتراحم والتعاطف فيما بينهم ، ووصفهم بأنهم يكثرون من الأعمال الصالحة المقرونة بالإخلاص وسعة الرجاء ، وفي مقدمة تلك الأعمال الصالحة إكثارهم من الصلاة ابتغاء الحصول على فضل من الله ورضوان ، كما بين – سبحانه – أن آثار ذلك يظهر على وجوههم ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ والسيماء العلامة . وقد قيل المراد بها بياض يكون في الوجوه يوم القيامة قاله الحسن وسعيد بن جبير وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواية أخرى عنه وعن مجاهد : السيماء في الدنيا هو السمت الحسن « وعن مجاهد أيضاً : هو الخشوع والتواضع »[٢] .

وهذه الأقوال لا منافاة بينها إذ يمكن أن يكون في الدنيا هو السمت الحسن الذي ينشأ عن التواضع والخشوع ، وفي الآخرة يكون في جباههم نور[٣] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم

---

(١) سورة الفتح آية / ٢٩ .

(٢) جامع البيان ٢٦/١١٠ – ١١١ ، تفسير ابن كثير ٦/٣٦٤ ، الجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٩٣ – ٢٩٤ .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٢٦/١١٢ .

وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم وقال مالك رضي الله عنه : بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون : والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا . وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد نوه الله - تبارك وتعالى - بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة ، ولهذا قال - سبحانه - ههنا ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾ ثم قال ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ أي : فراخه ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي : شده وقواه ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي : شب وطال ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾ أي : فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال : لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك ... ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم ﴾ من هذه لبيان الجنس ﴿مَّغْفِرَةً ﴾ أي : لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي : ثواباً جزيلا ورزقاً كريماً ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل ، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل[1] .

« وفي قوله - سبحانه - في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾أخطر حكم وأغلظ تهديد وأشد وعيد في حق من غيظ بأصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه غل لهم »[2] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٦٥/٦ .

(٢) قبس من هدي الإسلام لشيخنا « عبد المحسن العباد » ص ٨٦ .

وأمّا قوله تعالى في ختام الآية : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فهذا وعد من الله تعالى لجميع الصحابة بالجنة وكذلك كل من آمن وعمل الصالحات من أمة الإجابة إذ هذا الوعد عام لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى مبيناً معنى الآية : « ولا ريب أن هذا مدح لهم بما ذكر من الصفات وهو الشدة على الكفار والرحمة بينهم والركوع والسجود يبتغون فضلا من الله ورضواناً والسيماء في وجوههم من أثر السجود وأنهم يبتدئون من ضعف إلى كمال القوة والاعتدال كالزرع والوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم ليس على مجرد هذه الصفات بل على الإيمان والعمل الصالح فذكر ما به يستحقون الوعد وإن كانوا كلهم بهذه الصفة ولولا ذكر ذلك لكان يظن أنهم بمجرد ما ذكر يستحقون المغفرة والأجر العظيم ، ولم يكن فيه بيان سبب الجزاء بخلاف ما إذا ذكر الإيمان والعمل الصالح فإن الحكم إذا علق باسم مشتق مناسب كان ما منه الاشتقاق سبب الحكم » اهـ[1] .

١١ – قال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾[2] .

وفي هذه الآية الكريمة بين – تعالى – أنه حبب إلى أصحاب رسول الله ﷺ الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وجعلهم راشدين وذلك لكي يكونوا أهلا لشرف الصحبة فأعدهم الله ذلك الإعداد الرفيع فاستحقوا بذلك أن يكونوا هم الراشدين كما نطقت به هذه الآية .

قال العلامة ابن جرير الطبري : « يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله

---

(١) منهاج السنة ١/١٥٨ .

(٢) سورة الحجرات آية / ٧ .

ﷺ واعلموا أيها المؤمنون بالله ورسوله ﴿ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ فاتقوا الله أن تقولوا الباطل ، وتفتروا الكذب فإن الله يخبره أخباركم ويعرفه أنباءكم ويقومه على الصواب في أموره وقوله : ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ يقول تعالى ذكره : لو كان رسول الله ﷺ يعمل في الأمور بآرائكم ويقبل منكم ما تقولون له فيطيعكم ﴿ لَعَنِتُّمْ ﴾ يقول : لنالكم عنت يعني الشدة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم لأنه كان يخطيء في أفعاله كما لو قبل من الوليد ابن عقبة قوله في بني المصطلق : إنهم قد ارتدوا ، ومنعوا الصدقة وجمعوا الجموع لغزو المسلمين فغزاهم فقتل منهم ، وأصاب من دمائهم وأموالهم كان قد قتل ، وقتلتم من لا يحل له ولا لكم قتله وأخذ وأخذتم من المال ما لا يحل له ولكم أخذه من أموال قوم مسلمين فنالكم من الله بذلك عنت ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ بالله ورسوله فأنتم تطيعون رسول الله ، وتأتمون به فيقيكم الله بذلك من العنت ما لو لم تطيعوه وتتبعوه وكان يطيعكم لنالكم وأصابكم وقوله : ﴿ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ يقول : وحسن الإيمان في قلوبكم فآمنتم ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾ بالله ﴿ وَٱلْفُسُوقَ ﴾ يعني الكذب ﴿ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ يعني ركوب ما نهى الله عنه في خلاف أمر رسول الله ﷺ وتضييع ما أمر الله به ﴿ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ يقول هؤلاء الذين حبب الله إليهم الإيمان ، وزينه في قلوبهم ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون السالكون طريق الحق » اهـ[1] .

وقال الحافظ ابن كثير : « وقوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ أي : اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لأمره ، فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم كما قال - تبارك وتعالى - : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ

---

(١) جامع البيان ٢٦/١٢٥ - ١٢٦ .

أَنفُسِهِمْ ﴾[1] ثم بين أن رأيهم سخيف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم فقال : ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ أي : لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجكم ... وقوله عز وجل :﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ أي : حببه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم ... ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ أي : وبغض إليكم الكفر والفسوق وهي الذنوب الكبار والعصيان ، وهي جميع المعاصي وهذا تدريج لكمال النعمة وقوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ أي : المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم » اهـ[2] .

قال الشوكاني رحمه الله تعالى عند قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ « أي : جعله أحب الأشياء إليكم ، أو محبوباً لديكم فلا يقع منكم إلا ما يوافقه ويقتضيه من الأمور الصالحة » اهـ[3] .

١٢ - قال تعالى :﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4] فالذين آمنوا في هذه الآية لفظ عام يطلق على كل مؤمن آمن بالله بقلبه ولسانه وجوارحه ، وأصحاب رسول الله ﷺ يدخلون في هذا اللفظ العام دخولا أولياً قبل كل أحد آمن بعدهم ، والآية فيها تعريض بمن حل به الخزي من أهل الكفر ، كما تضمنت التنويه بشأن المؤمنين الذين حفظهم الله بتوفيقه من مثل حال الكافرين فكانت عاقبتهم أن أمنهم الله من خزيه ، ولا يأمن من خزيه في يوم القيامة إلا من مات على كمال الإيمان وحقائق الإحسان وأصحاب رسول الله ﷺ في مقدمة من مات على ذلك ، فلقد ماتوا رضي الله عنهم وهم على خير حال

---

(١) سورة الأحزاب آية / ٦ .
(٢) تفسير ابن كثير ٣٧٤/٦ .
(٣) فتح القدير ٦٠/٥ .
(٤) سورة التحريم آية / ٨ .

وسيكونون يوم القيامة في مقدمة المؤمنين الذين يتم الله لهم نورهم .

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : « ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة ، يعطى المؤمن والمنافق ، فيطفأ نور المنافق فيخشى المؤمن أن يطفأ نوره فذلك قوله – تعالى – : ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾[1] وقال أبو الفرج بن الجوزي ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ وذلك إذا رأى المؤمنون نور المنافقين يطفأ سألوا الله تعالى أن يتمم لهم نورهم ويبلغهم به الجنة » وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ليس أحد من المسلمين إلا يعطى نوراً يوم القيامة ، فأمّا المنافق ، فيطفأ نوره ، والمؤمن مشفق مما رأى من إطفاء نور المنافق فهم يقولون ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ »[2] .

فالآيات التي قدمنا ذكرها كلها نصوص واضحة الدلالة وصريحة في مناقب الصحابة رضي الله عنهم على وجه الجملة ، والآيات الواردة في هذا الصدد كثيرة جداً ومجمل القول في هذا أن كل صيغة عموم فيها الثناء على عباد الله المؤمنين ، أو فيها وعد لهم بدخول الجنة أو تبشير لهم بذلك من الله تعالى فإنها تشملهم ويدخلون فيها قبل كل أحد دخولا أولياً ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ، وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ، وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3] .

ومثل قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ

---

(١) جامع البيان ١٦٩/٢٨ .

(٢) زاد المسير ٣٢٤/٨ .

(٣) سورة المؤمنون آية ١ – ١١ .

ٱلنَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[1].

ومثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾[2] والآيات من هذا القبيل في القرآن كثيرة جداً ومن الصعوبة استقصاؤها[3] وكلها وردت بصيغة العموم وأول من تتناول أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم خير الأمة المحمدية ذلكم هو الثناء في الآيات القرآنية على أصحاب رسول الله ﷺ على وجه العموم ولنأت إلى ما جاء في بيان فضلهم من السنة على وجه عام .

* * *

---

(١) سورة المطففين آية ١٨ - ٢٨ .

(٢) سورة البينة آية ٧ - ٨ .

(٣) حتى أن بعضهم أفردها ببحوث ورسائل مستقلة مثل كتاب إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة - محمد العربي بن التباني ، ومثل منزلة الصحابة في القرآن - محمد صلاح الصاوي ومثل - صحابة رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة تأليف - عيادة أيوب الكبيسي وغيرها من البحوث والرسائل في هذا الموضوع .

★ المبحث الثاني ★

الثناء عليهم في السنة

لقد ورد الثناء في السنة النبوية على الصحابة رضي الله عنهم على وجه عام في أحاديث كثيرة مستفيضة ومتواترة منها الصحيح ومنها الحسن ومن ذلك ما يلي :

١ – روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال : صلينا مع رسول الله ﷺ . ثم قلنا : لو جلسنا حتى نصلي العشاء قال : فجلسنا فخرج علينا فقال : « **ما زلتم ههنا ؟** » قلنا يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا : نجلس حتى نصلي معك العشاء قال : « **أحسنتم** » أو « **أصبتم** » قال فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال « **النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون** »[1] .

قال أبو حاتم محمد بن حبان البستي مبيناً معنى هذا الحديث : « ويشبه أن يكون معنى هذا الخبر أن الله – جل وعلا – جعل النجوم علامة لبقاء السماء وأمنة لها عن الفناء فإذا غارت واضمحلت أتى السماء الفناء الذي كتب عليها وجعل الله – جل وعلا – المصطفى أمنة أصحابه من وقوع الفتن فلما قبضه الله – جل وعلا – إلى جنته أتى أصحابه الفتن التي أوعدوا وجعل الله أصحابه أمنة أمته من ظهور الجور فيها ، فإذا مضى أصحابه أتاهم ما يوعدون من

---

(١) صحيح مسلم ١٩٦٢/٤ .

ظهور غير الحق من الجور والأباطيل » اهـ[1] .

وقال النووي : « ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت وقوله ﷺ : « **وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون** » أي : من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً وقد وقع كل ذلك ، قوله ﷺ : « **وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون** » معناه : من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته ﷺ » اهـ[2] .

فهذا الحديث تضمن فضيلة الصحابة رضي الله عنهم على وجه عام كما اشتمل على بيان منزلتهم ومكانتهم العالية في الأمة ، وأنهم في الأمة بمنزلة النجوم من السماء .

٢ - روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **يأتي على الناس زمان يغزو فئام[3] من الناس فيقال لهم : فيكم من صحب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم ، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ فيقولون نعم : فيفتح لهم ، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم : هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم** »[4]

فلله ما أعظم هذا التكريم الذي حظي به أصحاب رسول الله ﷺ الذي

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان « للأمير علاء الدين أبي الحسن علّي بن بلبان بن عبد الله الفارسي » ١٨٦/٩ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٨٣/١٦ .

(٣) الفئام : الجماعة الكثيرة ، النهاية في غريب الحديث ٤٠٦/٣ .

(٤) صحيح البخاري ٢٨٧/٢ ، صحيح مسلم ١٩٦٢/٤ واللفظ لمسلم .

ما كان ولم يكن لأحد سواهم بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فالحديث تضمن فضيلة أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم .

قال الإمام النووي : « وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ وفضل الصحابة والتابعين وتابعيهم » اهـ[1] .

٣ – وروى الشيخان أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ أي الناس خير ؟ قال : « **قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه ، وتبدر يمينه شهادته** »[2] .

٤ – روى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم** » والله أعلم أذكر الثالث أم لا قال : « **ثم يخلف قوم يحبون السمانة**[3] **ويشهدون قبل أن يستشهدوا** »[4] .

٥ – وروى الشيخان من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** » قال عمران : فلا أدري قال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثة[5] .

٦ – روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : سأل رجل النبي ﷺ : أي الناس خير ؟ قال « **القرن**

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٨٣/١٦ ، وانظر « عمدة القارئ » للعيني ١٨٠/١٤ .

(٢) صحيح البخاري ٢٨٨/٢ ، صحيح مسلم ١٩٦٣/٤ واللفظ لمسلم .

(٣) المراد بالسمن هنا كثرة اللحم ومعناه أنه يكثر ذلك فيهم وليس معناه أن يتمحضوا سماناً والمذموم منه من يستكسبه بالمأكول والمشروب الزائد على المعتاد .

(٤) صحيح مسلم ١٩٦٣/٤ – ١٩٦٤ .

(٥) صحيح البخاري ٢٨٧/٢ ، صحيح مسلم ١٩٦٤/٤ .

الذي أنا فيه ثم الثاني ، ثم الثالث »[1] .

فهذه الأحاديث فيها دلالة واضحة وقاطعة على أن الصحابة رضي الله عنهم هم خير القرون المفضلة وأكرمها على الله - تعالى - .

قال الإمام النووي : « اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ والمراد أصحابه »[2] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قوله : « **خير أمتي قرني** » أي : أهل قرني والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة ويقال إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل ويطلق القرن على مدة من الزمان واختلفوا في تحديدها من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين لكن لم أر من صرح بالسبعين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال به قائل وذكر الجوهري بين الثلاثين والثمانين وقد وقع في حديث عبد الله بن بسر عند مسلم ما يدل على أن القرن مائة وهو المشهور ... والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة وقد سبق في صفة النبي ﷺ قوله : « **وبعثت من خير قرون بني آدم** »[3] وفي رواية بريدة عند أحمد « **خير هذه الأمة القرن الذي بعثت فيهم** »[4] وقد ظهر أن الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة أو دونها أو فوقها بقليل على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته ﷺ فيكون مائة سنة أو تسعين أو سبعاً وتسعين . وأمَّا قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين وأمَّا الذين بعدهم فإن اعتبر منها كان نحواً من خمسين فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمال أهل كل زمان والله أعلم واتفقوا أن آخر من كان

---

(١) صحيح مسلم ١٩٦٥/٤ .

(٢) شرح النووي ٨٤/١٦ .

(٣) صحيح البخاري ٢٧٢/٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) مسند أحمد ٣٥٧/٥ .

من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين ، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً ، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن وظهر قوله ﷺ : « **ثم يفشوا الكذب** » ظهوراً بيناً حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات والله المستعان قوله : « **ثم الذين يلونهم** » أي القرن الذي بعدهم وهم التابعون « **ثم الذين يلونهم** » وهم أتباع التابعين ، واقتضى أن تكون الصحابة أفضل من التابعين والتابعون أفضل من أتباع التابعين لكن هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد ؟ محل بحث وإلى الثاني نحا الجمهور والأول قول ابن عبد البر[1] والذي يظهر أن من قاتل مع النبي ﷺ أو في زمانه بأمره أو أنفق من ماله بسببه لا يعدله في الفضل أحد بعده كائناً من كان وأمَّا من لم يقع له ذلك فهو محل البحث والأصل في ذلك قوله تعالى : ﴿ **لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا** ﴾ الآية .

ثم استرسل الحافظ في ذكر أدلة ابن عبد البر على أن الأفضلية بالنسبة إلى المجموع لا إلى الأفراد مع ذكر ما يرد عليها من الاعتراضات ومن الأدلة التي ذكرها ما يلي :

١) قوله ﷺ : « **مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره** » وهو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة[2] .... وأجاب عنه النووي بما حاصله : أن المراد من يشتبه عليه الحال في ذلك من أهل الزمان الذين يدركون عيسى بن مريم عليه السلام ويرون في زمانه من الخير والبركة وانتظام كلمة الإسلام ودحض كلمة الكفر فيشتبه الحال على من شاهد ذلك أي الزمانين خير

---

(١) وقول ابن عبد البر ليس على إطلاقه في حق جميع الصحابة فإنه استثنى أهل بدر والحديبية انظر فتح الباري ٧/٧ .

(٢) سنن الترمذي ٢٢٩/٤ ، المسند ١٤٣/٣ .

وهذا الاشتباه مندفع بصريح قوله ﷺ : « **خير القرون قرني** » والله أعلم .

٢) ما رواه ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير أحد التابعين بإسناد حسن قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليدركن المسيح أقواماً إنهم لمثلكم أو خير – ثلاثاً – ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها** » .

٣) روى أبو داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة رفعه « **تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل : منهم أو منا يا رسول الله ؟ قال بل منكم** »[1] وهو شاهد لحديث « **مثل أمتي مثل المطر** » .

٤) واحتج بحديث عمر رفعه « **أفضل الخلق إيماناً قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني** » الحديث أخرجه الطيالسي وغيره لكن إسناده ضعيف فلا حجة فيه .

٥) روى أحمد والدارمي والطبراني من حديث أبي جمعة قال : قال أبو عبيدة يا رسول الله أحد خير منا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك قال : « **قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني** » وإسناده حسن وقد صححه الحاكم[2] .

٦) احتج بأن السبب في كون القرن الأول خير القرون أنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار حينئذ وصبرهم على أذاهم وتمسكهم بدينهم قال فكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن كانوا أيضاً عند ذلك غرباء ، وزكت أعمالهم في ذلك الزمان كما زكت أعمال أولئك ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء** »[3] . وقد تعقب كلام ابن عبد البر بأن

---

(١) سنن أبي داود ٤٣٧/٢ ، سنن الترمذي ٣٢٣/٤ .

(٢) المسند ١٠٦/٤ ، سنن الدارمي ٣٠٨/٢ .

(٣) صحيح مسلم ١٣٠/١ .

مقتضى كلامه أن يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة وبذلك صرح القرطبي لكن كلام ابن عبد البر ليس على الإطلاق في حق جميع الصحابة ، فإنه صرح في كلامه باستثناء أهل بدر والحديبية . نعم والذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ وأمّا من اتفق له الذب عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة وضبط الشرع المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده فظهر فضلهم ، ومحصل النزاع يتمحض فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة ، فإن جمع بين مختلف الأحاديث المذكورة كان متجهاً على أن حديث « **للعامل منهم أجر خمسين منكم** » لا يدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة لأن مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة ، وأيضاً : فالأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك العمل فأمّا ما فاز به من شاهد النبي ﷺ من زيادة فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها أحد فبهذه الطريق يمكن تأويل الأحاديث ، وأمّا حديث أبي جمعة فلم تتفق الرواة على لفظه ، فقد رواه بعضهم بلفظ الخيرية كما تقدم ورواه بعضهم بلفظ قلنا يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجراً ؟ الحديث أخرجه الطبراني وإسناد هذه الرواية أقوى من إسناد الرواية المتقدمة وهي توافق حديث أبي ثعلبة وقد تقدم الجواب عنه والله أعلم »[1] .

والراجح من القولين ما ذهب إليه جمهور العلماء من أن أفضلية الصحابة إنما هو باعتبار الأفراد وليس بالنسبة إلى المجموع إذ الصحبة لا يعدلها شيء ولمشاهدتهم النبي ﷺ وذبهم عنه ونصرة دين الإسلام وحرصهم على ضبط الوحي الذي تلقوه عن النبي ﷺ وتبليغهم إياه إلى من بعدهم ولأن ما هنا خصلة من أعمال الخير إلا سبقوا إليها ويكون لهم أجرها وأجر من عمل بها بعدهم إلى

---

(١) فتح الباري ٧/٦ - ٧ .

يوم القيامة وبهذا برز فضلهم على من بعدهم ومن قبلهم من الأمم سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

٧) ومما جاء في الثناء عليهم من السنة ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ « **لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه** »[١] .

وعند الإمام مسلم بلفظ كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمٰن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ « **لا تسبوا أحداً من أصحابي ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه** »[٢] .

« فإذا كان سيف الله خالد بن الوليد وغيره ممن أسلم بعد الحديبية لا يساوي العمل الكثير منهم القليل من عبد الرحمٰن بن عوف وغيره ممن تقدم إسلامه مع أن الكل تشرف بصحبته ﷺ فكيف بمن لم يحصل له شرف الصحبة بالنسبة إلى أولئك الأخيار ، إن البون لشاسع وإن الشقة لبعيدة فما أبعد الثرى من الثريا بل وما أبعد الأرض السابعة عن السماء السابعة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »[٣] .

قال أبو محمد بن حزم في شرحه لهذا الحديث : « فكان نصف مد شعير أو تمر في ذلك الوقت أفضل من جبل أحد ذهباً ننفقه نحن في سبيل الله تعالى بعد ذلك قال الله – تعالى – ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾[٤] وهذا في الصحابة فيما بينهم فكيف بمن بعدهم معهم رضي الله عنهم

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٢ .

(٢) صحيح مسلم ٤/١٩٦٧ .

(٣) قبس من هدي الإسلام لشيخنا « عبد المحسن العباد » ص ٩٢ .

(٤) سورة الحديد آية / ١٠ .

أجمعين » اهـ[١].

وقال حمد بن محمد أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى : « والمعنى أن جهد المقل منهم واليسير من النفقة الذي أنفقوه في سبيل الله مع شدة العيش والضيق الذي كانوا فيه أوفى عند الله وأزكى من الكثير الذي ينفقه من بعدهم » اهـ[٢].

وقال القاضي عياض : « .... وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال بخلاف غيرهم ولأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ وحمايته وذلك معدوم بعده وكذا جهادهم وسائر طاعتهم وقد قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء ، والفضائل لا تؤخذ بقياس ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » اهـ[٣].

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن البيضاوي في شرح الحديث المتقدم أنه قال : « معنى الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهباً من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية » قال الحافظ « وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية عظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه ، وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال كما وقع في الآية ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾ فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذي ذكرته وذلك أن الإنفاق والقتال

(١) ابن حزم الأندلسي ورسالته « في المفاضلة بين الصحابة » ص ١٧٧ لسعيد الأفغاني .

(٢) معالم السنن ٣٠٨/٤ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٩٣/١٦ .

كان قبل فتح مكة عظيماً لشدة الحاجة إليه وقلة المعتنى به بخلاف ما وقع بعد ذلك لأن المسلمين كثروا بعد الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً فإنه لا يقع ذلك الموقع المتقدم » اهـ[1] .

فالذي يستفاد من كلام هؤلاء الأئمة الذين قدمنا نقولهم أن الصحابة لا يدركهم أحد في فضلهم وعملهم ورضي الله عنهم أجمعين بل إن القليل من عملهم لا يوازيه عمل غيرهم مهما بلغ من الكثرة ومهما صاحبه من إخلاص وصدق ويقين وإيمان وذلك فضله تعالى يؤتيه من يشاء . روى ابن بطة بالإسناد الصحيح كما في منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة مع النبي ﷺ خير من عمل أحدكم أربعين سنة « وفي رواية وكيع خير من عبادة أحدكم عمره »[2] .

وروى أبو داود بإسناده إلى سعيد بن زيد رضي الله عنه أنه قال بعد أن ذكر العشرة المبشرين بالجنة « لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم عمره ولو عمر عمر نوح »[3] فسعيد بن زيد رضي الله عنه يريد بهذا عموم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

٨) ومن الأحاديث الدالة على فضلهم وعلو منزلتهم أن النبي ﷺ بشر من رآه وآمن به واتبعه وصدقه أن له طوبى والصحابة رضي الله عنهم حازوا قصب السبق في هذا على كل أحد أتى بعدهم فقد روى البزار والطبراني من حديث أبي عبد الرحمٰن الجهني قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ جلوس إذ طلع راكبان فقال رسول الله ﷺ كنديان[4] مذحجيان[5] حتى أتياه فإذا رجلان من مذحج

---

(١) فتح الباري ٣٤/٧ ، وانظر عون المعبود شرح سنن أبي داود ٤١٣/١٢ .

(٢) منهاج السنة ١٥٤/١ .

(٣) سنن أبي داود ٥١٦/٢ .

(٤) كندة : بالكسر مخلاف كندة باليمن اسم لقبيلة « معجم البلدان » ٤٨٢/٤ .

(٥) مذحج : قبيلة من قبائل العرب وهم : ولد أدد بن زيد بن يشجب مرة انظر معجم البلدان ٨٨/٥ .

قال : فدنا أحدهما ليبايعه فلما أخذ بيده قال يا رسول الله أرأيت من رآك وآمن بك واتبعك وصدقك ماذا له قال : « **طوبى له** » ، قال فمسح على يده وانصرف ، ثم أتاه الآخر حتى أخذ بيده ليبايعه فقال : يا رسول الله أرأيت من آمن بك واتبعك وصدقك ماذا له ، قال : « **طوبى له ثم طوبى له** »(١).

وقد أخبر تعالى أن طوبى من نصيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾(٢) وقد اختلف علماء السلف في المراد « بطوبى » فقد أخرج ابن جرير الطبري بإسناده إلى ابن عباس أنها : شجرة في الجنة كل شجر الجنة منها ، أغصانها من وراء سور الجنة »(٣) .

قال ابن كثير : « وهكذا روى عن أبي هريرة وابن عباس ومغيث ابن سمي وأبي إسحاق السبيعي وغير واحد من السلف أن طوبى شجرة في الجنة في كل دار غصن منها »(٤) .

وقيل : إن « طوبى » اسم من أسماء الجنة : وعلى هذا يكون المعنى الجنة لهم »(٥) .

والمراد بها والله أعلم في هذا الحديث المتقدم أنها « الجنة » .

٩) دعا عليه الصلاة والسلام لسامعي سنته ومبلغيها بالنضرة والرحمة ، والصحابة رضي الله عنهم يدخلون في هذه الدعوة المباركة الميمونة دخولا أولياً لأنهم هم الذين سمعوا سنته مباشرة ودون واسطة ووعوها وأدوها إلى من بعدهم وهذه خصيصة لهم رضي الله عنهم تميزوا بها دون غيرهم ، فرضوان الله عليهم

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٨ وقال : إسناده حسن وذكره الحافظ في الإصابة ٤/١٢٧ .
(٢) سورة الرعد آية / ٢٩ .
(٣) جامع البيان ١٣/١٤٧ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/٨٩ .
(٥) انظر جامع البيان ١٣/١٤٦ ، وتفسير ابن كثير ٤/٨٩ .

أجمعين ، وتلك الدعوة التي كان لهم فيها الحظ الأوفر والنصيب الأكبر هي قوله ﷺ : « **نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه** »[1] . وفي لفظ آخر « **رحم الله من سمع مني حديثاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع** »[2] .

قال الخطابي رحمه الله تعالى : « معناه الدعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة » اهـ[3] .

وقال ابن الأثير في كتابه « النهاية في غريب الحديث »: « ...ويروى بالتخفيف والتشديد من النضارة وهي في الأصل حسن الوجه ، والبريق وإنما أراد حسن خلقه وقدره » اهـ[4] .

وقال الحافظ المنذري في كتابه « الترغيب والترهيب » : ومعناه الدعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة والحسن فيكون تقديره : جمله الله وزينه وقيل غير ذلك »[5] .

وقال أبو بكر بن العربي : « والنضرة هي النعمة والبهاء يكون على الوجه » .اهـ[6] .

---

(١) سنن أبي داود ٢٨٩/٢ من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في « الإحسان بترتيب ابن حبان » ٢٢٦/١ من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ، وانظر سنن ابن ماجة ١٣١٦/٢ ، والمسند ٤٣٧/١ ، سنن الدارمي ٧٥/١ وهذا الحديث قد أفرده شيخنا « عبد المحسن بن حمد العباد » بدراسة مستقلة اشتملت على بيان طرقه ، وألفاظه ودراسة الحديث من حيث الدراية وبين أن هذا الحديث متواتر عن النبي ﷺ ، رواه عنه أربعة وعشرون صحابياً ، خرجه سبعة وثلاثون إماماً خرج في أكثر من خمسة وأربعين كتاباً ، وبلغت طرقه سبعة وخمسين طريقاً ، ومائة طريق « انظر كتاب « دراسة حديث « نضر الله امرءاً سمع مقالتي » رواية ودراية « للشيخ عبد المحسن العباد » ص ٢٢٧ .

(٣) معالم السنن ١٨٧/٤ وانظر جامع الأصول لابن الأثير ١١٨/٩ .

(٤) النهاية ٧١/٥ .

(٥) الترغيب والترهيب ١٠٨/١ .

(٦) عارضة الأحوذي بشرح الترمذي ١٢٤/١٠ .

وقال الملا عليّ القاري في كتابه « المرقاة » : « والمعنى خصه الله بالبهجة والسرور لما رزق بعلمه ومعرفته عن القدر والمنزلة بين الناس في الدنيا ونعمه في الآخرة حتى يرى عليه رونق الرخاء والنعمة ثم قيل إنه إخبار يعني جعله ذا نضرة وقيل : دعاء له بالنضرة وهي البهجة والبهاء في الوجه من أثر النعمة وقيل : المراد ههنا النضرة من حيث الجاه والقدر كما جاء اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه أي : ذوي الأقدار من الناس ثم قال القاري : لا مانع من الجميع والإخبار أولى من الدعاء ... » اهـ[1] .

« وما ذكره القاري من اعتبار سائر المعاني التي فسر بها لفظ النضارة وعدم تخصيصه بواحد منها حسن وجيه ويكون المراد بالنضارة بالحديث جمله الله وزينه بما يظهر على وجهه من البهاء والحسن وأوصله الله إلى نضرة الجنة ونعيمها وكذا النضرة من حيث الجاه والقدر ويكون اختلاف الأقوال في ذلك وتفسير الحديث ببعض هذه المعاني من قبيل اختلاف التضاد فإن من فسره بواحد منها لا ينفي كون غيره مراداً وإنما هو من قبيل تفسير الشيء بما يوضحه كالتفسير بالمثال » اهـ[2] .

وتلك الدعوة التي قدمنا شرحها بما يوضح المراد منها بأقوال أهل العلم كان لأصحاب رسول الله ﷺ منها القسط الأكبر والحظ الأوفر لأنهم هم الذين تلقوا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهما المصدران اللذان اشتملا على الهدى والنور ، والصحابة رضي الله عنهم هم الذين تلقوا هذا الخير وهذا النور وهذا الهدى وأدوه إلى من بعدهم فكل إنسان يأتي بعدهم فلهم عليه منة ، ولهم عليه فضل لأن هذا الهدى وهذا الخير الذي حصل لم يحصل إلا بواسطتهم رضي الله عنهم فكل من استفاد منه فلهم مثل أجره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إذ أنه

---

(١) المرقاة شرح المشكاة ٢٣٦/١ .

(٢) انظر كتاب « دراسة حديث نضر الله امرءاً سمع مقالتي رواية ودراية » ص ١٨٤ - ١٨٥ .

قد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً** »[1] وقبلهم رضي الله عنهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الذي جاء بهذا الخير وهذا الهدى فكل من اهتدى ، وكل من استفاد وكل من دخل في دين الله وعمل صالحاً فإن الله يثيب نبيه ﷺ بمثل ما يثيب به ذلك العامل من غير أن ينقص من أجر العامل شيء لأنه عليه الصلاة والسلام هو الذي دعا الناس إلى هذا الهدى فله مثل أجور كل من استفاد خيراً بسببه ، والصحابة رضي الله عنهم هم الصلة الوثيقة التي تربط المسلمين بنبيهم ﷺ فهم الذين جمعوا القرآن وهم الذين حفظوه وهم الذين أوصلوه إلى من بعدهم وهم الذين تلقوا السنة وأدوها إلى من بعدهم فصار لهم الثواب الجزيل والأجر العظيم ، ولقد شرفهم الله في الحياة الدنيا بالنظر إلى طلعة سيد الأولين والآخرين كما شرفهم بسماعهم كلامه من فمه الشريف ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين فالذي يطعن في أولئك الأخيار ، وأولئك الأسلاف فقد عمد إلى قطع الصلة بينه وبين رسول الله ﷺ ، وكفى بذلك ضلالاً وخذلاناً والعياذ بالله تعالى .

والحاصل أن الأحاديث الواردة في فضلهم كثيرة وشهيرة بل متواترة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن ذكر بعض الأحاديث المتقدم ذكرها : « وهذه الأحاديث مستفيضة بل متواترة في فضائل الصحابة والثناء عليهم وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون والقدح فيهم قدح في القرآن والسنة » اهـ[2] . وهو كما قال رحمه الله تعالى بل إن القادح في الكتاب والسنة لاحظ له في الإسلام وهذا حال الرافضة فإنهم طعنوا في الكتاب والسنة عن طريق القدح في الصحابة رضي الله عنهم إذ هم نقلة هذا الدين إلى من بعدهم

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ٢٠٦٠/٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) مجموع الفتاوى ٤٣٠/٤ .

والطعن في الصحابة أيضاً : طعن في الرسول ﷺ « كما قال الإمام مالك وغيره من أئمة العلم : هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل : رجل سوء كان له أصحاب سوء ، ولو كان رجلا صالحاً لكان أصحابه صالحين »[1] . والذي يعتقد هذا هو من أبخس الناس حظاً في الدنيا والآخرة ، وقد تبنى هذا المعتقد الفاسد الشيعة والخوارج « فإن الشيعة يفضلون أنفسهم وهم شر خلق الله تعالى على أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وجميع الصحابة رضي الله عنهم حاشاً علياً والحسن والحسين وعمار بن ياسر ، والخوارج يفضلون أنفسهم - وهم شر خلق الله وكلاب النار - على عثمان - وعلي وطلحة والزبير - ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسوله »[2] عليه الصلاة والسلام في أن الصحابة رضي الله عنهم هم صفوة الأمة المحمدية وسادتها على الإطلاق ، ولنأت الآن ما جاء من ذكر بعض الثناء عليهم رضي الله عنهم في كلام السلف .

* * *

(١) مجموع الفتاوى ٤٢٩/٤ .

(٢) انظر « ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة » ص ١٧٨ .

★ المبحث الثالث ★

الثناء عليهم في أقوال السلف

لقد كثر الثناء في كلام السلف على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بما امتازوا به من الصفات الطيبة ، والسيرة الحسنة ، والأخلاق المشرقة ، والأعمال الصالحة ، التي جعلتهم أهلا لأن يكونوا أصحاباً ووزراء لخير البرية محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، والثناء الوارد عن السلف منه ما يتعلق بهم على وجه العموم ومنه ما يكون باعتبار الأفراد والذي نريد ذكره في هذا المبحث من هذا الثناء هو ما يتعلق بهم على وجه العموم كما لا أقتصر هنا على الثناء الوارد على الصحابة ممن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم وغيرهم من أئمة الدين ، بل أذكر حتى الثناء الوارد منهم بعضهم على بعض إن وجد وكان على سبيل العموم ومن ذلك ما يلي :

١ - قال حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « إن الله - جل ثناؤه وتقدست أسماؤه - خص نبيه محمداً ﷺ بصحابة آثروه على الأنفس والأموال ، وبذلوا النفوس دونه في كل حال ، ووصفهم الله في كتابه فقال :﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[1] قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه

---

(١) سورة « الفتح » آية / ٢٩ .

وظهرت آلاء الله ، واستقر دينه ووضحت أعلامه ، وأذل بهم الشرك ، وأزال رؤوسه ومحا دعائمه ، وصارت كلمة الله العلياء ، وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية ، والأرواح الطاهرة العالية فقد كانوا في الحياة لله أولياء ، وكانوا بعد الموت أحياء ، وكانوا لعباد الله نصحاء، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها» اهـ[1].

فهذه الصفات التي وصفهم بها عبد الله بن عباس كلها مناقب وثناء حسن يذكرون به في الآخرين وقد كانوا رضي الله عنهم كما وصفهم ، فقد خصهم الله وشرفهم بصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام ، وآثروه بأموالهم وأنفسهم ، وأقاموا معالم الدين الإسلامي الحنيف ، ونصحوا للأمة واجتهدوا في نشر الإسلام وتثبيت دعائمه حتى استقر في الأرض وأذل الله بهم الشرك وأهله وأزيلت رؤوسه ، ومحيت دعائمه وأعلى الله بهم كلمته ، ودحر بهم كلمة الباطل ، وبذلك كانت نفوسهم زكية وأرواحهم طاهرة فكانوا أولياءاً لله في هذه الحياة الدنيا فرضوان الله عليهم أجمعين .

٢ – روى أبو نعيم الأصبهاني : بإسناده إلى أبي أراكة قال : صلى عليّ الغداة ثم لبث في مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كأن عليه كآبة ثم قال لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يشبههم والله إن كانوا ليصبحون شعثاً غبراً صفراً بين أعينهم مثل ركب المعزي قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح ، فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين .

وقال أيضاً رضي الله عنه : « أولئك مصابيح الهدى يكشف الله بهم كل فتنة مظلمة سيدخلهم الله في رحمة منه ، ليس أولئك بالمذاييع[2] البذر ولا الجفاة

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ٧٥/٣ .

(٢) هو جمع مذياع من أذاع الشيء إذا أفشاه وقيل أراد الذين يشيعون الفواحش « النهاية » ١٧٤/٢ .

المرائين »[1] . فأمير المؤمنين علي رضي الله عنه مدحهم بهذه الصفات الطيبة التي كانت شعارهم فقد بين أنهم كانوا مجتهدين في عبادة ربهم كانوا يكثرون من النوافل في جوف الليل لأن اصفرار الوجوه وظهور السيماء فيها كان نتيجة إكثارهم من السهر والسجود لله – جل وعلا – ووصفهم بأنهم كانوا يبيتون تالين لكتاب الله ، وكانوا إذا تليت عليهم آيات الله بكوا وكانوا أعلام هدى ، ولقوة بصيرتهم ومعرفتهم أحكام الله ، وما أوجب عليهم من العبادات والطاعات كشف الله عنهم الفتن المضلة ، فكانوا من أهل رحمته التي لا يفوز بها إلا أهل الإخلاص ، وقد كانوا رضي الله عنهم في مقدمة أولياء الله المؤمنين وعباده المتقين فرضي الله عنهم أجمعين .

٣ – وروى أبو نعيم الأصبهاني : بإسناده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « من كان مستناً فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة أبرها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد ﷺ وكانوا على الهدي المستقيم »[2] .

٤ – وروى الإمام أحمد في المسند بإسناده إلى عبد الله بن مسعود أنه قال : « إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيىء »[3] .

وروى ابن بطة – كما في منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية – بإسناده إلى

(١) حلية الأولياء ٧٦/١ – ٧٧ ، وابن كثير في البداية والنهاية ٧/٨ .
(٢) حلية الأولياء ٣٠٥/١ – ٣٠٦ ، وذكره البغوي عن ابن مسعود ٢١٤/١ .
(٣) المسند ٣٧٩/١ ، شرح السنة للبغوي ٢١٤/١ – ٢١٥ .

عبد الله بن مسعود أنه قال : « من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد كانوا والله أفضل هذه الأمة ، وأبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم »[(١)] .

« فقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً كلام جامع بين فيه حسن قصدهم ونياتهم ببر القلوب وبين فيه كمال المعرفة ودقتها بعمق العلم وبين فيه تيسير ذلك عليهم وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف » اهـ[(٢)] .

« فأحق الأمة بإصابة الصواب أبرها قلوباً وأعمقها علوماً وأقومها هدياً وأحسنها حالا ، من غير شك ولا ارتياب فكل خير وإصابة وحكمة ، وعلم ومعارف ومكارم ، إنما عرفت لدينا ووصلت إلينا من الرعيل الأول والسرب الذي عليه المعول ، فهم الذين نقلوا العلوم والمعارف عن ينبوع الهدى ومنبع الاهتداء »[(٣)] فرضي الله عنهم أجمعين .

٥ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى الحسن أن عائذ بن عمرو وكان من أصحاب رسول الله ﷺ دخل على عبيد الله بن زياد فقال : أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن شر الرعاء الحطمة** » فإياك أن تكون منهم فقال له اجلس فإنما أنت من نخالة[(٤)] أصحاب محمد ﷺ فقال : وهل كانت لهم نخالة إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم »[(٥)] .

---

(١) منهاج السنة ١/١٦٦ .
(٢) منهاج السنة ١/١٦٦ .
(٣) انظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/٣٨٠ .
(٤) النخالة هي نخالة الدقيق والمراد: قشوره، والنخالة والحفالة والحثالة بمعنى واحد ، «شرح النووي» ١٢/٢١٦.
(٥) صحيح مسلم ٣/١٤٦١ .

فقول عائذ بن عمرو رضي الله عنه : « وهل كانت لهم نخالة إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم » « هذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم ، فإن الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم ، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم وفيمن بعدهم كانت النخالة »[1] .

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا في غاية التحلي بالصفات الطيبة التي زكت بها نفوسهم وطهرت بها قلوبهم ، وعلت بها مكانتهم فكانوا صفوة الأمة وأعلاها وأكملها فطرة وأصفاها أذهاناً وبذلك كان مجتمعهم مجتمع الطهر والنقاء والصفاء رضوان الله عليهم أجمعين .

وقد أثنى عليهم التابعون بذكر محاسنهم ، وما قدموه من الأعمال الصالحة التي ينبغي لمن جاء بعدهم الاقتداء بهم فيها ومن ذلك ما يلي :

٦ – قال السيوطي وأخرج أبو الشيخ وابن عساكر عن أبي صخر حميد ابن زياد قال : قلت لمحمد بن كعب القرظي : أخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما أريد الفتن ؟ فقال إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت له : وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه ؟ قال ألا تقرأ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2] أوجب لجميع أصحاب النبي ﷺ الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطاً لم يشترطه فيهم قلت : وما اشترط عليهم ؟ قال : اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان يقول : يقتدون بهم في أعمالهم الحسنة ، ولا يقتدون بهم في غير ذلك قال أبو صخر : لكأني لم

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢١٦/١٢ .

(٢) سورة التوبة آية / ١٠٠ .

أقرأها قبل ذلك وما عرفت تفسيرها حتى قرأها علي محمد بن كعب »[1] .

٧ – ما رواه أبو نعيم بإسناده إلى الحسن البصري ... أن بعض القوم قال له : أخبرنا صفة أصحاب رسول الله ﷺ قال : فبكى وقال : ظهرت منهم علامات الخير في السيماء والسمت والهدي والصدق وخشونة ملابسهم بالاقتصاد ، وممشاهم بالتواضع ، ومنطقهم بالعمل ، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق ، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى ، واستفادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا ، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم ظمئت هواجرهم ونحلت أجسامهم واستخفوا بسخط المخلوقين في رضى الخالق ، لم يفرطوا في غضب ، ولم يحيفوا ولم يجاوزوا حكم الله – تعالى – في القرآن شغلوا الألسن بالذكر ، بذلوا دماءهم حين استنصرهم ، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم ولم يمنعهم خوفهم من المخلوقين ، حسنت أخلاقهم ، وهانت مؤنتهم ، وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم »[2] .

٨ – روى الإمام أحمد بإسناده إلى قتادة بن دعامة السدوسي أنه قال : « أحق من صدقتم أصحاب رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه »[3] .

٩ – وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى « قال حماد بن سلمة عن أيوب السختياني[4] ، أنه قال : من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب علياً

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢٧٢/٤ .

(٢) حلية الأولياء ١٥٠/٢ .

(٣) المسند ١٣٤/٣ .

(٤) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري ، أبو بكر سيد فقهاء عصره تابعي من حفاظ الحديث كان ثبتاً ثقة ولد سنة ست وستين ، وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة هجرية ، انظر ترجمته في « تهذيب التهذيب » ٢٩٧/١ ، حلية الأولياء ٣/٣ ، اللباب ١٠٨/٢ ، الأعلام ٣٨٢/١ .

فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله ﷺ فقد بريء من النفاق »[1] .

١٠ - وروى أبو عمر بن عبد البر بإسناده : إلى بقية بن الوليد قال : قال لي الأوزاعي[2] يا بقية : العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ وما لم يجييء عن أصحاب محمد ﷺ فليس بعلم ، يا بقية لا تذكر أحداً من أصحاب محمد نبيك ﷺ إلا بخير ولا أحداً من أمتك ، وإذا سمعت أحداً يقع في غيره فاعلم أنه إنما يقول أنا خير منه »[3] .

١١ - وروى بإسناده إلى قتادة رحمه الله تعالى أنه قال في قوله تعالى ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ قال : أصحاب محمد ﷺ[4] .

١٢ - وروى أيضاً : بإسناده إلى سعيد بن المسيب أنه سئل عن شيء فقال : اختلف فيه أصحاب رسول الله ولا أرى لي معهم قولا « قال ابن وضاح[5] : هذا هو الحق : قال أبو عمر : معناه ليس له أن يأتي بقول يخالفهم »[6] .

تلك هي أقوال بعض التابعين في الصحابة عموماً وكما هي واضحة فإنها

---

(١) البداية والنهاية ١٣/٨ .

(٢) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من قبيلة الأوزاع كان إماماً في الفقه والزهد ثقة ، جليل ، ولد سنة ثمان وثمانين وتوفي سنة سبع وخمسين ومائة هجرية ، انظر ترجمته في « تهذيب التهذيب » ٦٣٨/٦ ، وفيات الأعيان ١٢٧/٣ - ١٢٨ ، حلية الأولياء ١٣٥/٦ . سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧ - ١٣٤ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ٣٦/٢ .

(٤) جامع بيان العلم ٣٦/٢ والآية رقم (٦) من سورة سبأ .

(٥) هو : محمد بن وضاح بن يزيع ، أبو عبد الله مولى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام محدث من أهل قرطبة ، ولد سنة تسع وتسعين ومائة وتوفي سنة ست وثمانين ومائتين هجرية انظر ترجمته في « بغية الملتمس » ص ١٢٣ ، لسان الميزان ٤١٦/٥ والأعلام ٣٥٨/٧ .

(٦) جامع بيان العلم وفضله ٣٦/٢ .

تضمنت الثناء عليهم رضي الله عنهم بما قدموه من الأعمال الصالحة وبما لهم من شرف الصحبة ، وبما بذلوه للإسلام من النصرة والجهاد في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه الحق فقد بذلوا أنفسهم حين استنصرهم ، وضحوا بأموالهم حين استقرضهم ، ولم يخافوا في الله لومة لائم ، وآثروا آخرتهم على دنياهم ، فالتابعون رحمهم الله أثنوا على صحابة رسول الله ﷺ بما يستحقون ، فلم يذكروهم إلا بخير ، وشهدوا لهم بالعلم وبينوا أن ما لم يأت عن طريقهم فليس بعلم ، ولم يعدلوا بهم أحداً ، وآمنوا بما لهم من الفضائل وسلموا بها لهم واعتقدوا ذلك اعتقاداً جازماً فرحمة الله عليهم ورضي عن صحابة رسول الله أجمعين .

وكما جاء الثناء على الصحابة عموماً من التابعين كذلك أثنى عليهم غيرهم من أئمة المذاهب الأربعة وغيره ممن جاء بعدهم من أئمة العلم ومن ذلك ما يلي :

١٣ - نقل الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي : مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وصاحبيه أبي يوسف يعقوب ابن إبراهيم الحميري الأنصاري ، ومحمد بن الحسن الشيباني ما كانوا يعتقدونه من أصول الدين ، ويدينون به لرب العالمين ومن ضمن ذلك ما كانوا يعتقدونه في الصحابة عموماً فقال « في عقيدته المشهورة » :ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان »[١] .

قال شارح الطحاوية : « فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين ؟ بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة ، قيل لليهود : من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب موسى وقيل

(١) العقيدة الطحاوية مع شرحها ص ٥٢٨ .

للنصارى : من خير أهل ملتكم قالوا : أصحاب عيسى ، وقيل للرافضة : من شر أهل ملتكم قالوا : أصحاب محمد . لم يستثنوا منهم إلا القليل ، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة »[1] .

١٤ – وقال الإمام مالك بن أنس رحمة الله عليه : « من يبغض أحداً من أصحاب النبي ﷺ وكان في قلبه عليهم غل ، فليس له حق في فيء المسلمين ثم قرأ قول الله – سبحانه – وتعالى ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ﴾ إلى قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ الآية[2] .

وذكر بين يديه رجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ إلى قوله ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[3] ، ثم قال : من أصبح من الناس في قلبه غل على أحد من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فقد أصابته الآية » اهـ[4] .

١٥ – وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمة الله عليه : « وقد أثنى الله – تبارك وتعالى – على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل ، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ عاماً وخاصاً وعزماً وإرشاداً ، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل ، وأمر استدرك به علم واستنبط به ، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا ، ومن أدركنا ممن يرضى أو حكي لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا ، أو قول بعضهم إن تفرقوا ، وهكذا نقول

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣١ – ٥٣٢ .
(٢) سورة الحشر آية ٧ – ١٠ .
(٣) سورة الفتح آية / ٢٩ .
(٤) شرح السنة للبغوي ٢٢٩/١ .

ولم نخرج من أقاويلهم ، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله » اهـ[١] .

١٦ – وقال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته : « ومن السنة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين والكف عن ذكر ما شجر بينهم ، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو أحداً منهم أو تنقصه أو طعن عليهم ، أو عرّض بعيبهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة ، والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة وخير هذه الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر ، وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون ، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا ينقص فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه ، فإن تاب قبل منه وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يراجع » اهـ[٢] .

١٧ – وروى أبو عمر بن عبد البر بإسناده إلى إبراهيم بن سعيد الجوهري قال : سألت أبا أسامة[٣] أيما كان أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : لا نعدل بأصحاب محمد ﷺ أحداً »[٤] .

١٨ – وقال ابن أبي حاتم[٥] رحمه الله تعالى : « فأمّا أصحاب رسول الله ﷺ

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٤٤٢/١ – ٤٤٣ ، أعلام الموقعين ٨٠/١ .

(٢) طبقات الحنابلة ٣٠/١ ، كتاب السنة للإمام أحمد ص ١٧ .

(٣) هو أبو أسامة : حماد بن أسامة بن زيد القرشي مولاهم أبو أسامة الكوفي ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٢/٣ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ٢٢٧/٢ .

(٥) هو عبد الرحمٰن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي أبو محمد كان =

فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل وعرفوا التفسير والتأويل وهم الذين اختارهم الله – عز وجل – لصحبة نبيه ﷺ ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه فرضيهم له صحابة وجعلهم لنا أعلاماً وقدوة فحفظوا عنه ﷺ ما بلغهم عن الله – عز وجل – وما سن وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدب ووعوه وأتقنوه ففقهوا في الدين وعلموا أمر الله ونهيه ومراده بمعاينة رسول الله ﷺ ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله وتلقفهم منه واستنباطهم عنه ، فشرفهم الله – عز وجل – بما منّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز وسماهم عدول الأمة فقال – عز وجل – في محكم كتابه :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1] ففسر النبي ﷺ عن الله – عز ذكره – قوله ﴿وَسَطًا﴾ قال: « عدلاً » فكانوا عدول الأمة وأئمة الهدى وحجج الدين ونقلة الكتاب والسنة ، وندب الله – عز وجل – إلى التمسك بهديهم والجري على منهاجهم والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم ، فقال ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾[2] ووجدنا النبي ﷺ قد حض على التبليغ في أخبار كثيرة ووجدناه يخاطب أصحابه فيها منها أن دعا لهم فقال : « **نضر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها حتى يبلغها غيره** »[3] وقال ﷺ في خطبته : « **فليبلغ الشاهد منكم الغائب** »[4]. وقال ﷺ : « **بلغوا عني ولو آية وحدثوا عني ولا حرج** »[5]،

= رحمه الله من أئمة التفسير والحديث ، ولد سنة أربعين ومائتين وتوفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، انظر ترجمته في « تذكرة الحفاظ » ٨٢٩/٣ ، وطبقات الحنابلة ٥٥/٢ ، سير أعلام النبلاء ٢٦٣/١٣ – ٢٦٩ .

(١) سورة البقرة آية / ١٤٣ .

(٢) سورة النساء آية / ١١٥ .

(٣) سنن أبي داود ٢٨٩/٢ ، سنن ابن ماجه ١٣١٦/٢ ، سنن الدارمي ٧٤/١ ، مسند أحمد ٤٣٧/١ .

(٤) عند البخاري بلفظ : « **ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب** » وعند مسلم بدون لفظة « **منكم** » صحيح البخاري مع الفتح ١٩٩/١ ، صحيح مسلم ١٣٠٦/٣ .

(٥) عند البخاري بلفظ : « **بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج** » الحديث من رواية =

ثم تفرقت الصحابة رضي الله عنهم في النواحي والأمصار والثغور وفي فتوح البلدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكام فبث كل واحد منهم في ناحيته وبالبلد الذي هو به ما وعاه وحفظه عن رسول الله ﷺ وحكموا بحكم الله - عز وجل - وأمضوا الأمور على ما سن رسول الله ﷺ وأفتوا فيما سئلوا عنه مما حضرهم من جواب رسول الله ﷺ عن نظائرها من المسائل وجردوا أنفسهم مع تقدمة حسن النية والقربة إلى الله تقدس اسمه لتعليم الناس الفرائض والأحكام والسنن والحلال والحرام حتى قبضهم الله - عز وجل - رضوان الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين » اهـ[1] .

١٩ - وقال ابن أبي زيد[2] القيرواني المالكي في مقدمة رسالته المشهورة : « وأن خير القرون الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليٌّ رضي الله عنهم أجمعين وأن لا يذكر أحد من صحابة رسول الله ﷺ إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم حسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب » اهـ[3] .

٢٠ - وقال أبو عثمان[4] الصابوني : « ويرون - أي أهل السنة - الكف

= عبد الله بن عمر رضي الله عنه . صحيح البخاري مع الفتح ٤٩٦/٦ .

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٧/١ - ٨ .

(٢) هو عبد الله بن عبد الرحمٰن أبي زيد النفزي القيرواني أبو محمد فقيه من أعيان القيروان كان إمام المالكية في عصره قال الذهبي : كان على أصول السلف في الأصول لا يدري الكلام ولا يتأول ، ولد سنة عشر وثلاثمائة وتوفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، انظر ترجمته في « سير أعلام النبلاء » ١٠/١٧ ، الديباج المذهب ٤٢٧/١ - ٤٣٠ ، شجرة النور الزكية ٩٦/١ .

(٣) الرسالة مع شرحها الثمر الداني في تقريب المعاني ص ٢٢ - ٢٣ .

(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن أحمد بن إسماعيل ، أبو عثمان الصابوني : مقدم أهل الحديث في بلاد خراسان ، لقبه أهل السنة فيها « شيخ الإسلام » كان رحمه الله فصيح اللهجة واسع العلم عارفاً بالحديث والتفسير ، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وتوفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، انظر ترجمته في « الكامل لابن الأثير ٦٣٨/٩ ، تهذيب تاريخ دمشق ٢٧/٣ - ٣٣ ، البداية والنهاية ٨٣/١٢ .

عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم » اهـ[١] .

٢١ - ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : عن أبي المظفر[٢] السمعاني أنه قال في كتابه « الاصطلام » : « التعرض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله بل هو بدعة وضلالة » اهـ[٣] .

٢٢ - وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[٤] وطاعة للنبي ﷺ في قوله : « **لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه** » ... ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كاذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه ، والصحيح منه هم فيه معذورون إمَّا مجتهدون مصيبون وإمَّا مجتهدون مخطئون وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما لا

---

(١) « عقيدة السلف وأصحاب الحديث » - الرسالة السادسة - ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/١٢٩ .

(٢) اسمه منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي من علماء التفسير والحديث ، ولد سنة ست وعشرين وأربعمائة وتوفي سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، ترجمته في « سير أعلام النبلاء » ١٩/١١٤ ، اللباب ٢/١٣٨ - ١٣٩ ، طبقات المفسرين للداوودي ٢/٣٣٩ .

(٣) فتح الباري ٤/٣٦٥ .

(٤) سورة الحشر آية ١٠ .

يكون لمن بعدهم . وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون ، وأن المُدَّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم ، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته ، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه ، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وان أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منَّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم ، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله » اهـ[1] .

٢٣ - قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى مبيناً فضل الصحابة عموماً على غيرهم ممن جاء بعدهم وذاكراً الصفات التي أهلتهم لذلك عند كلامه على ذكر أنواع الرأي المحمود : « النوع الأول : رأى أفقه الأمة ، وأبر الأمة قلوباً ، وأعمقهم وأقلهم تكلفاً وأصحهم قصوداً وأكملهم فطرة ، وأتمهم إدراكاً ، وأصفاهم أذهاناً الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل ، وفهموا مقاصد الرسول ، فنسبة آرائهم وعلومهم وقصودهم إلى ما جاء به الرسول ﷺ كنسبتهم إلى صحبته ، والفرق بينهم وبين من بعدهم في ذلك كالفرق بينهم وبينهم في الفضل فنسبة رأي من بعدهم إلى رأيهم كنسبة قدرهم إلى قدرهم . والمقصود أن أحداً ممن بعدهم لا يساويهم في رأيهم وكيف يساويهم ؟ وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته ... وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا

---

(١) العقيدة الواسطية مع شرحها « لمحمد خليل هراس » ص ١٤٢ - ١٥١ .

خيراً من رأينا لأنفسنا ، وكيف لا وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نوراً وإيماناً وحكمة وعلماً ومعرفة وفهماً عن الله ورسوله ونصيحة للأمة وقلوبهم على قلب نبيهم ، ولا وساطة بينهم وبينه ، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضاً طرياً لم يَشِبْه إشكال ، ولم يَشِبْه خلاف ، ولم تدنسه معارضة ، فقياس رأي غيرهم بآرائهم من أفسد القياس »[(١)] .

٢٤ - قال يحيى بن أبي[(٢)] بكر العامري رحمه الله تعالى : « وينبغي لكل صين متدين مسامحة الصحابة فيما صدر بينهم من التشاجر ، والاعتذار عن مخطئهم وطلب المخارج الحسنة لهم ، وتسليم صحة إجماع ما أجمعوا عليه على ما علموه فهم أعلم بالحال والحاضر يرى ما لا يرى الغائب ، وطريقة العارفين الاعتذار عن المعائب وطريقة المنافقين تتبع المثالب ، وإذا كان اللازم من طريقة الدين ستر عورات عامة المسلمين فكيف الظن بصحابة خاتم النبيين ! مع اعتبار قوله ﷺ : « **لا تسبوا أحداً من أصحابي** »[(٣)] وقوله : « **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** »[(٤)] هذه طريقة صلحاء السلف وما سواها مهاو وتلف » اهـ[(٥)] .

٢٥ - وقال السفاريني رحمه الله تعالى : « ولا يرتاب أحد من ذوي الألباب أن الصحابة الكرام هم الذين حازوا قصبات السبق واستولوا على معالي الأمور من الفضل والمعروف والصدق ، فالسعيد من أتبع صراطهم المستقيم واقتفى

---

(١) أعلام الموقعين ٧٩/١ - ٨٢ .

(٢) هو يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي مؤرخ ، وله علم بمفردات الطب كان محدث اليمن وشيخها في عصره ولد سنة ست عشرة وثمانمائة وتوفي سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة هجرية ترجمته في « الضوء اللامع للسخاوي » ٣٢٤/١٠ ، البدر الطالع للشوكاني ٣٢٧/٢ ، كشف الظنون ٩٣٧/١ ، فهرس الفهارس للكتاني ٤٤٥/٢ - ٤٤٦ ، الأعلام ١٦٨/٩ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ١٩٦٧/٤ - ١٩٧٨ .

(٤) رواه الترمذي في سننه ٣٨٢/٣ ورواه ابن ماجه أيضاً في سننه ١٣١٥/٢ - ١٣١٦ وكلاهما من حديث أبي هريرة .

(٥) الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

منهجهم القويم ، والتعيس من عدل عن طريقهم ، ولم يتحقق بتحقيقهم فأي خطة رشد لم يستولوا عليها ، وأي خطة خير لم يسبقوا إليها تالله لقد وردوا ينبوع الحياة عذباً صافياً زلالاً ووطدوا قواعد الدين ، والمعروف فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالاً فتحوا القلوب بالقرآن والذكر والإيمان ، والقرى بالسيف والسنان ، وبذل النفوس النفيسة في مرضاة الرحيم الرحمٰن ، فلا معروف إلا ما عنهم عرف ولا برهان إلا ما بعلومهم كشف ، ولا سبيل نجاة إلا ما سلكوا ، ولا خير سعادة إلا ما حققوه وحكوه فرضوان الله تعالى عليهم أجمعين » اهـ[1] .

فهذه خمسة وعشرون نقلاً عمن قدمنا ذكرهم من أهل العلم بينوا فيها ما يجب لأصحاب رسول الله ﷺ وكلامهم هذا الذي قدمنا ذكره هو محمدة لهم ولمن تكلم به من بعدهم فأولٰئك الأسلاف دائماً كلامهم يذكر ويثنى عليهم به ويترحم عليهم بسببه لكونهم قاموا بما يجب لأصحاب رسول الله ﷺ وكلامهم الذي تقدم ذكره هو اللائق بأصحاب رسول الله ﷺ أمّا من تكلم فيهم بكلام لا ينبغي فإنه في الحقيقة لم يضرهم وإنما يضر نفسه وذلك بأنهم رضي الله عنهم وأرضاهم قدموا على ما قدموا وقد قدموا الخير الكثير من الأعمال الجليلة التي قاموا بها مع رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم ، والكلام فيهم بما لا يليق بهم فإنه لا ينقصهم بل يزيدهم رفعة في درجاتهم ، وزيادة في حسناتهم ، فإن المتكلم فيهم يكون كلامه فيهم بغير حق ، والمتكلم فيهم إذا كانت له حسنات فإنهم يأخذون من حسناته ويكون ذلك رفعة في درجاتهم وإن لم يكن له حسنات فإنه كما قيل لا يضر السحاب نبح الكلاب .

والذي أخلص إليه من تلكم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكلام السلف الذي تقدم في بيان فضل الصحابة على وجه العموم أنه يجب على كل مسلم أن ينقاد لما دل على إثبات فضلهم رضي الله عنهم ويسلم لهم بذلك ويعتقد اعتقاداً

---

(١) لوامع الأنوار البهية ٢/٣٧٩ – ٣٨٠ .

جازماً أنهم خير القرون ، وأفضل الأمة بعد النبيين[1] ومن لم يسلم لهم بذلك أو يشك فيه فليتدارك نفسه ويتب إلى الله لأن مقتضى ذلك تكذيب خبر الله وخبر رسوله ﷺ ، ومن كذب الله ورسوله لا حظ له في الإسلام .

* * *

(١) انظر كتاب « ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة » ص ١٧١ ، الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٦٤ ، وانظر لوامع الأنوار البهية ٢/٣٧٧ .

○ الفصل الثاني ○

الثناء على أصناف معينة منهم رضي الله عنهم

○ الفصل الثاني ○

الثناء على أصناف معينة منهم رضي الله عنهم

وفيه مباحث :

المبحث الأول : الثناء على السابقين الأولين .
المبحث الثاني : الثناء على أهل بدر .
المبحث الثالث : الثناء على أهل أحد .
المبحث الرابع : الثناء على أهل بيعة الرضوان .



★ المبحث الأول ★

الثناء على السابقين الأولين

السبق : هو التقدم إمَّا في الصفة أو في الزمان ، أو في المكان .

فالتقدم في الصفة : يكون لمن سبق إلى الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر واتخذ ما ينفق قربات عند الله – عز وجل – .

والتقدم في الزمن : يكون لمن تقدم في أوان قبل أوان .

والتقدم في المكان : يكون لمن تبوأ دار النصرة واتخذها بدلا عن موضع الهجرة وأفضل هذه الوجوه هو السبق في الصفات[1] .

قال الراغب[2] الأصبهاني : « أصل السبق التقدم في السير نحو ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴾[3] .... ويستعار السبق : لإحراز الفضل والتبريز وعلى ذلك ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾[4] أي : المتقدمون إلى ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة نحو قوله : ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾[5] اهـ[6] .

ومما يدل على أن السبق بالصفات هو الأفضل قوله ﷺ : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض**

---

(١) انظر « أحكام القرآن لابن العربي » ١٠٠٢/٢ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣٧/٨ .

(٢) هو الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصبهاني – المعروف بالراغب – من أهل أصبهان سكن بغداد واشتهر ، توفي سنة اثنتين وخمسمائة هجرية ، انظر ترجمته في « كشف الظنون » ٣٦/١ وله ترجمة في أول كتابه « المفردات في غريب القرآن » وانظر الأعلام ٢٧٩/٢ ، معجم المؤلفين ٥٩/٤ .

(٣) سورة النازعات آية ٤ .

(٤) سورة الواقعة آية / ١٠ .

(٥) سورة المؤمنون آية / ٦١ .

(٦) المفردات في غريب القرآن ص : ٢٢٢ .

عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً ، والنصارى بعد غد »[1] والمراد باليوم المذكور في الحديث هو يوم الجمعة فأخبر النبي ﷺ في هذا الحديث أن الأمم التي كانت قبلنا وإن سبقونا في الزمن إلا أننا سبقناهم بتحصيل الفضل العظيم من الله – عز وجل – ، والصحابة رضوان الله عليهم حسب تقدمهم في السبق إلى الإيمان والهجرة والنصرة كانوا على درجات متفاوتة في الفضل والحصول على كثرة الثواب وعظمه ، وذلك بحسب مبادرتهم إلى الدخول في دين الله – تعالى – ولقد جاء الثناء على السابقين الأولين منهم في كثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وقبل أن نذكر ما جاء من ذلك الثناء نبين المراد بالسابقين الأولين ، كما بين ذلك أهل العلم .

فقد اختلف العلماء في المراد بالسابقين الأولين على أقوال ستة ، وهذا الاختلاف مبني على بيان المراد من قوله تعالى﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾[2] وتلك الأقوال كما يلي :

* **القول الأول** : إنهم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ قاله أبو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب وابن سيرين وقتادة .

قال قتادة :﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعاً وأما الذين اتبعوا المهاجرين الأولين والأنصار بإحسان فهم الذين أسلموا لله إسلامهم وسلكوا منهاجهم في الهجرة والنصرة وأعمال الخير[3] .

* **القول الثاني** : إنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان وهي الحديبية قاله الشعبي .

---

(١) صحيح البخاري ١٥٧/١ ، صحيح مسلم ٥٨٦/٢ ، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سورة التوبة آية / ١٠٠ .

(٣) جامع البيان ٨/١١ .

* **القول الثالث** : إنهم أهل بدر قاله عطاء بن أبي رباح .

* **القول الرابع** : إنهم جميع أصحاب رسول الله ﷺ حصل لهم السبق بصحبته .

* **القول الخامس** : إنهم السابقون بالموت والشهادة سبقوا إلى ثواب الله تعالى قاله الماوردي[1] .

* **القول السادس** : إنهم الذين أسلموا قبل الهجرة[2] .

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى : « واختلفوا في أول من آمن برسول الله ﷺ بعد امرأته مع اتفاقهم على أنها أول من آمن برسول الله ﷺ .

فقال بعضهم : أول من آمن وصلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو قول جابر وبه قال مجاهد وابن إسحاق أسلم وهو ابن عشر سنين .

وقال بعضهم : أول من آمن بعد خديجة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو قول ابن عباس وإبراهيم النخعي والشعبي .

وقال بعضهم : أول من أسلم زيد بن حارثة وهو قول الزهري وعروة وابن الزبير ، وكان إسحٰق بن إبراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الأقوال فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومن النساء خديجة ، ومن الصبيان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومن العبيد زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله وكان رجلا محبباً سهلا وكان أنسب قريش وأعلمها بما كان

---

(١) هو عليّ بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي من العلماء الباحثين ، ومن أصحاب التصانيف الكثيرة ولد في البصرة سنة أربع وستين وثلاثمائة ، وتوفي سنة خمسين وأربعمائة ، انظر ترجمته في « تاريخ بغداد » ١٠٢/١٢ ، شذرات الذهب ٢٨٥/٣ – ٢٨٦ ، البداية والنهاية ٨٧/١٢ ، وانظر قوله في تفسيره ١٦٠/٢ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤٩٠/٣ – ٤٩١ .

فيها وكان تاجراً ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه فأسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمٰن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين أسلموا وصلوا فكان هؤلاء الثمانية نفر الذين سبقوا إلى الإسلام ثم تتابع الناس في الدخول في الإسلام[1] .

وأمّا السابقون الأولون من الأنصار : فهم أهل بيعة العقبة الأولى وكان عددهم ستة نفر وفي بعض الروايات أنهم ثمانية حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا[2] وأهل بيعة العقبة الثانية كانوا سبعين رجلا وامرأتين والذين أسلموا حين جاءهم من قبل رسول الله ﷺ أبو زرارة مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف وكان قد أرسله عليه الصلاة والسلام مع الاثنى عشر الذين قدموا عليه من العام المقبل بعد النفر الستة ، أو الثمانية كما في بعض الروايات ليقرئهم القرآن ويفقههم في الدين[3] .

تلك هي أقوال العلماء في المراد بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بقي أن نعرف هنا القول الراجح من تلك الأقوال الستة المتقدمة ، فالقول الراجح هو ما قرره شيخ الإسلام حيث قال بعد ذكره لقوله تعالى ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾[4] . قال رحمه الله تعالى : « وهذه الآية نص

---

(١) معالم التنزيل على حاشية تفسير الخازن ٣/١١٣ – ١١٤ وانظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢/٣٠٩ – ٣١٨ ، أعلام النبوة للماوردي ص ٢٨٣ – ٢٨٤ .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٢/٤٣٤ ، البداية والنهاية لابن كثير ٣/١٦٣ – ١٦٤ .

(٣) انظر الطبقات لابن سعد ١/٢١٩ – ٢٢٣ ، السيرة النبوية لابن هشام ١/٤٢٩ – ٤٥١ وتاريخ الأمم والملوك ١/٣٥٤ – ٣٦٥ ، الكامل ٢/٩٥ – ١٠١ ، دلائل النبوة للبيهقي ٢/٤٣٠ – ٤٥٧ ، الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٣٨ – ٤٤ ، البداية والنهاية ٣/١٦٣ – ١٨١ ، تفسير البيضاوي ص ٢٦٦ ، تفسير الألوسي المسمى « روح المعاني » ١١/٧ – ٨ .

(٤) سورة الحديد آية / ١٠ .

في تفضيل المنفقين المقاتلين قبل الفتح على المنفقين بعده ولهذا ذهب جمهور العلماء إلى أن السابقين في قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾[1] هم هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة وقد ذهب بعضهم إلى أن السابقين الأولين هم من صلى إلى القبلتين وهذا ضعيف ، فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة ، ولأن النسخ ليس من فعلهم الذي يفضلون به ولأن التفضيل بالصلاة إلى القبلتين لم يدل عليه دليل شرعي كما دل على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد والمبايعة تحت الشجرة ، ولكن فيه سبق الذين أدركوا ذلك على من لم يدركه كما أن الذين أسلموا قبل أن تفرض الصلوات الخمس هم سابقون على من تأخر إسلامه عنهم ، والذين أسلموا قبل أن تجعل صلاة الحضر أربع ركعات هم سابقون على من تأخر إسلامه عنهم ، والذين أسلموا قبل أن يؤذن في الجهاد أو قبل أن يفرض هم سابقون على من أسلم بعدهم ، والذين أسلموا قبل أن يفرض صيام شهر رمضان هم سابقون على من أسلم بعدهم ، والذين أسلموا قبل أن يفرض الحج هم سابقون على من تأخر عنهم ، والذين أسلموا قبل تحريم الخمر هم سابقون على من أسلم بعدهم ، والذين أسلموا قبل تحريم الربا كذلك فشرائع الإسلام من الإيجاب والتحريم كانت تنزل شيئاً فشيئاً وكل من أسلم قبل أن تشرع شريعة فهو سابق على من تأخر عنه وله بذلك فضيلة ، ففضيلة من أسلم قبل نسخ القبلة على من أسلم بعده هي من هذا الباب وليس مثل هذا ما يتميز به السابقون الأولون عن التابعين إذ ليس بعض هذه الشرائع أولى بمن يجعله خيراً من بعض ولأن القرآن والسنة قد دلا على تقديم أهل الحديبية فوجب أن تفسر هذه الآية بما يوافق سائر النصوص وقد علم بالاضطرار أنه كان في هؤلاء السابقين الأولين أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ وطلحة والزبير وبايع النبي بيده عن عثمان لأنه قد كان غائباً قد أرسله إلى أهل مكة ليبلغهم رسالته اهـ[2] .

(١) سورة التوبة آية / ١٠٠ .

(١) منهاج السنة ١٥٤/١ - ١٥٥ ، وانظر شرح الطحاوية ص ٥٣٠ .

فالقول الراجح في المراد بالسابقين الأولين هو هذا الذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية ويؤيده ما يلي :

١ - ما رواه مسلم بإسناده إلى أبي سعيد قال : « كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمٰن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ : « **لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه** »[(١)] . فالنبي ﷺ يقول لخالد ونحوه : « **لا تسبوا أصحابي** » يعني عبد الرحمٰن بن عوف وأمثاله ، لأن عبد الرحمٰن ونحوه هم السابقون الأولون ، وهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا ، وهم أهل بيعة الرضوان . فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان وهم الذين أسلموا بعد الحديبية وبعد مصالحة النبي ﷺ أهل مكة ، ومنهم خالد بن الوليد ، وهؤلاء أسبق ممن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة ، وسموا الطلقاء .... والمقصود أنه نهى من له صحبة آخراً أن يسب من له صحبة أولا لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية ، وإن كانوا قبل فتح مكة فكيف حال من ليس من الصحابة بحال مع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين[(٢)] .

٢ - ما رواه مسلم أيضاً : بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ[(٣)] لقيه أهل الأجناد[(٤)] أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء[(٥)] قد وقع

---

(١) صحيح مسلم ١٩٦٧/٤ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢٩ - ٥٣٠ .

(٣) سرغ : قرية في طرف الشام مما يلي الحجاز « شرح النووي » ٢٠٨/١٤ ، وانظر النهاية في غريب الحديث ٣٦١/٢ .

(٤) المراد بالأجناد هنا مدن الشام الخمس : وهي فلسطين ، والأردن ، ودمشق ، وحمص ، وقنسرين « شرح النووي » ٢٠٨/١٤ .

(٥) الوباء : المراد به هنا : الطاعون . انظر النهاية في غريب الحديث ١٤٤/٥ .

بالشام . قال ابن عباس : فقال عمر : ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا . فقال بعضهم : قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال : ارتفعوا عني ثم قال : ادع لي الأنصار فدعوتهم له فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال : ارتفعوا عني . ثم قال : ادع لي من كان هٰهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس أني مصبح[1] على ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة بن الجراح أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة . نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ... الحديث[2] .

فعمر رضي الله عنه رتبهم في هذا الحديث حسب فضائلهم فبدأ أولا بالسابقين الأولين من مهاجرين وأنصار وهم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا وإلى مهاجرة « الفتح » وهم الذين أسلموا عام الفتح وهاجروا بعده فحصل لهم اسم الهجرة دون فضيلتها[3] .

وبهذين الحديثين السابقين تبين أن القول الراجح من المراد بالسابقين الأولين هم الذين : أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ، ويدخل فيهم أهل بيعة الرضوان جميعاً الذين بلغ عددهم أكثر من ألف وأربعمائة كما تقدم ، ومعنى كونهم سابقين أنهم أولون بالنسبة إلى سائر المسلمين وأولئك السابقون الأولون كانوا فريقين فريق المهاجرين ، وفريق الأنصار ، وسأذكر الآن طرفاً من فضائل كل فريق من الكتاب والسنة ، وأبدأ بفريق المهاجرين لأن أهل السنة والجماعة يقدمون المهاجرين على

---

(١) مصبح على ظهر : أني مسافر راكب على ظهر الراحلة راجع إلى وطني فأصبحوا عليه وتأهبوا له « شرح النووي » ٢١٠/١٤ .

(٢) صحيح مسلم ١٧٤٠/٤ .

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٩/١٤ .

الأنصار ويفضلونهم من وجوه :

أولها : أنهم هم السابقون في الإيمان الذي هو رئيس الفضائل وعنوان المناقب .

وثانيها : أنهم تحملوا العناء والمشقة دهراً دهيراً ، وزماناً مديداً من كفار قريش وصبروا عليه وهذه الحال ما حصلت للأنصار .

وثالثها : أنهم تحملوا المضار الناشئة من مفارقة الأوطان والأهل والجيران ولم يحصل ذلك للأنصار .

ورابعها : أن فتح الباب في قبول الدين والشريعة من الرسول عليه الصلاة والسلام إنما حصل من المهاجرين ، والأنصار اقتدوا بهم وتشبهوا بهم وقد قال عليه الصلاة والسلام : « **من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة** »[1] فوجب أن يكون المقتدي أقل مرتبة من المقتدى به فجملة هذه الأحوال توجب تقديم المهاجرين الأولين على الأنصار في الفضل والدرجة والمنقبة ولهذا نجد القرآن الكريم كلما تعرض لذكر المهاجرين والأنصار قدم المهاجرين على الأنصار[2] .

وإلى ما جاء في فضل المهاجرين الأولين رضي الله عنهم وقبل أن نذكر طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت في بيان فضل المهاجرين نسبق ذلك ببيان المراد « بالهجرة » فنقول :

أصل الهجرة: الترك والمراد ترك الوطن[3] والهجرة إلى الشيء الانتقال إليه عن غيره، وفي الشرع ترك ما نهى الله عنه، وقد وقعت في الإسلام على وجهين:

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣٥٣/٤ من حديث جرير بن عبد الله عن أبيه .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٠٩/١٥ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٥٤/١٣ - ٥٥ ، وانظر بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز ٣٠٤/٥ ، لسان العرب ٢٥٠/٥ وما بعدها .

* **الأول** : الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرتي الحبشة ، وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة .

* **الثاني** : الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان وذلك بعد أن استقر النبي ﷺ بالمدينة وهاجر إليه من أمكنه من المسلمين ، وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة إلى أن فتحت مكة فانقطع الاختصاص وبقي عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقياً[1] .

ولقد ورد الثناء في كثير من الآيات القرآنية على المهاجرين الذين تركوا دورهم ومنازلهم كراهة البقاء بين المشركين وفي سلطانهم حيث لا يأمنون فتنتهم على أنفسهم في ديارهم فهاجروا إلى بلد الإيمان الذي يأمنون فيه على أنفسهم من فتنة المشركين وليستعدوا لجهاد المشركين لنصرة دين الله ورسوله وليدخلوا المشركين في دين الله حتى يلتزموا بما يرضيه - سبحانه وتعالى - فمن الثناء الذي جاء في حق السابقين من المهاجرين من الآيات القرآنية ما يلي :

١ - قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] فهذه الآية الكريمة تضمنت مدح المهاجرين من أصحاب النبي ﷺ بأنهم صدقوا بالله وبرسوله وبما جاء به وأنهم هجروا مساكنة المشركين في أمصارهم ومجاورتهم في ديارهم فتحولوا عنهم وعن جوارهم وبلادهم إلى غيرها هجرة لما انتقل عنه إلى ما انتقل إليه ... وحاربوا في دين الله ليدخلوا أهل الكفر فيه وفيما يرضي الرب - جل وعلا - ثم وصفهم في ختام الآية أنهم يطمعون في رحمة الله إياهم لكي يدخلوا الجنة بفضله - سبحانه - ، ثم بين - تعالى - أنه ساتر ذنوب عباده بعفوه عنها متفضل عليهم برحمته التي وسعت كل شيء[3] .

---

(١) فتح الباري ١٦/١ ، وانظر بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ٣٠٥/٥ .

(٢) سورة البقرة آية ٢١٨ .

(٣) جامع البيان ٣٥٥/٢ ، وانظر تفسير البغوي على حاشية الخازن ١٧٤/١ .

قال قتادة - رحمه الله تعالى - : أثنى الله على أصحاب نبيه محمد - ﷺ - أحق الثناء فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ هؤلاء خيار هذه الأمة ، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وأنه من رجا طلب ، ومن خاف هرب[1] وقد أخبر تعالى أنه جعل جزاء الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيله وقاتلوا وقتلوا تكفير سيئاتهم وإدخالهم جنات تجري تحتها الأنهار .

٢ - قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾[2] . وهذه الآية الكريمة فيها بيان لفضل أولئك المهاجرين من الصحابة ذكوراً وإناثاً الذين تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان ، وفارقوا الأحباب والإخوان ، والخلان والجيران بعد أن ضايقهم المشركون بالأذى حتى ألجؤوهم إلى الخروج من بين أظهرهم ولهذا قال : ﴿ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي ﴾ أي : إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده كما قال تعالى : ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾[3] . وهذا من أعلى المقامات أن يقاتل - العبد - في سبيل الله فيعقر جواده ويعفر وجهه بدمه وترابه ، وقد ثبت في صحيح مسلم أن رجلا قال : يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله يكفر عني خطاياي ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « **نعم ، إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب[4] مقبل غير مدبر** » ، ثم قال رسول الله ﷺ « **كيف قلت ؟** » قال أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ « **نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل**

---

(١) جامع البيان ٣٥٦/٢ ، الدر المنثور للسيوطي ٦٠٥/١ .

(٢) سورة آل عمران آية / ١٩٥ .

(٣) سورة الممتحنة آية / ١ .

(٤) المحتسب : هو المخلص لله تعالى .

عليه السلام قال لي ذلك»[1] ولهذا قال تعالى : ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أي: تجري في خلالها الأنهار من أنواع المشارب من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وقوله : ﴿ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلا كثيراً[2] وهذا النعيم المذكور يتنعم به المؤمنون في الجنة وفي صدارتهم أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم .

٣ - قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[3] . هذه الآية الكريمة اشتملت على ثناء رفيع وفضل عظيم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهذا الفضل الذي تضمنته هذه الآية هو أن الله تعالى رضي عنهم ورضوا عنه وهيأ لهم جنات تجري تحتها الأنهار وقضى لهم بالخلود الأبدي الذي لا يعتريه فناء أو زوال إنه لفوز أيما فوز إنه المقام الرفيع الذي لا يصل إلى درجتهم فيه إنسان أتى بعدهم . قال ابن جرير رحمه الله تعالى : عند هذه الآية الآنفة الذكر يقول تعالى ذكره والذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم ، وفارقوا منازلهم وأوطانهم ، والأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام طلب رضا الله ... ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ أي : رضي الله عن جميعهم لما أطاعوه وأجابوا نبيه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه ، ورضي عنه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه وإيمانهم به وبنبيه عليه الصلاة والسلام وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار يدخلونها خالدين فيها لابثين فيها أبداً

---

(١) صحيح مسلم ١٥٠١/٣ من حديث أبي قتادة .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨٣/٢ .

(٣) سورة التوبة آية / ١٠٠ .

لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ذلك الفوز العظيم » اهـ[1] .

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: « قوله- عز وجل- ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا أوطانهم ، ﴿ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ أي : ومن الأنصار هم الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل المدينة وآووا أصحابه ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ قيل : بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأولين ، وقيل : هم الذين سلكوا سبيلهم بالإيمان والهجرة ، أو النصرة إلى يوم القيامة . وقال عطاء[2] : هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالترحم والدعاء ، وقال أبو صخر حميد بن[3] زياد : أتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له : ما قولك في أصحاب رسول الله ﷺ - وأردت الفتن - فقال : جميع أصحاب النبي ﷺ في الجنة محسنهم ومسيئهم فقلت من أين تقول هذا فقال اقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ إلى أن قال : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ شرط في التابعين شريطة وهي أن يتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة قال أبو صخر : فكأني لم أقرأ هذه الآية قط » اهـ[4] .

وقال العلامة ابن كثير : عند قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ الآيـة « يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم ، والنعيم المقيم ... فيا ويل من أبغضهم ، أو سبهم ، أو أبغض أو سب بعضهم ولا سيما

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١/٦ ، ٩ .

(٢) هو عطاء بن أسلم بن صفوان تابعي من أجلاء الفقهاء ولد في جند « باليمن » ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم ، ولد سنة سبع وعشرين وتوفي سنة أربع عشرة ومائة هجرية ، انظر ترجمته في « تذكرة الحفاظ » ٩٨/١ ، تهذيب التهذيب ١٩٩/٧ - ٢٠٣ ، صفة الصفوة ٢١١/٢ .

(٣) هو حميد بن زياد أبو صخر ابن أبي المخارق الخراط صاحب العباء مدني سكن مصر ... صدوق يهم من السادسة ، توفي سنة تسع وثمانين ، التقريب ٢٠٢/١ ، التهذيب ٤١/٣ .

(٤) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل « على حاشية تفسير الخازن » ١١٤/٣ .

سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذاً بالله من ذلك ، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم ؟ وأمَّا أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله ، ويوالون من يوالي الله ويعادون من يعادي الله وهم متبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدءون وهؤلاء هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون » اهـ[1].

٤ – قال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[2] .

في هذه الآيات شهادة من الله تعالى لأصحاب نبيه ﷺ الذين آمنوا بالله وهاجروا وجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم بالفوز وعظيم الدرجات ، وبشرهم – سبحانه – برحمة منه ورضوان ، وبالنعيم المقيم الأبدي الذي لا يبيد ولا يفنى وهذا من أعظم البشارات ، ومن أسمى الغايات التي يرجوها المؤمنون من ربهم – جل وعلا – .

وقد جاء في سبب النزول ما رواه مسلم بإسناده إلى النعمان بن بشير قال : كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل : ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج . وقال آخر : ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٤٤/٣ – ٤٤٥ .

(٢) التوبة آية / ١٩ – ٢٢ .

قلتم فزجرهم عمر وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله — عز وجل — ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ الآية إلى آخرها[1] .

وهذا السبب وإن كان خاصاً فالعبرة فيه بعموم اللفظ فهي في جميع الصحابة الذين اتصفوا بالصفات المذكورة التي هي : الإيمان والهجرة والجهاد وقد تميزوا رضي الله عنهم بسعادة الدارين وقد أكد — سبحانه — فوزهم بقوله — جل وعلا — ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم ﴾ والبشارة الخبر السار الذي يفرح الإنسان عند سماعه وتستنير بشرة وجهه والخبر الذي بشرهم به هو قوله ﴿ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ ﴾ وهذا من أعظم البشارات وأعلاها .

٥ — قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[2] . وهذه الآية فيها الثناء على المهاجرين الذين فارقوا قومهم وديارهم ، وأوطانهم عداوة لهم في الله على كفرهم إلى آخرين غيرهم ، وكانت هجرتهم بعد ما نيل منهم في أنفسهم بالمكاره في ذات الله ظلماً وعدواناً ، ثم وعدهم الله بأن يسكنهم في الدنيا مسكناً صالحاً يرضونه مع ما ينتظرهم من الأجر العظيم والثواب الجزيل في دار النعيم .

روى ابن جرير بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قال : هم قوم هاجروا إلى رسول الله ﷺ من أهل مكة بعد ظلمهم ، وظلمهم المشركون وقال قتادة رحمه الله تعالى : هؤلاء أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق بهم طوائف منهم بالحبشة ، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار

---

(١) صحيح مسلم ١٤٩٩/٤ وأحمد في المسند ٢٦٩/٤ .

(٢) سورة النحل آية / ٤١ .

هجرة وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين ، وقال عامر بن شراحيل الشعبي : ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قال : المدينة[1] .

وقال الحافظ ابن كثير: عند هذه الآية المتقدمة : « يخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته الذين فارقوا الدار والإخوان والخلان رجاء ثواب الله ، وجزائه ، ويحتمل أن يكون سبب نزولها في مهاجرة الحبشة ليتمكنوا من عبادة ربهم ، ومن أشرافهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وجعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول ، وأبو سلمة بن عبد الأسود في جماعة قريب من ثمانين ما بين رجل وامرأة صديق وصديقة رضي الله عنهم وأرضاهم وقد فعل فوعدهم تعالى بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة فقال: ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قال ابن عباس والشعبي وقتادة: المدينة، وقيل: الرزق الطيب قاله مجاهد ، ولا منافاة بين القولين ، فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم الله خيراً منها في الدنيا ، فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله بما هو خير له منه ، وكذلك وقع فإنهم مكن الله لهم في البلاد ، وحكمهم على رقاب العباد ، وصاروا أمراء حكاماً وكل منهم للمتقين إماماً وأخبر أن ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا فقال : ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ أي : مما أعطيناهم في الدنيا ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ أي : لو كان المتخلفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادخر الله لمن أطاعه واتبع رسوله ولهذا قال هشيم عن العوام عمن حدثه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول : خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا ، وما ادخر لك في الآخرة أفضل ثم قرأ هذه الآية ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ اهـ[2] .

---

(١) جامع البيان ١٠٦/١٤ - ١٠٧ ، وانظر الدر المنثور للسيوطي ١٣١/٥ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ١٩٦/٤ .

٦ - قال تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[١] .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : « وقوله ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ وهم الزوج الثالث وهم الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله وهم المهاجرون الأولون » اهـ[٢] .

وقال البغوي رحمه الله تعالى: « ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه : السابقون إلى الهجرة هم السابقون في الآخرة .

وقال عكرمة[٣]: السابقون إلى الإسلام وقال محمد بن سيرين : هم الذين صلوا إلى القبلتين دليله قوله ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ وقال الربيع بن أنس : السابقون إلى إجابة رسول الله ﷺ في الدنيا هم السابقون إلى الجنة في العقبى »[٤] وكل هذه الأوصاف منطبقة على السابقين الأولين من أصحاب رسول الله ﷺ فهم المسارعون لفعل كل خير لا يمكن أن يسبقهم فيه أحد جاء بعدهم فهم السابقون إلى الهجرة ، والسابقون إلى الإسلام ، وإلى الصلاة إلى القبلتين ، وإلى إجابة رسول الله ﷺ وإلى كل عمل يقرب إلى الجنة ويباعد عن النار .

٧ - وقال تعالى منوهاً بفضل المنفقين والمقاتلين لأعداء الله من قبل الفتح من السابقين الأولين : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ

---

(١) سورة الواقعة آية / ١٠ - ١١ .

(٢) جامع البيان ١٧٠/٢٧ .

(٣) هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني أبو عبد الله مولى عبد الله بن عباس تابعي كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي ، ولد سنة خمس وعشرين وتوفي سنة خمس ومائة هجرية تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧ ، حلية الأولياء ٣٢٦/٣ ، وميزان الاعتدال ٩٣/٣ .

(٤) معالم التنزيل على حاشية الخازن ١٣/٧ .

﴿ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[1] .

فقد ذكر الله تعالى في هذه الآية أن من أنفق من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة وأعلى منزلة ممن أنفق بعد ذلك ثم وعد – سبحانه – الجميع بعد ذلك بالحسنى : أي المنفقين قبل الفتح وبعده وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء والحسنى هي الجنة .

وقد اختلف المفسرون في المقصود « بالفتح » في هذه الآية :

فقال بعضهم : معناه لا يستوي منكم أيها الناس من آمن قبل فتح مكة وهاجر .

وقال مجاهد[2] : في قوله : ﴿ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَ﴾ قال : آمن فأنفق يقول : من هاجر ليس كمن لم يهاجر .

وقال آخرون : عنى بالفتح فتح مكة ، وبالنفقة : النفقة في جهاد المشركين قال قتادة : كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر ، وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى ، كانت النفقة والقتال من قبل الفتح « فتح مكة » أفضل من النفقة والقتال بعد ذلك .

وقال آخرون : عنى بالفتح في هذا الموضع صلح الحديبية . والقائلون بهذا استدلوا عليه بما أخرجه ابن جرير الطبري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال لنا رسول الله ﷺ عام الحديبية : « **يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم** » قلنا : من هم يا رسول الله أقريش هم ؟ قال : « **لا ولكن أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوباً** » فقلنا : هم خير منا يا رسول الله فقال : « **لو كان**

---

(١) سورة الحديد آية / ١٠ .

(٢) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم تابعي مفسر من أهل مكة أخذ التفسير عن ابن عباس قرأه عليه ثلاث مرات ، ولد سنة إحدى وعشرين وتوفي سنة أربع ومائة هجرية انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٤٦٦/٥ ، حلية الأولياء ٢٧٩/٣ ، سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤ – ٤٥٧ .

لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه ألا إن هذا فصل ما بيننا وبين الناس ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ ﴾ الآية » .

وهذا القول رجحه ابن جرير مستدلاً بهذا الحديث . وقال رحمه الله تعالى عند قوله – عز وجل – في الآية: ﴿ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾: يقول تعالى ذكره : « هؤلاء الذين أنفقوا في سبيل الله من قبل فتح الحديبية وقاتلوا المشركين أعظم درجة في الجنة عند الله من الذين أنفقوا من بعد ذلك وقاتلوا وقوله : ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ يقول تعالى ذكره : وكل هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وعد الله الجنة بإنفاقهم في سبيله وقتالهم أعداءه » اهـ[1] .

وقال أبو محمد بن حزم : « الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[2] فثبت أن الجميع من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار لأنهم المخاطبون بالآية السابقة فإن قيل التقييد بالإنفاق والقتال يخرج من لم يتصف بذلك وكذلك التقييد بالإحسان في الآية التي تقدمت قريباً وهي قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾[3] الآية يخرج من لم يتصف بذلك وهي من أصرح ما ورد في المقصود ولهذا قال المازري[4] في شرح البرهان لسنا نعني بقولنا الصحابة عدول كل من رآه ﷺ يوماً أو زاره لماماً أو اجتمع به لغرض

---

(١) جامع البيان ٢١٩/٢٧ – ٢٢١ .

(٢) سورة الأنبياء آية / ١٠١ .

(٣) سورة التوبة آية / ١٠٠ .

(٤) هو محمد بن علّي بن عمر التميمي المازري أبو عبد الله ، محدث من علماء المالكية نسبته إلى مازر بجزيرة صقلية ، ولد سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وتوفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، انظر ترجمته في « العبر » ٤٥١/٢ ، شذرات الذهب ١١٤/٤ ، الأعلام ١٦٤/٧ .

وانصرف عن كتب وإنما نعني به الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون انتهى وعقب الحافظ ابن حجر على هذا القول فقوله والجواب عن ذلك أن التقييدات المذكورة خرجت مخرج الغالب وإلا فالمراد من اتصف بالإنفاق والقتال بالفعل أو القوة وأمَّا كلام المازري فلم يوافق عليه بل اعترضه جماعة من الفضلاء » اهـ[1] .

وقال عماد الدين بن محمد الطبري المعروف « بالكيا الهراسي » عند قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾ : عنى به فتح الحديبية ودل به على أن فضيلة العمل على قدر رجوع منفعته إلى الإسلام والمسلمين أو لكثرة المحنة به لقلة المسلمين وكثرة الكفار وهو مثل قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾[2] .

٨ – قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[3].

وهذه الآية تضمنت الثناء على المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وتركوا أموالهم ابتغاء فضل الله ورضوانه ، ورغبة في نصرة الله ورسوله ، وشهد الله لهم بالصدق في ختام هذه الآية ، وأكرم بها من شهادة فإن فيها تزكية لهم من رب العالمين .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : « يقول تعالى مبيناً حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ أي : خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضات الله

---

(١) الإصابة ١٩/١ .

(٢) أحكام القرآن « للكيا الهراسي » ٤٠١/٤ والآية رقم ١١٧ من سورة التوبة .

(٣) سورة الحشر آية / ٨ .

ورضوانه ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ أي : هـؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين » اهـ[1] .

وفي كل ما تقدم من الآيات القرآنية دلالات واضحات على فضل السابقين الأولين من المهاجرين رضوان الله عليهم أجمعين ، وكما دل القرآن على فضلهم كذلك دلت السنة على أن السابقين الأولين من المهاجرين لهم قدم صدق عند ربهم وفضل عظيم ينالونه جزاء نصرتهم دين الإسلام وقد وردت مناقبهم في أحاديث كثيرة ومنها ما يلي :

١ – من مناقبهم الواردة في السنة أن الرسول ﷺ بين أن الهجرة سبب من أسباب المغفرة فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هل لك في حصن ومنعة (قال حصن كان لدوس في الجاهلية) فأبى ذلك النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتووا المدينة فمرض فجزع فأخذ مشاقص[2] له فقطع بها براجمه[3] فشخبت[4] يداه حتى مات فرآه الطفيل بن عمرو في منامه فرآه وهيئته حسنة ورآه مغطياً يديه فقال له : ما صنع بك ربك فقال : غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ فقال : مالي أراك مغطياً يديك ؟ قال : قيل : لي لن نصلح ما أفسدت فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « **اللهم وليديه فاغفر** »[5] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/٦٠٥ .
(٢) مشاقص : قال في النهاية : « المشقص نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض » ٢/٤٩٠ .
(٣) براجمه: الواحدة برجمة بالضم وهي: العقد التي في ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ «النهاية» ١/١١٣.
(٤) فشخبت : الشخب « السيلان » النهاية ٢/٤٥٠ والمراد سال دمه حتى مات .
(٥) صحيح مسلم ١/١٠٨ – ١٠٩ ، المسند ٣/٣٧٠ – ٣٧١ ، ورواه الحاكم في المستدرك ٤/٧٦ ثم قال عقبه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وهذا وهم منه رحمه الله تعالى فقد أخرجه مسلم كما ترى .

٢ - ومن مناقبهم التي وردت في السنة عن المصطفى عليه الصلاة والسلام أن فقراء المهاجرين هم أول من يعبر الصراط إلى الجنة وأنهم يدخلونها قبل الأغنياء بأربعين سنة : فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي أسماء الرحبي أن ثوبان مولى رسول الله حدثه قال : قال : كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر[١] من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول يا رسول الله فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ : « **إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي** » ، فقال اليهودي : جئت أسألك فقال له رسول الله ﷺ : « **أينفعك شيء إن حدثتك ؟** » قال : أسمع بأذني فنكت[٢] رسول الله ﷺ بعود معه فقال : « **سل** » فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **هم في الظلمة دون الجسر** »[٣] قال : فمن أول الناس إجازة[٤] قال : « **فقراء المهاجرين** » قال : فما تحفتهم[٥] حين يدخلون الجنة ؟ قال « **زيادة كبد النون** »[٦] قال : فما غذاؤهم على أثرها قال : « **ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها** » قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : « **من عين فيها تسمى سلسبيلا** »[٧] قال : صدقت) الحديث[٨] .

وروى أيضاً بإسناده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى**

---

(١) الحبر : هو العالم . النهاية في غريب الحديث ٢٢٨/١ .
(٢) النكت : هو الضرب في الأرض بعود أو حديدة أو غير ذلك ، انظر النهاية ١١٣/٥ .
(٣) الجسر : هو الشيء المتخذ للعبور عليه انظر النهاية ٢٧٢/١ والمراد هنا الصراط .
(٤) الإجازة : هنا بمعنى العبور والجواز .
(٥) التحفة : طرفة الفاكهة ، والجمع التحف ثم تستعمل في غير الفاكهة « النهاية » ١٨٢/١ .
(٦) قال في النهاية : كبد كل شيء وسطه ١٣٩/٤ والمراد « بالنون » الحوت .
(٧) السلسبيل : اسم للعين وقال مجاهد وغيره هي شديدة الجرى « انظر جامع البيان » ٢١٨/٢٩ .
(٨) صحيح مسلم ٢٥٢/١ .

الجنة بأربعين خريفاً »[1] .

٣ - ومن مناقبهم الدالة على عظيم شأنهم وعلو قدرهم أن النبي ﷺ أخبر أن المهاجرين الأولين فازوا بفضل الهجرة ، وظفروا بالأجر العظيم ، والثواب الجزيل . روى الإمام البخاري بإسناده إلى مجاشع بن مسعود رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح فقلت : يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة قال : « **ذهب أهل الهجرة بما فيها** »[2] .

٤ - ومن الأحاديث الواردة في بيان عظم شأن المهاجرين الأولين أن النبي ﷺ بين أن الهجرة فيها عبء شديد ولا يصبر على ذلك إلا من وفقه الله ، وقد وفق الله لتحمل ذلك والصبر عليه أولئك الأتقياء الأخيار من صحابة رسول الله ﷺ الذين خرجوا من مكة ومن جاء من بلد آخر مهاجراً إلى الله ورسوله وظفر بشرف الصحبة فقد روى الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن الهجرة فقال : « **ويحك إن شأن الهجرة لشديد فهل لك من إبل ؟** (قال : نعم) قال : « **فهل تؤدي صدقتها ؟** » قال : نعم قال : « **فاعمل من وراء البحار**[3]**، فإن الله لن يترك من عملك شيئاً** »[4] . والمراد بالهجرة التي سأل عنها هذا الأعرابي ملازمة المدينة مع النبي ﷺ وترك أهله ووطنه فخاف عليه النبي ﷺ أن لا يقوى لها ولا يقوم بحقوقها وأن ينكص على عقبيه فقال له : إن شأن الهجرة التي سألت عنها لشديد ولكن اعمل بالخير في وطنك وحيث ما كنت فهو ينفعك ولا ينقصك الله منه شيئاً » اهـ[5] .

---

(١) صحيح مسلم ٢٢٨٥/٤ .

(٢) صحيح البخاري ٦٥/٣ .

(٣) المراد : بالبحار هنا : القرى والعرب تسمي المدن والقرى البحار والقرية البحيرة « انظر النهاية في غريب الحديث والأثر » ١٠٠/١ .

(٤) صحيح البخاري ٢٥٢/١ ، صحيح مسلم ١٤٨٨/٣ .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٩/١٣ .

٥ – ومن مناقب المهاجرين الأولين أنه ﷺ وصى بهم وبأبنائهم من بعدهم خيراً فقد روى الطبراني في الأوسط والبزار من حديث عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال : لما حضرت النبي ﷺ الوفاة قالوا : يا رسول الله أوصنا قال : « **أوصيكم بالسابقين الأولين من المهاجرين وبأبنائهم من بعدهم إلا تفعلوه لا يقبل منكم صرف ولا عدل** » قال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط والبزار ، إلا أنه قال : « **أوصيكم بالسابقين الأولين وبأبنائهم من بعدهم** » ورجاله ثقات[١] وقد بين أهل العلم أن المراد : بالصرف التوبة وقيل النافلة . والمراد بالعدل : الفدية ، وقيل : الفريضة[٢] فالذي لم يحفظ وصية النبي ﷺ في أصحابه المهاجرين باعتقاد ما يجب لهم من المحبة والاحترام والاعتراف بفضلهم وسابقتهم فإنه على حالة خطيرة ويكون مآله إلى شر والعياذ بالله ، ومن الذي يرضى لنفسه بعدم قبول فريضته ونافلته ؟ اللهم إلا من رضي لها في الدنيا بالخذلان وفي الآخرة بنهاية الخسران أعاذنا الله من ذلك .

وقد بين عليه الصلاة والسلام أن الهجرة لا يعدلها شيء في الثواب .

فقد روى الإمام النسائي بإسناده إلى كثير بن مرة أن أبا فاطمة حدثه أنه قال : يا رسول الله حدثني بعمل أستقيم عليه وأعمله قال له رسول الله ﷺ : « **عليك بالهجرة فإنه لا مثل لها** »[٣] .

ولما في الهجرة من الفضل العظيم ، والثواب الجزيل حرص عليه الصلاة والسلام على عدم انقطاع الهجرة للمهاجرين من الصحابة ولذلك دعا الله – عز وجل – أن يتم هجرتهم كما في حديث سعد بن أبي وقاص عندما مرض في حجة الوداع وفيه : « ... أنه قال : قلت : يا رسول الله أخلف بعد أصحابي قال : «**إنك**

---

(١) مجمع الزوائد ١٠/١٧ .

(٢) انظر « النهاية في غريب الحديث » ٣/١٩٠ ، المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٣٢٦ .

(٣) سنن النسائي ٧/١٤٥ .

لـن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة ولعلك تخلف حتى ينفع بك أقوام ويضر بك آخرون . اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم ... » الحديث[1] .

فهذا الحديث اشتمل على منقبة للمهاجرين من مكة إلى المدينة وغيرها حيث دعا لهم النبي ﷺ « دعاءً عاماً ومعنى أمض لأصحابي هجرتهم أي : أتمها ولا تبطلها ولا تردهم على أعقابهم بترك هجرتهم ورجوعهم عن مستقيم حالهم المرضية »[2] .

وقال العيني : « اللهم أمض » بقطع الهمزة يقال : أمضيت الأمر أي : أنفذته أي : تممها لهم ولا تنقصها عليهم فيرجعون عن المدينة قوله « ولا تردهم على أعقابهم » أي : بترك هجرتهم ورجوعهم عن مستقيم حالهم المرضية فيخيب قصدهم ويسوء حالهم ويقال لكل من رجع إلى حال دون ما كان عليه رجع على عقبيه وحار ومنه الحديث « **أعوذ بك من الحور بعد الكور** »[3] .

والحاصل مما تقدم من الآيات والأحاديث الواردة في فضل السابقين من المهاجرين أنها اشتملت على مناقب عالية ، وعلى مدح عظيم لأولئك المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وخرجوا مهاجرين إلى الله ورسوله لنصرة دين الإسلام الحنيف فرضي الله عنهم أجمعين ولنأت الآن إلى ما ورد من الثناء في القرآن الكريم والسنة المطهرة على الفريق الثاني من السابقين وهم أنصار الإسلام وكتيبة الإيمان من الأوس والخزرج وقبل أن أذكر ما جاء من الثناء عليهم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أبين معنى كلمة « الأنصار » :

---

(١) صحيح البخاري ٢٢٥/١ ، صحيح مسلم ١٢٥٠/٣ - ١٢٥١ واللفظ له .

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٧٦/١١ .

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٩٠/٨ والحديث رواه ابن ماجه ١٢٧٩/٢ ، ورواه الترمذي في سننه ١٦١/٥ ورواه الإمام أحمد في مسنده ٨٢/٥ ، وعند مسلم في صحيحه ٩٧٩/٢ بلفظ : والحور بعد الكون « الكلمة الثانية بالنون » .

فالأنصار : جمع ناصر كأصحاب وصاحب ، أو جمع نصير كأشراف وشريف واللام فيه للعهد أي : أنصار رسول الله ﷺ والمراد الأوس والخزرج وكانوا قبل ذلك يعرفون بابني قيلة بقاف مضمومة وياء تحتانية ساكنة وهي الأم التي تجمع القبيلتين فسماهم رسول الله ﷺ الأنصار ، فصار ذلك علماً عليهم وأطلق أيضاً : على أولادهم وحلفائهم ومواليهم وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ ومن معه والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم[1] .

وقد كثر الثناء على الأنصار في الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة فمن الثناء عليهم في الكتاب العزيز ما يلي :

١ - قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[2] .

٢ - قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[3] .

ففي هاتين الآيتين وصف الله تعالى الأنصار بأنهم آووا رسول الله ﷺ ومن معه من المهاجرين ، وأنهم نصروه عليه الصلاة والسلام بقتالهم معه أهل الكفر والضلال وبين تعالى أن الأنصار والمهاجرين بعضهم أولياء بعض في النصرة والمساعدة ، ثم ختم الله الآيتين بحكم يشمل المهاجرين والأنصار وهو قوله : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ فقد حكم الله لهم بأنهم أهل الإيمان بالله ورسوله حقاً ، وأن لهم ستراً من الله على ذنوبهم بعفوه لهم عنها

---

(١) فتح الباري ٦٣/١ .

(٢) سورة الأنفال آية / ٧٢ .

(٣) سورة الأنفال آية / ٧٤ .

وأن لهم في الجنة مطعماً ومشرباً هنياً كريماً لا يتغير في أجوافهم فيصير نجواً ولكنه يصير رشحاً كرشح المسك »[1] .

قال البغوي رحمه الله تعالى : في تفسيره ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا ﴾ نبي الله ﷺ والمهاجرين معه أي : أسكنوهم منازلهم ﴿ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ أي : نصروهم على أعدائهم وهم الأنصار رضي الله عنهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ دون أقربائهم قيل : في العون والنصرة ، وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والأنصار يتوارثون دون ذوي الأرحام وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة انقطعت الهجرة وتوارثوا بالأرحام حيث ما كانوا وصار ذلك منسوخاً بقوله – عز وجل – ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ اهـ[2] .

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى مبيناً معنى الآيتين السابقتين : « ختم الله – سبحانه– هذه السورة بذكر الموالاة ليعلم كل فريق وليه الذي يستعين به وسمى– سبحانه – المهاجرين إلى المدينة بهذا الاسم ، لأنهم هجروا أوطانهم وفارقوها طلباً لما عند الله وإجابة لداعيه ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا ﴾ هم الأنصار والإشارة بقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارة إلى الموصول الأول والآخر ... إلى أن قال : ثم بين– سبحانه – حكماً آخر يتعلق بالمؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله والمؤمنين الذين آووا من هاجر إليهم ونصروهم وهم الأنصار فقال :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ أي : الكاملون في الإيمان وليس في هذا تكرير لما قبله فإنه وارد في الثناء على هؤلاء ، والأول وارد في إيجاب الموالاة والنصرة ثم أخبر – سبحانه – أن لهم منه مغفرة لذنوبهم في الآخرة ولهم رزق كريم خالص عن الكدر طيب مستلذ » اهـ[4] .

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٦/١٠ – ٥٧ .

(٢) تفسير البغوي على حاشية « تفسير الخازن » ٤٤/٣ والآية رقم (٧٥) من سورة الأنفال .

(٣) فتح القدير ٣٢٩/٢ .

(٤) فتح القدير ٣٢٩/٢ .

فالآيتان المتقدمتان اشتملتا على إثبات منقبتين عظيمتين للأنصار رضي الله عنهم وهاتان المنقبتان الإيواء والنصرة فلقد آووا النبي ﷺ ومن معه من أصحابه من المهاجرين ، ونصروا دين الله ورسوله بمقاتلة جيوش الكفر والشرك والضلال ليدخلوهم في دين الإسلام الحق الذي ارتضاه الله لعباده ديناً .

٣ – أثنى الله عليهم بسبقهم إلى الإسلام مع إخوانهم المهاجرين رضي الله عنهم حيث قال : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1] .

فالمراد بالأنصار في هذه الآية هم الذين تبوءوا الدار والإيمان وانضوى إليهم النبي ﷺ والمهاجرون[2] فقد بين – تعالى – في هذه الآية أنه رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان رضاء مطلقاً ، ورضاه – سبحانه – أكبر من نعيم الجنة ، ثم بين تعالى أن مصيرهم هو دخول الجنة التي تجري تحتها الأنهارُ الجارية التي تساق إلى سقي الجنان والحدائق الزاهرة ، وأنهم خالدون في الجنة لا يبغون عنها حولا ولا يطلبون منها بدلا أنهم مهما تمنوا من نعيم أدركوه ومتى ما أرادوه وجدوه ﴿ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ الذي حصل لهم فيه كل محبوب للنفوس ، ولذة للأرواح ونعيم للقلوب وشهوة للأبدان واندفع عنهم كل محذور[3] فهذا النعيم في مقدمة من يظفر به السابقون الأولون من صحابة رسول الله ﷺ من مهاجرين وأنصار فهذه الآية اشتملت على منقبة عظيمة للسابقين من الأنصار رضي الله عنهم وتلك المنقبة هي سبقهم إلى الإسلام ، فوزهم برضا الملك العلام ، ودخولهم ما أعده الله لهم من الجنان .

---

(١) سورة التوبة آية / ١٠٠ .

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٨٨٦/٢ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٦/٨ .

(٣) انظر تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٣٦/٣ .

٤ – قال تعالى في ثنائه عليهم بالأخلاق الفاضلة النبيلة التي اتسموا بها :
﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] . فهذه الآية اشتملت على الثناء الحسن على أنصار الإسلام وكتيبة الإيمان بحبهم لإخوانهم المهاجرين ، وطهارة أنفسهم من الحسد لهم على ما منّ الله به عليهم من شرف الهجرة وإيثارهم لهم على أنفسهم بمواساتهم لهم بأموالهم ثم بين – تعالى – في ختام الآية أن فلاحهم واقع ومتحقق لا محالة .

قال العلامة ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : « يقول تعالى ذكره : (والذين تبوءوا الدار والإيمان) يقول : اتخذوا المدينة مدينة الرسول ﷺ فابتنوها منازل (والإيمان) بالله ورسوله (من قبلهم) يعني : من قبل المهاجرين (يحبون من هاجر إليهم) : يحبون من ترك منزله وانتقل إليهم من غيرهم وعني بذلك الأنصار يحبون المهاجرين ... ثم روى بإسناده إلى قتادة أنه قال : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾ يقول : مما أعطوا إخوانهم هذا الحي من الأنصار أسلموا في ديارهم فابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ ، فأحسن الله عليهم الثناء في ذلك ، وهاتان الطائفتان الأوليان من هذه الآية أخذتا بفضلهما ، ومضتا على مهلهما وأثبت الله حظهما في الفيء .

وروى أيضاً بإسناده إلى عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم : أنه قال في قوله – تعالى – ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ قال : هؤلاء الأنصار يحبون من هاجر إليهم من المهاجرين « إلى أن قال : وقوله : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾ يقول جل ثناؤه : ولا يجد الذين

---

(١) سورة الحشر آية / ٩ .

تبوءوا الدار من قبلهم ، وهم الأنصار في صدورهم حاجة يعني حسداً مما أوتوا يعني مما أوتي المهاجرون من الفيء وذلك لما ذكر لنا من أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا رجلين[1] من الأنصار أعطاهما لفقرهما ، وإنما فعل ذلك لرسول الله ﷺ خاصة ... وقوله : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يقول : ويعطون المهاجرين أموالهم إيثاراً لهم بها على أنفسهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يقول : ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم »[2] .

وقد روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه سبب نزول لقوله تعالى في الآية : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فقد روى بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه « أن رجلا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن : ما معنا إلا الماء . فقال رسول الله ﷺ « **من يضم – أو يضيف – هذا ؟** » فقال رجل[3] من الأنصار : أنا فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني فقال : هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته ، فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال : « **ضحك الله الليلة – أو عجب – من فعالكما** » فأنزل الله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4] .

قال العلامة ابن جرير مبيناً معنى قوله تعالى في ختام الآية السابقة ﴿وَمَن

---

(١) الرجلان هما : سهل بن حنيف وأبو دجانة سماك بن خرشة « جامع البيان » ٤١/٢٨ .
(٢) جامع البيان ٤٠/٢٨ – ٤٢ .
(٣) هذا الرجل هو أبو طلحة كما في صحيح مسلم ١٦٢٥/٣ وانظر فتح الباري ١٢/٧ .
(٤) صحيح البخاري ١٩٩/٣ ، وانظر جامع البيان ٤٣/٢٨ .

﴿ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ ﴾ يقول تعالى ذكره : من وقاه الله شح نفسه ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ المخلدون في الجنة والشح في كلام العرب : البخل ومنع الفضل من المال اهـ[1].

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ وهم الأنصار تبوءوا الدار توطنوا الدار أي : المدينة اتخذوها دار الهجرة والإيمان ﴿ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي : أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ بسنتين ونظم الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي : من قبل قدوم المهاجرين عليهم وقد آمنوا لأن الإيمان ليس بمكان تبوء ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً ﴾ حزازة وغيظاً وحسداً ﴿ مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ أي : مما أعطي المهاجرون دونهم من الفيء وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط منها الأنصار فطابت أنفس الأنصار بذلك ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي : يؤثرون على إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم » اهـ[2].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى مبيناً معنى الآية السابقة وما تضمنته من فضل للأنصار « قال تعالى مادحاً للأنصار ومبيناً فضلهم وشرفهم وكرمهم ، وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي : سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم وقوله تعالى : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي : من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم ... وقوله: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ أي : ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من

---

(١) جامع البيان ٤٣/٢٨ .

(٢) تفسير البغوي على حاشية تفسير الخازن ٥٢/٧ - ٥٣ .

المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة ... وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أي : من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح » اهـ[1] .

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ الآية قال : « لما فرغ من مدح المهاجرين مدح الأنصار فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ المراد بالدار المدينة وهي دار الهجرة ومعنى تبوئهم الدار والإيمان أنهم اتخذوها مباءة أي : تمكنوا منهما تمكناً شديداً والتبوء في الأصل إنما يكون للمكان ولكنه جعل الإيمان مثله لتمكنهم فيه ... ومعنى ﴿ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من قبل هجرة المهاجرين ... لأن الأنصار إنما آمنوا بعد إيمان المهاجرين والموصول مبتدأ وخبره ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ وذلك لأنهم أحسنوا إلى المهاجرين وأشركوهم في أموالهم ومساكنهم ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً ﴾ أي : لا يجد الأنصار في صدورهم حسداً وغيظاً وحزازة ﴿ مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ أي : مما أوتي المهاجرون دونهم من الفيء بل طابت أنفسهم بذلك ... ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ أي : حاجة وفقر والخصاصة مأخوذة من خصاص البيت وهي الفرج التي تكون فيه وقيل : إن الخصاصة مأخوذة من الاختصاص وهو الانفراد بالأمر فالخصاصة الانفراد بالحاجة »[2] .

فهذه الآية اشتملت على مناقب للأنصار رضي الله عنهم وتلك المناقب هي ما تحلوا به من الأمور الطيبة من كونهم صادقين في إيمانهم بالله ورسوله ، ويحبون إخوانهم المهاجرين الذين تركوا ديارهم وهجروا قومهم ولا يجدون في صدورهم حسداً مما أوتي المهاجرون من الفيء « وذلك أنه ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا رجلين من الأنصار أعطاهما

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦٠٥/٦ - ٦٠٨ .

(٢) فتح القدير للشوكاني ٢٠٠/٥ وما بعدها وانظر جامع البيان للطبري ٤٤/٢٨ . والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٢٩/١٨ .

لفقرها »[٣] وكذلك آثروا المهاجرين بإعطائهم من أموالهم ولو كان بهم حاجة وفاقة فوقوا شح أنفسهم فكتب الله لهم الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة ذلك هو الثناء على الأنصار في الآيات القرآنية وأمَّا الثناء عليهم في السنة المطهرة فقد ورد في كثير من الأحاديث النبوية ومن ذلك ما يلي :

١ – روى الإمام البخاري من حديث غيلان بن جرير قال : قلت لأنس : أرأيت اسم الأنصار كنتم تسمون به أم سماكم الله قال : بل سمانا الله كنا ندخل على أنس فيحدثنا مناقب الأنصار ومشاهدهم ويقبل علي أو على رجل من الأزد فيقول فعل قومك يوم كذا وكذا كذا وكذا »[٢] .

هذا الحديث تضمن منقبة عظيمة للأنصار رضي الله عنهم إذ تسميتهم بهذا الاسم تسمية إسلامية سمى به النبي ﷺ الأوس والخزرج [٣] .

٢ – ومن مناقبهم رضي الله عنهم : ما رواه البخاري بإسناده إلى أنس رضي الله عنه قال : قالت الأنصار : يوم فتح مكة – وأعطى قريشاً – : والله إن هذا لهو العجب أن سيوفنا تقطر من دماء قريش وغنائمنا ترد عليهم فبلغ ذلك النبي ﷺ فدعا الأنصار ، قال فقال : «**ما الذي بلغني عنكم ؟**» وكانوا لا يكذبون فقالوا : هو الذي بلغك قال : « **أو لا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم ، وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم ؟ لو سلكت الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم** » .

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو القاسم ﷺ : « **لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت في وادي الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار** » فقال أبو هريرة ما ظلم – بأبي وأمي – آووه ونصروه

---

(١) جامع البيان للطبري ٤١/٢٨ .

(٢) صحيح البخاري ٣٠٩/٢ .

(٣) فتح الباري ١١٠/٧ .

أو كلمة أخرى[1] .

وروى أيضاً رحمه الله : من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم قال : « لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال : «**يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ؟** » كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمن قال : « **ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ** » قال : كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمن قال : « **لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءً من الأنصار ولو سلك الناس وادياً لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار**[2] **والناس دثار**[3] **إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض** »[4] .

هذا الحديث المروي عن أنس وأبي هريرة وعبد الله بن زيد بن عاصم : اشتمل على مناقب للأنصار رضي الله عنهم حظوا بها وتميزوا بها عن غيرهم وتلك المناقب هي :

١) تشريفهم بهجرة النبي ﷺ إليهم وسكناه بينهم وهذه منقبة عظيمة رفعت من قدرهم وزادت من شرفهم دون سائر الناس ولو لم يحصل ذلك لما كان بينهم وبين غيرهم من الناس فرق .

٢) إخباره عليه الصلاة والسلام بأنه لا يفارق صحبتهم ولا يتحول عنهم فيه منقبة وفضيلة ظاهرة لهم رضي الله عنهم .

---

(١) هذا الحديث والذي قبله في صحيح البخاري ٣٠٩/٢ .

(٢) شعار : الشعار الثوب الذي يلي الجسد « الفتح » ٥٢/٨ وانظر النهاية لابن الأثير ٤٨٠/٢ .

(٣) دثار : الدثار الثوب الذي فوق الشعار « النهاية لابن الأثير » ٤٨٠/٢ ، الفتح ٥٢/٨ .

(٤) صحيح البخاري ٦٩/٣ .

٣) بين عليه الصلاة والسلام في الحديث الثالث أنهم بطانته وخاصته وأنهم ألصق الناس به وأقرب إليه من غيرهم رضي الله عنهم .

وقول أنس رضي الله عنه : إن الأنصار رضي الله عنهم قالوا : « والله إن هذا لهو العجب إن سيوفنا تقطر من دماء قريش وغنائمنا ترد عليهم » وقوله في الحديث الآخر : « فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس » فهذا القول حصل من أناس منهم حديثة أسنانهم للحديث الآخر الذي رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه وفيه « أنهم قالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم وأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم[1] ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال « **ما حديث بلغني عنكم ؟** » فقال فقهاء الأنصار أمَّا رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً وأمَّا ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم » الحديث[2] .

وفيما تقدم دلالة على أن من طلب حقه من الدنيا لا يعتب عليه وفعل بعض الأنصار ذلك لا ينقص قدرهم ولا ينزل من مكانتهم العالية فلهم رضي الله عنهم مناقب رفيعة قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : عند شرحه لقول أبي هريرة في الحديث المتقدم بعد قوله عليه الصلاة والسلام :«**لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار**» فقال أبو هريرة : ما ظلم بأبي وأمي – « أي : ما تعدى في القول المذكور ولا أعطاهم فوق حقهم ثم بين ذلك بقوله : « آووه ونصروه » : قوله : « أو كلمة أخرى » لعل المراد وواسوه وواسوا أصحابه بأموالهم وقوله « **لسلكت في وادي الأنصار** » أراد بذلك حسن موافقتهم له لما شاهده من حسن

---

(١) قبة من أدم : أي : في خيمة من جلد .

(٢) صحيح البخاري ٣/٦٩ – ٧٠ .

الجوار والوفاء بالعهد وليس المراد بأنه يصير تابعاً لهم بل هو المتبوع المطاع المفترض الطاعة على كل مؤمن » اهـ[1] .

ونقل الحافظ رحمه الله تعالى عن الخطابي أنه قال بعد قوله عليه الصلاة والسلام في حديث عبد الله بن زيد بن عاصم المتقدم «**لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار** » أراد بهذا الكلام تألف الأنصار واستطابة نفوسهم والثناء عليهم في دينهم حتى رضي أن يكون واحداً منهم لولا ما يمنعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها ونسبة الإنسان تقع على وجوه منها الولادة والبلادية والاعتقادية والصناعية ولا شك أنه لم يرد الانتقال عن نسب آبائه لأنه ممتنع قطعاً وأمّا الاعتقادي فلا معنى للانتقال فيه فلم يبق إلا القسمان الأخيران وكانت المدينة دار الأنصار والهجرة إليها أمراً واجباً أي : لولا النسبة الهجرية لا يسعني تركها لانتسبت إلى داركم . وقال القرطبي : معناه لتسميت باسمكم وانتسبت إليكم كما كانوا ينتسبون بالحلف ، لكن خصوصية الهجرة وتربيتها فمنعت من ذلك وهي أعلى وأشرف فلا تتبدل بغيرها ، وقيل : معناه لكنت من الأنصار في الأحكام والعداد ، وقيل : التقدير لولا أن ثواب الهجرة أعظم لاخترت أن يكون ثوابي ثواب الأنصار و لم يرد ظاهر النسب أصلا » اهـ[2] .

وقال صديق حسن خان عند شرحه لقوله ﷺ : « **لو لا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار** » « فيه إشارة إلى ترجيح الأنصار بحسن الجوار والوفاء بالعهد لا وجوب متابعته ﷺ إياهم إذ هو ﷺ المتبوع المطاع لا التابع المطيع فما أكثر تواضعه ﷺ » اهـ[3] .

وقال أبو بكر ابن العربي في شرحه لقوله ﷺ : « **لو سلك الناس وادياً أو شعباً**

---

(١) فتح الباري ١١٢/٧ .

(٢) فتح الباري ٥١/٨ .

(٣) عون الباري لحل أدلة صحيح البخاري ٥٣٢/٤ .

لسلكت وادي الأنصار وشعبها » أخبر أنه لا يفارق صحبتهم ولا يزال دارتهم » اهـ[1] .

وقال الإمام النووي : عند قوله ﷺ : « **لسلكت شعب الأنصار** » قال الخليل : هو ما انفرج بين جبلين ، وقال ابن السكيت[2] : هو الطريق في الجبل وفيه فضيلة الأنصار ورجحانهم » اهـ[3] .

وقال أيضاً عند قوله ﷺ : « **الأنصار شعار والناس دثار** » « معنى الحديث : الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء وألصق بي من سائر الناس وهذا من مناقبهم الظاهرة وفضائلهم الباهرة » اهـ[4] .

ومن خلال أقوال العلماء المتقدمة التي سقناها لبيان معنى الحديث المروي عن أنس وأبي هريرة وعبد الله بن زيد بن عاصم : تبين أنه اشتمل على مناقب عظيمة للأنصار لما تضمنه من الثناء البالغ عليهم من النبي ﷺ وحسن أدبهم رضي الله عنهم في تركهم المماراة ، والمبالغة في الحياء وبيان أن الذي نقل عنهم إنما كان عن شبانهم لا عن شيوخهم وكهولهم ولقد آثروا رضي الله عنهم الآخرة على الدنيا ، فقد زهدت نفوسهم عن حطام الدنيا الفاني ورضوا برسول الله ﷺ قسماً ومغنماً كما في صحيح مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال لهم : « **أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به**» فقالوا : بلى يا رسول الله قد رضينا»[5] .

---

(١) عارضة الأحوذي بشرح الترمذي ٢٦٦/١٣ .

(٢) هو يعقوب بن إسحاق أبو يوسف ابن السكيت إمام في اللغة والأدب أصله من خوزستان بين البصرة وفارس ، ولد سنة ست وثمانين ومائة وتوفي سنة أربع وأربعين ومائتين ، انظر ترجمته في « تاريخ بغداد » ٢٧٣/١٤ ، وفيات الأعيان ٣٩٠/٦ هدية العارفين ٥٣٦/٢ ، الأعلام ٢٥٥/٩ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٢/٧ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٧/٧ .

(٥) صحيح مسلم ٧٣٤/٢ من حديث أنس رضي الله عنه .

٣ – ومن مناقبهم رضي الله عنهم أن النبي ﷺ بين أنهم من أحب الناس إليه ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى صبياناً ونساء مقبلين من عرس فقام نبي الله ﷺ ممثلا[١] فقال : « **اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ ، اللهم أنتم من أحب الناس إلي** » يعني الأنصار[٢] وعند الإمام البخاري : فقال « **اللهم أنتم من أحب الناس إلي** » قالها ثلاث مرار[٣] .

وروى الإمام مسلم أيضاً بإسناده إلى أنس قال : جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ قال : فخلا بها رسول الله ﷺ وقال : « **والذي نفسي بيده إنكم لأحب الناس إلي** » ثلاث مرات[٤] .

وعند الإمام البخاري رحمه الله تعالى بلفظ : جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها فكلمها رسول الله ﷺ فقال : « **والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إلي** مرتين »[٥] .

فكونه عليه الصلاة والسلام بين أن الأنصار رضي الله عنهم من أحب الناس إليه وأقسم بمن نفسه بيده وهو الله – عز وجل – على ذلك لهو من أعظم مناقبهم رضي الله عنهم وأرضاهم ، وهكذا يجب على المسلم أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ أحب الناس إليه بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله – يعني البخاري في صحيحه – : (باب قول النبي ﷺ للأنصار أنتم أحب الناس إلي) هو على طريق الإجمال ، أي : مجموعكم أحب إلي من مجموع غيركم فلا يعارض قوله في الحديث : في

---

(١) أي : مكلفاً نفسه ذلك « انظر فتح الباري » ١١٤/٧ .

(٢) صحيح مسلم ١٩٤٨/٤ .

(٣) صحيح البخاري ٣١٠/٢ .

(٤) صحيح مسلم ١٩٤٩/٤ .

(٥) صحيح البخاري ٣١٠/٢ .

جواب من أحب الناس إليك ؟ قال : « **أبو بكر** » الحديث[1] .

٤ – ومن مناقبهم رضي الله عنهم : سرعة امتثالهم أمر الله ورسوله وتعجيل مواساة إخوانهم المهاجرين ، فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى أبي هريرة رضي عنه قال : قالت الأنصار للنبي ﷺ : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال : « **لا** » ، فقالوا : تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة قالوا : سمعنا وأطعنا[2] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله : « المؤنة » أي : العمل في البساتين من سقيها والقيام عليها . قال المهلب : إنما قال لهم النبي ﷺ لأنه علم أن الفتوح ستفتح عليهم فكره أن يخرج شيء من عقار الأنصار عنهم فلما فهم الأنصار ذلك جمعوا بين المصلحتين امتثال ما أمرهم به وتعجيل مواساة إخوانهم المهاجرين فسألوهم أن يساعدوهم في العمل ويشركوهم في الثمر وفيه « فضيلة ظاهرة للأنصار » اهـ[3] .

٥ – ومن مناقبهم رضي الله عنهم : أن النبي ﷺ جعلهم من جملة من تولاهم الله ورسوله ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي أيوب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الأنصار ومزينة وجهينة وغفار وأشجع ومن كان من بني عبد الله موالي دون الناس والله ورسوله مولاهم** » .
وروى أيضاً : بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **قريش والأنصار ومزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع موالّي ليس لهم مولى دون الله ورسوله** »[4] .

فكونهم رضي الله عنهم ممن تولاهم الله ورسوله فهو من أعظم المناقب وأعلى المراتب ، وهذا من علامة السعادة الأبدية التي ينالها عباد الله وأولياؤه الصالحون .

ومعنى الحديث : « أني وليهم والمتكفل بهم وبمصالحهم وهم مواليه أي :

---

(١) فتح الباري ١١٤/٧ .

(٢) صحيح البخاري ٤٦/٢ .

(٣) فتح الباري ٥/ ٨ – ٩ ، ١١٣/٧ .

(٤) الحديثان في صحيح مسلم ١٩٥٤/٤ .

ناصروه والمختصون به » اهـ[1] .

٦ – ومن مناقبهم رضي الله عنهم : أن النبي ﷺ وثق بهم واعتمدهم في أموره وأوصى من بعده أن يقبلوا من محسنهم ويتجاوزوا عن مسيئهم ، فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك قال : « مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا : « ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك قال : فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد قال فصعد المنبر ، ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « **أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم** »[2] .

وعند الإمام مسلم بلفظ : «**إن الأنصار كرشي وعيبتي وإن الناس سيكثرون ويقلون فاقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم** »[3] .

فقد جعلهم عليه الصلاة والسلام جماعته وموضع سره وأمانته في قوله « **كرشي وعيبتي** » . قال النووي في شرحه لقوله ﷺ : « **الأنصار كرشي وعيبتي** » : قال العلماء : معناه : جماعتي وخاصتي الذي أثق بهم وأعتمدهم في أموري . قال الخطابي : ضرب مثلا بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون به بقاؤه ، والعيبة وعاء معروف أكبر من المخلاة يحفظ الإنسان فيها ثيابه وفاخر متاعه ويصونها ضربها مثلا لأنهم أهل سره وخفي أحواله ﷺ « **فاقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم** » وفي بعض الأصول « **عن سيئتهم** » والمراد بذلك فيما سوى الحدود » اهـ[4] .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٧٤/١٦ .

(٢) صحيح البخاري ٣١٢/٢ .

(٣) صحيح مسلم ١٩٤٩/٤ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٦٨/١٦ – ٦٩ .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله : « ذكرنا مجلس النبي ﷺ » أي : الذي كانوا يجلسونه معه وكان ذلك في مرض النبي ﷺ فخشوا أن يموت من مرضه فيفقدوا مجلسه فبكوا حزناً على فوات ذلك ... قوله « **أوصيكم بالأنصار** » استنبط منه بعض الأئمة أن الخلافة لا تكون في الأنصار لأن من فيهم الخلافة يوصون ولا يوصي بهم ولا دلالة فيه إذ لا مانع من ذلك قوله « **كرشي وعيبتي** » أي : بطانتي وخاصتي قال القزاز : ضرب المثل بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه ويقال : لفلان كرش منثورة أي : عيال كثيرة ، والعيبة ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده يريد أنهم موضع سره وأمانته قال ابن دريد : هذا من كلامه ﷺ الموجز الذي لم يسبق إليه ، وقال غيره : الكرش بمنزلة المعدة للإنسان والعيبة مستودع الثياب والأول أمر باطن والثاني أمر ظاهر فكأنه ضرب المثل بهما في إرادة اختصاصهم بأموره الباطنية والظاهرية والأول أولى وكل من الأمرين مستودع لما يخفي فيه قوله : « **وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم** » ليلة العقبة من المبايعية فإنهم بايعوا على أن يؤووا النبي ﷺ وينصروه على أن لهم الجنة فوفوا بذلك » اهـ[1] .

٧ – ومن مناقبهم رضي الله عنهم : أن النبي ﷺ أخبر بخيرية دورهم رضي الله عنهم ولكن هذه الخيرية ما ثبتت لهذه الدور إلا بعد ثبوتها لأهلها الذين آووا رسول الله ونصروا دين الإسلام ورفعوا رايته فرضوان الله عليهم أجمعين .

روى الشيخان بإسنادهما إلى أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ثم بنو الحارث ابن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفي كل دور الأنصار خير** » فقال سعد : ما أرى النبي ﷺ إلا قد فضل علينا فقيل : قد فضلكم على كثير »[2] .

---

(١) فتح الباري ١٢١/٧ – ١٢٢ .

(٢) صحيح البخاري ٣١١/٢ . صحيح مسلم ١٩٤٩/٤ .

وروى البخاري بإسناده إلى أبي حميد عن النبي ﷺ قال : « **إن خير دور الأنصار دار بني النجار ، ثم عبد الأشهل ، ثم دار بني الحارث ثم بني ساعدة وفي كل دور الأنصار خير** » فلحقنا سعد بن عبادة فقال أبا أسيد : ألم تر أن نبي الله ﷺ خيَّر الأنصار فجعلنا اخيراً ؟ فأدرك سعد النبي ﷺ فقال : يا رسول الله خير دور الأنصار فجعلنا آخراً فقال : « **أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار** »[1].

وعند مسلم : « وبلغ ذلك سعد بن عبادة فوجد في نفسه وقال : خلفنا فكنا آخر الأربع أسرجوا لي حماري آتي رسول الله ﷺ وكلمه ابن أخيه سهل فقال : أتذهب لترد على رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ أعلم أوليس حسبك أن تكون رابع أربع فرجع وقال : الله ورسوله أعلم وأمر بحماره فحل عنه »[2] .

فلله ما أعظم هذه المنقبة وما أعظم هذا الفضل لهؤلاء الأخيار الذين زكت نفوسهم وطابت أعمالهم حتى شملت الخيرية دورهم ، وهذه المفاضلة بين هذه الدور حصلت حسب سبق أهلها للدخول في الإسلام .

قال النووي : عند قوله ﷺ : « **خير دور الأنصار بنو النجار** » الحديث أي : خير قبائلهم وكانت كل قبيلة منها تسكن محلة فتسمى تلك المحلة دار بني فلان ، ولهذا جاء في كثير من الروايات بنو فلان من غير ذكر الدار .

قال العلماء : وتفضيلهم على قدر سبقهم إلى الإسلام ومآثرهم فيه ، وفي هذا دليل لجواز تفضيل القبائل والأشخاص بغير مجازفة ولا هوى ولا يكون هذا غيبة » اهـ[3] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « قوله » خير دور الأنصار ... وفي

---

(١) صحيح البخاري ٣١١/٢ .

(٢) صحيح مسلم ١٩٥٠/٤ .

(٣) شرح النووي ٦٩/١٦ .

كل دور الأنصار خير « خير الأولى بمعنى أفضل والثانية اسم أي : الفضل حاصل في جميع الأنصار وإن تفاوتت مراتبه »[1] .

وقد جاء في رواية البخاري المتقدمة أن سعداً أدرك النبي ﷺ فقال : يا رسول الله خير دور الأنصار فجعلنا أخيراً فقال : « **أوليس بحسبكم[2] أن تكونوا من الخيار** » وفي رواية مسلم أيضاً المتقدمة أنه رجع وقال : الله ورسوله أعلم ، وأمر بحماره فحل عنه فالحديثان متعارضان ، على هذا ولابد من الجمع بينهما :

وقد جمع الحافظ ابن حجر بين هاتين الروايتين فقال : « يمكن الجمع بأنه رجع حينئذ عن قصد رسول الله ﷺ لذلك خاصة ، ثم إنه لما لقي رسول الله ﷺ في وقت آخر ذكر له ذلك ، أو الذي رجع عنه أنه أراد أن يورده مورد الإنكار والذي صدر منه ورد مورد المعاتبة المتلطفة ولهذا قال له ابن أخيه في الأول : « أترد على رسول الله أمره » إلى أن قال : قوله : « من الخيار أي : الأفاضل لأنهم بالنسبة إلى من دونهم أفضل ، وكأن المفاضلة بينهم وقعت بحسب السبق إلى الإسلام ، وبحسب مساعيهم في إعلاء كلمة الله ونحو ذلك » اهـ[3] .

٨ – ومن مناقبهم رضي الله عنهم : أن النبي ﷺ دعا الله لهم بأن يصلحهم ، ويكرمهم ويغفر لهم وجمع في ذلك الدعاء بينهم وبين إخوانهم المهاجرين رضوان الله عليهم أجمعين ، وتارة أفردهم بالدعاء بالمغفرة لهم ولأبنائهم ، وأبناء أبنائهم ، كما استغفر لهم ولذراريهم ومواليهم .

فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا عيش إلا عيش الآخرة فأصلح الأنصار والمهاجرة** » .

---

(١) فتح الباري ١١٦/٧ .

(٢) أي : كافيكم .

(٣) فتح الباري ١١٧/٧ .

وروى أيضاً بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانت الأنصار يوم الخندق تقول :

نحن الذين بايعوا محمداً * على الجهاد ما حيينا أبداً

فأجابهم : « **اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة** ».

وروى بإسناده إلى سهل بن سعد رضي الله عنه قال : جاءنا رسول الله ﷺ ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتادنا[1] فقال رسول الله ﷺ « **اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار** »[2] .

ففي هذه الأحاديث جمع عليه الصلاة والسلام بينهم وبين إخوانهم المهاجرين في هذه الدعوات المباركات التي هي الصلاح ، والإكرام والمغفرة ، وأمَّا إفرادهم بالدعاء لهم بالمغفرة والاستغفار فمن ذلك ما رواه الإمام مسلم بإسناده إلى زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ : « **اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار** » .

وروى أيضاً : بإسناده إلى عبد الله بن أبي طلحة أن أنساً حدثه أن رسول الله ﷺ استغفر للأنصار قال : وأحسبه قال : « **ولذراري الأنصار ولموالّي الأنصار** » لا أشك فيه[3] .

٩ — ومن مناقبهم رضي الله عنهم : أن النبي ﷺ أخبرهم أنه ملازم لهم وأن محياه محياهم ومماته مماتهم فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه في « فتح مكة » وفيه أن أبا سفيان قال : يا رسول الله أبيحت خضراء قريش[4] لا قريش بعد اليوم ثم قال : « **من دخل دار**

---

(١) أكتادنا : جمع كتد وهو جمع العنق والصلب « هدي الساري » ص ١٧٨ .

(٢) هذه الأحاديث في صحيح البخاري ٣١١/٢ — ٣١٢ .

(٣) هذان الحديثان في صحيح مسلم ١٩٤٨/٤ .

(٤) خضراء قريش قال في النهاية « دهماؤهم وسوادهم » ٤٢/٢ ، شرح النووي ١٢٧/١٢ .

أبي سفيان فهو آمن » فقالت الأنصار بعضهم لبعض : أمَّا الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته قال أبو هريرة : وجاء الوحي وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ : « **يا معشر الأنصار** » قالوا : لبيك يا رسول الله قال : « **قلتم أمَّا الرجل فأدركته رغبة في قريته** » قالوا : قد كان ذاك قال : « **كلَّا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم والمحيا محياكم والممات مماتكم** » فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله وبرسوله » فقال رسول الله ﷺ : « **إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم** » .. الحديث[1] فقوله ﷺ : « **هاجرت إلى الله وإليكم المحيا محياكم والممات مماتكم** » معناه : إني هاجرت إلى الله وإلى دياركم لاستيطانها فلا أتركها ولا أرجع عن هجرتي الواقعة لله تعالى بل أنا ملازم لكم المحيا محياكم والممات مماتكم أي : لا أحيا إلا عندكم ولا أموت إلا عندكم .. فلما قال لهم هذا بكوا واعتذروا وقالوا : والله ما قلنا كلامنا السابق إلا حرصاً عليك وعلى مصاحبتك ودوامك عندنا لنستفيد منك وتهدينا الصراط المستقيم كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴾[2] وهذا معنى قولهم : ما قلنا الذي قلنا إلا الضّن بك أي : شحاً بك أن تفارقنا ويختص بك غيرنا وكان بكاؤهم فرحاً بما قال لهم وحياء مما خافوا أن يكون بلغه عنهم مما يستحي منه »[3] فلله ما أعظمها من منقبة وما أسماه من مدح وثناء لطائفة الأنصار رضي الله عنهم الذين ظفروا وفازوا بإيواء ونصر خير البرية ولذلك فازوا بتصديقهم ومعذرتهم من الله ورسوله فيما قالوه فرضي الله عنهم وأرضاهم وهنأهم بما آتاهم .

١٠ - ومن مناقبهم رضي الله عنهم : إيثارهم الدار الآخرة على الدار الفانية

---

(١) صحيح مسلم ١٤٠٦/٣ .

(٢) سورة الشورى آية / ٥٢ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢٩/١٢ .

فقد روى الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه بإسنادهما إلى أنس قال : شق على الأنصار النواضح[1] فاجتمعوا عند النبي ﷺ يسألونه أن يكري[2] لهم نهراً سيحاً فقال لهم رسول الله ﷺ : « **مرحباً بالأنصار والله لا تسألوني اليوم شيئاً إلا أعطيتكموه ولا أسأل الله لكم شيئاً إلا أعطانيه** » فقال بعضهم لبعض : اغتنموها واطلبوا المغفرة فقالوا : يا رسول الله ادع الله لنا بالمغفرة فقال رسول الله ﷺ : « **اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار** »[3] .

فهذا الحديث فيه بيان أن الأنصار عزموا على أن يطلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم نهراً جارياً يحفرونه ويخرجون طينه ، فلما قال لهم « **لا تسألوني اليوم شيئاً إلا أعطيتكموه** » عدلوا عن طلب النهر واغتنموا الفرصة وطلبوا المغفرة لأن النهر من متاع الدنيا الفانية والمغفرة فيها متاع الآخرة الباقية فآثروا ما يبقى على ما يفنى وهذا من قوة إيمانهم وزهدهم في الدنيا رضي الله عنهم وأرضاهم[4] وفي هذا منقبة عظيمة وفضيلة كريمة للأنصار رضي الله عنهم وأرضاهم .

١١ - ومن مناقبهم رضي الله عنهم أن النبي ﷺ أخبرهم أن جزاءهم على إيوائهم إياه ونصرهم له ووفائهم بما بايعوه عليه من الأمور التي فيها عز الإسلام والمسلمين الجنة التي عرضها السمٰوات والأرض . فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري أن النبي ﷺ لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومجنة[5] ....

---

(١) النضح نقل الماء من الأبار على النواضح أي : الإبل لسقي الزرع « انظر النهاية في غريب الحديث » ٦٩/٥ .

(٢) من كريت الأرض وكروتها إذا حفرتها « انظر النهاية في غريب الحديث » ١٦٩/٤ .

(٣) المسند ١٣٩/٣، المستدرك ٨٠/٤، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه أحمد والبزار بنحوه ... وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ٤٠/١٠ .

(٤) انظر « الفتح الرباني » لترتيب مسند الإمام أحمد ١٧٢/٢٢ .

(٥) مجنة : اسم سوق للعرب كان في الجاهلية ... وكانت مجنة بمر الظهران قرب جبل يقال له الأصفر وهو بأسفل على قدر بريد منها « معجم البلدان لياقوت الحموي » ٥٨/٥ - ٥٩ .

وعكاظ[1] ومنازلهم من منى من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة فلا يجد أحداً ينصره ولا يؤويه حتى إن الرجل ليرحل من مصر أو من اليمن إلى ذي رحمه فيأتيه قومه فيقولون له احذر غلام قريش لا يفتنك ويمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله – عز وجل – يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله من يثرب فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام فبعثنا الله إليه فائتمرنا واجتمعنا وقلنا : حتى متى رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم فواعدنا بيعة العقبة فقال له عمه العباس : يا ابن أخي لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك إني ذو معرفة بأهل يثرب ، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين فلما نظر العباس في وجوهنا قال : هؤلاء قوم لا نعرفهم هؤلاء أحداث ، فقلنا : يا رسول الله على ما نبايعك قال : « **بايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم وتمنعوني مما تمنعون عنه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة** » فقمنا نبايعه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغر السبعين إلا أنه قال رويداً يا أهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن يعضكم السيف فإما أنتم قوم تصبرون عليها إذا مستكم وعلى قتل خياركم ومفارقة العرب كافة فخذوه وأجركم على الله وإمَّا أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذر عند الله – عز وجل – فقالوا : يا أسعد أمط عنا يدك فو الله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها قال : فقمنا إليه رجلا رجلا فأخذ علينا ليعطينا بذلك

---

(١) عكاظ : اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية قال الأصمعي : عكاظ في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت تقام سوق العرب بموضع منه يقال له : الأثيداء ، « معجم البلدان » ٤/١٤٢ .

الجنة »[1] . فهذا الحديث اشتمل على فضيلة عظيمة للأنصار رضي الله تعالى عنهم فلقد وفوا بما بايعوا عليه سيد الخلق عليه الصلاة والسلام حتى انتشر الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً وعلت راية التوحيد واندحر الشرك وأهله فكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى فرضي الله عنهم وأرضاهم وهنأهم بما آتاهم ، والأحاديث الواردة في فضائلهم ومناقبهم كثيرة وحسبنا هنا ما تقدم ذكره من مناقبهم العامة رضي الله عنهم التي شملت السابقين منهم إلى الإسلام ومن أسلم بعدهم منهم رضي الله عنهم وهناك مناقب كثيرة تخص أفراداً منهم بأعيانهم محلها كتب السنة والأحاديث التي أسلفناها هنا اشتملت على مناقب عالية يذكرون بها في الدنيا ذكراً حسناً ويثنى عليهم بها في الآخرين إلى يوم القيامة وهذا حاصل من الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ، أمّا أعداؤهم من الرافضة فإنهم لا يؤمنون بفضائلهم لا العامة منها ولا الخاصة ، ولا يذكرونهم بالذكر الحسن ، وإنما يذكرونهم بالذكر السيء من السباب والشتائم ورميهم بالكفر ، وهذا ناشيء من عمى البصيرة والخذلان الذي حل بهم أعاذنا الله من ذلك .

* * *

(١) المستدرك ٦٢٥/٢ ثم قال عقبه : هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

★ المبحث الثاني ★

الثناء على أهل بدر[1]

إن الصحابة الذين شهدوا موقعة بدر مع رسول الله ﷺ هم الذين اختارهم رب العالمين واصطفاهم فجعل لهم ميزة تميزوا بها على غيرهم من عباد الله المؤمنين إذ أن معركة بدر تعتبر من أعظم المعارك التي انتصر فيها الإسلام على الكفر وأهله ، وبسببها انتشر ضوء الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية ، ثم إلى خارجها ، وبسببها أضيئت الطريق أمام الدعاة إلى الله لتحقيق العبودية لله – سبحانه وتعالى – ونبذ جميع المعبودات التي تعبد من دون الله نتيجة اتباع الهوى والتقليد الأعمى ، وكل من شارك من الصحابة في وقعة بدر كانت له المكانة اللائقة بالثناء الحسن في الدنيا والفوز بالجنة والنجاة من النار في الآخرة ، فأهل بدر هم النجوم التي أضاءت تاريخ الإسلام حتى أصبح يقال لأحدهم : فلان بدري ، وشهد بدراً وكفى بهذه المنقبة شرفاً وتعظيماً لهم في هذه الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وكفى بذلك أجراً وإحساناً عند رب العالمين في الحياة الآخرة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فلقد أعطاهم ذلك ربهم – تبارك وتعالى – وفضلهم على كثير من عباده تفضيلا ، وكانت هذه الغزوة المباركة في السنة الثانية من الهجرة[2] وقد كان عدد المشركين الذين جاءوا من مكة لإطفاء نور الله ألفاً وفي

---

(١) قال الحافظ ابن حجر : قوله (ببدر) هي قرية مشهورة نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها ، ويقال بدر بن الحارث ، ويقال : بدر اسم البئر التي سميت بذلك لاستدارتها ، أو لصفاء مائها فكان البدر يري فيها « الفتح » ٢٨٥/٧ وانظر معجم البلدان ٣٧٥/١ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٢/٢ ، تاريخ الأمم والملوك ٤١٨/٢ ، الكامل لابن الأثير ١١٦/٢ – البداية والنهاية ٢٥٨/٣ ، زاد المعاد ١٧١/٣ .

رواية أنهم خمسون وتسعمائة[1] ، وأمَّا عدد الفئة المؤمنة التي تصدت لمشركي قريش فقد كان عددهم ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا .

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه » الحديث[2] .

وفي سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عمرو أن عددهم ثلاثمائة وخمسة عشر رجلا »[3] .

قال ابن جرير: «وأمَّا عامة السلف فإنهم قالوا: كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا»[4] والبضع هذا تفسيره ما جاء في رواية صحيح مسلم المتقدمة أنه «تسعة عشر رجلا» وهذه الفئة المؤمنة جاء الثناء عليهم في الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة.

ففي الكتاب العزيز شهد الله لهم بإخلاص نياتهم في الجهاد في سبيل الله ومن أجل ذلك أكرمهم الله – تعالى – بالنصر على أعداء الله من أهل الكفر والضلال ، وما ذلك إلا لفضلهم عند الله – جل وعلا – وأن لهم كرامة ومكانة ومنزلة رفيعة عنده – تبارك وتعالى – كما شهد الله لهم بحقيقة الإيمان .

فالآيات التي أثنى الله عليهم بما ذكر هي :

١ – قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[5] .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٥/٣ ، وانظر البداية والنهاية ٢٨٤/٣ .
(٢) صحيح مسلم ١٣٨٤/٣ .
(٣) سنن أبي داود ٧٢/٢ .
(٤) تاريخ الأمم والملوك ٤٣٢/٢ .
(٥) سورة آل عمران آية / ١٣ .

هذه الآية تشير إلى اللقاء الذي وقع بين المسلمين وبين المشركين يوم بدر ، وفيها ثناء من الله – تعالى – على أهل بدر بخلوص نياتهم في الجهاد يوم بدر وأنهم ما قاتلوا يومذاك حمية ولا شجاعة ولا لترى أماكنهم ، وإنما قاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى فأيدهم الله بنصره وأكرم بها من منقبة وأكرم به من موقف عظيم يذكرون به في الدنيا والآخرة وجدير بهذا الموقف العظيم أنه موضع للتفكر والاتعاظ والاعتبار لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة .

قال العلامة ابن جرير الطبري رحمه الله عند قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ الآية : يعني : بذلك – جل ثناؤه – قل يا محمد للذين كفروا من اليهود الذين بين ظهراني بلدك قد كان لكم آية يعني علامة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستغلبون والفئة الجماعة من الناس التقتا للحرب وإحدى الفئتين ، رسول الله ﷺ ومن كان معه ممن شهدوا وقعة بدر والأخرى مشركوا قريش ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جماعة تقاتل في طاعة الله وعلى دينه وهم رسول الله ﷺ وأصحابه ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ وهم مشركوا قريش .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ قال: أصحاب رسول الله ﷺ ببدر ﴿ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ فئة قريش الكفار .

وقال عكرمة في قوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال : محمد ﷺ وأصحابه ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ قال : قريش يوم بدر .

وقال مجاهد : ذلك يوم بدر التقى المسلمون والكفار[1] .

ومن خلال أقوال أئمة التفسير تبين أن الآية اشتملت على المدح والثناء على الفئة المؤمنة من البدريين ، كما أنها أيضاً تضمنت التهديد لليهود الذين كانوا

---

(١) جامع البيان ٣/١٩٣ – ١٩٤ .

في المدينة حينذاك ، فقد أخرج ابن جرير الطبري وغيره عن ابن عباس قال : لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر فقدم المدينة جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال : يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً فقالوا : يا محمد لا تغرنك نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً[1] لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تأت مثلنا فأنزل الله - عز وجل - في ذلك من قوله :﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ إلى قوله : ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ اهـ[2]

فكأنه يقول لهم : يا معشر يهود لا يغرنكم كثرة العدد ، ولا المال والولد فليس هذا سبيل النصر والغلب فالحوادث التي تجري في هذا الكون أعظم دليل على فساد ما تدعون انظروا إلى الفئتين اللتين التقتا ، فئة قليلة من المؤمنين عددها ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا ولم يكن معها من القوة إلا سبعون بعيراً يعتقبونها وفرسان فقط[3] ولما كانت تقاتل في سبيل الله كتب لها الفوز والغلب على الفئة الكثيرة من المشركين التي كان عددها ألف رجل ومعها من القوة مائتا فرس يقودونها[4] وفي هذا عبرة أيما عبرة لذوي البصائر السليمة التي استعملت العقول فيما خلقت لأجله من التأمل في الأمور والاستفادة منها ووجه العبرة في هذا أن هناك قوة فوق جميع القوى وهي قوة الله التي يؤيد بها الفئة المؤمنة القليلة ، فتغلب الفئة المشركة الكثيرة بإذنه - تعالى - وقال ابن جرير مبيناً معنى قوله - تعالى - في الآية السابقة : ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ . وتأويل الكلام قد كان

---

(١) قال في النهاية : الأغمار جمع - غمر - بالضم - وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور ٣/٣٨٥ .

(٢) جامع البيان ٣/١٩٢ ، وتفسير البغوي على حاشية الخازن ١/٢٧٢ ، وتفسير ابن كثير ٢/١٤ .

(٣) السيرة لابن هشام ١/٦١٣ ، زاد المعاد ٣/١٧١ ، البداية والنهاية ٣/٢٨٥ ، وانظر مسند الإمام أحمد ١/٤١١ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، المستدرك للحاكم ٣/٢٠ .

(٤) البداية والنهاية ٣/٢٨٤ .

لكم آية يا معشر اليهود في فئتين التقتا :

إحداهما : تقاتل في سبيل الله .

وأخرى : كافرة يراهم المسلمون مثليهم رأي أعينهم فأيدنا المسلمة وهم قليل عددهم على الكافرة وهم كثير عددهم حتى ظفروا بهم معتبر ومتفكر والله يقوي بنصره من يشاء - وقال جل ثناؤه - إن في ذلك يعني فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم من تأييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددها على الفئة الكافرة مع كثرة عددها لعبرة يعني : لمتفكراً ومتعظاً لمن عقل وأدرك فأبصر الحق » اهـ[1] .

٢ - وأمّا الشهادة من الله تعالى للبدريين بحقيقة الإيمان ففي قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]

فقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ فيها إخبار من المولى - جل وعلا - بحقيقة إيمانهم فلقد أخبر - سبحانه - نبيه عليه الصلاة والسلام أنه قواه وأعانه بنصره يوم بدر ، كما أيده وأعانه بالمؤمنين ، والمؤمنون الذين أيده بهم هم المهاجرون والأنصار الذين حضروا موقعة بدر المباركة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وإنما أيده في حياته بالصحابة » اهـ[3] .

وقال مقاتل : في بيان معنى الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ قال : قواك بنصره وبالمؤمنين من الأنصار يوم بدر[4] .

وقال ابن جرير : عند الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول : الله الذي قواك بنصره إياك على أعدائه ﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني :

---

(١) جامع البيان ١٩٨/٣ ، وانظر « تفسير البغوي » على حاشية تفسير الخازن ٢٧٣/١ وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥/٢ .

(٢) سورة الأنفال آية ٦٢ - ٦٣ .

(٣) منهاج السنة ١٥٦/١ .

(٤) زاد المسير ٣٧٦/٣ .

بالأنصار[1] .

وقال أبو عبد الله القرطبي : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ ﴾ أي : قواك بنصره يريد يوم بدر ﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النعمان بن بشير: نزلت في الأنصار ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي : جمع بين قلوب الأوس والخزرج وكان تألف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبي ﷺ ومعجزاته لأن أحدهم كان يلطم اللطمة فيقاتل عنها حتى يستقيدها ، وكان أشد خلق الله حمية فألف الله بالإيمان بينهم حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين ، وقيل : أراد التأليف بين المهاجرين والأنصار ، والمعنى متقارب » اهـ[2] .

فالآية اشتملت على الثناء بالإيمان الحقيقي على أهل بدر من الفريقين من مهاجرين وأنصار الذين حضروا تلك الغزوة وأيد الله بهم رسوله ﷺ .

٣ - قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] .

وفي هذه الآية مدح الله - تعالى - المتبعين لنبيه ﷺ بصفة الإيمان التي هي أعلا صفات الكمال وفي مقدمة هؤلاء الفئة المؤمنة من أهل بدر رضي الله عنهم أجمعين ، ومعنى الآية كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصراً . قال ابن جرير عند هذه الآية : « يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : يا أيها النبي حسبك الله ، وحسب من اتبعك من المؤمنين ، الله يقول لهم جل ثناؤه ناهضوا عدوكم فإن الله كافيكم أمركم ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم فإن الله مؤيدكم بنصره »[4] .

---

(١) جامع البيان ٣٥/١٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤٢/٨ .

(٣) سورة الأنفال آية / ٦٤ .

(٤) جامع البيان ٣٧/١٠ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عند الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾ » أي : الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين والصحابة أفضل من اتبعه من المؤمنين وأولهم » اهـ[1].

وقد نقل القرطبي رحمه الله تعالى عن ابن الكلبي أن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أنها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال[2] وعلى هذا يكون المراد بالذين اتبعوه في هذه الآية هم البدريون الذين كان عددهم ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا كما تقدم .

٤ - قال تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3] فالمقصود بالمؤمنين في هذه الآية هم الذين شهدوا بدراً مع رسول الله ﷺ وقاتلوا معه أعداء دينه من كفار قريش فلقد شهد الله لهم في هذه الآية بأنهم مؤمنون وأكرم بها من شهادة صادرة عمن يعلم السر وأخفى فهو - سبحانه - علم حقيقة أنفسهم وما انطوت عليه من تحقيق الإيمان الصادق ، فأخبر - سبحانه - بما استقر في نفوسهم الزكية من حقيقة الإيمان والبلاء الحسن الذي أبلي به أولئك المؤمنون هو ما أنعم الله به عليهم من الظفر بأعدائهم وغنيمتهم ما معهم ، وإثبات ما لهم من الأجر على أعمالهم وجهادهم مع الرسول ﷺ ذلك هو البلاء الحسن .

وقد ذكر ابن جرير رحمه الله عن ابن إسحاق أنه قال في قوله تعالى ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ﴾ أي : ليعرِّف المؤمنين من نعمه عليهم في إظهارهم على عدوهم مع كثرة عددهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه وليشكروا بذلك نعمته » اهـ[4].

---

(١) منهاج السنة ١٥٦/١ ، وانظر زاد المعاد ٣٥/١ - ٣٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣/٨ .

(٣) سورة الأنفال آية / ١٧ .

(٤) جامع البيان ٢٠٦/٩ .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى عند قوله تعالى :﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾: « فهذه الآية نزلت في شأن رميه ﷺ المشركين يوم بدر بقبضة من الحصباء فلم تدع وجه أحد منهم إلا أصابته » اهـ[1] .

وروى ابن جرير الطبري : بإسناده إلى محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي أنهما قالا : لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال : « **شاهت الوجوه** » فدخلت في أعينهم كلهم ، وأقبل أصحاب رسول الله ﷺ يقتلونهم ويأسرونهم ، وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله ﷺ وأنزل الله : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[2] .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : « وأخذ رسول الله ﷺ ملء كفه من الحصباء فرمى بها وجوه العدو ، فلم تترك رجلا منهم إلا ملأت عينيه ، وشغلوا بالتراب في أعينهم وشغل المسلمون بقتلهم فأنزل الله في شأن هذه الرمية على رسوله : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[3] .

فالآية اشتملت على مدح أهل بدر والثناء عليهم بصفة الإيمان التي هي من أعلا صفات الكمال التي يسعى لتحقيقها عباد الله المؤمنون بكل ما يمكنهم من العمل الصالح .

٥ – قال تعالى : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾[4]

٦ – وقال تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ

---

(١) مدارج السالكين ٤٢٦/٣ .

(٢) جامع البيان / ٩ / ٢٠٥ وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس بسند رجاله رجال الصحيح انظر مجمع الزوائد ٨٤/٦ .

(٣) زاد المعاد ٨٢/٣ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٢٤ .

قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[1] .

فقوله تعالى﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾وقوله﴿ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ شهادة قاطعة يقينية على إثبات إيمان أهل بدر رضي الله عنهم وكفى بهذه الشهادة شرفاً ورفعة لأولئك البدريين الأطهار إذ هي شهادة صادرة من رب السموات والأرض وما بينهما الذي يعلم الأمور على حقائقها وما هي عليه . قال ابن جرير رحمه الله تعالى عند الآية ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بك من أصحابك﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ وذلك يوم بدر » اهـ[2] .

وقد بين الله في الآية السابقة وهي قوله تعالى:﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ الآية أن المطر الذي أنزله على أرض بدر كان لهم فيه أربع فوائد هي :

١) تطهيرهم حسياً بالنظافة التي تنشط الأعضاء وتدخل السرور على النفس وشرعياً بالغسل من الجنابة ، والوضوء من الحدث الأصغر .

٢) إذهاب رجس الشيطان عنهم ووسوسته .

٣) الربط على قلوبهم ، أي : توطين النفس على الصبر وتثبيتها كما قال تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] .

٤) تثبيت أقدامهم ذلك أن المطر لبّد الرمل وصيره بحيث لا تغوص فيه أرجلهم فقدروا على مناجزة أعدائهم من المشركين[4] .

---

(١) سورة الأنفال آية ١١ – ١٢ .

(٢) جامع البيان ٧٦/٤ .

(٣) سورة القصص آية / ١٠ .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ١٩٤/٩ ، وانظر زاد المعاد لابن القيم ١٧٥/٣ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٧٣/٧ ، تفسير ابن كثير ٢٨٩/٣ .

وفي هذه الفوائد الأربع تكريم لأولئك البدريين رضوان الله عليهم أجمعين .

وأمّا قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[1] .

وهذه الآية مع ما دلت عليه من إثبات إيمان أهل بدر كذلك دلت صراحة على مشاركة الملائكة في قتال أعداء الدين من كفار قريش .

وقد جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنها قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم[2] فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستقلياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : « **صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة** ... » الحديث[3] .

وروى الإمام أحمد بإسناده إلى أبي داود المازني وكان شهد بدراً قال : إني لأتبع رجلا من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قتله غيري[4] .

وروى أيضاً رحمه الله بإسناده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ... قال : جاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً فقال العباس : يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني لقد أسرني رجل أجلح[5] من أحسن الناس

---

(١) سورة الأنفال آية / ١٢ .

(٢) قال في النهاية « حيزوم » جاء في التفسير أنه اسم فرس جبريل عليه السلام ٤٦٧/١ .

(٣) صحيح مسلم ١٣٨٤/٣ - ١٣٨٥ .

(٤) المسند ٤٥٠/٥ وابن هشام في السيرة ٦٣٣/١ .

(٥) قال ابن الأثير : الأجلح من الناس الذي انحسر الشعر عن جانبي رأسه ٢٨٤/١ .

وجهاً على فرس أبلق[1] ما أراه في القوم ، فقال الأنصاري : أنا أسرته يا رسول الله ، فقال : « **اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم** »[2] .

فهذه الأحاديث صرحت بمشاركة الملائكة في قتال المشركين يوم بدر .

قال العلامة ابن القيم : « وكانت الملائكة يومئذ تبادر المسلمين إلى قتل أعدائهم » اهـ[3] .

وإمداد الله – تعالى – لهم بالملائكة لم يكن دفعة واحدة بل كان بالتدريج « قال الربيع بن أنس : أمد الله المسلمين يوم بدر بألف ، ثم زادهم فصاروا ثلاثة آلاف ، ثم زادهم فصاروا خمسة آلاف ، قال الحافظ ابن حجر وكأنه جمع بذلك بين آيتي آل عمران والأنفال »[4] .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى الحكمة في قتال الملائكة مع الصحابة في بدر فقال : قال الشيخ تقي الدين السبكي : « سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه ؟ فقلت : وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله – تعالى – في عباده ، والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم »[5] .

وفيما قدمنا من الآيات القرآنية إثبات لفضل تلك الفئة المؤمنة من البدريين وكما ثبت فضلهم بنص القرآن الكريم كذلك ورد في إثبات فضلهم الكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة ومنها ما يلي :

---

(١) قال في اللسان البلق الدابة ، والبلق سواد وبياض وكذلك البلقة « بالضم » ٢٥/١٠ .

(٢) المسند ١١٧/١ .

(٣) زاد المعاد ١٨٣/٣ .

(٤) فتح الباري ٣٣/٧ وانظر جمع قتادة بين الآيتين في جامع البيان ٧٨/٤ .

(٥) فتح الباري ٣١٣/٧ .

١ - روى الإمام البخاري بإسناده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير - وكلنا فارس - قال : « **انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ**[1] **فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب ابن أبي بلتعة إلى المشركين** » فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا : الكتاب فقالت : ما معي كتاب ، وأنخناها ، فالتمسنا فلم نر كتاباً فقلنا : ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجن الكتاب ، أو لنجردنك فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها - وهي محتجزة بكساء - فأخرجته ، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر : يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه . فقال النبي ﷺ « **ما حملك** » قال حاطب : والله ما بي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله ﷺ أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله فقال النبي ﷺ : « **صدق ولا تقولوا له إلا خيراً** » فقال عمر : إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه فقال : « **لعل الله اطلع على أهل بدر فقالوا اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو فقد غفرت لكم** » . فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم[2] .

فلله ما أعظم هذا التكريم لتلك الفئة المؤمنة من البدريين ، وما أعظم فضلها عند المولى - سبحانه وتعالى - .

قال الحافظ ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث : « ووقع الخبر بألفاظ منها : « فقد غفرت لكم » ومنها : « فقد وجبت لكم الجنة » ومنها : « لعل الله اطلع » لكن قال العلماء : إن الترجي في كلام الله وكلام رسوله للوقوع ، ثم قال : وقد استشكل قوله : « **اعملوا ما شئتم** » فإن ظاهره أنه للإباحة وهو خلاف

---

(١) روضة خاخ : موضع بين مكة والمدينة بقرب المدينة « شرح النووي على صحيح مسلم » ٥٥/١٦ وانظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٣٣٥/٢ .

(٢) صحيح البخاري ٧/٣ ، صحيح مسلم ١٩٤١/٤ .

عقد الشرع وأجيب : بأنه إخبار عن الماضي – أي : كل عمل كان لكم فهو مغفور ويؤيده أنه لو كان لما يستقبلونه من العمل لم يقل بلفظ الماضي ولقال : فسأغفره لكم ، وتعقب بأنه لو كان للماضي لما حسن الاستدلال به في قصة حاطب لأنه ﷺ خاطب به عمر منكراً عليه ما قال في أمر حاطب وهذه القصة كانت بعد بدر بست سنين فدل على أن المراد ما سيأتي ، وأورده في لفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ، وقيل : إن صيغة الأمر في قوله : « اعملوا » للتشريف والتكريم والمراد عدم المؤاخذة بما يصدر منهم بعد ذلك وأنهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التي اقتضت محو ذنوبهم السابقة وتأهلوا لأن يغفر الله لهم الذنوب اللاحقة إن وقعت ، أي : كل ما عملتموه بعد هذه الوقعة من أي عمل كان فهو مغفور .. وقيل : إن المراد ذنوبهم تقل إذا وقعت مغفورة . وقيل : هي بشارة بعدم وقوع الذنوب منهم . وفيه نظر ظاهر لقصة قدامة بن مظعون حيث شرب الخمر في أيام عمر وحده ... واتفقوا على أن البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها والله أعلم[١] .

وقال النووي : قال العلماء : معناه الغفران لهم في الآخرة وإلا فإن توجه على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه في الدنيا ونقل القاضي عياض الإجماع على إقامة الحد وأقامه عمر على بعضهم قال : وضرب رسول الله ﷺ مسطحاً الحد وكان بدرياً » اهـ[٢] .

وقال المناوي شارحاً لهذا الحديث : « اعملوا ما شئتم أن تعملوا فإني غفرت لكم ذنوبكم أي : سترتها فلا أؤاخذكم بها لبذلكم مهجكم في الله ونصر دينه والمراد إظهار العناية بهم وإعلاء رتبتهم والتنويه بإكرامهم والإعلام بتشريفهم وإعظامهم لا الترخيص لهم في كل فعل كما يقال للمحب افعل ما شئت أو هو

---

(١) الفتح ٣٠٥/٧ – ٣٠٦ ، وانظر « رسالته في الخصال المكفرة » ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٢٥٨/١ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٥٦/١٦ – ٥٧ .

على ظاهره والخطاب لقوم منهم على أنهم لا يقارفون بعد بدر ذنباً وإن قارفوه لم يصروا بل يوفقون لتوبة نصوح فليس فيه تخييرهم فيما شاءوا وإلا لما كان أكابرهم بعد ذلك أشد خوفاً وحذراً مما كانوا قبله » اهـ[1] .

٢ - روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ : « **كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية** »[2] .

هذا الحديث فيه شهادة لحاطب بدخول الجنة رغم أنه كان يريد أن يعلم قريشاً بمسير النبي ﷺ إليهم كما أن فيه التصريح بعدم دخول النار لمن شهد بدراً والحديبية .

٣ - وروى الإمام البخاري رحمه الله بإسناده إلى رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم قال : « **من أفضل المسلمين** » - أو كلمة نحوها - قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة »[3] .

وهذا الحديث تضمن بيان درجة أهل بدر ويبين أن لهم درجة كبيرة ، ومنزلة عظيمة عند الله - جل وعلا - فقد نالوا ذلك الفضل وتلك المنزلة بسبب ما قدموه في هذه الحياة الدنيا من جهد في نصرة الإسلام ، وقمع عبدة الأصنام وما وقر في قلوبهم الطيبة من حقيقة الإيمان فكون الملائكة تقاس بهم فإن ذلك من أعظم الأدلة على علو قدرهم وارتفاع درجتهم عند الله - تعالى - فرضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) شرح الجامع الصغير ٢/٢١٢ .
(٢) صحيح مسلم ٤/١٩٤٢ .
(٣) صحيح البخاري ٣/١٠ .

٤ – وروى البخاري رحمه الله بإسناده أيضاً إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « أصيب – حارثة –[١] يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني ، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب وإن تكن الأخرى تر ما أصنع فقال : « **ويحك – أو هبلت – أو جنة هي ؟ إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس** »[٢] . ورواه بلفظ آخر بإسناده إلى أنس رضي الله عنه أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت : يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب[٣] فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء قال « **يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى** »[٤] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد ذكره حديث حارثة هذا : « وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر فإن هذا لم يكن في بحيحة القتال ولا في حومة الوغي بل كان من النظارة من بعيد ، وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس – التي هي أعلا الجنان ، وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة – أن يسألوه إياها ، فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفاً في نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعُدداً » اهـ[٥] .

٥ – وجاء في مجمع الزوائد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا من الأنصار عمي فبعث إلى رسول الله ﷺ وقد اجتمع إليه قومه فتغيب رجل

---

(١) ستأتي ترجمته في ص ٧١٠ من هذه الرسالة .

(٢) صحيح البخاري ٧/٣ .

(٣) هو الذي : لا يعلم راميه ، أو لا يعرف من أين أتى ، أو جاء دون قصد من راميه « فتح الباري » ٢٧/٦ .

(٤) صحيح البخاري ١٣٩/٢ .

(٥) البداية والنهاية ٣٦١/٣ .

فقال رسول الله ﷺ : « **ما فعل فلان** » فذكره بعض القوم فقال رسول الله ﷺ : « **أليس قد شهد بدراً** » قالوا : نعم ولكنه كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ : « **فلعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** »[1] .

٦ – وفيه أيضاً : من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدراً إن شاء الله** »[2] .

٧ – وروى الحاكم بإسناده إلى عبد الرحمٰن بن عوف قال : كلم طلحة ابن عبيد الله عامر بن فهيرة بشيء فقال له رسول الله ﷺ : « **مهلا يا طلحة فإنه قد شهد بدراً كما شهدت وخيركم خيركم لمواليه** » ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[3] .

٨ – ومن مناقب أهل بدر التي دلت على علو شأنهم ، ورفعة مكانتهم أن النبي ﷺ بين أنهم كتيبة الإيمان وعصابة الإسلام التي كان لها السبق في نصر دين الإسلام وإعلاء كلمته ، وأن جهادهم في موقعة بدر كان من أعظم الأسباب في أن يعبد الله وحده لا شريك له على وجه الأرض . فقد روى الإمام مسلم بإسناده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في الدعاء الذي دعا به يوم بدر : « **اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض** »[4] .

ذلك هو الثناء في الكتاب والسنة على تلك الفئة المؤمنة من البدريين الفضلاء فقد أوضح الله ورسوله مكانتهم أتم وضوح فقد كانوا في القمة من الكمال وما حصل لهم ذلك إلا باستجابتهم لربهم – تبارك وتعالى – على الوجه

---

(١) مجمع الزوائد ١٦٠/٩ ثم قال الهيثمي رواه أبو داود وابن ماجة باختصار كثير في الأوسط وإسناده حسن .

(٢) المصدر السابق ١٦١/٩ وقال رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير خداش بن عياش وهو ثقة .

(٣) المستدرك ٧٧/٤ وأقره الذهبي .

(٤) صحيح مسلم ١٣٨٤/٣ .

المطلوب في امتثال الأوامر واجتناب النواهي ولذلك كان جزاؤهم أن وفقهم الله لصالح الأعمال في الدنيا ، وفازوا بالجنة في الأخرى والذي أخلص إليه مما تقدم أن الله تعالى أثنى على أهل بدر ثناءاً حسناً وبين النبي ﷺ مكانتهم وفضلهم في كثير من الأحاديث وقد ذكرنا بعضها فيما تقدم ، فقد بين عليه الصلاة والسلام أنهم مغفور لهم ، وأن من شهد بدراً لا يدخل النار وذلك نتيجة لما وقر في قلوبهم من الإيمان الذي ظهرت براهينه في أعمالهم ، وبسبب ذلك نصرهم الله على عدوهم في موقعة بدر رغم قلة عددهم وعدتهم ، ففتح الله عليهم وأخزى أئمة الكفر وشفى صدورهم رضي الله عنهم في أعداء الله وأعداء رسوله والمؤمنين .

قال العلامة ابن القيم : « ثم ارتحل – أي رسول الله ﷺ – بعد انتهاء معركة بدر مؤيداً منصوراً ، قرير العين بنصر الله له ، ومعه الأسارى والمغانم »[1] .

فكان هذا اليوم يوم سعد وفوز للنبي ﷺ وأصحابه ، وكان يوم نحس وشؤم على الكافرين والمشركين وذلك لاختلاف الأعمال . قال العلامة ابن القيم : « فسعود الأيام ونحوسها : إنما هو لسعود الأعمال وموافقتها لمرضاة الرب ، ونحوس الأعمال إنما هو بمخالفتها لما جاءت به الرسل واليوم الواحد يكون يوم سعد لطائفة ، ونحس لطائفة كما كان يوم بدر ، يوم سعد للمؤمنين ، ويوم نحس على الكافرين » اهـ[2] .

* * *

(١) زاد المعاد ١٨٨/٣ .

(٢) مفتاح دار السعادة ١٩٤/٢ ، وانظر التفسير القيم لابن القيم ص ٤٣٠ .

★ المبحث الثالث ★

الثناء على أهل أحد[1]

لقد جاء الثناء في كتاب الله – عز وجل – وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام على تلك الفئة المؤمنة من الصحابة رضي الله عنهم الذين حضروا موقعة أحد بغية نصرة دين الله – تعالى – ونصرة سيد الخلق المبعوث بدين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده ديناً وكانت موقعة أحد في نصف شوال في السنة الثالثة للهجرة أول نهار السبت[2] وفي « فتح الباري » لإحدى عشرة ليلة خلت منه ، وقيل لسبع ، وقيل لثمان ، وقيل لتسع »[3] .

وذلك « لما قتل الله أشراف قريش ببدر ، وأصيبوا بمصيبة لم يصابوا بمثلها ورأس فيهم أبو سفيان بن حرب لذهاب أكابرهم ... أخذ يؤلب على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين ويجمع الجموع ، فجمع قريباً من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش وجاءوا بنسائهم لئلا يفروا وليحاموا عنهن ، ثم أقبل بهم نحو المدينة ، فنزل قريباً من جبل أحد بمكان يقال له عينين ... واستشار رسول الله ﷺ أصحابه أيخرج إليهم ، أم يمكث في المدينة ؟ وكان رأيه ألا يخرجوا من المدينة وأن يتحصنوا بها فإن دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة ، والنساء من فوق البيوت ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي ، وكان هو الرأي فبادر جماعة من

---

(١) قال السهيلي : سمي أحدا لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك اهـ الروض الأنف ٤٤٨/٥ وبهذا قال ابن كثير في البداية والنهاية ١١/٤ ، وانظر فتح الباري ٣٧٦/٧ – ٣٧٨ ، لوامع الأنوار البهية ٣٦٧/٢ ، وأحد جبل معروف يقع شمال المدينة .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٤٩٩/٢ ، جامع البيان ٧٠/٤ ، تفسير البغوي مع الخازن ٣٤٤/١ الكامل في التاريخ ١٤٨/٢ ، ١٥٠ ، البداية والنهاية ١١/٤ ، تفسير القرآن العظيم ١٠٤/٢ .

(٣) فتح الباري ٣٤٦/٧ .

فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر ، وأشاروا عليه بالخروج ، وألحوا عليه في ذلك ، وأشار عبد الله بن أبي بالمقام في المدينة ، وتابعه على ذلك بعض الصحابة فألح أولئك على رسول الله ﷺ فنهض ودخل بيته ولبس لأمته وخرج عليهم وقد انثنى عزم أولئك وقالوا أكرهنا رسول الله ﷺ على الخروج فقالوا : يا رسول الله إن أحببت أن تمكث في المدينة فافعل فقال رسول الله ﷺ « **ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه** »[1] فخرج عليه الصلاة والسلام في ألف من الصحابة بيوم الجمعة فلما صار بالشوط بين المدينة وأحد رجع عنه عبد الله بن أبي بثلث الناس[2] وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ؟ فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول : يا قوم أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكنا لا نرى أنه يكون قتال قال : فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه[3] وهكذا أخرج الله المنافقين مع رئيسهم من بين المؤمنين حقاً الذين هم أهل لتخليد ذكراهم بالثناء الجميل في الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة ويذكرون بهذا الثناء الطيب على مر الأيام والليالي إلى يوم القيامة وكان عددهم رضي الله عنهم سبعمائة فيهم خمسون فارساً[4] ولقد جاء الثناء عليهم في القرآن في غير ما آية :

١ - قال تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد ٣٥١/٣ ، والحاكم في المستدرك ١٢٨/٢ - ١٢٩ ووافقه الذهبي على تصحيحه ، سنن الدارمي ١٢٩/٢ .

(٢) زاد المعاد لابن القيم ١٩٢/٣ - ١٩٤ ، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٦٣/٢ - ٦٤ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٦٤/٢ .

(٤) زاد المعاد ١٩٤/٣ وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٦٥/٢ ، البداية والنهاية ١٥/٤ .

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] هذه الآية تضمنت الثناء البالغ على أهل أحد بشهادة الله – تعالى – لهم بحقيقة الإيمان الذي حل واستقر في قلوبهم الطيبة وفي هذه الشهادة فضيلة أيما فضيلة لمن حضر من الصحابة موقعة أحد .

وقد اختلف السلف رحمهم الله تعالى في المراد بهذه الآية . فقال بعضهم : عنى بذلك يوم أحد .

قال حبر الأمة عبد الله بن عباس في قوله : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ قال : هو يوم أحد .

وقال قتادة : ذلك يوم أحد غدا نبي الله ﷺ من أهله إلى أحد يبوئ المؤمنين وبهذا القول قال مجاهد والربيع بن أنس والسدي وابن إسحاق .

وقال بعضهم : عنى بذلك يوم الأحزاب .

وهذا القول ذهب إليه مجاهد في رواية عنه والحسن ومقاتل والكلبي وفي رواية عن الحسن أيضاً أنه يوم بدر . وأرجحها هو ما ذهب إليه الجمهور وهو أن المراد من ذلك يوم أحد . لأن الله تعالى قال في الآية التي بعدها:﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ ولا خلاف بين أهل التفسير أنه عنى بالطائفتين بنو سلمة وبنو حارثة ، ولا خلاف بين أهل السير والمعرفة بمغازي رسول الله ﷺ أن الذي ذكر الله من أمرهما إنما كان يوم أحد دون يوم الأحزاب »[2] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى بعد قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية المراد بهذه الوقعة يوم أحد عند الجمهور قاله ابن عباس وقتادة والسدي وغير واحد[3] .

---

(١) سورة آل عمران آية / ١٢١ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٦٩/٤– ٧٠، زاد المسير ٤٩٩/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨٤/٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠٤/٢ .

فالآية اشتملت على منقبة عظيمة لجميع الصحابة الذين حضروا موقعة أحد بغية نصرة دين الإسلام وإذلال الشرك وخفض رايته بالجهاد في سبيل الله وتلك المنقبة التي تضمنتها الآية هي إخبار الله - جل وعلا - بثبوت حقيقة الإيمان ورسوخه في قلوبهم الطاهرة النقية رضي الله عنهم أجمعين .

٢ - وقال تعالى:﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[١] . هذه الآية فيها ثناء ومدح عظيم على الطائفتين اللتين همتا بالفشل وهاتان الطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة كانتا في يوم أحد جناحي معسكر الإيمان ، والهم الذي همت به هاتان الطائفتان هو الانصراف عن رسول الله ﷺ والمؤمنين وذلك حين انصرف ابن أبي بثلث الناس ، وهذا الهم الذي حصل لهما لم يكن عن شك في الإسلام ، أو نفاق حاشاهما من ذلك وإنما كان نتيجة عارض الضعف وشيء من الجبن عن لقاء العدو ، ولكن الله تعالى تدارك الطائفتين بالعصمة - مما كانا قد هما به فقويت عزائمهم وثبتوا على الرشد ومضوا لقتال أهل الشرك تحت راية الإسلام مع سيد الأنام عليه الصلاة والسلام .

والثناء الذي حظيت به هاتان الطائفتان هو أن الآية ناطقة مفصحة بأن الله وليهم وأن تلك الهمة التي هموها ما أخرجتهم من ولاية الله تعالى وفي هذا من الشرف العظيم لهاتين الطائفتين ما لا يعلمه إلا الله ، فقد روى الشيخان من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:فينا نزلت:﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ بنو سلمة وبنو حارثة وما نحب أنها لم تنزل لقول الله - عز وجل - ﴿وَلِيُّهُمَا﴾[٢] . حق لجابر رضي الله عنه أن يسر ويفرح بالتنويه بهذه المنقبة العظيمة لأن ولاية الله لا يظفر بها إلا المؤمنون والصالحون من عباده .

قال تعالى :﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٣]

---

(١) سورة آل عمران آية / ١٢٢ .

(٢) صحيح البخاري ١١٣/٣ ، صحيح مسلم ١٩٤٨/٤ .

(٣) سورة البقرة آية / ٢٥٧ .

وقال : ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى شارحاً لحديث جابر : « قوله : نزلت هذه الآية فينا أي في قومه بني سلمة وهم من الخزرج وفي أقاربهم بني حارثة وهم من الأوس » وقوله : وما أحب أنها لم تنزل والله يقول : ﴿ وَلِيُّهُمَا ﴾ أي : وإن الآية وإن كان في ظاهرها غض منهم لكن في آخرها غاية الشرف لهم قال ابن إسحاق : قوله : ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ أي : الدافع عنهما ما هموا به من الفشل لأن ذلك كان من وسوسة الشيطان من غير وهن منهم »[2].

فالآية تضمنت منقبة عظيمة للطائفتين اللتين هما بنو سلمة وبنو حارثة حيث صرحت الآية بولاية الله لهما وحفظهما مما كانا قد هما به وهو الانصراف عن الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين يوم أحد وأن ذلك الهم لم يخرجهما من ولاية الله لهما .

٣ - وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] . هذه الآية تحمل في طياتها الثناء على أهل أحد وهذا الثناء هو صدق الله لهم ما وعدهم به من النصر على أعدائهم ، وعفوه تعالى عنهم لما وقع من بعضهم من فشل وتنازع في أمر الحرب وإرادة الحياة الدنيا وبين تعالى أن ذلك من فضله على أولئك الصفوة رضي الله عنهم كما تضمنت الثناء على بعضهم بإرادتهم الآخرة قبل الدنيا والثناء عليهم جميعاً بتحقيقهم الإيمان الذي هو ينبوع كل خير والدافع إلى كل بر وإلى كل ما يحقق للإنسان السعادة

---

(١) سورة الأعراف آية / ١٩٦ .

(٢) فتح الباري ٣٥٧/٧ .

(٣) سورة آل عمران آية / ١٥٢ .

في دنياه وآخرته ، وقد يخطر على بال إنسان فيقول : إن الله – جل وعلا – قد أخبر أن في أهل أحد من يريد الدنيا وذلك بقوله في الآية: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ويجاب عن هذا أن ذلك لا يقدح في حقيقة إيمانهم دل على هذا تمام الآية فقد أخبر – تعالى – أنه قد عفا عنهم وبين أن ذلك العفو كان فضلا منه تعالى تفضل به عليهم بسبب إيمانهم قال تعالى في ختام الآية ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾وهذا من تمام نعمه – جل وعلا – على عباده المؤمنين حيث نصرهم أولا في وقعة أحد ، ثم عفا عن المخطئين بترك مقاعدهم التي أمرهم الرسول بلزومها وعدم تركها ثانياً لأنه تعالى ذو الفضل والطول والإحسان[1] روى ابن جرير بإسناده إلى ابن إسحاق أنه قال:﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول : وكذلك منَّ الله على المؤمنين أن عاقبهم ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدباً وموعظة فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم لما أصابوا من معصيته رحمة لهم وعائدة عليهم لما فيهم من الإيمان » اهـ[2].

٤ – قال تعالى مادحاً أهل أحد عندما ندبهم رسول الله ﷺ لتعقب جيش الشرك الذي جاء إلى أحد بقيادة أبي سفيان بعد انتهاء معركة أحد : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[3] .

هذه الآيات اشتملت على مدح عظيم للصحابة رضي الله عنهم الذين

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٣٢/٤ – ١٣٤ ، تفسير البغوي على الخازن ٣٦٣/١ ، الجامع الأحكام القرآن للقرطبي ٢٣٧/٤ ، تفسير ابن كثير ١٢٧/٢ ، تفسير روح المعاني للألوسي ٩٠/٤ .

(٢) جامع البيان ١٣٢/٤ .

(٣) سورة آل عمران آية / ١٧٢ – ١٧٤ .

حضروا مع النبي ﷺ وقعة أحد فقد مدحهم الله - تعالى - بالاستجابة لله والرسول حينما ندبهم ﷺ لتعقب أبي سفيان في اليوم الثاني من غزوة أحد وقد أجابوا الدعوة ولبوا النداء وأتوا بالمطلوب منهم على أكمل وجه واتقوا عاقبة تقصيرهم على ما هم عليه من جراح وآلام أصابتهم ، وقد وعد تعالى المحسنين المتقين منهم بالثواب العظيم وقد فعلوا رضي الله عنهم ما وعدهم الثواب عليه ، كما أثنى عليهم - تبارك وتعالى - بقوة الإيمان وزيادته والصبر على البلاء وتفويضهم كل الأمور باللجأ إلى الله تعالى ، كما أخبر - تعالى - أنه أكرمهم بأن انقلبوا إلى أهليهم وقد تظاهرت عليهم نعم الله فسلموا من تدبير عدوهم وأطاعوا رسولهم وفازوا بالأجر الكريم ، ولم يمسسهم قتل ولا أذى ، كما أثنى عليهم تعالى - بأنهم اتبعوا في كل ما أتوا من قول أو فعل رضا الله الذي هو وسيلة النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة فأطاعوا رسوله في كل ما به أمر ، وعنه نهى ، وقد بين - تعالى - أنه تفضل عليهم بزيادة الإيمان ، والتوفيق إلى المبادرة إلى الجهاد ، والجرأة على العدو وحفظهم من كل ما يسوؤهم. وقد اتفق العلماء أن المراد بالذين استجابوا لله والرسول في قوله : ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هم المهاجرون والأنصار الذين حضروا معه ﷺ وقعة أحد ، قال العلامة ابن جرير رحمه الله تعالى بعد قوله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ الآية : « يعني بذلك جل ثناؤه : وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكلوم ، وإنما عنى الله - تعالى - ذكره بذلك الذين اتبعوا رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد في طلب العدو أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش منصرفهم من أحد وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد خرج رسول الله ﷺ في إثره حتى بلغ حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة ليرى الناس أن به وأصحابه قوة على عدوهم »[1] .

(١) جامع البيان ١٧٦/٤ .

وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ الآية ثم ساق بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت لعروة : يا ابن أختي كان أبواك منهم : - الزبير وأبو بكر - لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال : « **من يذهب في أثرهم ؟** » فانتدب منهم سبعون رجلًا قال : كان فيهم أبو بكر والزبير »[1].

فالإمام البخاري بين لنا سبب نزول الآية وأنها تتعلق بأحد وأن الذين خرجوا لطلب العدو بلغوا سبعين رجلا منهم أبو بكر والزبير بن العوام وأخرج ابن جرير الطبري بإسناده إلى ابن عباس أن منهم أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمٰن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبا عبيدة بن الجراح »[2] وذكر القرطبي أنه نهض مع النبي ﷺ مائتا رجل من المؤمنين » اهـ[3] .

فالآية اشتملت على المدح والثناء على الصحابة من أهل أحد بالاستجابة والطاعة لله - جل وعلا - في جميع أوامره وطاعتهم الرسول عليه الصلاة والسلام طاعة يرجون من ورائها ثواب الله - تعالى - ولم يمنعهم من ذلك ما بهم من جروح وكلوم أصابتهم في سبيل الله يوم أحد بل خرجوا إلى حمراء الأسد ممتثلين لندب الرسول ﷺ إياهم ، متلذذين بتلك الطاعة التي أنستهم كل ألم ، وكل أذى أصابهم في ذات الله وزادهم ذلك قوة وجراءة واستعداداً لمواجهة أهل الشرك وقتالهم حتى يدخلوا في دين الله الحق ، فلقد أحسنوا رضي الله عنهم في الإجابة إلى الغزو واتقوا معصية الرسول والتخلف عنه فأكرمهم الله - عز وجل - بالثواب الجزيل العظيم وهو الجنة ، رضي الله عنهم وأرضاهم وأكرمنا بفضله معهم .

---

(١) صحيح البخاري ١٢٦/٣ .

(٢) جامع البيان ١٧٧/٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٧/٤ .

وأمّا قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ هذه الآية أيضاً: فيها إخبار بأن « هذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول والناس الأولى – في هذه الآية – هم قوم كان أبو سفيان سألهم أن يثبطوا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أحد إلى حمراء الأسد ، والناس الثانية هم أبو سفيان وأصحابه من قريش الذين كانوا معه بأحد وقوله : ﴿ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾ أي : قد جمعوا الرجال للقائكم ، والكرة إليكم لحربكم ﴿ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ فاحذروهم واتقوا لقاءهم فإنه لا طاقة لكم بهم ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ أي: فزادهم ذلك من تخويف من خوفهم أمر أبي سفيان وأصحابه من المشركين يقيناً إلى يقينهم ، وتصديقاً لله ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم و لم يثنهم ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بالسير فيه ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه ، وقالوا ثقة بالله ، وتوكلا عليه إذ خوفهم من خوفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ أي : كفانا الله وهو نعم المولى لمن وليه وكفله ... فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآية قد كانوا فوضوا أمرهم إلى الله ووثقوا به وأسندوا ذلك إليه وصف نفسه بقيامه لهم بذلك وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة فقال : ونعم الوكيل الله تعالى لهم »(١).

هذه صفة أهل الإيمان والتقوى من صحابة رسول الله ﷺ حيث « توعدهم الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الأعداء فما اكترثوا لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به »(٢) فالآية تضمنت ثناء الله عليهم بقيلهم ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ وأن تخويف الناس لهم بكثرة عددهم وقوة عدتهم زادهم تصديقاً ويقيناً في دينهم، وإقامة على نصرتهم لدين الإسلام معتمدين على الله– عز وجل–

(١) جامع البيان ١٧٨/٤ – ١٧٩ ، وانظر تفسير البغوي على الخازن ٣٧٨/١ .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٦١/٢ .

في كل الأمور وبهذه الصفات الطيبة كانوا أصفى خلق الله وخيرتهم بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وأمّا قوله عز وجل :﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ ففيها أيضاً: ثناء جميل وإكرام عظيم للذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح فقد أكرمهم الله بأن رجعوا سالمين من حمراء الأسد فلم يلقوا عدواً بحيث كفاهم الله ما أهمهم ورد عنهم بأس الذين كفروا بقذف الخوف والرعب في قلوبهم ، ثم أثنى عليهم باتباعهم رضوان الله الذي هو مناط كل خير وسعادة في الدنيا والآخرة .فاتبعوا أمر الله وابتعدوا عن نهيه واتبعوا رسوله حين ندبهم للخروج ولذلك تفضل الله عليهم بالتوفيق والسداد فيما فعلوا وظفروا بالأجر العظيم والثواب الجزيل لاتباعهم ما يرضي الله ورسوله[1] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : قال تعالى : ﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ أي : لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم ورد عليهم بأس من أراد كيدهم فرجعوا إلى بلدهم﴿ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ مما أضمر لهم عدوهم » اهـ[2] .

٥ – أثنى الله تبارك وتعالى ثناءً حسناً على الشهداء والذين لحقوا بالرفيق الأعلى يوم أحد وهم مقاتلون في سبيل الله تعالى وفاء منهم بصدق ما عاهدوا الله تعالى عليه وقد جاء الثناء عليهم بالذكر الحسن في أربع آيات من الكتاب العزيز قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٨٣/٤ ، وانظر تفسير البغوي على حاشية الخازن ٣٨٠/١ ، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٣١٨/٣ ، وفتح القدير للشوكاني ٤٠٠/١ ، تفسير روح المعاني ١٢٩/٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٦٣/٢ .

خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[2]. هذه الآيات بين الله - تعالى - فيها مكانة الشهداء وعلو درجتهم وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون وفرحون بما آتاهم الله من الكرامة والفضل ، وأنهم يستبشرون بإخوانهم الذين لم يلحقوا بهم بما أنعم الله به عليهم من فضل وأنه لا خوف عليهم ولا حزن لأن الدار التي انتقلوا إليها هي دار الحياة والفرح لا حزن فيها ولا نغص في عيشها ، وقد كان عدد هؤلاء الشهداء الذين استشهدوا في أحد سبعين شهيداً كما في صحيح البخاري[3] رحمه الله تعالى منهم ستة من المهاجرين منهم سيد الشهداء حمزة ومصعب وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان وثقف بن عمرو وهذا يوافق ما رواه أبو عبد الله الحاكم عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة فمثلوا بهم وفيهم حمزة .... الحديث[4] .

فقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ هذه الآية تضمنت النهي عن ظن الموت بالشهداء ودلت على أنهم أحياء عند ربهم يرزقون والخطاب موجه للنبي ﷺ يقول « ولا تحسبنهم يا محمد أمواتاً لا يحسون شيئاً ولا يلتذون ولا يتنعمون فإنهم أحياء عندي متنعمون في رزقي فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي ، وحبوتهم به من جزيل ثوابي وعطائي »[5] .

---

(١) سورة آل عمران آية / ١٦٩ - ١٧١ .
(٢) سورة الأحزاب آية / ٢٣ .
(٣) صحيح البخاري ٢٦/٣ .
(٤) المستدرك ٣٥٩/٢ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .
(٥) جامع البيان ١٧٠/٤ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٦٨/٤ - ٢٧٤ وانظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ص ١٥٥ - القسم الأول وانظر فتح القدير للشوكاني ٣٩٩/١ .

قال الحافظ ابن كثير : بعد الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ الآية « يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار » اهـ[1] .

فالآية دلت على فضيلة عظيمة للشهداء وهي أن من لم ينهزم فقتل له الكرامة والحياة عند الله تعالى .

وأمَّا قوله تعالى : ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ هذه الآية اشتملت على تكريم عظيم لأولئك الشهداء وهو أنهم فرحون بما أعطاهم الله من الثواب والكرامة والإحسان والإفضال في دار النعيم ، ويفرحون ويسرون بإخوانهم الذين تركوهم أحياء في الحياة الدنيا على منهج الإيمان والجهاد لعلمهم بأنهم إذا ماتوا في سبيل الله لحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون . وبين تعالى « أنه لا خوف عليهم لأنهم قد أمنوا عقاب الله وأيقنوا برضاه عنهم فقد أمنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا ، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها للحظ الذي صاروا إليه والدعة والزلفة »[2] وهذا من أعظم التكريم الذي يكرم الله به من يشاء من عباده الذين بذلوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه الحنيف .

وأمَّا قوله تعالى : ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهذه الآية بين الله – تعالى – فيها أن الشهداء يستبشرون بما رزقوا من النعيم والفضل وهذا الاستبشار في هذه الآية كان لأنفسهم ، وأمَّا الاستبشار الأول الذي في الآية المتقدمة قبل هذه فإنه كان لغيرهم من إخوانهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٥٣/٢ .

(٢) جامع البيان ١٧٤/٤ ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٥٠٢/١ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٧٥/٤ ، فتح القدير للشوكاني ٣٩٩/١ ، أضواء البيان ٢٦٢/١ .

المؤمنين الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم وختم الله هذه الآية بالإخبار بأنه – تعالى – كما لا يضيع أجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع أجر المؤمنين .

قال العلامة ابن جرير الطبري : يقول : – جل ثناؤه – : ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني : بما حباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه ﴿وَفَضْلٍ﴾ يقول : وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب على ما سلف منهم من طاعة الله ورسوله ﷺ ، وجهاد أعدائه .... ومعنى قوله : ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لا يبطل جزاء أعمال من صدق رسوله واتبعه وعمل بما جاءه من عند الله .. ثم روى بإسناده إلى محمد بن إسحاق في قوله ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ الآية قال : – سروا – لما عاينوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب[1] .

فالآية اشتملت على التنويه باستبشار شهداء أحد بمغفرة الله تعالى لهم وفضله عليهم حين قدموا على ربهم – تبارك وتعالى – .

وأمّا قوله تعالى :﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ هذه هي الآية الرابعة التي سيقت في الثناء على شهداء أحد فقد بين – تعالى – فيها أن من الصحابة الذين حضروا غزوة أحد رجالا قاموا بما عاهدوا الله تعالى عليه ووفوا بما نذروا به فصبروا على الجهاد حتى استشهدوا في سبيل الله – تعالى – من أجل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه ومنهم من بقي بعد أولئك الشهداء وهم ينتظرون أحد الأمرين إمّا الشهادة أو النصرة وكانوا على عهدهم فلم يغيروه ، أو يبدلوه رضي الله عنهم حتى لقوا ربهم – تبارك وتعالى – ورضي الله عنهم أجمعين .

قال العلامة ابن جرير الطبري : يقول تعالى ذكره : ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله

---

(١) جامع البيان ١٧٥/٤ – ١٧٦ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٧/٢ ، وانظر في معنى الآية أيضاً : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٥/٤ ، فتح القدير للشوكاني ٣٩٩/١ .

ورسوله ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ﴾ يقول : أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَـهُۥ﴾ يقول : فمنهم من فرغ من العمل الذي كان أنذره لله وأوجبه له على نفسه ، فاستشهد بعض يوم بدر ، وبعض يوم أحد ، وبعض في غير ذلك من المواطن ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ قضاءه والفراغ منه كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده والنصر من الله والظفر على عدوه ، والنحب : النذر في كلام العرب وللنحب أيضاً : في كلامهم وجوه غير ذلك منها الموت ... وقوله : ﴿ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ وما غيروا العهد الذي عاقدوا ربهم تغييراً كما غيره المعوقون القائلون لإخوانهم : ﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ والقائلون : ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ اهـ[1] .

فالآية تضمنت الثناء والمدح على شهداء أحد بتحقيقهم الإيمان الكامل والثناء عليهم بالصدق والوفاء فما عرف منهم مغير وما وجد من جماعتهم مبدل رضي الله عنهم ، وكل الآيات المتقدمة بين الله – تعالى فيها أن ما حصل يوم أحد كان ابتلاء ليتميز أهل النفاق من أهل الإيمان الصادق وبين – سبحانه – أن من لم ينهزم في موقعة أحد فقتل له الكرامة ، وذلك أن الشهداء أحياء في الجنة يرزقون ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين . ذلك هو الثناء في القرآن على أهل أحد . أمَّا الأحاديث التي وردت في السنة المطهرة فكثيرة وفيها بيان فضلهم رضي الله عنهم ، وبيان منزلتهم منها ما هو عام ، ومنها ما هو خاص ومن ذلك ما يلي :

١ – روى الإمام أحمد بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله – عز وجل – أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم ،**

---

(١) جامع البيان ١٤٥/٢١ – ١٤٧ ، تفسير ابن كثير ٤٣٨/٥ ، فتح القدير للشوكاني ٢٧١/٤ – ٢٧٢ .

قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله - عز وجل - : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله - عز وجل - هؤلاء الآيات على رسوله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ »[1].

٢ - وأخرج الحاكم بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ﴾[2] .

٣ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى مسروق قال : سألنا عبد الله - هو ابن مسعود - عن هذه الآية ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال : « **أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاثة مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا** »[3].

هذه الأحاديث المتقدمة فيها بيان إكرام الله تعالى للشهداء على وجه الخصوص فقوله ﷺ في الحديث : « **فقال لهم الله هل تشتهون شيئاً** » ... إلخ

---

(١) المسند ٢٦٥/١ - ٢٦٦ ، سنن أبي داود ١٤/٢ ، ابن هشام في السيرة ١١٩/٢ وابن جرير في جامع البيان ١٧١/٤ ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ٢١٨/٤ ، والحاكم في مستدركه ٢٨٨/٢ وص ٢٩٧ وقال في الموضعين صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي والحديث عند مسلم كما هو هنا بمعناه والآيات المشار إليها في الحديث هي رقم (١٦٩ - ١٧١) من سورة آل عمران .

(٢) المستدرك ٣٨٧/٢ .

(٣) صحيح مسلم ١٥٠٢/٢ .

الحديث » هذا فيه مبالغة في إكرامهم وتنعيمهم إذ قد أعطاهم الله ما لا يخطر على قلب بشر ثم رغبهم في سؤال الزيادة فلم يجدوا مزيداً على ما أعطاهم فسألوه حين رأوه أنه لابد من سؤال أن يرجع أرواحهم إلى أجسادهم ليجاهدوا ويبذلوا أنفسهم في سبيل الله تعالى ويستلذوا بالقتل في سبيله »[1] .

٤ - وروى الإمام الترمذي بإسناده إلى طلحة بن خراش قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : لقيني رسول الله ﷺ فقال : « **مالي أراك منكسراً ؟** » قلت يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالا وديناً قال : « **ألا أبشرك بما لقي الله به أباك** » قال : بلى يا رسول الله قال : « **ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجابه وأحيا أباك فكلمه كفاحاً**[2] **فقال : تمن علي أعطيك قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية قال الرب تبارك وتعالى : إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون** » قال : وأنزلت هذه الآية ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾ الآية ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ولا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم ورواه عليّ بن عبد الله بن المديني وغير واحد من كبار أهل الحديث هكذا عن موسى ابن إبراهيم وقد روى عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر شيئاً من هذا »[3] .

قال الزرقاني شارحاً لقوله في الحديث : « ما كلم الله أحداً قط يعني لم يكلم أحداً غير من قام الدليل على تكليمهم بلا واسطة كالمصطفى عليه الصلاة والسلام وموسى عليه السلام ، أو المراد من هؤلاء الشهداء كما يرشد إليه السياق » اهـ[4] .

وأخرج ابن جرير بإسناده إلى أنس أن سبب نزول الآية قتلى بئر معونة . وقال العلامة الشوكاني : « وعلى كل حال فالآية باعتبار عموم لفظها يدخل تحتها

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٣٣/١٣ .
(٢) كفاحاً : أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول « النهاية » ١٨٥/٤ .
(٣) سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ٣٦٠/٨ ، الرد على الجهمية للدارمي ص ٨٦ .
(٤) شرح المواهب اللدنية ٥٣/٢ .

كل شهيد » اهـ[1] .

٥ - ما رواه الشيخان بإسنادهما إلى جابر بن عبد الله يقول : لما كان يوم أحد جيء بأبي[2] مسجى وقد مثل به قال : فأردت أن أرفع الثوب فنهاني قومي ثم أردت أن أرفع الثوب فنهاني قومي فرفعه رسول الله ﷺ أو أمر به فرفع فسمع صوت باكية أو صائحة فقال : « **من هذه** » فقالوا : بنت عمرو أو أخت عمرو فقال : « **ولم تبكي فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع** » . وفي رواية أنه قال : « **تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه** »[3] .

قال النووي رحمه الله تعالى مبيناً هذا التكريم والمنقبة التي نالها والد جابر ابن عبد الله : قوله ﷺ : « **فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع** » قال القاضي : ويحتمل أن ذلك لتزاحمهم عليه لبشارته بفضل الله ورضاه عنه وما أعد له من الكرامة عليه ازدحموا عليه إكراماً له وفرحاً به أو أظلوه من حر الشمس لئلا يتغير ريحه أو جسمه ... وقال عند قوله ﷺ : « **تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله** » معناه سواء بكيت عليه أم لا فما زالت الملائكة تظله أي : فقد حصل له من الكرامة هذا وغيره فلا ينبغي البكاء على مثل هذا وفي هذا تسلية لها » اهـ[4] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وأو» في قوله «**تبكين أو لا تبكين**»

---

(١) فتح القدير ٤٠١/١ .

(٢) اسمه عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي السلمي أسلم قديماً وكان من النقباء وشهد العقبة ثم بدراً ، وقتل يوم أحد قتله أسامة الأعور وقيل سفيان بن عبد شمس أبو الأعور قال الواقدي : صلى عليه النبي ﷺ قبل الهزيمة وهذا فيه نظر لأنه نقل إلى المدينة ولم يكن يعلم به الرسول ﷺ حتى أعادوه بعد أمر الرسول بإعادة الشهداء فصلى عليه معهم » انظر الاستيعاب ٣٣١/٢ ، الإصابة ٣٤١/٢ ، معازي الواقدي ٢٦٦/١

(٣) صحيح البخاري ٢٢٤/١ و ص ٢١٦ . صحيح مسلم ١٩١٧/٤ - ١٩١٨ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٥/١٦ - ٢٦ .

للتخيير ومعناه أنه مكرم بصنيع الملائكة وتزاحمهم عليه لصعودهم بروحه »[1]
وقال أيضاً : في موضع آخر : « ومحصله أن هذا الجليل القدر الذي تظله الملائكة بأجنحتها لا ينبغي أن يبكى عليه بل يفرح له بما صار إليه » اهـ[2] .

٦ - وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال : يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾... إلى آخر الآية[3] .

هذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لأنس بن النضر رضي الله عنه وما كان عليه من صحة الإيمان وكثرة التوقي والتورع وقوة اليقين كما تضمن المدح والثناء لأهل أحد عموماً بصدقهم فيما عاهدوا الله عليه ، والمراد بالمعاهدة المذكورة هي المشار لها بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾[4] وكان ذلك أول ما خرجوا إلى أحد وهذا قول ابن إسحاق . وقيل : ما وقع ليلة العقبة من الأنصار إذ بايعوا النبي ﷺ أن يؤووه

(١) فتح الباري ١١٦/٣ .
(٢) المصدر السابق ١٦٣/٣ .
(٣) صحيح البخاري ١٣٨/٢ ، صحيح مسلم ١٥١٢/٣ .
(٤) سورة الأحزاب آية / ١٥ .

وينصروه ويمنعوه والأول أولى »[1] فلقد عاهدوا الله - تبارك وتعالى - ووفوا بالعهد ولو كان في ذلك مشقة على أنفسهم ، وبذلوا أنفسهم في الجهاد في سبيل الله طلباً للشهادة التي ثمنها الجنة التي عرضها السموات والأرض . فرضي الله عنهم أجمعين .

ذلك هو الثناء في القرآن الكريم والسنة المطهرة على أولئك الأبرار من أهل أحد وذلك هو مصير شهداء أحد الذي صاروا إليه فقد تبوءوا الدرجات العالية بسبب ما قدموه من بذل أنفسهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله تعالى ونصرة دينه وتلك المناقب الرفيعة التي نوهت بها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يجب على العبد الإيمان والتسليم بها لأولئك الأطهار رضي الله عنهم أجمعين . ونسأل الله الكريم المنان أن يميتنا على الإيمان .

* * *

(١) فتح الباري ٦/٢٢ - ٢٣ .

★ المبحث الرابع ★

الثناء على أهل بيعة الرضوان

لقد ورد الثناء في الكتاب والسنة على الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ تلك البيعة المباركة الميمونة المشهورة « ببيعة الرضوان » وكانت هذه البيعة بمكان يسمى « الحديبية »[1] في شهر ذي القعدة سنة ست من الهجرة بلا خلاف بين علماء المغازي والسير[2] وقد اختلفت الروايات الصحيحة في عددهم رضي الله عنهم فقد روى الشيخان من حديث عبد الله بن أبي أوفى ، قال : كان أصحاب الشجرة[3] ألفاً وثلاثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين »[4] .

ورويا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يوم الحديبية : « **أنتم خير أهل الأرض** » وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كنت أبصر لأريتكم مكان الشجرة »[5] .

---

(١) قال ياقوت الحموي : « هي قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع تحتها » « معجم البلدان » ٢٢٩/٢ وكذا قال الحافظ ابن حجر : « هي بئر سمي بها المكان » اهـ . فتح الباري ٣٣٤/٥ وقال الحاكم النيسابوري رحمه الله تعالى : « الحديبية بئر كانت الشجرة بالقرب من البئر ثم إن الشجرة فقدت بعد ذلك فلم توجد وقالوا إن السيول ذهبت بها فقال سعيد بن المسيب سمعت أبي وكان من أصحاب الشجرة يقول قد طلبناها غير مرة فلم نجدها فأما ما يذكره عوام الحجيج أنها شجرة بين منى ومكة فإنه خطأ فاحش » اهـ . معرفة علوم الحديث ص ٢٣ – ٢٤ .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٠٨/٢ ، دلائل النبوة للبيهقي ٩١/٤ ، تاريخ الأمم والملوك للطبري ٦١٩/٢ ، الكامل لابن الأثير ٢٠٠/٢ المجموع شرح المهذب للنووي ٧٨/٧ ، الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص ١٤٠ ، البداية والنهاية ١٨٥/٤ ، فتح الباري ٤٤٠/٧ .

(٣) الشجرة : هي السمرة التي حصلت البيعة تحتها ، « انظر صحيح مسلم » ١٤٨٣/٣ .

(٤) صحيح البخاري ٤٢/٣ ، صحيح مسلم ١٤٨٥/٣ .

(٥) صحيح البخاري ٤٣/٣ ، صحيح مسلم ١٤٨٤/٣ .

ورويا أيضاً : من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة[1] فتوضأ فجهش[2] الناس نحوه فقال : « ما لكم » ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور[3] بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة »[4] .

فهذه الروايات الثلاث هي أصح ما ورد في بيان عدد أصحاب بيعة الرضوان ولا إشكال فيها من حيث صحتها وإنما الإشكال من حيث العدد المذكور فيها من ألف وثلاثمائة إلى ألف وأربعمائة ، إلى خمس عشرة مائة ولا يمكن ردها بحال من الأحوال وقد حاول العلماء الجمع بينها وقد سلكوا تجاهها طريقين .

* **الطريق الأول** : طريق الترجيح ، وقد مال إلى هذا الطريق الإمام البيهقي والحافظ ابن القيم رحمهما الله تعالى .

فأما البيهقي فإنه أورد رواية التحديد بألف وأربعمائة المروية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ثم قال : وهذه الرواية أصح فلذلك قاله البراء بن عازب ، ومعقل بن يسار ، وسلمة بن الأكوع في أصح الروايتين عنه » اهـ[5] .

وأمّا العلامة ابن القيم فإنه ذكر رواية ألف وأربعمائة وقال عقبها : « والقلب إلى هذا أميل »[6] .

* **الطريق الثاني** : طريق الجمع وقد ذهب إلى هذا الإمام النووي والحافظ ابن حجر رحمهما الله .

---

(١) الركوة : إناء صغير يشرب فيه الماء والجمع ركاء « النهاية » ٢٦١/٢ .

(٢) الجهش : أن يفزع الإنسان إلى الإنسان ويلجأ إليه « النهاية » ٣٢٢/١ .

(٣) يثور : ينبع بقوة وشدة « النهاية » ٢٢٨/١ .

(٤) صحيح البخاري ٤٢/٣ ، صحيح مسلم ١٤٨٤/٣ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ٩٨/٤ .

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢٨٨/٣ .

فأمَّا الإمام النووي فقد قال عقب الروايات الثلاث المتقدم ذكرها : « ويمكن أن يجمع بينها بأنهم كانوا أربعمائة وكسر فمن قال : أربعمائة لم يعتبر الكسر ومن قال خمسمائة اعتبره ، ومن قال ألف وثلاثمائة ترك بعضهم لكونه لم يتقن العد أو لغير ذلك » اهـ[1] .

وأمَّا الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى فإنه ذكر كلام النووي وزاد عليه حيث قال : بعد ذكره للروايات الثلاث السابقة : « والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال ألفاً وخمسمائة جبر الكسر ، ومن قال ألفاً وأربعمائة ألغاه ويؤيده قوله في الرواية الثالثة من حديث البراء : ألف وأربعمائة أو أكثر ، أمَّا قول عبد الله بن أبي أوفى : ألف وثلاثمائة ، فيمكن حمله على ما اطلع عليه هو ، واطلع غيره على زيادة ناس لم يطلع هو عليهم ، والزيادة من الثقة مقبولة أو العدد الذي ذكره جملة من ابتدأ الخروج من المدينة والزائد تلاحقوا بهم بعد ذلك أو العدد الذي ذكره عدد المقاتلة والزيادة عليه من الأتباع من الخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم » اهـ[2] .

والذي يظهر والله أعلم أن طريقة الجمع بين النصوص أولى من ترجيح بعضها على بعض لأن الروايات كلها صحيحة في العدد المذكور وينبغي الأخذ بما قاله الحافظ ابن حجر لأن توجيهه للنصوص ممكن وظاهر .

وأصحاب الحديبية الذين هم أهل بيعة الرضوان ورد في فضلهم نصوص محكمة كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومنها ما يلي :

١ - قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ[3] فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/١٣ .

(٢) فتح الباري ٧/٤٤٠ .

(٣) قال ابن جرير بعد أن ذكر عدة أقوال في معنى السكينة : « وأولى هذه الأقوال بالصواب بالحق في معنى السكينة ما قاله عطاء بن أبي رباح : ما تسكن إليه النفوس من الآيات التي تعرفونها وذلك أن السكينة في كلام العرب الفعيلة من قول القائل سكن فلان إلى كذا وكذا إذا اطمأن إليه وهدأت =

﴿إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1] .

في هذه الآية شهادة لهم بحقيقة الإيمان الكامل وإكرامهم بإنزال السكون والطمأنينة في قلوبهم إلى الإيمان بالله ورسوله وإلى الحق الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ ليزدادوا بتصديقهم بما حدد الله من الفرائض التي ألزمهموها التي لم تكن لهم لازمة ﴿إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ ثم أخبر تعالى أن له جنود السموات والأرض ينتقم بهم ممن يشاء من أعدائه وختم الآية بأنه – سبحانه – لم يزل ذا علم بما هو كائن قبل كونه ، وما خلقه عاملون حكيماً في تدبيره »[2] .

قال ابن كثير : « يقول تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أي : الطمأنينة قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعنه الرحمة وقال قتادة : الوقار في قلوب المؤمنين ، وهم الصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولرسوله وانقادوا لحكم الله ورسوله فلما أطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيماناً مع إيمانهم وقد استدل بها البخاري وغيره من الأئمة على تفاضل الإيمان في القلوب » اهـ[3] .

فالآية تضمنت مدحاً عظيماً وثناء بالغاً على أهل بيعة الرضوان حيث أكرمهم الله بإنزال السكينة في قلوبهم فكان ذلك من أسباب زيادة الإيمان فيها كما تضمنت الشهادة لهم من الله بالإيمان الكامل وتحقيق شرائعه وذلك أنهم رضي الله عنهم كلما ورد عليهم أمر أو نهي آمنوا به وعملوا بمقتضاه طائعين خاضعين لحكم الله رب العالمين .

= عنده نفسه فهو يسكن سكوناً وسكينة ، مثل قولك : عزم فلان هذا الأمر عزماً وعزيمة وقضى الحاكم بين القوم قضاء وقضية » جامع البيان ٦١٣/٢ ، وانظر النهاية ٣٨٤/٢ – ٣٨٥ ، واللسان ٢١٣/١٣ .

(١) سورة الفتح آية / ٤ .

(٢) انظر جامع البيان ٧١/٢٦ – ٧٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٣٠/٦، وانظر تفسير البغوي مع الخازن ١٥٨/٦، فتح القدير للشوكاني ٤٥/٥.

٢ - وقال تعالى : ﴿ لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[١] .

هذه الآية فيها وعد من الله تعالى لأهل بيعة الرضوان خصوصاً ولجميع المؤمنين والمؤمنات عموماً بدخول جنات تجري من تحتها الأنهار وأنهم يخلدون فيها لا يحولون ولا يزولون عنها وأنه تعالى يكفر عنهم سيئاتهم بمعنى أنه يغطيها ولا يظهرها وختم تعالى الآية ببيان أن إدخالهم الجنة وتكفير سيئاتهم فوز عظيم لا يقادر قدره لأنه منتهى غاية ما يتطلع إليه المؤمنون الصادقون الذين في مقدمتهم أولئك الصفوة أصحاب بيعة الرضوان .

روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ قال : الحديبية قال أصحابه : هنيئاً مريئاً فما لنا فأنزل الله : ﴿ لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[٢] .

وعند الترمذي وأحمد من حديث أنس رضي الله عنه قال نزلت على النبي ﷺ ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ مرجعه من الحديبية فقال النبي ﷺ : « **لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض** » ثم قرأها النبي ﷺ عليهم فقالوا : هنيئاً مريئاً يا نبي الله قد بين الله لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه : ﴿ لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح وفيه عن مجمع بن[٣] جارية[٤] .

---

(١) سورة الفتح الآية / ٥ .

(٢) صحيح البخاري ٤٤/٣ .

(٣) مجمع بن جارية بن عامر الأنصاري الأوسي المدني صحابي مات في خلافة معاوية التقريب ٢٣٠/٢ ، الإصابة ٣٤٦/٣ .

(٤) سنن الترمذي ٦١/٥ - ٦٢ ، المسند ١٢٢/٣ .

فهذا الحديث بين الفضيلة التي تضمنتها الآية التي سيقت قبله لأصحاب بيعة الرضوان .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى بعد قوله تعالى ﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي : ماكثين فيها أبداً ﴿ وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ ﴾ أي: خطاياهم وذنوبهم فلا يعاقبهم عليها بل يعفو ويصفح ويغفر ويستر ويرحم ويشكر ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾ كقوله – جل وعلا – ﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ ﴾[1] الآية اهـ[2] .

فأي فوز وأي فلاح أعظم من تكفير الذنوب والخطايا ودخول الجنة ورؤية الله – عز وجل – فيها إنه لمن أعظم التكريم ومن أعلا النعيم الذي فاز به أهل بيعة الرضوان .

٣ – قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[3] .

وهذه الآية فيها ثناء ومدح عظيم لأهل بيعة الرضوان فقد جعل الله مبايعتهم لرسوله ﷺ مبايعة له وفي هذا غاية التشريف والتكريم لهم رضي الله عنهم .

وهذه الآية نظير قوله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾[4] فمبايعتهم للرسول ﷺ مبايعة لله – جل وعلا – .

قال العلامة ابن القيم : « وتأمل قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ فلما كانوا يبايعون رسول الله ﷺ بأيديهم ويضرب بيده

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/٣٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ٦/٣٣٠ .

(٣) سورة الفتح آية / ١٠ .

(٤) سورة النساء آية / ٨٠ .

على أيديهم وكان رسول الله ﷺ هو السفير بينه وبينهم كانت مبايعتهم له مبايعة لله تعالى ، ولما كان سبحانه فوق سماواته على عرشه وفوق الخلائق كلهم كانت يده فوق أيديهم كما أنه سبحانه فوقهم » اهـ[1] ومعنى قوله في الآية : ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: ثواباً جزيلاً وهو الجنة وما يكون فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[2] .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : وقوله : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره : ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر عند لقاء العدو في سبيل الله ونصرة نبيه ﷺ على أعدائه﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يقول : فسيعطيه ثواباً عظيماً ، وذلك أن يدخله الجنة جزاء له على وفائه بما عاهد عليه الله ووثق لرسوله على الصبر معه عند البأس بالمؤكدة من الإيمان ... ثم روى بإسناده إلى قتادة رحمه الله تعالى ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال : هي الجنة » اهـ[3] .

٤ - وقال تعالى مخبراً برضاه عنهم:﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[4] .

فقد أخبر تعالى أنه رضي الله عن أولئك الصفوة الأخيار من أهل بيعة الرضوان ومن رضي الله عنه لا يسخط عليه أبداً فلله ما أعظم هذا التكريم الذي ناله أهل بيعة الرضوان ، وما أعلاها من منقبة ومعنى الآية﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾لقد رضي الله يا محمد عن المؤمنين﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ يعني : بيعة أصحاب رسول الله ﷺ بالحديبية حين بايعوه على مناجزة

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢/١٧٢ .
(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٣٣١ ، تفسير روح المعاني ٢٦/٩٧ .
(٣) جامع البيان ٢٦/٧٦ ، وانظر تفسير البغوي على حاشية الخازن ٦/١٦٠ .
(٤) سورة الفتح آية / ١٨ - ١٩.

قريش الحرب وعلى أن لا يفروا ، ولا يولوهم الدبر ، تحت الشجرة وكانت بيعتهم إياه هنالك تحت شجرة سمرة ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي : فعلم ربك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يبايعونك تحت الشجرة من صدق النية والوفاء بما يبايعونك عليه والصبر معك ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي : فأنزل الطمأنينة والثبات على ما هم عليه من دينهم وحسن بصيرتهم بالحق الذي هداهم الله له﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو فتح خيبر ،وأمّا قوله تعالى﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾ أي: وأثاب الله هؤلاء الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة مع ما أكرمهم به من رضاه عنهم ، وإنزاله السكينة عليهم وإثابته إياهم فتحاً قريباً وهو ما أجرى الله – عز وجل – على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة . ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1] .

قال أحمد بن عليٍّ الجصاص بعدقوله:﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه الدلالة على صحة إيمان الذين بايعوا النبي ﷺ بيعة الرضوان بالحديبية وصدق بصائرهم فهم قوم بأعيانهم ... فدل على أنهم كانوا مؤمنين على الحقيقة أولياء الله إذ غير جائز أن يخبر الله برضاه عن قوم بأعيانهم إلا وباطنهم كظاهرهم في صحة البصيرة وصدق الإيمان وقد أكد ذلك بقوله : ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني: الصبر بصدق نياتهم وهذا يدل على أن التوفيق يصحب صدق النية وهو مثل قوله : ﴿ إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ اهـ[2] .

---

(١) جامع البيان ٨٥/٢٦ – ٨٦ ، تفسير ابن كثير ٣٤١/٦ ، وانظر تفسير البغوي على الخازن ١٦٣/٦ ، زاد المسير لابن الجوزي ٤٣٤/٧ – ٤٣٥ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٧٨/١٦ ، فتح القدير للشوكاني ٥١/٥ .

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣٩٤/٣ والآية رقم / ٣٥ / من سورة النساء .

والسبب الذي كانت من أجله بيعة الرضوان ما ذكره الحافظ ابن حجر حيث قال: «والسبب في ذلك أن النبي ﷺ بعث عثمان ليعلم قريشاً أنه إنما جاء معتمراً لا محارباً، ففي غيبة عثمان شاع عندهم أن المشركين تعرضوا لحرب المسلمين فاستعد المسلمون للقتال وبايعهم النبي ﷺ حينئذ تحت الشجرة على أن لا يفروا وذلك في غيبة عثمان، وقيل: بل جاء الخبر بأن عثمان قتل فكان ذلك سبب البيعة» اهـ[1] وقد بايع النبي ﷺ جميع الصحابة الذين كانوا معه بالحديبية لما أشيع أن عثمان قد قتل ولم يتخلف عن تلك البيعة إلا الجد بن قيس فإنه اختبأ تحت بطن بعيره[2].

وقد سئل الصحابة رضي الله عنهم على أي شيء كانت بيعتهم؟ فكانت الإجابة بما يلي:

١) أجاب سلمة بن الأكوع رضي الله عنه بأنهم بايعوا على الموت. فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية قال: على الموت[3].

وروى أيضاً: بإسناده إلى عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: لما كان زمن الحرة أتاه آت فقال له: إن ابن حنظلة يبايع الناس على الموت فقال لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ[4].

٢) وأجاب معقل بن يسار وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما بأنهم بايعوا على عدم الفرار. روى الإمام مسلم بإسناده إلى معقل بن يسار قال: لقد رأيتني

---

(١) فتح الباري ٥٩/٧، ص ٤٤٨، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٣١٥/٢، تاريخ الأمم والملوك ٦٣١/٢، دلائل النبوة البيهقي ١٣٤/٤، البداية والنهاية لابن كثير ١٨٩/٤، الجامع لأحكام القرآن ٢٧٦/١٦.

(٢) صحيح مسلم ٨٣/٣.

(٣) صحيح البخاري ٤٤/٣.

(٤) صحيح البخاري ٤٤/٣، صحيح مسلم ١٤٨٦/٣.

يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال : « لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ألا نفر »[1] .

وروى أيضاً بإسناده إلى جابر بن عبد الله قال: « كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة وقال : بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت »[2] .

فهذه الأحاديث أوضحت لنا الشيء الذي بايع عليه الصحابة النبي ﷺ يوم الحديبية إلا أن بعضها تفيد أن البيعة كانت على الموت وبعضها يفيد أنهم بايعوا على عدم الفرار ، فقد يحس القارىء أن بين هذه الروايات اختلافاً في الشيء الذي كانت البيعة عليه والواقع أنه لا خلاف بينها .

فقد قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى : « قد بايعه قوم من أصحابه على الموت ، وإنما قالوا : « لا نزال بين يديك حتى نقتل ، وبايعه آخرون فقالوا لا نفر »[3] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « لا تنافي بين قولهم بايعوه على الموت وعلى عدم الفرار لأن المراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا وليس المراد أن يقع الموت ولابد »[4] .

تلك هي البيعة التي استحق بها أصحاب الحديبية رضوان الله تعالى والثناء عليهم بما وقر في قلوبهم من الإيمان والوفاء والصدق وقد رتب تعالى على رضاه عنهم وعلمه بما في قلوبهم ما أنعم به عليهم من سكينة وفتح ومغانم فقال تعالى : ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ .

---

(١) صحيح مسلم ١٤٨٥/٣ .

(٢) صحيح مسلم ١٤٨٣/٣ .

(٣) سنن الترمذي ٧٦/٣ .

(٤) فتح الباري ١١٨/٦ وانظر شرح النووي على صحيح مسلم ٣/١٣ .

٥ – أخبر تعالى عن أهل بيعة الرضوان أنه ألزمهم كلمة التقوى التي هي كلمة التوحيد وأنهم كانوا أحق بها وأهلها . قال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[1] .

فلقد بين تعالى في هذه الآية أنه ألزم الصحابة رضي الله عنهم كلمة التقوى وأكثر المفسرين على أن المراد بكلمة التقوى هي « لا إلٰه إلا الله » وبين أنهم أحق بها من كفار قريش وأنهم كانوا أهلها في علم الله لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير[2] ذلك هو الثناء في القرآن على الصحابة الذين بايعوا النبي ﷺ بيعة الرضوان بالحديبية وقد ورد الثناء عليهم في السنة المطهرة في أحاديث كثيرة ومن ذلك ما يلي :

١ – روى الشيخان من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية : « **أنتم خير أهل الأرض** » وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة[3] .

هذا الحديث صريح في فضل أصحاب الشجرة فقد كان من المسلمين إذ ذاك جماعة بمكة وبالمدينة وبغيرهما ... وتمسك به بعض الشيعة في تفضيل عليٍّ على عثمان لأن علياً كان من جملة من خوطب بذلك وممن بايع تحت الشجرة وكان عثمان حينئذ غائباً – وهذا التمسك باطل – لأن النبي ﷺ بايع عنه[4] فاستوى معهم عثمان في الخيرية المذكورة ، ولم يقصد في الحديث إلى تفضيل

---

(١) سورة الفتح آية / ٢٦ .

(٢) انظر جامع البيان ١٠٣/٢٦ – ١٠٦ ، تفسير البغوي على الخازن ١٧٧/٦ ، تفسير ابن كثير ٣٤٧/٦ .

(٣) صحيح البخاري ٤٢/٣ ، صحيح مسلم ١٤٨٥/٣ .

(٤) انظر صحيح البخاري ٢٩٧/٢ .

بعضهم على بعض »[1] .

٢ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : أخبرتني أم مبشر : أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة : « **لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها** » قالت : بلى يا رسول الله : فانتهرها فقالت حفصة : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فقال النبي ﷺ : « **قد قال الله - عز وجل -:** ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ »[2] .

قال النووي رحمه الله تعالى : قوله ﷺ : « **لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها** » قال العلماء : معناه لا يدخلها أحد منهم قطعاً ... وإنما قال إن شاء الله للتبرك لا للشك وأمَّا قول حفصة بلى وانتهار النبي ﷺ لها فقالت : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فقال النبي ﷺ : « **وقد قال :** ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ » فيه دليل للمناظرة والجواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود حفصة لا أنها أرادت رد مقالته ﷺ والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون » اهـ[3] .

٣ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى جابر أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله ﷺ : « **كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية** »[4] .

هذا الحديث تضمن فضيلة أهل بدر والحديبية وفضيلة حاطب لكونه منهم رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) فتح الباري ٤٤٣/٧ .
(٢) صحيح مسلم ١٩٤٢/٤ ، والآيتان رقم (٧١ - ٧٢) من سورة مريم .
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٨٥/١٦ .
(٤) صحيح مسلم ١٩٤٢/٤ .

٤ – وروى الإمام مسلم بإسناده إلى جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « **من يصعد الثنية ثنية**[1] **المرار فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل** » قال : فكان أول من صعدها خيلنا خيل بني الخزرج ثم تتام الناس فقال رسول الله ﷺ : « **كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر** » . فأتيناه فقلنا له : تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال : والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم ، قال : وكان رجلا ينشد ضالة له »[2] .

وهذا الحديث تضمن فضيلة عظيمة لأصحاب الحديبية رضي الله عنهم وتلك الفضيلة مغفرة الله لهم وأكرم بها من فضيلة منحهم إياها الرب – جل وعلا – لإخلاصهم في طاعتهم واستجابتهم لله والرسول بالسمع والطاعة .

٥ – روى الإمام أحمد بإسناده إلى يحيى بن سعيد بن فروخ أن أبا سعيد حدثه أن النبي ﷺ لما كان يوم الحديبية قال : « **لا توقدوا ناراً بليل** » فلما كان بعد ذلك قال : « **أوقدوا واصطنعوا فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم** »[3] .

فقد بين عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث أن من يأتي بعد أهل بيعة الرضوان لا يمكن أن يدركهم في فضلهم ، ولا في فضل عملهم مهما بلغ من الإخلاص وصدق النية والتحري في عمل الصالحات فلقد فازوا فوزاً عظيماً رضي الله عنهم وأرضاهم ولقد شمل فضل أهل بيعة الرضوان الخليفة الثالث عثمان ابن عفان رضي الله عنه وكان غائباً في المهمة التي بعثه بها الرسول ﷺ إلى أهل مكة .

٦ – فقد روى البخاري بإسناده إلى عثمان بن موهب قال : « جاء رجل

---

(١) ثنية المرار : مهبط الحديبية والمرار : بقلة مرة إذا أكلتها الإبل قلصت عنه مشافرها ، معجم البلدان ٩٢/٥ ، وانظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٢٦/١٧ .

(٢) صحيح مسلم ٢١٤٤/٤ – ٢١٤٥ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٢٦/٣ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي ٣٦/٣ .

من أهل مصر وحج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا : هؤلاء قريش قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر قال : يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه : هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أحد ؟ قال : نعم فقال : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟ قال : نعم . قال الرجل : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم : قال : الله أكبر قال ابن عمر : تعال أبين لك ، أمّا فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له وأمّا تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ : « **إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه** » وأمّا تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز من عثمان ببطن مكة لبعثه مكانه فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله ﷺ : « **بيده اليمنى : هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال : هذه لعثمان** » فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك »[1] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « الذي يظهر من سياقه أن السائل كان ممن يتعصب على عثمان فأراد بالمسائل الثلاث أن يقرر معتقده فيه ولذلك كبر مستحسناً لما أجابه ابن عمر قوله « قال ابن عمر : تعال أبين لك » كأن ابن عمر فهم منه مراده لما كبر وإلا لو فهم ذلك من أول سؤاله لقرن العذر بالجواب وحاصله أنه عابه بثلاثة أشياء فأظهر له ابن عمر العذر عن جميعها : أمّا الفرار فبالعفو وأمّا التخلف فبالأمر وقد حصل له مقصود من شهد من ترتب الأمرين الدنيوي وهو السهم والأخروي وهو الأجر ، وأمّا البيعة فكان مأذوناً له في ذلك أيضاً : ويد رسول الله ﷺ خير لعثمان من يده كما ثبت ذلك أيضاً : عن عثمان نفسه فيما رواه البزار بإسناد جيد أنه عاتب عبد الرحمن بن عوف فقال له : لم ترفع صوتك علي ؟ فذكر الأمور الثلاثة فأجابه عثمان بمثل ما أجاب

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٧ .

به ابن عمر قال في هذه : فشمال رسول الله ﷺ خير لي من يميني إلى أن قال :
قوله : « فقال له ابن عمر اذهب بها الآن معك » أي : أقرن هذا العذر بالجواب حتى لا يبقى لك فيما أجبتك به حجة على ما كنت تعتقده من غيبة عثمان ، وقال الطيبي : قال له ابن عمر تهكماً به أي : توجه بما تمسكت به فإنه لا ينفعك بعدما بينت لك » اهـ[1] .

تلك هي مناقب أصحاب بيعة الرضوان من صحابة رسول الله ﷺ فقد كانوا رضي الله عنهم من أكمل البشرية إيماناً وعلماً وطاعة لله ورسوله ولذلك شهد لهم الرسول ﷺ أنهم خير أهل الأرض ، وأنهم مغفور لهم ، كما شهد لهم عليه الصلاة والسلام هم وإخوانهم البدريون بالجنة والنجاة من النار . نسأل الله الكريم المنان أن يميتنا على الإيمان .

* * *

---

(١) فتح الباري ٥٩/٧ .

○ الفصل الثالث ○

فضل العشرة المبشرين بالجنة

○ الفصل الثالث ○

فضل العشرة المبشرين بالجنة

وفيه مباحث :

المبحث الأول : فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
المبحث الثاني : فضل الفاروق رضي الله عنه .
المبحث الثالث : فضل ذي النورين عثمان رضي الله عنه .
المبحث الرابع : فضل أبي السبطين عليٍّ رضي الله عنه .
المبحث الخامس : فضل الستة بقية العشرة رضي الله عنهم .



★ المبحث الأول ★

فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ينبغي للمسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن أفضل البشر بعد الأنبياء هو صدّيق هذه الأمة المحمدية وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشي التميمي يجتمع نسبه مع نسب النبي ﷺ في مرة بن كعب وأم الصديق أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بنت عم أبيه وأبوه أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو ، وهما صحابيان رضوان الله عليهما أجمعين[1] .

لقب بالصديق لسبقه إلى تصديق النبي ﷺ قال الحافظ وروى الطبراني من حديث عليٍّ : « أنه كان يحلف أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق »[2] . وقيل : كان ابتداء تسميته بالصديق صبيحة الإسراء فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا : هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمي أبو بكر الصديق »[3] .

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١٦٩/٣ ، السيرة النبوية لابن هشام ٢٤٩/١ ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٣٣/٢ - ٣٣٥ ، فتح الباري ٩/٧ ، وانظر صفة الصفوة ٢٣٥/١ ، حلية الأولياء ٢٨/١ ، تذكرة الحفاظ ٢/١ ، لوامع الأنوار البهية ٣١١/٢ .

(٢) فتح الباري ٢/٧ ثم قال : « ورجاله ثقات » .

(٣) المستدرك ٦٢/٣ ثم قال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي .

صحب النبي ﷺ قبل البعثة وسبق إلى الإيمان به واستمر معه طول إقامته بمكة ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها إلى أن مات وكانت الراية معه يوم تبوك وحج بالناس ورسول الله ﷺ حي سنة تسع وكان خليفته من بعده ولقبه المسلمون خليفة رسول الله ﷺ[1] وقد دل على أنه أفضل الأمة بعد النبي ﷺ الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، أمَّا دلالة الكتاب فمن ذلك ما يلي :

١ - قال تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾[2]. أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب المذكور في الآية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه »[3].

أخرج ابن عساكر عن سفيان ابن عيينة قال : عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله ﷺ إلا أبا بكر وحده فإنه خرج من المعاتبة ثم قرأ :﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾[4].

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : « وإنما عنى الله - جل ثناؤه - بقوله ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ ﴾ رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش إذ هموا بقتل رسول الله ﷺ واختفيا في الغار وقوله : ﴿ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ يقول: إذ رسول الله ﷺ وأبو بكر رحمة الله عليه في الغار والغار : النقب العظيم يكون في الجبل ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ ﴾ يقول: إذ يقول رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر : ﴿ لَا تَحْزَنْ ﴾ وذلك أنه خاف من الطلب أن

(١) الإصابة ٣٣٣/٢ وانظر أعلام النبوة للماوردي ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ، تهذيب الأسماء واللغات ١٨٤/٢ .

(٢) سورة التوبة آية : ٤٠ .

(٣) الإصابة ٣٣٥/٢ . تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٨ . تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ١٥٤/١٠ . شرح كتاب الفقه الأكبر لملا علي القاري ص ١٠١ .

(٤) الدر المنثور للسيوطي ١٩٩/٤ ، وكتابه تاريخ الخلفاء ص ٥٠ .

يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك فقال له رسول الله ﷺ لا تحزن لأن الله معنا ، والله ناصرنا فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا » اهـ[1].

وقال الحافظ ابن كثير: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ أي : عام الهجرة لما هم المشركون بقتله ، أو حبسه ، أو نفيه فخرج منهم هارباً صحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أذى فجعل النبي ﷺ يسكنه ويثبته ويقول : « **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما** »[2] .... ولهذا قال تعالى : ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ أي : تأييده ونصره عليه أي : على الرسول ﷺ في أشهر القولين وقيل : على أبي بكر وروي عن ابن عباس وغيره قالوا : لأن الرسول ﷺ لم تزل معه سكينة وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال » اهـ[3].

وقال أبو بكر بن العربي : بعد قوله ﷺ : « **ما ظنك باثنين الله ثالثهما** » وهذه مرتبة عظمى وفضيلة شماء لم يكن لبشر أن يخبر عن الله – سبحانه – أنه ثالث اثنين أحدهما أبو بكر ، كما أنه قال : مخبراً عن النبي ﷺ وأبي بكر ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ اهـ[4].

فالآية دلت دلالة واضحة على فضل أبي بكر رضي الله عنه حيث جعله الله ثاني النبي ﷺ بقوله : ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ وما ذلك إلا لأن الصديق بلغ النهاية في الفضل رضي الله عنه وأرضاه .

---

(١) جامع البيان ١٣٦/١٠ ، وانظر تفسير البغوي على حاشية الخازن ٨١/٣ .

(٢) صحيح البخاري ٢٨٨/٢ ، صحيح مسلم ١٨٥٤/٤ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٠٢/٣ ، وانظر تفسير البغوي على الخازن ٨١/٣ – ٨٢ .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٩٥١/٢ .

٢ - وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[١] .

روى ابن جرير بإسناده إلى علي رضي الله عنه في قوله : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ قال : محمد ﷺ ﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ قال : أبو بكر رضي الله عنه[٢] .

وهذه الآية أيضاً تضمنت فضيلة عظيمة ومنقبة عالية لأبي بكر رضي الله عنه ، وهي أنه صاحب رسول الله ﷺ في تلك السفرة من مكة إلى المدينة وشهد الله له فيها بأنه صاحب نبيه عليه الصلاة والسلام .

٣ - قال تعالى : ﴿ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[٣] .

ذهب كثير من المفسرين منهم عبد الله بن عباس وابن مسعود وعبد الله ابن عمر ومجاهد والضحاك إلى أن المراد بصالح المؤمنين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[٤] .

٤ - وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾[٥] .

أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ قال : الجنة[٦] .

وقد ذكر العلامة ابن جرير الطبري أن هذه الآية نزلت في أبي بكر

---

(١) سورة الزمر آية / ٣٤ .
(٢) جامع البيان ٣/٢٤ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢٢٨/٧ .
(٣) سورة التحريم آية / ٤ .
(٤) جامع البيان ١٦٢/٢٨ - ١٦٣ ، الجامع لأحكام القرآن ١٩٢/١٨ ، تفسير ابن كثير ٥٦/٧ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢٢٣/٨ - ٢٢٤ .
(٥) سورة الليل آية / ٥ - ٧ .
(٦) الدر المنثور ٥٣٥/٨ .

رضي الله عنه فقد روى بإسناده إلى عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن ، فقال له أبوه : أي بني أراك تعتق أناساً ضعفاء ، فلو أنك تعتق رجالا جلداً يقومون معك ، ويمنعونك ويدفعون عنك قال : أي أبت إنما أريد ما عند الله . قال فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية نزلت فيه ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[1] .

٥ - وقال تعالى : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[2] .

هذه الآيات ذكر الكثير من المفسرين أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وهذه الآيات فيها إخبار من الله تعالى أنه سيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى الموضح بقوله : ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾ أي : يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾ أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً ، فهو يعطي في مقابلة ذلك ، وإنما دفعه ذلك ﴿ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾ أي : طمعاً في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات ، ثم ختم - تعالى - الآيات بقوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ أي : ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات[3] .

قال الحافظ ابن كثير « وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك ، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها فإن لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ

(١) جامع البيان ٢٢١/٣٠ ، المستدرك للحاكم ٥٢٥/٢ - ٥٢٦ .
(٢) سورة الليل آية / ١٧ - ٢١ .
(٣) تفسير ابن كثير ٣١٠/٧ .

﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴾ ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة ، فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذالا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها ، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ، ولهذا قال له عروة بن مسعود : وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة ، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴾[1] .

تلك هي بعض آيات القرآن الكريم الدالة على أن أبا بكر أفضل الخلق بعد النبي عليه الصلاة والسلام .

وأمَّا الأحاديث الدالة على أفضليته رضي الله عنه فكثيرة جداً ومنها ما يلي :

١ - روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق حدثه قال : نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال : « **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما** »[2] .

هذا الحديث تضمن منقبة عظيمة ظاهرة لأبي بكر رضي الله عنه وتلك المنقبة أنه رضي الله عنه كان ثاني اثنين ثالثهما رب العالمين .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : « وفيه فضيلة لأبي بكر رضي الله عنه وهي من أجل مناقبه والفضيلة من أوجه منها هذا اللفظ ومنها بذله نفسه ومفارقته أهله وماله ورياسته في طاعة الله تعالى ورسوله وملازمة النبي ﷺ ومعاداة الناس فيه

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣١٠/٧ - ٣١١ .

(٢) صحيح البخاري ٢٨٨/٢ ، صحيح مسلم ١٨٥٤/٤ واللفظ له .

ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك » اهـ[1].

٢ – روى البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: « **إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله** » قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله ﷺ: « **إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً[2] غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر** »[3].

وعند مسلم « **لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر** »[4].

وهذا الحديث فيه فضيلة لأبي بكر حيث كان أعلم الصحابة رضي الله عنهم برسول الله ﷺ وبما يقوله عليه الصلاة والسلام فقد فهم أبو بكر رضي الله عنه المراد بالعبد المخير وأنه الرسول ﷺ فبكى حزناً على فراقه وانقطاع الوحي وغير ذلك من الخير المستمر الذي حصل ببعثته عليه الصلاة والسلام للناس كافة على وجه الأرض.

قال الإمام النووي: قوله ﷺ: « **إن أمنّ الناس علي في ماله وصحبته أبو بكر** » قال العلماء: معناه أكثرهم جوداً وسماحة لنا بنفسه وماله وليس هو المن الذي هو الاعتداد بالصنيعة لأنه أذى مبطل للثواب ولأن المنة لله ولرسوله

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٥٠.

(٢) قال في النهاية: الخلة بالضم: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي: في باطنه والخليل: الصديق فعيل بمعنى مفاعل، وقد يكون بمعنى مفعول وإنما قال ذلك لأن خلته كانت مقصورة على حب الله – تعالى – فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب واجتهاد فإن الطباع غالبة، وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه » اهـ ٢/٧٢.

(٣) صحيح البخاري ٢/٢٨٨ – ٢٨٩، صحيح مسلم ٤/١٨٥٤.

(٤) صحيح مسلم ٤/١٨٥٥.

ﷺ في قبول ذلك وفي غيره » اهـ[1] .

وقال القرطبي : هو من الامتنان ، والمراد أن أبا بكر له من الحقوق ما لو كان لغيره نظيرها لامتن بها يؤيده قوله في رواية ابن عباس : « ليس أحد أمنّ علي » والله أعلم[2] .

ومعنى قوله ﷺ : « **لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر** » الخوخة - بفتح الخاء - وهي الباب الصغير بين البيتين أو الدارين ونحوه . وفي هذا فضيلة وخصيصة ظاهرة لأبي بكر رضي الله عنه »[3] .

٣ - روى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : عن النبي ﷺ قال : « **لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي** » وفي رواية قال : « **لو كنت متخذاً خليلا لاتخذته خليلا ولكن أخوة الإسلام أفضل** »[4] .

وعند مسلم من حديث ابن مسعود : « **لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي ، وقد اتخذ الله - عز وجل - صاحبكم خليلا** »[5] .

ففي هذا الحديث على اختلاف ألفاظه فضيلة ظاهرة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد بين عليه الصلاة والسلام أنه لو صلح له أن يتخذ أحداً من الناس خليلا لاتخذ أبا بكر دون سواه ، وأنه رضي الله عنه كان متأهلا لأن يتخذه النبي ﷺ خليلا لولا المانع المذكور في الحديث . فهذه منقبة عظيمة للصديق رضي الله عنه لم يشاركه فيها أحد .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٥٠ وانظر فتح الباري ١/٥٥٩ .
(٢) ذكره عنه الحافظ في « الفتح » ١/٥٥٩ .
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٥١ - ١٥٢ ، فتح الباري ٧/١٤ .
(٤) صحيح البخاري ٢/٢٨٩ .
(٥) صحيح مسلم ٤/١٨٥٥ .

قال الحافظ عند قوله ﷺ في الحديث الذي قبل هذا : « **ولكن أخوة الإسلام ومودته** » أي : حاصلة ووقع في حديث ابن عباس ولكن أخوة الإسلام أفضل – وكذا أخرجه الطبراني من طريق عبيد الله بن تمام عن خالد الحذاء بلفظ « **ولكن خلة الإسلام أفضل** » وفيه إشكال فإن الخلة أفضل من أخوة الإسلام لأنها تستلزم ذلك وزيادة ، فقيل المراد أن مودة الإسلام مع النبي ﷺ أفضل من مودته مع غيره ، وقيل : أفضل بمعنى فاضل ، ولا يعكر على ذلك اشتراك جميع الصحابة في هذه الفضيلة لأن رجحان أبي بكر عرف من غير ذلك وأخوة الإسلام ومودته متفاوتة بين المسلمين في نصر الدين وإعلاء كلمة الحق وتحصيل كثرة الثواب ولأبي بكر من ذلك أعظمه وأكثره والله أعلم » اهـ[1] .

٤ – وروى الشيخان من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت : أي الناس أحب إليك ؟ قال : « **عائشة** » فقلت من الرجال ؟ قال : « **أبوها** » قلت ثم من ؟ قال : « **ثم عمر ابن الخطاب** » فعد رجالاً[2] .

هذا الحديث فيه تصريح بعظيم فضائل أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم وفيه دلالة بينة لأهل السنة في تفضيل أبي بكر ، ثم عمر على جميع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين »[3] .

فكون أبي بكر أحب الناس إلى النبي ﷺ يدل على أنه له فضلا كثيراً وأنه أفضل الناس بعد النبي ﷺ .

٥ – ورويا أيضاً : من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **بينا راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة**

---

(١) فتح الباري ١٣/٧ .

(٢) صحيح البخاري ٢٩٠/٢ ، صحيح مسلم ١٨٥٧/٤ – ١٨٥٨ .

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٣/١٥ – ١٥٤ .

فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري وبينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته فقالت إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث » قال الناس – سبحان الله – فقال النبي ﷺ : « فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما »[1].

وهذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لأبي بكر وعمر حيث أخبر عليه الصلاة والسلام أنهما يؤمنان بذلك ولم يكونا في القوم عند حكاية النبي ﷺ ذلك.

قال الإمام النووي : عند قوله ﷺ : « فإني أومن به وأبو بكر وعمر » قال العلماء : « إنما قال ذلك : ثقة بهما لعلمه بصدق إيمانهما وقوة يقينهما وكمال معرفتهما لعظيم سلطان الله وكمال قدرته ففيه فضيلة ظاهرة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما » اهـ[2].

وقال الحافظ : « ويحتمل أن يكون ﷺ قال ذلك لما اطلع عليه من غلبة صدق إيمانهما وقوة يقينهما ، وهذا أليق بدخوله في مناقبهما » اهـ[3].

٦ – روى الإمام البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها وهو حديث السقيفة الطويل وفيه أن أبا بكر قال للأنصار : « ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب داراً ، وأعربهم أحساباً . فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح فقال عمر بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس ... الحديث »[4].

فعمر رضي الله عنه بين بأن الصديق أفضل الناس وخيرهم بعد رسول الله ﷺ ولذلك قدموه في الخلافة لأنه الأحق والأفضل.

---

(١) صحيح البخاري ٢٩٠/٢ ، صحيح مسلم ١٤٥٨/٤ .

(٢) شرح النووي ١٥٦/١٥ .

(٣) فتح الباري ٢٧/٧ .

(٤) صحيح البخاري ٢٩١/٢ .

٧ - وروى أيضاً : بإسناده إلى محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ قال : أبو بكر قلت : ثم من ؟ قال : عمر وخشيت أن يقول عثمان قلت : ثم أنت قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين[١].

قال الحافظ : « قوله وخشيت أن يقول عثمان قلت : ثم أنت قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين » في رواية محمد بن سوقة « ثم عجلت للحداثة فقلت : ثم أنت يا أبت فقال : أبوك رجل من المسلمين » زاد في رواية الحسن بن محمد « لي ما لهم وعليّ ما عليهم » وهذا قاله علي تواضعاً مع معرفته حين المسألة المذكورة أنه خير الناس يومئذ لأن ذلك كان بعد قتل عثمان : وأمَّا خشية محمد ابن الحنفية أن يقول عثمان فلأن محمداً كان يعتقد أن أباه أفضل فخشي أن علياً يقول عثمان على سبيل التواضع منه والهضم لنفسه فيضطرب حال اعتقاده ولا سيما وهو في سن الحداثة كما أشار إليه في الرواية المذكورة »[٢] .

٨ - وروى البزار - كما في مجمع الزوائد - عن شقيق قال : قيل لعلي ألا تستخلف قال ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف عليكم وإن يرد الله - تبارك وتعالى - بالناس خيراً فسيجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم »[٣] .

٩ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى علّي رضي الله عنه أنه قال لأبي جحيفة : يا أبا جحيفة ألا أخبرك بأفضل هذه الأمة بعد نبيها قال : قلت : بلى ولم أكن أرى أن أحداً أفضل منه قال : أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وبعد أبي بكر عمر وبعدهما آخر ثالث ولم يسمه »[٤] . فقد صرّح الإمام عليٌّ رضي الله عنه بأن الصديق خير الناس وأفضلهم بعد الرسول ﷺ .

---

(١) صحيح البخاري ٢٩١/٢ .

(٢) فتح الباري ٣٣/٧ .

(٣) مجمع الزوائد ٤٧/٩ ثم قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن الحارث وهو ثقة .

(٤) مسند الإمام أحمد ١٠٦/١ .

١٠ - وروى البخاري بإسناده إلى عمار بن ياسر قال : « رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر »[(١)] .

وهذا الحديث تضمن منقبة عظيمة وفضيلة خاصة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث لم يسبقه أحد من الرجال الأحرار للدخول في الإسلام فدل هذا على أنه أفضل الخلق بعد النبي ﷺ .

١١ - وروى أيضاً بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان ابن عفان رضي الله عنهم »[(٢)] .

هذا الحديث دل على أن أفضلية أبي بكر كانت ثابتة في أيامه عليه الصلاة والسلام وأنه أفضل الناس بعد النبي ﷺ .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : « قوله : « كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله ﷺ أي : نقول : فلان خير من فلان » وفي رواية عبيد الله بن عمر في مناقب عثمان « كنا لا نعدل بأبي بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ فلا نفاضل بينهم »[(٣)] وقوله : « لا نعدل بأبي بكر » أي : لا نجعل له مثلا ... ولأبي داود من طريق سالم عن ابن عمر « كنا نقول ورسول الله ﷺ حي : أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان »[(٤)] زاد الطبراني في رواية « فيسمع رسول الله ﷺ ذلك فلا ينكره » .... وفي الحديث تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر كما هو المشهور عند جمهور أهل السنة »[(٥)] .

---

(١) صحيح البخاري ٢٨٩/٢ .
(٢) صحيح البخاري ٢٨٩/٢ .
(٣) المصدر نفسه ٢٩٧/٢ .
(٤) سنن أبي داود ٥١١/٢ .
(٥) فتح الباري ١٦/٧ .

وقال أبو سليمان الخطابي بعد حديث ابن عمر : « كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان رضي الله عنهم ، ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ لا نفاضل بينهم » وجه ذلك والله أعلم أنه أراد به الشيوخ الذين كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر شاورهم فيه ، وكان عليٌّ رضوان الله عليه في زمان رسول الله حديث السن ولم يرد ابن عمر الإزراء بعلي - رضي الله عنه - ولا تأخيره ودفعه على الفضيلة بعد عثمان وفضله مشهور لا ينكره ابن عمر ولا غيره من الصحابة » اهـ[1] . فقول ابن عمر : « ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ فلا نفاضل بينهم » لا يلزم منه أنهم تركوا التفاضل حينذاك ولا يلزم منه أن لا يكونوا اعتقدوا بعد ذلك تفضيل عليٍّ على من سواه »[2] .

فالحديث دل على أن أبا بكر أفضل الخلق بعد الرسول ﷺ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة .

١٢ - وروى أيضاً : بإسناده إلى أبي الدرداء رضي الله عنه قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي ﷺ : « **أمَّا صاحبكم فقد غامر فسلم** » وقال : يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك فقال : « **يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً** » ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل : أثم أبو بكر فقالوا : لا ، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر[3] حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال : يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبي ﷺ : « **إن الله بعثني إليكم فقلتم : كذبت وقال أبو بكر : صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي** » مرتين فما أوذي بعدها .[4] هذا

---

(١) معالم السنن ٣٠٢/٤ .

(٢) انظر فتح الباري ١٧/٧ .

(٣) قال في النهاية ٣٤٢/٤ « فتمعر وجهه أي : تغير وأصله قلة النضارة وعدم إشراق اللون » اهـ .

(٤) صحيح البخاري ٢٨٩/٢ - ٢٩٠ .

الحديث فيه بيان فضل أبي بكر ، فقد غضب النبي ﷺ على الفاروق رضي الله عنه حين حصل بينه وبين الصديق شيء فشعر الصديق أنه المخطيء على عمر فطلب منه الصديق أن يعفو عنه ويغفر له فأبى عليه فذهب إلى النبي ﷺ وذكر له ما حصل فاستغفر له النبي ﷺ ، ثم إن الفاروق ندم على عدم مغفرته للصديق فأخذ في البحث عنه فلم يجده في منزله فذهب إلى النبي ﷺ فوجده عنده فما أن وصل إلي النبي ﷺ إلا وقد رأى تغير وجه النبي ﷺ غضباً حتى أشفق الصديق من ذلك لئلا يصيب الفاروق من ذلك شيء وأخبر النبي ﷺ أنه هو الذي بدأ فأخذ النبي ﷺ في بيان فضله ومناقبه ومنزلته عنده فقال لهم : « **إن الله بعثني إليكم فقلتم : كذبت وقال أبو بكر : صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي** » مرتين فما أوذي بعدها لما أظهره النبي ﷺ لهم من تعظيمه لأبي بكر رضي الله عنه .

قال الحافظ : « وفي الحديث من الفوائد فضل أبي بكر على جميع الصحابة وأن الفاضل لا ينبغي له أن يغاضب من هو أفضل منه وفيه جواز مدح المرء في وجهه ومحله إذا أمن عليه الافتتان والاغترار » اهـ[1] .

١٣ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أصبح منكم اليوم صائماً ؟** » قال أبو بكر : أنا ، قال : « **فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟** » قال أبو بكر : أنا ، قال : « **فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟** » قال أبو بكر : أنا ، قال : « **فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟** » قال أبو بكر : أنا ، فقال رسول الله ﷺ : « **ما اجتمعن في امرء إلا دخل الجنة** »[2] .

هذا الحديث اشتمل على فضائل ظاهرة للصديق رضي الله عنه ، فإنه كان سباقاً إلى فعل الخيرات التي تقرب العبد من الجنة وتزحزحه من النار . قال النووي : قوله ﷺ : « **من أصبح منكم اليوم صائماً** » قال أبو بكر أنا إلى قوله ﷺ

---

(١) فتح الباري ٢٦/٧ .

(٢) صحيح مسلم ١٨٥٧/٤ .

« **ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة** » قال القاضي معناه : « دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى »[1] .

١٤ - وروى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة** » فقال أبو بكر : إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه ، فقال رسول الله ﷺ : « **إنك لست تصنع ذلك خيلاء** » قال موسى : فقلت لسالم : أذكر عبد الله « من جر إزاره » قال : « لم أسمعه ذكر إلا ثوبه »[2] هذا الحديث تضمن فضيلة لأبي بكر وهو قوله له ﷺ : « **إنك لست تصنع ذلك خيلاء** » حيث شهد له المصطفى ﷺ بما ينافي ما يكره رضي الله عنه وأرضاه .

١٥ - وروى أيضاً : بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال : « **اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان** »[3] دل هذا الحديث على منقبة عظيمة لأبي بكر رضي الله عنه وهي « وصديق » فقد لقبه النبي ﷺ بهذا اللقب الشريف ومنزلة الصديقين بينها الله تعالى بقوله : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[4] فقد بين تعالى أن الصديقين في المرتبة الثانية بعد الأنبياء وفي مقدمتهم الصديق الأعظم أبو بكر رضي الله عنه .

١٦ - وروى أيضاً : بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريره إذا رجل من

---

(١) شرح النووي ١٥/١٥٦ .

(٢) صحيح البخاري ٢/٢٩٠ .

(٣) صحيح البخاري ٢/٢٩٣ .

(٤) سورة النساء آية / ٦٩ .

خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول : رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول : « **كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر وانطلقت وأبو بكر وعمر** » فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما فالتفت فإذا هو عليٌّ بن أبي طالب[1] .

فهذا الحديث تضمن فضيلة الشيخين معاً والغرض منه دلالته على منقبة لأبي بكر الصديق وهي فضله على عمر وغيره لأنه كان المقدم عند النبي ﷺ في كل شيء حتى في ذكره عنده عليه الصلاة والسلام .

١٧ - وروى البخاري أيضاً : بإسناده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه توضأ في بيته ، ثم خرج فقلت : لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا قال : فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا : خرج ووجّه ههنا فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها[2] وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر فسلمت عليه ، ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت : لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر فقلت : على رسلك ، ثم ذهبت فقلت : يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فقال : « **ائذن له وبشره بالجنة** » فأقبلت حتى قلت : لأبي بكر ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني فقلت : إن يرد الله بفلان خيراً يريد أخاه يأت به فإذا إنسان يحرك الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب فقلت : على رسلك ثم جئت إلى رسول الله فسلمت

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٣ .

(٢) القف : قال في النهاية ٤/٩١ « قف البئر : هو الدكة التي تجعل حولها وأصل القف ما غلظ من الأرض وارتفع » .

عليه فقلت : هذا عمر بن الخطاب يستأذن فقال : « **ائذن له وبشره بالجنة** » فجئت فقلت له : ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر ، ثم رجعت فجلست فقلت : إن يرد الله بفلان خيراً يأت به فجاء إنسان يحرك الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان فقلت : على رسلك فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : « **ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه** » فجئته فقلت له : ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر قال شريك : قال سعيد بن المسيب فأولتها قبورهم »[1] .

هذا الحديث فيه التصريح بفضل الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ودل على أن أبا بكر أفضلهم لسبقه بالبشارة بالجنة وجلوسه على يمين المصطفى عليه الصلاة والسلام .

١٨ - وروى البخاري أيضاً في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب - يعني الجنة - يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان** » فقال أبو بكر : ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة وقال : هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله قال : « **نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر** »[2] .

هذا الحديث دل على فضيلة ومنقبة عالية للصديق رضي الله عنه تضمنها قوله ﷺ : « **وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر** » ورجاء النبي ﷺ واقع محقق

---

(١) صحيح البخاري ٢٩٢/٢ .
(٢) المصدر نفسه ٢٩٠/٢ .

وفي هذا دلالة واضحة على فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ . قال العلامة ابن القيم موضحاً منقبة الصديق في هذا الحديث : « لما سمت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها سأل رسول الله ﷺ هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك فخبره بحصوله وبشره بأنه من أهله وكأنه قال : هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها ؟ فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس » اهـ[1] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قوله : « فقال أبو بكر : ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة » زاد في الصيام « فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها » وفي الحديث إشعار بقلة من يدعى من تلك الأبواب كلها وفيه إشارة إلى أن المراد ما يتطوع به من الأعمال المذكورة لا واجباتها لكثرة من يجتمع له العمل بالواجبات كلها بخلاف التطوعات فقل من يجتمع له العمل بجميع أنواع التطوعات ، ثم من يجتمع له ذلك إنما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم له ، وإلا فدخوله إنما يكون من باب واحد ولعله باب العمل الذي يكون أغلب عليه ... قوله : « **وأرجو أن تكون منهم** » قال العلماء : الرجاء من الله ومن نبيه واقع وبهذا التقرير يدخل الحديث في فضائل أبي بكر ووقع في حديث ابن عباس عند ابن حبان في نحو هذا الحديث التصريح بالوقوع لأبي بكر ولفظه « قال : أجل وأنت هو يا أبا بكر » اهـ[2] .

١٩ - ومن مناقبه رضي الله عنه ما تميز به فوق ما حازه من الفضائل الكثيرة قيامه بالدعوة إلى الله تعالى في بداية الإسلام في وقت لم يجرؤ فيه أحد سواه على الدعوة وقد أسلم على يديه كثير من الصحابة رضي الله عنهم وكان لهم قدم صدق في الإسلام ومن هؤلاء عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ،

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٧٥ - ٧٦ .

(٢) فتح الباري ٢٨/٧ - ٢٩ .

والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمٰن بن عوف وعثمان بن مظعون وغيرهم كثير رضي الله عنهم أجمعين[1] .

وبعد أن تولى الخلافة بعد النبي ﷺ سعى جاهداً في إرساء العقيدة الإسلامية في نفوس الناس وعقد الألوية لمحاربة المرتدين وإرجاعهم إلى دين الإسلام حيث ارتد كثير من الناس عن هذا الدين الحنيف ، وبعضهم أراد أن يمنع الزكاة ، والبعض الآخر ادعى النبوة فعمت فتنة الردة كثيراً من البلاد[2] . روى البيهقي رحمه الله بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : والذي لا إلٰه إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله ثم قال الثانية ثم قال الثالثة ثم قيل له : مه يا أبا هريرة فقال : إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد في سبع مائة إلى الشام فلما نزل بذي خشب[3] قبض النبي ﷺ وارتدت العرب حول المدينة واجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا بكر رد هؤلاء توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فقال : والذي لا إلٰه إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ﷺ ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ فوجه أسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام[4] .

فقد وفق الله الصديق أن وقف موقفاً عظيماً يذكر به في الآخرين أمام تلك الردة التي عمت معظم البلاد وأصر إلا على قتالهم حتى يرجعوا إلى الإسلام وكان منفرداً بهذا الرأي حتى شرح الله صدر الفاروق لذلك وعرف أنه الحق فبارك الله خطاه حتى رفع راية التوحيد في كل البلاد التي مرض أهلها بالردة ،

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٥٠/١ .

(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك ٢٤٩/٣ وما بعدها وانظر الكامل لابن الأثير ٣٤٢/٢ البداية والنهاية ٣٥٠/٦ .

(٣) ذي خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة « معجم البلدان » ٣٧٢/٢ .

(٤) الاعتقاد للبيهقي ص ١٧٤ - ١٧٥ .

ثم شرع بعد ذلك في نشر الإسلام في البلدان التي لم يصلها نور الإسلام وسعادته حتى لقي ربه تبارك وتعالى .

٢٠ – ومما تميز به عن غيره من صحابة رسول الله ﷺ أن المصطفى عليه الصلاة والسلام انتقل إلى الرفيق الأعلى وهو بالسنح[١] فأصاب الناس الذهول والحيرة والاضطراب أمّا الصديق فقد رزقه الله قوة النفس والثبات فكان أصبر الصحابة وأثبتهم عند وفاة النبي ﷺ حيث جاء : « فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله فقال : بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً ، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً ، ثم خرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[٢] . وقال :﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٣] قال فنشج الناس يبكون ... » الحديث[٤] .

وما إن سمع الصحابة رضي الله عنهم هذه الخطبة من صدّيق هذه الأمة إلا ورجعوا إلى الرشد والصواب وانكشف ما بهم من الحيرة والذهول ولذلك كان أفضلهم على الإطلاق .

تلك هي طائفة من الأحاديث التي اشتملت على المناقب التي دلت على أن الصديق حاز الأفضلية على سائر الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وأما دلالة الإجماع على أفضلية الصديق رضي الله عنه :

---

(١) السنح : إحدى محال المدينة كان بها منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان بين السنح ومنزل النبي ﷺ قدر ميل » انظر معجم البلدان لياقوت الحموي » ٢٦٥/٣ .

(٢) سورة الزمر آية / ٣٠ .

(٣) سورة آل عمران آية / ١٤٤ .

(٤) صحيح البخاري ٢٩١/٢ .

فقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة على أن أفضل الصحابة والناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أبو بكر ، ثم عمر ثم عثمان ، ثم عليٌّ ، ثم سائر العشرة ، ثم باقي أهل بدر ، ثم باقي أهل أحد ، ثم باقي أهل بيعة الرضوان ثم باقي الصحابة هكذا إجماع أهل الحق ، فأبو بكر أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ لا ينازع في ذلك إلا زائغ[1] وقد نقل الإجماع على أن أفضل الناس بعد الأنبياء هو أبو بكر الصديق جماعة من أهل العلم منهم :

أبو طالب العشاري[2] والإمام الشافعي والنووي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر والبيهقي :

ـ فقد روى أبو طالب العشاري بإسناده إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال : من فضل على أبي بكر وعمر أحداً من أصحاب النبي ﷺ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار وطعن على أصحاب النبي ﷺ[3] .

ـ وقال الإمام الشافعي فيما رواه عنه البيهقي بإسناده : « ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة وإنما اختلف من اختلف منهم في عليٍّ وعثمان ونحن لا نخطيء واحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فيما فعلوا »[4] .

ـ وقال الحافظ ابن حجر : « ونقل البيهقي في « الاعتقاد » بسنده إلى

---

(١) انظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣١٢/٢ ، أصول الدين لأبي منصور البغدادي ص ٣٠٤ ، الفرق بين الفرق ص ٣٥٩ ، تاريخ الخلفاء ص٤٤ .

(٢) هو محمد بن عليّ بن الفتح المعروف بابن العشاري روى عن الدارقطني وطبقته وهو فقيه حنبلي ، ولد سنة ستين وثلاثمائة ، وتوفي سنة إحدى وخمسين وأربعمائة » انظر ترجمته في طبقات الحنابلة » ١٩١/٢ - ١٩٤ ، شذرات الذهب ٢٨٩/٣ .

(٣) فضائل أبي بكر للعشاري ص ٨ .

(٤) كتاب الاعتقاد ص ١٩٢ .

أبي ثور عن الشافعي أنه قال : أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر ، ثم عمر ثم عثمان ، ثم علي »[1] .

ــ وقال النووي رحمه الله تعالى : « اتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر »[2] .

ــ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن عليّ بن أبي طالب أنه قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر »[3] .

ــ وقال ابن حجر الهيثمي: «اعلم أن الذي أطبق عليه عظماء الملة وعلماء الأمة أن أفضل هذه الأمة أبو بكر الصديق ثم عمر رضي الله عنهما »[4] .

وهؤلاء الأعلام الذين نقلوا هذا الإجماع إنما هو بناء على ما قاله أئمة أهل السنة والجماعة فقد قال الإمام أبو حنيفة كما في شرح « الفقه الأكبر » : ونقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ، ثم عليٌّ رضي الله عنهم أجمعين » اهـ[5] .

ــ وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن الإمام مالك بن أنس أنه قال : لما سأله الرشيد عن منزلة الشيخين من النبي ﷺ فقال : « منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد مماته - ثم قال - وكثرة الاختصاص والصحبة مع كمال المودة والائتلاف والمحبة والمشاركة في العلم يقضي بأنهما أحق من غيرهما وهذا ظاهر بين لمن له خبرة بأحوال القوم »[6] ومعلوم أن أبا بكر كانت منزلته

---

(١) فتح الباري ١٧/٧ وانظر الاعتقاد للبيهقي ص ١٩٢ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٨/١٥ .

(٣) الوصية الكبرى ص ٣٢ .

(٤) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ص ٥٧ .

(٥) ص ١٠٨ .

(٦) مجموع الفتاوى ٤٠٣/٤ .

عند النبي ﷺ أعلا منزلة وكان أفضل الصحابة وكان الصحابة يعتقدون أنه خير الناس والنبي يعلم ذلك ويقرهم عليه كما تقدم قريباً في حديث ابن عمر .

ـــ وروى الإمام البيهقي مسنداً إلى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول : « أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم » .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى : « اضطر الناس بعد رسول الله ﷺ إلى أبي بكر فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر من أجل ذلك استعملوه على رقاب الناس »[1] .

ـــ وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: « وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر ، وعمر بعد أبي بكر ، وعثمان بعد عمر ، وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون »[2] .

ـــ وقال عبدوس بن مالك العطار : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق »[3] .

ـــ وقال أبو الحسن الأشعري مبيناً مذهب أهل السنة وعقيدتهم في السلف : « ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله – سبحانه – لصحبة نبيه ﷺ ويأخذون بفضائلهم ... ويقدمون أبا بكر ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علياً رضوان الله عليهم ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون أفضل الناس كلهم بعد النبي ﷺ[4] .

وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى : « وأفضل أمته ﷺ : أبو بكر

---

(١) هذان القولان أوردهما عن الشافعي الإمام البيهقي في كتابه « مناقب الشافعي » ١/٤٣٣ – ٤٣٤ .
(٢) طبقات الحنابلة ١/٣٠ .
(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ١/١٦٠ .
(٤) مقالات الإسلاميين ١/٣٤٨ .

الصديق ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم عليٌّ المرتضى رضي الله عنهم »[1] .

ـ وقال الإمام الذهبي : « أفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ ومؤنسه في الغار وصديقه الأكبر ... عبد الله بن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي » اهـ[2] .

ـ وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : « وأفضل الصحابة بل أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام أبو بكر عبد الله بن عثمان أبو قحافة التيمي ، ثم من بعده عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ، ثم عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين » اهـ[3] .

تلك هي عقيدة أهل السنة والجماعة في أبي بكر الصديق « وهي الإيمان والمعرفة بأن خير الخلق وأفضلهم وأعظمهم منزلة عند الله – عز وجل – بعد النبيين والمرسلين أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة رضي الله عنه »[4] . وهذا هو المذهب الحق الذي يلزم كل مسلم أن يعتقده ويلتزمه ويتمسك به . وبالله التوفيق .

* * *

---

(١) لمعة الاعتقاد ص ٢٥ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١/٢ .

(٣) الباعث الحثيث ص ١٨٣ .

(٤) انظر كتاب « الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة » لعبيد الله محمد بن بطة العكبري » ص ٢٥٧ ، شرح الطحاوية ص ٥٢٨ .

★ المبحث الثاني ★

فضل عمر الفاروق رضي الله عنه

إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يلي أبا بكر الصديق في الفضل فهو أفضل الناس على الإطلاق بعد الأنبياء وأبي بكر وهذا ما يلزم المسلم اعتقاده في أفضليته رضي الله عنه وهذا هو معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة . ونسبه رضي الله عنه هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب يجتمع مع النبي ﷺ في كعب وعدد ما بينهما من الآباء إلى كعب متفاوت بواحد بخلاف أبي بكر فبين النبي ﷺ وكعب سبعة آباء ، وبين عمر وبين كعب ثمانية ، وأم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ابنة عم أبي جهل والحارث ابني هشام بن المغيرة[1] .

وهو أحد السابقين إلى الإسلام ، وبإسلامه رضي الله عنه ظهر دين الإسلام وعلت كلمة الإيمان وكان عند البعثة النبوية شديداً على المسلمين ، ولما دخل في الإسلام كان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً لهم من الضيق[2] .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « إن كان إسلام عمر لفتحاً ، وهجرته لنصراً ، وإمارته رحمة ، والله ما استطعنا أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتلهم حتى ودعونا فصلينا »[3] .

---

(١) الطبقات الكبرى ٢٦٥/٣ ، تاريخ الأمم والملوك للطبري ١٩٥/٤ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ٥/١ ، الإصابة ٥١١/٢ ، فتح الباري ٤٤/٧ ، وانظر مجمع الزوائد ٦٠/٩ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٨ ، لوامع الأنوار البهية ٣١٧/٢ .

(٢) الإصابة ٥١١/٢ .

(٣) انظر الطبقات لابن سعد ٢٧٠/٣ ، مجمع الزوائد ٦٢/٩ ثم قال الهيثمي : رواه الطبراني وفي رواية =

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : « أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب »[1] وقد حقق الله فيه دعوة النبي ﷺ له قبل أن يسلم أن يعز به الإسلام فقد روى الترمذي بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر ابن الخطاب** » قال : وكان أحبهما إليه عمر[2] .

وأخرج ابن سعد بسند حسن عن سعيد بن المسيب قال : كان رسول الله ﷺ إذا رأى عمر بن الخطاب ، أو أبا جهل بن هشام قال : « **اللهم اشدد دينك بأحبهما إليك** » فشدّ دينه بعمر بن الخطاب[3] .

وكان يكنى رضي الله عنه بأبي حفص .

قال الحافظ : أمَّا كنيته فجاء في السيرة لابن إسحاق أن النبي ﷺ كناه بها وكانت حفصة أكبر أولاده ، وأمَّا لقبه فهو الفاروق باتفاق . فقيل : أول من لقبه به النبي ﷺ رواه أبو جعفر بن أبي شيبة في تاريخه عن طريق ابن عباس عن عمر ورواه ابن سعد من حديث عائشة[4] . وقيل : أهل الكتاب أخرجه ابن سعد عن الزهري[5] وقيل : جبريل رواه البغوي[6] .

وأحسنها وأقربها أن النبي ﷺ لقبه بالفاروق لما رواه ابن سعد بإسناده إلى أبي عمرو ذكوان قال : قلت لعائشة : من سمى عمر الفاروق ؟ قالت : النبي

= ما استطعنا أن نصلي عند الكعبة ظاهرين » ورجاله رجال الصحيح » ، الإصابة ٢/٥١١ بمعناه .

(١) مجمع الزوائد ٩/٦٣ ثم قال عقبه الهيثمي : رواه الطبراني وإسناده حسن .

(٢) سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ١٠/١٦٧ – ١٦٨ ثم قال الترمذي عقبه : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر .

(٣) الطبقات الكبرى ٣/٢٦٧ ، وانظر الإصابة ٢/٥١١ – ٥١٢ .

(٤) الطبقات الكبرى ٣/٢٧١ .

(٥) المصدر السابق ٣/٢٧٠ .

(٦) فتح الباري ٧/٤٤ .

عليه السلام »[1] .

فهو رضي الله عنه الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل ، وهو الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه ، وهو المحدث الملهم الصادق الظن وهو سيد هذه الأمة بعد الصديق ، والخليفة الثاني لرسول الله ﷺ على الأمة المحمدية « اتفق العلماء على أنه شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ لم يغب عن غزاة غزاها رسول الله ﷺ »[2] .

وقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة بفضائل الفاروق رضي الله عنه ومنها :

١ – ما رواه الشيخان من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « **رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت من هذا ؟ فقال : هذا بلال ورأيت قصراً بفنائه جارية ، فقلت : لمن هذا ؟ فقال : لعمر فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك** » فقال عمر : بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار .

٢ – ورويا أيضاً : من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال : « **بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبراً** » فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله »[3] .

هذان الحديثان اشتملا على فضيلة ظاهرة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث أخبر النبي ﷺ برؤيته قصراً في الجنة للفاروق رضي الله عنه وهذا يدل على تكريمه وعلو منزلته رضي الله عنه .

---

(١) الطبقات الكبرى ٣/٢٧١ .

(٢) تاريخ عمر لابن الجوزي ص ١٠٨ .

(٣) صحيح البخاري ٢/٢٩٣ ، صحيح مسلم ٤/١٨٦٢ – ١٨٦٣ .

قال ابن بطال : « فيه الحكم لكل رجل بما يعلم من خلقه قال : وبكاء عمر يحتمل أن يكون سروراً ، ويحتمل أن يكون تشوقاً أو خشوعاً .... » وقال الحافظ : « وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من مراعاة الصحبة وفيه فضيلة ظاهرة لعمر » اهـ[1] .

٣ – وروى البخاري بإسناده إلى حمزة بن أسيد الأنصاري عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « **بينا أنا نائم شربت** – يعني اللبن – **حتى أنظر إلى الرّي يجري في ظفري أو في أظفاري ، ثم ناولت عمر** » فقالوا : فما أولته قال : « **العلم** »[2] . « وجه التعبير بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم في كثرة النفع وكونهما سبباً للصلاح ، فاللبن للغذاء البدني والعلم للغذاء المعنوي وفي الحديث فضيلة – ومنقبة لعمر رضي الله عنه – وإن الرؤيا من شأنها أن لا تحمل على ظاهرها وإن كانت رؤيا الأنبياء من الوحي لكن منها ما يحتاج إلى تعبير ومنها ما يحمل على ظاهره ... والمراد بالعلم – في الحديث – سياسة الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ واختص عمر بذلك لطول مدته بالنسبة إلى أبي بكر وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان فإن مدة أبي بكر كانت قصيرة فلم يكثر فيها الفتوح التي هي أعظم الأسباب في الاختلاف ومع ذلك فساس عمر فيها مع طول مدته الناس بحيث لم يخالفه أحد ثم ازدادت اتساعاً في خلافة عثمان فانتشرت الأقوال واختلفت الآراء ولم يتفق له ما اتفق لعمر من طواعية الخلق له فنشأت من ثم الفتن إلى أن أفضى الأمر إلى قتله واستخلف عليٌّ فما ازداد الأمر إلا اختلافاً والفتن إلا انتشارا[3] .

وبهذا اتضحت المنقبة التي اشتمل عليها الحديث للفاروق رضي الله عنه .

---

(١) فتح الباري ٧٥/٧ .

(٢) صحيح البخاري ٢٩٤/٢ ، وعند مسلم من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه ١٨٥٩/٤ .

(٣) انظر فتح الباري ٤٦/٧ .

٤ – وروى الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره** » قالوا فما أولته يا رسول الله ؟ قال : « **الدين** »[١] .

هذا الحديث تضمن فضيلة ظاهرة لعمر رضي الله عنه وهي قوله « **وعرض عليّ عمر وعليه قميص اجتره** » إلخ الحديث .

قال الحافظ : « السائل عن ذلك أبو بكر ... وقد استشكل هذا الحديث بأنه يلزم منه أن عمر أفضل من أبي بكر الصديق والجواب عنه تخصيص أبي بكر من عموم قوله عرض علي الناس فلعل الذين عرضوا إذ ذاك لم يكن فيهم أبو بكر وأن كون عمر عليه قميص يجره لا يستلزم أن لا يكون على أبي بكر قميص أطول منه وأسبغ فلعله كان كذلك إلا أن المراد حينئذ بيان فضيلة عمر فاقتصر عليها والله أعلم » اهـ[٢] .

٥ – ورويا أيضاً : من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك فقال : أضحك الله سنك يا رسول الله فقال النبي ﷺ : « **عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب** » قال عمر : فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله ثم قال عمر يا عدوات أنفسهن ، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ فقلن : نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « **إيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً**[٣] **قط إلا**

---

(١) صحيح البخاري ٢٩٥/٢ ، صحيح مسلم ١٨٥٩/٤ .

(٢) فتح الباري ٥١/٧ .

(٣) الفج: الطريق الواسع ويطلق أيضاً على المكان المنخرق بين الجبلين النهاية ٤١٢/٣، شرح النووي ١٦٥/١٥.

سلك فجاً آخر »[1] .

هذا الحديث فيه بيان فضل عمر رضي الله عنه وأنه من كثرة التزامه الصواب لم يجد الشيطان عليه مدخلا ينفذ إليه منه .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : « فيه فضيلة عظيمة لعمر تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه لا أن ذلك يقتضي وجود العصمة إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه في طريق يسلكها ، ولا يمنع ذلك من وسوسته له بحسب ما تصل إليه قدرته ، فإن قيل عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة لأنه إذا منع من السلوك في طريق فأولى أن لا يلابسه بحيث يتمكن من وسوسته له فيمكن أن يكون حفظ من الشيطان ، ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له لأنها في حق النبي واجبة وفي حق غيره ممكنة ووقع في حديث حفصة عند الطبراني في الأوسط بلفظ : « إن الشيطان لا يلقى عمر منذ أسلم إلا فر لوجهه » وهذا دال على صلابته في الدين ، واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض .

وقال النووي : « هذا الحديث محمول على ظاهره وأن الشيطان يهرب إذا رآه : وقال عياض : يحتمل أن يكون ذاك على سبيل ضرب المثل وأن عمر فارق سبيل الشيطان وسلك طريق السداد فخالف كل ما يحبه الشيطان » قال الحافظ « والأول أولى »[2] .

٦ – روى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن مسعود قال : « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر »[3] . هذا الحديث تضمن منقبة جليلة لعمر رضي الله عنه لما كان من القوة والجلد في أمر الله قال الحافظ : « وروى ابن أبي شيبة والطبراني من طريق القاسم بن عبد الرحمن قال : قال عبد الله بن مسعود : « كان إسلام

---

(١) صحيح البخاري ٢٩٤/٢ ، صحيح مسلم ١٨٦٣/٤ – ١٨٦٤ .

(٢) فتح الباري ٤٧/٧ – ٤٨ ، شرح النووي ١٦٥/١٥ – ١٦٧ .

(٣) صحيح البخاري ٢٩٤/٢ .

عمر عزاً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة ، والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر »[1] .

٧ – روى الشيخان من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « **أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب**[2] **فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً والله يغفر له**[3] ، **ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً فلم أر عبقرياً يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن** »[4] .

هذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لعمر رضي الله عنه تضمنها قوله ﷺ : « **فجاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً** ... الحديث » ومعنى : « استحالت » صارت وتحولت من الصغر إلى الكبر وأمَّا « العبقري » فهو السيد وقيل : الذي ليس فوقه شيء ومعنى « ضرب الناس بعطن » أي أرووا إبلهم ثم آووها إلى عطنها وهو الموضع الذي تساق إليه بعد السقي لتستريح وهذا المنام رآه النبي ﷺ مثال واضح لما جرى للصديق وعمر رضي الله عنهما في خلافتهما وحسن سيرتهما وظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما فقد حصل في خلافة الصديق قتال أهل الردة وقطع دابرهم واتساع الإسلام رغم قصر مدة خلافته فقد كانت سنتين وأشهراً فوضع الله فيها البركة ولما حصل فيها من النفع الكثير ولما توفي الصديق خلفه الفاروق فاتسعت رقعة الإسلام في زمنه وتقرر للناس من أحكامه ما لم يقع مثله فكثر انتفاع الناس في خلافة عمر لطولها فقد مصر الأمصار ودون الدواوين

---

(١) فتح الباري ٤٨/٧ .

(٢) القليب : هي البئر غير المطوية ، شرح النووي ١٥٨/١٥ .

(٣) والله يغفر له : هذه العبارة ليس فيها تنقيص لأبي بكر ولا إشارة إلى ذنب وإنما هي كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم ونعمت الدعامة » انظر شرح النووي على صحيح مسلم » ١٦١/١٥ ، فتح الباري ٣٩/٧ .

(٤) صحيح البخاري ٢٩٤/٢ ، صحيح مسلم ١٨٦٢/٤ .

وكثرت الفتوحات والغنائم .. ومعنى قوله ﷺ : « **فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريه** » أي : لم أر سيداً يعمل عمله ويقطع قطعه ومعنى قوله ﷺ : « **حتى ضرب الناس بعطن** » قال القاضي عياض : ظاهره أنه عائد إلى خلافة عمر خاصة وقيل : يعود إلى خلافة أبي بكر وعمر جميعاً لأن بنظرهما وتدبيرهما وقيامهما بمصالح المسلمين تم هذا الأمر « **وضرب الناس بعطن** » . لأن أبا بكر قمع أهل الردة وجمع شمل المسلمين وألفهم وابتدأ الفتوح ومهد الأمور وتمت ثمرات ذلك وتكاملت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما »[1] .

٨ - وروى الشيخان بإسنادهما إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر** »[2] .

هذا الحديث تضمن منقبة عظيمة للفاروق رضي الله عنه وقد اختلف العلماء في المراد « بالمحدَّث » .

فقيل : المراد بالمحدث : الملهم .

وقيل : من يجري الصواب على لسانه من غير قصد .

وقيل : مكلم أي : تكلمه الملائكة بغير نبوة ... بمعنى أنها تكلمه في نفسه وإن لم ير مكلماً في الحقيقة فيرجع إلى الإلهام . وفسره بعضهم بالتفرس »[3] .

قال الحافظ : « والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها ووقع له بعد النبي ﷺ عدة إصابات »[4] .

---

(١) انظر شرح النووي ١٥/١٦١ - ١٦٢ .

(٢) صحيح البخاري ٢/٢٩٥ ، ورواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها ٤/١٨٦٤ .

(٣) فتح الباري ٧/٥٠ وانظر شرح النووي ١٥/١٦٦ .

(٤) فتح الباري ٧/٥١ .

وكون عمر رضي الله عنه اختص بهذه المكرمة العظيمة وانفرد بها دون من سواه من الصحابة لا تدل على أنه أفضل من الصديق رضي الله عنه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وكان أبو بكر رضي الله عنه أكثر علماً وإيماناً من عمر ... وإن كان عمر – رضي الله عنه – محدثاً كما جاء في الحديث الصحيح ... فهو رضي الله عنه المحدث الملهم الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه ، ولكن مزية الصديق الذي هو أكمل متابعة للرسول وعلماً وإيماناً بما جاء به ، درجته فوق درجته فلهذا كان الصديق أفضل الأمة صاحب المتابعة للآثار النبوية ، فهو معلم لعمر ومؤدب للمحدث منهم الذي يكون له من ربه إلهام وخطاب كما كان أبو بكر معلماً لعمر ومؤدباً له حيث قال له : فأخبرك أنك تدخله هذا العام ؟ قال : لا قال : إنك آتيه ومطوف .

فبين له الصديق أن وعد النبي ﷺ مطلق غير مقيد بوقت ، وكونه سعى في ذلك العام وقصده لا يوجب أن يعني ما أخبر به ، فإنه قد يقصد الشيء ولا يكون ، بل يكون غيره ، إذ ليس من شرط النبي ﷺ أن يكون كما قصده ، بل من تمام نعمة ربه عليه أن يقيده عما يقصده إلى أمر آخر هو أنفع مما قصده ، كما كان صلح الحديبية أنفع للمؤمنين من دخولهم ذلك العام ، بخلاف خبر النبي ﷺ ، فإنه صادق لابد أن يقع ما أخبر به ويتحقق »[1] .

وقال العلامة ابن القيم : « ولا تظن أن تخصيص عمر رضي الله عنه بهذا تفضيل له على أبي بكر الصديق بل هذا من أقوى مناقب الصديق فإنه لكمال مشربه من حوض النبوة وتمام رضاعه من ثدي الرسالة استغنى بذلك عما تلقاه من تحديث أو غيره ، فالذي يتلقاه من مشكاة النبوة أتم من الذي يتلقاه عمر من التحديث فتأمل هذا الموضع وأعطه حقه من المعرفة وتأمل ما فيه من الحكمة

---

(١) دقائق التفسير الجامع لتفسير شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد السيد الجليند ٣٠٦/٤ – ٣٠٧ .

البالغة الشاهدة لله بأنه الحكيم الخبير »[1] .

٩ – وروى أبو عبد الله الحاكم في المستدرك والترمذي في سننه والإمام أحمد في المسند بإسنادهم إلى عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب** »[2] .

هذا الحديث فيه إبانة لفضل الفاروق رضي الله عنه حيث جعل الله تعالى فيه من أوصاف الأنبياء وخلال المرسلين ما يجعله لأن يكون أهلا للنبوة لو كان هناك نبوة بعد المصطفى ﷺ ولكن الله تعالى ختم النبوة بمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فلا نبوة بعده إلى يوم القيامة .

١٠ – وروى البخاري بإسناده إلى أنس رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال : متى الساعة ؟ قال : «**وماذا أعددت لها ؟** » قال : لاشيء إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ فقال : « **أنت مع من أحببت** » قال أنس : فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم[3] .

هذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لعمر رضي الله عنه تؤخذ من قول أنس بن مالك فإنه قرن الصديق وعمر بالنبي ﷺ في العمل ولا يعني هذا أن أنساً رضي الله عنه يريد أن يكون في درجة النبي ﷺ فالدرجات متفاوتة وإنما يريد ويرجو أن يكون في الجنة دار الثواب وبعيداً عن دار العقاب وكل مؤمن يحبهم يرجو ذلك من الله تعالى .

١١ – ومن أجل مناقبه رضي الله عنه وأعظمها موافقته للقرآن في وقائع

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢٥٥/١ .

(٢) المستدرك ٨٥/٣ وقال الحاكم عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ١٧٣/١٠ ، المسند ١٥٤/٤ وأورده الألباني في صحيح سنن الترمذي وقال عقبه : « حسن » وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٣٢٧ .

(٣) صحيح البخاري ٢٩٥/٢ .

متعددة بمعنى أنه كان يرى الرأي فيتنزل القرآن موافقاً لما رآه رضي الله عنه وأرضاه . فقد روى البخاري رحمه الله تعالى بإسناده إلى أنس رضي الله عنه قال : قال عمر : « وافقت ربي في ثلاث : فقلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت :﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وآية الحجاب قلت : يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب[1] واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ فنزلت هذه الآية[2] .

وعند مسلم بلفظ : « وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر »[3] .

ووجه موافقته في أسارى بدر أنه لما جيء بهم استشار النبي ﷺ الناس فيهم فقال : « **إن الله قد أمكنكم منهم** » فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه فقام أبو بكر فقال : نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء فعفا عنهم وقبل منهم الفداء فعفا عنهم فأنزل الله:﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[4] إلخ الآيات الثلاث وكانت موافقة لرأي عمر رضي الله عنه .

وروى الإمام أحمد وغيره بإسناده إلى عمر رضي الله عنه قال : لما نزل تحريم الخمر قال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة:﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾قال:فدعي عمر

---

(١) هي قوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم** ﴾ الآية رقم (٥٣) من سورة الأحزاب .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٥٠٤/١ .

(٣) صحيح مسلم ١٨٦٥/٤ .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٤٣/١٠ – ٤٤ ، تفسير ابن كثير ٣٤٥/٣ ، لباب النقول في أسباب النزول ص١١٤ .

رضي الله عنه فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى أن لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية في المائدة فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فلما بلغ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ قال : فقال عمر رضي الله عنه انتهينا انتهينا »[1] .

وروى الشيخان من حديث عبد الله بن عمر قال : لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنما خيرني الله » فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ « وسأزيد على سبعين » قال : إنه منافق فصلى عليه رسول الله ﷺ وأنزل الله - عز وجل - ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾[2] .

فهذه الموافقات كلها مناقب عالية للفاروق رضي الله عنه فقد رأى أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى فنزل القرآن بموافقته ، وقد رأى أن تحجب نساء النبي ﷺ فنزل القرآن بموافقته ، وقال لنساء النبي ﷺ لما اجتمعن عليه في الغيرة : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ﴾[3] فنزل القرآن بموافقته ، وقد رأى في أسارى بدر أن تضرب أعناقهم فنزل القرآن

---

(١) المسند ٥٣/١، سنن أبي داود ٢٩١/٢ ، المستدرك للحاكم ١٤٣/٤ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٣٣٣/٨ ، صحيح مسلم ١٨٦٥/٤ والآيتان في الحديث من سورة التوبة ٨٠ ، ٨٤ .

(٣) سورة التحريم آية / ٤ .

بموافقته ، وقد رأى تحريم الخمر فكان يقول : « اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً » فنزل القرآن بموافقته ، وقد رأى عدم الصلاة على عبد الله بن أبي فإنه لما توفي ابن أبيّ قام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه منافق فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله عليه : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ فكانت موافقة لما كان يراه عمر من عدم الصلاة على رأس النفاق فلله ما أعظم هذا الفضل وما أعلا هذه المكانة التي تبوأها الفاروق رضي الله عنه فلقد رزقه الله السداد في الرأي والإصابة في القول فهو رضي الله عنه المحدث الملهم الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه وهو الذي أعز الله به دين الإسلام فرضي الله عنه وأرضاه .

١٢ – ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر بأنه شهيد وتحقق إخباره عليه الصلاة والسلام فقد مات شهيداً على يد الظالم أبي لؤلؤة المجوسي فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال : « **اثبت أحد فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان** »[١] .

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال النبي ﷺ : « **اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد** »[٢] .

قال أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى : « ولقد أفاد هذا الحديث فائدة عظيمة وهي أن عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير شهداء كلهم وأن أبا بكر صديق ومحمد رسول الله ﷺ نبي عظيم وقد جمعت هؤلاء الشهداء الشهادة وإن اختلفت أسبابها وتباينت وجوهها ولكن لفهم شرف هذه الصحبة واجتماعهم جملة

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٤ – ٢٩٥ .

(٢) سنن الترمذي مع تحفة الأحوذي ١٠/١٨٦ – ١٨٧ .

وأبان جليل مقدارهم أمر النبي ﷺ للجبل بالهدوء والسكون لأجل شرف من عليه فيا معشر الطالبين لعلم الدين أبعد هذا بيان لمن كان له قلب فما لكم تدخلون بينهم وتتكلمون فيما وقع لهم ، وترجحون وتقدمون وتؤخرون وتحبون وتبغضون كأنكم لا تعلمون مقاديركم ولا تلزمون مواضعكم حتى تترقوا بالجهل والفضول إلى عثمان وعليٍّ وطلحة والزبير فتتكلمون بالحمية وتتعصبون ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾[1] وقد رجف الجبل بالنبي عليه السلام وأبي بكر وعمر وعثمان وقد رجف بهؤلاء الأعيان ، وقد كان ذلك بمكة وبحراء وقد كان بالمدينة وأحد وأنبأنا الله بالفضل مرتين وأكده وعضد مقدارهم ومهده في جبلين » اهـ[2] .

١٣ – ومن مناقبه العظيمة رضي الله عنه بشارة النبي ﷺ له بالجنة فعمر رضي الله عنه من أهل الجنة قطعاً . فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ : « **افتح له وبشره بالجنة** » ففتحت له فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال النبي ﷺ : فحمد الله ، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ : « **افتح له وبشره بالجنة** » ففتحت له فإذا هو عمر فأخبرته بما قال النبي ﷺ : فحمد الله ، ثم استفتح رجل فقال لي : « **افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه** » فإذا عثمان فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ : فحمد الله ثم قال : الله المستعان[3] .

١٤ – ومن مناقبه الحميدة رضي الله عنه ما جاء من الثناء عليه من فضلاء الصحابة حياً وميتاً ورضا الجميع عنه ومن ذلك : ما روى البخاري بإسناده إلى المسور بن مخرمة قال : لما طعن عمر جعل يألم فقال له ابن عباس وكأنه يجزعه :

---

(١) سورة الطور آية / ١٥ .

(٢) عارضه الأحوذي ١٥٣/١٣ – ١٥٤ .

(٣) صحيح البخاري ٢٩٦/٢ .

يا أمير المؤمنين ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راض ، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون قال : أمَّا ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإنما ذاك منّ من الله – تعالى – منّ به علي ، وأمَّا ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذاك منّ من الله – جل ذكره – منّ به علي . وأمَّا ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك والله لو أن لي طلاع[1] الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله – عز وجل – قبل أن أراه »[2] . وفي هذا بيان فضل عظيم لعمر رضي الله عنه يؤخذ من قول ابن عباس : لقد صحبت رسول الله ﷺ إلى قوله : أمَّا ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ وذلك أن له بهذا فضلا عظيماً حيث إنه صحب رسول الله ﷺ وفارقه وهو عنه راض وكذلك كان مع أبي بكر وبقية الصحابة جميعاً ومع ما كان عليه من هذه السيرة الحسنة فإنه رضي الله عنه لحق بالرفيق الأعلى والخوف غالب عليه من خشية التقصير في حقوق الرعية وهكذا المؤمن كامل الإيمان يجمع بين الخوف والإحسان .

وروى الشيخان من حديث ابن أبي مليكة قال : سمعت ابن عباس يقول : وضع عمر بن الخطاب على سريره فتكنفه[3] الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم قال : فلم يرعني[4] إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت إليه فإذا هو علٍّي فترحم على عمر ، وقال : ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وذاك أني كنت أكثر ما أسمع رسول الله ﷺ يقول : « **جئت أنا وأبو بكر وعمر**

---

(١) طلاع الأرض : أي ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل « النهاية في غريب الحديث » ١٣٣/٣ .

(٢) صحيح البخاري ٢٩٥/٢ – ٢٩٦ .

(٣) فتكنفه الناس : أي أحاطوا به من جانبيه « انظر النهاية في غريب الحديث والأثر » ٢٠٥/٤ .

(٤) فلم يرعني أي : لم يفزعني والمراد أنه رآه بغتة « فتح الباري » ٤٨/٧ .

ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر » فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما[1] .

هذا الحديث دل على فضيلة أبي بكر وعمر وشهادة عليّ لهما وحسن ثنائه عليهما وصدق ما كان يظنه بعمر قبل وفاته رضي الله عنهم أجمعين .

تلك طائفة من الأحاديث النبوية والآثار التي تضمنت مناقب عالية للفاروق وكلها أدلة قطعية يقينية دلت على أن الفاروق أفضل الناس بعد أبي بكر الصديق وهو ما تعتقده الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ، وهو ما يجب على المسلم اعتقاده في ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين .

* * *

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٤ ، صحيح مسلم ٤/١٨٥٨ - ١٨٥٩ .

★ المبحث الثالث ★

فضل ذي النورين « عثمان بن عفان رضي الله عنه »

مما هو معلوم عند جمهور أهل السنة والجماعة أن أفضل الناس على الإطلاق بعد أبي بكر وعمر هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر يكنى أبا عمرو ويقال أبا عبد الله[1] يجتمع مع النبي ﷺ في عبد مناف وعدد ما بينهما من الآباء متفاوت فالنبي ﷺ من حيث العدد في درجة عفان كما وقع لعمر سواء[2] وأمه رضي الله عنه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب وهي شقيقة عبد الله والد النبي ﷺ ويقال إنهما ولدا توأماً ... فكان ابن بنت عمة النبي ﷺ وكان النبي ﷺ ابن خال والدته وقد أسلمت أمه رضي الله عنه وماتت على الإسلام ولها صحبة رضي الله عنها وأمّا والده فإنه مات في الجاهلية[3] .

فعثمان رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستة ، ثم تعينت فيه بإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ،، فكان ثالث الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، المأمور باتباعهم والاقتداء بهم وكان رضي الله عنه من السابقين

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥٣/٣ وما بعدها ، المستدرك للحاكم ٩٦/٣ ، تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤١٩/٤ - ٤٢٠ ، الكامل لابن الأثير ١٨٤/٣ ، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة ٦٩/٣ - ٨٤ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢١٧/٧ ، الإصابة لابن حجر رحمه الله تعالى ٤٥٥/٢ ، فتح الباري ٥٤/٧ ، مجمع الزوائد ٧٩/٩ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٤٧ .

(٢) فتح الباري ٥٤/٧ .

(٣) نفس المصدر ٥٥/٧ ، الإصابة ٢٢٢/٤ .

الأولين إلى الإسلام ، وهاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة ، فلما كانت وقعة بدر اشتغل بتمريض ابنة رسول الله ﷺ وأقام بسببها في المدينة ، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره فيها ، فهو معدود فيمن شهدها فلما توفيت زوَّجه رسول الله ﷺ بأختها أم كلثوم ولذلك لقب بذي النورين لأنه تزوج ابنتي نبي واحدة بعد واحدة ولم يتفق ذلك لغيره رضي الله عنه ، وشهد الخندق والحديبية وبايع عنه رسول الله ﷺ يومئذ بإحدى يديه ، وشهد خيبر ، وعمرة القضاء ، وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة تبوك وجهز جيش العسرة ، صحب رسول الله ﷺ فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض وصحب أبا بكر فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض ، وصحب الفاروق فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض ، وكان رضي الله عنه ممن جمع بين العلم والعمل ، والصيام والتهجد والإتقان والجهاد في سبيل الله وصلة الأرحام ، وكان من الصادقين القائمين الصائمين المنفقين في سبيل الله تعالى[1] .

فهو رضي الله عنه أفضل الناس بعد الشيخين رضي الله عنهما وهذا هو معتقد الجمهور من أهل السنة والجماعة قال إسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى : « لم يكن بعد رسول الله ﷺ على الأرض أفضل من أبي بكر ، ولم يكن بعده أفضل من عمر ، ولم يكن بعده أفضل من عثمان ، ولم يكن بعد عثمان على الأرض خير ولا أفضل من عليّ »[2] .

وقد ذهب بعض أهل السنة من أهل الكوفة إلى تفضيل عليٍّ على عثمان رضي الله عنهما وذهب بعض أهل المدينة إلى التوقف في أمرهما رضي الله عنهما ،

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي ٨/١ - ١٠ ، البداية والنهاية ٢١٧/٧ - ٢١٩ لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٢٨/٢ - ٣٣٤ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢٢٦/٢ .

ثم ذكر أهل العلم رجوع هؤلاء جميعاً إلى مذهب جمهور أهل السنة والجماعة القائل بتقديم عثمان على عليّ رضي الله عنهما وصار القول واحداً في أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة :

قال الإمام النووي : « وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم عليٍّ على عثمان والصحيح المشهور تقديم عثمان »[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « فإن سفيان الثوري ، وطائفة من أهل الكوفة رجحوا علياً على عثمان ، ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره ، وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعليٍّ ، وهي إحدى الروايتين عن مالك ، لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على عليٍّ ، كما هو مذهب سائر الأئمة ، كالشافعي وأبي حنيفة وأصحابه ، وأحمد بن حنبل وأصحابه ، وغير هؤلاء من أئمة الإسلام[2] .

وقال الحافظ ابن كثير : « والعجب أنه قد ذهب بعض أهل الكوفة من أهل السنة إلى تقديم عليٍّ على عثمان ويحكى عن سفيان الثوري لكن يقال : إنه رجع عنه ونقل مثله عن وكيع بن الجراح ونصره ابن خزيمة والخطابي وهو ضعيف مردود »[3] .

وذكر أبو منصور البغدادي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة والحسين بن الفضل البجلي أنهما يقولان بتفضيل عليٍّ رضي الله عنه على عثمان »[4] . ونقول إن هذا القول ضعيف مردود لمخالفته ما أطبق عليه أهل السنة والجماعة من تقديم عثمان على عليٍّ رضي الله عنهما .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٨/١٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ٥٢٦/٤ .

(٣) الباعث الحثيث ص ١٨٣ .

(٤) أصول الدين لأبي منصور البغدادي ص ٣٠٤ .

وقال أبو الحسن عليّ بن عمر الدارقطني : « اختلف قوم من أهل بغداد فقال قوم : عثمان أفضل وقال قوم : عليٌّ أفضل فتحاكموا إلي فأمسكت وقلت : الإمساك خير ، ثم لم أر لديني السكوت وقلت للذي استفتاني : ارجع إليهم وقل لهم : أبو الحسن يقول : عثمان أفضل من عليّ باتفاق جماعة أصحاب رسول الله ﷺ هذا قول أهل السنة وهو أول عقد يحل في الرفض .

قال الذهبي : قلت ليس تفضيل عليّ برفض ولا هو ببدعة بل قد ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين فكل من عثمان ، وعليّ ذو فضل وسابقة وجهاد وهما متقاربان في العلم والجلالة ولعلهما في الآخرة متساويان في الدرجة وهما من سادة الشهداء رضي الله عنهما ، ولكن جمهور الأُمة على ترجيح عثمان على الإمام عليّ وإليه نذهب »[1] .

« وقال غير واحد من العلماء كأيوب السختياني والدارقطني : من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار »[2] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « وهذا الكلام حق وصدق وصحيح ومليح »[3] .

وإذ قد تبين لنا أن بعض أهل السنة القائلين بتقديم عليّ على عثمان رضي الله عنهما والقائلين بالتوقف في أمرهما قد رجعوا إلى قول الجمهور منهم من القول بتقديم عثمان على عليّ في الفضل تبين أن هذه المسألة مجمع عليها بين أهل السنة والجماعة ولا عبرة بعد ذلك بأي قول يخالف هذا المعتقد الصحيح .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : «وسائر أئمة السنة على تقديم

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦ / ٤٥٧ .

(٢) ذكره شيخ الإسلام في كتابه منهاج السنة ١٦٦/١ ، ٢٠٢/٤ ، مجموع الفتاوى ٤٢٨/٤ ، البداية والنهاية ١٣/٨ .

(٣) البداية والنهاية ١٣/٨ ، الباعث الحثيث ص ١٨٣ .

عثمان وهو مذهب جماهير أهل الحديث وعليه يدل النص والإجماع والاعتبار ، وأمَّا ما يحكى عن بعض المتقدمين من تقديم جعفر ، أو تقديم طلحة أو نحو ذلك فذلك في أمور مخصوصة لا تقديماً عاماً وكذلك ما ينقل عن بعضهم في علي »[1] .

وقد وردت أحاديث كثيرة في السنة تضمنت ذكر فضائله رضي الله عنه وبعضها دل على أنه أفضل الخلق بعد الشيخين رضي الله عنهما ومن تلك الأحاديث :

١ - ما رواه الإمام البخاري بإسناده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم »[2] .

هذا الحديث دل على أن عثمان رضي الله عنه أفضل الناس بعد أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « وقد اتفق العلماء على تأويل كلام ابن عمر هذا لما تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم عليّ بعد عثمان ومن تقديم بقية العشرة المبشرة على غيرهم ، ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدها وغير ذلك فالظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهوراً بيناً فيجزمون به ولم يكونوا حينئذ اطلعوا على التنصيص ويؤيده ما رواه البزار عن ابن مسعود قال : كنا نتحدث أن أفضل أهل المدينة عليّ بن أبي طالب : رجاله موثقون : وهو محمول على أن ذلك قاله ابن مسعود بعد قتل عمر وقد حمل أحمد حديث ابن عمر على ما يتعلق بالترتيب في التفضيل واحتج في التربيع بعلي بحديث سفينة مرفوعاً الخلافة ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً

(١) منهاج السنة ١٦٦/١ .

(٢) صحيح البخاري ٢٩٧/٢ .

« أخرجه أصحاب السنن[1] وصححه ابن حبان وغيره وقال الكرماني : لا حجة في قوله كنا نترك لأن الأصوليين اختلفوا في صيغة كنا نفعل لا في صيغة كنا لا نفعل لتصور تقرير الرسول في الأول دون الثاني وعلى تقدير أن يكون حجة فما هو من العمليات حتى يكفي فيه الظن ولو سلمنا فقد عارضه ما هو أقوى منه ، ثم قال : ويحتمل أن يكون ابن عمر أراد أن ذلك كان في بعض أزمنة النبي ﷺ فلا يمنع ذلك أن يظهر بعد ذلك لهم ... والله أعلم »[2] .

٢ – وروى الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ دخل حائطاً وأمرني بحفظ باب الحائط ، فجاء رجل يستأذن فقال : « **ائذن له وبشره بالجنة** » ، فإذا أبو بكر ، ثم جاء آخر يستأذن فقال : « **ائذن له وبشره بالجنة** » فإذا عمر ، ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال : « **ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه** » فإذا عثمان بن عفان »[3] .

هذا الحديث تضمن فضيلة هؤلاء الثلاثة المذكورين وهم أبو بكر وعمر وعثمان « وأنهم من أهل الجنة – كما تضمن – فضيلة لأبي موسى وفيه دلالة على جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه فتنة الإعجاب ونحوه ، وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ لإخباره بقصة عثمان والبلوى ، وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان والهدى »[4] .

٣ – وروى البخاري بإسناده إلى أبي عبد الرحمن أن عثمان رضي الله عنه حيث حوصر أشرف عليهم ، وقال أنشدكم الله ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « **من حفر رومة فله الجنة** » فحفرتها

---

(١) انظر سنن أبي داود ٥١٥/٢ ، سنن الترمذي ٣٤١/٣ .

(٢) فتح الباري ٥٨/٧ .

(٣) صحيح البخاري ٢٩٦/٢ ، صحيح مسلم ١٨٦٧/٤ .

(٤) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٠/١٥ – ١٧١ .

ألستم تعلمون أنه قال : « **من جهز جيش العسرة فله الجنة** » فجهزته قال : فصدقوه بما قال »[1] . هذا الحديث تضمن منقبتين عظيمتين لذي النورين رضي الله عنه شراؤه رضي الله عنه بئر رومة ، وتجهيزه جيش العسرة الذي خرج لغزوة تبوك وقد أخبر الذي لا ينطق عن الهوى أن جزاءه على ذلك أن يكون من أصحاب الجنة ، وهاتان المنقبتان من أعلا مناقبه رضي الله عنه .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى عن ابن بطال أنه قال عند هذا الحديث : هذا وهم من بعض رواته والمعروف أن عثمان اشتراها لا أنه حفرها قال الحافظ : هو المشهور في الروايات فقد أخرجه الترمذي من رواية زيد بن أبي أنيسة عن أبي إسحاق فقال فيه : « هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن »[2] لكن لا يتعين الوهم فقد روى البغوي في « الصحابة » من طريق بشر بن بشير الأسلمي عن أبيه قال : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها : رومة وكان يبيع منها القربة بمد . فقال له النبي ﷺ : « **تبيعنيها بعين في الجنة** » فقال : يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ، ثم أتى النبي ﷺ فقال : أتجعل لي فيها ما جعلت له قال : « **نعم** » قال : قد جعلتها للمسلمين « وإن كانت أولا عيناً فلا مانع أن يحفر فيها عثمان بئراً ولعل العين كانت تجري إلى بئر فوسعها وطواها فنسب حفرها إليه »[3] .

٤ - روى الترمذي رحمه الله بإسناده إلى ثمامة بن حزن القشيري قال : شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي ؟ قال : فجيء بهما كأنهما جملان ، أو كأنهما حماران قال فأشرف عليهم عثمان فقال : أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه « فتح الباري » ٥/٤٠٦ - ٤٠٧ .
(٢) سنن الترمذي ٥/٢٨٨ .
(٣) فتح الباري ٥/٤٠٧ - ٤٠٨ .

ماء يستعذب غير بئر رومة فقال رسول الله ﷺ : « **من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة** » فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر ؟ قالوا : اللهم نعم ، فقال : أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة** » ؟ فاشتريتها من صلب مالي وأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين ؟ قالوا : اللهم نعم قال : أنشدكم بالله وبالإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : أنشدكم بالله وبالإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا ، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله فقال : « **اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان** » قالوا : اللهم نعم ، قال : الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد ثلاثاً » ثم قال الترمذي رحمه الله عقب الحديث « هذا حديث حسن قد روي من غير وجه عن عثمان »[1] .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى روايات توضح مقدار المال الذي اشترى به عثمان رضي الله عنه بئر رومة والبقعة التي زيدت في توسعة المسجد أمَّا بالنسبة لمقدار المال الذي اشترى به بئر رومة فقد أورد رواية أنه اشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم وهي من رواية بشير الأسلمي التي أخرجها البغوي في كتابه « الصحابة » وأنها كانت لرجل من بني غفار وقد تقدم ذكرها قريباً .

وأمَّا مقدار المال الذي اشترى به البقعة التي زيدت في السمجد فقال : « وزاد النسائي من رواية الأحنف بن قيس عن عثمان أنه اشتراها بعشرين ألفاً أو بخمسة وعشرين ألفاً »[2] .

---

(١) سنن الترمذي ٥/٢٩٠ - ٢٩١ .

(٢) فتح الباري ٥/٤٠٨ .

٥ - روى الترمذي بإسناده إلى عبد الرحمٰن بن حباب السلمي قال : شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان بن عفان فقال : يا رسول الله عليَّ مائة بعير بأحلاسها[1] وأقتابها[2] في سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال : يا رسول الله علي مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال : يا رسول الله علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول : « **ما على عثمان ما عمل بعد هذه ما على عثمان ما عمل بعد هذه** »[3] .

٦ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى عبد الرحمٰن بن سمرة قال : « جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز ﷺ جيش العسرة قال فصبها في حجر النبي ﷺ فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول : « **ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم** » يرددها مراراً »[4] .

قال العلامة ابن القيم ذاكراً صفة خروج النبي ﷺ إلى غزوة تبوك : « ثم إن رسول الله ﷺ جد في سفره وأمر الناس بالجهاز وحض أهل الغنى على النفقة والحملات في سبيل الله فحمل رجال واحتسبوا وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها ، كانت ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وعدتها ، وألف دينار عيناً »[5] .

فشهادة النبي ﷺ له بالجنة في شرائه بئر رومة وتحبيسها على المسلمين

---

(١) جمع حلس : وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب . النهاية ٤٢٣/١ .

(٢) القتب : إكاف البعير ، وقيل : هو الإكاف الصغير الذي على قدر سنام البعير « لسان العرب » ٦٦١/١ ، النهاية ١١/٤ .

(٣) سنن الترمذي ٢٨٩/٥ .

(٤) المسند ٦٣/٥ ، والترمذي في سننه ٢٨٩/٥ ، ثم قال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » .

(٥) زاد المعاد ٥٢٧/٣ .

غنيهم وفقيرهم ، وزيادته في المسجد ، وتجهيزه جيش العسرة مع قوله ﷺ : « **ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم** » وهذا كقوله ﷺ : « **وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** » كل هذه الخصال المذكورة من أعظم مناقبه رضي الله عنه وقد ذكرها يوم كان محصوراً في داره من قبل الزائغين الذين خرجوا عليه بغية الفساد في الأرض وصدقه بها كبار الصحابة وفضلاؤهم الذين سمعوها من النبي ﷺ مثل سعد بن أبي وقاص وعلي والزبير وطلحة رضي الله عنهم أجمعين .

٧ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه ، أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه - قال محمد :- ولا أقول ذلك في يوم واحد فدخل فتحدث فلما خرج قالت : عائشة دخل أبو بكر فلم تهتش[1] له ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال : « **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة** »[2] .

هذا الحديث تضمن فضيلة ظاهرة لعثمان رضي الله عنه وبيان أنه جليل القدر حتى عند الملائكة . كما دل الحديث أيضاً : على أن الحياء صفة حميدة ، من صفات الملائكة .

٨ - وروى مسلم أيضاً : بإسناده إلى يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد ابن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية ٥/٢٦٤ يقال هش لهذا الأمر يهش هشاشة إذا فرح به واستبشر وارتاح له وخف .

(٢) صحيح مسلم ٤/١٨٩٦ .

على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط[1] عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، قال عثمان ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة : « **اجمعي عليك ثيابك** » فقضيت إليه حاجتي ثم انصرف فقالت عائشة : يا رسول الله مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان قال رسول الله ﷺ : « **إن عثمان رجل حيي وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلي في حاجته** »[2] .

وهذا الحديث كالذي قبله فيه بيان مكانة عثمان عند النبي ﷺ وثناؤه عليه بأنه حيي وأنه عليه الصلاة والسلام اهتم بدخوله عليه واحتفل به وبين لعائشة رضي الله عنها العلة في ذلك .

٩ - وروى البخاري بإسناده إلى عبيد الله بن عدي بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمٰن بن الأسود بن عبد يغوث قالا : ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه ؟ فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة قلت إن لي إليك حاجة وهي نصيحة لك . قال : يا أيها المرء منك قال معمر : أراه قال : أعوذ بالله منك فانصرفت فرجعت إليهما إذ جاء رسول عثمان فأتيته فقال ما نصيحتك ؟ فقلت : إن الله - سبحانه - بعث محمداً ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكتاب وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ فهاجرت الهجرتين وصحبت رسول الله ﷺ ورأيت هديه وقد أكثر الناس في شأن الوليد قال : أدركت رسول الله ﷺ ؟ فقلت : لا ولكن خلص إلي من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها قال : أمّا بعد فإن الله بعث محمداً ﷺ بالحق فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين - كما قلت - وصحبت

---

(١) المرط : هو كساء وربما كان من خز أو غيره « النهاية لابن الأثير » ٣١٩/٤ .
(٢) صحيح مسلم ١٨٦٦/٤ - ١٨٦٧ .

رسول الله ﷺ وبايعته فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله ، ثم أبو بكر مثله ثم عمر مثله ، ثم استخلفت أفليس لي من الحق مثل الذي لهم ؟ قلت : بلى قال : فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم ؟ أمَّا ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله ثم دعا علياً فأمره أن يجلده فجلده ثمانين »[1] .

هذا الحديث اشتمل على مناقب ظاهرة لعثمان رضي الله عنه وهي أنه كان ممن استجاب لله والرسول وآمن بما جاء به الرسول ﷺ حق الإيمان ، وهاجر الهجرتين وصحب رسول الله ﷺ فأحسن صحبته ومات عليه الصلاة والسلام وهو عنه راض ، ثم أبو بكر مثله ، ثم عمر كذلك وتوفيا رضي الله عنهما وهما عنه راضيان ، ولما طلب منه إقامة الحد على أخيه الوليد فما أن ثبت لديه ما يوجب ذلك إلا وأمر علياً بإقامة الحد عليه وهذا فيه دلالة على مراعاته للحق والأخذ به عند ظهوره وفي هذا منقبة من مناقبه رضي الله عنه .

١٠ - روى الإمام أحمد بإسناده إلى سلمة بن عبد الرحمٰن قال : أشرف عثمان رضي الله عنه من القصر وهو محصور فقال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء[2] إذ اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال : « **اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد** » وأنا معه فانتشد له رجال قال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة قال : « **هذه يدي وهذه يد عثمان** - رضي الله عنه » فبايع لي فانتشد له رجال »[3] .

هذا الحديث تضمن منقبتين عظيمتين لذي النورين رضي الله عنه :

* **الأولى** : إخبار الرسول ﷺ بأنه سيموت شهيداً وقد كان ذلك فإنه رضي الله عنه قتل شهيداً على أيدي الخارجين عليه ظلماً وعدواناً .

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٢) حراء : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال وهو جبل معروف « انظر معجم البلدان لياقوت الحموي » ٢/٢٣٣ .

(٣) المسند ١/٥٩ .

* **الثانية** : أن الرسول ﷺ بايع عنه بيده الشريفة بيعة الرضوان حيث إنه كان مبعوثاً من قبل الرسول ﷺ لإبلاغ أهل مكة أنه عليه الصلاة والسلام جاء معتمراً لا محارباً ، وهاتان المنقبتان دلتا على علو مكانته وعظيم فضله رضي الله عنه وأرضاه .

١١ - ومن مناقبه رضي الله عنه إجماع الصحابة على خيريته رضي الله عنه وأفضليته بعد الشيخين فإنه لما بويع لم يبق في الشورى إلا هو وعلي والحكم عبد الرحمٰن بن عوف وبقي عبد الرحمٰن بن عوف ثلاثة أيام بلياليها يشاور المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ويشاور أمهات المؤمنين ، ويشاور أمراء الأمصار فإنهم كانوا بالمدينة حجوا مع عمر وشهدوا موته حتى قال عبد الرحمٰن : إن لي ثلاثاً ما اغتمضت بنوم وبعد هذا كله وبعد أخذ المواثيق منهما على أن يبايع من بايعه أعلن النتيجة بعد هذا الاستفتاء وهي قوله : إني رأيت الناس لا يعدلون بعثمان فبايعه علي وعبد الرحمٰن وسائر المسلمين بيعة رضى واختيار »[1] .

فدل هذا الإجماع على أنه أفضل الخلق بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعاً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وهذا إجماع منهم على تقديمهم لعثمان على عليّ[2] ولما سأل رجل عبد الله بن المبارك أيهما أفضل عليٌّ أو عثمان قال : « قد كفانا ذاك عبد الرحمٰن بن عوف »[3] وقال عبد الله بن مسعود : « أمرنا خير من بقي ولم نأل »[4] ولهذا قال أيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني : « من قدم

---

(١) انظر صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٣/١٩٣ - ١٩٤ ، وانظر البداية والنهاية ٧/١٥٨ - ١٦١ .

(٢) مجموع الفتاوى ٤/٤٢٨ .

(٣) المسند من مسائل الإمام أحمد للخلال ورقة ٥٧ .

(٤) مجمع الزوائد ٩/٨٨ وقال ابن حجر الهيثمي : رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدهما رجال الصحيح .

علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار »[1] وقد بين معنى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال : « لو لم يكن عثمان أحق بالتقديم وقد قدموه كانوا إما جاهلين بفضله وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم »[2] .

١٢ - ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنه جمع الناس على مصحف واحد وكتب المصحف على العرضة الأخيرة التي درسها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود وأبي الدرداء وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود وأبي موسى وجعل من لا يعلم بسوغان القراءة على سبعة أحرف يفضل قراءته على قراءة غيره وربما خطأ الآخر أو كفره فأدى ذلك إلى اختلاف شديد ، وانتشار في الكلام السيىء بين الناس فركب حذيفة إلى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد ، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة ودفع الاختلاف .

فاستدعى بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها فكانت عند الصديق أيام حياته ، ثم كانت عند عمر فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب ، وأن يملي عليه سعيد بن العاص الأموي بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن بن

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٢٨/٤ .

(٢) منهاج السنة ٢٠٧/٢ .

الحارث بن هشام المخزومي ، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش ، فكتب لأهل الشام مصحفاً ، ولأهل مصر آخر ، وبعث إلى البصرة مصحفاً وإلى الكوفة بآخر وأرسل إلى مكة مصحفاً وإلى اليمن مثله وأقر بالمدينة مصحفاً ويقال لهذه المصاحف الأئمة »[1] .

وبهذا العمل الجليل يعتبر عثمان رضي الله عنه من عباد الله الصالحين الذين أيد الله بهم دينه وحفظ بهم كتابه رضي الله عنه وأرضاه .

١٣ – ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون مستمراً على الهدى المستقيم عند حلول الفتنة ، وهذه منقبة عظيمة له رضي الله عنه . فقد روى الحاكم بإسناده إلى مرة بن كعب قال : سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة فقربها فمر به رجل مقنع[2] في ثوب فقال : « **هذا يومئذ على الهدى** » فقمت إليه فإذا هو عثمان رضي الله عنه فأقبلت بوجهه فقلت : هو هذا قال : « **نعم** »[3] .

١٤ – ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أرشد الأمة بالالتفاف حوله عند نزول الفتنة والاختلاف وفي هذا تنبيه إلى أن عثمان رضي الله عنه ممن أسعدهم الله ووفقهم لسلوك طريقه المستقيم . فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنها ستكون فتنة واختلاف ، أو اختلاف وفتنة** » قال : قلنا يا رسول الله فما تأمرنا قال : « **عليكم بالأمير وأصحابه** » وأشار إلى عثمان »[4].

١٥ – ومن مناقبه الرفيعة رضي الله عنه وفاؤه رضي الله عنه بما عهد إليه النبي ﷺ وإصباره نفسه على طاعة رسول الله ﷺ وذلك أنه رضي الله عنه

---

(١) البداية والنهاية ٢٣٥/٧ – ٢٣٦ .

(٢) جاء في لسان العرب : « ورجل مقنع بالتشديد أي : عليه بيضة ومغفر . والمقنع : المغطي رأسه » اهـ ٣٠١/٨ .

(٣) المستدرك ١٠٢/٣ ثم قال عقبه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(٤) المصدر السابق ٩٩/٣ ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

لما جاءه الخوارج الذين خرجوا عليه من الأمصار وجاءوا إلى المدينة وحصروه في داره رضي الله عنه فوق أربعين يوماً وكان عددهم كما قال ابن العربي : أربعة آلاف وكلهم يريد قتله وكان عدد الذين لا يريدون قتله أربعين ألفاً »[1] وكان باستطاعته رضي الله عنه أن يأمر بالدفاع عنه وقد عرض عليه كثير من فضلاء الصحابة أن يأذن لهم في قتال هؤلاء المارقين وطردهم عنه ولكنه أبي رضي الله عنه خشية من أن يسفك دم بسببه ، وناشد من كان معه في داره من الصحابة أن يخرجوا عنه ولما خرجوا تسلق عليه أولئك الأخلاط الظلمة داره وأحرقوا الباب ودخلوا عليه وقتلوه ورضي أن يكون عبد الله المقتول لا عبد الله القاتل وفاءاً بعهد النبي ﷺ إليه .

فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **ادعوا لي أو ليت عندي رجلا من أصحابي** » قالت : قلت : أبو بكر قال : « **لا** » قلت : عمر قال : « **لا** » قلت : ابن عمك عليٌّ قال : « **لا** » قلت : فعثمان قال : « **نعم** » قالت : فجاء عثمان فقال : « **قومي** » قال : فجعل النبي ﷺ يسر إلى عثمان ولون عثمان يتغير قال : فلما كان يوم الدار قلنا ألا نقاتل قال : لا إن رسول الله ﷺ عهد إلي أمراً فأنا صابر نفسي عليه »[2].

تلك طائفة من الأحاديث والآثار التي دلت على فضل عثمان رضي الله عنه وفي بعضها دلالة على تقديمه بعد الشيخين وهذا معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وهي العقيدة التي ينبغي أن تحل في قلب المسلم الذي رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً .

* * *

---

(١) عارضة الأحوذي بشرح الترمذي ١٥٦/١٤ - ١٥٧ .

(٢) المستدرك ٩٩/٣ . ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

★ المبحث الرابع ★

فضل أبي السبطين عليٍّ رضي الله عنه

أجمع أهل السنة من السلف والخلف من أهل الفقه والأثر أن أبا السبطين أفضل الخلق بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين واسمه رضي الله عنه عليُّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ويكنى بأبي تراب وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ويقال إنها أول هاشمية ولدت هاشمياً وقد أسلمت وهاجرت .

وعليٌّ رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض وكان رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين المأمور بالاقتداء بهم ، وكان ممن سبق إلى الإسلام لم يتلعثم ، وتربى في حجر النبي ﷺ وزوَّجه ابنته فاطمة رضي الله عنها ، وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد غير تبوك لأن النبي ﷺ خلفه فيها على المدينة وأبلى ببدر وأحد وبالخندق وبخيبر بلاءاً عظيماً ، وأغنى في تلك المشاهد وقام فيها المقام الكريم وكان لواء النبي ﷺ بيده في مواطن كثيرة ، وجاهد في الله حق جهاده ونهض بأعباء العلم والعمل والفتيا رضي الله عنه وأرضاه . وكان رضي الله عنه من جملة من غسل النبي ﷺ وكفنه وولي دفنه »[1] .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩/٣ ، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة ٢٦/٣ - ٦٧ ، البداية والنهاية ٢٤٢/٧ ، وما بعدها ، الإصابة في تمييز الصحابة ٥٠١/٢ - ٥٠٣ . وانظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ١٥٣/٥ ، الكامل لابن الأثير ٣٩٦/٣ ، مجمع الزوائد ١٠٠/٩ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٦٦ . لوامع الأنوار البهية ٣٣٤/٢ .

ولقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة التي دلت على فضله رضي الله عنه ومنها :

١ - ما رواه الشيخان من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « **لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله** » قال : فبات الناس يدوكون[(١)] ليلتهم أيهم يعطاها قال : فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال : « **أين عليٌّ بن أبي طالب** » فقالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال : فأرسلوا ، إليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال عليٌّ : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال : « **انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم** »[(٢)] .

وفي رواية أخرى عند مسلم من حديث أبي هريرة « ... قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ قال : فتساورت لها رجاء أن أدعى لها قال : فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب فأعطاه إياها »[(٣)] .

هذا الحديث تضمن منقبة ظاهرة لأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه وأرضاه وهي قوله : « **يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله** » ومعنى أن علياً يحب الله ورسوله أراد بذلك وجود حقيقة المحبة وإلا فكل مسلم يشترك مع عليّ في مطلق هذه الصفة وفي هذا الحديث تلميح بقوله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[(٤)] فكأنه أشار إلى أن علياً تام الاتباع لرسول الله ﷺ حتى

---

(١) يدوكون : أي يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه « النهاية في غريب الحديث » ١٤٠/٢ .

(٢) صحيح البخاري ٢٩٩/٢ - ٣٣٠ ، صحيح مسلم ١٨٨٢/٤ .

(٣) صحيح مسلم ١٨٧٢/٤ .

(٤) الآية رقم (٣١) من سورة آل عمران .

اتصف بصفة محبة الله له »[1].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : قوله : يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، « فيه فضيلة عظيمة لعلي رضي الله عنه لأن النبي ﷺ شهد له بذلك »[2].

ومعنى قول عمر رضي الله عنه : « فتساورت لها»، معناه تطاولت لها أي : حرصت عليها وأظهرت وجهي وتصديت لذلك ليتذكرني . وقوله : رضي الله عنه « فما أحببت الإمارة إلا يومئذ » إنما كانت محبته لها لما دلت عليه هذه الإمارة من محبته لله ورسوله ﷺ ومحبتهما له والفتح على يديه[3].

٢ - وروى الشيخان من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لعلي : « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي** » قال سعيد بن المسيب : فأحببت أن أشافه بها سعداً فلقيت سعداً فحدثته بما حدثني عامر فقال : أنا سمعته فقلت : أنت سمعته ؟ فوضع أصبعيه على أذنيه فقال : نعم وإلا فاستكتا[4].

وهذا الحديث فيه فضيلة عظمى لعلي رضي الله عنه تضمنها قوله ﷺ : « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي** » حيث بين عليه الصلاة والسلام منزلة علي منه ومكانته العظيمة عنده عليه الصلاة والسلام .

ونقل الإمام النووي عن القاضي عياض أنه قال : « هذا الحديث مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حقاً لعلي وأنه وصى له بها قال : ثم اختلف هؤلاء فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره وزاد

---

(١) فتح الباري ٧٢/٧ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ١٠٧ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٦/١٥ - ١٧٧ .

(٤) صحيح البخاري ٣٠٠/٢ ، صحيح مسلم ١٨٧٠/٤ واللفظ لمسلم .

بعضهم فكفر علياً لأنه لم يقم في طلب حقه بزعمهم وهؤلاء أسخف مذهباً وأفسد عقلا من أن يرد قولهم أو يناظر وقال : ولا شك في كفر من قال هذا لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام وأمَّا من عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك فأمَّا الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون : هم مخطئون في تقديم غيره لا كفار وبعض المعتزلة لا يقول بالتخطئة لجواز تقديم المفضول عندهم وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم بل فيه إثبات فضيلة لعلي ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى بل توفي في حياة موسى وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص قالوا : وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة والله أعلم[1] .

٣ – وروى الشيخان من حديث سهل بن سعد قال : جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت فقال : « **أين ابن عمك ؟** » قالت : كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي فقال رسول الله ﷺ لإنسان : « **انظر أين هو ؟** » فجاء فقال : يا رسول الله هو في المسجد راقد فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع وقد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول : « **قم أبا تراب قم أبا تراب** »[2] .

في هذا الحديث منقبة ظاهرة لأمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه وبيان علو منزلته عند النبي ﷺ وذلك أنه عليه الصلاة والسلام مشى إلى عليّ رضي الله عنه ودخل المسجد ومسح التراب عن ظهره واسترضاه تلطفاً به لأنه كان وقع بينه

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٤/١٥ .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٥٣٥/٢ ، صحيح مسلم ١٨٧٤/٤ .

وبين فاطمة شيء فخرج إلى المسجد واضطجع فيه وكناه النبي ﷺ بأبي تراب وكانت هذه التسمية أحب شيء إليه رضي الله عنه .

٤ – ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ جعل محبته من علامة الإيمان وجعل بغضه علامة للنفاق . فقد روى مسلم بإسناده إلى عليٍّ رضي الله عنه قال : « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق »[١] ففي هذا منقبة ظاهرة لأبي الحسن رضي الله عنه « وهذا جارٍ باطراد في أعيان الصحابة لتحقق مشترك الإكرام لما لهم من حسن الغناء في الدين قال القرطبي في المفهم : وأمّا الحروب الواقعة بينه فإن وقع من بعضهم بغض لبعض فذاك من غير هذه الجهة ، بل للأمر الطاريء الذي اقتضى المخالفة ولذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق وإنما كان حالهم في ذلك حال المجتهدين في الأحكام للمصيب أجران وللمخطيء أجر واحد والله أعلم »[٢] .

٥ – وروى الإمام البخاري بإسناده إلى عليّ رضي الله عنه أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحا فأتى النبي ﷺ سبي فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم فقال : على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال : « **ألا أعلمكما خيراً مما سألتماني إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين وتسبحا ثلاثاً وثلاثين وتحمدا ثلاثاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم** »[٣] .

فهذا الحديث تضمن منقبة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وتلك المنقبة

---

(١) صحيح مسلم ١/١٠٦ .
(٢) فتح الباري ١/٦٣ .
(٣) صحيح البخاري ٢/٣٠٠ .

هي دخول النبي ﷺ بينه وبين فاطمة رضي الله عنهما في فراشهما وأمره لعلي بلزوم مكانه بعد أن هم بالقيام وهذا يدل على أن لأبي الحسن رضي الله عنه منزلة عظيمة عند المصطفى ﷺ .

٦ - وروى أيضاً : بإسناده إلى سعد بن عبيدة قال : جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان فذكر عن محاسن عمله قال :لعل ذاك يسوءك قال : نعم قال : فأرغم الله بأنفك ، ثم سأله عن عليّ فذكر محاسن عمله قال : هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ ثم قال: لعل ذاك يسوءك قال : أجل قال : فأرغم الله بأنفك قال : انطلق فاجهد عليّ جهدك »[1] .

وهذا الأثر عن ابن عمر تضمن فضل عليّ رضي الله عنه حيث مدحه بأوصافه الحميدة التي دلت على مكانته وفضله رضي الله عنه وأرضاه .

٧ - وروى البخاري رحمه الله تعالى بإسناده إلى البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال لعلي : « **أنت مني وأنا منك** »[2] .

ففي قول النبي ﷺ هذا فضيلة عظيمة لعلي رضي الله عنه .

٨ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال : ما منعك أن تسب أبا التراب ؟ فقال : أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله ﷺ يقول له ، خلفه في بعض مغازيه فقال له عليٌّ : يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « **أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي** » وسمعته يقول يوم خيبر : « **لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله** » قال : فتطاولنا لها فقال : « **ادعوا لي علياً** » فأُتي به أرمد فبصق

---

(١) المصدر السابق ٢/٣٠٠ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٥/٣٠٣ - ٣٠٤ .

في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾[1] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسنا وحسينا فقال : « **اللهم هؤلاء أهلي** »[2] .

هذا الحديث تضمن مناقب ظاهرة وفضائل عالية لأبي السبطين عليّ رضي الله عنه وأرضاه .

وقال النووي رحمه الله تعالى : قوله : « إن معاوية قال لسعد بن أبي وقاص ما منعك أن تسب أبا تراب » قال العلماء : الأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي يجب تأويلها قالوا : ولا يقع في روايات الثقات إلا ما يمكن تأويله فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه وإنما سأله عن السبب المانع له من السب كأنه يقول هل امتنعت تورعاً أو خوفاً ، أو غير ذلك فإن كان تورعاً وإجلالاً له فأنت مصيب محسن ، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر ، ولعل سعداً قد كان في طائفة يسبون فلم يسب معهم وعجز عن الإنكار وأنكر[3] عليهم فسأله هذا السؤال قالوا : ويحتمل تأويلا آخر معناه ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ »[4] .

٩ – ومن مناقبه الدالة على فضله دعاء النبي ﷺ له بتثبيت لسانه وهداية صدره للحق حتى كان مدة حياته لم يشك في قضاء بعد ذلك . فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عليّ رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال : فقلت : يا رسول الله إني رجل شاب وأنه يرد علي من القضاء ما لا علم لي به قال فوضع يده على صدري وقال : « **اللهم ثبت لسانه واهد قلبه** » فما

---

(١) سورة آل عمران آية / ٦١ .

(٢) صحيح مسلم ١٨٧١/٤ .

(٣) لعلها أو أنكر عليهم حتى يستقيم الكلام .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٥/١٥ – ١٧٦ .

شككت في القضاء أو في قضاء بعد[1] .

١٠ – ومن مناقبه رضي الله عنه شهادة الرسول ﷺ له بالخشونة في ذات الله وفي سبيل الله . فقد روى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : شكى علي بن أبي طالب الناس إلى رسول الله ﷺ فقام فينا خطيباً فسمعته يقول : « **أيها الناس لا تشكوا علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله وفي سبيل الله** »[2] .

١١ – ومن مناقبه العظيمة شهادة الرسول ﷺ له بالجنة . فقد روى الحاكم بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : مشيت مع النبي ﷺ إلى امرأة فذبحت لنا شاة فقال رسول الله ﷺ : « **ليدخلن رجل من أهل الجنة** فدخل أبو بكر رضي الله عنه ثم قال : « **ليدخلن رجل من أهل الجنة** » فدخل عمر رضي الله عنه ، ثم قال : « **ليدخلن رجل من أهل الجنة اللهم إن شئت فاجعله علياً** » قال : فدخل علّي بن أبي طالب رضي الله عنه[3] .

١٢ – ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ بين أن ابنته فاطمة وزوجها علّي بن أبي طالب وولديها الحسن والحسين أنهم يكونون معه ﷺ يوم القيامة في مكان واحد . فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على فاطمة رضي الله عنها فقال : **إني وإياك وهذا النائم** – يعني علياً – **وهما** – يعني الحسن والحسين – **لفي مكان واحد يوم القيامة** »[4] .

ففي هذا بيان منقبة لعلي رضي الله عنه وأرضاه .

وقد كثر الثناء عليه رضي الله عنه من صحابة رسول الله ﷺ ومن التابعين

---

(١) المستدرك ١٣٥/٣ وقال عقبه : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(٢) نفس المصدر ١٣٤/٣ وقال عقبه : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) المستدرك ١٣٦/٣ وقال الحاكم عقبه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٤) المستدرك ١٣٧/٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

لهم بإحسان بما وجد فيه من الخصال الحميدة وبما حصل له من المناقب الرفيعة التي استحق أن يكون بها من خير البشر . فقد شهد له الفاروق رضي الله عنه بأن المصطفى ﷺ التحق بالرفيق الأعلى وهو عنه راض كما شهد له بحل المعضلات .

١ - فقد قال رضي الله عنه عندما قيل له : أوص يا أمير المؤمنين ، استخلف قال : ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض : فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن[1] فقد أخبر الفاروق رضي الله عنه بأن أبا الحسن كان في مقدمة من مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

٢ - وروى أبو عمر بن عبد البر بإسناده إلى سعيد بن المسيب قال : كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن[2] .

٣ - روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس قال : قال عمر رضي الله عنه : أقرؤنا أبي وأقضانا علي[3] .

فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه شهد لأبي الحسن بحل المشكلات وبالبراعة في القضاء وإتقانه .

٤ - وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى : « كان ابن عباس يقول : إذا جاءنا الثبت عن علي لم نعدل به »[4] .

٥ - وروى ابن أبي شيبة في كتابه « المصنف »[5] بإسناده إلى عطية بن سعد قال : دخلنا على جابر بن عبد الله وهو شيخ كبير وقد سقط حاجباه

---

(١) انظر صحيح البخاري مع شرحه « فتح الباري » ٦١/٧ .

(٢) الاستيعاب في أسماء الأصحاب على حاشية الإصابة ٣٩/٣ .

(٣) صحيح البخاري ٩٩/٣ ، وابن ماجه في سننه ٥٥/١ ، وأحمد في المسند ١١٣/٥ .

(٤) الإصابة ٥٠٢/٢ .

(٥) ٨٢/١٢ .

على عينيه فقلت : أخبرنا عن عليّ بن أبي طالب قال : فرفع حاجبيه بيديه ثم قال : « ذاك من خير البشر » .

وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى جرى بن كليب العامري قال : لما سار عليٌّ إلى صفين كرهت القتال فأتيت المدينة فدخلت على ميمونة بنت الحارث فقالت : ممن أنت قلت : من أهل الكوفة قالت : من أيهم قلت : من بني عامر قالت : رحباً على رحب وقرباً على قرب تجيء ما جاء بك قال : قلت : سار علي إلى صفين وكرهت القتال فجئنا إلى هاهنا قالت : أكنت بايعته ؟ قلت : نعم قالت : فارجع إليه فكن معه فوالله ما ضل ولا ضل به »[1] .

فهذا ثناء من أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها على أبي السبطين رضي الله عنه من أنه سالك طريق الحق ولن يحيد عنه إلى الضلال بحال وهذه منقبة وفضيلة له رضي الله عنه .

٦ - وروى ابن أبي شيبة في كتابه « المصنف »[2] بإسناده إلى أبي هارون قال : كنت مع ابن عمر جالساً إذ جاءنا نافع بن الأزرق فقام على رأسه فقال : والله إني لأبغض علياً قال : فرفع إليه ابن عمر رأسه فقال : أبغضك الله تبغض رجلا سابقة من سوابقه خير من الدنيا وما فيها » .

ولقد شهد له معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بالعلم والفضل والسبق والخيرية ، وأقر له بفضائله ومناقبه كلها .

٧ - قال ابن كثير : وقال جرير : عن مغيرة قال : لما جاء نعي عليّ بن أبي طالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاختة بنت قرظة في يوم صائف جلس وهو يقول إنا لله وإنا إليه راجعون وجعل يبكي فقالت : له فاختة أنت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكي عليه فقال : ويحك إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله

---

(١) المستدرك ١٤١/٣ وصححه وأقره الذهبي وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٨١/١٢ .
(٢) ٨٢/١٢ .

وسوابقه وخيره »[1] .

٨ – قال ابن عبد البر : « وكان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك فلما بلغه قتله قال : ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب فقال له أخوه عتبة : لا يسمع هذا منك أهل الشام فقال له : دعني عنك »[2] .

هذا موقف معاوية بن أبي سفيان من أبي السبطين عليٍّ رضي الله عنه فإنه بكى عليه عندما بلغه نبأ قتله وأثنى عليه بصفاته الحميدة من الحلم والعلم والفضل والسابقة والخيرية ، واعترف له بمناقبه كلها ولم يمنعه من ذلك ما حصل بينهما من الحروب ولم يجد الغل محلا في قلب معاوية لأبي الحسن رضي الله عنهما فأصحاب رسول الله ﷺ نزع الله من قلوبهم الغل ، فكانوا إخواناً متحابين ومهما حصل بينهم من خلاف فإن ذلك لم يؤد بهم إلى إنكار فضائل بعضهم بعضاً فهل يدكر بهذا من جاء بعدهم من الرافضة الذين يقدحون فيهم ولا حامل لهم على ذلك إلا بغضهم وغلهم المقيت ومعاداتهم الخبيثة للسابقين الأولين الخيرة البررة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين وأخزى من في قلبه غل عليهم إلى يوم الدين .

٩ – سئل الحسن بن أبي الحسن البصري عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : كان عليّ والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه ، ورباني هذه الأمة ، وذا فضلها ، وذا قرابتها من رسول الله ﷺ لم يكن بالنومة عن أمر الله ولا بالملومة في دين الله ولا بالسروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة ذلك عليُّ بن أبي طالب يا لكع[3].

---

(١) البداية والنهاية ١٦/٧ .

(٢) الاستيعاب في أسماء الأصحاب على حاشية الإصابة ٤٤/٣ – ٤٥ .

(٣) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٤٧/٣ .

تلك طائفة من الأحاديث والآثار التي تضمنت فضل رابع الخلفاء الراشدين أبي الحسن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفضائله رضيْ الله عنه كثيرة جداً وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : « ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه »[1] .

وكل ما تقدم ذكره من فضائله رضي الله عنه كلها فيها الرد على النواصب الذين يتبرئون منه ولا يتولونه ، كما تتضمن الرد على الخوارج الذين كفروه وكلتا الفرقتين ضالتان في اعتقادهما فيه رضي الله عنه وأرضاه وقد ولّد له الرافضة مناقب موضوعة هو غني عنها[2] .

والذي أخلص إليه في هذا الفصل أن عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة أنهم يرتبون الخلفاء الأربعة في الفضل فيعتقدون أن أفضل الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليٌّ رضي الله عنهم أجمعين .

قال أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى في صدد عرضه الأقوال في أفضلية الأربعة الخلفاء فقال : « ومنهم من يقول : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليٌّ رضي الله عنهم أجمعين وذلك قول أهل الجماعة والأثر من رواة الحديث وجمهور الأمة »[3] .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : « وأفضل أمته أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم عليٌّ المرتضى ، ثم بقية العشرة ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة – أهل بيعة الرضوان – ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم »[4] .

---

(١) المستدرك ١٠٧/٣ .

(٢) انظر الإصابة ٥٠١/٢ .

(٣) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص ٢٠٦ .

(٤) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الخامس الرسائل الشخصية رسالة رقم (١) ص ١٠ .

★ المبحث الخامس ★

فضل الستة بقية العشرة

بيّنا فيما سبق في المباحث الأربعة المتقدمة فضل أربعة من العشرة المبشرين بالجنة وهم أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين ، وأبو السبطين علي رضي الله عنهم أجمعين وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون الذين أمرنا بالاهتداء بهديهم والسير على طريقتهم رضي الله عنهم وفي هذا المبحث أبين فضل من بقي من العشرة الذين يلون الخلفاء الراشدين في الفضل وعددهم ستة وهم طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمٰن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، وسعيد بن زيد . وإلى بيان فضل كل واحد من هؤلاء الستة رضي الله عنهم : -

* ١) طلحة بن عبيد الله :

هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشي التيمي[١] « يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب ومع أبي بكر الصديق في تيم بن مرة وعدد ما بينهم من الآباء سواء »[٢] وأمه رضي الله عنه الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن وهي أخت العلاء بن الحضرمي[٣] أسلمت ولها صحبة وظفرت بشرف الهجرة[٤] وطلحة رضي الله عنه أحد العشرة الذين بشروا بالجنة ، وأحد الثمانية

---

(١) الإصابة ٢٢٠/٢ ، وانظر الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة ٢١٠/٢ .

(٢) فتح الباري ٨٢/٧ .

(٣) الإصابة ٢٢٠/٢ .

(٤) المصدر السابق ٣٣٧/٤ ، وانظر فتح الباري ٨٢/٧ .

الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان رضي الله عنه عند وقعة بدر قد وجهه رسول الله ﷺ وسعيد بن زيد يتجسسان خبر العير قبل خروجه عليه الصلاة والسلام إلى بدر فلم يرجعا إلا وقد فرغ من موقعة بدر وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجرهما »[1] .

وقال الواقدي : بعث رسول الله ﷺ قبل أن يخرج من المدينة إلى بدر طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتحسسان الأخبار ثم رجعا إلى المدينة فقدماها يوم وقعة بدر[2] فخروجهما لجس الأخبار يعتبر في صالح المعركة وهو نوع من المشاركة فيها .

وشهد طلحة رضي الله عنه أحداً وما بعدها من المشاهد وقد أبلى في غزوة أحد بلاء حسناً فقد وقى النبي ﷺ بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شلت أصبعه[3] .

وفضائله رضي الله عنه كثيرة مشهورة ومنها :

١ — ما رواه البخاري بإسناده إلى قيس بن أبي حازم قال : رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أحد[4] .

هذا الحديث اشتمل على منقبة عظيمة خص بها طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وهي أنه وقى رسول الله ﷺ بيده يوم أحد لما أراد بعض المشركين

---

(١) انظر المستدرك للحاكم ٣٦٩/٣ ، ص ٤٣٨ ، وانظر الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ٢٥٦/٤ .

(٢) مغازي الواقدي ١٩/١ ، المستدرك للحاكم ٣٦٩/٣ .

(٣) انظر الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢١٠/٢ — ٢١٦ ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢٢٠/٢ ، وانظر الرياض النضرة في مناقب العشرة ٢٤٥/٤ وما بعدها ، وانظر المستدرك للحاكم ٣٦٨/٣ — ٣٦٩ .

(٤) صحيح البخاري ٢٣/٣ .

أن يضربه فاتقى طلحة الضربة بيده حتى أصابها شلل والشلل بطلان في اليد او في الرجل من آفة تعتريها فالحديث فيه بيان فضيلة عظيمة لطلحة رضي الله عنه وأرضاه .

٢ - وروى أيضاً : بإسناده إلى أبي عثمان النهدي قال : لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله ﷺ غير طلحة وسعد عن حديثهما[١] .

وهذا الحديث أيضاً : تضمن منقبة ظاهرة لأبي محمد طلحة بن عبيد الله من حيث إنه بقي مع رسول الله ﷺ عندما تفرق الناس عنه يوم أحد والمراد بقوله في الحديث : « **في بعض تلك الأيام** » يوم أحد .

٣ - وروى أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى الزبير رضي الله عنه قال : « كان على رسول الله ﷺ يوم أحد درعان فنهض إلى الصخرة فلم يستطع فأقعد تحته طلحة ، فصعد النبي ﷺ حتى استوى على الصخرة قال : فسمعت النبي ﷺ يقول : « **أوجب طلحة** »[٢] .

ومعنى قوله ﷺ : « **أوجب طلحة** » أي : وجبت له الجنة بسبب عمله هذا أو بما فعل في ذلك اليوم فإنه خاطر بنفسه يوم أحد وفدى بها رسول الله ﷺ وجعلها وقاية له حتى طعن ببدنه وجرح جميع جسده حتى شلت يده[٣] .

٤ - وروى أبو نعيم بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : ذلك كله يوم طلحة[٤] .

وهذا مدح وثناء عظيم من صديق هذه الأمة وشهادة صادقة لأبي محمد

---

(١) المصدر السابق ٣٠٢/٢ - ٣٠٣ .

(٢) سنن الترمذي ٣٠٧/٥ ثم قال عقبه « هذا حديث حسن صحيح غريب » .

(٣) انظر تحفة الأحوذي ٣٤١/٥ .

(٤) حلية الأولياء ٨٧/١ .

طلحة بن عبيد الله بثباته مع النبي ﷺ في وقعة أحد التي أبلى فيها بلاء حسناً وكان موقفه عظيماً في غزوة أحد يذكر به في الآخرين رضي الله عنه وأرضاه .

٥ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر أن طلحة ممن قضى نحبه ووفى لله بما نذره على نفسه من القتال في سبيله ونصرة دينه .

فقد روى الترمذي بإسناده إلى موسى بن طلحة قال : دخلت على معاوية فقال : ألا أبشرك ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **طلحة ممن قضى نحبه** »[١] .

وروى أيضاً : بإسناده إلى موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما طلحة « أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : لأعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه من هو ؟ وكانوا لا يجترئون هم على مسألته يوقرونه ويهابونه فسأله الأعرابي فأعرض عنه ، ثم سأله فأعرض عنه ، ثم إني اطلعت من باب المسجد وعلي ثياب خضر فلما رآني رسول الله ﷺ قال : « **أين السائل عمن قضى نحبه** » قال الأعرابي : أنا يا رسول الله قال : « **هذا ممن قضى نحبه** »[٢] .

هذان الحديثان فيهما بيان فضل طلحة بن عبيد الله حيث أخبر النبي ﷺ أن طلحة ممن قضى نحبه وكان طلحة ضمن جماعة كعثمان بن عفان ومصعب وسعيد وغيرهم نذروا إذا لقوا حرباً ثبتوا حتى يستشهدوا وقد ثبت طلحة يوم أحد وبذل جهده حتى شلت يده ووقى بها النبي ﷺ[٣] رضي الله عنه وأرضاه .

قال أبو بكر بن العربي أثناء ذكره لمسائل اشتمل عليها الحديث قال رحمه الله تعالى :

---

(١) سنن الترمذي ٣٠٨/٥ وقال : « هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث معاوية إلا من هذا الوجه » .

(٢) سنن الترمذي ٣٠٨/٥ - ٣٠٩ وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي كريب عن يونس بن بكير وقد رواه غير واحد من كبار أهل الحديث عن أبي كريب بهذا الحديث وسمعت محمد بن إسماعيل يحدث بهذا عن أبي كريب ووضعه في كتاب الفوائد » اهـ .

(٣) انظر تحفة الأحوذي بشرح الترمذي ٦٣/٩ - ٦٤ .

* **الرابعة** : إلا أن قوماً تحققت عاقبتهم وأخبر الله تعالى عن حسن مآلهم وإن كانوا لم يوافوا بعد ، فلهم شرف الحالة بذلك وعلو المنزلة وطلحة منهم .

* **الخامسة** : وكان ذلك له والله أعلم بوقايته بنفسه للنبي ﷺ يوم أحد حتى شلت يمينه فقدمته يداه إلى الجنة وتقدمه إليها وتعلق بسبب عظيم لا ينقطع منها »[1] .

٧ – ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ سماه الفياض لسعة عطائه وكثرة إنفاقه في وجوه الخير . فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى موسى ابن طلحة أن طلحة نحر جزوراً وحفر بئراً يوم ذي قرد[2] فأطعمهم وسقاهم فقال النبي ﷺ : « **يا طلحة الفياض** » فسمي طلحة الفياض[3] .

٨ – وروى أيضاً بإسناده إلى طلحة رضي الله عنه قال : دخلت على رسول الله ﷺ وفي يده سفرجلة فرماها إلي أو قال : ألقاها إلي وقال : « **دونكها أبا محمد فإنها تجم[4] الفؤاد** »[5] .

وفي هذا منقبة ظاهرة لطلحة رضي الله عنه وأرضاه .

٩ – ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر أنه يموت شهيداً . فقد روى مسلم في صحيحه بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فقال رسول الله ﷺ : « **اسكن حراء فما عليك إلا نبي**

---

(١) عارضة الأحوذي بشرح الترمذي ٨٢/١٢ – ٨٣ .

(٢) قال في النهاية : ٣٧/٤ « ذي قرد بفتح القاف والراء : ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر » اهـ . وهو موضع غزوة خرج فيها النبي ﷺ ، سببها إغارة عيينة بن حصن الفزاري في خيل من غطفان على لقاح لرسول الله ﷺ كان فيها رجل من بني غفار وامرأة له فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح « انظر السيرة النبوة لابن هشام » ٢٨١/٢ ، تاريخ الطبري ٥٩٦/٢ .

(٣) المستدرك ٣٧٤/٣ ثم قال الحاكم عقبه : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي .

(٤) تجم الفؤاد : « أي تريحه وقيل تجمعه وتكمل صلاحه ونشاطه » اهـ . النهاية في غريب الحديث ٣٠١/١ .

(٥) المستدرك ٣٧٠/٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

أو **صديق أو شهيد** » وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم »[1].

قال النووي رحمه الله تعالى : « وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ منها إخباره أن هؤلاء شهداء وماتوا كلهم غير النبي ﷺ وأبي بكر شهداء فإن عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم قتلوا ظلماً شهداء ، فقتل الثلاثة مشهور وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفاً تاركاً للقتال وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركاً للقتال فأصابه سهم فقتله وقد ثبت أن من قتل ظلماً فهو شهيد والمراد شهداء في أحكام الآخرة وعظم ثواب الشهداء ، وأمّا في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم وفيه بيان فضيلة هؤلاء[2].

٦ - ومن مناقبه الرفيعة أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنه راض . قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى : « باب ذكر طلحة بن عبيد الله ، وقال عمر : توفي النبي ﷺ وهو عنه راض »[3].

٧ - ومما يدل على عظم مكانته وعلو منزلته أن النبي ﷺ شهد له بالجنة ضمن جماعة من فضلاء الصحابة . فقد روى الترمذي بإسناده إلى عبد الرحمٰن ابن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « **أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة وسعد في الجنة وسعيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة** » ثم قال : وقد روي هذا الحديث عن عبد الرحمٰن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ نحو هذا[4].

---

(١) صحيح مسلم ١٨٨٠/٤ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٠/١٥ .

(٣) صحيح البخاري ٣٠٢/٢ .

(٤) سنن الترمذي ٣١١/٥ وانظر سنن أبي داود ٥١٦/٢ ، سنن ابن ماجة ٤٨/١ .

ففي هذا الحديث منقبة واضحة لطلحة رضي الله عنه حيث شهد له النبي ﷺ أنه من أهل الجنة وأكرم بها من شهادة فإنها تضمنت الإخبار بسعادته في الدنيا والآخرة ، ذلك هو الصحابي طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وتلك طائفة من الأحاديث التي دلت على عظيم قدره وعلو منزلته رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

* ٢) الزبير بين العوام :

هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن كلاب القرشي الأسدي[١] يجتمع مع النبي ﷺ في قصي وعدد ما بينهما من الآباء سواء[٢] وهو حواري رسول الله ﷺ وابن عمته ، أمه صفية بنت عبد المطلب ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى[٣] .

قال عروة بن الزبير : أسلم الزبير بن العوام وهو ابن ثمان سنين وهاجر وهو ابن ثمان عشرة سنة وكان عم الزبير يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه بالنار ويقول : ارجع إلى الكفر فيقول الزبير : لا أكفر أبداً .

وقال أيضاً : « أسلم الزبير وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين معاً ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ »[٤] .

فهو رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ . وفضائله رضي الله عنه كثيرة مشهورة ومنها :

١ - ما رواه البخاري بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : **«إن لكل نبي حوارياً، وإن حواريّ الزبير بن العوام»**[٥] . وعند مسلم بلفظ : ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي ﷺ : **«لكل نبي حواري وحواري الزبير»**[٦] .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٠٠/٣، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة ٥٦٠/١، الإصابة ٥٢٦/١.

(٢) فتح الباري ٨٠/٧ .

(٣) انظر الاستيعاب على حاشية الإصابة ٥٦٠/١ - ٥٦٥ ، الإصابة ٥٢٦/١ - ٥٢٨ .

(٤) المستدرك للحاكم ٣٦٠/٣ ، وانظر طبقات ابن سعد ١٠٢/٣ .

(٥) صحيح البخاري ٣٠٢/٢ .

(٦) صحيح مسلم ١٨٧٩/٤ .

ومعنى قوله ﷺ : « **وحواري الزبير** » أي : خاصتي من أصحابي وناصري ومنه الحواريون أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام أي : خلصائه وأنصاره وأصله من التحوير : التبييض قيل : إنهم كانوا قصارين يحورون الثياب أي : يبيضونها ... قال الأزهري : الحواريون خلصان الأنبياء وتأويله الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب »[1] .

فالحواري : هو الناصر المخلص ، فالحديث اشتمل على هذه المنقبة العظيمة التي تميز بها الزبير رضي الله عنه ولذلك سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنه رجلا يقول : أنا ابن الحواري فقال : إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا[2] . وقال عبد الله بن عباس : هو حواري النبي ﷺ وسمى الحواريون لبياض ثيابهم[3] .

وجاء « في عمدة القاري شرح صحيح البخاري » للعيني : « فإن قلت : الصحابة كلهم أنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام خلصاء فما وجه التخصيص به قلنا : هذا قاله حين قال يوم الأحزاب : من يأتيني بخبر القوم قال الزبير : أنا ، ثم قال : من يأتيني بخبر القوم فقال : أنا وهكذا مرة ثالثة ولا شك أنه في ذلك الوقت نصر نصرة زائدة على غيره »[4] .

٢ - من مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ فداه بأبويه . روى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن الزبير قال : كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً فلما رجعت قلت : يا أبت رأيتك تختلف قال : وهل رأيتني يا بني ؟ قلت : نعم قال : كان رسول الله ﷺ قال : « **من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم ؟** » فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال : « **فداك**

---

(١) النهاية لابن الأثير ١/٤٥٧ - ٤٥٨ .

(٢) رواه بن سعد في الطبقات الكبرى ٣/١٠٦ ، وذكره الحافظ في « الإصابة » ١/٥٢٧ .

(٣) صحيح البخاري ٢/٣٠٢ .

(٤) عمدة القاري ١٦/٢٢٣ ، وانظر تحفة الأحوذي بشرح الترمذي ١٠/٥٤٧ .

أبي وأمي »[1] .

وهذا الحديث فيه منقبة ظاهرة للزبير رضي الله عنه حيث فداه رسول الله ﷺ بأبويه « وفي هذه التفدية تعظيم لقدره واعتداد بعمله واعتبار بأمره وذلك لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه فيبذل نفسه أو أعز أهله له »[2] .

٣ - ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان ممن استجاب لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح يوم أحد . فقد روى الشيخان في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ قالت لعروة : يا ابن أختي كان أبواك منهم : الزبير وأبو بكر لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال : « **من يذهب في إثرهم ؟** » فانتدب منهم سبعون رجلا قال : كان فيهم أبو بكر والزبير »[3] .

فلقد أثنى الله على الذين استجابوا لله والرسول وأخبر أن جزاء المحسنين المتقين منهم أجر عظيم ، وكان الزبير بن العوام واحداً من هؤلاء رضي الله عنهم .

٤ - وروى ابن سعد بإسناد صحيح عن هشام عن أبيه قال كانت على الزبير عمامة صفراء معتجراً بها يوم بدر فقال النبي ﷺ : « **إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير** »[4] .

وفي هذا الحديث منقبة ظاهرة للزبير رضي الله عنه دلت على عظيم قدره وعلو منزلته فكون الملائكة الذين أنزلهم الله لنصر المسلمين في موقعة بدر كانوا على صورته فإن ذلك دليل على أنه جليل القدر رفيع المنزلة رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) صحيح البخاري ٣٠٢/٢ .

(٢) من مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا على القاري ٥٧٨/٥ ، تحفة الأحوذي ٢٤٦/١٠ .

(٣) صحيح البخاري ٢٦/٣ ، صحيح مسلم ١٨٨١/٤ .

(٤) الطبقات الكبرى ١٠٣/٣ .

٥ - وروى البخاري بإسناده إلى مروان بن الحكم قال : « أصاب عثمان ابن عفان رعاف شديد سنة الرعاف حتى حبسه عن الحج وأوصى فدخل عليه رجل من قريش قال : استخلف قال : وقالوه ؟ قال : نعم قال : ومن ؟ فسكت فدخل عليه رجل آخر أحسبه الحارث فقال : استخلف فقال عثمان : وقالوا ؟ فقال : نعم قال : ومن هو ؟ فسكت فلعلهم قالوا : إنه الزبير ؟ قال : نعم قال : والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمت وإن كان لأحبهم إلى رسول الله ﷺ » وفي رواية أخرى قال : « أمّا والله إنكم لتعلمون أنه خيركم ثلاثاً »[1] .

ففي هاتين الروايتين منقبة عظيمة لحواري رسول الله ﷺ حيث شهد له ثالث الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين عثمان بن عفان رضي الله عنه بالخيرية وأنه كان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ .

قال الداودي : « يحتمل أن يكون المراد من الخيرية في شيء مخصوص كحسن الخلق وإن حمل على ظاهره ففيه ما يبين أن قول ابن عمر : « ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ لا نفاضل بينهم » لم يرد به جميع الصحابة فإن بعضهم قد وقع منه تفضيل بعضهم على بعض وهو عثمان في حق الزبير » وقد تعقب الحافظ رحمه الله هذا الاحتمال الذي قاله الداودي بقوله : « قلت : قول ابن عمر قيده بحياة النبي ﷺ فلا يعارض ما وقع منهم بعد ذلك »[2] .

٦ - ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان شجاعاً مقداماً في ساحة القتال . فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للزبير يوم وقعة اليرموك : ألا تشد فنشد معك ؟ فحمل عليهم فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر قال عروة : فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير [3] .

---

(١) صحيح البخاري ٣٠٢/٢ .
(٢) فتح الباري ٨١/٧ .
(٣) صحيح البخاري ٣٠٢/٢ .

وفي هذا بيان فضيلة للزبير رضي الله عنه تضمنها قول الصحابة له يوم اليرموك « ألا تشد فنشد معك ... إلخ » فإنه كان شجاعاً مقداماً موفقاً في تسديد الضربات لجيوش الشرك . ولقد أبلى رضي الله عنه في يوم اليرموك وفي جميع الغزوات التي غزاها بلاء حسناً .

فقد روى الترمذي بإسناده إلى هشام بن عروة قال : « أوصى الزبير إلى ابنه عبد الله صبيحة الجمل فقال : ما مني عضو إلا وقد جرح مع رسول الله ﷺ حتى انتهى ذلك إلى فرجه »[1] .

٧ – ومن أعظم مناقبه وأعلاها شهادة النبي ﷺ له بالجنة . فقد روى الترمذي وغيره من حديث عبد الرحمٰن بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « **أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة** ... » الحديث[2] .

٨ – ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ شهد له بأنه يموت شهيداً فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ : « **اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد** »[3] .

فلقد شهد له الرسول ﷺ بالشهادة وحصلت له كما أخبر بها المصطفى عليه الصلاة والسلام « فإنه لما كان يوم الجمل ذكَّره علي بما ذكَّره به فرجع عن القتال وكر راجعاً إلى المدينة فمر بقوم الأحنف بن قيس وكانوا قد انعزلوا عن الفريقين فقال قائل يقال له الأحنف : ما بال هذا جمع بين الناس حتى إذا التقوا

---

(١) سنن الترمذي ٥/٣١٠ – ٣١١ ثم قال عقبه : « هذا حديث حسن غريب من حديث حماد بن زيد » .

(٢) المصدر السابق ٥/٣١١ .

(٣) صحيح مسلم ٤/١٨٨٠ .

كر راجعاً إلى بيته من رجل يكشف لنا خبره ؟ فاتبعه عمرو بن جرموز في طائفة من غواة بني تميم ... فأدركه عمرو بواد يقال له وادي السباع – قريب من البصرة – وهو نائم في القائلة فهجم عليه فقتله ... ولما قتله اجتز رأسه وذهب به إلى عليّ ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال عليٌّ : لا تأذنوا له وبشروه بالنار وفي رواية : أن علياً قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **بشر قاتل ابن صفية بالنار** » ودخل ابن جرموز ومعه سيف الزبير فقال عليٌّ : إن هذا السيف طال ما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ فيقال : إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه وقيل : بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى منه فقيل لمصعب : إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو مختف فهل لك فيه ؟ فقال : مروه فليظهر فهو آمن والله ما كنت لأقيد للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلا للزبير[1] « وكان قتله رضي الله عنه يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين »[2] ذلك هو حواري رسول الله ﷺ وتلك طائفة من مناقبه التي دلت على عظيم قدره وعلو شأنه رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

---

(١) البداية والنهاية ٢٧٢/٧ – ٢٧٣ ، وروى الإمام أحمد عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال عندما قيل له : إن قاتل الزبير على الباب ، قال : ليدخلن قاتل ابن صفية النار سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لكل نبي حواري وإن حواري الزبير بن العوام** » المسند ١٠٣/١ .

(٢) انظر الطبقات لابن سعد ١١٠/٣ – ١١٣ ، الاستيعاب لابن عبد البر على الإصابة ٥٦٤/١ ، البداية والنهاية ٢٧٣/٧ ، الإصابة ٥٢٧/١ .

* ٣) عبد الرحمٰن بن عوف :

هو أبو محمد عبد الرحمٰن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الزهري كان اسمه في الجاهلية - عبد عمرو - وقيل عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن أمه الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة [١] .

« شهد رضي الله عنه بدراً والمشاهد كلها وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام »[٢] « وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر عن رسول الله ﷺ أنه توفي وهو عنهم راض وأسند رفقته أمرهم إليه حتى بايع عثمان »[٣] « أسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها »[٤].

« وأمّره رسول الله ﷺ حين بعثه إلى بني كلب ، وأرخى له عذبة بين كتفيه لتكون أمارة عليه للإمارة »[٥] ومناقبه رضي الله عنه كثيرة وقد وردت طائفة من الأحاديث الصحيحة بذكر مناقبه رضي الله عنه ومنها :

١ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى عروة بن المغيرة بن شعبة أخبره أن المغيرة بن شعبة أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ تبوك قال المغيرة : فتبرّز رسول الله ﷺ قبل الغائط[٦] فحملت معه إداوة قبل صلاة الفجر فلما رجع رسول الله

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١٢٤/٣ ، المستدرك ٣٠٦/٣ ، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة ٣٨٥/٢ ، البداية والنهاية ١٧٨/٧ ، الإصابة ٤٠٨/٢ .

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣٠٥/٤ - ٣٠٦ ، وانظر البداية والنهاية ١٧٨/٧ .

(٣) الإصابة ٤٠٨/٢ .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٢٤/٣ ، المستدرك للحاكم ٣٠٩/٣ .

(٥) البداية والنهاية ١٧٨/٧ .

(٦) الغائط : هو المكان المنخفض من الأرض « النهاية لابن الأثير » ٣٩٥/٣ ، وانظر « الفائق في غريب الحديث » للزمخشري ٧٩/٣ .

ﷺ إليّ أخذت أهريق على يديه من الإداوة وغسل يديه ثلاث مرات ثم ذهب يخرج جبته عن ذراعيه فضاق كمّا جبته فأدخل يديه في الجبة حتى أخرج ذراعيه من أسفل الجبة وغسل ذراعيه إلى المرفقين ثم توضأ على خفيه ، ثم أقبل . قال المغيرة : فأقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمٰن بن عوف فصلى لهم فأدرك رسول الله ﷺ إحدى الركعتين فصلى مع الناس الركعة الآخرة فلما سلم عبد الرحمٰن بن عوف قام رسول الله ﷺ يتم صلاته فأفزع ذلك المسلمين فأكثروا التسبيح فلما قضى النبي ﷺ صلاته أقبل عليهم ثم قال : « **أحسنتم** » أو قال : « **أصبتم** » يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها »[1] .

فصلاة الرسول ﷺ خلف عبد الرحمٰن بن عوف الركعة الثانية من صلاة الفجر دلت على منقبة عظيمة له لا تبارى رضي الله عنه وأرضاه .

٢ — ومن مناقبه رضي الله عنه أنه تقاول هو وخالد بن الوليد في بعض الغزوات فأغلظ له خالد في المقال فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال : « **لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه** »[2] .

فقوله ﷺ : « **لا تسبوا أحداً من أصحابي** » يعني عبد الرحمٰن ونحوه الذين هم السابقون الأولون وهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا وهم أهل بيعة الرضوان فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان وهم الذين أسلموا بعد الحديبية وبعد مصالحة النبي ﷺ أهل مكة ومنهم خالد بن الوليد »[3] فالحديث تضمن منقبة رفيعة لعبد الرحمٰن بن عوف حيث كان ممن شرف بالسبق إلى الإسلام .

---

(١) صحيح مسلم ٣١٧/١ – ٣١٨ .

(٢) المصدر السابق ١٩٦٧/٤ – ١٩٦٨ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢٩ .

٣ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ غير اسمه من عبد عمرو إلى عبد الرحمٰن . روى الحاكم بإسناده إلى عبد الرحمٰن بن عوف قال : « كان اسمي في الجاهلية عبد عمرو فسماني رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن »[١] .

٤ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا الله له أن يسقيه من سلسبيل الجنة . فقد روى الحاكم أيضاً : بإسناده إلى أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه : « **إن الذي يحنو عليكم بعدي هو الصادق البار اللهم اسق عبد الرحمٰن بن عوف من سلسبيل الجنة** »[٢] .

وروى أيضاً : بإسناده إلى أبي سلمة بن عبد الرحمٰن حدثه قال : دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت لي : كان رسول الله ﷺ يقول لي : « **أمركن مما يهمني بعدى ولن يصبر عليكن إلا الصابرون** » ، ثم قالت : فسقى الله أباك من سلسبيل الجنة . وكان عبد الرحمٰن بن عوف قد وصلهن بمال فبيع بأربعين ألفاً »[٣] .

ففي هذين الحديثين فضيلة لعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه .

٥ - ومن أجل مناقبه وأعلاها شهادة النبي ﷺ له بالجنة . فقد روى الترمذي رحمه الله بسنده إلى عبد الرحمٰن بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « **أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة وعليّ في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة** ... » الحديث[٤] .

فقد بين النبي ﷺ أن عبد الرحمٰن أحد أهل الجنة جعلنا الله منهم بفضله ومنه آمين .

---

(١) المستدرك ٣٠٦/٣ ثم قال عقبه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(٢) المستدرك ٣١١/٣ ثم قال : « فقد صح الحديث عن عائشة وأم سلمة ووافقه الذهبي » .

(٣) المصدر السابق ٣١٢/٣ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٤) سنن الترمذي ٣١١/٥ .

٦ – ومن مناقبه العظيمة إخبار النبي ﷺ بأنه شهيد . روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة من حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه قال : أشهد على التسعة أنهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم آثم قيل : وكيف ذاك قال : كنا مع رسول الله ﷺ بحراء فقال : « **اثبت حراء فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد** » قيل : ومن هم قال : رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمٰن بن عوف قيل فمن العاشر قال أنا »[١] .

فالحديث تضمن منقبة عالية لعبد الرحمٰن وهي أنه سيموت شهيداً ولا يعارض هذا وفاته رضي الله عنه على فراشه فلابد من التسليم والإيمان بما أخبر به الرسول ﷺ ولابد هناك من سبب ثبتت له به الشهادة ليكون تصديقاً للنبي ﷺ لم نعلمه نحن .

ذلك هو عبد الرحمٰن بن عوف الذي قضى حياته كلها في طاعة ربه حتى في اللحظة الأخيرة – التي كان فيها في مرض موته فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : « ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل ممن بقي من أهل بدر بأربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها حتى عثمان وعليٌّ وقال عليٌّ : اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت زيفها[٢] . وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول : سقاه الله من السلسبيل وأعتق خلقاً من مماليكه ، ولما مات صلى عليه عثمان بن عفان ، وحمل في جنازته سعد بن أبي وقاص ودفن بالبقيع[٣] سنة إحدى وثلاثين وقيل سنة اثنتين وهو الأشهر »[٤] .

---

(١) المسند ١٨٧/١ ، سنن أبي داود ٥١٥/٢ ، سنن الترمذي ٣١٥/٥ ، وسنن ابن ماجة ٤٨/١ .
(٢) انظر المستدرك للحاكم ٣٠٨/٣ .
(٣) البداية والنهاية ١٨٠/٧ .
(٤) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٩٠/٢ ، الإصابة ٤٠٩/٢ – ٤١٠ .

* ٤) سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

هو أبو إسحاق سعد بن مالك بن أهيب ويقال له : ابن وهيب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب القرشي الزهري[١] «يجتمع مع النبي ﷺ في كلاب بن مرة وعدد ما بينهما من الآباء متقارب وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس لم تسلم»[٢] وهو رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، أسلم قديماً وكان يوم أسلم عمره سبع عشرة سنة وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً ، وما بعدها من المشاهد وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وكان فارساً شجاعاً من أمراء رسول الله ﷺ ، وكان في أيام الصديق معظماً جليل المقدار ، وكذلك في أيام عمر وقد استنابه على الكوفة وهو الذي بناها ، وهو الذي فتح المدائن[٣] ، وكانت بين يديه وقعة جلولاء[٤] وكان سيداً مطاعاً ، وعزله عن الكوفة عن غير عجز ولا خيانة ولكن لمصلحة ظهرت لعمر في ذلك ، ثم ولاه عثمان بعده ، ثم عزله عنها وكان رضي الله عنه مجاب الدعوة مشهوراً بذلك[٥] ، ومناقبه رضي الله عنه كثيرة مشهورة وردت بها الأحاديث الصحيحة ومنها:

١ - روى البخاري بإسناده إلى سعيد بن المسيب قال : سمعت سعداً يقول : جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم أحد[٦] .

٢ - وروى مسلم بإسناده إلى عامر بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ جمع له

---

(١) البداية والنهاية ٧٨/٨ ، الإصابة ٣٠/٢ .

(٢) فتح الباري ٨٤/٧ .

(٣) انظر تاريخ الطبري ٨/٤ - ١٦ ، الكامل لابن الأثير ٥١١/٢ ، البداية والنهاية ٧١/٧ - ٧٦ .

(٤) انظر تاريخ الطبري ٢٤/٤ - ٣٥ ، الكامل لابن الأثير ٥١٩/٢ ، البداية والنهاية ٧٧/٧ - ٧٩ .

(٥) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ١٣٧/٣ - ١٤٩ ، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة ١٨/٢ - ٢٥ ، البداية والنهاية ٧٨/٨ - ٨٤ ، الإصابة ٣٠/٢ - ٣٢ .

(٦) صحيح البخاري ٣٠٣/٢ .

أبويه يوم أحد قال : كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين فقال له النبي ﷺ : « **ارم فداك أبي وأمي** » قال : فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فأصبت جنبه فسقط فانكشفت عورته فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه » .

٣ – وروى أيضاً بإسناده إلى عبد الله بن شداد قال : سمعت علياً يقول : ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك فإنه جعل يقول له يوم أحد : « **ارم فداك أبي وأمي** »[١] .

هذه الأحاديث تضمنت منقبة عظيمة لسعد رضي الله عنه وهي أن النبي ﷺ فداه بأبويه وهذه التفدية فيها دلالة على أنه عظيم المنزلة جليل القدر عند النبي ﷺ إذ الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه فيضحي بنفسه أو أعز أهله له .

وقول عليٍّ رضي الله عنه : « ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك » يفيد الحصر ولكن هذا الحصر فيه نظر لأنه تقدم معنا قريباً أنه عليه الصلاة والسلام جمع أبويه يوم الخندق للزبير بن العوام رضي الله عنه ويجمع بين الحديثين « بأن علياً رضي الله عنه لم يطلع على ذلك ومراده بذلك تقييده بيوم أحد والله أعلم »[٢] .

٤ – وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة فقال : « **ليت رجلا صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة** » قالت : فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح فقال : « **من هذا** » قال : سعد بن أبي وقاص فقال له رسول الله ﷺ : « **ما جاء بك** » قال : وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام »[٣] .

---

(١) الحديثان في صحيح مسلم ١٨٧٦/٤ – ١٨٧٧ .

(٢) فتح الباري ٨٤/٧ ، عمدة القاري ٢٢٨/١٦ .

(٣) صحيح مسلم ١٨٧٥/٤ .

هذا الحديث تضمن منقبة لسعد رضي الله عنه وأنه من الصالحين وأكرم بها من منقبة إذ الصالحون يتولاهم رب العالمين كما قال تعالى : ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1] ولقد حظي رضي الله عنه بمفخرة عظيمة وهي حراسته للنبي ﷺ ودعاؤه له عليه الصلاة والسلام « وكان هذا الحديث قبل نزول قوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[2] لأنه ﷺ ترك الاحتراس حين نزلت هذه الآية وأمر أصحابه بالانصراف عن حراسته وهذا الحديث مصرح بأن هذه الحراسة كانت أول قدومه المدينة ومعلوم أن الآية نزلت بعد ذلك بأزمان »[3] .

٥ – ومن مناقبه رضي الله عنه أن الله تعالى أنزل فيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة . فقد روى الإمام مسلم بإسناده إلى سعد رضي الله عنه أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال : حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب قالت : زعمت أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وأنا آمرك بهذا قال : مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله – عز وجل – في القرآن هذه الآية ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ وفيها ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[4] قال وأصاب رسول الله ﷺ غنيمة عظيمة فإذا فيها سيف فأخذته فأتيت به الرسول ﷺ فقلت : نفلني هذا السيف فأنا من قد علمت حاله ، فقال : « **ردّه من حيث أخذته** » فانطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض لامتني نفسي فرجعت إليه فقلت : أعطنيه ، قال فشد لي صوته : « **ردّه من حيث أخذته** » قال : فأنزل الله– عز وجل–

---

(١) سورة الأعراف آية / ١٩٦ .

(٢) سورة المائدة آية / ٦٧ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٨٣/١٥ .

(٤) سورة لقمان آية / ١٥ .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾[1] قال : ومرضت فأرسلت إلى النبي ﷺ فأتاني فقلت : دعني أقسم مالي حيث شئت قال : فأبى قلت : فالنصف قال : فأبى قلت : فالثلث قال : فسكت فكان بعد الثلث جائزاً قال : وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا : تعال نطعمك ونسقيك خمراً وذلك قبل أن تحرم الخمر قال : فأتيتهم في حش والحش البستان فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر قال : فأكلت وشربت معهم قال : فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم فقلت : المهاجرون خير من الأنصار قال : فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فجرح بأنفي فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فأنزل الله – عز وجل – فيّ يعني نفسه شأن الخمر ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾[2] .

فهذا الحديث تضمن بيان فضيلة سعد حيث نزلت في شأنه تلك الآيات القرآنية المشار إليها في هذا الحديث .

٦ – ومن مناقبه رضي الله تعالى عنه أن الله تعالى أثنى عليه وأخبر أنه من الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه . فقد جاء في صحيح مسلم عنه رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله – عز وجل – ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[3] .

٧ – ومن مناقبه رضي الله عنه أنه أسلم قديماً . فقد روى البخاري بإسناده إلى سعد قال : لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام .

---

(١) جزء من الآية رقم (١) من سورة الأنفال .

(٢) صحيح مسلم ٤/١٨٧٧ – ١٨٧٨ والآية رقم (٩٠) من سورة المائدة .

(٣) المصدر السابق ٤/١٨٧٨ والآية رقم (٥٢) من سورة الأنعام .

وروى أيضاً بإسناده إلى سعيد بن المسيب قال : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام[1] .

فقوله رضي الله عنه : لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام فيه منقبة عظيمة له « وأراد بذلك أنه ثالث من أسلم أولا وأراد بالاثنين أبا بكر وخديجة أو النبي ﷺ وأبا بكر والظاهر أنه أراد الرجال الأحرار « فقد ذكر أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب[2] أنه سابع سبعة في الإسلام » وقد قدمنا في فضل الصديق من حديث عمار بن ياسر « رأيت النبي ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وأبو بكر فهؤلاء ستة ويكون هو السابع بهذا الاعتبار أو قال ذلك بحسب اطلاعه والسبب فيه أن من كان أسلم في ابتداء الأمر كان يخفي إسلامه فبهذا الاعتبار قال : وأنا ثلث الإسلام ... وقوله رضي الله عنه : « ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه » ظاهره أنه لم يسلم أحد قبله وهذا فيه إشكال لأنه قد أسلم قبله جماعة ولكن يحمل هذا على مقتضى ما كان اتصل بعلمه حينئذ وقد روى ابن مندة في « المعرفة » من طريق أبي بدر عن هاشم بلفظ ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه وهذا لا إشكال فيه لأنه لا مانع أن لا يشاركه أحد في الإسلام يوم أسلم ولا ينافي هذا إسلام جماعة قبل يوم إسلامه وقوله : « ولقد مكثت ... إلخ هذا أيضاً على مقتضى اطلاعه »[3] .

٨ – ومن مناقبه رضي الله عنه أنه أول من رمى بسهمه في سبيل الله لمجاهدة أعداء الله وإعلاء كلمة الله . فقد روى البخاري بإسناده إلى سعد رضي الله عنه قال : إني لأول العرب رمى في سبيل الله وكنا نغزو مع النبي ﷺ

---

(١) هذان الحديثان في صحيح البخاري ٣٠٣/٢ .

(٢) الاستعاب على حاشية الإصابة ١٨/٢ .

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٨٤/١٥ – ١٨٥ ، فتح الباري ٨٤/٧ ، المرقاة شرح المشكاة ٥٧٩/٥ .

وما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ما له خلط ... » الحديث[1] .

في هذا بيان فضيلة سعد رضي الله عنه حيث إنه كان أول رام بسهمه في سبيل الله « وكان ذلك في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان القتال فيها أول حرب وقعت بين المشركين والمسلمين وهي أول سرية بعثها رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة بعث ناساً من المسلمين إلى رابغ ليلقوا عيراً لقريش فتراموا بالسهام ولم يكن بينهم مسايفة فكان سعد أول من رمى »[2] .

٩ - ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك وسبب ذلك أن النبي ﷺ دعا الله له بأن يكون مجاب الدعوة فحقق الله دعوة نبيه عليه الصلاة والسلام فكانت دعوته مستجابة رضي الله عنه جاء في مجمع الزوائد عن عامر - يعني الشعبي - قال : قيل لسعد بن أبي وقاص : متى أجبت الدعوة قال : يوم بدر كنت أرمي بين يدي النبي ﷺ فأضع السهم في كبد القوس ثم أقول : اللهم زلزل أقدامهم وارعب قلوبهم وافعل بهم وافعل فيقول النبي ﷺ : « **اللهم استجب لسعد** » رواه الطبراني وإسناده حسن .

وفيه أيضاً : عن سعد قال : سمعني النبي ﷺ وأنا أدعو فقال : « **اللهم استجب له إذا دعاك** » . رواه البزار ورجاله رجال الصحيح [3] .

١٠ - ومن مناقبه العالية شهادة النبي ﷺ له بالجنة فقد روى الترمذي وغيره من حديث عبد الرحمٰن بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « **أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة ، وسعد بن أبي وقاص في**

---

(١) صحيح البخاري ٢/٣٠٣ .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٥٩١/١ ، الإصابة ٣٠/٢ ، فتح الباري ٨٤/٧ .

(٣) هذان الحديثان في مجمع الزوائد ١٥٣/٩ .

الجنة ... » الحديث[1] .

١١ - ومن مناقبه رضي الله عنه شهادة النبي ﷺ له بأنه من الشهداء فقد روى مسلم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك فقال رسول الله ﷺ : « **اسكن الحراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد** » وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم[2] .

فقد شهد له النبي ﷺ بأنه شهيد مع أنه لم يمت في معركة وإنما توفي بقصره بالعقيق سنة إحدى وخمسين وقيل ست وقيل ثمان والثاني أشهر[3] .

قال النووي : وأمَّا ذكر سعد بن أبي وقاص في الشهداء فقال القاضي : إنما سمي شهيداً لأنه مشهود له بالجنة[4] قال عليّ بن المديني : وهو آخر العشرة وفاة وقال غيره : كان آخر المهاجرين وفاة رضي الله عنه وعنهم أجمعين[5] ذلك هو سعد بن أبي وقاص وتلك طائفة من فضائله العظيمة رضي الله عنه .

* * *

(١) سنن الترمذي ٥/٣١١ .

(٢) صحيح مسلم ٤/١٨٨٠ .

(٣) الإصابة ٢/٣١ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٩٠ .

(٥) ذكره ابن كثير في « البداية والنهاية » ٨/٨٤ .

* ٥) أبو عبيدة بن الجراح :

هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب ويقال : وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري أبو عبيدة بن الجراح مشهور بكنيته وبالنسبة إلى جده وأمه أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامر بن عميرة(١) . وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام « وكان إسلامه هو وعثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث بن المطلب وعبد الرحمٰن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد في ساعة واحدة قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم »(٢) .

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وهاجر الهجرتين وشهد بدراً وما بعدها وهو الذي انتزع حلقتي المغفر من وجه رسول الله ﷺ فسقطت ثنيتاه بسبب ذلك وثبت يوم أحد مع رسول الله ﷺ حين انهزم الناس(٣) ومناقبه رضي الله عنه تضمنتها أحاديث صحيحة مشهورة منها :

١ - ما رواه الشيخان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن لكل أمة أميناً وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح** »(٤) .

هذا الحديث تضمن منقبة عظيمة لأبي عبيدة رضي الله عنه « والأمين هو الثقة المرضي وهذه الصفة وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره لكن السياق يشعر بأن له مزيداً في ذلك لكن خص النبي ﷺ كل واحد من الكبار بفضيلة ووصفه بها فأشعر بقدر زائد فيها على غيره كالحياء لعثمان والقضاء لعلي ونحو ذلك »(٥) .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٠٩/٣ ، المستدرك للحاكم ٢٦٢/٣ ، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة ٢/٣ ، الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣٠١/٤ الإصابة ٢٤٣/٢ .

(٢) المستدرك ٢٦٦/٣ ، الإصابة ٢٤٣/٢ .

(٣) المستدرك ٢٦٦/٣ ، الإصابة ٢٤٣/٢ .

(٤) صحيح البخاري ٣٠٥/٢ ، صحيح مسلم ١٨٨١/٤ .

(٥) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٩١/١٥ - ١٩٢ ، فتح الباري ٩٣/٧ ، عمدة القاري =

وروى البخاري بإسناده إلى حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لأهل نجران : « **لأبعثن عليكم – يعني – أمينا حق أمين** » فأشرف أصحابه فبعث أبا عبيدة رضي الله عنه[1] .

وروى مسلم بإسناده إلى أنس أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا : ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام قال : فأخذ بيد أبي عبيدة فقال : « **هذا أمين هذه الأمة** » .

وروى أيضاً : بإسناده إلى حذيفة قال : جاء أهل نجران إلى رسول الله فقالوا : يا رسول الله ابعث إلينا رجلا أميناً فقال : « **لأبعثن إليكم رجلا أميناً حق أمين** » قال : فاستشرف لها الناس[2] .

إنها لمنقبة عظيمة خص بها أبو عبيدة رضي الله عنه حق لأصحاب رسول الله ﷺ أن يتطلعوا لها « وكان تطلعهم رضي الله عنهم إلى الولاية ورغبتهم فيها حرصاً منهم على أن يكون أحدهم هو الأمين الموعود في الحديث لا حرصاً على الولاية من حيث هي »[3] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « قوله لأهل نجران هم أهل بلد قريب من اليمن وهم العاقب واسمه عبد المسيح والسيد ومن معهما ، ذكر ابن سعد أنهم وفدوا على النبي ﷺ في سنة تسع وسماهم[4] ... ووقع في حديث أنس عند مسلم « أن أهل اليمن قدموا على النبي ﷺ فقالوا : ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام فأخذ بيد أبي عبيدة وقال : « **هذا أمين هذه الأمة** » فإن كان الراوي تجوز عن أهل نجران بقوله : « أهل اليمن » لقرب نجران من اليمن وإلا فهما

= ٢٣٨/١٦ ، تحفة الأحوذي ٢٦٠/١٠ .

(١) صحيح البخاري ٣٠٥/٢ .

(٢) هذان الحديثان في صحيح مسلم ١٨٨١/٤ – ١٨٨٢ .

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٢/١٥ ، فتح الباري ٩٤/٧ ، عمدة القاري ٢٣٩/١٦ .

(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٤١٢/٣ .

واقعتان والأول أرجح » اهـ[1] .

٢ - ومن مناقبه العالية رضي الله عنه أنه كان أحد من يصلح للخلافة ، وأحد الناس الذين كانوا أحب إلى النبي ﷺ . روى الإمام مسلم بإسناده إلى ابن أبي مليكة قال : سمعت عائشة وسئلت : من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه ؟ قالت : أبو بكر فقيل لها : ثم من بعد أبي بكر ؟ قالت : عمر ثم قيل لها : من بعد عمر ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح ثم انتهت إلى هذا »[2] .

وهذا الأثر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تضمن منقبة عظيمة لأبي عبيدة وهي اعتقادها رضي الله عنها أنه صالح للخلافة وأنه أهل لها رضي الله عنه وأرضاه .

وروى الترمذي وابن ماجة بإسناديهما إلى عبد الله بن شقيق قال : قلت لعائشة : أي أصحاب النبي ﷺ كان أحب إليه ؟ ، قالت : أبو بكر قلت : ثم من ؟ قالت : ثم عمر ، قلت : ثم من ؟ قالت ثم أبو عبيدة بن الجراح قلت : ثم من ؟ فسكتت »[3] .

وفي هذا بيان فضيلة لأبي عبيدة وهي أنه كان أحد الذين هم أحب الناس إلى رسول الله ﷺ .

٣ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن الفاروق رضي الله عنه كان يكره مخالفته فيما يراه وأنه كان جليل القدر عنده . فقد روى الشيخان في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر لما خرج إلى الشام وأخبر أن الوباء قد وقع به فجمع أصحاب رسول الله ﷺ واستشارهم فاختلفوا فرأى عمر رأي من رأى الرجوع فرجع فقال له أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك

---

(١) فتح الباري ٩٣/٧ - ٩٤ .

(٢) صحيح مسلم ١٨٥٦/٤ .

(٣) سنن الترمذي ٣١٧/٥ ، سنن ابن ماجة ٣٨/١ .

قالها يا أبا عبيدة وكان عمر يكره خلافه ، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ... إلخ الحديث[1] .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : « وذلك دال على جلالة أبي عبيدة عند عمر »[2] .

٤ – ومن مناقبه رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قرنه في المدح بالشيخين .

روى الترمذي بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح** » ثم قال : هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث سهيل[3] .

في هذا الحديث فضيلة ظاهرة لأبي عبيدة حيث قرنه عليه الصلاة والسلام في المدح والثناء عليه مع أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهم جميعاً .

٥ – ومن مناقبه العالية الرفيعة شهادة المصطفى عليه الصلاة والسلام له بالجنة ضمن جماعة من الصحابة كما تقدم في حديث العشرة المبشرين بالجنة ، وهو ما رواه الترمذي وغيره بسنده إلى عبد الرحمٰن بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « **أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعليٌّ في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة** »[4] .

٦ – ومن مناقبه رضي الله عنه أن وفاته كانت شهادة في سبيل الله فقد مات في الطاعون الذي حصل بأرض الشام زمن الفاروق رضي الله عنه وقد

---

(١) صحيح البخاري ١٤/٤ – ١٥ ، صحيح مسلم ١٧٤٠/٤ – ١٧٤١ .

(٢) الإصابة ٢٤٤/٢ .

(٣) سنن الترمذي ٣١٧/٥ .

(٤) المصدر السابق ٣١١/٥ .

أخبر عليه الصلاة والسلام أن من كانت وفاته بسبب هذا الداء فإنه شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد وقد جمع الله لأبي عبيدة بين هذين الوصفين . فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما تعدون الشهيد فيكم** » قالوا : يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، قال : « **إن شهداء أمتي إذاً لقليل** » قالوا : فمن هم يا رسول الله قال : « **من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن فهو شهيد** » قال ابن مقسم : « أشهد على أبيك في هذا الحديث أنه قال : والغريق شهيد »[1] « وهذه الموتات إنما كانت شهادة بتفضل الله تعالى بسبب شدتها وكثرة ألمها »[2] .

قال النووي رحمه الله تعالى : « قال العلماء : المراد بشهادة هؤلاء كلهم غير المقتول في سبيل الله أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء وأمَّا في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم ... والشهداء ثلاثة أقسام : شهيد في الدنيا والآخرة وهو المقتول في حرب الكفار وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا وهم هؤلاء المذكورون هنا وشهيد في الدنيا دون الآخرة وهو من غل في الغنيمة أو قتل مدبراً »[3] .

« وقد اتفق العلماء على أن أبا عبيدة مات في طاعون عمواس بالشام سنة ثماني عشرة »[4] .

ولما دفن رضي الله عنه خطب الناس معاذ بن جبل خطبة بين فيها الكثير من فضائل أبي عبيدة . وقد ذكر أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد المقبرى قال : لما طعن أبو عبيدة قال : يا معاذ صل فصلى معاذ بالناس ثم مات أبو عبيدة

---

(١) صحيح مسلم ١٥٢١/٣ .

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٦٣/١٣ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣/٣ . الإصابة ٢٤٥/٢ .

ابن الجراح فقام معاذ في الناس فقال : يا أيها الناس توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحاً فإن عبداً لله يلقى الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له ثم قال : إنكم أيها الناس قد فجعتم برجل والله ما أزعم أني رأيت من عباد الله عبداً قط أقل غمزاً ولا أبر صدراً ولا أبعد غائلة ولا أشد حباً للعاقبة ولا أنصح للعامة منه فترحموا عليه رحمه الله ثم اصحروا[1] للصلاة عليه فوالله لا يلي عليكم مثله أبداً فاجتمع الناس وأخرج أبو عبيدة وتقدم معاذ فصلى عليه حتى إذا أتي به قبره دخل قبره معاذ بن جبل وعمرو بن العاص والضحاك بن قيس فلما وضعوه في لحده وخرجوا فشنوا عليه التراب فقال معاذ بن جبل : يا أبا عبيدة لأثنينَّ عليك ولا أقول باطلا أخاف أن يلحقني بها من الله مقت كنت والله ما علمت من الذاكرين الله كثيراً ومن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً وكنت والله من المخبتين المتواضعين الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويبغضون الخائنين المتكبرين »[2] .

فهذا الثناء من معاذ رضي الله عنه كله تضمن بيان فضائل لأبي عبيدة ابن الجراح ذلك هو أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وتلك طائفة من مناقبه التي دلت على أنه جليل القدر رفيع المنزلة رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

(١) أي : اخرجوا .

(٢) المستدرك ٣/٢٦٣ - ٢٦٤ .

* ٦) سعيد بن زيد :

هو أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي كان أبوه زيد بن عمرو بن نفيل أحد الحنفاء الذين طلبوا دين الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام قبل أن يبعث النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان لا يذبح للأصنام ولا يأكل الميتة والدم وكان يقول لقومه : يا معشر قريش والله لا آكل ما ذبح لغير الله ، والله ما أحد على دين إبراهيم غيري »[1] .

وأم سعيد بن زيد فاطمة بنت بعجة بن مليح الخزاعية كانت من السابقين إلى الإسلام وهو ابن عم عمر بن الخطاب وصهره كانت تحته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب وكانت أخته عاتكة بنت زيد بن عمرو تحت عمر بن الخطاب وكان سعيد بن زيد من السابقين الأولين إلى الإسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، أسلم قبل عمر بن الخطاب هو وزوجته فاطمة ، وهاجرا ، وكان من سادات الصحابة قال عروة والزهري وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق والواقدي وغير واحد : لم يشهد بدراً لأنه قد كان بعثه رسول الله ﷺ هو وطلحة بن عبيد الله بين يديه يتجسسان أخبار قريش ، فلم يرجعا حتى فرغ من بدر فضرب لهما رسول الله ﷺ بسهميهما وأجرهما ، ولم يذكره عمر في أهل الشورى لئلا يحابى بسبب قرابته من عمر فيولى فتركه لذلك ولم يتول بعده ولاية وما زال كذلك حتى مات »[2] .

وقد وردت بعض الأحاديث المتعددة المصرحة بفضله رضي الله عنه ومنها :

١ - ما رواه البخاري بإسناده إلى قيس بن أبي حازم قال : سمعت سعيد ابن زيد يقول للقوم في مسجد الكوفة يقول : والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب انظر الإصابة ٤/٢ « حاشية » .

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧٩/٣ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢/٢ - ٨ ، البداية والنهاية ٦٢/٨ ، الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣٣٧/٤ ، الإصابة ٤٤/٢ .

على الإسلام قبل أن يسلم عمر ولو أن أحداً أرفض[1] للذي صنعتم بعثمان لكان محقوقاً أن يرفض[2] .

ففي هذا بيان فضيلة ظاهرة لسعيد رضي الله عنه وهي أنه كان ممن حظي بشرف السبق إلى الإسلام وأن إسلامه كان قبل إسلام الفاروق رضي الله عنه إذ أنه بين أن صنع عمر هذا به كان قبل أن يسلم .

قال أبو عبد الله الحاكم : « أسلم سعيد بن زيد بن عمرو قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها الناس إلى الإسلام »[3] .

٢ – ومن مناقبه العالية شهادة النبي ﷺ له بالجنة مع جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

روى الترمذي بإسناده إلى عبد الرحمٰن بن حميد أن سعيد بن زيد حدثه في نفر أن رسول الله ﷺ قال : « **عشرة في الجنة أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة وعليٌّ وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمٰن بن عوف وأبو عبيدة وسعد ابن أبي وقاص** » قال : فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم : ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر ؟ قال : نشدتموني بالله أبو الأعور في الجنة »[4] .

٣ – ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر بأنه من الشهداء . فقد روى الترمذي بإسناده إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه قال : « أشهد على التسعة أنهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم آثم قيل : وكيف ذاك ؟ قال : كنا مع رسول الله ﷺ بحراء فقال : « **اثبت حراء فإنه ليس عليك إلا نبي**

---

(١) أي : زال من مكانه .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٧٦/٧ .

(٣) المستدرك ٤٣٨/٣ .

(٤) سنن الترمذي ٣١٢/٥ وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند ١٨٧/١ ، وأبو داود في سننه ٥١٥/٢ ، وأخرجه ابن ماجة في سننه ٤٨/١ .

أو صديق أو شهيد » قيل : ومن هم ؟ قال : رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمٰن بن عوف قيل : فمن العاشر قال : أنا » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ »[1] ففي هذا فضيلة عظيمة لسعيد بن زيد رضي الله عنه حيث شهد له النبي ﷺ بالشهادة وإن مات على فراشه فهو شهيد لخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام بذلك .

وكانت وفاته رضي الله عنه سنة « إحدى وخمسين وقيل سنة اثنتين وخمسين وقد غسله سعد وحمل من العقيق على رقاب الرجال إلى المدينة »[2] .

قال الشوكاني رحمه الله تعالى مبيناً فضل سعيد بن زيد رضي الله عنه : « ويكفي سعيد بن زيد أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة وأنه شهد أحداً وما بعده من المشاهد كلها وصار من جملة أهل بدر بما ضربه له رسول الله ﷺ من السهم والأجر » اهـ[3] .

ذلك هو سعيد بن زيد وتلك طائفة من مناقبه وبه رضي الله عنه نختم فضل العشرة المبشرين بالجنة الذين قدمنا فضائلهم التي دلت على مكانتهم وعلو منزلتهم ، فيجب على المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أنهم من أهل الجنة بأعيانهم كما أخبر بذلك الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ وكلهم رضي الله عنهم من قريش الذين سبقوا إلى الإسلام وهاجروا إلى الله ورسوله وتركوا ديارهم وأموالهم بغية نصرة دين الإسلام ورفع رايته .

* * *

---

(١) سنن الترمذي ٣١٥/٥ وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١٨٧/١ ، وأبو داود في سننه ٥١٥/٢ ، وابن ماجة ٤٨/١ والحاكم في المستدرك ٣١٦/٣ - ٣١٧ ، وأبو نعيم في الحلية ٩٥/١ ، الطبقات لابن سعد ٣٨٣/٣ .

(٢) البداية والنهاية ٦٢/٨ وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٨٤/٣ - ٣٨٥ .

(٣) در السحابة في مناقب القرابة والصحابة ص ٢٥٧ .

○ الفصل الرابع ○

ما جاء في فضل الصحابة من أهل بيت النبي ﷺ



○ الفصل الرابع ○

ما جاء في فضل الصحابة من أهل بيت النبي ﷺ

وفيه مباحث

المبحث الأول : المراد بأهل البيت .

المبحث الثاني : ما جاء في فضل أهل البيت عموماً وزوجات النبي ﷺ خصوصاً .

المبحث الثالث : فضل أهل بيته الذكور .

المبحث الرابع : فضل أهل بيته الإناث .

★ المبحث الأول ★

المراد بأهل البيت

لقد بين علماء العربية وأئمة الدين معنى هذه الكلمة المركبة من المضاف والمضاف إليه بياناً شافياً أوضحوا فيه أن أول من يدخل في هذه الكلمة أزواجه رضي الله عنهن جميعاً خلافاً للرافضة الذين يزعمون أن المراد من أهل البيت هم أربعة فقط علي وفاطمة والحسن والحسين[1] وأخرجوا منهم كل من سواهم وحصرهم أهل البيت في هؤلاء الأربعة مخالف لما قرره أئمة اللغة في المراد « بأهل البيت » بل مخالف للكتاب والسنة ولما قاله أئمة الدين فقد جاء في مقاييس اللغة لابن فارس أن الخليل بن أحمد قال : « أهل الرجل زوجه ، والتأهل التزوج وأهل الرجل أخص الناس به وأهل البيت سكانه وأهل الإسلام من يدين به »[2] .

وقال الراغب الأصفهاني : « أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد ، فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد ، ثم تجوز به فقيل : أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب وتعورف في أسرة النبي عليه الصلاة والسلام مطلقاً إذا قيل أهل البيت لقوله - عز وجل -: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[3] وعبر بأهل الرجل عن امرأته ، وأهل الإسلام الذين يجمعهم ... إلى أن قال : وتأهل الرجل إذا تزوج ومنه قيل : أهلك الله في الجنة أي : زوجك فيها وجعل

---

(١) تفسير القمي ١٩٣/٢ ، تفسير الكاشاني ٣٥١/٢ - ٣٥٢ .

(٢) مقاييس اللغة ١٥٠/١ .

(٣) سورة الأحزاب آية / ٣٣ .

لك فيها أهلا يجمعك وإياهم »[1] .

وجاء في لسان العرب لابن منظور : « وأهل المذهب : من يدين به ، وأهل الإسلام من يدين به وأهل الأمر ولاته ، وأهل البيت سكانه وأهل الرجل : أخص الناس به ، وأهل بيت النبي ﷺ أزواجه وبناته وصهره أعني علياً عليه السلام ، وقيل : نساء النبي ﷺ ... إلى أن قال : والتأهل : التزوج ، والآهل الذي له زوجة وعيال ، والعزب الذي لا زوجة له ... وآل الرجل أهله وآل الله ورسوله أولياؤه »[2] .

وجاء في تاج العروس : « والأهل للمذهب من يدين به ويعتقده والأهل للرجل زوجته ويدخل فيه أولاده ، وبه فسر قوله تعالى : ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾[3] أي : زوجته وأهله والأهل للنبي ﷺ أزواجه وبناته وصهره عليٌّ رضي الله عنه أو نساؤه وقيل : أهله الرجال الذين هم آله ويدخل فيه الأحفاد والذريات ومنه قوله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[4] وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ﴾[5] وقوله تعالى : ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[6] وإن أهل كل نبي أمته وأهل ملته ومنه قوله تعالى : ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾[7] .

وجاء في « المصباح المنير »[8] : أهل الشخص هم ذوو قرابته وقد أطلق على أهل بيته وعلى الأتباع .

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٢٩ .

(٢) لسان العرب ١١/٢٩ - ٣٠ .

(٣) سورة القصص آية / ٢٩ .

(٤) سورة طه آية / ١٣٢ .

(٥) سورة الأحزاب آية / ٣٣ .

(٦) سورة هود آية / ٧٣ .

(٧) تاج العروس ٧/٢١٧ والآية رقم (٥٥) من سورة مريم .

(٨) ١/٢٩ .

فهذه النصوص المتقدم ذكرها عن أئمة اللغة أوضحت المراد بكلمة « أهل البيت » وأنها تطلق أصلا على الأزواج خاصة ، ثم تستعمل في الأولاد والأقارب وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في غير ما آية : قال تعالى في سياق قصة خليل الله إبراهيم لما جاءته رسل الله بالبشرى : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾[1] فالمراد بأهل البيت في هذه الآية هي زوجة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه .

وقال تعالى في سياق قصة موسى عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾[2] فالمراد بالأهل في هذه الآية هي امرأته لأنه لم يكن مع موسى غيرها .

وقد وردت لفظة « أهل البيت » في سياق الخطاب لأزواج النبي ﷺ قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[3] .

فمن له أدنى إلمام بكتاب الله تعالى يفهم من هاتين الآيتين أن المراد « بأهل البيت » هن أزواجه عليه الصلاة والسلام لأن صدر الآية (وقرن) وما قبلها وما بعدها من الآيات لم يخاطب بها إلا أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن .

---

(١) سورة هود آية / ٧١ – ٧٣ .

(٢) سورة القصص آية / ٢٩ .

(٣) سورة الأحزاب آية / ٣٣ – ٣٤ .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : « والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم وإنما قال : (ويطهركم) لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحسيناً كانوا فيهم وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن يدل عليه سياق الكلام » اهـ[1] .

وقال العلامة ابن القيم بعد أن ساق الآيات التي وجه فيها الخطاب لأزواج النبي ﷺ في « سورة الأحزاب »[2] قال : « فدخلن في أهل البيت لأن هذا الخطاب كله في سياق ذكرهن فلا يجوز إخراجهن من شيء منه والله أعلم » اهـ[3] .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : « وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا لأنهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحداً إمَّا وحده على قول أو مع غيره على الصحيح ... إلى أن قال : « ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ أي : واعلمن بما ينزل الله - تبارك وتعالى - على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة قاله قتادة وغير واحد : واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس ، وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه الغنيمة وأخصهن من هذه الرحمة العميمة فإنه لم ينزل على رسول الله ﷺ الوحي في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨٣/١٤ .
(٢) الآيات من سورة الأحزاب آية ٣٠ - ٣٤ .
(٣) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص ١١٧ .

فراش امرأة سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه قال بعض العلماء رحمهم الله : لأنه لم يتزوج بكراً سواها ولم ينم معها رجل في فراشها سواه ﷺ ورضي الله عنها فناسب أن تخصص بهذه المزية وأن تفرد بهذه المرتبة العلية ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته فقرابته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث « **وأهل بيتي أحق** »[1] .

ولقد بين ﷺ المراد « بأهل البيت » وأن المقصود أولا بذلك هن أزواجه عليه الصلاة والسلام فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك في قصة زواجه عليه الصلاة والسلام بزينب بنت جحش وفيه أنه خرج فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : « **السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله** » فقالت : وعليك السلام ورحمة الله كيف وجدت أهلك بارك الله لك فتقرى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ... الحديث[2] .

فقد بين عليه الصلاة والسلام بهذا أن نساءه داخلات في أهل بيته فلا ينازع في ذلك إلا من طبع قلبه على القدح في صحابة رسول الله ﷺ الذين هم صفوة هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم .

وقد ذكر العلامة ابن القيم أن الأئمة اختلفوا في تحديد المراد « بآل البيت على أقوال : قال رحمه الله : « واختلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال :

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٥٢/٥ ، ٤٥٨ وقوله : كما تقدم في الحديث « **وأهل بيتي أحق** » يشير إلى حديث رواه أحمد في المسند ١٠٧/٤ عن أبي عمار قال : دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً فلما قاموا قال لي : ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ قلت : بلى قال : أتيت فاطمة رضي الله عنها أسألها عن عليٍّ قالت : توجه إلى رسول الله ﷺ فجلست انتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه عليٌّ وحسن وحسين رضي الله عنهم آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساء ثم تلا هذه الآية ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ وقال : « **اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق** » .

(٢) صحيح البخاري ١٧٧/٣ .

فقيل : هم الذين حرمت عليهم الصدقة وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء :

أحدها : أنهم بنو هاشم ، وبنو المطلب وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه .

الثاني : أنهم بنو هاشم خاصة وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله ورواية عن أحمد رحمه الله واختيار ابن القاسم صاحب مالك .

الثالث : أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب فيدخل فيهم بنو المطلب وبنو أمية وبنو نوفل ومن فوقهم إلى بني غالب وهو اختيار أشهب من أصحاب مالك ... إلى أن قال : وهذا القول في الآل أعني أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة هو منصوص الشافعي رحمه الله وأحمد والأكثرين وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد والشافعي .

القول الثاني : أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة حكاه ابن عبد البر في التمهيد : قال في « باب عبد الله بن أبي بكر في شرح حديث أبي حميد الساعدي : استدل قوم بهذا الحديث على أن آل محمد هم أزواجه وذريته خاصة لقوله في حديث مالك عن نعيم المجمر وفي حديث مالك : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد »[1] وفي هذا الحديث يعني حديث أبي حميد « اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته »[2] قالوا : فهذا يفسر ذلك الحديث ويبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته .

القول الثالث : أن آله ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة . حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم . وأقدم من روى عنه هذا القول جابر بن عبد الله .

القول الرابع : أن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة .

---

(١) الموطأ ١/١٦٥ .

(٢) المصدر السابق ١/١٦٦ .

ولما فرغ رحمه الله من عرض أدلة كل قول وبين ما فيها من الصحيح والضعيف قال مرجحاً : « والصحيح هو القول الأول ويليه القول الثاني . وأمَّا الثالث والرابع فضعيفان لأن النبي ﷺ قد رفع الشبهة بقوله : «**إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد**»[1] وقوله : « **إنما يأكل آل محمد من هذا المال** »[2] وقوله : «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**»[3] وهذا لا يجوز أن يراد به عموم الأمة قطعاً فأولى ما حمل عليه الآل في الصلاة الآل المذكورون في سائر ألفاظه ولا يجوز العدول عن ذلك وأمَّا تنصيصه على الأزواج والذرية فلا يدل على اختصاص الآل بهم بل هو حجة على عدم الاختصاص بهم لما روى أبو داود من حديث نعيم المجمر عن أبي هريرة رضي الله عنه في الصلاة على النبي ﷺ «**اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم**»[4] فجمع بين الأزواج والذرية والأهل وإنما نص عليهم بتعيينهم ليبين أنهم حقيقون بالدخول في الآل وأنهم ليسوا بخارجين منه، بل هم أحق من دخل فيه»[5].

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى : « وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت المذكورين في الآية فقال ابن عباس وعكرمة وعطاء والكلبي ومقاتل وسعيد بن جبير : إن أهل البيت المذكورين في الآية هن زوجات النبي ﷺ خاصة . قالوا : والمراد من البيت بيت النبي ﷺ ومساكن زوجاته لقوله تعالى:﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ وأيضاً : السياق في الزوجات ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ إلى قوله:﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[6] .

---

(١) صحيح مسلم ٧٥٣/٣ ، المسند ١٦٦/٤ .
(٢) صحيح البخاري ٣٠١/٢ ، صحيح مسلم ١٣٨٠/٣ .
(٣) صحيح البخاري ١٢٣/٤ ، صحيح مسلم ٢٢٨١/٤ واللفظ لمسلم .
(٤) سنن أبي داود ٢٢٥/١ .
(٥) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص ١١٢ – ١١٩ .
(٦) فتح القدير للشوكاني ٢٧٨/٤ .

وقال محمد عبد الرحمٰن المباركفوري : قال الشيخ عبد الحق في اللمعات :
« اعلم أنه قد جاء في أهل البيت بمعنى من حرم الصدقة عليهم وهم بنو هاشم فيشمل آل العباس وآل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل الحارث فإن كل هؤلاء يحرم عليهم الصدقة وقد جاء بمعنى أهله ﷺ شاملا لأزواجه المطهرات ، وإخراج نسائه ﷺ من أهل البيت في قوله:﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ من أن الخطاب معهن سباقاً وسياقاً فإخراجهن مما وقع في البين يخرج الكلام عن الاتساق والانتظام .

قال الرازي : إنها شاملة لنسائه ﷺ لأن سياق الآية ينادي على ذلك فإخراجهن عن ذلك وتخصيصه بغيرهن غير صحيح والوجه في تذكير الخطاب في قوله : ليذهب عنكم ويطهركم باعتبار لفظ الأهل ، أو لتغليب الرجال على النساء ولو أنث الخطاب لكان مخصوصاً بهن ولابد من القول بالتغليب على أي تقدير كان وإلا لخرجت فاطمة رضي الله عنها وهي داخلة في أهل البيت بالاتفاق[1] .

والذي أخلص إليه مما تقدم أن أزواجه عليه الصلاة والسلام من أهل بيته وهذا هو معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وهو ما يلزم المسلم اعتقاده إذ المراد بأهل البيت أصلا وحقيقة أزواجه عليه الصلاة والسلام ويدخل في أهل بيته أولاده وأعمامه وأبناؤهم .

* * *

(١) تحفة الأحوذي ٢٨٧/١٠ ، وانظر التفسير الكبير للرازي ٢٠٩/٢٥ .

★ المبحث الثاني ★

ما جاء في فضل أهل البيت عموماً وزوجات النبي ﷺ خصوصاً

لقد ورد الثناء في الكتاب والسنة على الصحابة من أهل بيت النبي ﷺ ذكوراً وإناثاً على سبيل العموم في غير ما آية وحديث ، وكما قدمنا في المبحث الذي قبل هذا أن أزواجه داخلات في أهل بيته دخولا أولياً وقد وردت آيات قرآنية في مدحهن عموماً . أوضح الله تعالى فيها أنهن في مرتبة عليّة ومنزلة رفيعة .

١ - قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[1] هذه الآية الكريمة اشتملت على فضيلة عظيمة ومنقبة رفيعة لجميع أزواجه عليه الصلاة والسلام وهي أنه تعالى : أوجب لهن حكم الأمومة على كل مؤمن مع ما لهن من شرف الصحبة للنبي ﷺ .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : « شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين أي : في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال ، وحجبهن رضي الله تعالى عنهن بخلاف الأمهات »[2] .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : « وقوله تعالى : ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾أي : في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام ، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع »[3] .

٢ - ومن مناقبهن العظيمة التي سجلها لهن القرآن العظيم أنهن اخترن الله

---

(١) سورة الأحزاب آية / ٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٢٣/١٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٢٥/٥ .

ورسوله والدار الآخرة إيثاراً منهن لذلك على الدنيا وزينتها فأعد الله لهن على ذلك ثواباً جزيلا وأجراً عظيماً . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] « هذا أمر من الله - تبارك وتعالى - لرسوله ﷺ بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن : الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة »[2] .

وقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال : « **إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك** » قالت : وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت: ثم قال: «**إن الله- جل ثناؤه- قال:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ إلى ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ » قالت: فقلت : ففي أي هذا أستأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت : ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت »[3] .

ففي هذا بيان فضيلة عظيمة ومنزلة عالية لأزواجه ﷺ اللاتي هن أول ما يتناولهن لفظ « أهل البيت » .

٣ - ومن مناقبهن العامة رضي الله عنهن جميعاً أن الله تعالى أخبر عباده أن ثوابهن على الطاعة والعمل الصالح مثلا أجر غيرهن . قال تعالى : ﴿ وَمَن

---

(١) سورة الأحزاب آية / ٢٨ - ٢٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٤٧/٥ .

(٣) صحيح البخاري ١٧٥/٣ .

يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾[1]. فقد أخبر – تعالى – في هذه الآية أن التي تطيع الله ورسوله منهن وتعمل بما أمر الله به فإنه – تعالى – يعطيها ثواب عملها مثلي ثواب عمل غيرها من سائر نساء الناس وأعد لها في الآخرة عيشاً هنيئاً في الجنة .

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى : عند قوله تعالى :﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾أي : مثل أجر غيرها قال مقاتل : مكان كل حسنة عشرين حسنة »[2] .

وقال الحافظ ابن كثير : عند قوله تعالى :﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ أي : في الجنة فإنهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش »[3] .

وقال أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى : قوله : ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ المعنى أعطاهن الله بذلك ثواباً متكاثر الكيفية والكمية في الدنيا والآخرة وذلك بين في قوله : ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ وزيادة رزق كريم معد لهن ، أما ثوابهن في الآخرة فكونهن مع النبي ﷺ في درجته في الجنة ولا غاية بعدها ولا مزية فوقها ، وفي ذلك من زيادة النعيم والثواب على غيرهن ، فإن الثواب والنعيم على قدر المنزلة .

وأمّا في الدنيا فبثلاثة أوجه :

أحدها : أنه جعلهن أمهات المؤمنين تعظيماً لحقهن ، وتأكيداً لحرمتهن وتشريفاً لمنزلتهن .

الثاني : أنه حظر عليه طلاقهن ومنعه من الاستبدال بهن فقال : ﴿لَّا يَحِلُّ

---

(١) سورة الأحزاب آية / ٣١ .

(٢) تفسير البغوي على حاشية الخازن ٢١٢/٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٥٠/٥ .

لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ ﴾[1] والحكمة أنهن لما لم يخترن عليه غيره أمر بمكافأتهن في التمسك بنكاحهن .

الثالث : أن من قذفهن حد حدَّين كما قال مسروق والصحيح أنه حد واحد[2] فالآية تضمنت بيان منزلة نساء النبي ﷺ وشرفهن على سائر نساء الناس .

٤ – ومن مناقبهن العامة التي شرفهن بها رب العالمين وأخبر بها عباده في كتابه العزيز أنهن لسن كأحد من النساء في الفضل والشرف وعلو المنزلة . قال تعالى :﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾[3] . فقد بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لا يلحقهن أحد من نساء الناس في الشرف والفضل كما بين أن هذا الفضل إنما يتم لهن بشرط التقوى لما منحهن الله من صحبة الرسول وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن[4] .

قال حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس في بيان معنى الآية : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات . أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي[5] .

وقال أبو بكر بن العربي : قوله :﴿ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ يعني : في الفضل والشرف فإنهن وإن كن من الآدميات فلسن كإحداهن ، كما أن النبي ﷺ وإن كان من البشر جبلة ، فليس منهم فضيلة ومنزلة ، وشرف المنزلة لا يحتمل العثرات ، فإن من يقتدى به ، وترفع منزلته على المنازل جدير بأن يرتفع

---

(١) سورة الأحزاب آية / ٥٢ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١٥٣٣/٣ .

(٣) سورة الأحزاب آية / ٣٢ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٧٧/١٤ .

(٥) تفسير البغوي على حاشية تفسير الخازن ٢١٢/٥ .

فعله على الأفعال ويربو حاله على الأحوال » اهـ[1] .

قال الحافظ ابن كثير : عند قوله تعالى:﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ « قال تعالى مخاطباً لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله - عز وجل - كما أمرهن فإنه لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة »[2] .

٥ - ومن المناقب العامة لأزواجه عليه الصلاة والسلام التي نوه الله بذكرها في كتابه العزيز ما امتن به عليهن من تلاوة آياته ، وما نزل من الوحي عليه عليه الصلاة والسلام في بيوتهن وهذه منقبة كبيرة ومفخرة عظيمة لهن رضي الله عنهن جميعاً قال تعالى : ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[3]ففي هذه الآية الكريمة خطاب لأمهات المؤمنين بأن يتذكرن نعمة الله عليهن بأن جعلهن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة فما عليهن إلا أن يشكرنه تعالى ويحمدنه على ذلك وقد فعلن ذلك رضي الله عنهن وأرضاهن .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : « وعنى بقوله : ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾واذكرنما يقرأ في بيوتكن من آيات كتاب الله والحكمة ويعني : بالحكمة ما أوحي إلى رسول الله ﷺ من أحكام دين الله و لم ينزل به قرآن وذلك السنة ... وقوله :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره : إن الله كان ذا لطف بكن إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة ، خبيراً بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجاً »[4] .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٥٣٤/٣ - ١٥٣٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٥١/٥ .

(٣) سورة الأحزاب آية / ٣٤ .

(٤) جامع البيان ٩/٢٢ .

وقال الحافظ ابن كثير : « وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ أي بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة بخبرته بكن وأنكن أهل لذلك أعطاكن ذلك وخصكن بذلك[1] .

فالآية تضمنت مكانة أزواج النبي ﷺ كلهن جميعاً حيث شرفهن الله بتلاوة آيات الله والحكمة في مساكنهن وذلك دليل على أنهن جليلات القدر رفيعات المنزلة .

٦ - ومن المناقب العامة التي شرف الله بها الصحابة من آل بيت النبي ﷺ إخباره تعالى أنه طهرهم من الرجس تطهيراً ونوه بذلك في محكم كتابه الكريم قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[2] .

هذه الآية شاملة لجميع أهل بيته عليه الصلاة والسلام من الصحابة ذكوراً وإناثاً ولا يخرج عنها فرد منهم وكلهم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم منه تطهيراً وقد اختلف المفسرون في معنى « الرجس » على أربعة أقوال :

فقيل : الإثم . وقيل : الشرك . وقيل : الشيطان .

وقيل : الأفعال الخبيثة والأخلاق الذميمة ، فالأفعال الخبيثة : كالفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والأخلاق الذميمة : كالشح والبخل والحسد وقطع الرحم[3] .

وقال البغوي رحمه الله تعالى : « أراد بالرجس : الإثم الذي نهى الله النساء عنه قال مقاتل : وقال ابن عباس : يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضاً وقال

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٥٩/٥ .

(٢) سورة الأحزاب آية / ٣٣ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١٥٣٧/٣ ، زاد المسير لابن الجوزي ٣٨١/٦ .

قتادة : يعني السوء وقال مجاهد : الرجس الشك وأراد بأهل البيت نساء النبي ﷺ لأنهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس »[1] .

فإذهاب الرجس شامل لزوجاته عليه الصلاة والسلام وغيرهن من أهل بيته من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً ، فلقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم منه تطهيراً . فالآية شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً .

أمَّا الزوجات فلكونهن المرادات في سياق هذه الآية ، ولكونهن الساكنات في بيوته ﷺ النازلات في منازله .

وأمَّا دخول عليّ وفاطمة والحسن والحسين فلكونهم قرابته وأهل بيته في النسب ويؤيد ذلك ما ورد من الأحاديث المصرحة بأنهم من أهل بيته ومن تلك الأحاديث ما رواه الإمام مسلم بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط[2] مرحَّل من شعر أسود فجاء الحسن ابن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[3] .

قال القرطبي : « فهذه دعوة من النبي ﷺ لهم بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج »[4] .

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن آية التطهير من الرجس شاملة لأزواجه ولعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً فقد قال رحمه الله تعالى :

---

(١) معالم التنزيل على تفسير الخازن ٢١٢/٥ .

(٢) المرط : كساء يكون من صوف وربما كان من خز أو غيره « النهاية في غريب الحديث » ٣١٩/٤ .

(٣) صحيح مسلم ١٨٨٣/٤ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٨٤/١٤ .

وقد روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أم سلمة أن هذه الآية لما نزلت أدار النبي ﷺ كساءه على عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فقال : « **اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً** »[1] وسنته تفسر كتاب الله وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه فلما قال : « **هؤلاء أهل بيتي** » مع أن سياق القرآن يدل على أن الخطاب مع أزواجه علمنا أن أزواجه وإن كن من أهل بيته كما دل عليه القرآن فهؤلاء أحق بأن يكونوا أهل بيته لأن صلة النسب أقوى من صلة الصهر والعرب تطلق هذا البيان للاختصاص بالكمال لا للاختصاص بأصل الحكم كقول النبي ﷺ : « **ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان وإنما المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يتفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس إلحافاً** »[2] .

بين بذلك : أن هذا مختص بكمال المسكنة بخلاف الطواف فإنه لا تكمل فيه المسكنة لوجود من يعطيه أحياناً مع أنه مسكين أيضاً . ويقال : هذا هو العالم وهذا هو العدو وهذا هو المسلم لمن كمل فيه ذلك وإن شاركه غيره في ذلك وكان دونه .

ونظير هذا في الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال : « **مسجدي هذا** »[3] يعني مسجد المدينة مع أن سياق القرآن في قوله عن مسجد الضرار : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[4] يقتضي أنه مسجد قباء فإنه قد تواتر أنه قال لأهل قباء : « **ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به ؟؟** » فقالوا : لأننا نستنجي

(١) المسند ٢٩٢/٦ ، سنن الترمذي ٣٠/٥ - ٣١ .
(٢) صحيح البخاري ١٠٩/٣ ، ٢٥٨/٢ ، سنن أبي داود ٣٧٩/١ ، سنن النسائي ٨٥/٦ - ٨٦ .
(٣) صحيح مسلم ١٠١٥/٣ ونصه هكذا « هو مسجدكم هذا » .
(٤) سورة التوبة آية / ١٠٨ .

بالماء[1] لكن مسجده أحق بأن يكون مؤسساً على التقوى من مسجد قباء ، وإن كان كل منها مؤسساً على التقوى وهو أحق أن يقوم فيه من مسجد الضرار فقد ثبت عنه ﷺ أنه كان يأتي قباء كل سبت راكباً وماشياً فكان يقوم في مسجده القيام الجامع يوم الجمعة ثم يقوم بقباء يوم السبت وفي كل منهما قد قام في المسجد المؤسس على التقوى ولما بين - سبحانه - أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته ويطهرهم تطهيراً دعا النبي ﷺ لأقرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصاً به وهم : عليٌّ وفاطمة رضي الله عنهما وسيدا شباب أهل الجنة جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير وبين أن قضى لهم بكمال دعاء النبي ﷺ فكان في ذلك ما دلنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من الله ليسبغها عليهم ورحمة من الله وفضل لم يبلغوهما بمجرد حولهم وقوتهم إذ لو كان كذلك لاستغنوا بهما عن دعاء النبي ﷺ كما يظن من يظن أنه قد استغنى في هدايته وطاعته عن إعانة الله تعالى له وهدايته إياه ، وقد ثبت أيضاً بالنقل الصحيح : أن هذه الآيات لما نزلت قرأها النبي ﷺ على أزواجه ، وخيرهن كما أمره الله فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، ولذلك أقرهن ولم يطلقهن حتى مات عنهن ولو أردن الحياة الدنيا وزينتها لكان يمتعهن ويسرحهن كما أمره الله - سبحانه - وتعالى فإنه ﷺ أخشى الأمة لربه وأعلمهم بحدوده . ولأجل ما دلت عليه هذه الآيات من مضاعفة للأجور والوزر بلغنا عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين وقرة عين الإسلام أنه قال : « إني لأرجو أن يعطي الله للمحسن منا أجرين ، وأخاف أن يجعل على المسيىء منا وزرين »[2] فإذن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ شاملة لزوجاته عليه الصلاة والسلام أمهات المؤمنين وغيرهن من قرابته وأهل بيته من الصحابة فمن جعل الآية خاصة

---

(١) انظر الحديث في مسند أحمد ٤٢٢/٣ ، وسنن ابن ماجة ١٢٨/١ .

(٢) حقوق آل البيت لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٥ - ٢٨ .

بأحد الفريقين أعمل بعض ما يجب إعماله وأهمل ما لا يجوز إهماله »[1] .

ولقد وردت أحاديث كثيرة تبين فضل أهل البيت عموماً ومنها :

١ – روى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار** »[2] .

٢ – وروى مسلم بإسناده إلى يزيد بن حيان قال : انطلقت أنا وحصين ابن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه ثم قال : قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : « **أمَّا بعد : ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به** » فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : « **وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي** » فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال : ومن هم ؟ قال : هم آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال : كل هؤلاء حرم الصدقة قال : نعم ».

وفي رواية أخرى عن يزيد بن حيان قال : دخلنا عليه فقلنا له : لقد رأيت

---

(١) انظر تحفة الأحوذي بشرح الترمذي ٦٧/٩ .

(٢) المستدرك ١٥٠/٣ وقال عقبة : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » وسكت عنه الذهبي في تلخيصه وأورده في سير أعلام النبلاء ١٢٣/٢ .

خيراً لقد صاحبت رسول الله ﷺ وصليت خلفه وساق الحديث غير أنه قال « **ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله – عز وجل – هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة** » وفيه فقلنا : من أهل بيته نساؤه قال : لا وايم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده »[1] .

قال ابن كثير : « هكذا وقع في هذه الرواية والأولى أولى والأخذ بها أحرى وهذه الثانية تحتمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث ... إنما المراد بهم آله الذين حرموا الصدقة ، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط بل هم مع آله وهذا الاحتمال أرجح جمعاً بينها وبين الرواية التي قبلها » اهـ[2] .

وقال النووي مبيناً وجه الجمع بين الروايتين : « فهاتان الروايتان ظاهرهما التناقض والمعروف في معظم الروايات في غير مسلم أنه قال : نساؤه لسن من أهل بيته فتتأول الرواية الأولى على أن المراد أنهن من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهم وأمر باحترامهم وإكرامهم وسماهم ثقلا ووعظ في حقوقهم وذكر فنساؤه داخلات في هذا كله ولا يدخلن فيمن حرم الصدقة وقد أشار إلى هذا في الرواية الأولى بقوله : « نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة فاتفقت الروايتان » اهـ[3] .

وقال القرطبي موضحاً كيفية القيام بوصية النبي ﷺ تجاه أهل بيته فقال : « وهذه الوصية وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبي ﷺ وبأنهم جزء منه فإنهم أصوله التي

---

(١) الحديثان في صحيح مسلم ٤/١٨٧٣ – ١٨٧٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥/٤٥٧ – ٤٥٨ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٨٠ – ١٨١ .

نشأ عنها وفروعه نشأوا عنه كما قال : « **فاطمة بضعة مني ...** »[1] .

فحديث زيد بن أرقم المتقدم تضمن فضيلة أهل بيته عليه الصلاة والسلام من الصحابة حيث قرن الوصية بهم مع وصيته بالالتزام والتمسك بكتاب الله الذي فيه الهدى والنور ، فجعله عليه الصلاة والسلام أهل بيته ثقلا دليل واضح على عظم حقهم وارتفاع شأنهم وعلو منزلتهم .

ومعنى : التمسك بالكتاب امتثال ما أمر الله به فيه واجتناب ما نهى عنه قولا وعملا ومعنى التمسك - بأهل بيته - محبتهم والمحافظة على حرمتهم والعمل برواياتهم الصحيحة والاهتداء بهديهم وسيرتهم إذا لم يكن في ذلك مخالفة للدين[2] .

٣ - وروى الحاكم بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً أن يثبت قائمكم وأن يهدي ضالكم وأن يعلم جاهلكم وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء فلو أن رجلا صفن[3] بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار** »[4] .

هذا الحديث تضمن ثلاث مناقب لأهل بيت النبي ﷺ وهي واضحة كما بينها النبي ﷺ كما تضمن الحديث أن مبغضهم من أهل النار والعياذ بالله فالواجب على المسلم أن يحبهم ويبعد نفسه عن بغضهم .

٤ - حث النبي ﷺ أمته على حبهم وجعل محبتهم دليلا على محبته عليه الصلاة والسلام . فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني**

---

(١) ذكره عنه المناوي في كتابه « فيض القدير » ١٤/٣-١٥ .

(٢) انظر تحفة الأحوذي ٢٨٨/١٠ ، وانظر فيض القدير للمناوي ١٥/٣ .

(٣) صفن : أي قائم « انظر النهاية في غريب الحديث » ٣٩/٣ .

(٤) المستدرك ١٤٨/٣ - ١٤٩ ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي »[1].

ومعنى قوله ﷺ : « وأحبوا أهل بيتي لحبي » أي : إنما تحبونهم لأني أحببتهم بحب الله تعالى لهم وقد يكون أمراً بحبهم لأن محبتهم لهم تصديق لمحبتهم للنبي ﷺ[2].

وقد فهم وصية النبي ﷺ بأهل بيته حق فهمها أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث دعا الناس إلى إكرامهم واحترامهم ومحبتهم.

٥ - فقد روى البخاري بإسناده إلى أبي بكر رضي الله عنه أنه قال : أرقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته[3].

هذا خطاب من الصديق رضي الله عنه ووصية منه لكافة أمة محمد ببيت النبوة « والمراقبة للشيء : المحافظة عليه ومعنى قول الصديق احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم »[4].

قال النووي رحمه الله تعالى : « معنى « ارقبوا » راعوه واحترموه وأكرموه »[5].

٦ - وروى البخاري بإسناده إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : ... والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي[6].

ففي قول الصديق هذا بيان فضل أهل بيت النبي ﷺ والحث على إكرامهم واحترامهم ولقد بين رضي الله عنه بقوله هذا والذي قبله ما يجب أن يكون المسلم

---

(١) المصدر السابق ١٥٠/٣ ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٢) فيض القدير للمناوي ١٧٨/١.
(٣) صحيح البخاري ٣٠٢/٢.
(٤) انظر فتح الباري ٧٩/٧ ، عمدة القاري ٢٢٢/١٦ - ٢٢٣.
(٥) رياض الصالحين ص ١٧١.
(٦) صحيح البخاري ٣٠١/٢.

عليه من الاعتقاد السليم تجاه أهل البيت رضي الله عنهم من حيث مراعاتهم وإكرامهم وإحترامهم ومحبتهم فالواجب على كل مسلم أن يسلم بما أثبته الله تعالى من الفضل العام لأهل بيت النبي ﷺ وأن يقدرهم حق قدرهم ويكن لهم الاحترام والتوقير والإكرام والإعظام وأن يحفظ فيهم وصية النبي ﷺ حيث وصى بمراعاتهم والإحسان إليهم ويبتعد عما يكون سبباً في الإساءة إليهم وأن يعلم أن محبتهم حب للنبي ﷺ وبغضهم ذنب عظيم يجب على المسلم ألا يكون في قلبه محل لذلك وكذلك سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

* * *

★ المبحث الثالث ★

فضل أهل بيته الذكور رضي الله عنهم

ويتضمن :

١) إبراهيم ابن رسول الله ﷺ .

٢) الحسن بن علي رضي الله عنهما .

٣) الحسين بن علي رضي الله عنهما .

٤) حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

٥) العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .

٦) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

٧) الفضل بن عباس رضي الله عنهما .

٨) جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

٩) عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما .

١٠) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه .

١١) عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه .

* ١) إبراهيم بن رسول الله ﷺ :

تقدم معنا في الفصل الثالث من هذا الباب ذكر فضائل أبي السبطين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وفي هذا المبحث أذكر الفضل الوارد في حق غيره من أهل البيت الذكور رضي الله عنهم أجمعين . ولنبدأ هنا بذكر إبراهيم ابن المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ولد إبراهيم ابن النبي ﷺ في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة وأمه مارية القبطية التي أهداها للنبي ﷺ المقوقس صاحب الإسكندرية ولما ولد بشر النبي ﷺ به أبو رافع مولاه فوهب له عبداً ومات طفلا قبل الفطام[١] .

وقد وردت أحاديث كثيرة فيها بيان فضله وسرور النبي ﷺ به ومن تلك الأحاديث :

١ - ما رواه الإمام مسلم بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم** »[٢] .

٢ - وروى أيضاً بإسناده إلى أنس بن مالك قال : ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ قال : كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي[٣] المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن وكان ظئره[٤] قينا[٥] فيأخذه فيقبله ثم يرجع قال عمرو : فلما توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ : « **إن إبراهيم ابني وأنه مات في الثدي[٦] وإن له** ....

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١/١٣٤ - ١٣٥ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ١/٢٣ - ٢٧ ، زاد المعاد ١/١٠٣ - ١٠٤ ، أسد الغابة ١/٣٨ - ٤٠ .

(٢) صحيح مسلم ٤/١٨٠٧ .

(٣) عوالي المدينة : هي القرى التي عند المدينة « شرح النووي » ١٥/٧٦ .

(٤) ظئره : أي زوج مرضعته .

(٥) قينا : أي حداد والقين : هو الحداد والصائغ « النهاية لابن الأثير » ٤/١٣٥ .

(٦) معناه مات : وهو في سن رضاع الثدي ، أو في حال تغذيه بلبن الثدي « شرح النووي » ١٥/٧٦ .

لظئرين[1] تكملان رضاعه[2] في الجنة »[3].

٣ - وروى الإمام البخاري بإسناده إلى البراء بن عازب قال: لما مات إبراهيم عليه السلام قال رسول الله ﷺ: « **إن له مرضعاً في الجنة** »[4].

٤ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى البراء قال: قال رسول الله ﷺ: « **لإبراهيم مرضع في الجنة** »[5].

٥ - وروى محمد بن سعد في الطبقات[6] بإسناده إلى البراء بن عازب قال: لما مات إبراهيم بن النبي ﷺ: قال رسول الله ﷺ: « **أما إن له مرضعاً في الجنة** ».

ومعنى هذه الأحاديث أن له مرضعاً في الجنة تكمل إرضاعه لأنه لما مات كان ابن ستة عشر شهراً، أو ثمانية عشر شهراً على اختلاف الروايتين[7]. فيرضع بقية السنتين فإنه تمام الرضاعة بنص القرآن « وهذا الإتمام لإرضاع إبراهيم رضي الله عنه يكون عقب موته فيدخل الجنة متصلا بموته فيتم فيها رضاعه كرامة له ولأبيه ﷺ »[8].

٦ - وروى البخاري بإسناده إلى إسماعيل بن أبي خالد قال: قلت لابن أبي أوفى رأيت إبراهيم ابن النبي ﷺ؟ قال: مات صغيراً، ولو قضى أن يكون

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث: « فيه ذكر ابنه إبراهيم عليه السلام فقال: إن له ظئراً في الجنة » الظئر: المرضعة غير ولدها ويقع على الذكر والأنثى » اهـ ١٥٤/٣.

(٢) تكملان رضاعه « أي: تتمانه سنتين » شرح النووي على صحيح مسلم ٧٦/١٥.

(٣) صحيح مسلم ١٨٠٨/٤.

(٤) صحيح البخاري ٨٠/٤.

(٥) المسند ٢٨٤/٤.

(٦) ١٣٩/١.

(٧) فتح الباري ٥٧٩/١٠، وانظر شرح النووي على صحيح مسلم ٧٦/١٥.

(٨) شرح النووي على صحيح مسلم ٧٦/١٥.

بعد محمد ﷺ نبي عاش ابنه ولكن لا نبي بعده[١] .

قال الحافظ هكذا جزم به عبد الله بن أبي أوفى ومثل هذا لا يقال بالرأي وقد توارد عليه جماعة :

فأخرج ابن ماجة من حديث ابن عباس قال : لما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ قال : « **إن له مرضعاً في الجنة لو عاش لكان صديقاً نبياً ولأعتقت أخواله القبط** »[٢] .

وروى أحمد وابن منده من طريق السدي « سألت أنساً كم بلغ إبراهيم ؟ قال : كان قد ملأ المهد ولو بقي لكان نبياً ، ولكن لم يكن ليبقى لأن نبيكم آخر الأنبياء » .

ولفظ أحمد لو عاش إبراهيم ابن النبي لكان صديقاً نبياً[٣] فهذه عدة أحاديث صحيحة عن هؤلاء الصحابة أنهم أطلقوا ذلك فلا أدري ما الذي حمل النووي في ترجمة إبراهيم المذكور من كتاب « تهذيب الأسماء واللغات » على استنكار ذلك ومبالغته حيث قال : هو باطل وجسارة في الكلام على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم من الزلل[٤] ، ويحتمل أن يكون استحضر ذلك عن الصحابة المذكورين فرواه عن غيرهم ممن تأخر عنهم فقال ذلك وقد استنكر قبله ابن عبد البر في الاستيعاب الحديث المذكور فقال : هذا لا أدري ما هو وقد ولد لنوح من ليس بنبي وكما يلد غير النبي نبياً فكذا يجوز عكسه[٥] حتى نسب

---

(١) صحيح البخاري ٨٠/٤ .

(٢) سنن ابن ماجة ٤٨٤/١ وقد تكلم أهل العلم في سند هذا الحديث من جهة إبراهيم بن عثمان فقد قال البخاري : سكتوا عنه وقال يحيى بن معين : ليس بثقة وقال النسائي والدولابي : متروك الحديث وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث سكتوا عنه وتركوا حديثه ، وقال الجوزجاني : ساقط وقال صالح جزره : ضعيف لا يكتب حديثه « التهذيب » ١٤٤/١ .

(٣) المسند ٢٨١/٣ .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ١٠٣/١ .

(٥) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٧/١ .

قائله إلى المجازفة والخوض في الأمور المغيبة بغير علم إلى غير ذلك مع أن الذي نقل عن الصحابة المذكورين إنما أتوا فيه بقضية شرطية[1].

ولما مات إبراهيم رضي الله عنه حزن عليه النبي ﷺ حزناً عظيماً حتى ذرفت عيناه عليه الصلاة والسلام بالدمع عليه فقد روى الإمام مسلم بإسناده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « **ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم** » ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين يقال له: أبو سيف فانطلق يأتيه واتبعته فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره قد امتلأ البيت دخاناً فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: يا أبا سيف أمسك جاء رسول الله ﷺ فأمسك فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول: فقال أنس: لقد رأيته وهو يكيد بنفسه[2] بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال: « **تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون** »[3].

والذي أخلص إليه مما تقدم في الأحاديث أنها اشتملت على بيان فضل إبراهيم ابن النبي ﷺ وبيان مكانته عند المصطفى عليه الصلاة والسلام، كما دلت على أنه جليل القدر رفيع المنزلة.

* * *

---

(١) فتح الباري ٥٧٩/١٠.

(٢) أي: يجود بها. ومعناه: وهو في النزع.

(٣) صحيح مسلم ١٨٠٧/٤ - ١٨٠٨.

* ٢) الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه :

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي ، سبط رسول الله ﷺ ، ابن بنته فاطمة الزهراء وريحانته ، وأشبه خلق الله به في وجهه ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة فحنكه رسول الله ﷺ بريقه وسماه حسناً ، وهو أكبر ولد أبويه ، وقد كان رسول الله ﷺ يحبه حبّاً شديداً حتى كان يقبل زبيبته[١] وهو وربما مص لسانه واعتنقه وداعبه ، وربما جاء ورسول الله ﷺ ساجد في الصلاة فيركب على ظهره فيقره على ذلك ويطيل السجود من أجله وربما صعد إلى المنبر[٢] « وكانت وفاته رضي الله عنه سنة خمسين من الهجرة بالمدينة النبوية »[٣] .

وقد وردت أحاديث كثيرة في بيان مناقبه رضي الله عنه منها ما وردت فيه منقبة خاصة به ، ومنها ما فيه منقبة مشتركة بينه وبين أخيه الحسين وكذلك الحسين رضي الله عنه وردت له مناقب انفرد بها ومناقب أخرى اشترك فيها مع أخيه الحسن وسأبدأ بذكر طائفة من المناقب التي انفرد بها كل واحد منهما ، ثم أعقب ذلك بذكر طائفة من المناقب التي اشتركا فيها معاً رضي الله عنهما . فمن المناقب التي انفرد بها الحسن رضي الله عنه :

١ - ما رواه البخاري بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : عانق النبي ﷺ الحسن[٤] .

٢ - وروى البخاري بإسناده إلى أبي بكرة رضي الله عنه قال سمعت النبي

---

(١) زبيبته : الزبيبة زبدة ترى في شدق الإنسان إذا أكثر الكلام ، وقيل : قرحة سوداء تظهر على الجبين ، انظر لسان العرب ٤٤٥/١ .

(٢) البداية والنهاية ٣٦/٨ ، وانظر الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٦٨/١ - ٣٧٧ ، صفة الصفوة ٧٥٨/١ - ٧٦١ ، حلية الأولياء ٣٥/٢ ، الإصابة ٣٢٧/١ - ٣٣٠ ، سير أعلام النبلاء ٢٤٥/٣ .

(٣) صفة الصفوة ٧٦٢/١ ، الإصابة ٣٣٠/١ ، فتح الباري ٩٥/٧ .

(٤) صحيح البخاري ٣٠٥/٢ .

ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول : « **ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين** »[1] .

هذا الحديث فيه منقبة للحسن رضي الله عنه فقد أخبر النبي ﷺ بأنه سيد . قال ابن الأثير : « قيل أراد به الحليم لأنه قال في تمامه : « **وإن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** »[2] .

وجاء في تحفة الأحوذي : « فيه أن السيادة لا تختص بالأفضل بل هو الرئيس على القوم والجمع سادة وهو مشتق من السؤدد وقيل من السواد لكونه يرأس على السواد العظيم من الناس : أي الأشخاص الكثيرة ولعل الله أن يصلح به بين فئتين تثنية فئة وهي الفرقة »[3] .

ووصفه عليه الصلاة والسلام للفئتين بالعظيمتين كما في رواية عند البخاري[4] « لأن المسلمين كانوا يومئذ فرقتين فرقة مع الحسن رضي الله عنه وفرقة مع معاوية وهذه معجزة عظيمة من النبي ﷺ حيث أخبر بهذا فوقع مثل ما أخبر ، وأصل القضية أن عليّ بن أبي طالب لما ضربه عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي يوم الجمعة وليلة السبت وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين من الهجرة وبويع لابنه الحسن بالخلافة في شهر رمضان من هذه السنة وأقام الحسن أياماً مفكراً في أمره ثم رأى اختلاف الناس فرقة من جهته وفرقة من جهة معاوية ولا يستقيم الأمر ، ورأى النظر في إصلاح المسلمين وحقن دمائهم أولى من النظر في حقه سلم الخلافة لمعاوية في الخامس من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ، وقيل من ربيع الآخر وقيل في غرة جمادي الأولى وكانت خلافته ستة أشهر إلا أياماً وسمى هذا العام عام الجماعة وهذا الذي أخبر به النبي

---

(١) صحيح البخاري ٣٠٦/٢ .

(٢) النهاية في غريب الحديث ٤١٧/٣ .

(٣) تحفة الأحوذي ٢٧٧/١٠ .

(٤) صحيح البخاري ١١٤/٢ .

ﷺ « **لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين** »[1] .

« فالحديث فيه علم من أعلام النبوة ، ومنقبة للحسن بن علي فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة »[2] .

٣ - وروى الشيخان في صحيحيهما عن البراء بن عازب قال : رأيت الحسن بن عليّ على عاتق النبي ﷺ وهو يقول : « **اللهم إني أحبه فأحبه** »[3] .

٤ - وروى البخاري بإسناده إلى أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول : « **اللهم إني أحبهما فأحبهما** »[4] .

٥ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أبي هريرة قال : خرجت مع رسول الله ﷺ في طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه حتى جاء سوق بني قينقاع ثم انصرف حتى أتى خباء فاطمة فقال : « **أثم لكع أثم لكع** » يعني « حسناً » فظننا أنه إنما تحبسه أمه لأن تغسله وتلبسه سخاباً[5] « فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه »[6] .

هذه الثلاثة الأحاديث فيها بيان لفضل الحسن بن عليّ كما تضمنت الحث على حبه رضي الله عنه وأرضاه .

٦ - وروى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لم

---

(١) عمدة القاري ٢٨٢/١٣ ، وانظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ١٥٨/٥ ، الكامل ٤٠٤/٣ سير أعلام النبلاء ١٤٤/٣ - ١٤٥ ، معالم السنن ٣١١/٤ .

(٢) فتح الباري ٦٦/١٣ .

(٣) صحيح البخاري ٣٠٦/٢ ، صحيح مسلم ١٨٨٣/٤ .

(٤) صحيح البخاري ٣٠٦/٢ .

(٥) سخاباً : جمعه سخب وهو قلادة من القرنفل والمسك والعود ونحوها من أخلاط الطيب يعمل على هيئة السبحة ويجعل قلادة للصبيان ، النهاية في غريب الحديث ٣٤٩/٢ .

(٦) صحيح مسلم ١٨٨٢/٤ - ١٨٨٣ .

يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن عليّ[1] .

٧ - وروى أيضاً بإسناده إلى عقبة بن الحارث قال : رأيت أبا بكر رضي الله عنه وحمل الحسن وهو يقول : بأبي شبيه بالنبي . ليس شبيهاً بعلي وعليٌّ يضحك[2] .

فكونه رضي الله عنه شبه جده عليه الصلاة والسلام في الخلق منقبة عظيمة له وفضيلة ظاهرة .

٨ - وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه لقي الحسن بن علي فقال رأيت رسول الله ﷺ قبل بطنك فاكشف الموضع الذي قبل رسول الله ﷺ حتى أقبله قال : وكشف له الحسن فقبله »[3] .

فتقبيل المصطفى عليه الصلاة والسلام لأبي محمد الحسن بن علي رضي الله عنهما منقبة عظيمة ، وفضيلة ظاهرة ، ولذلك حرص أبو هريرة على أن يقبله في الموضع الذي قبله فيه النبي ﷺ لإظهار هذه المنقبة العظيمة .

٩ - وروى أيضاً بإسناده إلى أبي سعيد المقبري قال : كنا مع أبي هريرة فجاء الحسن بن عليّ بن أبي طالب علينا فسلم فرددنا عليه السلام ولم يعلم به أبو هريرة فقلنا له يا أبا هريرة هذا الحسن بن عليّ قد سلم علينا فلحقه وقال : وعليك السلام يا سيدي ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنه سيد** »[4] .

فإخبار النبي ﷺ بأن الحسن سيد مفخرة عظيمة وميزة شريفة له رضي الله عنه وأرضاه .

١٠ - وروى أيضاً : بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال لا أزال أحب هذا الرجل بعد ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع ما يصنع رأيت الحسن في

---

(١) و (٢) صحيح البخاري ٣٠٦/٢ .

(٣) المستدرك ١٦٨/٣ ، ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(٤) المصدر السابق ١٦٩/٣ ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

حجر النبي ﷺ وهو يدخل أصابعه في لحية النبي ﷺ والنبي ﷺ يدخل لسانه في فمه ثم قال : « **اللهم إني أحبه فأحبه** »[1] .

١١ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى معاوية رضي الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ يمص لسانه أو قال شفتيه - يعني الحسن بن علي - وإنه لن يعذب لسان أو شفتان يمصهما رسول الله ﷺ »[2] .

فإدخاله عليه الصلاة والسلام لسانه في فم الحسن رضي الله عنه ومص لسانه وإخباره بأنه يحبه ودعا الله تعالى أن يحبه منقبة عظيمة تدل على علو شأنه وبيان مكانته عند النبي ﷺ وقد كان الحسن رضي الله عنه مكرماً معززاً عند الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين الذين ولوا أمر الأمة بعد النبي ﷺ .

قال الحافظ ابن كثير : « وقد كان الصديق يجله ويعظمه ويكرمه ويحبه ويتفداه ، وكذلك عمر بن الخطاب ، فروى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه أن عمر لما عمل الديوان فرض للحسن والحسين مع أهل بدر في خمسة آلاف ، وكذلك كان عثمان بن عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما وقد كان الحسن بن علّي يوم الدار وعثمان بن عفان محصور عنده ومعه السيف متقلداً به يحاجف عن عثمان ، فخشي عثمان عليه فأقسم عليه ليرجعن إلى منزلهم تطييباً لقلب علّي ، وخوفاً عليه رضي الله عنهم وكان علّي يكرم الحسن إكراماً زائداً ويعظمه ويبجله وقد قال له يوماً : يا بني ألا تخطب حتى أسمعك ؟ فقال : إني أستحي أن أخطب وأنا أراك فذهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن ، ثم قام الحسن في الناس خطيباً وعلي يسمع فأدى خطبة بليغة فصيحة فلما انصرف جعل علي يقول : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ

---

(١) المستدرك ١٦٩/٣ ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) المسند مع الفتح الرباني ١٦٧/٢٣ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٧/٩ وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] .

وقد كان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا ، ويرى هذا من النعم عليه ، وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما رضي الله عنهما وأرضاهما .

وكان ابن الزبير يقول : والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن عليّ .

وقال غيره : كان الحسن إذا صلى الغداة في مسجد رسول الله يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس ، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده ، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن وربما أتحفنه ، ثم ينصرف إلى منزله »[2] تلك طائفة من مناقب الحسن بن عليّ التي انفرد بها رضي الله عنه وكلها تدل على أنه جليل القدر رفيع المنزلة رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

(١) سورة آل عمران آية / ٣٤ .

(٢) البداية والنهاية ٨/٤٠ .

* ٣) الحسين بن عليٍّ رضي الله عنه :

هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي السبط الشهيد بكربلاء ، ابن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء وريحانته من الدنيا ، عاصر النبي ﷺ وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راض ، ولكنه كان صغيراً ، ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه ، وكذلك عمر وعثمان وصحب أباه وروى عنه ، وكان معظماً موقراً ولم يزل في طاعة أبيه حتى قتل ، ولد بعد أخيه الحسن ، وكان مولده سنة أربع للهجرة ، ومات رضي الله عنه قتلا في يوم عاشوراء من شهر الله المحرم سنة إحدى وستين هجرية[١] بكربلاء من أرض العراق وذلك لما مات معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه واستخلف من بعده ابنه يزيد قام أهل الكوفة بمكاتبة الحسين بن عليّ رضي الله عنه وذكروا له أنهم في طاعته فخرج إليهم الحسين فسبقه عبيد الله بن زياد إلى الكوفة فخذل غالب الناس عنه فتأخروا رغبة ورهبة ، وقتل ابن عمه مسلم بن عقيل ، وكان الحسين قد قدمه قبله ليبايع له الناس فجهز إليه ابن زياد عسكراً فقاتلوه رضي الله عنه إلى أن قتل هو وجماعة من أهل بيته[٢] .

وقد وردت أحاديث كثيرة في بيان مناقبه التي اختص بها وتفرد بها ومنها :

١ – ما رواه البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين عليه السلام فجعل في طست فجعل ينكت وقال في حسنه شيئاً فقال أنس : كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوباً بالوسمة [٣] .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٦٢/٨ – ١٦٣ وانظر الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٧٧/١ – ٣٨٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٨٠/٣ – ٣٢١ ، الإصابة لابن حجر ٣٣١/١ – ٣٣٤ ، أسد الغابة ١٨/٢ – ٢٢ .

(٢) فتح الباري ٩٥/٧ ، تحفة الأحوذي ٢٧٢/١٠ .

(٣) صحيح البخاري ٣٠٦/٢ .

٢ - وفي رواية أخرى عن أنس قال لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه يقول : لقد كان أحسبه قال جميلا فقلت : والله لأسوءنك إني رأيت رسول الله ﷺ يلثم[١] حيث يقع قضيبك قال فانقبض[٢].

٣ - وروى الطبراني كما في البداية والنهاية لابن كثير عن زيد بن أرقم أنه قال لابن زياد وهو ينكت بقضيبه بين ثنيتي الحسين « ارفع هذا القضيب عن هاتين الثنيتين ، فوالله الذي لا إلـه إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الثنيتين يقبلهما »[٣].

هذه الثلاثة الأحاديث فيها بيان فضل الحسين رضي الله عنه فقد كان رضي الله عنه أشبه أهل البيت برسول الله ﷺ وقد تقدم في حق الحسن « أنه لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي فيحصل التعارض ولكن الحافظ ابن حجر جمع بينهما فقال رحمه الله : « ويمكن الجمع بأن يكون أنس قال ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن لأنه يومئذ كان أشد شبهاً بالنبي ﷺ من أخيه الحسين وأمَّا ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك كما هو ظاهر من سياقه أو المراد عن فضل الحسين عليه في الشبه من عدا الحسن ويحتمل أن يكون كل منهما كان أشد شبهاً في بعض أعضائه .

فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هانيء بن هانيء عن عليٍّ قال : الحسن أشبه رسول الله ﷺ ما بين الرأس إلى الصدر والحسين أشبه النبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك[٤] ووقع في رواية عبد الأعلى عن معمر عند الإسماعيلي وفي رواية الزهري هذه وكان أشبههم وجهاً بالنبي ﷺ وهو يؤيد حديث عليٍّ هذا والله

---

(١) يلثم : أي يقبل .

(٢) مجمع الزوائد ١٩٥/٩ ثم قال : رواه البزار والطبراني بأسانيد ورجاله وثقوا .

(٣) البداية والنهاية ٢٠٦/٨ .

(٤) سنن الترمذي ٣٢٥/٥ .

أعلم »[1] .

٤ – وروى الحاكم بإسناده إلى يعلى العامري رضي الله عنه أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى طعام دعوا له قال : فاستقبل رسول الله ﷺ أمام القوم وحسين مع الغلمان يلعب فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصبي يفر هاهنا مرة وهاهنا مرة فجعل رسول الله يضاحكه حتى أخذه قال : فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه فوضع فاه على فيه يقبله فقال : « **حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط** »[2] .

جاء في تحفة الأحوذي : قال القاضي : « كأنه ﷺ علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر وبين أنهما كالشيء الواحد في وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة ، وأكد ذلك بقوله : « **أحب الله من أحب حسيناً** » فإن محبته محبة الرسول ومحبة الرسول محبة الله[3] .

فالحديث اشتمل على منقبة عالية للحسين رضي الله عنه وأرضاه .

٥ – وروى أيضاً : بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : ما رأيت الحسين بن علي إلا فاضت عيني دموعاً وذاك أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فوجدني في المسجد فأخذ بيدي واتكأ علي فانطلقت معه حتى جاء سوق بني قينقاع قال : وما كلمني فطاف ونظر ثم رجع ورجعت معه فجلس في المسجد واحتبى وقال لي : « **ادع لي لكاع** » فأتى حسين يشتد حتى وقع في حجره ثم أدخل يده في لحية رسول الله ﷺ ، فجعل رسول الله ﷺ يفتح فم الحسين فيدخل فاه في فيه ويقول : « **اللهم إني أحبه فأحبه** »[4] .

---

(١) فتح الباري ٩٧/٧ ، انظر البداية والنهاية ٢٠٦/٨ .

(٢) المستدرك ١٧٧/٣ ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) تحفة الأحوذي ٢٧٩/١٠ .

(٤) المستدرك ١٧٨/٣ ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

٦ - وروى أبو يعلى بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن عليّ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقوله[1] .

تلك طائفة من الأحاديث التي تضمنت ذكر فضل الحسين بن عليّ رضي الله عنه منفرداً وقد وردت أحاديث كثيرة تضمنت ذكر مناقب مشتركة بين الحسن والحسين رضي الله عنهما ومنها :

١ - ما رواه البخاري بإسناده إلى ابن عمر وقد سأله رجل من أهل العراق عن المحرم يقتل الذباب فقال رضي الله عنه : أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ . وقال النبي ﷺ : « **هما ريحانتاي من الدنيا** »[2] .

ففي هذا الحديث منقبة ظاهرة للحسن والحسين رضي الله عنهما حيث شبههما عليه الصلاة والسلام بالريحان الذي له رائحة طيبة زكية ، وشبههما النبي ﷺ بالريحان لأن الولد يشم ويقبل وقد جاء من حديث أنس عند الترمذي أنه عليه الصلاة والسلام كان يقول لفاطمة أمهما رضي الله عنها : « **ادعي لي ابني فيشمهما ويضمهما إليه** »[3] .

قال الكرماني : شارحاً لقوله عليه الصلاة والسلام : « **هما ريحانتاي من الدنيا** » الريحان الرزق أو المشموم وتعقبه العيني بقوله : « لا وجه هنا أن يكون بمعنى الرزق على ما لا يخفى »[4] والأمر كما قرره العيني .

---

(١) أورده الهيثمي في المجمع ١٨٧/٩ وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعد ، وقيل ابن سعيد وهو ثقة .

(٢) صحيح البخاري ٣٠٦/٢ .

(٣) سنن الترمذي ٣٢٧/٥ وقال عقبه : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٤) عمدة القاري ٢٤٣/١٦ .

٢ – وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه وهذا على عاتقه وهو يلثم[١] هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا فقال له رجل : يا رسول الله إنك تحبهما . فقال : « **نعم من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني** »[٢] .

٣ – وروى أيضاً بإسناده إلى علي بن أبي طالب قال : لما ولدت فاطمة الحسن جاء النبي ﷺ فقال : « **أروني ابني ما سميتموه** » قال : قلت : سميته حرباً قال : « **بل هو حسن** » فلما ولدت الحسين جاء رسول الله ﷺ فقال : « **أروني ابني ما سميتموه** » قال : قلت : سميته حرباً فقال : « **بل هو حسين** » ، ثم لما ولدت الثالث جاء رسول الله ﷺ قال : « **أروني ابني ما سميتموه** » قلت : سميته حرباً قال : « **بل هو محسن** »[٣] .

فتسمية المصطفى عليه الصلاة والسلام لهما بالحسنين منقبة وفضيلة لهما رضي الله عنهما .

٤ – وروى أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أبصر حسناً وحسيناً فقال : « **اللهم إني أحبهما فأحبهما** »[٤] .

هذا الحديث والحديثان المتقدمان عليه فيها بيان واضح من النبي ﷺ لفضل الحسن والحسين رضي الله عنهما كما تضمنت حث الأمة جميعاً على حبهما وبين عليه الصلاة والسلام أن حبهما حب له عليه الصلاة والسلام وبغضهما بغض له ﷺ ومن حل في قلبه بغض الرسول كان من الخاسرين .

٥ – وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال :

---

(١) يلثم : أي يقبل فاه .

(٢) المستدرك ١٦٦/٣ ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) المستدرك ١٦٥/٣ ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٤) سنن الترمذي ٣٢٧/٥ وقال عقبه : « هذا حديث حسن صحيح » .

قال رسول الله ﷺ : « **الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما** »[1] .

هذا الحديث اشتمل على منقبتين عظيمتين للحسنين رضي الله عنهما :

الأولى : شهادة النبي ﷺ لهما بالجنة .

الثانية : إخباره عليه الصلاة والسلام بأنهما سيدا شباب أهل الجنة .

وهذا يعني : « أنهما أفضل من مات شاباً في سبيل الله من أصحاب الجنة ولم يرد به سن الشباب لأنهما ماتا وقد كهلا بل ما يفعله الشباب من المروءة كما يقال فلان فتى وإن كان شيخاً يشير إلى قوته وفتوته أو أنهما سيدا أهل الجنة سوى الأنبياء والخلفاء الراشدين وذلك لأن أهل الجنة كلهم في سن واحد وهو الشباب وليس فيهم شيخ ولا كهل . قال الطيبي : ويمكن أن يراد هما الآن سيدا شباب من هم من أهل الجنة من شبان هذا الزمان »[2] .

٦ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى إياس عن أبيه قال : لقد قدت بنبي الله ﷺ والحسن والحسين بغلته الشهباء حتى أدخلتهم حجرة النبي ﷺ هذا قدامه وهذا خلفه »[3] .

هذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة للحسن والحسين رضي الله عنهما وهذه الفضيلة هي إركابه عليه الصلاة والسلام إياهما حيث جعل أحدهما أمامه والآخر خلفه على بغلته الشهباء .

٧ - وروى أيضاً بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود فجاء الحسن بن عليّ فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء عليّ فأدخله ثم قال :

---

(١) المستدرك ١٦٧/٣ ثم قال : هذا حديث صحيح بهذه الزيادة ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) انظر تحفة الأحوذي ٢٧٣/١٠ ، عارضة الأحوذي لابن العربي ١٩٢/١٣ .

(٣) صحيح مسلم ١٨٨٣/٤ .

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] .

وهذا الحديث اشتمل على ذكر فضيلة لعلي بن أبي طالب وابنيه الحسن والحسين وأمهما فاطمة رضي الله عنهم أجمعين وتلك المنقبة هي إدخاله إياهم عليه الصلاة والسلام في الكساء الذي كان يرتديه ، ثم أخبر أنهم من أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم منه تطهيراً .

قال النووي رحمه الله تعالى : قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ قيل : هو الشك . وقيل : العذاب . وقيل : الإثم قال الأزهري : الرجس اسم لكل مستقذر من عمل[2] .

٨ - وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء فكان يصلي فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره وإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعاً رفيقاً فإذا عاد عادا فلما صلى جعل واحداً هاهنا وواحداً هاهنا فجئته فقلت : يا رسول الله ألا أذهب بهما إلى أمهما قال : « **لا** » فبرقت برقة فقال : « **إلحقا بأمكما** » فما زالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا[3] .

وهذا الحديث فيه إظهار فضل الحسن والحسين وبيان منزلتهما وعظم شأنهما .

٩ - وروى أيضاً : بإسناده إلى عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر وهو حامل أحد ابنيه الحسن أو الحسين فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليمنى فسجد رسول الله ﷺ سجدة أطالها قال أبي فرفعت رأسي من بين الناس فإذا رسول الله

---

(١) صحيح مسلم ١٨٨٣/٤ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٥/١٥ .

(٣) المستدرك ١٦٧/٣ ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

ﷺ ساجد وإذا الغلام راكب على ظهره فعدت فسجدت فلما انصرف رسول الله ﷺ قال الناس : يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها أفشيء أمرت به أو كان يوحي إليك ؟ قال : « **كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته** »[1] .

١٠ - وروى الترمذي بإسناده إلى أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : طرقت النبي ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة فخرج النبي ﷺ وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو فلما فرغت من حاجتي قلت : ما هذا الذي أنت مشتمل عليه فكشفه فإذا حسن وحسين على وركيه فقال : « **هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما** »[2] .

ومن مناقبهما التي أكرمهما الله بها أنهما ماتا شهيدين وهذا من إكرام الله - تعالى - لهما تكميلا لكرامتهما ورفعا لدرجاتهما .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « ومن ذلك أن اليوم الذي هو يوم عاشوراء الذي أكرم الله فيه سبط نبيه وأحد سيدي شباب أهل الجنة بالشهادة على أيدي من قتله من الفجرة والأشقياء وكان ذلك مصيبة عظيمة من أعظم المصائب الواقعة في الإسلام ... ولا ريب أن ذلك إنما فعله الله كرامة للحسين رضي الله عنه ، رفعاً لدرجته ومنزلته عند الله وتبليغاً له منازل الشهداء وإلحاقاً له بأهل بيته الذين ابتلوا بأصناف البلاء ، ولم يكن الحسن والحسين حصل لهما من الابتلاء ما حصل لجدهما ولأمهما وعمهما لأنهما ولدا في عز الإسلام وتربيا في حجور المؤمنين فأتم الله نعمته عليهما بالشهادة أحدهما مسموماً[3]

(١) المستدرك ٣/١٦٥ - ١٦٦ ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(٢) سنن الترمذي في شرحه تحفة الأحوذي ١٠/٢٧٣ - ٢٧٤ وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٣) انظر الكامل لابن الأثير ٣/٤٦٠ ، البداية والنهاية ٨/٤٦ ، فتح الباري ٧/٩٥ .

والآخر مقتولاً[1] لأن الله عنده من المنازل العالية في دار كرامته ما لا ينالها إلا أهل البلاء » اهـ[2] . فأهل السنة يعتقدون أن الحسين رضي الله عنه قتل مظلوماً وقتله كذلك فيه تكريم له ورفع لدرجته عند الله - عز وجل - كما يعتقدون أن قتله من أعظم المصائب التي وقعت في الإسلام وهم يلتزمون عند المصائب ما شرعه الله لهم من الاسترجاع وإن تقادم عهد المصيبة أمّا أعداء الصحابة والزاعمون أنهم شيعة أهل البيت فإنهم يعملون بخلاف ما أمرهم الله به فلا يسترجعون عند المصيبة وإنما يعملون المآتم في المصائب ويتخذون أوقاتها مآتم باستمرار وهذا ليس من دين الإسلام وهو « أمر لم يفعله رسول الله ﷺ ولا أحد من السابقين الأولين ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من عادة أهل البيت ولا غيرهم وقد شهد مقتل علي أهل بيته ، وشهد مقتل الحسين من شهده من أهل بيته وقد مرت على ذلك سنون ، وهم متمسكون بسنة رسول الله ﷺ لا يحدثون مأتماً ولا نياحة ، بل يصبرون ويسترجعون كما أمر الله ورسوله أو يفعلون ما لا بأس به من الحزن والبكاء عند قرب المصيبة »[3] .

وهذا ما عليه الفرقة الناجية التي تعمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والتي قلوبهم ممتلئة بحب أصحاب نبيه وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين وكل ما تقدم ذكره من مناقب للحسن والحسين على سبيل الانفراد أو على سبيل الاشتراك بينهما كلها دلت على أنهما جليلا القدر عظيما المكانة فعلى المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أنهما من أهل الفضل ومن صفوة الأمة المحمدية رضي الله عنهما وأرضاهما .

* * *

---

(١) انظر تاريخ الإمم والملوك للطبري ٥/٤٠٠ - ٤٦٧ ، الكامل لابن الأثير ٤/٤٦ - ٩٣ البداية والنهاية ٨/١٨٦ - ٢٢٠ .

(٢) حقوق آل البيت ص ٤٤ - ٤٥ ، مجموع الفتاوى ٤/٥١١ .

(٣) حقوق آل البيت ص ٤٦ .

* ٤) حمزة بن عبد المطلب :

هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب الإمام البطل الضرغام أبو عمارة وأبو يعلى القرشي الهاشمي المكي ثم المدني البدري الشهيد عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب وهو أسد الله ، وأسد رسوله ، ولد قبل النبي ﷺ بسنتين ، وقيل بأربع كان من فرسان قريش وسادتها وصناديدها المعدودين أسلم في السنة الثانية من البعثة وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأبلى فيها بلاء حسناً واستشهد في معركة أحد في النصف من شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وسماه المصطفى عليه الصلاة والسلام سيد الشهداء وحزن عليه حزناً شديداً فرضي الله عنه وأرضاه »[1] .

وقد وردت أحاديث كثيرة فيها ذكر مناقبه التي دلت على عظيم شأنه ، وجليل قدره ، وعلى أنه ذو مكانة عالية في الدنيا والآخرة ومن تلك الأحاديث :

١ - ما رواه محمد بن سعد في كتابه الطبقات[2] بإسناده إلى يزيد بن رومان قال : أول لواء عقده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة لحمزة بن عبد المطلب بعثه سرية في ثلاثين راكباً حتى بلغوا قريباً من سيف البحر يعترض لعير قريش وهي منحدرة إلى مكة قد جاءت من الشام وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة راكب فانصرف ولم يكن بينهم قتال .

ففي هذا منقبة عظيمة تشرف بها حمزة رضي الله عنه وهي أن أول لواء عقده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة كان لعمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وأرضاه .

---

(١) الطبقات لابن سعد ٣/٨ - ١٩ ، الجرح والتعديل ٣/٢١٢ ، صفة الصفوة ١/٣٧٠ - ٣٧٧ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ١/٢٧٠ - ٢٧٦ ، أسد الغابة ٢/٤٦ - ٥٠ ، تهذيب الأسماء واللغات ١/١٦٨ - ١٦٩ ، سير أعلام النبلاء ١/١٧١ - ١٨٤ ، الإصابة ١/٣٥٣ .

(٢) ٣/٩ ، المستدرك ٣/١٨٧ .

وقد كان الرسول ﷺ يجله ويكرمه ويقدره ويظهر له أنه ذو مكانة عنده .

٢ - فقد روى الحاكم بإسناده إلى علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال : جاء علي وحمزة إلى النبي ﷺ وقد اغتسلا فقال النبي ﷺ : « **كيف صنعتما ؟** » قال أحدهما : يا رسول الله سترته بالثوب وقال الآخر : فجعلت مثل ذلك فقال رسول الله ﷺ : « **لو فعلتما غير ذلك لسترتكما** »[١] .

ففي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لحمزة وعلي رضي الله عنهما وأرضاهما .

٣ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى قيس بن عباد قال : سمعت أبا ذر يقسم قسماً أن : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾[٢] إنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر : حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد ابن عتبة »[٣] .

٤ - وروى الحاكم بإسناده إلى عليٍّ رضي الله عنه قال : نزلت ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ في الذين بارزوا يوم بدر حمزة بن عبد المطلب وعليّ وعبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة قال عليّ : وأنا أول من يجثو للخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة »[٤] .

فهذان الحديثان تضمنا ذكر فضيلة ظاهرة لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه إذ المراد بالذين اختصموا في الله - سبحانه - هم حزب الله ، وحزب الشيطان ، فحزب الله كان في مقدمتهم حمزة بن عبد المطلب ، وأمَّا حزب الشيطان فهم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة ، وابنه الوليد فنصر الله حزبه ، وخذل حزب الشيطان ، فحمزة رضي الله عنه كان في مقدمة الذين برزوا يوم بدر

---

(١) المستدرك ١٩٣/٣ ثم قال عقبه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) سورة الحج آية / ١٩ .

(٣) صحيح مسلم ٢٣٢٣/٤ .

(٤) المستدرك ٣٨٦/٣ - ٣٨٧ ثم قال : لقد صح الحديث بهذه الروايات عن عليّ كما صح عن أبي ذر الغفاري وإن لم يخرجاه ووافقه الذهبي .

لضرب المشركين بغية إعلاء كلمة الله ونصر الدين الحنيف .

٥ – وروى الحاكم أيضاً : بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : فقد رسول الله ﷺ يوم أحد حمزة حين فاء الناس من القتال قال : فقال رجل : رأيته عند تلك الشجرة وهو يقول : أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء لأبي سفيان وأصحابه وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء من انهزامهم فسار رسول الله ﷺ نحوه فلما رأى جبهته بكى ولما رأى ما مثل به شهق ثم قال : « **ألا كفن** » فقام رجل من الأنصار فرمى بثوب قال جابر : فقال رسول الله ﷺ : « **سيد الشهداء عند الله يوم القيامة حمزة** »[1] .

٦ – وروى أيضاً : بإسناده إلى سعد بن أبي وقاص قال : كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ ويقول : أنا أسد الله[2] .

وهذان الحديثان فيهما بيان منقبتين عظيمتين لحمزة رضي الله عنه وتلك المنقبتان هما :

* **الأولى** : قوة عزيمته وشجاعته الصارمة في مواطن القتال ضد أولياء الشيطان من المشركين والكافرين حتى أنه أطلق عليه أنه أسد الله وأسد رسوله .

* **الثانية** : التي تفرد بها وامتاز بها عن غيره إخبار المصطفى عليه الصلاة والسلام بأنه سيد الشهداء عند الله تعالى يوم القيامة .

٧ – ومن مناقبه الشريفة رضي الله عنه أنه جاهد في سبيل الله حق الجهاد حتى أنه في يوم أحد مثل به المشركون مثلة لم تكن لأحد سواه وذلك من شدة غيظ المشركين وحقدهم عليه إذ أنه واجههم في يوم بدر ويوم أحد مواجهة الشجاع المقدام فكانوا لا يطيقون الوقوف أمامه في ساعة القتال فإنه ما وقف

---

(١) المستدرك ١٩٩/٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) المستدرك ١٩٤/٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

أمامه فارس إلا كان كأمس الذاهب ولما استشهد في أحد على يد وحشي لم يكن عن مواجهة وإنما كمن له تحت صخرة فرماه بحربته[1] ولما سقط على الأرض شهيداً فعل به المشركون ما فعلوا من التجديع والتمثيل ، فقد روى الحاكم بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بحمزة يوم أحد وقد جدع ومثل به وقال : « **لولا أن صفية تجد لتركته حتى يحشره الله من بطون الطير والسباع** » فكفنه في نمرة[2].

فهذا التجديع والمثلة التي حصلت لحمزة رضي الله عنه كانت في ذات الله - عز وجل - ولذلك أكرمه الله بأن كان سيد الشهداء .

٨ - وروى الحاكم بإسناده أيضاً : إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[3] .

وهذا الحديث فيه بيان ما أكرم الله به حمزة وإخوانه الذين استشهدوا معه في موقعة أحد حيث جعلهم الله أحياء يرزقون عنده في الجنة ففي هذا منقبة عظيمة لشهداء أحد الذين في مقدمتهم سيد الشهداء حمزة رضي الله عن الجميع وأرضاهم وجعل الجنة مثواهم .

تلك طائفة من الأحاديث التي جاء التنويه فيها بفضل حمزة عم النبي ﷺ ، فلقد دلت على أنه عظيم القدر عالي المكانة في الدنيا والآخرة رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

(١) انظر صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣٦٧/٧ .

(٢) المستدرك ١٩٦/٣ ثم قال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(٣) المصدر السابق ٣٨٧/٢ ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي ، وانظر المصنف لابن أبي شيبة ١٠٧/١٢ ، فضائل الصحابة للنسائي ص ٩٢ ، الدر المنثور للسيوطي ٣٧١/٢ .

* ٥) العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه :

هو أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي عم رسول الله ﷺ أمه نتيلة بنت جناب بن كلب – ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين ، وهو من سادة قريش في الجاهلية والإسلام ، وجد الخلفاء العباسيين ، وكانت إليه في الجاهلية السقاية وعمارة المسجد الحرام ، حضر مع النبي ﷺ بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم وشهد بدراً مع الكفار مكرهاً فأسر ، ثم افتدى نفسه وافتدى ابن أخيه عقيل بن أبي طالب ورجع إلى مكة ، وأسلم وكتم إسلامه وكان يكتب لرسول الله ﷺ بأخبار قريش ، وهاجر إلى المدينة قبل الفتح بقليل وشهد فتح مكة ، وثبت يوم حنين ، وكان عظيم المكانة عند النبي ﷺ يعترف له بسداد الرأي ، وكان الفاروق رضي الله عنه يستسقي به إذا قحطوا ، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين للهجرة ودفن بالبقيع رضي الله عنه وأرضاه »[(١)] .

وقد وردت في بيان مناقبه أحاديث كثيرة كلها دلت على أنه عظيم المقام جليل القدر ومن تلك الأحاديث :

١ – ما رواه أبو القاسم الطبراني بإسناده إلى أبي رافع رضي الله عنه أنه بشر النبي ﷺ بإسلام العباس فأعتقه رسول الله ﷺ[(٢)] .

فلقد فرح النبي ﷺ بإسلامه وأعتق أبا رافع لما بشره بإسلامه ففيه منقبة ظاهرة للعباس .

وروى الترمذي وغيره عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « **إن العباس**

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/٥ – ٣٣ ، الجرح والتعديل ٢١٠/٦ ، المستدرك ٣٢١/٣ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٩٤/٣ – ١٠١ ، صفة الصفوة ٥٠٦/١ – ٥١٠ ، مجمع الزوائد ٢٦٨/٩ تهذيب التهذيب ٢١٤/٥ – ٢١٥ ، الإصابة ٢٦٣/٢ ، أسد الغابة ١٠٩/٣ – ١١٢ .

(٢) أورده الهيثمي في المجمع ٢٦٨/٩ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

مني وأنا منه »[1] .

جاء في تحفة الأحوذي : قوله : « **العباس مني وأنا منه** » قال في المرقاة : « أي من أقاربي ، أو من أهل بيتي أو متصل بي » اهـ[2].

٣ – ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان سباقاً لأداء ما أوجب الله عليه من الفرائض فقد طلب من النبي ﷺ أن يرخص له بأداء زكاته قبل أن يحل وقتها . فقد روى الحاكم بإسناده إلى علي رضي الله عنه أن العباس بن عبد المطلب سأل رسول الله ﷺ عن تعجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له في ذلك »[3] .

٤ – وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ عمر على الصدقة فقيل : منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «**ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله وأمّا خالد فإنكم تظلمون خالداً وقد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله وأمّا العباس فهي علي ومثلها معها** » ثم قال : « **يا عمر أمَا شعرت أن عم الرجل صنو أبيه** »[4] .

٥ – وروى الإمام أحمد وغيره إلى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب « أن العباس بن عبد المطلب دخل على رسول الله ﷺ مغضباً وأنا عنده فقال : « **ما أغضبك ؟** » قال : يا رسول الله ما لنا ولقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة ؟ وإذا لقونا بغير ذلك قال : فغضب رسول الله ﷺ حتى احمر وجهه ثم قال : «**والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله**»

---

(١) سنن الترمذي ٣١٧/٥ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، المستدرك ٣٢٥/٣ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٢٤/٤ .

(٢) تحفة الأحوذي ٢٦٥/١٠ .

(٣) المستدرك ٣٣٢/٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٤) صحيح مسلم ٦٧٦/٤ – ٦٧٧ .

ثم قال : « **يا أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني فإنما عم الرجل صنو أبيه** »[1] .

هذه الأحاديث الثلاثة بين النبي ﷺ للأمة فيها فضل العباس بن عبد المطلب ومكانته منه عليه الصلاة والسلام .

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى : « الصنو : المثل ، وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد وهو مثل أبي أو مثلي وجمعه صنوان »[2] .

وعلى هذا فمعنى قوله ﷺ : « **وأن عم الرجل صنو أبيه** » أي : مثله يعني أصلهما واحد فتعظيمه كتعظيمه وإيذاؤه كإيذائه » .

٦ - ومن مناقبه العظيمة التي اختص بها وشرف بها رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يجله إجلال الولد والده ويبالغ في إكرامه . فقد روى الحاكم بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يجل العباس إجلال الولد والده خاصة خص الله العباس بها من بين الناس »[3] .

٧ - وروى الحاكم أيضاً : بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان العباس بالمدينة فطلبت الأنصار ثوباً يلبسونه فلم يجدوا قميصاً يصلح عليه إلا قميص عبد الله بن أبي فكسوه إياه قال جابر : وكان العباس أسير رسول الله ﷺ يوم بدر وإنما أخرج كرهاً فحمل إلى المدينة فكساه عبد الله بن أبي قميصه فلذلك كفنه رسول الله ﷺ في قميصه مكافأة لما فعل بالعباس[4] .

---

(١) المسند ١٦٥/٤ والترمذي في سننه ٣١٧/٥ - ٣١٨ وقال هذا حديث حسن صحيح ، والحاكم في المستدرك ٣٣٣/٣ .

(٢) النهاية في غريب الحديث ٥٧/٣ .

(٣) المستدرك ٣٢٤/٣ - ٣٢٥ ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٤) المستدرك ٣٣٠/٣ - ٣٣١ ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

وهذا الحديث فيه بيان فضيلة ظاهرة للعباس رضي الله عنه بإكرام النبي ﷺ له حيث أعطى ثوبه عليه الصلاة والسلام كفناً لعبد الله بن أبي مكافأة له على إعطائه قميصاً للعباس حين كان أسير رسول الله ﷺ يوم بدر .

٨ – وروى أيضاً : بإسناده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن العلاء بن الحضرمي بعث إلى رسول الله ﷺ من البحرين بثمانين ألفاً فما أتى رسول الله ﷺ مال أكثر منه لا قبلها ولا بعدها فأمر بها ونثرت على حصير ونودي بالصلاة فجاء رسول الله ﷺ يميل على المال قائماً فجاء الناس وجعل يعطيهم وما كان يومئذ عدد ولا وزن وما كان إلا قبضاً فجاء العباس فقال يا رسول الله إني أعطيت فدائي وفداء عقيل يوم بدر ولم يكن لعقيل مال أعطني من هذا المال فقال رسول الله ﷺ: « **خذ** » فحثى في خميصة كانت عليه ثم ذهب ينصرف فلم يستطع فرفع رأسه إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ارفع علي فتبسم رسول الله ﷺ وهو يقول : **أمّا أحد ما وعد الله فقد أنجز لي ولا أدري الأخـرى** » ﴿ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ﴾ **هذا خير مما أخذ مني ولا أدري ما يصنع بالمغفرة**[1].

في هذا الحديث فضيلة ظاهرة للعباس رضي الله عنه وهي أنه عليه الصلاة والسلام كان يحبه حباً شديداً فقد أعطى المصطفى عليه الصلاة والسلام الصحابة من مال البحرين بيده ولما جاء العباس أمره النبي ﷺ أن يأخذ لنفسه بيده .

٩ – ومن مناقبه العظيمة التي رفعت من شأنه وعلت من مكانته ثبوته الصادق حين حمي الوطيس وفر الناس يوم حنين . فقد روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى العباس رضي الله عنه قال : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه

---

(١) المستدرك ٣٢٩/٣ – ٣٣٠ ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة ألا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « **أي عباس ناد أصحاب السمرة** » فقال عباس : « وكان رجلًا صيتاً » فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال : فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا : يالبيك يالبيك قال : فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون : يامعشر الأنصار قال : ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا : يا بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله ﷺ : « **هذا حين حمي الوطيس** » قال : ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن في وجوه الكفار ثم قال : « **انهزموا ورب محمد** » قال : فذهبت انظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى قال : فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبراً »[١] .

هذا الحديث اشتمل على بيان منقبة عظيمة لأبي الفضل رضي الله عنه حيث إنه وقف موقف الشجاع المقدام لحرب المشركين من أجل إعلاء كلمة الحق ونصرة دين الإسلام فلقد ثبت في وقعة حنين من أول المعركة إلى آخرها مع المصطفى ﷺ ولذلك فصل المعركة وما دار فيها تفصيلا كاملا رضي الله عنه وأرضاه .

١٠ – لقد بين الفاروق رضي الله عنه للأمة عامة فضل العباس بن عبد المطلب ومكانته من سيد الخلق ووضح ذلك وضوحاً كاملا . فقد روى البخاري إلى أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ١١٣/١٢ – ١١٧ .

بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال : فيسقون »[1] .

ففي هذا الأثر عن الفاروق رضي الله عنه بيان لفضل العباس بن عبد المطلب ، كما تضمن أيضاً فضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه .

والمراد بتوسل عمر رضي الله عنه بالعباس بدعائه لا بذاته إذ التوسل بدعاء أهل الصلاح والفضل نوع من أنواع التوسل المشروع .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « وقد بين الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال : اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث فأرخت السماء مثل الحبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس »[2] .

تلك طائفة من الأحاديث التي تضمنت مناقب عالية للعباس رضي الله عنه وكلها دلت على أنه عظيم المقام جليل القدر رفيع المنزلة رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٤٩٤/٢ .
(٢) فتح الباري ٤٩٧/٢ .

* ٦) عبد الله بن عباس رضي الله عنه :

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ حبر هذه الأمة ، ومفسر كتاب الله وترجمانه ، كان يقال له : الحبر والبحر ، وروى عن الرسول ﷺ شيئاً كثيراً ، وعن جماعة من الصحابة وأخذ عنه خلق من الصحابة وأمم من التابعين ، وله مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله ونبل أصله رضي الله عنه وأرضاه ، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين وهو والد الخلفاء العباسيين هاجر مع أبيه قبل الفتح فاتفق لقياهما النبي ﷺ بالجحفة وهو ذاهب لفتح مكة فشهد الفتح وحنينا والطائف عام ثمان ، وقيل كان في سنة تسع وصحب النبي ﷺ حينئذ ولزمه وأخذ عنه وحفظ وضبط الأقوال والأفعال والأحوال وأخذ عن الصحابة علماً عظيماً ومع الفهم الثاقب والبلاغة والفصاحة ، والجمال والملاحة والأصالة والبيان ، وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ثمان وستين بالطائف رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه [(١)] .

وقد وردت في بيان فضله أحاديث كثيرة صحيحة عن رسول الرحمٰن ﷺ ومن تلك الأحاديث :

١ - ما رواه البخاري بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعت له وضوءاً قال : « **من صنع هذا ؟** » فأخبر فقال : « **اللهم فقهه في الدين** »[(١)] .

---

(١) البداية والنهاية ٣١٧/٨ - ٣١٨ ، وانظر أنساب الأشراف ٢٧/٣ ، كتاب المعرفة والتاريخ ٢٤١/١ ، الجرح والتعديل ١١٦/٥ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٤٢/٢ ، أسد الغابة ١٩٢/٣ ، حلية الأولياء ٣١٤/١ - ٣٢٨ ، صفة الصفوة ٧٤٦/١ - ٧٥٨ ، تهذيب التهذيب ٢٧٦/٥ ، الإصابة ٣٢٢/٢ - ٣٢٦ .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٢٤٤/١ .

هذه الدعوة النبوية فيها منقبة ظاهرة لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهي دعاؤه عليه الصلاة والسلام له بالفقه في الدين .

قال ابن المنير : مناسبة الدعاء لابن عباس بالتفقه على وضعه الماء من جهة أنه تردد بين ثلاثة أمور : إمَّا أن يدخل إليه بالماء إلى الخلاء ، أو يضعه على الباب ليتناوله من قرب ، أو لا يفعل شيئاً . فرأى الثاني أوفق لأن في الأول تعرضاً للاطلاع والثالث يستدعي مشقة في طلب الماء والثاني أسهلها ففعله يدل على ذكائه فناسب أن يدعي له بالتفقه في الدين ليحصل به النفع وكذا كان [1] .

٢ – وروى أيضاً : بإسناده إلى ابن عباس قال : ضمني رسول الله ﷺ وقال : « **اللهم علمه الكتاب** »[2] .

وفي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لابن عباس رضي الله عنه وهي ضم النبي ﷺ إياه ودعوته له أن يعلمه الله الكتاب .

« والمراد بالكتاب القرآن لأن العرف الشرعي عليه والمراد بالتعليم ما هو أعم من حفظه والتفهم فيه »[3] .

٣ – وروى مسلم بإسناده إلى ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتي الخلاء فوضعت له وضوء فلما خرج قال : « **من وضع هذا** » في رواية زهير قالوا وفي رواية أبي بكر قلت : ابن عباس قال : « **اللهم فقهه** »[4] .

قال النووي : « قوله ﷺ « **اللهم فقهه** » فيه فضيلة الفقه واستحباب الدعاء بظهر الغيب واستحباب الدعاء لمن عمل عملاً خيراً مع الإنسان وفيه إجابة دعاء النبي ﷺ له فكان من الفقه بالمحل الأعلى » اهـ[5] .

---

(١) فتح الباري ٢٤٤/١ – ٢٤٥ .

(٢) صحيح البخاري ٢٥/١ ، ورواه أحمد في المسند انظر « الفتح الرباني » ٢٩٢/٢٢ .

(٣) فتح الباري ١٧٠/١ .

(٤) صحيح مسلم ١٩٢٧/٤ .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٣٧/١٦ .

٤ – وروى الإمام أحمد بإسناده إلى ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان في بيت ميمونة فوضعت له وضوءاً من الليل قال : فقالت ميمونة : يا رسول الله وضع لك هذا عبد الله بن عباس فقال : « **اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل** »[1] .

٥ – وروى أيضاً : بإسناده إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ وضع يده على كتفي أو على منكبي شك سعيد ثم قال : « **اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل** »[2] .

٦ – وروى محمد بن سعد بإسناده إلى ابن عباس قال : دعاني رسول الله ﷺ ، فمسح على ناصيتي وقال : « **اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب** »[3] .

٧ – وفي مسند الإمام أحمد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل** »[4] .

٨ – وبلفظ آخر عن عكرمة عن ابن عباس قال : مسح النبي ﷺ رأسي ودعا لي بالحكمة[5] .

٩ – وروى الإمام الترمذي بإسناده إلى ابن عباس قال : « دعا لي

---

(١) المسند مع الفتح الرباني ٢٢/٢٩٢ .

(٢) المصدر السابق وقد أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٩/٢٧٦ وقال : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح » اهـ . ورواه الحاكم في المستدرك ٣/٥٣٤ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) الطبقات ٢/٣٦٥ .

(٤) المسند مع الفتح الرباني ٢٢/٢٩٢ .

(٥) المصدر السابق وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٨/٣٢٠ فقد قال رحمه الله « تفرد به أحمد وقد روى هذا الحديث غير واحد عن عكرمة بنحو هذا ومنهم من أرسله عن عكرمة والمتصل هو الصحيح فقد رواه غير واحد من التابعين عن ابن عباس » اهـ .

رسول الله ﷺ أن يؤتيني الله الحكم مرتين » ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث عطاء وقد رواه عكرمة عن ابن عباس [(١)] .

ومعنى قوله : « أن يؤتيني الله الحكم مرتين » أي : العلم والفقه والقضاء بالعدل والظاهر أن المراد به هنا الفهم في القرآن [(٢)] .

١٠ – وروى الإمام البخاري بإسناده إلى ابن عباس قال : ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال : « **اللهم علمه الحكمة** »[(٣)] .

هذه الأحاديث المتقدمة فيها بيان فضل عبد الله بن عباس رضي الله عنه ولقد استجاب الله هذا الدعاء النبوي في ابن عباس فلقد كان إماماً في العلم وعلماً من أعلام الأمة المحمدية الذين نشر الله بهم أحكام دين الإسلام من أوامر ونواه وحلال وحرام .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : « وهذه الدعوة مما تحقق إجابة النبي ﷺ فيها لما علم من حال ابن عباس في معرفة التفسير والفقه في الدين رضي الله تعالى عنه ، وقد اختلف الشراح في المراد بالحكمة هنا فقيل : القرآن وقيل : العمل به ، وقيل : السنة ، وقيل : الإصابة في القول ، وقيل : الخشية وقيل : الفهم عن الله ، وقيل : العقل ، وقيل : ما يشهد العقل بصحته ، وقيل : نور يفرق به بين الإلهام والوسواس ، وقيل : سرعة الجواب مع الإصابة وبعض هذه الأقوال ذكرها بعض أهل التفسير في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾[(٤)] والأقرب أن المراد بها في حديث ابن عباس الفهم في القرآن » اهـ[(٥)] .

---

(١) سنن الترمذي ٣٤٤/٥ .
(٢) تحفة الأحوذي ٣٣٧/١٠ .
(٣) صحيح البخاري ٣٠٦/٢ ، سنن الترمذي ٣٤٤/٥ .
(٤) سورة لقمان آية / ١٢ .
(٥) فتح الباري ١٧٠/١ ، ١٠٠/٧ .

١١ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : أتيت رسول الله ﷺ في آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فجرني فجعلني حذاءه[١] فلما أقبل على صلاته خنست[٢] فصلى رسول الله ﷺ فلما انصرف قال لي : « ما شأني أجعلك حذائي فتخنس » فقلت : يا رسول الله أو ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله قال : فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علماً وفهماً قال : ثم رأيت رسول الله ﷺ نام حتى سمعته ينفخ ثم أتاه بلال فقال : يا رسول الله الصلاة فقام فصلى ما أعاد وضوءاً[٣] .

هذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لعبد الله بن عباس رضي الله عنه فقد حظي بهذه الدعوة المباركة وهي الزيادة في العلم والفهم وقد كان كذلك رضي الله عنه وأرضاه .

١٢ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف باب قال : فجاء فحطأني حطأة[٤] وقال : « اذهب وادع لي معاوية » الحديث[٥] .

وفي هذا الحديث منقبة لابن عباس رضي الله عنه حيث جاءه النبي ﷺ وهو متوار خلف باب فضرب بيده الشريفة وهي مبسوطة بين كتفيه وأمره أن ينادي له معاوية رضي الله عنه .

١٣ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى ابن عباس قال : كنت مع أبي عند رسول الله ﷺ وعنده رجل يناجيه فكان كالمعرض عن أبي فخرجنا من عنده فقال لي أبي : أي بني ؟ ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني فقلت : يا أبت إنه كان عنده رجل يناجيه قال فرجعنا إلى النبي ﷺ فقال أبي : يا رسول الله قلت لعبد الله

---

(١) أي : بجواره .

(٢) أي : تأخرت .

(٣) المسند مع الفتح الرباني ٢٢/٢٩٣ وأورد الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٩/٢٨٤ ثم قال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ورواه الحاكم في المستدرك ٣/٥٣٤ ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(٤) فحطأني حطأة : أي : ضربه بيده مبسوطة بين كتفيه .

(٥) صحيح مسلم ٤/٢٠١٠ .

كذا وكذا فأخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك فهل كان عندك أحد فقال : رسول الله ﷺ : « **وهل رأيته يا عبد الله** » قال : قلت : نعم قال : « **فإن ذاك جبريل وهو الذي شغلني عنك** »[1] .

١٤ - وروى أبو القاسم الطبراني كما في « مجمع الزوائد »[2] عن ابن عباس قال : بعث العباس بعبد الله إلى رسول الله ﷺ في حاجة فوجد معه رجلا فرجع ولم يكلمه فقال : « **رأيته ؟** » قال : نعم قال : « **ذاك جبريل أما إنه لن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علماً** » .

هذان الحديثان تضمنا منقبة ومفخرة عظيمة لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث أكرمه الله تعالى برؤية جبريل الأمين كما تضمن حديث الطبراني علماً من أعلام النبوة حيث حصل لابن عباس ما أخبر به عليه الصلاة والسلام من ذهاب بصره وإيتائه علماً واسعاً وكذلك كان رضي الله عنه وأرضاه .

ولقد بين فضله ومكانته العلمية فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد كان يدخله في مجلس كبار الصحابة من مشيخة بدر رضي الله عنهم وقد كان لهم أبناء في سنه رضي الله عنه ولم يحظ بهذا التكريم سواه .

١٥ - فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر : إنه من حيث علمتم فدعا ذات يوم فأدخله معهم فما رؤيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً فقال لي : أكذاك تقول يا ابن عباس فقلت : لا قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال : إذا جاء نصر الله والفتح

---

(١) المسند مع الفتح الرباني ٢٢/٢٩٤ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٧٦ ثم قال رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجالها رجال الصحيح .

(٢) مجمع الزوائد ٩/٢٧٧ وقال الهيثمي : رواه الطبراني بأسانيد ورجاله ثقات .

وذلك علامة أجلك . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول [(١)] .

١٦ - وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وأخرج البغوي في معجم الصحابة من طريق زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : كان عمر يدعو ابن عباس ويقربه ويقول إني رأيت رسول الله ﷺ دعاك يوماً فمسح رأسك وقال : « **اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل** »[(٢)] .

وتقريب عمر رضي الله عنه لابن عباس وإدخاله مع أشياخ بدر من أجل أن يقرر عندهم جلالة قدره ، وكبير منزلته في العلم والفهم .

١٧ - وذكر الحافظ ابن كثير أن عمر رضي الله عنه كان يقول : نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس . وكان يقول إذا أقبل : جاء فتى الكهول ، وذو اللسان السئول ، والقلب العقول[(٣)] .

١٨ - وروى ابن سعد بإسناده إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال : ما رأيت أحداً أحضر فهماً ولا ألب لباً ولا أكثر علماً ولا أوسع حلماً من ابن عباس ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات ثم يقول : عندك قد جاءتك معضلة ثم لا يجاوز قوله وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار[(٤)] .

١٩ - وقال طلحة بن عبيد الله : لقد أعطى ابن عباس فهماً ولقناً وعلماً ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم عليه أحد[(٥)] .

٢٠ - وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه حين بلغه موت ابن عباس : « مات أعلم الناس وأحلم الناس ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق » .

---

(١) صحيح البخاري ٣/٢٢٢ .
(٢) فتح الباري ١/١٧٠ .
(٣) البداية والنهاية ٨/٣٢١ .
(٤) الطبقات ٢/٣٦٩ .
(٥) المصدر السابق ٢/٣٧٠ .

٢١ - وقال رافع بن خديج : مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب[١] .

٢٢ - وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لعكرمة : مولاك والله أفقه من مات وعاش[٢] .

٢٣ - وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : « ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد ﷺ »[٣] .

٢٤ - وقال مجاهد : كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه .

وقال محمد بن عليٍّ يوم مات ابن عباس : اليوم مات رباني هذه الأمة[٤] .

٢٦ - وقال طاووس : كان ابن عباس قد بسق على الناس في العلم كما تبسق النخل السحوق[٥] على الودي الصغار[٦] .

ذلك هو عبد الله بن عباس وتلك طائفة من مناقبه التي دلت على علو شأنه وسمو منزلته وكلها دلت على أنه كان جليل القدر وأنه كان ذا مكانة عظيمة عند الرسول ﷺ وأصحابه ولقد اعترف بفضله ونبله كبار الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعون لهم بإحسان . فرضي الله عنه وأرضاه .

* * *

---

(١) المصدر السابق ٢/٣٧٢ .
(٢) الطبقات الكبرى ٢/٣٦٩ - ٣٧٠ .
(٣) البداية والنهاية ٨/٣٢٣ .
(٤) المستدرك ٣/٥٣٥ ، الطبقات ٢/٣٦٦ .
(٥) السحوق : هي النخلة الطويلة التي بعد ثمرها على المجتني « النهاية في غريب الحديث » ٢/٣٤٧ .
(٦) طبقات ابن سعد ٢/٣٧٠ .

* ٧) الفضل بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه :

هو الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ كان أكبر إخوانه وبه كان يكنى أبوه وأمه واسمها لبابة بنت الحارث الهلالية ، غزا مع النبي ﷺ مكة وحنيناً وثبت معه يومئذ وشهد معه حجة الوداع ، وكان يكنى أبا العباس وأبا عبد الله ، وقيل كان يكنى أبا محمد مات في خلافة الصديق رضي الله عنه وأرضاه[١] .

وقد وردت له بعض المناقب رضي الله عنه ، فمن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ زوجه وأمهر عنه :

١ - فقد روى مسلم في حديث طويل بإسناده إلى الزهري أن عبد الله ابن عبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حدثه وفيه أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث والفضل بن عباس انطلقا إلى النبي ﷺ يريدان منه أن يوليهما على بعض الصدقة قال أحدهما : « فلما صلى رسول الله الظهر سبقناه إلى الحجرة فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بآذاننا ثم قال : « **أخرجا ما تصرران** » ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش قال : فتواكلنا الكلام ، ثم تكلم أحدنا فقال : يا رسول الله أنت أبر الناس وأوصل الناس وقد بلغنا الحلم فجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدي إليك كما يؤدى الناس ونصيب كما يصيبون قال : فسكت طويلا حتى أردنا أن نكلمه قال : وجعلت زينب تلمع[٢] علينا من وراء الحجاب أن لا تكلماه قال : ثم قال : « **إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس** »[٣] ادعوا لي محمية وكان على الخمس ونوفل بن الحارث بن

---

(١) طبقات ابن سعد ٥٤/٤ ، التاريخ الكبير ١١٤/٧ ، التاريخ الصغير ٣٦/١ ، الجرح والتعديل ٦٣/٧ ، المستدرك ٢٧٤/٣ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٠٢/٣ - ٢٠٤ ، أسد الغابة ١٨٣/٣ ، الإصابة ٢٠٨/٣ ، تهذيب التهذيب ٢٨٠/٨ .

(٢) تلمع : أي : تشير بيدها « النهاية » ٢٧١/٤ .

(٣) أوساخ الناس : أي : أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم كما قال تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم** =

عبد المطلب قال : فجاءاه فقال لمحمية : « **أنكح هذا الغلام ابنتك** » للفضل بن عباس فأنكحه وقال لنوفل بن الحارث : « **أنكح هذا الغلام ابنتك** » (لي) فأنكحني وقال لمحمية : أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا « قال الزهري : ولم يسمه لي »[1] .

هذا الحديث فيه بيان منقبة عظيمة ظاهرة للفضل بن عباس ولعبد المطلب ابن ربيعة حيث زوجهما النبي ﷺ وأصدق عنهما ، كما دل الحديث على تحريم الصدقة على جميع بني هاشم وليس الحال كما ورد عن زيد بن أرقم أن الذين تحرم عليهم الصدقة هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس فهذا عبد المطلب ابن ربيعة بين النبي ﷺ أنه ممن تحرم عليه الصدقة وليس هو من المذكورين الذين ذكرهم زيد بن أرقم رضي الله عنه والذي يظهر من هذا أن زيداً لم يرد حصر بني هاشم فيمن ذكرهم .

٢ - ومن مناقب الفضل رضي الله عنه أنه كان رديف النبي ﷺ من المزدلفة إلى منى[2] .

٣ - ومن مناقبه رضي الله عنه ما أخرجه البغوي من طريق يزيد بن عبد الله بن قسيط عن عطاء عن ابن عباس عن أخيه الفضل قال : جاءني رسول الله ﷺ فقال : « **خذ بيدي** » وقد عصب رأسه فأخذت بيده فأقبل حتى جلس على المنبر فقال : « **ناد في الناس** » فصحت فيهم فاجتمعوا له ... فذكر الحديث[3] .

ذلك هو الفضل بن عباس وتلك بعض مناقبه التي دلت على أنه من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وأرضاه .

= **وتزكيهم بها** ﴾ فهي كغسالة الأوساخ .

(١) صحيح مسلم ٧٥٢/٢ - ٧٥٣ .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٤٠٤/٣ ، صحيح مسلم ٩٣١/٢ ، المستدرك ٢٧٥/٣ .

(٣) أورده الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢٠٣/٣ .

* ٨ - جعفر بن أبي طالب :

هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله ﷺ وكان أكبر من أخيه علي بعشر سنين ، وكان رضي الله عنه من متقدمي الإسلام والسابقين إليه ، وهاجر رضي الله عنه إلى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة وأحوال رشيدة ، وقدم المدينة يوم فتح خيبر ، وفرح به النبي ﷺ فرحاً شديداً وقام إليه واعتنقه وقبله بين عينيه[(١)] ، ولما بعثه إلى مؤتة جعله نائباً لزيد بن حارثة ، ولما استشهد في غزوة مؤتة وجدوا فيه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو في ذلك كله مقبل غير مدبر ، وكانت قد قطعت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك للّواء فلما فقدهما احتضنه حتى قتل وهو كذلك ، فيقال إن رجلا من الروم ضربه بسيف فقطعه باثنتين رضي الله عن جعفر ولعن قاتله ، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأنه شهيد ، فهو ممن يقطع له بالجنة ، وجاء في الأحاديث تسميته بذي الجناحين وكان يقال له بعد قتله - الطيار ، وكان كريماً جواداً ممدحاً ، وكان لكرمه يقال له : أبا المساكين لإحسانه إليهم وكان استشهاده رضي الله عنه في السنة الثامنة من الهجرة[(٢)] رضي الله عنه وأرضاه .

وقد وردت مناقبه رضي الله عنه في كثير من الأحاديث الصحيحة ومن تلك الأحاديث :

١ - ما رواه الإمام أحمد وغيره بإسناده إلى عبيد الله بن أسلم مولى النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : « **أشبهت**

---

(١) انظر مجمع الزوائد ٢٧١/٩ - ٢٧٢ .

(٢) البداية والنهاية ٢٨٥/٤ وانظر الجرح والتعديل ٤٨٢/٢ ، حلية الأولياء ١١٤/١ - ١١٨ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢١١/١ - ٢١٤ ، أسد الغابة ٣٨٦/١ ، تهذيب الأسماء واللغات ١٤٨/١ - ١٤٩ ، سير أعلام النبلاء ٢٠٦/١ - ٢١٧ ، الإصابة ٢٣٩/١ - ٢٤٠ .

خلقي وخُلقي »[1] .

هذا الحديث فيه منقبة عظيمة لجعفر بن أبي طالب من حيث إنه أشبه النبي ﷺ خَلقاً وخُلقاً وأكرم بها من منقبة فقد قال - جل وعلا - مادحاً نبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] .

٢ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى أبي موسى قال : بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهما أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم - إمَّا قال بضعاً وإمَّا قال ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومي - قال : فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده فقال جعفر : إن رسول الله ﷺ بعثنا هاهنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً قال : فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا ، أو قال : أعطانا منها وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم قال : فكان ناس من الناس يقولون لنا : - يعني لأهل السفينة - نحن سبقناكم بالهجرة . قال : فدخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت أسماء : بنت عميس قال عمر : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ فقالت أسماء : نعم فقال عمر : سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم فغضبت وقالت: كذبت[3] يا عمر كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ

---

(١) المسند مع الفتح الرباني ٢١٤/٢٢ ، صحيح البخاري مع « فتح الباري » ٤٩٩/٧ من رواية البراء رضي الله عنه .

(٢) سورة القلم آية / ٤ .

(٣) كذبت : هنا بمعنى أخطأت وليس المراد بها شتم الفاروق وسبه فالصحابة رضي الله عنهم كانوا أطهر الناس ألسنة من بذيء الكلام قال الحافظ رحمه الله تعالى : وأهل الحجاز يقولون « كذبت » في =

جاهلكم وكنا في دار ، أو في أرض البعداء البغضاء[1] في الحبشة وذلك في الله وفي رسوله وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ونحن كنا نؤذى ونخاف وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك قال : فلما جاء النبي ﷺ قالت : يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ : « **ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان ...** » الحديث[2] .

هذا الحديث فيه بيان فضيلة عظيمة للذين هاجروا الهجرة الأولى إلى الحبشة فقد أكرمهم النبي ﷺ بالقسم من غنائم خيبر ولم يقسم لأحد غاب عن هذا الفتح سواهم ، وأخبر أنهم أحق الصحابة به عليه الصلاة والسلام وأن لهم أجر الهجرتين وفي مقدمتهم جميعاً جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

٣ – وروى الإمام أحمد بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : ما احتذى النعال ولا انتعل ولا ركب المطايا ولا لبس الكور[3] من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب[4] .

قال الحافظ ابن كثير بعد إيراد هذا الحديث بسنده : « وهذا إسناد جيد إلى أبي هريرة وكأنه إنما يفضله في الكرم ، فأمَّا في الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصديق والفاروق – بل وعثمان بن عفان – أفضل منه ، وأمَّا أخوه عليٌّ رضي الله

= موضع أخطأت » اهـ . فتح الباري ٦٤/٧ .

(١) البعداء البغضاء قال العلماء : البعداء في النسب البغضاء في الدين لأنهم كفار إلا النجاشي وكان يستخفي بإسلامه عن قومه ويوري لهم » اهـ . شرح النووي على صحيح مسلم ٦٥/١٦ .

(٢) صحيح مسلم ١٩٤٦/٤ – ١٩٤٧ .

(٣) الكور : رحل الناقة بأداته وهو كالسرج وآلته للفرس « النهاية في غريب الحديث » ٢٠٨/٤ .

(٤) المسند ٢١٣/٢ – ٢١٤ وفيه « يعني الجود والكرم » سنن الترمذي ٣٢٠/٥ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ورواه النسائي في « فضائل الصحابة » ص ٨٦ ، والحاكم في المستدرك ٢٠٩/٣ وقال : صحيح على شرط البخاري وأقره الذهبي .

عنهما فالظاهر أنهما متكافئان أو عليّ أفضل منه »[1] .

ولا شك أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أفضل الخلق على الإطلاق بعد الخلفاء الثلاثة ولا يساويه أحد في فضله بعدهم رضي الله عنهم أجمعين .

٤ – ومن مناقب جعفر رضي الله عنه التي اشتهر بها أنه كان كثير العطف والحنو على المساكين وكان يحبهم ويسكن إليهم حتى أنه كان يكنى بأبي المساكين . فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس كانوا يقولون : أكثر أبو هريرة وإني كنت ألزم رسول الله ﷺ بشبع بطني حتى لا آكل الخمير ولا ألبس الحبير[2] ولا يخدمني فلان ولا فلانة وكنت ألصق بطني بالحصاء من الجوع وإن كنت لأستقريء الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني ، وكان أخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العكة[3] التي ليس فيها شيء فيشقها فنلعق ما فيها »[4] .

ففي هذا بيان فضيلة لجعفر رضي الله عنه وشهادة من أبي هريرة رضي الله عنه بأنه كان أشفق الناس على المساكين .

قال الحافظ ابن حجر : « وهذا التقييد يحمل عليه المطلق الذي جاء عن عكرمة عن أبي هريرة قال : « ما احتذى النعال ولا ركب المطايا بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب »[5] .

٥ – ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ جعله نائباً لزيد بن حارثة في غزوة مؤتة وأبلى فيها بلاء حسناً . فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى ابن

---

(١) البداية والنهاية ٢٨٦/٤ .

(٢) الحبير : قال في النهاية : « الحبير من البرود وما كان موشياً مخططاً » ٣٢٨/١ وانظر فتح الباري ٧٦/٧ .

(٣) العكة : ظرف السمن . وقوله : ليس فيها شيء « مع قوله » : فنلعق ما فيها « لا تنافي بينهما لأنه أراد بالنفي . أي : لا شيء فيها يمكن إخراجه منها بغير قطعها ، وبالإثبات ما يبقى في جوانبها « فتح الباري ٧٦/٧ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٧٥/٧ .

(٥) فتح الباري ٧٦/٧ .

عمر رضي الله عنهما قال : أمر رسول الله ﷺ في غزوة – مؤتة – زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ : « **إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة** » : قال عبد الله : كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية .

وروى أيضاً : بإسناده إلى نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره يعني في ظهره[١] .

هذان الحديثان ظاهرهما التعارض « ويجمع بأن العدد قد لا يكون له مفهوم أو بأن الزيادة باعتبار ما وجد فيه من رمي السهام ، أو الخمسين مقيدة بكونها ليس فيها شيء في دبره أي : في ظهره ، فقد يكون الباقي في بقية جسده ولا يستلزم ذلك أنه ولى دبره ، وهو محمول على أن الرمي إنما جاء من جهة قفاه أو جانبيه ... ووقع في رواية البيهقي في « الدلائل » بضعاً وتسعين أو بضعاً وسبعين ، وأشار إلى أن بضعاً وتسعين أثبت في قوله « ليس فيها شيء في دبره » بيان فرط شجاعة جعفر وإقدامه » اهـ .[٢] .

٧ – ومن مناقبه إخبار النبي ﷺ أنه مات شهيداً في سبيل الله تعالى وشهد له بذلك . فقد روى الإمام أحمد بإسناده إلى أبي قتادة فارس رسول الله ﷺ قال : بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء وقال : « **عليكم زيد بن حارثة فإن أصيب زيد فجعفر فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة الأنصاري** » فوثب جعفر فقال : بأبي أنت يا نبي الله وأمي ما كنت أرهب أن تستعمل علي زيداً قال : « **امضوا فإنك لا تدري أي ذلك خير** » قال : فانطلق الجيش فلبثوا ما شاء الله ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر وأمر أن ينادى الصلاة جامعة فقال رسول الله ﷺ : « **ثاب خبر أو**

---

(١) الحديثان في صحيح البخاري ٥٨/٣ .

(٢) فتح الباري ٥١٢/٧ ، وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٧٤/٤ .

ثاب خبر – شك عبد الرحمٰن – **ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي إنهم انطلقوا فلقوا العدو فأصيب زيد شهيداً فاستغفروا له فاستغفر له الناس ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فشد على القوم حتى استشهد أشهد له بالشهادة فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ، ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه »** فرفع رسول الله أصبعيه وقال : « **اللهم هو سيف من سيوفك فانصره** » وقال عبد الرحمٰن مرة : فانتصر به فيومئذ سمي خالد سيف الله ، ثم قال النبي ﷺ : « **انفروا فأمدوا إخوانكم ولا يتخلفن أحد فنفر الناس في حر شديد مشاة وركباناً** »[1] .

قال الحافظ ابن كثير : « وقد أخبر عنه رسول الله ﷺ بأنه شهيد فهو ممن يقطع له بالجنة » اهـ[2] .

٨ – ومن مناقبه رضي الله عنه إخبار الرسول ﷺ عنه بأن له جناحين يطير بهما مع الملائكة . روى البخاري بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا حيا ابن جعفر قال : السلام عليك يا ابن ذي الجناحين[3] .

ففي هذا بيان فضيلة لجعفر رضي الله عنه من حيث إطلاق ذي الجناحين عليه وهي منقبة عظيمة له رضي الله عنه . وتحية ابن عمر لابن جعفر بقوله : « السلام عليك يا ابن ذي الجناحين » كأنه يشير إلى حديث عبد الله بن جعفر وأبي هريرة رضي الله عنهما .

فقد روى الطبراني بإسناده إلى عبد الله بن جعفر قال : قال لي رسول الله

---

(١) المسند ٢٩٩/٥ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٦/٦ وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير خالد بن سمير وهو ثقة .

(٢) البداية والنهاية ٢٨٥/٤ .

(٣) صحيح البخاري ٥٨/٣ .

ﷺ : « **هنيئاً لك يا عبد الله بن جعفر أبوك يطير مع الملائكة في السماء** »[1] .

وروى الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم أبيض الفؤاد** »[2] .

٩ - ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان ذا مكانة عظيمة عند النبي ﷺ ولذلك لما بلغه نبأ استشهاده حزن حزناً عظيماً عليه عرف ذلك في وجهه عليه الصلاة والسلام . فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن[3] .

وجاء في صحيح البخاري أنه حزن على الأمراء الثلاثة الذين أمرهم في غزوة مؤتة حزناً عظيماً حتى ظهر أثر الحزن عليه ﷺ .

فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : « لما جاء قتل ابن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم جلس رسول الله ﷺ يعرف فيه الحزن » الحديث[4] .

١٠ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ اعتنى بأولاده عناية عظيمة بعد أن استشهد في غزوة مؤتة فقد قام بزيارتهم وتفقد أحوالهم ودعا لهم . فقد روى الإمام أحمد باسناده إلى عبد الله بن جعفر ... أن رسول الله ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ثم أتاهم فقال : « **لا تبكوا على أخي بعد اليوم ادعوا لي ابني أخي** » قال : فجيء بنا كأنا أفرخ فقال : « **ادعوا إلي الحلاق** » فجيء بالحلاق فحلق رؤوسنا ثم قال : « **أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب . وأمّا عبد الله فشبيه**

---

(١) مجمع الزوائد ٢٧٣/٩ وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن وأورده الحافظ في فتح الباري ٧٦/٧ وقال : رواه الطبراني بإسناد حسن .

(٢) المستدرك ٢١٢/٣ وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(٣) المستدرك ٢٠٩/٣ وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(٤) صحيح البخاري مع شرح فتح الباري ٥١٢/٧ .

خلقي وخُلقي » ثم أخذ بيدي فأشالهما فقال : « **اللهم أخلف جعفراً في أهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه** » قالها ثلاث مرار قال : فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا وجعلت تفرح له[1] فقال : « **العيلة تخافين وأنا وليهم في الدنيا والآخرة** »[2].

وروى الإمام مسلم بإسناده إلى عبد الله بن جعفر قال : كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقي بصبيان أهل بيته قال : وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه ، ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه قال : فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة[3] .

وروى الإمام أحمد بإسناده إلى عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتني وقثم وعبيد الله ابني عباس ونحن صبيان نلعب إذ مر النبي ﷺ على دابة فقال : « **ارفعوا هذا إلي** » قال : فحملني أمامه وقال لقثم : « **ارفعوا هذا إلي** » فجعله وراءه وكان عبيد الله أحب إلى عباس من قثم فما استحى من عمه أن حمل قثما وتركه قال : ثم مسح على رأسي ثلاثاً وقال كلما مسح : « **اللهم اخلف جعفراً في ولده** » قال : قلت لعبد الله ! ما فعل قثم قال : استشهد قال : قلت : الله ورسوله أعلم بالخير[4] .

ذلك هو جعفر بن أبي طالب وتلك طائفة من مناقبة التي دلت على عظيم مكانته وعلو شأنه وأنه أوتي خيراً كثيراً وفضلا عظيماً رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

---

(١) تفرح له أي : ذكرت له ﷺ يتم أولادها وثقل مؤونتهم وما ستلقاه من العناء في تربيتهم « انظر النهاية » ٤٢٤/٣ .

(٢) المسند مع الفتح الرباني ٢١٣/٢٢ - ٢١٤ وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٥٦/٦ - ١٥٧ ثم قال : رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح .

(٣) صحيح مسلم ١٨٨٥/٤ .

(٤) المسند مع الفتح الرباني ٢١٥/٢٢ قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢٨٠/٢ : أخرجه أحمد وغيره مسند قوي .

* ٩) عبد الله بن جعفر رضي الله عنه :

هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم أبو جعفر القرشي الهاشمي[١] وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية أخت ميمونة بنت الحارث لأمها ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها وهو أول من ولد بها من المسلمين وحفظ عن النبي ﷺ وروى عنه رضي الله عنه أورضاه . وقد وردت له بعض المناقب دلت على عظيم شأنه وعلو مكانته .

١ – فمن مناقبه رضي الله عنه أنه كان ممن شملهم شرف الهجرة من الحبشة إلى المدينة وأخبر النبي ﷺ أن للناس هجرة واحدة ولهم هجرتان فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « **للناس هجرة ولكم هجرتان** »[٢] .

٢ – ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان من الذين شبهوا النبي ﷺ خَلقاً وخُلقاً ودعا له ولإخوانه عامة ودعا له خاصة أن يبارك له في تجارته . فقد روى الإمام أحمد بإسناده إلى عبد الله بن جعفر ... أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ثم أتاهم فقال : « **لا تبكوا على أخي بعد اليوم ادعوا إلي ابني أخي** » قال : فجيء بنا كأنا أفرخ فقال : « **ادعوا إلي الحلاق** » فجيء بالحلاق فحلق رؤوسنا ثم قال : « **أمَّا محمد فشبيه عمنا أبي طالب وأمَّا عبد الله فشبيه خَلقي وخُلقي** » ثم أخذ بيدي فأشالهما فقال : « **اللهم اخلف جعفراً في أهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه** » قالها ثلاث مرار .. الحديث[٣] .

وروى أبو يعلى والطبراني كما في « مجمع الزوائد »[٤] عن عمرو بن حريث

---

(١) انظر ترجمته في الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٦٦/٢ – ٢٦٧ ، أسد الغابة ١٣٢/٣ – ١٣٥ ، سير أعلام النبلاء ٤٥٦/٣ – ٤٦٢ ، البداية والنهاية ٣٦/٩ ، الإصابة ٢٨٠/٢ – ٢٨١ .

(٢) المستدرك ٥٦٦/٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) المسند ٢٠٤/١ ، ورواه النسائي مختصراً ١٨٢/٨ .

(٤) المجمع ٢٨٦/٩ ثم قال : رواه أبو يعلى والطبراني ورجالها ثقات .

أن رسول الله ﷺ مر بعبد الله بن جعفر وهو يبيع بيع الغلمان أو الصبيان قال : « **اللهم بارك له في بيعه أو قال في صفقته** » .

٢ - ومن مناقبه رضي الله عنه إرداف المصطفى عليه الصلاة والسلام له على دابته بين يديه وخلفه . فقد روى الإمام مسلم بإسناده إلى عبد الله بن جعفر قال : كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقي بصبيان أهل بيته قال : وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه قال : فأدخلنا ثلاثة على دابة(١) .

وروى أيضاً بإسناده إلى عبد الله بن جعفر قال : أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إلّي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس(٢) .

ذلك هو عبد الله بن جعفر وتلك طائفة من مناقبه التي دلت على فضله وجلالة قدره رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

---

(١) صحيح مسلم ١٨٨٥/٤ .

(٢) المصدر السابق ١٨٨٦/٤ .

* ١٠) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ قيل : اسمه المغيرة أسلم عام الفتح وحسن إسلامه ، وكان قبل إسلامه من أشد الناس على رسول الله ﷺ وعلى دينه ومن تبعه وكان شاعراً بارعاً هجا الإسلام وأهله وهو الذي رد عليه حسان بن ثابت رضي الله عنه في قصيدته التي مطلعها :

ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمداً وأجبت عنه وعند الله في ذلك الجزاء[١]

شهد أبو سفيان حنيناً وأبلى فيها بلاءً حسناً وكان ممن ثبت ولم يفر يومئذ ولم تفارق يده لجام بغلة رسول الله ﷺ حتى انصرف الناس إليه وكان يشبه النبي ﷺ وكان رسول الله ﷺ يحبه وشهد له بالجنة وكان يقول : « **أرجو أن تكون خلفاً من حمزة** » وهو معدود في فضلاء الصحابة[٢].

قال الذهبي رحمه الله تعالى : « تلقى النبي ﷺ في الطريق قبل أن يدخل مكة مسلماً فانزعج النبي ﷺ وأعرض عنه لأنه بدت منه أمور في أذية النبي ﷺ فتذلل للنبي ﷺ حتى رق له ، ثم حسن إسلامه ولزم هو والعباس رسول الله ﷺ يوم حنين إذ فر الناس وأخذ بلجام البغلة وثبت معه وكان أخا النبي ﷺ من الرضاعة أرضعتهما حليمة[٣] .

وكانت وفاته رضي الله عنه سنة عشرين للهجرة « وكان سبب وفاته أنه حج فلما حلق الحلاق رأسه قطع أثلولا كان في رأسه فلم يزل مريضاً منه حتى مات بعد مقدمه من الحج بالمدينة سنة عشرين »[٤] .

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٤٩/٤ - ٥٤ ، أسد الغابة ٢١٥/٥ ، المستدرك ٢٥٥/٣ سير أعلام النبلاء ٢٠٢/١ ، البداية ١١٤/٧ .
(٢) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٨٤/٤ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١ .
(٤) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٨٥/٤ .

وأبو سفيان هذا وردت له بعض المناقب دلت على جلالة قدره وهي :

١ – ما رواه الطبراني بإسناده عن أبي حبة البدري قال : كان رسول الله ﷺ يوم حنين لا ينظر في ناحية إلا رأى أبا سفيان بن الحارث يقاتل فقال رسول الله ﷺ : « **إن أبا سفيان خير أهلي أو من خير أهلي** »[١] .

هذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لأبي سفيان بن الحارث حيث بين النبي ﷺ أنه من خيار أهل البيت النبوي رضي الله عنهم أجمعين .

٢ – وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى العباس بن عبد المطلب قال : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلقد رأيته وما معه إلا أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ وهو راكبها وأبو سفيان لا يألو أن يسرع نحو المشركين[٢] .

وفي هذا الحديث بيان منقبة عظيمة لأبي سفيان رضي الله عنه وهي فرط شجاعته وإقدامه لمناجزة أعداء الدين من المشركين والكافرين من أجل نصرة الإسلام ورفع رايته .

٣ – وروى الحاكم أبو عبد الله بإسناده إلى عروة بن الزبير قال : أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه كان أحب قريش إلى رسول الله ﷺ وكان شديداً عليه فلما أسلم كان أحب الناس إليه[٣] .

ففي قول عروة هذا بيان ما حصل لأبي سفيان بن الحارث من المكانة عند النبي ﷺ بعد أن كان من أشد الناس عداوة له فإنه صار بعد ذلك من أحب الناس إليه رضي الله عن أبي سفيان وأرضاه .

٤ – وروى الحاكم أيضاً : بإسناده إلى عروة بن الزبير قال : قال رسول الله

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٤/٩ وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن .

(٢) المستدرك ٢٥٥/٣ ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(٣) المصدر السابق ٢٥٥/٣ وهذا مرسل ولعله أخذه عن أبيه أو غيره من الصحابة .

ﷺ : « **سيد فتيان الجنة أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب** » قال : حلقه الحلاق بمنى وفي رأسه ثؤلول فقطعه فمات فيرون أنه شهيد[1] .

فقول عروة هذا لابد أنه سمعه من أصحاب رسول الله ﷺ ولا يمكن أن يقوله من تلقاء نفسه ، والصحابة لابد أنهم سمعوه من النبي ﷺ لأن هذا من باب الإخبار بالغيب لأنه متضمن الشهادة لمعين بالجنة ، ولا يخبر بهذا إلا المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ذلك هو أبو سفيان بن الحارث وتلك بعض مناقبه فقد كان من فضلاء الصحابة وأجلهم رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

* * *

(١) المستدرك ٣/٢٥٥ وأورده الحافظ في « الإصابة » ٤/٦٠ وقال : « أخرجه الحاكم أبو أحمد من طريق حماد بن سلمة عن هشام عن عروة عن أبيه ، قال رسول الله ﷺ : « **أبو سفيان بن الحارث سيد فتيان أهل الجنة** » ثم ساق كلام عروة بكامله ثم قال : « هذا مرسل رجاله ثقات » اهـ .

* ١١) عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب :

هو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي الهاشمي كان إسلامه قديماً قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم وكان أسن من النبي ﷺ بعشر سنين هاجر إلى المدينة وشهد بدراً ، وعقد له رسول الله ﷺ أول راية وأمره على سرية قبل وقعة بدر ومات رضي الله عنه عقب غزوة بدر إذ قطعت رجله فمات بالصفراء رضي الله عنه وأرضاه[١] .

وقد وردت له بعض المناقب دلت على جليل قدره وعظيم مكانته :

١ – فمن مناقبه رضي الله عنه أن أول راية عقدها رسول الله ﷺ كانت له رضي الله عنه وأرضاه . ذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ عقد لعبيدة بن الحارث راية وأرسله في سرية قبل وقعة بدر فكانت أول راية عقدت في الإسلام[٢] .

وأما الواقدي فذكر أن أول لواء عقده رسول الله ﷺ كان لحمزة[٣] .

قال الحافظ ابن حجر : « ويمكن الجمع على رأى من يغاير بين الراية واللواء والله أعلم »[٤] .

٢ – ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان أحد الذين بارزوا يوم بدر فقد كان في حزب الله الذين قاتلوا في سبيل الله وهم حمزة وعلي وثالثهم عبيدة بن الحارث وحزب الشيطان كان يمثله عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة .

فقد روى الشيخان وغيرهما عن قيس بن عباد قال : « سمعت أبا ذر يقسم قسماً إن هذه الآية ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾[٥] نزلت في الذين

---

(١) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٤٣٦/٢ – ٤٣٨ ، الإصابة ٤٤٢/٢ ، أسد الغابة ٣٥٦/٣ – ٣٥٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٩٥/١ .

(٣) مغازي الواقدي ٩/١ .

(٤) الإصابة ٤٤٢/٢ .

(٥) سورة الحج آية / ١٩ .

برزوا يوم بدر : حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث ، وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد ابن عتبة[1] .

ففي هذا الحديث منقبة واضحة لعبيدة بن الحارث حيث إنه كان من الصحابة الذين أنزل الله فيهم قرآناً يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وأكرم بها من منقبة فإنها أكسبته منزلة عظيمة وميزة شريفة رضي الله عنه وأرضاه .

وروى أبو داود بإسناده إلى حارثة بن مضرب عن عليّ قال : تقدم يعني عتبة بن ربيعة – وتبعه ابنه وأخوه فنادى من يبارز ؟ فانتدب له شباب من الأنصار فقال من أنتم ؟ فأخبروه فقال : لا حاجة لنا فيكم إنما أردنا بني عمنا فقال النبي ﷺ : « **قم يا حمزة ، قم يا عليّ ، قم يا عبيدة بن الحارث** » « فأقبل حمزة إلى عتبة ، وأقبلت على شيبة ، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان ، فأثخن كل واحد منهما صاحبه ، ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة »[2] .

٣ – ومن مناقبه رضي الله عنه أن سبب وفاته ضربة بسيف في ساقه يوم بدر ضربه به عتبة بن ربيعة فكانت وفاته رضي الله عنه في سبيل الله فقد روى الحاكم بإسناده إلى عبد الله بن عباس وذكر حديث المبارزة وأن عتبة بن ربيعة قتل عبيدة بن الحارث مبارزة ضربه عتبة على ساقه فقطعها فحمله رسول الله ﷺ فمات بالصفراء منصرفه من بدر فدفنه هنالك[3] .

ذلك هو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فقد كان رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام ومن الذين أخلصوا دينهم لله فقاتل في سبيل الله نصرة لدين الإسلام حتى فارق الدنيا وهو على ذلك فرضي الله عنه وأرضاه .

والذي أخلص إليه في هذا المبحث أنني ضمنته ذكر فضائل أحد عشر

---

(١) صحيح البخاري ٥/٣ ، صحيح مسلم ٢٣٢٣/٤ .

(٢) سنن أبي داود ٤٩/٢ .

(٣) المستدرك ١٨٧/٣ – ١٨٨ ثم قال عقبه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

شخصاً من أهل بيت النبي ﷺ الذكور عدا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فإنني كما قلت في أول هذا المبحث قد تقدم معنا ذكر فضائله في « الفصل الثالث » من هذا الباب ، وهناك أفراد من أهل البيت صحبوا رسول الله ﷺ لم يرد لهم ذكر فضائل تخصهم فهؤلاء يكفيهم ما جاء في فضلهم عموماً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، كما يكفيهم ما حصل لهم من شرف الصحبة التي لا يعدلها شيء .

* * *



★ المبحث الرابع ★

فضل أهل بيته الإناث .

ويتضمن :

أ) فضل زوجاته ﷺ أمهات المؤمنين وهن :

١ - خديجة رضي الله عنها .

٢ - سودة رضي الله عنها .

٣ - عائشة رضي الله عنها .

٤ - حفصة رضي الله عنها .

٥ - زينب بنت خزيمة رضي الله عنها .

٦ - أم سلمة رضي الله عنها .

٧ - زينب بنت جحش رضي الله عنها .

٨ - جويرية بنت الحارث رضي الله عنها .

٩ - أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها .

١٠ - صفية بنت حيي رضي الله عنها .

١١ - ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها .

ب) فضل بناته ﷺ وهن :

١ - زينب رضي الله عنها .

٢ - رقية رضي الله عنها .

٣ - أم كلثوم رضي الله عنها .

٤ - فاطمة رضي الله عنها .

* ١) خديجة رضي الله عنها :

هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي تجتمع مع النبي ﷺ في قصي وهي من أقرب نسائه إليه في النسب ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها إلا أم حبيبة ، تزوجها ﷺ بمكة وهو ابن خمس وعشرين سنة وكانت قبله عند أبي هالة بن النباش بن زرارة التميمي(١) حليف بني عبد الدار ، وقد بقيت رضي الله عنها مع النبي ﷺ إلى أن أكرمه الله برسالته ، وكانت أول من آمن به من النساء ، وصدقته ونصرته فكانت له وزير صدق وهي سيدة نساء العالمين في زمانها ، وهي ممن كمل من النساء فقد كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة من أهل الجنة ، وكان عليه الصلاة والسلام يثني عليها ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين ويبالغ في تعظيمها ، ولم يتزوج النبي ﷺ امرأة قبلها ، وكل أولاده عليه الصلاة والسلام منها إلا إبراهيم رضي الله عنه فإنه من سريته مارية رضي الله عنها ، ولم يتزوج النبي ﷺ عليها امرأة قط ، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها فوجد لفقدها فإنها كانت نعم القرين فلقد أنفقت عليه ﷺ من مالها واتجر فيه لها رضي الله عنها وأرضاها ، وكانت وفاتها رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين(٢) .

وقد وردت الأحاديث الصحيحة بمناقبها الكثيرة ومن تلك الأحاديث :

١ - ما رواه الحاكم بإسناده إلى عفيف بن عمر وقال : كنت امرء تاجراً ، وكنت صديقاً للعباس بن عبد المطلب في الجاهلية فقدمت لتجارة فنزلت على العباس بن عبد المطلب بمنى فجاء رجل فنظر إلى الشمس حين مالت فقام يصلي

---

(١) وقيل : كانت قبله عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ثم خلف عليها النبي ﷺ « وهذا قول أبي عمر بن عبد البر انظر الاستيعاب على الإصابة » ٢٧٢/٤ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٣١/١ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٧١/٤ - ٢٨١ ، أسد الغابة ٤٣٤/٥ ، تاريخ الإسلام ٤١/١ ، مجمع الزوائد ٢١٨/٩ - ٢٢٥ ، فتح الباري ١٣٤/٧ ، الإصابة ٢٧٣/٤ - ٢٧٦ .

ثم جاءت امرأة فقامت تصلي ثم جاء غلام حين راهق الحلم فقام يصلي فقلت للعباس : من هذا ؟ فقال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي يزعم أنه نبي ولم يتابعه على أمره غير هذه المرأة وهذا الغلام ، وهذه المرأة خديجة بنت خويلد امرأته وهذا الغلام ابن عمه عليّ بن أبي طالب قال عفيف الكندي وأسلم وحسن إسلامه : لوددت أني كنت أسلمت يومئذ فيكون لي ربع الإسلام[1] .

هذا الحديث اشتمل على منقبة عظيمة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وهي أنها كانت من السابقين الأولين إلى الإسلام .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان ، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها فيكون لها مثل أجرهن لما ثبت : أن من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء[2] وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال ، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله - عز وجل - »[3] .

٢ - روى الإمام البخاري بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ قال : « **ما أنا بقاري** » قال:« **فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ قلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني**

---

(١) المستدرك ١٨٣/٣ ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) الحديث في صحيح مسلم ٢٠٥٩/٤ .

(٣) فتح الباري ١٣٧/٧ .

الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾[1] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، فقال : « زملوني زملوني » فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال : لخديجة وأخبرها الخبر « لقد خشيت على نفسي » فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق . الحديث[2] .

فهذا الحديث تضمن ذكر منقبة ظاهرة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وهي أنها كانت تقوي قلب النبي ﷺ في بداية نزول الوحي عليه وطمأنته عليه الصلاة والسلام مما كان يخشاه على نفسه وهونت عليه الأمر وأنه لا خوف عليه ولا حزن وأقسمت للنبي ﷺ على أن الله لا يخزيه ولا يخذله واستدلت على ما أقسمت عليه بما فيه من صفاته الطيبة من أصول مكارم الأخلاق التي هي إحسانه إلى الأقارب والأجانب إما بالبدن ، وإما بالمال وبينت له أن من وجدت فيه هذه الخصال الحميدة لن يخزيه الله أبداً .

٣ - ومن مناقبها رضي الله عنها التي انفردت بها دون سائر أزواج النبي ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام لم يتزوج عليها حتى فارقت الحياة الدنيا . فقد روى مسلم بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت[3] . قال الحافظ : « وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً وهي نحو

---

(١) سورة العلق آية / ١ - ٣ .

(٢) صحيح البخاري ١/ ٦ - ٧ .

(٣) صحيح مسلم ٤/١٨٨٩ .

الثلثين من المجموع ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة ومن تكدر الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها »[1] .

٤ – ومن مناقبها العظيمة التي شرفت بها أن النبي ﷺ أخبر بأنها خير نساء هذه الأمة المحمدية قاطبة : فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى عليّ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة** »[2] .

وعند الإمام مسلم بلفظ « **خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد** » قال أبو كريب وأشار وكيع إلى السماء والأرض[3] .

قال النووي رحمه الله :«قوله ﷺ : « **خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد** » وأشار وكيع إلى السماء والأرض » أراد وكيع بهذه الإشارة تفسير الضمير في نسائها وأن المراد به جميع نساء الأرض أي : كل من بين السماء والأرض من النساء والأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها وأمّا التفضيل بينهما فمسكوت عنه »[4] .

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : « الضمير عائد على غير مذكور لكنه يفسره الحال والمشاهدة يعني : به الدنيا » .

وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر أقوال العلماء في مرجع الضمير في قوله ﷺ : « **خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة** » والذي يظهر لي أن قوله « **خير نسائها** » خبر مقدم والضمير لمريم فكأنه قال : مريم خير نسائها أي :

---

(١) فتح الباري ١٣٧/٧ .

(٢) صحيح البخاري ٣١٥/٢ .

(٣) صحيح مسلم ١٨٨٦/٤ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٨/١٥ .

نساء زمانها وكذا في خديجة وقد جزم كثير من الشراح أن المراد نساء زمانها لما تقدم في أحاديث الأنبياء في قصة موسى وذكر آسية من حديث أبي موسى رفعه « **كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية** » فقد أثبت في هذا الحديث الكمال لآسية كما أثبته لمريم فامتنع حمل الخيرية في حديث الباب على الإطلاق وجاء ما يفسر المراد صريحاً فروى البزار والطبراني من حديث عمار ابن ياسر رفعه « **لقد فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين** » « وهذا حديث حسن الإسناد »[١] .

٥ - ومن مناقبها رضي الله عنها التي دلت على شرفها وجلالة قدرها أن النبي ﷺ كان يكثر من ذكرها بعد موتها بالثناء عليها والمدح لها وكان يأتي من العمل ما يسرها في حياتها . فقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة هلكت قبل أن يتزوجني لما كنت أسمعه يذكرها وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن »[٢] .

وروى مسلم رحمه الله بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت للنبي ﷺ على امرأة من نسائه ما غرت على خديجة لكثرة ذكره إياها[٣] .

وروى البخاري رحمه الله بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : « ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ؟ فيقول : إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد »[٤] .

---

(١) فتح الباري ١٣٥/٧ .
(٢) صحيح البخاري ٣١٥/٢ ، صحيح مسلم ١٨٨٨/٤ .
(٣) صحيح مسلم ١٨٨٩/٤ .
(٤) صحيح البخاري ٣١٥/٢ .

في هذه الأحاديث الثلاثة « ثبوت الغيرة وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلا عمن دونهن ، وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي ﷺ لكن كانت تغار من خديجة أكثر ، وقد بينت سبب ذلك وأنه لكثرة ذكر النبي ﷺ إياها ... وأصل غيرة المرأة من تخيل محبة غيرها أكثر منها ، وكثرة الذكر تدل على كثرة المحبة ... وقولها رضي الله عنها « وأمره الله أن يبشرها » إلخ هذا من جملة أسباب الغيرة لأن اختصاص خديجة بهذه البشرى مشعر بمزيد محبة من النبي ﷺ فيها ... وقولها أيضاً رضي الله عنها : « وإن كان ليذبح الشاة » إلخ ، من أسباب الغيرة لما فيه من الإشعار باستمرار حبه لها حتى كان يتعاهد صواحباتها ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « إنها كانت وكانت » أي : كانت فاضلة وكانت عاقلة ونحو ذلك »[1] .

٦ - روى الإمام أحمد بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء . قالت : فغرت يوماً فقلت : ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق[2] قد أبدلك الله - عز وجل - بها خيراً منها قال : « **ما أبدلني الله - عز وجل - خيراً منها قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله - عز وجل - ولدها إذ حرمني أولاد النساء** »[3] .

كل ما ذكر في هذا الحديث مناقب عالية لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها

---

(١) فتح الباري ١٣٦/٧ - ١٣٧ .

(٢) قال النووي : معناه : عجوز كبيرة جداً حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان إنما بقي فيها حمرة لثاتها قال القاضي قال المصري وغيره من العلماء : الغيرة مسامح للنساء فيها لا عقوبة عليهن فيها لما جبلن عليه من ذلك ولهذا لم تزجر عائشة عنها قال القاضي : وعندي أن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها وأول شبيبتها ولعلها لم تكن بلغت حينئذ » اهـ . شرح النووي ٢٠٢/١٥ .

(٣) المسند مع الفتح الرباني ٢٤٠/٢٠ - ٢٤١ وأورده الهيثمي في المجمع ٢٢٤/٩ وقال رواه أحمد وإسناده حسن .

ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يكثر من ذكرها والثناء عليها وكان يعمل بعد موتها ما يسرها في حياتها حيث كان يصل من يودها بالقول والعمل .

قال ابن العربي رحمه الله تعالى مبيناً مكانة خديجة رضي الله عنها : « كان النبي ﷺ قد انتفع بخديجة برأيها ومالها ونصرها فرعاها حية وميتة برها موجودة ومعدومة وأتى بعد موتها ما يعلم أنه يسرها لو كان في حياتها . ومن هذا المعنى ما روى من أن من البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه »[1] .

٧ - أخبر النبي ﷺ بأن حبه لها كان رزقاً من الله رزقه إياه . فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول : « **أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة** » قالت : فأغضبته يوماً فقلت : خديجة فقال رسول الله ﷺ : « **إني قد رزقت حبها** »[2] .

هذا الحديث فيه بيان فضيلة حصلت لخديجة رضي الله عنها .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : قوله ﷺ : « **رزقت حبها** » فيه إشارة إلى أن حبها فضيلة حصلت[3] .

ومن هذا يتبين أن « حبه ﷺ لما تقدم ذكره من الأسباب وهي كثيرة كل منها كان سبباً في إيجاد المحبة »[4] .

٨ - ومما حظيت به رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يرتاح لسماع صوت من يشبه صوته صوتها لما وضع الله لها في قلبه من المحبة رضي الله عنها وأرضاها . فقد روى الشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت :

---

(١) عارضة الأحوذي بشرح الترمذي ٢٥٢/١٤ .

(٢) صحيح مسلم ١٨٨٨/٤ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠١/١٥ .

(٤) انظر فتح الباري ١٣٧/٧ .

استأذنت هالة بنت خويلد - أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك فقال : « اللهم هالة » قالت : فغرت فقلت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها [(١)] .

« في هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد وحفظ الود ، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حياً وميتاً ، وإكرام معارف ذلك الصاحب »[(٢)] .

فلقد أكرم الرسول ﷺ خديجة رضي الله عنها إكراماً بالغاً في حال الحياة وبعد الممات .

١٠ - ومما دل على جلالة قدرها أن الباري - جل وعلا - أرسل إليها السلام مع جبريل وأمر نبيه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب اللؤلؤ المجوف المنظوم بالدر والياقوت . فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أتى جبريل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » .

وروى أيضاً بإسناده إلى إسماعيل بن أبي خالد قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما : بشّر النبي ﷺ خديجة ؟ قال : نعم ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب »[(٣)] .

هذان الحديثان تضمنا ذكر منقبتين عظيمتين لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها :

* **الأولى** : إرسال الرب - جل وعلا - سلامه عليها مع جبريل « وهذه خاصة

---

(١) صحيح البخاري ٣١٦/٢ ، صحيح مسلم ١٨٨٩/٤ .

(٢) انظر شرح النووي ٢٠٢/١٥ .

(٣) صحيح البخاري ٣١٥/٢ - ٣١٦ .

لا تعرف لامرأة سواها »[1] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « قوله : فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، زاد الطبراني في الرواية المذكورة فقالت : « هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام » ، وللنسائي من حديث أنس قال : « قال جبريل للنبي ﷺ : إن الله يقريء خديجة السلام يعني فأخبرها » فقالت : إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته »[2] ... قال العلماء : في هذه القصة دليل على وفور فقهها لأنها لم تقل « وعليه السلام » كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون في التشهد « السلام على الله فنهاهم النبي ﷺ وقال : « **إن الله هو السلام ، فقولوا التحيات لله** » فعرفت خديجة لصحة فهمها أن الله لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين لأن السلام اسم من أسماء الله وهو أيضاً دعاء بالسلامة وكلاهما لا يصلح أن يرد به على الله فكأنها قالت : كيف أقول عليه السلام والسلام اسمه ومنه يطلب ومنه يحصل فيستفاد منه أنه لا يليق بالله إلا الثناء عليه فجعلت مكان رد السلام عليه الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره فقالت : وعلى جبريل السلام ثم قالت : وعليك السلام ويستفاد منه رد السلام على من أرسل السلام وعلى من يبلغه والذي يظهر أن جبريل كان حاضراً عند جوابها فردت عليه وعلى النبي ﷺ مرتين مرة بالتخصيص ومرة بالتعميم ، وقيل إنما بلغها جبريل عليه السلام من ربها بواسطة النبي ﷺ احتراماً للنبي ﷺ وكذلك وقع له لما سلم على عائشة لم يواجهها بالسلام بل راسلها مع النبي ﷺ[3] .

* **الثانية** : التي اشتملت عليها تلك الأحاديث لخديجة رضي الله عنها هي قول جبريل عليه السلام للنبي ﷺ : « وبشرها ببيت في الجنة من

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ١/١٠٥ .

(٢) فضائل الصحابة ص ١٩٨ .

(٣) فتح الباري ٧/١٣٩ ، وانظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله محمد الغنيمان ٢/٣٦٩ - ٣٧٠ .

قصب لا صخب فيه ولا نصب » وببيان معنى هذه المنقبة بأقوال أهل العلم يتبين حال خديجة وما كانت عليه من القدر العظيم رضي الله عنها . فقوله : « وبشرها ببيت » فقد قال أبو بكر الإسكافي في « فوائد الأخبار » : المراد به بيت زائد على ما أعد الله لها من ثواب عملها ولهذا قال : « لا نصب فيه » أي : لم تتعب بسببه[1] . وقال السهيلي : « لذكر البيت معنى لطيف لأنها كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي ﷺ بيت إسلام إلا بيتها وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضاً غيرها قال : وجزاء الفعل يذكر غالباً بلفظه وإن كان أشرف منه فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر[2] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « وفي البيت معنى آخر لأن مرجع أهل بيت النبي ﷺ إليها لما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ قالت أم سلمة : لما نزلت دعا النبي ﷺ فاطمة وعلياً والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال : « **اللهم هؤلاء أهل بيتي** » الحديث أخرجه الترمذي[3] وغيره ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة لأن الحسنين من فاطمة وفاطمة بنتها وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها » اهـ[4] . وقوله ﷺ : « **من قصب** » قال ابن التين : المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف قال الحافظ عند الطبراني في الأوسط : « من طريق أخرى عن ابن أبي أوفى : « يعني قصب اللؤلؤ » وعنده في الكبير من حديث أبي هريرة « بيت من لؤلؤة مجوفة » وعنده في « الأوسط من حديث فاطمة قالت : قلت يا رسول الله : أين أمي

---

(١) الروض الأنف ٢٧٨/١ ، فتح الباري ١٣٨/٧ .

(٢) الروض الأنف ٢٧٨/١ - ٢٧٩ ، فتح الباري ١٣٨/٧ .

(٣) سنن الترمذي ٣٠/٥ - ٣١ .

(٤) فتح الباري ١٣٨/٧ .

خديجة ؟ قال : « **في بيت من قصب** » ، قلت : أمن هذا القصب ؟ قال : « **لا ؛ من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت** »[1] .

قال السهيلي : النكتة في قوله : « **من قصب** » ولم يقل من لؤلؤ أن في لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها ولذا وقعت هذه المناسبة في جميع ألفاظ الحديث[2] .

قال الحافظ ابن حجر : وفي القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابيبه وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها[3] .

ومعنى قوله ﷺ : « **لا صخب فيه ولا نصب** » الصخب : الصياح والمنازعة برفع الصوت ، والنصب : التعب[4] .

وقال أبو بكر بن العربي : « لا صخب فيه ولا نصب » معناه : عار عن الأذية[5] قال السهيلي : « مناسبة نفي هاتين الصفتين – أعني المنازعة والتعب – أنه ﷺ لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعاً فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك بل أزالت عنه كل نصب وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها »[6] .

١١ – ومما تميزت به رضي الله عنها أنها كانت ممن كمل من النساء . قال الحافظ ابن كثير : وروى شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قرة بن إياس

---

(١) المصدر السابق .
(٢) الروض الأنف ٢٧٩/١ ، فتح الباري ١٣٨/٧ .
(٣) فتح الباري ١٣٨/٧ .
(٤) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١٤/٣ ، ٦٢/٥ ، فتح الباري ١٣٨/٧ .
(٥) عارضة الأحوذي ٢٥٢/١٤ .
(٦) الروض الأنف ٢٧٩/١ وانظر فتح الباري ١٣٨/٧ .

رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »**[1] .

قال ابن كثير : رواه ابن مردويه في تفسيره وهذا إسناد صحيح إلى شعبة وبعده قالوا : والقدر المشترك بين الثلاث نسوة آسية ومريم وخديجة أن كلا منهن كفلت نبياً مرسلا ، وأحسنت الصحبة في كفالتها وصدقته فآسية ربت موسى وأحسنت إليه وصدقته حين بعث ، ومريم كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل وخديجة رغبت في تزويج رسول الله ﷺ بها وبذلت في ذلك أموالها وصدقته حين نزل عليه الوحي من الله - عز وجل[2] .

فهذا الحديث تضمن منقبة ظاهرة لخديجة رضي الله عنها حيث إن « لفظة الكمال تطلق على تمام الشيء وتناهيه في بابه والمراد هنا التناهي في جميع الفضائل وخصال البر والتقوى »[3] .

١٢ - ومما تميزت به رضي الله عنها : أنها لم تسؤه قط ولم تعارضه ولم ينلها منه إيلاء ولا عتب قط ولا هجر وكفى بهذه منقبة وفضيلة[4] .

١٣ - ومن مناقبها ما رواه الترمذي بإسناده إلى أنس أن النبي ﷺ قال : **« حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون »**[5] .

قوله : « حسبك : أي : يكفيك » من نساء العالمين أي : الواصلة إلى مراتب الكاملين في الاقتداء بهن وذكر محاسنهن ومناقبهن وزهدهن في الدنيا وإقبالهن

---

(١) البداية والنهاية ١٤٢/٣ .

(٢) المصدر السابق « نفس الجزء والصفحة » .

(٣) شرح النووي ١٩٨/١٥ .

(٤) جلاء الأفهام ص ١٢٥ .

(٥) سنن الترمذي ٢٦٧/٥ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

على العقبى .

قال الطيبي : حسبك مبتدأ ومن نساء متعلق به ومريم خبره والخطاب إما عام أو لأنس أي : كافيك معرفتك فضلهن عن معرفة سائر النساء[1] .

فالحديث اشتمل على منقبة عظيمة لخديجة رضي الله عنها حيث بين النبي ﷺ أنها من النساء اللاتي بلغن التناهي في جميع الفضائل وخصال البر والتقوى ، فأفضل نساء الأمة المحمدية خديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت أبي بكر الصديق وفاطمة بنت محمد عليه الصلاة والسلام وقد اختلف العلماء في تفضيل بعضهن على بعض :

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « جهات الفضل بين خديجة وعائشة متقاربة وكأنه رأى التوقف »[2] .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : « الخلاف في كون عائشة أفضل من فاطمة أو فاطمة أفضل إذا حرر محل التفضيل صار وفاقاً فالتفضيل بدون التفصيل لا يستقيم فإن أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله – عز وجل – فذلك أمر لا يطلع عليه إلا بالنص لأنه بحسب تفاضل أعمال القلوب لا بمجرد أعمال الجوارح ، وكم من عاملين أحدهما أكثر عملا بجوارحه والآخر أرفع درجة منه في الجنة ، وإن أريد بالتفضيل التفضل بالعلم فلا ريب أن عائشة أعلم وأنفع للأمة وأدت إلى الأمة من العلم ما لم يؤد غيرها واحتاج إليها خاص الأمة وعامتها ، وإن أريد بالتفضيل شرف الأصل وجلالة النسب فلا ريب أن فاطمة أفضل فإنها بضعة من النبي ﷺ وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير أخواتها وإن أريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الأمة وإذا ثبتت وجوه التفضيل وموارد الفضل وأسبابه صار الكلام بعلم وعدل ، وأكثر الناس إذا تكلم في التفضيل لم يفصل جهات

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح الترمذي ٣٨٩/١٠ .

(٢) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في كتابه « فتح الباري » ١٠٩/٧ .

الفضل و لم يوازن بينهما فيبخس الحق وإن انضاف إلى ذلك نوع تعصب وهوى لمن يفضله تكلم بالجهل والظلم »[1] .

وقال الحافظ ابن حجر : « امتازت فاطمة عن أخواتها بأنهن متن في حياة النبي ﷺ ، وأمَّا ما امتازت به عائشة من فضل العلم فإن لخديجة ما يقابله وهي أنها أول من أجاب إلى الإسلام ودعا إليه وأعان على ثبوته بالنفس والمال والتوجه التام فلها مثل أجر من جاء بعدها ولا يقدر قدر ذلك إلا الله ، وقيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة ، وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة »[2] .

وقد بين العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى أقوال العلماء في تفضيل خديجة على عائشة أو العكس وبين أن في المسألة ثلاثة أقوال فقد قال : « واختلف في تفضيلها على عائشة رضي الله عنها على ثلاثة أقوال ثالثها الوقف : وسألت شيخنا ابن تيمية فقال : اختصت كل واحدة منهما بخاصة ، فخديجة كان تأثيرها في أول الإسلام ، وكانت تسلي رسول الله ﷺ وتثبته وتسكنه ، وتبذل دونه مالها فأدركت غرة الإسلام واحتملت الأذى في الله وفي رسوله ، وكان نصرتها للرسول في أعظم أوقات الحاجة فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها ، وعائشة رضي الله عنها تأثيرها في آخر الإسلام ، فلها من التفقه في الدين وتبليغه إلى الأمة ، وانتفاع بنيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها هذا معنى كلامه »[3] .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن أشار إلى الخلاف في أي أفضل خديجة أم عائشة رضي الله عنهما : « والحق أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيّره والأحسن التوقف في ذلك إلى الله – عز وجل –

(١) بدائع الفوائد ١٦١/٣ – ١٦٢ ، وانظر « فتح الباري » ١٠٩/٧ .
(٢) فتح الباري ١٠٩/٧ .
(٣) جلاء الأفهام ص ١٢٤ ، وانظر بدائع الفوائد ١٦٢/٣ – ١٦٣ .

ومن ظهر له دليل يقطع به أو يغلب على ظنه في هذا الباب فذاك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم ، ومن حصل له توقف في هذه المسألة ، أو في غيرها فالطريق الأقوم والمسلك الأسلم أن يقول الله أعلم » اهـ[1] .

وقال القاري في المرقاه : قال السيوطي في النقاية : « نعتقد أن أفضل النساء مريم وفاطمة ، وأفضل أمهات المؤمنين خديجة وعائشة ، وفي التفضيل بينهما أقوال ثالثها : التوقف قال القاري : التوقف في حق الكل أولى إذ ليس في المسألة دليل قطعي والظنيات متعارضة غير مفيدة للعقائد المبنيات على اليقينيات »[2] .

وما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والحافظ ابن كثير في مسألة التفضيل بين خديجة وعائشة هو معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وهو القول بالتوقف وهو القول الذي تطمئن إليه النفس لما لكل واحدة منهما من الفضائل التي لا تحصى والله أعلم .

* * *

(١) البداية والنهاية ١٤٢/٣ .

(٢) المرقاة ٦١٥/٥ .

* ٢) سودة رضي الله عنها :

هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل ويقال : حسيل بن عامر بن لؤي ، وأمها الشموس بنت قيس بن زيد ابن عمرو بن لبيد بن فراش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار تزوجها رسول الله ﷺ بمكة بعد موت خديجة وقبل العقد على عائشة هذا قول قتادة وأبي عبيدة وكذلك روى عقيل عن ابن شهاب وأنه تزوج سودة قبل عائشة . وقال عبد الله بن محمد بن عقيل : تزوجها بعد عائشة وكذلك قال يونس عن ابن شهاب ولا خلاف أنه لم يتزوجها إلا بعد موت خديجة [١] .

قال الذهبي رحمه الله تعالى : « وهي أول من تزوج بها النبي ﷺ بعد خديجة وانفردت به نحواً من ثلاث سنين أو أكثر حتى دخل بعائشة ، وكانت سيدة جليلة نبيلة ضخمة وكانت أولا عند السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو العامري وهي التي وهبت يومها لعائشة رعاية لقلب رسول الله ﷺ وكانت قد فركت [٢] رضي الله عنها » [٣].

توفي النبي ﷺ وهي مع سائر من توفي عنهن من أزواجه رضي الله عنهن وأرضاهن وأم المؤمنين سودة وردت لها مناقب دلت على جلالة قدرها ورفعة شأنها رضي الله عنها وأرضاها وتلك المناقب هي :

١ - أنها رضي الله عنها كانت من السابقين الأولين إلى الإسلام . قال الحافظ ابن حجر : وأخرج ابن أبي عاصم من طريق يحيى القطان عن محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة قالت : لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون وذلك بمكة أي

---

(١) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣١٧/٤ ، أسد الغابة ٤٨٤/٥ - ٤٨٥ ، الإصابة ٤٣٠/٤ - ٤٣١ .

(٢) فركت : قال في اللسان : ٤٧٤/١٠ : « وامرأة مفركة : لا تحظى عند الرجال » .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٦٦/٢ - ٢٦٧ .

رسول الله ألا تزوج ؟ قال : « ومن ؟ » قالت : إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً . قال « فمن البكر ؟ » قالت : بنت أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر ؟ قال : « ومن الثيب ؟ » قالت : سودة بنت زمعة ، آمنت بك ، واتبعتك ، قال : « فاذهبي فاذكريهما علي » الحديث[1]. فهي رضي الله عنها من متقدمي الإيمان بالنبي ﷺ والمتبعين له .

قال ابن سعد : « وأسلمت بمكة قديماً وبايعت ، وأسلم زوجها السكران ابن عمرو وخرجا جميعاً مهاجرين إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية »[2] .

٢ - ومن حرصها على البقاء في عصمة النبي ﷺ أنها آثرت يومها في القسم حب النبي ﷺ وجعلته لعائشة إيثاراً منها لرضاه عليه الصلاة والسلام وحباً في المقام معه لتكون من أزواجه في الدنيا والآخرة .

فقد روى أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت : لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾[3] فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز »[4] .

وروى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها

---

(١) الإصابة ٣٤٨/٤ - ٣٤٩ والحديث طويل جداً وفيه أن خولة ذهبت وخطبت عائشة رضي الله عنها واستجاب لذلك الصديق وزوجه إياها وهي حينئذ بنت ست سنين ، ثم ذهبت إلى سودة وخطبتها للنبي ﷺ ورضيت بالنبي زوجاً لها ودخل بها عليه الصلاة والسلام في مكة وهاجرت بعد ذلك إلى المدينة لما هاجر إليها . والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢١٠/٦ والبيهقي في دلائل النبوة ٤١١/٢ - ٣١٢ وأورده الحافظ ابن كثير في البداية ١٥٤/٣ - ١٤٦ ، والهيثمي في المجمع ٢٢٥/٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ٥٢/٨ .

(٣) سورة النساء آية / ١٢٨ .

(٤) سنن الترمذي ٣١٥/٤ ثم قال عقبه : هذا حديث حسن صحيح غريب .

لعائشة زوج النبي ﷺ تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ [1] .

٣ - ومن مناقبها رضي الله عنها أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تمنت أن تكون في مثل هديها وطريقتها : فقد روى مسلم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها[2] من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حدة قالت : فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة قالت : يا رسول الله : قد جعلت يومي منك لعائشة ، فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين : يومها ويوم سودة [3] .

قال النووي : « وقولها : من امرأة قال القاضي : من هنا للبيان واستفتاح الكلام ولم ترد عائشة عيب سودة بذلك بل وصفتها بقوة النفس وجودة القريحة وهي الحدة بكسر الحاء »[4] .

فهذه الأحاديث اشتملت على بيان فضل أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها .

قال العلامة ابن القيم مبيناً وجه الفضل في هذه الأحاديث : « فلما توفاها الله - يقصد خديجة - تزوج بعدها سودة بنت زمعة رضي الله عنها ... وكبرت عنده وأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة رضي الله عنها فأمسكها وهذا من خواصها أنها آثرت بيومها حب النبي ﷺ تقرباً إلى رسول الله ﷺ وحباً له ، وإيثاراً لمقامها معه فكان يقسم لنسائه ولا يقسم لها وهي راضية بذلك مؤثرة لرضى رسول الله ﷺ : رضي الله عنها »[5] .

---

(١) صحيح البخاري ٩١/٢ .

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ٣٨٩/٢ : كأنها تمنت أن تكون في مثل هديها وطريقتها ومسلاخ الحية جلدها والسلخ بالكسر : الجلد .

(٣) صحيح مسلم ١٠٨٥/٢ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٤٨/١٠ .

(٥) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص ١٢٥ .

٤ – ومن مناقبها رضي الله عنها أنها كانت من محبي الإنفاق في سبيل الله .

فقد روى ابن سعد بإسناده إلى محمد بن سيرين أن عمر بن الخطاب بعث إلى سودة بنت زمعة بغرارة من دراهم فقالت : ما هذه قالوا : دراهم قالت : في الغرارة مثل التمر يا جارية بلغيني القنع . قال : ففرقتها [1] .

« توفيت رضي الله عنها في آخر زمان عمر بن الخطاب ، ويقال ماتت سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية »[2] .

* * *

(١) انظر الطبقات ٥٦/٨ .

(٢) الطبقات ٥٧/٨ ، الاستيعاب على الإصابة ٣١٨/٤ ، سير أعلام النبلاء ٢٦٧/٢ ، الإصابة ٣٣١/٤ .

* ٣) عائشة رضي الله عنها :

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان ، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ، ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست ، وقيل سبع ويجمع بأنها كانت أكملت السادسة ودخلت السابعة ، ودخل بها وهي بنت تسع وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى ، وقيل في السنة الثانية من الهجرة وكانت أحب أزواجه إليه وهي المبرأة من فوق سبع سماوات رضي الله عنها وعن أبيها ، وكانت تكنى بأم عبد الله كناها رسول الله ﷺ بابن اختها عبد الله بن الزبير ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً غيرها ولم ينزل عليه الوحي في لحاف امرأة سواها ، وكانت أعلم نساء النبي ﷺ بل هي أعلم النساء على الإطلاق ، كان الأكابر من أصحاب النبي ﷺ يرجعون إلى قولها ويستفتونها توفي النبي ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه وعنها وعن الصحابة أجمعين »[(١)] .

ومناقبها رضي الله عنها كثيرة مشهورة ومنها :

١ - ما رواه البخاري بإسناده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت : أي الناس أحب إليك قال : « **عائشة** » قلت : فمن الرجال قال : « **أبوها** » ... الحديث[(٢)] .

هذا الحديث فيه منقبة ظاهرة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي أنها كانت أحب أزواج النبي ﷺ إليه . قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى : « وهذا

---

(١) طبقات ابن سعد ٥٨/٨ ، حلية الأولياء لأبي نعيم ٤٣/٢ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٤٥/٤ - ٣٥١ ، أسد الغابة ٥٠١/٥ - ٥٠٤ ، سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢ - ٢٠١ ، البداية والنهاية ٩٨/٨ - ١٠٢ ، الإصابة ٣٤٨/٤ - ٣٥٠ ، تهذيب التهذيب ٤٣٣/١٢ .

(٢) صحيح البخاري ٢٩٠/٢ .

خبر ثابت على رغم أنوف الروافض ، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيباً وقد قال : « **لو كنت متخذاً خليلا من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام أفضل** » فأحب أفضل رجل من أمته وأفضل امرأة من أمته ، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حري أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله . وحبه عليه السلام لعائشة كان أمراً مستفيضاً »[1] .

٢ - ومن مناقبها رضي الله عنها أن جبريل أرسل إليها سلامه مع النبي ﷺ . فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ يوماً : « **يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام** » فقلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى تريد رسول الله ﷺ »[2] .

فهذا الحديث يدل على أن لها فضلا عظيماً ومنزلة عالية حتى عند الملائكة رضي الله عنها وأرضاها .

٣ - ومن مناقبها رضي الله عنها : ما رواه الشيخان في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام** »[3] .

في هذا الحديث بيان فضيلة عائشة رضي الله عنها فقد بين النبي ﷺ أن فضل عائشة زائد على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة .

قال النووي : « قال العلماء : معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه والمراد بالفضيلة نفعه والشبع منه وسهولة مساغه والالتذاذ به وتيسر تناوله وتمكن الإنسان

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤٢/٢ .

(٢) صحيح البخاري ٣٠٨/٢ .

(٣) صحيح البخاري ٣٠٨/٢ ، صحيح مسلم ١٨٩٦/٤ .

من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء الأمة » اهـ[1] .

وقال الحافظ رحمه الله تعالى : « وتقرير أن قوله : « وفضل عائشة ... إلخ لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة وقد أشار ابن حبان إلى أن أفضليتها التي يدل عليها هذا الحديث وغيره مقيدة بنساء النبي ﷺ حتى لا يدخل فيها مثل فاطمة عليها السلام جمعاً بين هذا الحديث وبين حديث : « **أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران** وأحسبه قال **وامرأة فرعون** » وقد أخرجه الحاكم بهذا اللفظ من حديث ابن عباس »[2] .

٤ - ومن مناقبها رضي الله عنها أن الله - عز وجل - لما أنزل على نبيه آية التخيير بدأ بها فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فاستن بها بقية أزواجه ﷺ . فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : « لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال : « **إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك** » قالت : وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت : ثم قال : « **إن الله - جل ثناؤه - قال** : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ إلى ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3] قالت : فقلت : ففي أي هذا أستأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت : ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت »[4] .

---

(١) شرح النووي ١٥/١٩٩ .

(٢) فتح الباري ٧/١٠٧ والحديث في المستدرك ٣/١٨٥ وقال عقبه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة وأقره الذهبي .

(٣) سورة الأحزاب آية / ٢٨ - ٢٩ .

(٤) صحيح البخاري في شرحه « فتح الباري » ٨/٥٢٠ .

هذا الحديث تضمن فضل عائشة لبدائته بها رضي الله عنها .

٥ – ومن مناقبها رضي الله عنها أن الملك أرى صورتها للنبي ﷺ قبل أن يتزوجها في سرقة[١] حرير . فقد روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول : هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول إن يك هذا من عند الله يمضه** »[٢] .

٦ – ومن مناقبها العظيمة التي دلت على عظيم شأنها وجليل قدرها أن الوحي كان ينزل على النبي ﷺ وهو في لحافها دون غيرها من نسائه عليه الصلاة والسلام . فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال : كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة قالت عائشة : فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن : يا أم سلمة ، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان أو حيث ما دار قالت : فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت : فأعرض عني فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال : « **يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها** »[٣] .

هذا الحديث تضمن منقبتين عظيمتين اختصت بهما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

* **المنقبة الأولى** : أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتحرون بهداياهم اليوم الذي يكون فيه نوبتها رضي الله عنها وأرضاها يبتغون بذلك مرضاة رسول الله

(١) سرقة حرير : أي : في قطعة من جيد الحرير وجمعها سرق ، النهاية في غريب الحديث ٣٦٢/٢ .
(٢) صحيح البخاري ٢٤٧/٣ ، صحيح مسلم ١٨٨٩/٤ – ١٨٩٠ .
(٣) صحيح البخاري ٣٠٨/٢ – ٣٠٩ .

ﷺ ولما يعلمون من شدة حبه ﷺ لها .

* **المنقبة الثانية** : نزول جبريل الأمين بالوحي على النبي ﷺ وهو في لحافها فلله ما أجلها من منقبة وما أعظمها من مكرمة اختصت بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

٧ - ومن مناقبها رضي الله عنها : شدة حب النبي ﷺ لها . فقد روى مسلم رحمه الله من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي فأذن لها فقالت : يا رسول الله ، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة وأنا ساكتة ، قالت : فقال لها رسول الله ﷺ : « **أي بنية ألست تحبين ما أحب** » ، فقالت : بلى قال : « **فأحبي هذه** » قالت : فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت وبالذي قال لها رسول الله ﷺ فقلن لها : ما نراك أغنيت عنا من شيء فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له : إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة فقالت فاطمة : والله لا أكلمه فيها أبداً ، قالت عائشة : فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش .... فاستأذنت على رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها على الحالة التي دخلت فاطمة عليها فأذن لها رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة قالت : ثم وقعت بي فاستطالت علي وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها قالت : فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر قالت : فلما وقعت بها لم أنشبها(١) حتى أنحيت عليها قالت : فقال رسول الله ﷺ وتبسم : « **إنها ابنة أبي بكر** »(٢) .

---

(١) لم أنشبها : أي أنحيت عليها : أي : لم ألبث أن قمعتها وقهرتها « انظر النهاية في غريب الحديث » ٥٢/٥ وانظر شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٧/١٥ .

(٢) صحيح مسلم ١٨٩١/٤ .

هذا الحديث فيه منقبة ظاهرة لعائشة رضي الله عنها حيث بين عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة سيدة نساء أهل الجنة أنه يحب عائشة وأشار لها أن عليها محبتها .

قال النووي رحمه الله تعالى : « اعلم أنه ليس فيه دليل على أن النبي ﷺ أذن لعائشة ولا أشار بعينه ولا غيرها بل لا يحل اعتقاد ذلك فإنه ﷺ تحرم عليه خائنة الأعين وإنما فيه أنها انتصرت لنفسها فلم ينهها وأمَّا قوله ﷺ : « **إنها ابنة أبي بكر** » فمعناه الإشارة إلى كمال فهمها وحسن نظرها والله أعلم »[1].

والعدل الذي طلبه أزواج النبي ﷺ إنما هو التسوية بينهن في محبة القلب فقد كان ﷺ مسوياً بينهن في الأفعال والمبيت ونحوه وأمَّا محبة القلب فقد كان ﷺ يحب عائشة أكثر منهن وأجمع المسلمون على أن محبتهن لا تكليف فيها لأنه لا قدرة لأحد عليها إلا الله سبحانه وتعالى وإنما يؤمر بالعدل في الأفعال »[2] .

٨ — ومن مناقبها رضي الله عنها التي دلت على عظيم شأنها ورفعة مكانتها شهادة الباري جل وعلا لها بالبراءة مما رميت به من الإفك وذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ولما أراد الخروج في غزوة بني المصطلق أقرع بينهن فخرج سهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها وذلك بعد أن نزل الحجاب فحملت عائشة في هودجها ولما فرغ ﷺ من هذه الغزوة تجهز للعودة فلما قرب من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقامت عائشة رضي الله عنها حين آذنوا بالرحيل ومشت حتى جاوزت مكان الجيش فلما قضت من شأنها أقبلت إلى الرحيل فلمست صدرها وإذ بعقد لها قد انقطع فرجعت للبحث عنه فتأخرت في طلب ذلك العقد وجاء الرهط الذين كانوا يحملون هودجها فرحلوه على بعيرها الذي كانت تركبه وهم يظنونها فيه ولخفتها رضي الله عنها لم يستنكروا عدم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه وبعثوا

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٧/١٥ .

(٢) المصدر السابق ٢٠٥/١٥ .

الجمل وساروا ووجدت عقدها رضي الله عنها بعد أن ذهب الجيش وجاءت إلى مكانهم الذي نزلوه وإذا به ليس فيه داع ولا مجيب فقصدت مكانها الذي كانت فيه لعلهم يفقدونها ويرجعون إليه فلم يحصل من ذلك شيء ولكن الله قيض لها الصحابي الجليل صفوان بن المعطل السلمي حيث كان متأخراً عن الجيش فأصبح عند منزلها فرأى سواد إنسان نائم فأتى وإذا بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فعرفها فجعل يسترجع حتى استيقظت باسترجاعه ولم يكلمها رضي الله عنه بأي كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه فأناخ لها راحلته فركبتها وانطلق يقود بها تلك الراحلة حتى لحق بالنبي ﷺ وأصحابه فهلك في شأنها من هلك وعصم من ذلك من عصم وكان الذي تولى كبره في حادثة الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول وأخذ المنافقون في نشر هذه الحادثة يحيكونها بالكذب والبهت حتى تأذى من ذلك رسول الله ﷺ أذى شديداً ونزل بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من الغم والهم ما الله به عليم حيث تأخر نزول الوحي بتبرئتها شهراً كاملا وبينما رسول الله ﷺ يفاتح عائشة في ذلك الأمر وهي عند أبويها[1] إلا والوحي ينزل بتبرئتها في عدد من آيات القرآن العظيم من سورة النور كانت درساً بليغاً لأهل الإيمان وشهادة من الله بتبرئة أم المؤمنين ، وماتت تلك الفتنة يومئذ ولقي من تخوضوا فيها جزاءهم والآيات التي نزلت بتبرئتها رضي الله عنها هي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[2] .

وعدد هذه الآيات لا ينقص عن ثماني عشرة آية تولى الله فيها الدفاع بنفسه

---

(1) انظر قصة الإفك على سبيل التفصيل في « صحيح البخاري » ١٦٣/٣ - ١٦٦ ، صحيح مسلم ٢١٢٩/٤ - ٢١٣٧ .

(2) سورة النور آية / ١١ - ٢٨ .

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبين أن ما رميت به كان إفكاً وهل الإفك إلا الكذب والبهت والافتراء وحذر من العودة إليه أبداً ، وتوعد الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات باللعنة في الدنيا والآخرة ، والآية الأخيرة من تلك الآيات هي قوله تعالى : ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يعني أن عائشة ما كانت تصلح لرسول الله ﷺ شرعاً ولا قدراً لو كانت خبيثة وأن الله ما كان ليجعل عائشة زوجاً لرسوله إلا وهي طيبة لأنه أطيب من كل طيب من البشر عليه الصلاة والسلام كما صرح الله ببراءتها في قوله﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ ووعدها بالمغفرة والرزق الكريم ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾وليس لهذا من تفسير إلا أن الباري – جل وعلا – شهد لها بحقيقة الإيمان وبشرها بالموت عليه لتفوز بعد ذلك بالمغفرة والرزق الكريم في الآخرة وبعد هذا لا يجوز لإنسان يؤمن بالله وكلماته أن ينسب أم المؤمنين عائشة إلى شيء من الخبث والريبة ومن وقع في مثل هذا فليس من تفسير لصنعه هذا إلا الكفر البواح والردة الصراح .

قال العلامة ابن القيم : « ومن خصائصها أن الله – سبحانه – برأها بما رماها به أهل الإفك وأنزل في عذرها وبراءتها وحياً يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة وشهد لها بأنها من الطيبات ووعدها المغفرة والرزق الكريم وأخبر – سبحانه – أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها ولا خافضاً من شأنها بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء فيالها من منقبة ما أجلها وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشيء عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها حيث قالت: «ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحي يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها»[1] فهذه صديقة الأمة وأم المؤمنين وحب رسول الله ﷺ وهي

(١) جزء من حديث الإفك انظر صحيح البخاري ١٦٥/٣ .

تعلم أنها بريئة منه مظلومة وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها قد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله ﷺ »[1] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : « ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان غار الله لها فأنزل براءتها في ... آيات من القرآن تتلى على تعاقب الزمان ... وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها واختلفوا في بقية أمهات المؤمنين هل يكفر من قذفهن أم لا ؟ على قولين : وأصحهما أنه يكفر لأن المقذوفة زوجة رسول الله ﷺ والله تعالى إنما غضب لها لأنها زوجة رسول الله ﷺ فهي وغيرها منهن سواء »[2] .

٩ - ومما كان تشريفاً وتكريماً لها ما رواه البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير : جزاك الله خيراً ، فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً وجعل فيه للمسلمين بركة[3] .

في هذا الحديث فضيلة ظاهرة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها تضمنها قوله : « جزاك الله خيراً ... » إلخ الحديث فما نزل بها أمر إلا جعل الله لها منه مخرجاً وجعله لأمة محمد تخفيفاً وتيسيراً وبركة .

١٠ - ومنها أن النبي ﷺ لما لحق بالرفيق الأعلى كان في بيتها وبين سحرها ونحرها وكان مسنداً ظهره إلى صدرها « وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة

---

(١) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص ١٢٦ .

(٢) البداية والنهاية ٩٩/٨ وانظر تفسير القرآن العظيم ٧٦/٥ .

(٣) صحيح البخاري ٣٠٨/٢ .

من ساعاته في الدنيا وأول ساعة من الآخرة ودفن في بيتها »[1] فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول : « **أين أنا غداً ؟** » حرصاً على بيت عائشة قالت عائشة : فلما كان يومي سكن »[2] .

وعند مسلم عنها رضي الله عنها قالت : إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول : « **أين أنا اليوم أين أنا غداً** » استبطاء ليوم عائشة قالت : فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري .

وروى مسلم أيضاً بإسناده إلى عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة أنها أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت وهو مسند إلى صدرها وأصغت إليه وهو يقول : « **اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق** » . وفي رواية أخرى عنها أن آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله : « **اللهم الرفيق الأعلى** »[3] .

١١ - روى الإمام البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها [4] .

قال الحافظ الذهبي : « قلت : وهذا من أعجب شيء أن تغار رضي الله عنها من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبي ﷺ بعائشة بمديدة ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي ﷺ فهذا من ألطاف الله بها وبالنبي ﷺ لئلا يتكدر عيشهما ولعله إنما خفّف أمر الغيرة عليها حب النبي ﷺ وميله

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ١٨٩/٢ ، البداية والنهاية ٩٩/٨ .
(٢) صحيح البخاري ٣٠٨/٢ .
(٣) هذه الأحاديث الثلاثة في صحيح مسلم ١٨٩٣/٤ - ١٨٩٤ .
(٤) صحيح البخاري ٣١٥/٢ .

إليها فرضي الله عنها وأرضاها »[1] .

١٢ - ومنها إخبار المصطفى عليه الصلاة والسلام إياها بأنها من أصحاب الجنة . فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله مَن مِن أزواجك في الجنة ؟ قال : « **أما إنك منهن** » قالت : فخيل إلي أن ذاك أنه ، لم يتزوج بكراً غيري [2] .

١٣ - ومنها أن كبار الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا أشكل عليهم الأمر من الدين استفتوها فيجدون علمه عندها . فقد روى أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً [3] .

وقال عروة : ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة ولم ترو امرأة ولا رجل غير أبي هريرة - عن رسول الله ﷺ من الأحاديث بقدر روايتها رضي الله عنها .

وقال أبو الضحى عن مسروق : رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض .

وقال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواجه لكان علم عائشة أفضل[4] .

وقد أثنى عليها بعض الصحابة بما يبين أنها وجيهة في الدنيا والآخرة فقد روى أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى عمرو بن غالب : « أن رجلا نال من عائشة عند عمار بن ياسر - فقال له : - أغرب مقبوحاً منبوحاً أتؤذي حبيبة رسول الله

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦٥/٢ .

(٢) المستدرك ١٣/٤ ثم قال عقبه : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي » .

(٣) سنن الترمذي ٣٦٥/٥ وقال عقبه : « هذا حديث حسن صحيح غريب » .

(٤) انظر هذه الآثار في « سير أعلام النبلاء » ١٨٣/٢ وما بعدها ، البداية والنهاية ١٠٠/٨ .

ﷺ[1] .

وفي صحيح البخاري عن أبي وائل قال : لما بعث علي عماراً والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم خطب عمار فقال : إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[2] .

قال الحافظ رحمه الله تعالى شارحاً لقول عمار : « إني لأعلم أنها زوجته » أي : زوجة النبي ﷺ « في الدنيا والآخرة » وعند ابن حبان من طريق سعيد ابن كثير عن أبيه « حدثتنا عائشة أن النبي ﷺ قال لها : « **أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة** » فلعل عماراً كان سمع هذا الحديث من النبي ﷺ وقوله : في الحديث « لتتبعوه أو إياها » قيل : الضمير لعلي لأنه الذي كان عمار يدعو إليه والذي يظهر أنه لله والمراد باتباع الله اتباع حكمه الشرعي في طاعة الإمام وعدم الخروج عليه ولعله أشار إلى قوله : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[3] فإنه أمر حقيقي خوطب به أزواج النبي ﷺ ولهذا كانت أم سلمة تقول : لا يحركني ظهر بعيري حتى ألقى النبي ﷺ والعذر في ذلك عن عائشة أنها كانت متأولة هي وطلحة والزبير وكان مرادهم إيقاع الإصلاح بين الناس وأخذ القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنهم أجمعين وكان رأى علي الاجتماع على الطاعة وطلب أولياء المقتول القصاص ممن يثبت عليه القتل بشروطه »[4] .

وروى البخاري بإسناده إلى القاسم بن محمد أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس فقال : يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر[5] .

---

(١) سنن الترمذي ٣٦٥/٥ وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(٢) صحيح البخاري ٣٠٨/٢ .
(٣) جزء من الآية رقم / ٣٣ / من سورة الأحزاب .
(٤) فتح الباري ١٠٨/٧ .
(٥) صحيح البخاري ٣٠٨/٢ .

في هذا فضيلة عظيمة لعائشة رضي الله عنها حيث قطع لها رضي الله عنه بدخول الجنة إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف[1].

وروى الإمام أحمد بسنده إلى عبد الله بن أبي مليكة أنه حدثه ذكوان – حاجب عائشة – أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة فجئت – وعند رأسها عبد الله بن أخيها عبد الرحمٰن – فقلت : هذا ابن عباس يستأذن فأكب عليها ابن أخيها عبد الله فقال : هذا عبد الله بن عباس يستأذن – وهي تموت فقالت : دعني من ابن عباس فقال : يا أماه إن ابن عباس من صالح بنيك يسلم عليك ويودعك فقالت : ائذن له إن شئت قال : فأدخلته فلما جلس قال : أبشري فقالت : بماذا ؟ فقال : ما بينك وبين أن تلقي محمداً والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد ، وكنت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله ﷺ وأصبح الناس وليس معهم ماء فأنزل الله آية التيمم فكان ذلك في سببك ، وما أنزل الله من الرخصة لهذه الأمة ، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات جاء بها الروح الأمين ، فأصبح ليس من مساجد الله إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار . فقالت : دعني منك يا ابن عباس والذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً[2].

والأحاديث في فضلها ومناقبها كثيرة جداً وحسبنا هنا ما تقدم .

* * *

---

(١) انظر فتح الباري ١٠٨/٧ ، عمدة القاري ٢٥١/١٦ .

(٢) المسند مع الفتح الرباني ١٢٦/٢٢ .

* ٤) حفصة رضي الله عنها :

هي حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وهي أخت عبد الله لأبيه وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجرة « وكانت قبله عند خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم وكان بدرياً شهد بدراً مع رسول الله ﷺ فلم تلد له شيئاً ولم يشهد من بني سهم بدراً غيره »[١] وولدت رضي الله عنها قبل المبعث بخمس سنين وتوفيت سنة خمس وأربعين[٢].

وقد وردت مناقبها رضي الله عنها في أحاديث دلت على عظم شأنها ورفعة مكانتها ومنها :

١ - روى ابن سعد بإسناده إلى أبي الحويرث قال : تزوج خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم حفصة بنت عمر بن الخطاب فكانت عنده وهاجرت معه إلى المدينة[٣] .

في هذا منقبة لأم المؤمنين حفصة وهي أنها كانت ممن حظي بشرف الهجرة التي لا مثل لها في الأجر والثواب .

٢ - روى البخاري رحمه الله بإسناده إلى سالم بن عبد الله أنه سمع عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما يحدث أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي بالمدينة فقال عمر بن الخطاب : أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال : سأنظر في أمري فلبثت ليالي ، ثم لقيني فقال : بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا ،

---

(١) تاريخ ابن جرير ١٦٤/٣ .

(٢) انظر ترجمتها في « طبقات ابن سعد » ٨١/٨ - ٨٦ ، المستدرك ١٤/٤ ، حلية الأولياء ٥٠/٢ - ٥١ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٦٠/٤ - ٢٦١ ، صفة الصفوة ١٤٦/١ ، أسد الغابة ٤٢٥/٥ ، جلاء الأفهام ص ١٢٧ ، سير أعلام النبلاء ٢٢٧/٢ - ٢٣١ ، البداية والنهاية ٣٣/٨ ، الإصابة ٢٦٤/٤ - ٢٦٥ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨١/٨ .

قال عمر : فلقيت أبا بكر الصديق فقلت إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر ، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً وكنت أوجد عليه مني على عثمان فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال : فلعلك وجدت عليّ حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً قال عمر : قلت : نعم قال أبو بكر : فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها [1].

٣ - ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في كتابه « فتح الباري » بقوله: «ووقع في رواية ربعي بن حراش عن عثمان عند الطبري وصححه هو والحاكم» [2] أن عثمان خطب إلى عمر بنته فرده فبلغ ذلك النبي ﷺ فلما راح إليه عمر قال: « **يا عمر ألا أدلك على ختن خير من عثمان وأدل عثمان على ختن خير منك؟** » قال: نعم يا نبي الله قال: « **تزوجني بنتك وأزوج عثمان بنتي** » قال الحافظ الضياء : إسناده لا بأس به لكن في الصحيح أن عمر عرض على عثمان حفصة فرد عليه : «قد بدا لي أن لا أتزوج » قلت: أخرج ابن سعد [3] من مرسل الحسن نحو حديث ربعي، ومن مرسل سعيد بن المسيب أتم منه وزاد في آخره «فخار الله لهما جميعاً » [4] ويحتمل في الجمع بينهما أن يكون عثمان خطب أولاً إلى عمر فرده كما في رواية ربعي ، وسبب رده يحتمل أن يكون من جهتها وهي أنها لم ترغب في التزوج عن قرب من وفاة زوجها، ويحتمل غير ذلك من الأسباب التي لا غضاضة فيها على عثمان في رد عمر له ، ثم لما ارتفع السبب بادر عمر فعرضها على عثمان رعاية لخاطره كما في حديث الباب ، ولعل عثمان بلغه ما بلغ أبا بكر من ذكر النبي ﷺ لها فصنع كما صنع من ترك إفشاء ذلك ورد على عمر بجميل » [5] .

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه « فتح الباري » ١٧٥/٩ - ١٧٦ وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٨٢/٨ .

(٢) المستدرك ١٠٧/٣ وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

(٣) الطبقات ٨٢/٨ .

(٤) المصدر السابق ٨٣/٨ .

(٥) فتح الباري ١٧٦/٩ - ١٧٧ .

٤ – روى الطبراني بإسناده إلى قيس بن يزيد أن رسول الله ﷺ طلّق حفصة تطليقة ... فجاء النبي ﷺ فدخل فتجلببت فقال النبي ﷺ : « **أتاني جبريل عليه السلام فقال : راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وأنها زوجتك في الجنة** »[1].

في هذا الحديث تنبيه على فضلها والثناء عليها بكثرة الصيام والقيام والإخبار بأنها زوجته ﷺ في الجنة .

قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى : « طلقها تطليقة ثم ارتجعها وذلك أن جبرائيل عليه السلام قال له : راجع حفصة فإنها قوامة وصوامة وأنها زوجتك في الجنة »[2] . وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : « ومن خواصها : ما ذكره الحافظ أبو محمد المقدسي في مختصره في السيرة : أن النبي ﷺ طلقها فأتاه جبريل فقال : « إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة وأنها زوجتك في الجنة »[3] .

وقال الذهبي رحمه الله تعالى : « وروي أن النبي ﷺ طلق حفصة تطليقة ثم راجعها بأمر جبريل عليه السلام له بذلك وقال : « **إنها صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة** »[4] .

وكل ما تقدم من ذكر مناقبها رضي الله عنها يدل على أنها كانت على جانب عظيم من رفعة مكانتها وجلالة قدرها رضي الله عنها وأرضاها .

* * *

---

(١) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٩/٢٤٥ وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح » .
(٢) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٤/٢٦١ .
(٣) جلاء الأفهام ص ١٢٧ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٢/٢٢٨ .

* ٥) زينب بنت خزيمة رضي الله عنها :

هي زينب بنت خزيمة بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وكانت يقال لها أم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم وكانت قبل النبي ﷺ تحت عبد الله بن جحش فاستشهد بأحد فتزوجها النبي ﷺ ، وقيل : كانت تحت الطفيل بن الحارث بن المطلب ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث وهي أخت ميمونة بنت الحارث لأمها وكان دخوله ﷺ بها بعد دخوله على حفصة بنت عمر ، ثم لم تلبث عنده عليه الصلاة والسلام إلا شهرين أو ثلاثة ثم ماتت »[١] .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : « وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت تحت عبد الله بن جحش تزوجها سنة ثلاث من الهجرة وكانت تسمى أم المساكين لكثرة إطعامها المساكين و لم تلبث عند رسول الله ﷺ إلا يسيراً شهرين أو ثلاثة وتوفيت رضي الله عنها »[٢] .

وقال الزهري رحمه الله تعالى : « تزوج النبي ﷺ زينب بنت خزيمة وهي أم المساكين سميت بذلك لكثرة إطعامها المساكين وهي من بني عامر بن صعصعة وتوفيت ورسول الله ﷺ حي »[٣] .

وقال محمد بن إسحاق : « تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين وكانت قبله عند الحصين ، أو عند الطفيل بن الحارث ماتت بالمدينة أول نسائه موتاً »[٤] .

---

(١) انظر ترجمتها في « طبقات ابن سعد » ١١٥/٨ - ١١٦ ، المستدرك للحاكم ٣٣/٤ - ٣٤ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٠٥/٤ - ٣٠٦ ، أسد الغابة ٤٦٦/٥ ، العبر ٥/١ ، سير أعلام النبلاء ٢١٨/٢ ، مجمع الزوائد ٢٤٨/٩ الإصابة ٣٠٩/٤ .

(٢) جلاء الأفهام ص ١٣٧ .

(٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٨/٩ وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٤) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٨/٩ وعزاه إلى الطبراني حيث قال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

وقال الحافظ ابن كثير : « وهي التي يقال لها أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم ، وبرها لهم وإحسانها إليهم ، وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشًا دخل بها في رمضان وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها »[1] .

وأم المؤمنين زينب بنت خزيمة وإن كان لم يرد لها مناقب تخصها على الانفراد مثل بقية أمهات المؤمنين سواها فإنه يكفيها نزول القرآن فيهن على وجه العموم ومخاطبة الرب لهن جميعاً . مثل قوله تعالى : ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[2] وقوله : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾[3] . وقوله - عز شأنه - : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[4] .

قال عبد الله بن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ نزلت في أزواج النبي ﷺ خاصة ، وقال عكرمة : من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ[5] .

كما يكفيها فخراً وشرفاً أنها إحدى أمهات المؤمنين اللاتي ضرب عليهن الحجاب واللاتي هن أزواج نبيه ﷺ في الدنيا والآخرة « وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة أربع للهجرة »[6] رضي الله عنها وأرضاها .

* * *

(١) البداية والنهاية ١٠٢/٤ .
(٢) سورة الأحزاب آية / ٦ .
(٣) سورة الأحزاب آية / ٣٢ .
(٤) سورة الأحزاب آية / ٣٣ - ٣٤ .
(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦٠٣/٦ ، وانظر جامع البيان للطبري ٨/٢٢ .
(٦) انظر البداية والنهاية ١٠٢/٤ ، الإصابة ٣٠٩/٤ .

* ٦) أم سلمة رضي الله عنها :

اسمها هند بنت أبي أمية واسمه حذيفة ، وقيل سهل بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية مشهورة بكنيتها معروفة باسمها كان أبوها يلقب زاد الراكب لأنه كان أحد الأجواد فكان إذا سافر لم يحمل أحد معه من رفقته زاداً بل هو كان يكفيهم ، وأمها عاتكة بنت عامر كنانية من بني فراس « وكانت أولا تحت ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد وهاجرت معه إلى الحبشة ، ثم هاجرت إلى المدينة فيقال : إنها أول ظعينة دخلت إلى المدينة مهاجرة ولما مات زوجها عبد الله بن عبد الأسد خطبها النبي ﷺ وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة إحدى وستين رضي الله عنها وأرضاها [1] .

وقد جاء ذكر مناقبها في أحاديث كثيرة منها :

١ – ما رواه الإمام مسلم بإسناده إلى أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من عبد مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها** » قالت : فلما مات أبو سلمة قلت : أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ قالت : أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت : إن لي بنتاً ، وأنا غيور فقال : « **أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها وأدعو الله أن يذهب بالغيرة** »[2].

٢ – شرفت رضي الله عنها برؤية جبريل حيث رأته عليه السلام في صورة

---

(١) انظر ترجمتها في « الطبقات لابن سعد » ٨٦/٨ – ٩٦ ، الجرح والتعديل ٤٦٤/٩ ، المستدرك للحاكم ١٦/٤ – ١٩ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٤٠٥/٤ – ٤٠٨ ، أسد الغابة ٥٨٨/٥ – ٥٨٩ ، سير أعلام النبلاء ٢٠١/٢ – ٢١٠ ، البداية والنهاية ١٣٢/٨ ، مجمع الزوائد ٢٤٥/٩ ، الإصابة ٤٠٧/٤ – ٤٠٨ .

(٢) صحيح مسلم ٦٣٢/٢ .

دحية بن خليفة الكلبي . فقد روى الشيخان في صحيحيهما عن معتمر - ابن سليمان التيمي - قال سمعت أبي عن أبي عثمان قال : « أنبئت أن جبريل أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يتحدث فقال النبي ﷺ لأم سلمة : من هذا ؟ أو كما قال . قالت هذا دحية فلما قام قالت : والله ما حسبته إلا إياه حتى خطبة النبي ﷺ يخبر خبر جبريل أو كما قال قال أبي : قلت لأبي عثمان : ممن سمعت هذا ؟ قال : من أسامة بن زيد »[1] .

قال النووي : « قوله إن أم سلمة رأت جبريل في صورة دحية هو - بفتح الدال وكسرها - وفيه منقبة لأم سلمة رضي الله عنها وفيه جواز رؤية البشر الملائكة ووقوع ذلك ويرونهم على صورة الآدميين لأنهم لا يقدرون على رؤيتهم على صورهم وكان النبي ﷺ يرى جبريل على صورة دحية غالباً ورآه مرتين على صورته الأصلية »[2] .

وقال العلامة ابن القيم : « ومن خصائصها : أن جبرائيل دخل على النبي ﷺ وهي عنده فرأته في صورة دحية الكلبي »[3] .

٣ - شهد لها الرسول ﷺ بأنها على خير فقد روى الترمذي من حديث عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال : لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال: **«اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»**. قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله قال : **«أنت على مكانك وأنت على خير»**[4] .

---

(١) صحيح البخاري مع « فتح الباري » ٣/٩ ، صحيح مسلم ١٩٠٦/٤ واللفظ للبخاري .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٨/١٦ .

(٣) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص ١٣٦ .

(٤) سنن الترمذي ٣١/٤ وقال عقبه : هذا حديث غريب من هذا الوجه من حديث عطاء عن عمر أن أبي سلمة .

قال صاحب تحفة الأحوذي : « **أنت على مكانك وأنت على خير** » يحتمل أن يكون معناه أنت خير وعلى مكانك من كونك من أهل بيتي ولا حاجة لك في الدخول تحت الكساء كأنه منعها عن ذلك لمكان علي وأن يكون المعنى أنت على خير وإن لم تكوني من أهل بيتي كذا في اللمعات قلت : الاحتمال الأول هو الراجح بل هو المتعين [1] .

٤ - أكرمها الله بالصواب والسداد فيما تشير به ومن ذلك ما أشارت به على النبي ﷺ عام الحديبية حينما أمر أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم وينحروا هديهم فتثاقلوا ذلك طمعاً منهم في أن يدخلوا مكة ويطوفوا بالبيت رضي الله عنهم وأرضاهم . فقد روى البخاري بإسناده من حديث طويل عن المسور ومروان وفيه : « فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « **قوموا فانحروا ثم احلقوا** » قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت له أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً »[2] .

فهذه الأحاديث المتقدمة التي ذكر فيها فضل أم سلمة أم المؤمنين كلها دلت دلالة واضحة على أنها كانت جليلة القدر عظيمة المكانة رضي الله عنها وأرضاها . « وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتاً وقيل : بل ميمونة »[3] .

* * *

---

(١) تحفة الأحوذي ٦٦/٩ .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣٣٢/٥ .

(٣) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص ١٣٦ ، زاد المعاد ١١٤/١ .

* ٧) زينب بنت جحش رضي الله عنها :

هي زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر الأسدي حليف بني عبد شمس وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبي ﷺ وهي أخت حمنة ، من المهاجرات الأول تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث ، وقيل : سنة خمس وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة وفيها نزلت : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾[1] وكان يدعى زيد بن محمد فلما نزلت :﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾[2] وتزوج النبي ﷺ امرأته وانتفى ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من أن الذي يتبنى غيره يصير ابنه بحيث يتوارثان إلى غير ذلك . وكانت زينب رضي الله عنها من سادة النساء ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً رضي الله عنها ، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة عشرين[3] .

ومناقبها رضي الله عنها نطق بها الكتاب والسنة فمنها :

١ - شهادة الرب - جل وعلا - لها بحقيقة الإيمان . قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾[4] فالمراد بالمؤمنة في هذه الآية زينب رضي الله عنها .

قال السيوطي : أخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « إن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل

---

(١) جزء من الآية رقم (٣٧) من سورة الأحزاب .

(٢) جزء من الآية رقم (٥) من سورة الأحزاب .

(٣) انظر ترجمتها في « الطبقات الكبرى لابن سعد » ١٠١/٨ - ١١٥ ، المستدرك ٢٣/٤ - ٢٥ حلية الأولياء لأبي نعيم ٥١/٢ - ٥٤ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٠٦/٤ - ٣١٠ . أسد الغابة ٤٦٣/٥ ، سير أعلام النبلاء ٢١١/٢ - ٢١٨ ، البداية والنهاية ١١٥/٧ ، التهذيب ٤٢٠/١٢ ، الإصابة ٣٠٧/٤ - ٣٠٨ ، مجمع الزوائد ٢٤٦/٩ - ٢٤٨ ، كنز العمال ٧٠٠/١٣ - ٧٠٤ .

(٤) سورة الأحزاب آية / ٣٦ .

على زينب بنت جحش الأسدية ، فخطبها قالت : لست بناكحته قال : بلى فانكحيه قالت : يا رسول الله ، أوامر في نفسي فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله ﷺ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا .... ﴾ قالت : قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً و قال : « **نعم** » قالت : إذن لا أعصي رسول الله قد أنكحته نفسي »[1] .

٢ - مما أكرمها الله وشرفها به أن تولى بنفسه تزويجها بنبيه من فوق سبع سموات بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة وانقضت عدتها وكانت تفخر بذلك على سائر أزواج النبي ﷺ حيث كانت تقول لهن : زوجكن أهاليكن وأنا زوجني الله من فوق سبع سموات . فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك قال : جاء زيد بن حارثة يشكو « فجعل النبي ﷺ يقول « **اتق الله وأمسك عليك زوجك** » قال أنس : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه قال : فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول : زوجكن أهاليكن وزوجني الله - تعالى - من فوق سبع سماوات » .

وروى أيضـاً بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش وأطعم عليها يومئذ خبزاً ولحماً ، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ وكانت تقول : « إن الله أنكحني في السماء »[2] .

وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد : « **فاذكرها علي** » قال : فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت : يا زينب ، أرسل رسول الله ﷺ يذكرك قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن .... » الحديث[3] .

---

(١) الدر المنثور ٦/٦٠٩ ، تفسير ابن جرير ٢٢/١١ ، تفسير ابن كثير ٥/٤٦٣ .

(٢) الحديثان في صحيح البخاري ٤/٢٨١ .

(٣) صحيح مسلم ٢/١٠٤٨ - ١٠٤٩ .

وقد حكى الله - جل وعلا - تزويجه إياها بنبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[1].

قال الذهبي رحمه الله تعالى: « فزوجها الله - تعالى - بنبيه بنص كتابه بلا ولي ولا شاهد فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق عرشه »[2].

قال الحافظ في بيان قوله تعالى في الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم... وقد أخرج الترمذي[3] من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة قالت: «لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ - يعني بالإسلام - ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ - بالعتق ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ إلى قوله ﴿قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ وأن رسول الله ﷺ لما تزوجها قالوا: تزوج حليلة ابنه فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾[4] الآية وكان تبناه وهو صغير قلت: حتى صار رجلا يقال له زيد ابن محمد فأنزل الله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ - إلى قوله - ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾ -[5].

---

(١) سورة الأحزاب آية / ٣٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/٢١١ .

(٣) سنن الترمذي ٥/٣١ - ٣٢ .

(٤) سورة الأحزاب آية / ٤٠ .

(٥) فتح الباري ٨/٥٢٤ والآية رقم (٥) من سورة الأحزاب .

٣ – ومما حظيت به وكان تكريماً لها من ربها أن آية الحجاب نزلت حين تزوجت بالنبي ﷺ . فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك قال : « أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب : لما أهديت زينب إلى رسول الله ﷺ كانت معه في البيت صنع طعاماً ودعا القوم فقعدوا يتحدثون فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ – إلى قوله – ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ فضرب الحجاب وقام القوم »[1] .

فزواجها رضي الله عنها بالنبي ﷺ كان السبب في نزول آية الحجاب .

٤ – روى الإمام مسلم بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً** » قالت فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً قالت : فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق »[2] .

وروى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ لأزواجه : « **أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً** » قالت عائشة فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد بطول اليد الصدقة قال : وكانت زينب امرأة صناعة اليد فكانت تدبغ وتخرز وتصدق في سبيل الله – عز وجل – »[3] .

قال النووي رحمه الله تعالى : « معنى الحديث أنهن ظنن أن المراد بطول اليد

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٥٢٧/٨ .

(٢) صحيح مسلم ١٩٠٧/٤ .

(٣) المستدرك ٢٥/٤ وقال عقبه : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي » .

طول اليد الحقيقية وهي الجارحة فكن يذرعن أيديهن بقصبة فكانت سودة أطولهن جارحة وكانت زينب أطولهن يداً في الصدقة وفعل الخير فماتت زينب أولهن فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود ... وفيه معجزة باهرة لرسول الله ﷺ ومنقبة ظاهرة لزينب ووقع هذا الحديث في كتاب الزكاة من البخاري بلفظ متعقد يوهم أن أسرعهن لحاقاً سودة وهذا الوهم باطل بالإجماع »[1] .

٥ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها من حديث طويل وفيه قالت عائشة : فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به ، وتقرب به إلى الله تعالى ما عدا سورة[2] من حد كانت فيها تسرع منها الفيئة[3] ... الحديث[4] .

فلقد وصفت عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين زينب بنت جحش بصفات عظيمة كلها جامعة لمكارم الأخلاق وأصول الفضائل التي طابعها البر والتقوى وكل صفة منها منقبة ظاهرة لأم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها .

كما وصفتها عائشة رضي الله عنها وصفاً عظيماً في حديث الإفك الطويل حيث قالت رضي الله عنها : وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري « **ما علمت ؟ أو ما رأيت ؟** » فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٨/١٦ - ٩ .

(٢) ما عدا سورة من حد : أي شدة الخلق وثورانه « انظر النهاية في غريب الحديث » ٤٢٠/٢ ، شرح النووي ٢٠٦/١٥ .

(٣) الفيئة : الرجوع ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف إلا أن فيها شدة خلق وسرعة غضب ، تسرع منها الرجوع أي : إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعاً ولا تصر عليه « شرح النووي » ٢٠٦/١٥ .

(٤) صحيح مسلم ١٨٩١/٤ - ١٨٩٢ .

وبصري والله ما علمت إلا خيراً . قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب[1] لها فهلكت فيمن هلك[2] هذا لفظ مسلم . ولفظ البخاري قالت رضي الله عنها : « وكانت عائشة تقول : أما زينب ابنة جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك »[3] .

ففي هذين النصين فضيلة ظاهرة لأم المؤمنين زينب رضي الله عنها .

قال الإمام الذهبي : « ويروى عن عمرة عن عائشة قالت : يرحم الله زينب لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف إن الله زوجها ونطق به القرآن وإن رسول الله ﷺ قال لنا : « **أسرعكن لحوقاً أطولكن باعاً** » فبشرها بسرعة لحوقها به وهي زوجته في الجنة »[4] .

ومناقبها رضي الله عنها التي وردت بها الأحاديث والآثار كثيرة جداً رضي الله عنها وأرضاها .

* * *

(١) وطفقت أختها حمنه تحارب لها » أي : جعلت تتعصب لها فتحكي ما يقوله أهل الإفك » شرح النووي ١١٣/١٧ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٣/١٧ .

(٣) صحيح البخاري ١٦٨/٣ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢١٥/٢ .

* ٨) جويرية بنت الحارث رضي الله عنها :

هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن جديمه وهو المصطلق ابن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو الخزاعية المصطلقية ، لما غزا النبي ﷺ بني المصطلق غزوة المريسيع في سنة خمس أو ست وسباهم وقعت جويرية رضي الله عنها في سهم ثابت بن قيس فكاتبها رضي الله عنها على نفسها ، وجاءت إلى النبي ﷺ وطلبت منه أن يعينها على ما كاتبها عليه ثابت بن قيس فعرض عليها النبي ﷺ ما هو خير لها في العاجل والآجل وهو أن يؤدى عنها ما كاتبها عليه ثابت بن قيس رضي الله عنه ويتزوجها فوافقت على ذلك وأسلمت وتزوجها سيد الخلق وأطلق لها الأسارى من قومها وكانت قبله عليه الصلاة والسلام تحت مسافع بن صفوان المصطلقي وقتل عنها في غزوة المريسيع »[١] .

وقد وردت لها مناقب في بعض الأحاديث دلت على فضلها وعظم شأنها ومنها ما يلي :

١ - مما أكرمت به رضي الله عنها أن النبي ﷺ أدى عنها كتابتها وتزوجها وكان ذلك صداقاً لها . قال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له[٢] فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحة[٣] لا يراها أحد إلا أخذت

---

(١) طبقات ابن سعد ١١٦/٨ - ١٢٠ ، المستدرك ٢٥/٤ - ٢٨ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٥١/٤ - ٢٥٤ ، أسد الغابة ٤١٩/٥ - ٤٢٠ ، مجمع الزوائد ٢٥٠/٩ ، البداية والنهاية ٥٣/٨ - ٥٤ ، تهذيب التهذيب ٤٠٧/١٢ ، الإصابة ٢٥٧/٤ - ٢٥٨ .

(٢) وقع في « مغازي الواقدي » ٤١٠/١ وقعت في السهم لثابت بن قيس وابن عم له وأن ثابتاً خلصها من ابن عمه بنخلات له في المدينة .

(٣) ملاحة : بضم الميم وتشديد اللام : أي شديدة الملاحة وهو من أبنية المبالغة ، انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣٥٥/٤ وكنت به عائشة عن جمالها .

بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيت فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي قال : « **فهل لك من خير من ذلك** ؟ » قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « **أقضي عنك كتابتك وأتزوجك** » قالت : نعم يا رسول الله قد فعلت ، قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ ، وأرسلوا ما بأيديهم قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مئة[1] أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها »[2] .

هذا الحديث تضمن منقبة ظاهرة ، وميزة شريفة لأم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها حيث إن المصطفى عليه الصلاة والسلام اتخذها زوجة له بعد أن أسلمت وصارت بذلك أماً للمؤمنين وكان زواجها بالنبي ﷺ خيراً لها

---

(١) « مئة أهل بيت » جاء في عون المعبود : « كذا بالإضافة أي : مئة طائفة كل واحدة منهن أهل بيت ولم تقل مائة هم أهل بيت لإيهام أنهم مائة نفس كلهم أهل بيت وليس مراداً وقد روى أنهم أكثر من سبعمائة « قاله الزرقاني » عون المعبود ٤٤٤/١٠ وانظر شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٣٤٥/٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢٩٤/٢ – ٢٩٥ ، كتاب السير والمغازي لابن إسحاق ص ٢٦٣ والحديث أخرجه أحمد في المسند من طريق ابن إسحاق ٢٧٧/٦ ، وأبو داود في سننه ٣٤٧/٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٧٤/٩ ، وقال صاحب عون المعبود : قال المنذري : وفيه محمد بن إسحاق بن يسار ، ثم قال صاحب عون المعبود : قلت : وقد صرح بالتحديث في رواية يونس بن بكير عنه وأخرجه أحمد في المسند اهـ . عون المعبود ٤٤١/١٠ وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « ابن إسحاق حسن الحديث إلا أنه لا يحتج به إذا خولف » اهـ . فتح الباري ٣٢/٤ . وقال الشيخ محمد ناصر الألباني : « الذي استقر عليه رأي العلماء المحققين أن حديث ابن إسحاق في مرتبة الحسن بشرطين أحدهما : أن يصرح بالتحديث ، وأن لا يخالف من هو أوثق منه » اهـ . « دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على البوطي » ص ٨٢ . وبهذا يعلم أن الحديث إسناده صحيح وهو حسن لذاته .

ولقومها فما أن علم الصحابة الكرام رضي الله عنهم بزواجها بالنبي ﷺ إلّا وأطلقوا الأسارى الذين كانوا في أيديهم من قومها إجلالا وتعظيماً لسيد الخلق عليه الصلاة والسلام لأنهم صاروا أصهاره لما تزوج بجويرية رضي الله عنها ولذلك قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها » .

٢ - ومما شرفت به أن تسميتها بهذا الاسم الذي عرفت به وهو « جويرية » إنما هو تسمية نبوية سماها به النبي ﷺ . فقد روى مسلم بإسناده إلى عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت جويرية اسمها برة فحول رسول الله ﷺ جويرية وكان يكره أن يقال : خرج من عند برة [(١)] .

٣ - كانت رضي الله عنها من المكثرات للعبادة الذاكرات الله ذكراً كثيراً . فقد روى مسلم بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن جويرية أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال : « **ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟** » قالت : نعم قال النبي ﷺ « **لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته** »[(٢)] فلقد نالت جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها بدخولها في الإسلام وزواجها بخير البرية فضلا عظيماً وخيراً كثيراً رضي الله عنها وأرضاها وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة خمسين للهجرة وقيل سنة ست وخمسين للهجرة »[(٣)] .

* * *

---

(١) صحيح مسلم ١٦٨٧/٣ .

(٢) صحيح مسلم ٢٠٩٠/٤ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٢٠/٨ ، وسير أعلام النبلاء ٤٦٣/٢ ، البداية والنهاية لابن كثير ٥٤/٨ ، مجمع الزوائد ٢٥٠/٩ .

* ٩) أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها :

اسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية زوج النبي ﷺ تكنى أم حبيبة وهي بها أشهر من اسمها وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية ولدت رضي الله عنها قبل البعثة بسبعة عشر عاماً وكانت قبل النبي ﷺ تحت عبيد الله بن جحش بن رياب بن يعمر الأسدي من بني أسد بن خزيمة ، فأسلما ثم هاجرا إلى الحبشة فولدت حبيبة وبها كانت تكنى ، ولقد أصيب زوجها بالخذلان فارتد عن الإسلام ودخل في النصرانية وفارقها وذلك من فضل الله تعالى عليها ليتم لها الإسلام والهجرة وأبدلها الله – عز وجل – من هو أفضل من كل البشر محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة أربع وأربعين للهجرة [(١)] . رضي الله عنها وأرضاها .

ولقد وردت لها بعض المناقب التي دلت على علو مكانتها وجليل قدرها رضي الله عنها وأرضاها وتلك المناقب هي :

١ – مما حظيت به رضي الله عنها أنها كانت ممن هاجر في الله الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة فارة بدينها رضي الله عنها وأرضاها . فقد روى ابن سعد والحاكم عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص قال : قالت أم حبيبة : رأيت في النوم عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه ففزعت فقلت : تغيرت والله حاله فإذا هو يقول حيث أصبح : يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية وكنت قد دنت بها ، ثم دخلت في دين محمد ، ثم قد رجعت إلى النصرانية ، فقلت : والله ما خير لك وأخبرته بالرؤيا التي رأيت له فلم يحفل بها وأكب على الخمر حتى مات فأرى في النوم كأن آتياً يقول :

---

(١) انظر ترجمتها في « الطبقات لابن سعد » ٩٦/٨ – ١٠٠ ، طبقات خليفه بن خياط ص ٣٣٢ ، الجرح والتعديل ٤٦١/٩ ، المستدرك ٢٠/٤ – ٢٣ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٩٦/٤ – ٢٩٩ ، أسد الغابة ٤٥٧/٥ ، جلاء الأفهام ص ١٢٨ – ١٣٥ سير أعلام النبلاء ٢١٨/٢ – ٢٢٣ ، البداية والنهاية ٣١/٨ ، مجمع الزوائد ٢٤٩/٩ – ٢٥٠ ، الإصابة ٢٩٨/٤ ، تهذيب التهذيب ٤١٩/٤ .

يا أم المؤمنين ففزعت فأولتها أن رسول الله ﷺ يتزوجني قالت : فما هو إلا أن انقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن فإذا جارية له يقال لها : أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فدخلت عليّ فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله ﷺ كتب إليّ أن أزوجكه فقالت : بشرك الله بخير قالت : يقول لك الملك : وكلي من يزوجك فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته ... الحديث[1] .

في هذا بيان فضيلة ظاهرة لأم حبيبة رضي الله عنها وهي أنها كانت ممن شرف بالهجرة إلى أرض الحبشة .

وقال ابن سعد : « وكان عبيد الله بن جحش هاجر بأم حبيبة معه إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فتنصر وارتد عن الإسلام وتوفي بأرض الحبشة ، وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها »[2] .

وقال الحافظ ابن كثير : أسلمت قديماً وهاجرت هي وزوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة فتنصر هناك زوجها وثبتت على دينها رضي الله عنها[3] .

٢ — ومما فيه تنويه بشأنها أن النبي ﷺ بعث من يخطبها له إلى الحبشة . فقد روى الحاكم بإسناده إلى جعفر بن محمد بن علي عن أبيه قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي يخطب عليه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت تحت عبيد الله بن جحش فزوجها إياه وأصدقها النجاشي أربعمائة دينار[4] .

قال أبو جعفر محمد بن جرير : « فما نرى عبد الملك بن مروان وقّت

---

(١) الطبقات الكبرى ٩٧/٨ ، المستدرك ٢٠/٤ — ٢١ .

(٢) الطبقات ٩٦/٨ .

(٣) البداية والنهاية ٣١/٨ .

(٤) المستدرك ٢٢/٤ ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٩٩/٨ .

صداق النساء أربعمائة دينار إلا لذلك »[1] .

روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة زوج النبي ﷺ كم أصدق رسول الله ﷺ أزواجه قالت : كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونصفاً فذلك خمسمائة درهم فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه « قال الحاكم » : هذا حديث صحيح الإسناد وعليه العمل وإنما أصدق النجاشي أم حبيبة أربعمائة دينار استعمالاً لأخلاق الملوك في المبالغة في الصنائع لاستعانة النبي ﷺ به في ذلك[2] .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : « وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان واسمها رملة .... هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتنصر بالحبشة وأتم الله لها الإسلام وتزوجها رسول الله ﷺ وهي بأرض الحبشة وأصدقها عنه النجاشي أربع مائة دينار وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري فيها إلى أرض الحبشة وولي نكاحها عثمان بن عفان ، وقيل : خالد بن سعيد بن العاص »[3] .

قال الذهبي : « وهي من بنات عم الرسول ﷺ وليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها ولا في نسائه من هي أكثر صداقاً منها ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها ، عُقد له ﷺ عليها بالحبشة وأصدقها عنه صاحب الحبشة أربع مائة دينار ، وجهزها بأشياء »[4] .

٤ – ومما زاد في قدرها وعلو شأنها أنها أكرمت فراش رسول الله ﷺ من أن يجلس عليه أبوها لما قدم المدينة لعقد الهدنة بين الرسول ﷺ وبين قريش ومنعته من الجلوس عليه لأنه كان يومئذ على الشرك ولم يكن قد أسلم . فقد روى

---

(١) ذكره عنه ابن سعد في الطبقات ٩٩/٨ ، الحاكم في المستدرك ٢٢/٤ .

(٢) المستدرك ٢٢/٤ .

(٣) جلاء الأفهام ص ١٢٨ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢١٩/٢ .

ابن سعد بإسناده إلى محمد بن مسلم الزهري قال : لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يقبل عليه رسول الله ﷺ فقام فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه فقال : يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك فقال : يا بنية لقد أصابك بعدي شر [1] .

٥ - أنها كانت شديدة الخوف من الله - جل وعلا - ومن العابدات الورعات . فقد روى ابن سعد والحاكم عن عوف بن الحارث قال : سمعت عائشة تقول : دعتني أم حبيبة زوج النبي ﷺ عند موتها فقالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك فقلت : غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحللك من ذلك فقالت : سررتيني سرك الله ، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك وتوفيت سنة أربعة وأربعين في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما [2] .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ٩٩/٨ - ١٠٠ ، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٢٣/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ١٠٠/٨ ، المستدرك ٢٢/٤ - ٢٣ وأورده الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٢٣/٢ ، وابن كثير في البداية والنهاية ٣١/٨ ، والحافظ ابن حجر في الإصابة ٣٠٠/٤ .

* ١٠) صفية بنت حيي رضي الله عنها :

هي صفية بنت حيي بن أخطب بن سعيه بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن أبي خبيب من بني النضير وهو من سبط لاوي بن يعقوب ، ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام . كانت قبل إسلامها تحت سلام ابن مشكم ، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق ، فقتل كنانة يوم خيبر فصارت صفية مع السبي فأخذها دحية الكلبي ، ثم استعادها المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فأعتقها وتزوجها ، كانت رضي الله عنها سيدة شريفة عاقلة فاضلة ذات حسب وجمال ودين رضي الله عنها ، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية رضي الله عنه [١] .

وقد وردت أحاديث كثيرة بذكر مناقبها رضي الله عنها وأرضاها منها :

١ - من إكرام الله لها أن النبي ﷺ تزوجها وجعل عتقها صداقها فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث طويل عن أنس رضي الله عنه في غزوة خيبر وفيه « قال وأصبناها عنوة[٢] وجمع السبي فجاءه دحية فقال : يا رسول الله أعطني جارية من السبي فقال : « **اذهب فخذ جارية** » فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل إلى نبي الله ﷺ فقال : يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيد قريظة والنضير ؟ ما تصلح إلا لك قال : « **ادعوه بها** » قال : فجاء بها فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: « **خذ جارية من السبي غيرها** » ... قال: وأعتقها وتزوجها فقال له ثابت : يا أبا حمزة ما أصدقها ؟ قال : نفسها أعتقها وتزوجها حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له[٣] من الليل فأصبح النبي ﷺ

---

(١) الطبقات الكبرى ١٢/٨ - ١٢٩ ، المستدرك ٢٨/٤ - ٢٩ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٣٧/٤ - ٣٣٩ ، أسد الغابة ٤٩٠/٥ - ٤٩١ ، جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص ١٣٨ ، سير أعلام النبلاء ٢٣١/٢ - ٢٣٨ ، البداية والنهاية ٥٠/٨ ، الإصابة ٣٣٧/٤ - ٣٣٩.

(٢) عنوة أي : قهراً لا صلحاً .

(٣) فأهدتها له : أي : زفتها له ﷺ .

عروساً .... الحديث[1] .

وعند الإمام مسلم أيضاً : من حديث أنس وفيه قال : « ووقعت في سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس ، ثم دفعها إلى أم سليم تصنعها له وتهيئها قال : وأحسبه قال : وتعتد في بيتها[2] وهي صفية بنت حيي ... قال : وقال الناس : لا ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد قالوا : إن حجبها فهي امرأته وإن لم يحجبها فهي أم ولد فلما أراد أن يركب حجبها فقعدت على عجز البعير فعرفوا أنه قد تزوجها » الحديث[3] .

هذان الحديثان اشتملا على بيان فضيلة ظاهرة لأم المؤمنين صفية رضي الله عنها حيث أكرمها الله - عز وجل - بالدخول في الإسلام وكتب لها الزواج برسوله ﷺ حيث صارت بذلك في أمهات المؤمنين اللاتي هن أزواج نبيه ﷺ في الدنيا والآخرة .

والحديثان يوهم ظاهرهما التعارض إذ الأول يفيد أنه ﷺ أذن لدحية في أخذه جارية من السبي فأخذ صفية فاستردها منه ، والثاني يفيد أنها وقعت في سهمه واشتراها بسبعة أرؤس وقد ذكر الجمع بينهما الحافظ حيث قال : « قال السهيلي : لا معارضة بين هذه الأخبار فإنه أخذها من دحية قبل القسم والذي عوضه عنها ليس على سبيل البيع بل على سبيل النفل قلت : وقع في رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عند مسلم أن صفية وقعت في سهم دحية وعنده أيضاً فيه « فاشتراها » من دحية بسبعة أرؤس « فالأولى في طريق الجمع أن المراد بسهمه هنا نصيبه الذي اختاره لنفسه ، وذلك أنه سأل النبي ﷺ أن يعطيه جارية فأذن له أن يأخذ جارية فأخذ صفية فلما قيل للنبي ﷺ إنها بنت ملك من ملوكهم ظهر له أنها ليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان في الصحابة مثل دحية وفوقه

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٤٦٩/٧ ، صحيح مسلم ١٠٤٣/٢ - ١٠٤٤ واللفظ له .
(٢) أي تستبرئ فإنها كانت مسبية يجب استبراؤها وجعلها في مدة الاستبراء في بيت أم سليم .
(٣) صحيح مسلم ١٠٤٥/٢ - ١٠٤٦ .

وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها ، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاص النبي ﷺ بها فإن في ذلك رضا الجميع وليس ذلك من الرجوع في الهبة من شيء ، وأما إطلاق الشراء على العوض فعلى سبيل المجاز ، ولعله عوضه عنها بنت عمها أو بنت عم زوجها[1] فلم تطب نفسه فأعطاه من جملة السبي زيادة على ذلك .

وعند ابن سعد من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس وأصله في مسلم : « صارت صفية لدحية فجعلوا يمدحونها فبعث رسول الله ﷺ فأعطى بها دحية ما رضي »[2] .

٢ – ومما دل على عظيم شأنها وجلالة قدرها أن النبي ﷺ كان يضع لها ركبته لتصعد من عليها للركوب على البعير حال رجوعه عليه الصلاة والسلام من غزوة خيبر فكانت تجله وتكرمه عليه الصلاة والسلام من أن تضع رجلها على فخذه وإنما كانت تضع ركبتها على فخذه حتى تركب . فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس رضي الله عنه قال : « قدمنا خيبر فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قتل زوجها وكانت عروساً فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه فخرج حتى بلغنا سد الصهباء حلت فبنى بها رسول الله ﷺ ثم صنع حيساً في نطع صغير ثم قال لي : آذن من حولك فكانت تلك وليمته على صفية ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب »[3] .

---

(١) وقع عند ابن إسحاق أن صفية سبيت من حصن القموص وهو حصن ابن أبي الحقيق وكانت تحت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وسبي معها بنت عمها وعند غيره بنت عم زوجها فلما استرجع النبي ﷺ صفية من دحية أعطاه بنت عمها انظر كتاب المغازي والسير ص ٢٦٤ ، الإصابة ٣٣٨/٤ ، فتح الباري ٤٦٩/٧ – ٤٧٠ .

(٢) فتح الباري ٤٧٠/٧ ، شرح النووي ٢٢٠/٩ – ٢٢١ .

(٣) صحيح البخاري ٥٢/٣ .

وقال الحافظ ابن حجر : « ووقع في مغازي أبي الأسود عن عروة فوضع رسول الله ﷺ لها فخذه لتركب فأجلت رسول الله ﷺ أن تضع رجلها على فخذه فوضعت ركبتها على فخذه وركبت »[1] .

٣ - روى محمد بن سعد بأسانيده في حديث طويل وفيه : « لم يخرج النبي ﷺ من خيبر حتى طهرت صفية من حيضها فحملها وراءه فلما صار إلى منزل على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يعرس بها فأبت عليه فوجد في نفسه فلما كان بالصهباء وهي على بريد من خيبر نزل بها هناك فمشطتها أم سليم وعطرتها . قالت أم سنان الأسلمية : وكانت من أضوأ ما يكون من النساء فدخل بأهله فلما أصبح سألتها عما قال لها ؟ فقالت : قال لي : « **ما حملك على الامتناع من النزول أولاً** » قالت : خشيت عليك من قرب اليهود فزادها ذلك عنده وذكرت أنه سر بها ولم ينم تلك الليلة لم يزل يتحدث معها »[2] .

فهذا الحديث اشتمل على فضيلة ظاهرة لأم المؤمنين صفية رضي الله عنها فلقد خشيت على النبي ﷺ من غدر اليهود إن هو نزل منزلا قريباً من خيبر لأنها خبيرة بكيد اليهود وشدة بغضهم وحقدهم على الإسلام والنبي عليه الصلاة والسلام ، ولذلك امتنعت من النزول في المنزل الأول الذي كان يبعد عن خيبر ستة أميال ولما بلغ الصهباء نزل بها وسألها عن سبب امتناعها عن النزول أولاً أوضحت له أنها تخشى عليه من اليهود فزادها ذلك منزلة ورفعة عنده عليه الصلاة والسلام وكل هذا ناشيء عن الإيمان الصادق الذي أنساها قتل أبيها وزوجها من أجل كفرهما بالله وصدهما عن سبيل الله . ولذلك سر بها المصطفى عليه الصلاة والسلام فلم ينم تلك الليلة بل استمر في مبادلتها الحديث رضي الله عنها وأرضاها .

---

(١) فتح الباري ٧/٤٨٠ .

(٢) الطبقات ٨/١٢٠ - ١٢٢ فقد رواه بثلاثة أسانيد إلى أبي هريرة وإلى أنس بن مالك وإلى أم سنان الأسلمية .

٤ – ورد التنويه بشرف نسبها فيما رواه أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « بلغ صفية أن حفصة قالت : بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال : « **ما يبكيك ؟** » قالت : قالت لي حفصة : إني ابنة يهودي فقال النبي ﷺ : « **وإنك لابنة نبي ، وإن عمك لنبي ، وإنك لتحت نبي ، ففيم تفخر عليك ؟** » ثم قال : « **اتقي الله يا حفصة** »[1] .

فهذا النص النبوي تضمن ذكر فضيلة ظاهرة لصفية رضي الله عنها حيث بين النبي ﷺ أنها من سلالة نبوية فقد هوّن عليها ما بلغها من أم المؤمنين حفصة حيث بين لها أنها ابنة نبي وهو هارون بن عمران عليه السلام وأن عمها لنبي وهو موسى بن عمران عليه السلام وأنها لتحت نبي وهو أفضل البشر وسيد ولد آدم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ومعنى قوله ﷺ : « **ففيم تفخر عليك ؟** » أي : في أي شيء تفخر حفصة عليك ومع أن كلمة حفصة رضي الله عنها كلمة صحيحة بالنظر إلى أبيها لم يرضها النبي ﷺ لأن التفاخر من عادات الجاهلية ولذلك حذر منه النبي ﷺ .

٥ – ومما هو مفخرة في حقها مدح النبي ﷺ لها بالصدق فقد أخرج ابن سعد عن زيد بن أسلم أن نبي الله ﷺ في الوجع الذي توفي فيه اجتمع إليه نساؤه فقالت صفية بنت حيي : أما والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي فغمزنها أزواج النبي ﷺ وأبصرهن رسول الله ﷺ فقال : « **مضمضن** » فيقلن من أي شيء يا نبي الله ؟ قال : « **من تغامزكن بصاحبتكن والله إنها لصادقة** »[2] .

٦ – ومنها ما رواه أبو عمر بن عبد البر فقال : وكانت صفية حليمة عاقلة

---

(١) سنن الترمذي ٣٦٨/٥ ثم قال عقبه : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٥٣/٣ .

(٢) الطبقات الكبرى ١٢٨/٨ وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٣٥/٢ ، والحافظ في الإصابة ٣٣٩/٤ .

فاضلة وروينا أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب فقالت : إن صفية تحب السبت وتصل اليهود فبعث إليها عمر فسألها فقالت : أما السبت فإني لم أحبه منذ أن أبدلني الله به يوم الجمعة ، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً وأنا أصلها ، قال ثم قالت للجارية : وما حملك على ما صنعت قالت : الشيطان . قالت : اذهبي فأنت حرة [١] .

٧ – لما اجتمع أهل الفتنة على الخليفة الثالث ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه وحصروه في الدار وقطعوا عليه الماء والطعام كان لها رضي الله عنها موقف طيب تذكر به في الآخرين فقد حاولت بقدر استطاعتها إيصال الماء والطعام إلى عثمان رضي الله عنه . فقد روى ابن سعد بإسناده إلى كنانة بن نبيه – مولى صفية – قال : كنت أقود بصفية لترد على عثمان فلقيها الأشتر[٢] فضرب وجه بغلتها حتى مالت فقالت : ردوني لا يفضحني هذا قال الحسن في حديثه : ثم وضعت خشباً من منزلها إلى منزل عثمان تنقل عليه الماء والطعام [٣] .

فقد كانت رضي الله عنها من سيدات النساء عبادة وورعاً وزهادة وبراً وصدقة رضي الله عنها وأرضاها .

* * *

---

(١) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٣٩/٤ .

(٢) اسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن مالك بن النخع النخعي الكوفي المعروف بالأشتر كان أحد الساعين في الفتنة زمن عثمان رضي الله عنه وأحد المؤلبين على عثمان وشهد حصره ، هلك سنة سبع وثلاثين « انظر ترجمته في تهذيب التهذيب » ١١/١٠ – ١٢ .

(٣) الطبقات الكبرى ١٢٨/٨ .

* ١١) ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها :

هي ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن الهزم بن روية بن عبد الله ابن هلال بن عامر بن صعصعه الهلالية ، وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة من حمير ، وقيل من كنانة وكانت قبل النبي ﷺ عند أبي رهم بن عبد العزى ، وقيل عند سبرة بن أبي رهم هذا ، وقيل عند حويطب بن عبد العزى ، وقيل : عند فروة أخيه وتزوجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة سبع لما اعتمر عمرة القضية زوجه إياها العباس بن عبد المطلب وكان يلي أمرها وهي أخت أم ولده أم الفضل بنت الحارث الهلالية لأبيها وأمها ، وتزوجها رسول الله ﷺ بسرف على عشرة أميال من مكة وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ [١] .

ولقد وردت مناقبها رضي الله عنها في أحاديث دلت على أنها كانت من سادات النساء رضي الله عنها وأرضاها .

١ – من تلك الأحاديث ما أخرجه ابن سعد بإسناده إلى علي بن عبد الله ابن عباس قال : لما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى مكة عام القضية بعث أوس ابن خولي وأبا رافع إلى العباس فزوجه ميمونة ، فأضلا بعيريهما فأقاما أياماً ببطن رابغ حتى أدركهما رسول الله ﷺ بقديد وقد ضما بعيريهما ، فسارا معه حتى قدم مكة فأرسل إلى العباس فذكر ذلك له وجعلت ميمونة أمرها إلى رسول الله ﷺ [٢] فجاء رسول الله منزل العباس فخطبها إلى العباس فزوجها إياه » [٣] .

٢ – وروى أيضاً بإسناده إلى سليمان بن يسار : أن النبي ﷺ بعث

---

(١) انظر ترجمتها في « الطبقات الكبرى لابن سعد » ١٣٢/٨ – ١٤٠ ، المستدرك للحاكم ٣٠/٤ – ٣٣ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٩١/٤ – ٣٩٥ ، أسد الغابة ٥٥٠/٥ سير أعلام النبلاء ٢٣٨/٢ – ٢٤٥ ، البداية والنهاية ٦٣/٨ ، الإصابة ٣٩٧/٤ – ٣٩٩ ، مجمع الزوائد ٢٤٩/٩ .

(٢) قال الذهبي رحمه الله تعالى : « كذا قال : وصوابه إلى العباس » سير أعلام النبلاء ٢٣٩/٢ .

(٣) الطبقات ١٣٢/٨ .

أبا رافع ورجلا من الأنصار ، فزوجاه ميمونة قبل أن يخرج من المدينة »[1] .

٣ – وروى أيضاً بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما خطب رسول الله ﷺ ميمونة جعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب فزوجها رسول الله ﷺ[2] .

في هذه الأحاديث الثلاثة منقبة عظيمة لأم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وأرضاها فقد أكرمها الله – عز وجل – بأن جعلها إحدى أمهات المؤمنين اللاتي هن أزواجه عليه الصلاة والسلام في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

٤ – روى الحاكم بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها وأقام بمكة ثلاثاً فأتاه حويطب بن عبد العزى في نفر من قريش في اليوم الثالث فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا قال : وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم فصنعت لكم طعاماً فحضرتموه قالوا : لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا فخرج بميمونة بنت الحارث رضي الله عنها حتى أعرس بها بسرف[3] .

٥ – روى الإمام أحمد بإسناده إلى أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال : كنت في بعث مرة فقال رسول الله ﷺ : « **اذهب فأتني بميمونة** » فقلت : يا رسول الله إني في البعث فقال رسول الله ﷺ : « **أليس تحب ما أحب** » فقلت : بلى قال : « **فاذهب فأتني بها** » فذهبت فجئته بها[4]

---

(١) الطبقات الكبرى ١٣٣/٨ ، وأخرجه مالك في الموطأ ٣٤٨/١ .

(٢) الطبقات ١٣٣/٨ .

(٣) المستدرك ٣١/٤ وقال عقبه : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي » وكلمة « سرف » : اسم مكان يبعد عن مكة ستة أميال وقيل سبعة وتسعة واثني عشر وهو الموضع الذي بنى فيه رسول الله ﷺ بميمونة « انظر معجم البلدان » ٢١٢/٣ .

(٤) المسند مع الفتح الرباني ١٣٧/٢٢ وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٢٤٨/٩ ، وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحسن بن علي بن أبي رافع وهو ثقة .

٦ – إن تسميتها باسم « ميمونة » إنما سماها بهذا الاسم المبارك الميمون المصطفى ﷺ . فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان اسم خالتي ميمونة برة فسماها رسول الله ﷺ ميمونة »(١) .

٧ – شهد لها المصطفى عليه الصلاة والسلام بحقيقة الإيمان واستقراره في قلبها رضي الله عنها . فقد روى الحاكم بإسناده أيضاً إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **الأخوات مؤمنات ميمونة زوج النبي ﷺ وأختها أم الفضل بنت الحارث ، وأختها سلمى بنت الحارث امرأة حمزة ، وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن** »(٢) .

هذا الحديث اشتمل على منقبة عظيمة وفضيلة ظاهرة لأم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وأخواتها اللاتي ذكرن معها رضي الله عنهن وأرضاهن .

٨ – روى أبو يعلى بإسناده إلى يزيد بن الأصم قال : « ثقلت ميمونة زوج النبي ﷺ بمكة وليس عندها أحد من بني أخيها فقالت : أخرجوني من مكة فإني لا أموت بها إن رسول الله ﷺ أخبرني أني لا أموت بمكة قال : فحملوها حتى أتوا بها سرف إلى الشجرة التي بنى بها رسول الله ﷺ تحتها في موضع الفيئة قال : فماتت فلما وضعناها في لحدها أخذت ردائي فوضعته تحت خدها في اللحد فأخذه ابن عباس فرمى به »(٣) .

فقد شاء الله تعالى لها أن تموت في المكان الذي بنى بها فيه الرسول ﷺ فقد بنى بها بسرف ، وماتت رضي الله عنها في نفس المكان الذي بنى بها فيه وفي إخبار الرسول ﷺ لها بأنها لا تموت بمكة وفهمها لذلك منقبة ظاهرة لها ، ولذلك طلبت أن يخرجوها من مكة . رضي الله عنها وأرضاها .

---

(١) المستدرك ٣٠/٤ وقال عقبه : « صحيح » ووافقه الذهبي .

(٢) المستدرك ٣٢/٤ – ٣٣ وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي » ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١٣٨/٨ .

(٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٩/٩ وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

٩ - ومن مناقبها رضي الله عنها : ما رواه ابن سعد والحاكم عن يزيد بن الأصم قال : « تلقيت عائشة وهي مقبلة من مكة أنا وابن طلحة بن عبيد الله وهو ابن أختها وقد كنا وقعنا في حائط من حيطان المدينة فأصبنا منه فبلغها ذلك فأقبلت على ابن أختها تلومه وتعذله[1] ، ثم أقبلت علي فوعظتني موعظة بليغة ثم قالت : أما علمت أن الله - تبارك وتعالى - ساقك حتى جعلك في بيت نبيه ؟ ذهبت والله ميمونة ورمي بحبلك على غاربك ، أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم[2] »[3].

فقد شهدت عائشة أم المؤمنين لميمونة رضي الله عنها بصفتين عظيمتين من صفات عباد الله المخلصين هما تقوى الله التي هي فعل المأمور وترك المنهي ، وصلة الرحم التي هي أصل من أصول الأخلاق التي حث الله عباده على صلتها وعدم قطعها .

وجزم الحافظ ابن كثير بأنها توفيت سنة إحدى وخمسين[4] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « وكانت وفاة ميمونة سنة إحدى وخمسين ونقل ابن سعد عن الواقدي أنها ماتت سنة إحدى وستين قال وهي آخر من مات من أزواج النبي ﷺ انتهى . ولولا هذا الكلام الأخير لاحتمل أن يكون قوله وستين وهماً من بعض الرواة ولكن دل أثر عائشة الذي حكاه عنها يزيد بن الأصم أن عائشة ماتت قبل الستين بلا خلاف والأثر المذكور صحيح فهو أولى من قول الواقدي ، وقد جزم يعقوب بن سفيان بأنها ماتت سنة تسع

---

(١) العذل : اللوم انظر غريب الحديث لابن الجوزي ٧٧/٢ .

(٢) قال الذهبي : « قلت : فيه دليل على أن ميمونة ماتت قبل عائشة فبطل قول من قال : ماتت سنة إحدى وستين » اهـ ، التلخيص للذهبي على حاشية المستدرك ٣٢/٤ .

(٣) الطبقات الكبرى ١٣٨/٨ ، المستدرك ٣١/٤ وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي ، وأورده الحافظ في الإصابة ٣٩٩/٤ وقال عقبه : « هذا سند صحيح » .

(٤) البداية والنهاية ٦٣/٨ .

وأربعين ، وقال غيره : ماتت سنة ثلاث وستين وقيل سنة ست وستين وكلاهما غير ثابت والأول أثبت »[1] .

فهؤلاء جملة من دخل بهن من النساء وهن إحدى عشرة[2] .

قال العلامة ابن القيم : « قال الحافظ أبو محمد المقدسي وغيره : وعقد على سبع ولم يدخل بهن .... فمن فارقها في حياتها ولم يدخل بها لا يثبت لها أحكام زوجاته اللاتي دخل بهن ومات عنهن ﷺ » اهـ[3] .

« ولا خلاف أنه ﷺ توفي عن تسع وكان يقسم منهن لثمان : عائشة ، وحفصة ، وزينب بنت جحش ، وأم سلمة ، وصفية ، وأم حبيبة ، وميمونة ، وسودة ، وجويرية »[4] .

هؤلاء أمهات المؤمنين اللاتي يجب على كل مسلم الإقرار والاعتراف بفضلهن وأنهن أمهات المؤمنين كما أطلق الله ذلك عليهن وأن من طعن فيهن أو واحدة كان فاسقاً حائداً عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

قال أبو بكر الباقلاني : « ويجب أن يعلم أن أخير الأمة أصحاب رسول الله ﷺ وأفضل الصحابة العشرة الخلفاء الراشدون الأربعة رضي الله عن الجميع وأرضاهم ونقر بفضل أهل بيت رسول الله ﷺ ، وكذلك نعترف بفضل أزواجه رضي الله عنهن وأنهن أمهات المؤمنين ، كما وصفهن الله تعالى ورسوله ونقول في الجميع خيراً ونبدع ونضلل ونفسق من طعن فيهن أو في واحدة منهن لنصوص الكتاب والسنة في فضلهم ومدحهم والثناء عليهم فمن ذكر خلاف ذلك كان فاسقاً مخالفاً للكتاب والسنة نعوذ بالله من ذلك »[5] .

---

(١) الإصابة ٣٩٩/٤ .

(٢) جلاء الأفهام ص ١٣٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٤) زاد المعاد ١١٤/١ .

(٥) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٦٨ .

ب - فضل بناته ﷺ



* ١) فضل زينب رضي الله عنها :

هي زينب بنت سيد ولد آدم محمد ﷺ ، وأمها خديجة بنت خويلد وكانت أكبر بنات رسول الله ﷺ وأول من تزوج منهن ولدت قبل البعثة بمدة قيل : إنها عشر سنين ، وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع العبشمي ، وأمه هالة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي خالة زينب بنت رسول الله ﷺ وولدت زينب لأبي العاص علياً وأمامة فتوفي علي وهو صغير وبقيت أمامة فتزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة بنت رسول الله ﷺ[١] .

ولقد وردت مناقبها رضي الله عنها في جملة من الأحاديث وهي كما يلي :

١ – روى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها أن أبا العاص بن الربيع كان فيمن شهد بدراً مع المشركين فأسره عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري فلما بعث أهل مكة في فداء أساراهم قدم في فداء أبي العاص أخوه عمرو بن الربيع وبعثت معه زينب بنت رسول الله وهي يومئذ بمكة بقلادة لها كانت لخديجة بنت خويلد من جزع ظفار – وظفار جبل باليمن – وكانت خديجة بنت خويلد أدخلتها بتلك القلادة على أبي العاص بن الربيع حين بنى بها فبعثت بها في فداء زوجها أبي العاص فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة عرفها ورق لها وذكر خديجة وترحم عليها وقال : « **إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا إليها متاعها فعلتم** » قالوا : نعم يا رسول الله فأطلقوا أبا العاص بن الربيع وردوا على زينب قلادتها وأخذ النبي ﷺ على أبي العاص أن يخلي سبيلها إليه فوعده ذلك ففعل »[٢] .

٢ – وروى أبو القاسم الطبراني والبزار عن عائشة زوج النبي ﷺ لما قدم

---

(١) انظر ترجمتها في « الطبقات لابن سعد » ٣٠/٨ – ٣٦ ، التاريخ الصغير ٧/١ ، المستدرك ٤٢/٤ – ٤٦ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٠٤/٤ – ٣٠٥ ، أسد الغابة ١٣٠/٧ ، العبر ١٠/١ ، سير أعلام النبلاء ٢٤٦/٢ – ٢٥٠ ، مجمع الزوائد ٢١٢/٩ – ٢١٦ ، الإصابة ٣٠٦/٤ .

(٢) الطبقات ٣١/٨ ، المستدرك للحاكم ٤٥/٤ وقال : « حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي » .

مكة[1] ، خرجت ابنته زينب من مكة مع كنانة أو ابن كنانة فخرجوا في طلبها فأدركها هبار بن الأسود فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها وألقت ما في بطنها فتحملت واشتجر فيها بنو هاشم وبنو أمية فقال بنو أمية : نحن أحق بها وكانت تحت ابن عمهم أبي العاص وكانت عند هند بنت عتبة بن ربيعة وكانت تقول : هذا في سبب أبيك فقال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : « **ألا تنطلق فتجيء بزينب** » قال : بلى يا رسول الله قال « **فخذ خاتمي فأعطها إياه** » فانطلق زيد فلم يزل يتلطف فلقي راعياً فقال : لمن ترعى فقال : لأبي العاص فقال : لمن هذه الغنم فقال : لزينب بنت محمد ﷺ فسار معه شيئاً ثم قال : هل لك أن أعطيك شيئاً تعطيها إياه ولا تذكره لأحد قال : نعم فأعطاه الخاتم فعرفته فقالت : من أعطاك هذا ؟ قال : رجل قالت : فأين تركته قال : بمكان كذا وكذا فسكتت حتى إذا كان الليل خرجت إليه فلما جاءته قال لها : اركبي بين يدي على بعيره قالت : لا ولكن اركب أنت بين يدي فركب وركبت وراءه حتى إذا أتت فكان رسول الله ﷺ يقول : « **هي خير بناتي أصيبت في** »[2] .

٣ - وروى البزار بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بعث رسول الله ﷺ سرية وكنت فيهم فقال : « **إن لقيتم هبار بن الأسود ونافع بن عبد عمرو فأحرقوهما** » وكانا نخسا بزينب بنت رسول الله ﷺ حين خرجت فلم تزل ضبنة[3] حتى ماتت ثم قال : « **إن لقيتموهما ، فاقتلوهما فإنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بعذاب الله** »[4] .

---

(١) كذا في المجمع ولعل الصواب « لما قدم المدينة » كما في المستدرك ٤/٤٣ .

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢١٢ - ٢١٣ ثم قال : « رواه الطبراني في الكبير والأوسط بعضه ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح » ورواه الدولابي في الذرية الطاهرة ص ٤٦ .

(٣) ضبنة : أي زمنة ، من الضبنة وهي الزمانة وهي المرض الدائم « انظر هذا المعنى في الفائق في غريب الحديث » ٢/٢٢٨ .

(٤) أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/٢٤٧ وقال المحقق : « إسناده قوي فإن روايه عن ابن لهيعة بن المبارك وقد سمع منه قبل احتراق كتبه » اهـ ، وانظر الحديث في السيرة لابن هشام ١/٦٥٧ ، =

وعند البخاري رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة قال : « بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال : « **إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار** » ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج : « **إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً وأن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما** »[1] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « ووقع في رواية ابن إسحاق **إن وجدتم هبار بن الأسود والرجل الذي سبق منه إلى زينب ما سبق فحرقوهما بالنار** » يعني زينب بنت رسول الله ﷺ وكان زوجها أبو العاص بن الربيع لما أسره الصحابة ، ثم أطلقه النبي ﷺ من المدينة وشرط عليه أن يجهز له ابنته زينب فجهزها فتبعها هبار بن الأسود ورفيقه فنخسا بعيرها فأسقطت ومرضت من ذلك والقصة مشهورة عند ابن إسحاق[2] وغيره ... إلى أن قال : وقد أسلم هبار هذا فلم تصبه السرية وأصابه الإسلام فهاجر »[3] .

٤ - روى الحاكم بإسناده إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ أن زينب بنت رسول الله ﷺ أرسل إليها أبو العاص بن الربيع أن خذي لي أماناً من أبيك ، فخرجت فأطلعت رأسها من باب حجرتها والنبي ﷺ في الصبح يصلي بالناس فقالت : أيها الناس : إني زينب بنت رسول الله ﷺ وإني قد أجرت أبا العاص ، فلما فرغ النبي ﷺ من الصلاة قال : « **أيها الناس إنه لا علم لي بهذا حتى سمعتموه ألا وإنه يجير على المسلمين أدناهم** »[4] .

= وأورده الحافظ في الإصابة ٥٦٥/٣ - ٥٦٦ وعزاه إلى تاريخ محمد بن عثمان بن أبي شيبة .

(١) صحيح البخاري ١٧٢/٢ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٦٥٤/١ ، المستدرك ٤٢/٤ - ٤٣ .

(٣) فتح الباري ١٤٩/٦ - ١٥٠ ، الإصابة ٥٦٦/٣ .

(٤) أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية ١٥٧/١ - ١٥٨ ، وابن سعد في الطبقات ٣٢/٨ والحاكم في المستدرك ٤٥/٤ ، والدولابي في الذرية الطاهرة ص ٤٧ ، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٣٦٤/٣ - ٣٦٥ .

ففي هذا الحديث منقبة ظاهرة لزينب رضي الله عنها حيث قبل جوارها لزوجها وصار ذلك سنة للمسلمين إلى يوم القيامة ، وهو أنه يجير على المسلمين أدناهم ولو كان امرأة .

٥ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى أم عطية قالت : لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال لنا رسول الله ﷺ : « **اغسلنها وتراً ثلاثاً أو خمساً واجعلن في الخامسة كافوراً أو شيئاً من كافور فإذا غسلتنها فأعلمنني** » قالت : فأعلمناه فأعطانا حقوه[١] وقال : « **أشعرنها[٢] إياه** »[٣] .

هذه الأحاديث المتقدمة كلها اشتملت على بيان مناقب عالية لزينب بنت رسول الله ﷺ حيث كانت ممن تقدم إسلامهم وممن حظي بشرف الهجرة وممن أوذي في الله وصبرت على ذلك وتحملت الأذى في ذات الله وإيماناً بما عنده من الثواب والجزاء العظيم على ذلك ، كما دلت هذه الأحاديث على أنه كان لها منزلة عظيمة عند أبيها ﷺ وكانت وفاتها رضي الله عنها في أول السنة الثامنة للهجرة[٤] .

* * *

(١) الحقو : معقد الإزار وسمي الإزار حقواً لأنه يشد على الحقو « النهاية في غريب الحديث » ٤١٧/١ ، شرح النووي ٣/٧ .

(٢) أشعرنها : أي اجعلنه شعاراً لها وهو الثوب الذي يلي الجسد لأنه يلي شعره « النهاية في غريب الحديث » ٢٨٠/٢ ، شرح النووي على صحيح مسلم ٣/٧ .

(٣) صحيح مسلم ٦٤٨/٢ .

(٤) الطبقات ٣٢/٨ ، سير أعلام النبلاء ٢٥٠/٢ ، الإصابة ٣٠٦/٤ .

* ٢) رقية رضي الله عنها :

هي رقية بنت سيد البشر ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ولدت رضي الله عنها سنة ثلاث وثلاثين من مولد أبيها ﷺ .

قال أبو عمر : « لا أعلم خلافاً أن زينب أكبر بناته ﷺ واختلف فيمن بعدها منهن ذكر أبو العباس محمد بن إسحاق السراج قال سمعت عبد الله بن محمد ابن سليمان بن جعفر بن سليمان الهاشمي قال : ولدت زينب بنت رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ ابن ثلاثين سنة وولدت رقية بنت رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ ابن ثلاث وثلاثين سنة[١] .

وكانت رضي الله عنها ممن تقدم إسلامهم فقد قال محمد بن سعد : « وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد وبايعت رسول الله ﷺ هي وأخواتها حين بايعه النساء »[٢] . وكانت رضي الله عنها قبل الهجرة تحت عتبة ابن أبي لهب ففارقها[٣] قال أبو عمر رحمه الله تعالى : « وقال مصعب وغيره من أهل النسب : كانت رقية تحت عتبة بن أبي لهب وكانت أختها أم كلثوم تحت عتيبة بن أبي لهب فلما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾[٤] قال لهما أبوهما أبو لهب وأمهما حمالة الحطب : فارقا ابنتي محمد وقال أبو لهب : رأسي من رأسيكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما »[٥] .

ولما فارقها عتبة بن أبي لهب أبدلها الله بزوج كان من السابقين الأولين إلى الإسلام ومن المبشرين بالجنة وهو ذو النورين عثمان ، فقد روى أبو القاسم

---

(١) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٤/٢٩٢ .
(٢) الطبقات ٨/٣٦ .
(٣) المصدر السابق وانظر سير أعلام النبلاء ٢/٢٥١ ، مجمع الزوائد ٩/٢١٦ - ٢١٧ .
(٤) الآية رقم (١) من سورة المسد .
(٥) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٤/٢٩٢ .

الطبراني بإسناده إلى قتادة بن دعامة السدوسي قال : كانت رقية عند عتبة بن أبي لهب فلما أنزل الله - تبارك وتعالى - ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ سأل النبي ﷺ عتبة طلاق رقية وسألته رقية ذلك فطلقها فتزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية وتوفيت عنده[1] .

وقال ابن شهاب : « فتزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية بمكة وهاجرت إلى أرض الحبشة وولدت له هناك ابناً فسماه عبد الله فكان يكنى به وقال مصعب كان عثمان يكنى في الجاهلية أبا عبد الله فلما كان الإسلام ولد له من رقية بنت رسول الله ﷺ غلام سماه عبد الله واكتنى به فبلغ الغلام ست سنين فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات ، وقال غيره توفي عبد الله بن عثمان من رقية بنت رسول الله في جمادي الأولى سنة أربع من الهجرة وهو ابن ست سنين وصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته أبوه عثمان رضي الله عنهما »[2] .

وقد وردت طائفة من الأحاديث والآثار التي فيها ذكر بعض المناقب لرقية رضي الله عنها ومنه ما يلي :

١ - كانت رضي الله عنها في صدارة من شرفوا بفضل الهجرة الأولى إلى الحبشة فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عروة في تسمية الذين خرجوا في المرة الأولى إلى هجرة الحبشة قبل خروج جعفر وأصحابه عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ[3] .

وروى ابن المبارك من طريق قتادة عن النضر بن أنس عن أبيه قال : خرج عثمان برقية إلى الحبشة مهاجراً فاحتبس خبرهما فأتت النبي ﷺ امرأة فأخبرته

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٦/٩ - ٢١٧ وقال : رواه الطبراني وفيه زهير بن العلاء ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان فالإسناد حسن ، وانظر الذرية الطاهرة ص ٥٢ .

(٢) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٩٢/٤ - ٢٩٣ ، وانظر الذرية الطاهرة ص ٥٣ .

(٣) المستدرك ٤٦/٤ .

أنها رأتهما فقال : « **منحهما الله إن عثمان أول من هاجر بأهله** »[1] .

ففي هذا منقبة لعثمان وزوجه رقية حيث إن عثمان أول من هاجر بأهله من أمة محمد ﷺ .

٣ – لما مرضت رضي الله عنها أمر المصطفى عليه الصلاة والسلام زوجها عثمان بن عفان أن يتخلف عن غزوة بدر لتمريضها . فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر قال : وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ : « **إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه** »[2] .

وقال الزبير بن بكار : كانت رقية بنت رسول الله ﷺ عند عتبة بن أبي لهب ففارقها فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة وهاجرت معه إلى أرض الحبشة فولدت له عبد الله وبه كان يكنى وقدمت معه إلى المدينة وتخلف عن بدر عليها بإذن رسول الله ﷺ وضرب له رسول الله ﷺ مع سهمان أهل بدر قال : وأجري يا رسول الله قال : « **وأجرك** »[3] .

وقال الحافظ ابن كثير : « وأما رقية فكان قد تزوجها أولا ابن عمها عتبة ابن أبي لهب ، كما تزوج أختها أم كلثوم أخوه عتيبة بن أبي لهب ، ثم طلقاهما قبل الدخول بهما بغضة في رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ . فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ فتزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية ، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة ويقال : إنه أول من هاجر إليها ثم رجعا إلى مكة وهاجرا إلى المدينة ، وولدت له ابنه عبد الله فبلغ ست سنين فنقره ديك في عينيه

---

(١) أورده الحافظ في الإصابة ٤/٢٩٨ .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٧/٥٤ .

(٣) رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٩/٢١٧ وقال الهيثمي عقبه : رواه الطبراني وروى عن الزهري بعضه ورجالهما إلى قائلهما ثقات وانظر الذرية الطاهرة للدولابي ص ٥٤ .

فمات وبه كان يكنى أولاً ، ثم اكتنى بابنه عمرو ، وتوفيت وقد انتصر رسول الله ﷺ ببدر يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، ولما أن جاء البشير بالنصر إلى المدينة - وهو زيد بن حارثة - وجدهم قد ساووا على قبرها التراب[1] ، وكان عثمان قد أقام عليها يمرضها بأمر رسول الله ﷺ وضرب له بسهمه وأجره ولما رجع زوجه بأختها أم كلثوم أيضاً ، ولهذا كان يقال له ذو النورين ثم ماتت عنده في شعبان سنة تسع ولم تلد له شيئاً وقد قال رسول الله ﷺ : « **لو كانت عندي ثالثة لزوجتها عثمان** » وفي رواية قال رسول الله ﷺ : « **لو كن عشراً لزوجتهن عثمان** »[2] .

وما تقدم من الآثار وبعض الأحاديث كلها تدل على فضل رقية بنت رسول الله ﷺ فقد أراد الله - جل وعلا - ألا تبقى بضعة من المصطفى عليه الصلاة والسلام في عصمة كافر فقد أخرج الله ابنتيه رقية وأم كلثوم من عصمة ابني أبي لهب وكتب الله لرقية أن تتزوج بعد مفارقة ابن أبي لهب لها برجل كريم تستحي منه الملائكة فكان نعم الزوج لها ونعمت الزوجة له ، هاجرا معاً إلى أرض الحبشة ليحصلا على مكان يعبدان الله تعالى فيه ليأمنا من اعتداء أهل الكفر والإشراك بالله ، ورغبة صادقة منهما في حصول ثواب الهجرة الذي لا يعدله شيء ، وكانت لها رضي الله عنها منزلة عظيمة عند النبي ﷺ يدل عليها إذنه عليه الصلاة والسلام لعثمان في أن يتأخر عن غزوة بدر التي هي أول معركة عظمى يخوضها جيش الإيمان مع جيش الكفر والشرك الذي جاء من مكة وأمره أن يتأخر لتمريضها رضي الله عنها وضرب له بسهمه في الغنيمة وأجره عند الله تعالى يوم القيامة كمن حضر الغزوة ، كل ذلك تعظيم لشأن رقية رضي الله عنها وأرضاها ولما لها من المكانة العالية عنده ﷺ .

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد ٣٧/٨ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٩٤/٤ ، سير أعلام النبلاء ٢٥٢/٢ ، البداية والنهاية ٣٨١/٣ ، مجمع الزوائد ٢١٧/٩ ، الإصابة ٢٩٨/٤ .

(٢) البداية والنهاية ٣٤٦/٥ - ٣٤٧ ، وانظر الطبقات لابن سعد ٣٨/٨ .

* ٣) أم كلثوم رضي الله عنها :

هي البضعة النبوية الثالثة أم كلثوم بنت سيد ولد آدم محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ، أمها خديجة بنت خويلد . كان عتيبة بن أبي لهب قد تزوج بأم كلثوم قبل البعثة فلم يدخل عليها حتى بعث النبي ﷺ ، فأمره أبوه بفراقها لما أنزل الله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾ قال له أبوه أبو لهب : رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته ففارقها ولم يكن دخل بها فلم تزل بمكة مع أبيها عليه الصلاة والسلام وأسلمت حين أسلمت أمها وبايعت رسول الله ﷺ مع أخواتها حين بايعه النساء وهاجرت إلى المدينة فلم تزل بها ولما توفيت أختها رقية زوجها النبي ﷺ على عثمان بن عفان وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة ، وأدخلت عليه في هذه السنة في جمادي الآخرة فلم تزل عنده إلى أن ماتت ولم تلد له شيئاً [(١)] .

وقد وردت لها مناقب دلت على أنها ذات منزلة ومقام رفيع رضي الله عنها وأرضاها وهي كما يلي :

١ – ما ذكره أبو عمر بن عبد البر حيث قال : « وكان عثمان رضي الله عنه إذ توفيت رقية قد عرض عليه عمر بن الخطاب حفصة ابنته ليتزوجها فسكت عثمان عنه لأنه قد كان سمع رسول الله ﷺ يذكرها فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال : « **ألا أدل عثمان على من هو خير له منها وأدلها على من هو خير لها من عثمان** » فتزوج رسول الله ﷺ حفصة وزوج عثمان أم كلثوم »[(٢)] .

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال : شهدنا

---

(١) الطبقات لابن سعد ٣٧/٨ – ٣٩ ، الذرية الطاهرة للدولابي ص ٥٦ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٤٦٣/٤ – ٤٦٥ ، أسد الغابة ٣٨٤/٧ ، سير أعلام النبلاء ٢٥٢/٢ – ٢٥٣ ، البداية والنهاية ٣٤٦/٣ – ٣٤٧ ، مجمع الزوائد ٢١٦/٩ – ٢١٧ ، الإصابة ٤٦٦/٤ .

(٢) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٤٦٤/٤ .

بنتاً لرسول الله ﷺ قال : ورسول الله ﷺ جالس على القبر قال : فرأيت عينيه تدمعان قال : فقال : « **هل منكم رجل لم يقارف**[1] **الليلة** » فقال أبو طلحة : أنا قال : « **فانزل** » قال فنزل في قبرها[2].

قال الحافظ : « قوله شهدنا بنتاً للنبي ﷺ هي أم كلثوم زوج عثمان رواه الواقدي عن فليح بن سليمان بهذا الإسناد وأخرجه ابن سعد في الطبقات[3] في ترجمة أم كلثوم وكذا الدولابي في الذرية الطاهرة[4] وكذلك رواه الطبري والطحاوي من هذا الوجه ورواه حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس فسماها رقية أخرجه البخاري في التاريخ الأوسط والحاكم في المستدرك[5] . قال البخاري ما أدري ما هذا فإن رقية ماتت والنبي ﷺ ببدر ولم يشهدها قلت : وهم حماد في تسميتها فقط ويؤيد الأول ما رواه ابن سعد في ترجمة أم كلثوم[6] من طريق عمرة بنت عبد الرحمٰن قالت : نزل في حفرتها أبو طلحة »[7] .

٣ - ما رواه ابن سعد في ترجمتها من أنها رضي الله عنها لما ماتت صلى على جنازتها النبي ﷺ فقد روى بإسناده إلى أسعد بن زرارة قال : صلى عليها رسول الله ﷺ وجلس على حفرتها ، ونزل في حفرتها علي بن أبي طالب والفضل ابن عباس وأسامة بن زيد [8] .

فهذا الحديث اشتمل على فضيلة ظاهرة لأم كلثوم بنت النبي ﷺ حيث كان عليه الصلاة والسلام إمام المصلين على جنازتها وكفى بها منقبة وميزة شريفة

---

(١) أي لم يجامع أهله « انظر النهاية في غريب الحديث والأثر » ٤/٤٥ .
(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣/١٥١ والإمام أحمد في المسند ٣/١٢٦ .
(٣) الطبقات الكبرى ٨/٣٨ .
(٤) الذرية الطاهرة ص ٦٠ .
(٥) المستدرك ٤/٤٧ .
(٦) الطبقات ٨/٣٨ .
(٧) فتح الباري ٣/١٥٨ .
(٨) الطبقات ٨/٣٩ .

لما في دعائه المبارك لها بالرحمة والمغفرة ورفع درجتها في الجنة رضي الله عنها وأرضاها ، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة تسع للهجرة[1] .

* * *

(١) انظر الطبقات ٣٨/٨ ، البداية والنهاية ٣٤٧/٣ ، الإصابة ٤٦٦/٤ .

* ٤) فاطمة رضي الله عنها :

هي فاطمة بنت إمام المتقين رسول الله ﷺ ، وأمها خديجة بنت خويلد ، كانت تكنى بأم أبيها[١] وقد اختلف العلماء في بناته عليه الصلاة والسلام في أيتهن أصغر قال أبو عمر بن عبد البر : « والذي تسكن إليه النفس على ما تواترت به الأخبار ترتيب بنات رسول الله ﷺ أن زينب الأولى ثم الثانية رقية ، ثم الثالثة أم كلثوم ، ثم الرابعة فاطمة الزهراء »[٢] . ولدت رضي الله عنها وقريش تبني الكعبة قبل البعثة سنة خمس وثلاثين من مولد النبي ﷺ[٣] ، زوجها النبي ﷺ علي بن أبي طالب سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر وولدت له الحسن والحسين ومحسناً وأم كلثوم ، وزينب وقد تزوج الفاروق عمر رضي الله عنه بأم كلثوم بنت علي من فاطمة في أيام خلافته وأكرمها إكراماً زائداً وأصدقها أربعين ألف درهم لأجل نسبها من رسول الله ﷺ فولدت له زيد بن عمر بن الخطاب[٤] ، ومناقب فاطمة رضي الله عنها كثيرة شهيرة ومنها ما يلي :

١ - أن النبي ﷺ كان يحبها حباً شديداً ويسر لسرورها ويغضب لغضبها رضي الله عنها . فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى بريدة رضي الله عنه قال : كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فاطمة ومن الرجال علي[٥] .

٢ - روى أيضاً : بإسناده إلى المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال : قال

---

(١) انظر أسد الغابة ٥٢٠/٥ ، الإصابة ٣٦٥/٤ .

(٢) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٦٢/٤ .

(٣) انظر الطبقات لابن سعد ٢٦/٨ .

(٤) انظر ترجمة فاطمة رضي الله عنها في « الطبقات لابن سعد ١٩/٨ - ٣٠ ، حلية الأولياء ٣٩/٢ - ٤٣ ، المستدرك ١٥١/٣ - ١٦١ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٦٢/٤ - ٣٦٩ ، أسد الغابة ٥١٩/٥ - ٥٢٤ ، سير أعلام النبلاء ١١٨/٢ - ١٣٤ ، البداية والنهاية ٣٤٧/٥ ، مجمع الزوائد ٢٠١/٩ - ٢١٢ ، الإصابة ٣٦٥/٤ - ٣٦٨ ، فتح الباري ١٠٥/٧ .

(٥) المستدرك ١٥٥/٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

رسول الله ﷺ « **إنما فاطمة شجنة[1] مني يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها** »[2] .

وقد غضب لها عليه الصلاة والسلام لما همّ علي رضي الله عنه بخطبة ابنة أبي جهل وأعلن غضبه ذلك من على المنبر .

٣ - روى الشيخان عن المسور بن مخرمة أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول : « **إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي ابن أبي طالب فلا آذن لهم ، ثم لا آذن لهم ، ثم لا آذن إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها[3] ويؤذيني ما آذاها** »[4] .

٤ - وبلفظ آخر عند مسلم قال : إن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم فقال : « **إن فاطمة مني وإني أتخوف أن تفتن في دينها** » قال : ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن قال : « **حدثني فصدقني ووعدني فأوفى لي وإني لست أحرم حلالا ولا أحل حراماً ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله مكاناً واحداً أبداً** »[5] .

٥ - وروى الشيخان عن المسور بن مخرمة أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ فلما سمعت بذلك فاطمة أتت

---

(١) شجنة : قال في النهاية ٤٤٧/٢ : وأصل الشجنة بالكسر والضم : شعبة في غصن من غصون الشجرة » والمراد بها الرحم المشتبكة .

(٢) المستدرك ١٥٤/٣ وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) قال في النهاية في غريب الحديث ٢٨٧/٢ : « يريبني ما يريبها أي : يسوئني ما يسوؤها ويزعجني ما يزعجها » .

(٤) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣٢٧/٩ ، صحيح مسلم ١٩٠٢/٤ .

(٥) صحيح مسلم ١٩٠٣/٤ .

النبي ﷺ فقالت له: إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكحاً ابنة أبي جهل . قال المسور : فقام النبي ﷺ فسمعته حين تشهد ثم قال : « **أما بعد فإني أنكحت أبا العاص ابن الربيع فحدثني فصدقني وإن فاطمة بنت محمد مضغة**[1] **مني وإنما أكره أن يفتنوها وإنها والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً** » قال : فترك علي الخطبة[2] .

٦ - روى البخاري بإسناده إلى المسور بن مخرمة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني** »[3] .

٧ - روى أبو عيسى الترمذي بسنده إلى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن علياً ذكر بنت أبي جهل فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « **إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها** »[4] .

هذه الأحاديث كلها اشتملت على بيان فضل فاطمة رضي الله عنها وبيان منزلتها من النبي ﷺ ومكانتها عنده عليه الصلاة والسلام كما دلت هذه الأحاديث على « تحريم إيذاء النبي ﷺ بكل حال وعلى كل وجه وإن تولد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحاً وهو حي وهذا بخلاف غيره وقد أعلم ﷺ بإباحة نكاح بنت أبي جهل لعلي بقوله ﷺ : « **لست أحرم حلالا** » ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين :

إحداهما : أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي ﷺ فيهلك من آذاه فنهى عن ذلك لكمال شفقته على علي وعلى فاطمة .

والثانية : خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة وقيل ليس المراد به النهي بل معناه

---

(١) المضغة : قطعة اللحم .
(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٨٥/٧ ، صحيح مسلم ١٩٠٣/٤ - ١٩٠٤ .
(٣) صحيح البخاري ٣٠٢/٢ .
(٤) سنن الترمذي ٣٦٠/٥ ثم قال : « هذا حديث حسن صحيح » .

أعلم من فضل الله أنهما لا تجتمعان ويحتمل أن المراد تحريم جمعهما ويكون معنى لا أحرم حلالا أي : لا أقول شيئاً يخالف حكم الله فإذا أحل شيئاً لم أحرمه وإذا حرمه لم أحلله ولم أسكت عن تحريمه لأن سكوتي تحليل له ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت نبي الله وبنت عدو الله[1] وصهره الذي أثنى عليه من بني عبد شمس هو أبو العاص بن الربيع زوج زينب رضي الله عنها .

قال الحافظ : « قوله : « **حدثني فصدقني** » لعله كان شرط على نفسه أن لا يتزوج على زينب وكذلك علي فإن لم يكن كذلك فهو محمول على أن علياً نسي ذلك الشرط فلذلك أقدم على الخطبة ، أو لم يقع عليه شرط إذ لم يصرح بالشرط لكن كان ينبغي له أن يراعي هذا القدر فلذلك وقعت المعاتبة وكان النبي ﷺ قل أن يواجه أحداً بما يعاب به ولعله إنما جهر بمعاتبة علي مبالغة في رضا فاطمة عليها السلام ، وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة ، ولم يكن حينئذ تأخر من بنات النبي ﷺ غيرها ، وكانت أصيبت بعد أمها بأخواتها فكان إدخال الغيرة عليها مما يزيد حزنها »[2] .

٨ – روى الطبراني بإسناده عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي** »[3] .

ففي هذا الحديث منقبة ظاهرة لفاطمة رضي الله عنها وهي أن تزويجها من علي كان بإيحاء من الله جل وعلا .

٩ – روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى علي رضي الله عنه قال : أتانا رسول الله ﷺ فوضع رجله بيني وبين فاطمة رضي الله عنها فعلمنا ما نقول إذا أخذنا مضاجعنا فقال : « **يا فاطمة إذا كنتما بمنزلتكما فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين** » . قال علي : والله ما تركتها بعد ، فقال له رجل كان في نفسه عليه شيء ولا ليلة صفين قال علي : ولا ليلة صفين »[4] .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٣/١٦ – ٤ .

(٢) فتح الباري ٨٦/٧ .

(٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٤/٩ وقال عقبه : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٤) المستدرك ١٥١/٣ – ١٥٢ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

ففي هذا بيان فضيلة ظاهرة لفاطمة وزوجها علي رضي الله عنهما .

١٠ - روى الترمذي بإسناده إلى أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : **« حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون »**(١) .

وأيضاً ما رواه الحاكم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : خط رسول الله ﷺ أربعة خطوط وقال : « **أتدرون ما هذا؟** » فقالوا : الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ : « **أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران** » وأحسبه قال : « **وامرأة فرعون** »(٢) .

١١ - وروى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال وهو في مرضه الذي توفي فيه : « **يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين ، وسيدة نساء هذه الأمة ، وسيدة نساء المؤمنين** »(٣) .

١٢ - وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى : « باب مناقب فاطمة رضي الله عنها » وقال النبي ﷺ : « **فاطمة سيدة نساء أهل الجنة** »(٤) .

١٣ - روى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران** »(٥) .

فهذه الأحاديث دلت على أن فاطمة رضي الله عنها ذات منزلة عظيمة وقدر رفيع في الدنيا والآخرة حيث أخبر عليه الصلاة والسلام بأنها سيدة نساء

---

(١) سنن الترمذي ٣٦٧/٥ ثم قال : « هذا حديث صحيح » وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٥٨/٣ وقال عقبه هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ .

(٢) المستدرك ١٨٥/٣ ، ص ١٦٠ وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) المصدر السابق ١٥٦/٣ وقال : « هذا إسناد صحيح ولم يخرجاه هكذا ووافقه الذهبي » .

(٤) صحيح البخاري ٣٠١/٢ .

(٥) المستدرك ١٥٤/٣ وقال عقبه : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي » .

العالمين وسيدة نساء هذه الأمة ، وسيدة نساء المؤمنين ، وسيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران .

١٤ – روى الترمذي بإسناده إلى أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال : « **اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي**[(١)] **أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً** »[(٢)] .

وفي هذا منقبة ظاهرة لعلي وفاطمة والحسن والحسين حيث جللهم بكسائه ودعا الله أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبيناً معنى قوله ﷺ : « **اللهم هؤلاء أهل بيتي** ... إلخ الحديث » ولما بين سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته وأعظمهم اختصاصاً به وهم علي وفاطمة رضي الله عنهما وسيدا شباب أهل الجنة جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير وبين أن قضى لهم بكمال دعاء النبي ﷺ فكان من ذلك ما دلنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من الله ليسبغها عليهم ورحمة من الله وفضل لم يبلغوهما بمجرد حولهم وقوتهم إذ لو كان كذلك لاستغنوا بهما عن دعاء النبي ﷺ كما يظن من يظن أنه قد استغنى في هدايته وطاعته عن إعانة الله تعالى له وهدايته إياه »[(٣)] .

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأن فاطمة رضي الله عنها من فضليات النساء اللاتي بلغن الذروة في الفضل لتحقيقهن الإيمان الكامل وعملهن الأعمال الصالحة التي ترضي الله – جل وعلا – فكن من أهل الدرجات العلى .

١٥ – فقد روى الشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت :

---

(١) حامتي : قال في النهاية : « حامة الإنسان خاصته ومن يقرب منه وهو الحميم » ١/٤٤٦ .

(٢) سنن الترمذي ٥/٣٦١ وقال عقبه : « هذا حديث حسن صحيح وهو أحسن شيء روي في هذا الباب » .

(٣) حقوق آل البيت ص ٢٧ – ٢٨ .

كنّ أزواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطيء مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً فلما رآها رحب بها فقال : « **مرحباً بابنتي** » ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثما سارّها فبكت بكاء شديداً فلما رأى جزعها سارّها الثانية فضحكت فقلت لها : خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار ثم أنت تبكين فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ قالت : ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره قالت : فلما توفي رسول الله ﷺ قلت : عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ فقالت : أما الآن فنعم أما حين سارني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين وإنه عارضه الآن مرتين : « **وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك** » قالت : فبكيت بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال : « **يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة** » قالت فضحكت ضحكي الذي رأيت[1] .

هذا الحديث اشتمل على مناقب رفيعة لفاطمة رضي الله عنها وهي مشابهتها في مشيها مشية أبيها عليه الصلاة والسلام وترحيبه بها ، وإجلاسه لها عن يمينه أو عن شماله واختصاصها بالمسارة دون نسائه رضي الله عنهن ولما رأى حزنها ظهر عليها بما أسره إليها بشرها ببشارة بدّلت حزنها فرحاً . وهي قوله لها : « **أما ترضين أن تكون سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة** » فزال حزنها وفرحت بهذه المنزلة العظيمة التي أكرمها الله بها من بين النساء .

قال النووي رحمه الله تعالى : « قولها فأخبرني أني أول من يلحق به من أهله فضحكت » هذه معجزة ظاهرة له ﷺ بل معجزتان فأخبر ببقائها بعده وبأنها أول أهله لحاقاً به ووقع كذلك وضحكت سروراً بسرعة لحاقها وفيه

(١) صحيح البخاري مع شرحه « فتح الباري » ١١/٧٩ - ٨٠ ، صحيح مسلم ٤/١٩٠٤ - ١٩٠٥ .

إيثارهم الآخرة وسرورهم بالانتقال إليها والخلاص من الدنيا »[1] .

١٧ - روى الترمذي بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : « ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت : وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه ، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها .... الحديث[2] .

فقد وصفتها بصفات حميدة كلها مناقب تزيد من قدرها ورفعة مكانتها فقد بينت أنها تشبه النبي ﷺ هيئة وطريقة وحسن حال وأشارت رضي الله عنها بالسمت إلى ما كان يظهر عليها من الخشوع والتواضع لله وبالهدى إلى ما كانت تتحلى به من السكينة والوقار وإلى ما كانت تسلكه من المنهج المرضي وبالدل إلى حسن خلقها ولطف حديثها رضي الله عنها [3] .

١٨ - روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي ﷺ قالت : ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها[4] .

وهذا الوصف منها أيضاً لسيدة نساء المؤمنين منقبة ظاهرة إذ من التزم الصدق قولا وعملا كان قائده إلى عمل البر وإذا عمل البر كان قائده إلى طريق الجنة .

وكل ما تقدم ذكره من الأحاديث التي اشتملت على ذكر مناقب لفاطمة رضي الله عنها كلها دلت على عظيم شأنها وجليل قدرها ، كما دلت على بيان

---

(١) شرح النووي ١٦/٥ - ٦ .

(٢) سنن الترمذي ٣٦١/٥ - ٣٦٢ ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عائشة .

(٣) انظر تحفة الأحوذي ٣٧٣/١٠ .

(٤) المستدرك ١٦٠/٣ - ١٦١ وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

درجتها العالية التي اختصت بها دون سائر نساء العالمين ، وهي أنها سيدة نساء المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وهي رضي الله عنها أفضل أخواتها على الإطلاق ، ولا يعترض بقوله ﷺ في حق زينب رضي الله عنها : « **هي خير بناتي أصيبت**[1] **فيّ** » فإن معنى هذه العبارة : « أنها من أفضل بناتي لأن الأخبار ثابتة صحيحة عن النبي ﷺ أن فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء هذه الأمة وكذلك أخبر أنها سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران »[2] وقد تقدم .

قال العلامة ابن القيم : « وكل أولاده توفي قبله إلا فاطمة فإنها تأخرت بعده بستة أشهر فرفع الله لها بصبرها واحتسابها من الدرجات ما فضلت به على نساء العالمين وفاطمة أفضل بناته على الإطلاق ، وقيل إنها أفضل نساء العالمين »[3] .

وقال الحافظ ابن حجر عند قوله ﷺ : « **فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني** » : وفيه أنها أفضل بنات النبي ﷺ وأما ما أخرجه الطحاوي وغيره من حديث عائشة في قصة مجيء زيد بن حارثة بزينب بنت رسول الله ﷺ من مكة وفي آخره قال النبي ﷺ : « **هي أفضل بناتي أصيبت فيّ** » فقد أجاب عنه بعض الأئمة بتقدير ثبوته بأن ذلك كان متقدماً ثم وهب الله لفاطمة من الأحوال السنية والكمال ما لم يشاركها أحد من نساء هذه الأمة مطلقاً والله أعلم[4] .

ومما يرجح أفضليتها على أخواتها أنهن متن قبل النبي ﷺ فكن في صحيفته عليه الصلاة والسلام وأما فاطمة رضي الله عنها فقد توفي النبي ﷺ قبلها فكان في صحيفتها رضي الله عنها فكان مصابها فيه أعظم فصبرت واحتسبت رضي الله عنها . كما أوصاها بذلك النبي ﷺ فقد أخرج ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى

---

(١) تقدم تخريجه في مناقب زينب رضي الله عنها.

(٢) انظر المستدرك ٤/٤٤ .

(٣) زاد المعاد ١/١٠٤ .

(٤) فتح الباري ٧/١٠٥ - ١٠٦ .

بإسناده إلى فاطمة رضي الله عنها قالت : « دخل رسول الله ﷺ يوماً وأنا عند عائشة فناجاني فبكيت .... وفيه أنه قال لها : « **وإنه لم ترزأ امرأة من نساء العالمين بمثل ما رزئت ، ولا تكوني دون امرأة صبراً** » قالت : فبكيت ، ثم قال : « **أنت سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم البتول** » فتوفي عامه ذلك »[1] وهي رضي الله عنها أول من توفي بعد النبي ﷺ من أهل بيته باتفاق أهل العلم حتى من أزواجه[2] حيث لم تلبث بعده إلا ستة أشهر كما في صحيح مسلم رحمه الله تعالى من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : « وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر »[3] .

والذي أخلص إليه في هذا الفصل الذي اشتمل على فضل أهل بيت رسول الله ﷺ هو أن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يثبتون لهم كل ما صح في فضلهم عموماً وخصوصاً ويعتقدونه اعتقاداً جازماً ولا يبخسونهم منه شيئاً بل يرعون لهم حرمتهم وقرابتهم من رسول الله ﷺ ويوالونهم ويحبونهم لإسلامهم وسبقهم وحسن بلائهم في نصرة دين الله - عز وجل - .

وقد حرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى معتقد الفرقة الناجية في آل بيت رسول الله ﷺ حيث قال في سياق عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة : « ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ، حيث قال يوم غدير خم : « **أذكركم الله في أهل بيتي** »[4] .... ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة خصوصاً خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده ، وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان لها منه المنزلة العالية ، والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها التي قال فيها النبي ﷺ : « **فضل عائشة على النساء كفضل الثريد**

---

(١) جامع البيان للطبري ٣/٢٦٤ .
(٢) انظر فتح الباري ٨/١٣٦ .
(٣) صحيح مسلم ٣/١٣٨٠ .
(٤) الحديث بطوله في صحيح مسلم ٤/١٨٧٣ - ١٨٧٤ .

على سائر الطعام »[1] .

وقال الحافظ ابن كثير : « ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين »[2] .

والذي نخلص إليه في هذا الباب أن أهل السنة والجماعة يؤمنون إيماناً صادقاً بفضل صحابة رسول الله ﷺ ويعتقدون أنهم خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين وأن الله – تعالى – اصطفاهم لنصرة خاتم أنبيائه وشرح صدورهم وحبب إليهم مؤازرته والقتال معه فسبقوا الناس إلى الإيمان به وتحملوا العذاب في مكة وصبروا عليه ولما أمرهم الله بالهجرة تركوا الأهل والمال والعشيرة والبلد وهاجروا حباً في الله – عز وجل – وفي رسوله ﷺ وقاتلوا دونه وبذلوا أنفسهم رخيصة في سبيله – عز وجل – حتى أظهر الله – تبارك وتعالى – دينه وصدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وأكرمهم الله – تعالى – فرضي عنهم وبشرهم بالجنة وبشرهم رسوله ﷺ . فمن لم يتولهم فليس له حظ في الإيمان ومن قال بكفرهم فلا شك في كفره أبغض الله من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم .

* * *

(١) العقيدة الواسطية مع شرحها للشيخ محمد خليل هراس ص ١٤٦ – ١٤٨ . والحديث تقدم تخريجه في « فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها » .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٩٩/٦ .

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ

في الصَّحابةِ الكرامِ رضي الله عنهم

تأليف

الدكتور ناصر بن علي عائض حسن الشيخ

الجزء الثاني

الناشر

مكتبة الرشد

الرياض

○ الطبعة الأولى ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الناشر

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - طريق الحجاز

ص.ب : ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٨٣٧١٢

تلكس ٤٠٥٧٩٨ فاكس ملي ٤٥٧٣٣٨١

□ الباب الثاني □

أهل السنة والجماعة يثبتون إمامة الخلفاء الراشدين على حسب ترتيبهم في الفضل

وفيه تمهيد وأربعة فصول : -

الفصل الأول : خلافة الصديق - رضي الله عنه - .

الفصل الثاني : خلافة الفاروق - رضي الله عنه - .

الفصل الثالث : خلافة ذي النورين عثمان - رضي الله عنه .

الفصل الرابع : خلافة علي - رضي الله عنه - .

* * *



الفصل الأول



○ الفصل الأول ○

خلافة الصديق - رضي الله عنه - وفيه مباحث : -

المبحث الأول : الإمام بعد النبي ﷺ أبو بكر - رضي الله عنه -

المبحث الثاني : كيفية مبايعته - رضي الله عنه - بالخلافة .

المبحث الثالث : ذكر النصوص التي فيها الإشارة إلى خلافته من الآيات القرآنية والآحاديث النبوية .

المبحث الرابع : بيان انعقاد الإجماع على خلافته - رضي الله عنه -

المبحث الخامس : ذكر بعض شبه الشيعة الإمامية في أن الخليفة بعد وفاة النبي ﷺ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبيان بطلانها .

* * *



تمهيد :

قبل أن أشرع في ذكر اعتقاد أهل السنة والجماعة في ترتيب الخلفاء الراشدين في الإمامة أسبق ذلك بهذا التمهيد المتضمن لبيان معنى الإمامة في اللغة والاصطلاح وبيان حكم الإمامة عند أهل السنة والجماعة .

* أولًا : معناها في اللغة :

قال الزجاج : « الإمام الذي يؤتم به ويفعل كفعله ويقصد ما قصده ومنه قوله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾[1] أي : فاقصدوا »[2] وجاء في الصحاح للجوهري : « والأم « بالفتح » القصد يقال أمه وتأممه إذا قصده ... والإمام خشبة البناء التي يسوى عليها البناء والإمام الصقع من الأرض والطريق قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[3] والإمام الذي يقتدى به »[4] .

وجاء في لسان العرب : « والإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أوكانوا ضالين إلى أن قال : « والجمع أئمة ... وإمام كل شيء قيمهُ والمصلح له والقرآن إمام المسلمين وسيدنا محمد رسول الله ﷺ إمام الأئمة والخليفة إمام الرعية وإمام الجند قائدهم ... وأممت القوم في الصلاة إمامة وائتم به أي : اقتدي به وإمام الغلام في المكتب ما يتعلم كل يوم ، والإمام الخيط الذي يمد على البناء فيبنى عليه ويسوى عليه ساق البناء ، والحادي إمام الإبل وإن كان وراءها لأنه الهادي لها ويقال فلان إمام القوم معناه هو المتقدم لهم ويكون الإمام رئيساً كقولك إمام المسلمين »[5] .

---

(١) سورة النساء آية / ٤٣ .

(٢) ذكره عنه ابن الجوزي في كتابه : « نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر » – ص ١٢٦ .

(٣) سورة الحجر آية / ٧٩ .

(٤) الصحاح للجوهري ١٨٦٤/٥ – ١٨٦٥ .

(٥) لسان العرب ٢٤/١٢ ، وانظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٥٩ ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر « لابن الجوزي » ص ١٢٦ ، القاموس المحيط ٧٨/٤ ، تاج العروس ١٩٣/٨ .

فالإمامة في اللغة ذات معان متقاربة كما في هذه التعاريف اللغوية وكلها فيها التوضيح إلى أن المراد بالإمام عند العرب هو الذي يتبع ويقتدى به وهو القيم على مصالح الناس وشئونهم وكذلك كان الأئمة الأربعة بعد النبي ﷺ قاموا بمصالح الأمة على أتم وجه وأكمله فيلزم من ولي من أمر المسلمين أن يقتدي بالخلفاء الراشدين في أعمالهم الطيبة وسيرتهم الحسنة نحو الأمة ولذلك حث النبي ﷺ على الالتزام الكامل والتمسك التام بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده حيث قال عليه الصلاة والسلام : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ** »[1] .

* ثانياً : تعريف الإمامة في الاصطلاح :

لقد عرف العلماء الإمامة في الاصطلاح بتعريفات مختلفة من حيث اللفظ وعلى الرغم من اختلاف تعبيراتهم في تحديدها من حيث اللفظ إلا أنها تتحدُ في مدلولها من حيث المعنى ومن هذه التعريفات :-

(١) قال الماوردي : « الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع وإن شذ عنهم الأصم[2] »[3] .

(٢) وعرفها إمام الحرمين الجويني[4] بقوله : « الإمامة رياسة تامة وزعامة

---

(١) المسند ١٢٦/٤ - ١٢٧ ، سنن أبي داود ٥٠٦/٢ ، سنن الترمذي ١٥٠/٤ ، سنن ابن ماجة ١٥/١ - ١٦ ، سنن الدارمي ٤٤/١ - ٤٥ كلهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه .

(٢) هو أبو بكر عبد الرحمٰن بن كيسان الأصم من كبار المعتزلة « انظر ترجمته في » فرق وطبقات المعتزلة ص ٦٥ ، سير أعلام النبلاء ٤٠٢/٩ ، طبقات المفسرين للداودي ٢٧٤/١ - ٢٧٥ لسان الميزان ٤٢٧/٣ .

(٣) الأحكام السلطانية ص ٥ .

(٤) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة وتوفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة انظر ترجمته في « وفيات الأعيان » ١٦٧/٣ - ١٧٠ تبين كذب المفترى ص ٢٧٨ - ٢٨٥ ، الأعلام للزركلي ٣٠٦/٤ .

تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدنيا والدين »[1] .

(٣) وعرفها ابن خلدون بقوله : « هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به »[2] .

فهذه التعاريف فيها بيان حد الإمامة في الاصطلاح وهي مترادفة لفظاً متحدة من حيث المعنى بين فيها هؤلاء العلماء أن سياسة الإمام يجب أن تكون وفق الشريعة الإسلامية الغراء التي جاء بها النبي ﷺ ، ويكون بعيداً عن الحكم بالهوى والشهوة في كل حال ولابد أن يكون حكمهُ بالشرع في كل الأمور الدينية والدنيوية حتى يصدق عليه أنه نائب عن الرسول ﷺ في حراسة الدين وسياسة الدنيا بالقيام بشرع الله الذي أوحاه الله إلى رسوله ﷺ من كتاب وسنة ولفظ الإمام ، والخليفة ، والأمير ألفاظ مترادفة وكلها جاءت في ألفاظ من الحديث النبوي الشريف مثل قول المصطفى عليه الصلاة والسلام : « **الأئمة من قريش ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك** »[3] وقوله ﷺ : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ** »[4] وقوله ﷺ ... « **ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني** »[5] فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يروون هذه الأحاديث عن النبي ﷺ وتلقاها عنهم التابعون كذلك دون أن يفرقوا بين لفظ خليفة وإمام وأمير وقد سمي الصديق ، رضي الله عنه بخليفة رسول الله ﷺ ولما ولي الفاروق أرادوا أن يطلقوا

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٥ ، انظر غياث الأمم في التياث الظلم ص ١٥ .

(٢) المقدمة ص ١٩١ ، انظر العقائد النسفية ص ١٧٩ ، المواقف ص ٣٩٥ ، التعريفات ص ٣٥ .

(٣) المسند ١٨٣/٣ .

(٤) المصدر السابق ١٢٧/٤ .

(٥) صحيح مسلم ١٤٦٦/٣ من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – .

عليه : « خليفة خليفة رسول الله وكذلك من يأتي بعدهُ فنظروا فإذا باللفظ يطول فاتفقوا على تسميته بأمير المؤمنين[1] وكذلك سمي عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين .

* ثالثاً : حكم الإمامة :

أجمع عامة المسلمين على وجوب نصب إمام للأمة يقيم لهم أحكام شرع الله ولم يخالف هذا الإجماع إلا النجدات من الخوارج والأصم والفوطي[2] من المعتزلة .

قال أبو محمد بن حزم : « اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا : لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد وهم المنسوبون إلى نجدة بن عمير الحنفي القائم باليمامة »[3] .

فأهل السنة والجماعة مذهبهم أن نصب الإمام الأعظم واجب بنص الشرع الحنيف لتجتمع به كلمة المسلمين وتنفذ به أحكام الشريعة وهذا المذهب هو المذهب الحق المؤيد بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع فأما دلالة الكتاب على وجوبها فمن ذلك : —

(١) قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٢٨١ .

(٢) هو هشام بن عمرو الفوطي شيباني من أهل البصرة وهو يعتبر من الطبقة السادسة للمعتزلة « انظر طبقات المعتزلة » ص ٦١ ، وانظر الفرق بين الفرق ص ١٥٩ .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٨٧ ، وانظر قول النجدات في عدم وجوب نصب الإمام « مقالات الإسلاميين » ١/٢٠٥ .

﴿خَلِيفَةً﴾[1] الآية .

وجه دلالة الآية أن أهل العلم اعتبروها أصلا في وجوب نصب الإمام ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه ويقطع التنازع وينتصر لمظلومهم من ظالميهم ويقيم الحدود ويزجر عن تعاطي الفواحش إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا يمكن إقامتها إلا بالإمام .

قال القرطبي رحمهُ الله تعالى : « هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة[2] ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما روى عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه قال : إنها غير واجبة في الدين بل يسوغ ذلك ، وأن الأمة متى أقاموا حجهم وجهادهم ، وتناصفوا فيما بينهم وبذلوا الحق من أنفسهم ، وقسموا الغنائم والفيء والصدقات على أهلها وأقاموا الحدود على من وجبت عليه أجزأهم ذلك ، ولا يجب عليهم أن ينصبوا إماماً يتولى ذلك »[3] .

(٢) قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[4] .

وفي هذه الآية أوجب الله تعالى على عباده المؤمنين طاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر منهم والمراد بأولي الأمر هم الأمراء والولاة .

فقد أخرج ابن جرير الطبري بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال في قوله تعالى ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ : هم الأمراء[5] » وهو مروي عن ابن

---

(١) سورة البقرة آية / ٣٠ .

(٢) لعلها وتنفذ بها أحكام الشريعة .

(٣) الجامع الأحكام القرآن ٢٦٤/١ ، وانظر أضواء البيان ٤٩/١ .

(٤) سورة النساء آية / ٥٩ .

(٥) جامع البيان ١٤٧/٥ ، شرح السنة للبغوي ٥٠/١٠ .

عباس وزيد بن أسلم والسدي ومقاتل »[1] .

وقد ذكر العلامة ابن جرير عدة أقوال في المراد بقوله ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ثم رجح قول من قال : « هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن الرسول ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاعة وللمسلمين مصلحة »[2] .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : « الظاهر - والله أعلم - أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء »[3] .

فالآية دلت على أنه يجب على المسلمين أن ينصبوا لهم إماماً يرجعون إليه .

(٣) قال تعالى : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[4]. وهذه الآية فيها إرشاد وتعليم من الباري - جل وعلا - لعباده المؤمنين أنه لابد من خليفة يقوم بالحكم بما أنزل الله بين عباده لتصلح به البلاد والعباد .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : « هذه وصية من الله - عز وجل - لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده - تبارك وتعالى - ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله وقد توعد - تبارك وتعالى - من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد »[5] .

والآيات الدالة على وجوب نصب الإمام كثيرة جداً فما من آية أنزلها الله على رسوله بتشريع حكم من الأحكام والتي لها علاقة بموضوع الإمامة وشئونها إنما هي تأكيد جازم على إيجاد الإمامة الشرعية في المجتمع المسلم لأن وجود ولي الأمر من

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٢/١١٦ .

(٢) جامع البيان ٥/١٥٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/٣٢٦ .

(٤) سورة ص آية / ٢٦ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٥/١١٩ .

الضروريات التي حث الإسلام على وجودها في كل الأحيان إذ هناك أمور يتطلب تنفيذها وجود الإمامة العظمى .

وأما دلالة السنة على وجوب نصب الإمام الأعظم فقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة منها :

(١) روى الإمام أحمد وغيره عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : صلى لنا رسول الله ﷺ الفجر ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت لها الأعين ووجلت منها القلوب قلنا أو قالوا : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فأوصنا قال : « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعيش منكم يرى بعدي اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ** »[1] . فقد بين عليه الصلاة والسلام أنه سيكون من بعده خلفاء راشدون يخلفونه في أمته ويسيرون على نهجه في سياسة الأمة بالكتاب والسنة وحث الناس على التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده وفي هذا بيان أنه لابد للناس من إمام يرجع إليه في إقامة الحدود وقطع التنازع والاختلاف ولذا تواتر أن الصفوة من أمة محمد ﷺ وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين بايعوا الصديق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ وقبل أن يدفنوه ﷺ ، ولما أحس الصديق بدنو أجله استخلف الفاروق رضي الله عنه ولما طعن الفاروق رضي الله عنه أبو لؤلوة المجوسي جعل الأمر شورى في ستة من أصحاب النبي ﷺ واتفقوا على أن يخلف الفاروق عثمان بن عفان رضي الله عنه ولما استشهد عثمان رضي الله عنه بايعوا أبا الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهذه طريقتهم في الخلافة ، فنجد أنهم حرصوا كل الحرص في تنصيب الإمام ولم يتهاونوا في ذلك وهذا مما يجب على المسلمين أن يقتدوا بهم فيه بأمر من أرسله الله رحمة للعالمين ﷺ .

---

(١) المسند ١٢٧/٤، سنن أبي داود ٥٠٦/٢ ، سنن الترمذي ١٥٠/٤ ، سنن ابن ماجة ١٥/١ - ١٦ ، =

(٢) وروى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده :

إلى نافع مولى ابن عمر قال : جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع[١] حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال : اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال : إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقوله : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له[٢] ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية** »[٣] .

فقد بين عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث أن البيعة فريضة في عنق كل مسلم للإمام الحق الذي تجتمع عليه كلمة المسلمين ومادامت البيعة واجبة على كل مسلم فإن هذا الواجب لا يتأتى أداؤه إلا بنصب الإمام الذي يرجع إليه في تنفيذ أحكام الشريعة وحسم التنازع والاختلاف الذي يحصل بين الناس فالحديث دلالته واضحة على وجوب نصب الإمام بالشرع لا بالعقل .

(٣) وروى الشيخان في صحيحيهما عن أبي حازم قال : قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبي ﷺ قال : « **كانت بنو إسرائيل تسوسهم[٤]الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر** » قالوا : فما تأمرنا ؟ قال :« **فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم**

= سنن الدارمي ٤٤/١ - ٤٥ ، واللفظ لأحمد رحمه الله .

(١) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي القرشي كان ممن خلع يزيد وخرج عليه وكان يوم الحرة قائد قريش ، كما كان عبد الله بن حنظلة قائد الأنصار وإذ خرج أهل المدينة لقتال مسلم بن عقبة المري الذي بعثه يزيد لقتال أهل المدينة ولما ظفر أهل الشام بأهل المدينة لحق عبد الله بن مطيع بابن الزبير وبقي معه حتى حصر الحجاج ابن الزبير انظر ترجمته في «الإصابة» ٦٥/٣، تهذيب التهذيب ٣٦/٦ .

(٢) لا حجة له : أي : لا حجة له في فعله ولا عدالة ينفعه .

(٣) صحيح مسلم ١٤٧٨/٣ .

(٤) تسوسهم الأنبياء : أي يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه « شرح النووي على صحيح مسلم » ٢٣١/١٢ ، وانظر فتح الباري ٤٩٧/٦ .

فإن الله سائلهم عما استرعاهم »[1] هذا الحديث فيه إشارة إلى أنه لابد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم[2] .

(٤) روى الإمام أحمد بإسناده إلى عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال في حديث طويل : **« ولا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم ... »** الحديث[3] .

وعند أبي داود من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **« إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم »**[4] .

فإذا كان رسول الله ﷺ قد أرشد أمته أنه إذا خرج ثلاثة في سفر فإن عليهم أن يختاروا أحدهم أميراً عليهم مع أن السفر يكون في مسافة محدودة ومدة وجيزة فما الشأن بالإمامة العظمى فإن وجوبها متحتم على الأمة من باب أولى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن ذكر هذين الحديثين : « فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولى أحدهم كان هذا تنبيهاً على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك ولهذا كانت الولاية لمن يتخذها ديناً يتقرب به إلى الله ويفعل فيها الواجب بحسب الإمكان من أفضل الأعمال الصالحة حتى قد روى الإمام أحمد في مسنده عن النبي ﷺ أنه قال : **« إن أحب الخلق إلى الله إمام عادل ، وأبغض الخلق إلى الله إمام جائر »**[5] .

* وأما دلالة الإجماع على وجوب نصب الإمام :

فقد أجمعت الأمة على أنه لابد من نصب الإمام الأعظم للأمة ليرجع إليه

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٤٩٥/٦ ، صحيح مسلم ١٤٧١/٣ - ١٤٧٢ .

(٢) فتح الباري ٤٩٧/٦ .

(٣) المسند ١٧٦/٢ - ١٧٧ ، وانظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني ١٠٦/٨ .

(٤) سنن أبي داود ٣٤/٢ .

(٥) الحسبة في الإسلام ص ٥ وانظر السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص ١٦١ والحديث في المسند ٢٢/٣ من حديث أبي سعيد .

في شئون العباد وقد نقل الإجماع بعض أهل العلم .

فقد قال الماوردي : « وعقدها - أي الإمامة - لمن يقوم بها واجب بالإجماع وإن شذ عنهم الأصم »[1] وقال البغوي رحمه الله : « واتفقت الأمة من أهل السنة والجماعة على أن الاستخلاف سنة وطاعة الخليفة واجبة إلا الخوارج المارقة الذين شقوا العصا وخلعوا ربقة الطاعة »[2] .

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : « وأجمعت الصحابة على تقديم الصديق بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين حتى قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير فدفعهم أبو بكر وعمر والمهاجرون عن ذلك وقالوا لهم : إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش ورووا لهم الخبر في ذلك فرجعوا وأطاعوا لقريش فلو كان فرض الإمامة غير واجب لا في قريش ولا في غيرهم لما ساغت هذه المناظرة والمحاورة عليها ولقال قائل : إنها ليست بواجبة لا في قريش ولا في غيرهم فما لتنازعكم وجه ولا فائدة في أمر ليس بواجب ثم إن الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة عهد إلى عمر في الإمامة ولم يقل له أحد : هذا أمر غير واجب علينا ولا عليك فدل على وجوبها وأنها ركن من أركان الدين الذي به قوام المسلمين والحمد لله رب العالمين »[3] .

وقال النووي رحمه الله : « وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة ووجوبه بالشرع لا بالعقل »[4] وقال عبد الرحمٰن بن خلدون : « نصب الإمام واجب وقد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٥ .

(٢) شرح السنة للبغوي ١٠/٨٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٢٦٤ - ٢٦٥ ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/٤٩ - ٥٠ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/٢٠٥ .

إليه في أمورهم وكذلك في كل عصر من الأعصار واستقر ذلك إجماعاً دالا على وجوب نصب الإمام »[1] .

ومما تقدم تبين أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب بل جعلوه رضي الله عنهم من أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله ﷺ واختلافهم رضي الله عنهم في التعيين لا تأثير له على الإجماع المذكور .

* * *

(١) المقدمة ص ١٩١ ، وانظر الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ص ٧ - ٨ .

★ المبحث الأول ★

الإمام بعد النبي ﷺ أبو بكر رضي الله عنه

عقيدة أهل السنة والجماعة في ترتيب الخلفاء الأربعة في الإمامة كترتيبهم في الفضل فالإمام بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ثم أبو السبطين علي رضي الله عنهم أجمعين فأهل الحق يعتقدون اعتقاداً جازماً لا مرية فيه ولا شك أن أولى الناس بالإمامة والأحق بها بعد النبي ﷺ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه روى أبو عمر بن عبد البر بإسناده إلى عباد السماك قال : سمعت سفيان الثوري يقول : الأئمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز وما سوى ذلك فهم منتزون »[1] .

قال أبو عمر : « قد روي عن مالك وطائفة نحو قول سفيان هذا وتأبى جماعة من أهل العلم أن تفضل عمر بن عبد العزيز على معاوية لمكان صحبته »[2] وروى بإسناده إلى أبي نوبة قال : سمعت أبا إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك وعيسى بن يونس ومخلد بن الحسين يقولون : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي » وروى أيضاً بإسناده إلى الربيع بن سليمان يقول : سمعت الشافعي محمد بن إدريس يقول : أقول في الخلافة والتفضيل بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم »[3] وروى البيهقي بإسناده إلى الربيع بن سليمان أنه قال : قال الشافعي في مسألة « الحجة في تثبيت خبر الواحد » : ولم تزل كتب رسول الله ﷺ تنفذ إلى ولاته بالأمر والنهي ولم يكن لأحد من ولاته ترك إنفاذ

---

(١) أي : متغلبون .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٣) المصدر السابق ٢/٢٢٧ .

أمره – إلى أن قال – : وهكذا كانت كتب خلفائه من بعده وعمالهم وما أجمع المسلمون من كون الخليفة واحداً والقاضي واحداً والأمير واحداً والإمام واحداً فاستخلفوا أبا بكر واستخلف أبو بكر عمر ، ثم أمر عمر أهل الشورى ليختاروا واحداً ، فاختار عبد الرحمن عثمان بن عفان »[1] وروى أبو عمر بن عبد البر بإسناده إلى أبي علي الحسن بن أحمد بن الليث الرازي قال : سألت أحمد بن حنبل – فقلت – : يا أبا عبد الله من تفضل ؟ قال : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء – فقلت – : يا أبا عبد الله إنما أسألك عن التفضيل من تفضل قال : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء المهديون الراشدون ورد الباب في وجهي قال أبو علي : ثم قدمت الري فقلت لأبي زرعة وسألت أحمد وذكرت له القصة فقال : لا نبالي من خالفنا ، نقول : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في الخلافة والتفضيل جميعاً هذا ديني الذي أدين الله به وأرجو أن يقبضني الله عليه .

وروى أيضاً : بإسناده إلى سلمة بن شبيب قال : قلت لأحمد بن حنبل : من تقدم ؟ قال : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في الخلافة »[2] .

وروى أبو الفرج بن الجوزي إلى أبي بكر المروذي قال : قال أحمد بن حنبل : لما مرض رسول الله ﷺ قدم أبا بكر ليصلي بالناس وقد كان في القوم من هو أقرأ منه وإنما أراد الخلافة »[3] .

وروى أيضاً بإسناده إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم فجاءت طائفة من الكرخية فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وذكروا خلافة علي بن أبي طالب فزادوا وأطالوا فرفع أبي رأسه إليهم فقال : يا هؤلاء ، قد أكثرتم القول في علي والخلافة إن الخلافة لم تزين

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ١/٤٣٥ وانظر الرسالة ص ٤١٩ – ٤٢٠ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/٢٢٥ – ٢٢٦ .

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ١٦٠ .

علياً بل علي زينها قال السياري - أحد رجال السند - : فحدثت بهذا بعض الشيعة فقال لي : قد أخرجت نصف ما كان في قلبي على أحمد بن حنبل من البغض »[١] فهذه طائفة من أقوال بعض كبار أئمة أهل السنة وكلها تبين أنهم يثبتون إمامة الخلفاء الراشدين على حسب ترتيبهم في الفضل وأن أحق الناس بالإمامة بعد - النبي ﷺ هو أبو بكر الصديق وعلى هذا الاعتقاد مشى من جاء بعدهم من أهل السنة ودونوا هذا الاعتقاد في كتبهم ودعوا الناس إلى اعتقاده فقد قال الإمام الطحاوي : « ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلا له وتقديماً على جميع الأمة ، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم لعثمان رضي الله عنه ، ثم لعلي رضي الله عنه »[٢] وقال أبو عبد الله بن بطة رحمه الله تعالى في ذكر سياقه لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة : « ثم الإيمان والمعرفة بأن خير الخلق وأفضلهم ... وأحقهم بخلافة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ... ثم من بعده على هذا الترتيب والصفة أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وهو الفاروق ثم من بعدهما على هذا الترتيب والنعت عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أبو عبد الله وأبو عمرو ذو النورين رضي الله عنه ثم علي هذا النعت والصفة من بعدهم أبو الحسن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه .. فبحبهم وبمعرفة فضلهم قام الدين وتمت السنة وعدلت الحجة »[٣] .

وقال أبو الحسن الأشعري في صدد ذكره للأدلة على أن الصديق هو الإمام بعد النبي ﷺ : « فوجب أن يكون إماماً بعد النبي ﷺ بإجماع المسلمين »[٤] .

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفي ص ٥٣٣ - ٥٤٥ .

(٣) كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ٢٥٧ - ٢٦١ .

(٤) الإبانة عن أصول الديانة ص ٦٧ .

وقال ابن أبي زيد القيراوني : « وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين »[1] .

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني : « ويجب أن يعلم : أن إمام المسلمين وأمير المؤمنين ومقدم خلق الله أجمعين من الأنصار والمهاجرين بعد الأنبياء والمرسلين : أبو بكر الصديق رضي الله عنه ... ، ثم من بعده على هذا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لاستخلافه إياه ... وبعده أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ... وبعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه »[2] . وقال أبو عثمان الصابوني مبيناً عقيدة أهل الأثر في ترتيب الخلافة : « ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ باختيار الصحابة واتفاقهم عليه ،... ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه إياه واتفاق الصحابة عليه بعده وإنجاز الله - سبحانه - بمكانه في إعلاء الإسلام وإعظام شأنه وعده ثم خلافة عثمان رضي الله عنه بإجماع أهل الشورى وإجماع الأصحاب كافة ورضاهم به حتى جعل الأمر إليه ، ثم خلافة علي رضي الله عنه ببيعة الصحابة إياه عرفه ورآه كل منهم رضي الله عنه أحق الخلق وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة و لم يستجيزوا عصيانه وخلافه فكان هؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدون الذين نصر الله بهم الدين وقهر وقسر بمكانهم الملحدين وقوى بمكانهم الإسلام ورفع في أيامهم للحق الأعلام ونور بضيائهم ونورهم وبهائهم الظلام »[3] .

وقال أبو عمر بن عبد البر : « الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ، وعمر ، وعثمان وعلي وهم أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ »[4] .

---

(١) الرسالة مع شرحها الثمر الداني في تقريب المعاني ص ٢٣ .

(٢) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٦٤ - ٦٦ .

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٢٨/١ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ٢٢٤/٢ .

وقال الإمام موفق الدين بن قدامة رحمه الله تعالى مبيناً أن الصديق رضي الله عنه أحق الناس بخلافة النبي ﷺ : « وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم ، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته و لم يكن الله ليجمعهم على ضلالة ، ثم من بعده عمر رضي الله عنه لفضله وعهد أبي بكر إليه ، ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه . وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ** »[1] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الخلاف في مسألة تقديم عثمان على علي في الأفضلية ، ثم بين أن أمر أهل السنة استقر في هذه المسألة على تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما فقال : « وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، وعمر ، ثم عثمان ، ثم علي ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله »[2] . وقال في موضع آخر : « اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي »[3] . وقال الصديق حسن خان : « وأحقهم بالخلافة بعد النبي ﷺ أبو بكر لفضله وسابقته وتقديم النبي ﷺ له في الصلوات على جميع أصحابه وإجماع الصحابة على تقديمه ومتابعته و لم يكن الله ليجمعهم على ضلالة »[4] .

---

(١) لمعة الاعتقاد ص ٢٧ - ٢٨ والحديث رواه أحمد في مسنده ١٢٦/٤ وابن ماجة في سننه ١٥/١ - ١٦ .

(٢) العقيدة الواسطية مع شرحها لمحمد خليل هراس ص ١٤٦ .

(٣) الوصية الكبرى ص ٣٣ .

(٤) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ص ٩٩ .

وقال عمر بن علي بن سمرة الجعدي[1] في صدد ذكره لترجمة الصديق رضي الله عنه : « ثم استخلف أفضل الصحابة وأولاهم بالخلافة معدن الوقار وشيخ الافتخار صاحب المصطفى بالغار سيد المهاجرين والأنصار الصديق أبو بكر التيمي ... قدمه رسول الله ﷺ وأمره أن يصلي بالناس أيام مرضه وبذلك احتج عمر رضي الله عنه على الأنصار يوم السقيفة فقال : رضيه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ، وأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ فانقادوا له وبايعوه »[2] . فهذه طائفة من أقوال أئمة أعلام من أهل السنة والجماعة سقناها في هذا المبحث كلها توضح وتبين أن أهل السنة والجماعة يؤمنون ويعتقدون بأن أحق الناس بالخلافة بعد وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وهذا ما يجب على المسلم أن يعتقده ويؤمن به ويموت عليه .

* * *

(١) هو عمر بن علي بن سمرة بن الحسين أبو الخطاب الجعدي : مؤرخ يماني ، من القضاة ولد بقرية أنامر (باليمن) سنة سبع وأربعين وخمسمائة وتوفي بعد ست وثمانين وخمسمائة « انظر ترجمته في الأعلام للزركلي » ٢١٥/٥ - ٢١٦ ، معجم المؤلفين ٢٩٩/٧ - ٣٠٠ .

(٢) طبقات فقهاء اليمن ص ٣٤ - ٣٥ .

★ المبحث الثاني ★

كيفية مبايعته رضي الله عنه بالخلافة

لم يرد عن النبي ﷺ نص يحدد الكيفية التي يختار بها الإمام الذي يتولى أمر المسلمين ومع هذا لم يغفل أهل العلم هذه المسألة بل ذكروا طرقاً يتم بها اختيار إمام للمسلمين وبعض هذه الطرق استنبطوها من تولية الخلفاء الراشدين ولا شك في مشروعية طريقة تولي الخلفاء الراشدين لأن المصطفى عليه الصلاة والسلام حث المسلمين عامة على التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده وتلك الطرق التي يختار الإمام بها ذكرها أهل العلم ودونوها في كتبهم .

فقد قال الإمام النووي رحمه الله تعالى « بعد ذكره لقول عمر رضي الله عنه : « إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني » إلى آخره حاصله أن المسلمين أجمعوا على أن الخليفة إذا حضرته مقدمات الوفاة وقبل ذلك يجوز له الاستخلاف ويجوز له تركه فإن تركه فقد اقتدى بالنبي ﷺ في هذا وإلا فقد اقتدى بأبي بكر وأجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان إذا لم يستخلف الخليفة وأجمعوا على جواز جعل الخليفة الأمر شورى بين جماعة كما فعل عمر بالستة وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة ووجوبه بالشرع لا بالعقل »[1] . وقال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى : « والإمامة تنال بالنص كما تقول طائفة من أهل السنة في أبي بكر أو بالإيماء إليه كما يقوله آخرون منهم أو باستخلاف الخليفة آخر بعده كما فعل الصديق بعمر بن الخطاب أو بتركه شورى في جماعة صالحين كذلك كما فعله عمر ، أو باجتماع

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٥/١٢ ، وانظر تحفة الأحوذي ٤٧٩/٦ - ٤٨٠ .

أهل الحل والعقد على مبايعته أو بمبايعة واحد منهم له ، فيجب التزامها عند الجمهور وحكى على ذلك إمام الحرمين الإجماع والله أعلم ، أو يقهر واحد الناس على طاعته فتجب لئلا يؤدي ذلك إلى الشقاق ، والاختلاف وقد نص عليه الشافعي »[1] .

وقد بين هذان الإمامان النووي وابن كثير الطرق التي تنال بها الإمامة وهي إما طريقة الاختيار ، أو العهد من الإمام السابق إلى من يراه من المسلمين لائقاً بهذا المنصب من بعده ، أو القهر والغلبة .

وأما الكيفية أو الطريقة التي تمت بها مبايعة الصديق رضي الله عنه فإنه لما قبض الرب – جل وعلا – نبيه ﷺ ونقله إلى جنته ودار كرامته اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة[2] بمدينة الرسول ﷺ وأرادوا عقد الإمامة لسعد ابن عبادة وبلغ ذلك أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقصدا نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين ولما انتهوا إليهم حصل بينهم حوار في أمر الخلافة حيث اضطرب أمر الأنصار فجعلوا يطلبون الأمر لأنفسهم ، أو الشركة فيه مع المهاجرين فأعلمهم أبو بكر أن الإمامة لا تكون إلا في قريش واحتج بقول النبي ﷺ : « **الأئمة من قريش** »[3] فأذعنوا لذلك منقادين ورجعوا إلى الحق طائعين ، وبايعوا أبا بكر رضوان الله عليه واجتمعوا على إمامته واتفقوا على خلافته وانقادوا لطاعته وانقطع الحوار في مسألة الخلافة باجتماعهم على أبي بكر رضي الله عنه وقد بين عمر رضي الله عنه كيفية بيعة أبي بكر رضي الله عنه في حديث طويل رواه البخاري وفيه أنه قال : « قد كان من خبرنا حين توفي الله نبيه ﷺ

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/١٢٥ .

(٢) بنو ساعدة : قوم من الأنصار من بني كعب بن الخزرج بن ساعدة ومنهم سعد بن عبادة وسهل بن سعد الساعديان رضي الله عنهما وسقيفتهم في المدينة بمنزلة دار الندوة التي كانت لقريش في مكة وكانت السقيفة مكاناً يجتمعون فيه حين يجد ما يدعو إلى تداول الرأي « انظر معجم البلدان » ٣/٢٢٨ – ٢٢٩ .

(٣) مسند أحمد ٣/١٨٣ .

أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان[1] فذكرا ما تمالأ عليه القوم فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقالا : لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم فقلت : والله لنأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم فقلت من هذا فقالوا : هذا سعد بن عبادة فقلت : ماله ؟ قالوا : يوعك[2] فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم[3] فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم – معشر المهاجرين – رهط وقد دفت دافة[4] من قومكم ، فإذا هم يريدون أن يختزلونا[5] من أصلنا وأن يخضونا من الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلم – وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر – وكنت أداري منه بعض الحد[6] فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر : على رسلك فكرهت أن أغضبه فتكلم أبو بكر ، فكان هو أحلم مني وأوقر والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت فقال : ما ذكرتم فيكم

---

(١) هما : عويم بن ساعدة ومعن بن عدي « انظر السيرة النبوية لابن هشام » ٦٦٠/٢ ، المصنف لابن أبي شيبة ٥٦٥/١٥ .

(٢) الوعك : الحمى بنافض ولذلك زمل « فتح الباري » ١٥١/١٢ وانظر النهاية في غريب الحديث ٢٠٧/٥ .

(٣) كان خطيب الأنصار ثابت بن قيس فالذي يظهر أنه هو « فتح الباري » ١٥١/١٢ .

(٤) دافة : أي عدد قليل ، وأصله من الدف وهو السير البطيء في جماعة ... يريد أنكم قوم طرأة غرباء أقبلتم من مكة إلينا ثم أنتم تريدون أن تستأثروا علينا « فتح الباري » ١٥١/١٢ – ١٥٢ ، وانظر النهاية في غريب الحديث ١٢٤/٢ .

(٥) يختزلونا : أي يقتطعونا عن الأمر وينفردوا به دوننا « النهاية في غريب الحديث » ٢٩/٢ ، فتح الباري ١٥٠/١٢ .

(٦) الحد والحدة : سواء من الغضب ... وبعضهم يرويه بالجيم من الجد ضد الهزل اهـ النهاية في غريب الحديث ٣٥٣/١ .

من خير فأنتم له أهل ، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم – فأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا – فلم أكره مما قال غيرها ، اللهم إلا أن تسول إلي نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن فقال قائل من الأنصار : أنا جذيلها[1] المحكك وعذيقها المرجب . منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش[2] فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت[3] من الاختلاف فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته[4] وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار ونزونا[5] على سعد بن عبادة فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة فقلت : قتل الله سعد بن عبادة قال عمر : وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا فإما بايعناهم على ما لا نرضي وإما نخالفهم فيكون فساداً فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا »[6] .

ولقد اعترف سعد بن عبادة رضي الله عنه بصحة ما قاله الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة من أن قريشاً هم ولاة هذا الأمر وسلم طائعاً منقاداً لما قاله

---

(١) الجذيل : تصغير جذل – وهو في الأصل عود ينصب للإبل الجربى لتحتك به ، والعذيق : تصغير العذق – وهو النخلة يحملها، والمرجب: اسم مفعول من قولهم : «رجب النخلة ترجيباً » إذا بنى حولها دكاناً تعتمد عليه وذلك إنما يضع إذا كثر ثمرها حتى خيف أن تسقط منه ولم يرد بالتصغير في الموضعين إلا المدح ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٥١/١ ، ١٩٧/٢ ، فتح الباري ٣١/٧ .

(٢) قائل هذا هو : الحباب بن المنذر « فتح الباري » ١٥٣/١٢ .

(٣) الفرق : بالتحريك الخوف والفزع يقال : فرق يفرق فرقاً « النهاية في غريب الحديث » ٤٣٨/٣ .

(٤) وفي رواية أخرى أخرجها ابن إسحاق أن عمر رضي الله عنه قال : « ثم أخذت بيده وبدرني رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده ثم ضربت على يده وتابع الناس » ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢٧٨/٥ وقد سمى ابن سعد هذا الرجل بأنه : بشير بن سعد والد النعمان بن بشير الطبقات الكبرى ١٨٢/٣ وانظر أيضاً : البداية والنهاية ٢٧٨/٥ .

(٥) ونزونا على سعد أي : وقعوا عليه ووطئوه « النهاية في غريب الحديث والأثر » ٤٤/٥ .

(٦) صحيح البخاري ١٧٩/٤ – ١٨٠ .

المصطفى ﷺ بعد تذكير الصديق إياه بذلك .

فقد روى الإمام أحمد بإسناده إلى حميد بن عبد الرحمٰن قال : توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في طائفة من المدينة قال : فجاء فكشف عن وجهه فقبله وقال : فداك أبي وأمي ما أطيبك حياً وميتاً مات محمد ورب الكعبة – وفيه – فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتوهم فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم – إلا ذكره وقال : لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال : « **لو سلك الناس وادياً ، وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار** » ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال – وأنت قاعد : « **قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم** » فقال له سعد : صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد إيراده لهذا الحديث : « فهذا مرسل حسن ولعل حميداً أخذه عن بعض الصحابة الذين شهدوا ذلك وفيه فائدة جليلة جداً وهي أن سعد بن عبادة نزل عن مقامه الأول في دعوى الإمارة وأذعن للصديق بالإمارة فرضي الله عنهم أجمعين »[2] . والبيعة التي حصلت للصديق رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة تعتبر بيعة أولى من كبار وفضلاء الصحابة من مهاجرين وأنصار وقد بويع رضي الله عنه بيعة عامة من الغد في مسجد رسول الله ﷺ فتممت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة صبيحة يوم الثلاثاء وهو اليوم الثاني من متوفى رسول الله ﷺ وقبل تجهيزه عليه الصلاة والسلام .

روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي النبي ﷺ فتشهد وأبو بكر

---

(١) المسند ٥/١

(٢) منهاج السنة ١٤٣/١

صامت لا يتكلم قال : كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا يريد بذلك أن يكون آخرهم - فإن يك محمد قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمداً ﷺ وأن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين فإنه أولى الناس بأموركم ، فقوموا فبايعوه وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة وكانت بيعة العامة على المنبر قال الزهري عن أنس بن مالك : سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ : اصعد المنبر فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة »[١] .

وروى الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر قال : فقام خطيب الأنصار فقال : أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ، ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره قال : فقام عمر بن الخطاب فقال : صدق قائلكم أما لو قلتم غير هذا لم نبايعكم وأخذ بيد أبي بكر وقال : هذا صاحبكم فبايعوه فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار قال : فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير قال : فدعا بالزبير فجاء فقال : قلت ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فقام فبايعه ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء فقال : قلت ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين قال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه »[٢] .

قال ابن كثير : « فيه فائدة جليلة وهي : مبايعة علي بن أبي طالب إما

---

(١) صحيح البخاري ٢٤٨/٤ .

(٢) أورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢٨٠/٥ ثم قال عقبة : « وهذا إسناد صحيح محفوظ من حديث أبي نضرة المنذر بن مالك بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان المنذري وانظر الاعتقاد للبيهقي ص ١٧٨ .

في أول يوم ، أو في اليوم الثاني من الوفاة وهذا حق فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه ... وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة »[1] .

وأما ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها من أن فاطمة بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال : « **لا نورث ما تركنا صدقة** » إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته[2] فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد ... فقال عمر لأبي بكر : والله لا تدخل عليهم وحدك[3] فقال أبو بكر: وما عساهم أن يفعلوا بي إني والله لآتينهم فدخل

---

(١) البداية والنهاية ٢٨١/٥ .

(٢) قال النووي : « وأما ما ذكر من هجران فاطمة أبا بكر رضي الله عنه فمعناه انقباضها عن لقائه وليس هذا من الهجران المحرم الذي هو ترك السلام والإعراض عند اللقاء وقوله في هذا الحديث « فلم تكلمه » يعني في هذا الأمر أو لانقباضها لم تطلب منه حاجة ولا اضطرت إلى لقائه فتكلمه ولم ينقل قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته » اهـ . شرح النووي ٧٣/١٢ - ٧٤ .

(٣) معنى قول عمر رضي الله عنه : « والله لا تدخل عليهم وحدك » خاف أن يغلظوا عليه في المعاتبة ويحملهم على الإكثار من ذلك لين أبي بكر وصبره عن الجواب عن نفسه وربما رأى من كلامهم ما غير قلبه فيترتب على ذلك مفسدة خاصة أو عامة وإذا حضر عمر امتنعوا من ذلك » اهـ . شرح النووي ٧٨/١٢ .

عليهم أبو بكر فتشهد علي بن أبي طالب ثم قال : إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله و لم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نحن نرى لنا حقاً لقرابتنا من رسول الله ﷺ فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبي بكر فلما تكلم أبو بكر قال : والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتي وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإني لم آل فيها عن الحق و لم أترك أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته[1] فقال علي لأبي بكر : موعدك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر صلاة الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه ، ثم استغفر وتشهد علي بن أبي طالب فعظم حق أبي بكر وأنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكاراً للذي فضله الله به ولكنا كنا نرى لنا في الأمر نصيباً فاستبد علينا به فوجدنا في أنفسنا فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت فكان المسلمون إلى علي قريباً حين راجع الأمر المعروف »[2] .

فتأخر علي رضي الله عنه المدة المذكورة في الحديث عن بيعة الصديق رضي الله عنه أجاب عنه بعض أهل العلم بما يقنع الذين يسمعون ، ويشفي من سلمت قلوبهم من الأحقاد والأضغان لأصحاب رسول الله ﷺ .

فقد قال الإمام النووي : أما تأخر علي رضي الله عنه عن البيعة فقد ذكره علي في هذا الحديث واعتذر أبو بكر رضي الله عنه ومع هذا فتأخره ليس بقادح في البيعة ولا فيه أما البيعة فقد اتفق العلماء على أنه لا يشترط لصحتها مبايعة كل الناس ولا كل أهل الحل والعقد وإنما يشترط مبايعة من تيسر إجماعهم من

---

(١) ذكر البيهقي في كتابه « الاعتقاد » ص ١٧٩ أن الصديق رضي الله عنه قال في اعتذاره إلى علي وغيره ممن تخلف عن بيعته : « أما والله ما حملنا على إبرام ذلك دون من غاب عنه إلا مخافة الفتنة وتفاقم الحدثان وإن كنت لها لكارهاً لولا ذلك ما شهدها أحد كان أحب إلي أن يشهدها منك إلا من هو بمثل منزلتك » اهـ .

(٢) صحيح البخاري ٥٥/٣ - ٥٦ ، صحيح مسلم ١٣٨٠/٣ .

العلماء والرؤساء ووجوه الناس ، وأما عدم القدح فيه فلأنه لا يجب على كل واحد أن يأتي إلى الإمام فيضع يده في يده ويبايعه وإنما يلزمه إذا عقد أهل الحل والعقد للإمام الانقياد له وأن لا يظهر خلافاً ولا يشق العصا وهكذا كان شأن علي رضي الله عنه في تلك المدة التي قبل بيعته فإنه لم يظهر على أبي بكر خلافاً ولا شق العصا ولكنه تأخر عن الحضور عنده للعذر المذكور في الحديث ، ولم يكن انعقاد البيعة وانبرامها متوقفاً على حضوره فلم يجب عليه الحضور لذلك ولا لغيره فلما لم يجب لم يحضر وما نقل عنه قدح في البيعة ولا مخالفة ولكن بقي في نفسه عتب فتأخر حضوره إلى أن زال العتب وكان سبب العتب أنه مع وجاهته وفضيلته في نفسه في كل شيء وقربه من النبي ﷺ وغير ذلك رأى أنه لا يستبد بأمر إلا بمشورته وحضوره وكان عذر أبي بكر وعمر وسائر الصحابة واضحاً لأنهم رأوا المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين وخافوا من تأخيرها حصول خلاف ونزاع تترتب عليه مفاسد عظيمة ولهذا أخروا دفن النبي ﷺ حتى عقدوا البيعة لكونها كانت أهم الأمور كيلا يقع نزاع في مدفنه أو كفنه أو غسله أو الصلاة عليه أو غير ذلك وليس لهم من يفصل الأمور فرأوا تقدم البيعة أهم الأشياء والله أعلم »[1] .

وقال الحافظ ابن كثير معللا عدم استجابة الصديق رضي الله عنه لما طلبته فاطمة رضي الله عنها من الميراث حيث ظنت أن ما خلفه النبي ﷺ يقسم بين الورثة قال : « فلم يجبها إلى ذلك لأنه رأى أن حقاً عليه أن يقوم في جميع ما كان يتولاه رسول الله ﷺ وهو الصادق البار الراشد التابع للحق رضي الله عنه فحصل لها – وهي امرأة من البشر ليست براجية العصمة – عتب وتغضب ولم تكلم الصديق حتى ماتت واحتاج علي أن يراعي خاطرها بعض الشيء ، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها ﷺ رأى علي أن يجدد البيعة مع أبي بكر

(١) شرح النووي ١٢/٧٧ – ٧٨ .

رضي الله عنه ... مع ما تقدم له من البيعة قبل دفن رسول الله ﷺ ويزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبة في مغازيه عن سعد بن إبراهيم : حدثني أبي أن أباه عبد الرحمٰن بن عوف كان مع عمر ، وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير ، ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال : ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة ولا سألتها في سر ولا علانية فقبل المهاجرون مقالته وقال علي والزبير : ما غضبنا إلا لأنا أخرنا عن المشورة وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار وإنا لنعرف شرفه وخيره ولقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلي بالناس وهو حي « إسناد جيد ولله الحمد والمنة ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابة – المهاجرين منهم والأنصار – على تقديم أبي بكر وظهر له برهان قوله عليه الصلاة والسلام : « **يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** »[1] .

فبيعة علي رضي الله عنه للصديق بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها محمول على أنها بيعة ثانية أزالت ما كان قد وقع من وحشة بسبب الكلام في الميراث ومنعه إياهم ذلك بالنص عن رسول الله ﷺ في قوله : «**لا نورث ما تركناه فهو صدقة** » كما تقدم ، ومن هذا يعلم أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا حصل لهم بعض العتب على بعضهم فإنهم كانوا سريعي الرجوع عند مراجعة الحق وظهوره ولم يجعلوا للغل في قلوبهم سكناً بل كانت قلوبهم على قلب رجل واحد وحتى أم الحسنين رضي الله عنها رجعت عن عتبها على الصديق وعدلت عن مطالبته فيما أفاء الله على رسول الله ﷺ من مال فدك بعد أن أبان لها الحكم فيه كما سمعه من رسول الله ﷺ وقالت له : أنت وما سمعت من رسول الله ﷺ [2] وهذا هو الصواب والمظنون بها واللائق بأمرها وسيادتها وعلمها ودينها رضي الله عنها [3] ولم تطب نفس الإمام الأكبر والصديق الأعظم أبو بكر

---

(١) البداية والنهاية ٢٨١/٥ .

(٢) المسند ٤/١ ، سنن أبي داود ١٣٠/٢ ، البداية والنهاية ٣٢٥/٥ .

(٣) البداية والنهاية ٣٢٥/٥ .

رضي الله عنه أن تبقى سيدة نساء العالمين عاتبة عليه بل ترضاها وتلاينها قبل موتها فرضيت – رضي الله عنها – على رغم أنف كل رافضي على وجه الأرض .

فقد روى الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناده إلى إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال : لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها فقال علي : يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك فقالت : أتحب أن آذن له ؟ قال : نعم ! فأذنت له فدخل عليها يترضاها فقال : والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضات الله ومرضات رسوله ومرضاتكم أهل البيت ثم ترضاها حتى رضيت [1] .

ففي هذا الأثر صفعة قوية للرافضة الذين فتحوا على أنفسهم شراً عريضاً وجهلا طويلا وأدخلوا أنفسهم فيما لا يعنيهم بسبب ما ذكر من هجران فاطمة رضي الله عنها لأبي بكر ولو تفهموا الأمور على ما هي عليه لعرفوا للصديق فضله ، وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل أحد قبوله ، ولكنهم طائفة مخذولة وفرقة مرذولة يتمسكون بالمتشابه ويتركون الأمور المحكمة المقدرة عند أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء المعتبرين في سائر الأعصار والأمصار رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين »[2] .

ثم إن الصديق رضي الله عنه لم يقبل الإمامة حرصاً عليها ولا رغبة فيها وإنما قبلها تخوفاً من وقوع فتنة أكبر من تركه قبولها رضي الله عنه وأرضاه[3] ، ولما بويع رضي الله عنه البيعة الثانية التي هي بيعة عامة الناس في مسجد رسول الله

---

(١) أورده الحافظ ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » ٣٢٥/٥ ثم قال عقبه : وهذا إسناد جيد قوي والظاهر أن عامر الشعبي سمعه من علي أو ممن سمعه من علي وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٢٧/٨ ، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٢١/٢ وذكره الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١٣٩/٦ ، وقال عقبه وهو وإن كان مرسلا فإسناده إلى الشعبي صحيح .

(٢) انظر البداية والنهاية ٣٢٢/٥ .

(٣) انظر المصدر السابق ٢٧٩/٥ .

ﷺ خطب الناس خطبة عامة حيث قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله : « أما بعد : أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني . الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله . والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله »[1] .

وقوله رضي الله عنه : « قد وليت عليكم ولست بخيركم » من باب الهضم والتواضع إذ أنهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضي الله عنهم [2] .

ففي هذه الروايات المتقدمة بيان كيفية مبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة بعد وفاة النبي ﷺ فقد انعقدت له الخلافة بعقد خيار هذه الأمة المحمدية وهم صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار الذين هم بطانة رسول الله ﷺ والذين بهم صار للإسلام قوة وعزة وبهم قهر المشركون وبهم فتحت جزيرة العرب . فجمهور الذين بايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هم الذين بايعوا أبا بكر وأما كون عمر أو غيره سبق إلى البيعة ففي كل بيعة لابد من سابق »[3] .

* * *

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٦٦١/٢ ، والطبقات لابن سعد ١٨٢/٣ - ١٨٣ البداية والنهاية ٢٧٩/٥ - ٢٨٠ وقال : « هذا إسناد صحيح » .

(٢) انظر البداية والنهاية ٢٨٠/٥ .

(٣) منهاج السنة ١٤٢/١ .

★ المبحث الثالث ★

ذكر النصوص التي فيها الإشارة إلى خلافته من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

* أولا : الآيات القرآنية :

لقد وردت آيات في الكتاب العزيز فيها الإشارة إلى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أحق الناس من هذه الأمة بخلافة سيد الأولين والآخرين وتلك الآيات هي :

(١) قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[١] ووجه الدلالة أن أبا بكر رضي الله عنه داخل فيمن أمر الله - جل وعلا - عباده أن يسألوه أن يهديهم طريقهم وأن يسلك بهم سبيلهم وهم الذين أنعم الله عليهم وذكر منهم الصديقين في قوله : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾[٢] وقد أخبر المصطفى ﷺ أن أبا بكر رضي الله عنه من الصديقين[٣] فدل ذلك على أنه واحد منهم بل هو المقدم فيهم ولما كان أبو بكر رضي الله عنه ممن طريقهم هو الصراط المستقيم فلا يبقى أي شك لدى العاقل في أنه أحق خلق الله من هذه الأمة بخلافة المصطفى ﷺ .

قال محمد بن عمر الرازي : « قوله :﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ

---

(١) سورة الفاتحة آية / ٦ - ٧ .

(٢) سورة النساء آية / ٦٩ .

(٣) انظر صحيح البخاري ٢/٢٩٣ .

﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ يدل على إمامة أبي بكر رضي الله عنه لأنا ذكرنا أن تقدير الآية : اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم والله تعالى قد بين في آية أخرى أن الذين أنعم الله عليهم من هم ؟ فقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ الآية ولا شك أن رأس الصديقين ورئيسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فكان معنى الآية أن الله أمرنا أن نطلب الهداية التي كان عليها أبو بكر الصديق وسائر الصديقين ولو كان أبو بكر ظالماً لما جاز الاقتداء به فثبت بما ذكرناه دلالة هذه الآية على إمامة أبي بكر رضي الله عنه »[1] .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : « يؤخذ من هذه الآية الكريمة صحة إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم – أعني الفاتحة – بأن نسأله أن يهدينا صراطهم فدل على أن صراطهم هو الصراط المستقيم وذلك في قوله : ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ وقد بين الذين أنعم عليهم فعد منهم الصديقين وقد بين ﷺ أن أبا بكر رضي الله عنه من الصديقين فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى صراطهم فلم يبق لبس في أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه على الصراط المستقيم وأن إمامته حق »[2].

(٢) وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3] .

هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر

---

(١) التفسير الكبير للرازي ٢٦٠/١ .

(٢) أضواء البيان ٣٦/١ .

(٣) سورة المائدة آية / ٥٤ .

الصديق رضي الله عنه وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى المبرات ووجه دلالة الآية على خلافة الصديق أنه « كان في علم الله سبحانه وتعالى ما يكون بعد وفاة رسول الله ﷺ من ارتداد قوم فوعد سبحانه – ووعده صدق – أنه يأتي بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، فلما وجد ما كان في علمه في ارتداد من ارتد بعد وفاة رسول الله ﷺ وجد تصديق وعده بقيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بقتالهم فجاهد بمن أطاعه من الصحابة من عصاه من الأعراب و لم يخف في الله لومة لائم حتى ظهر الحق وزهق الباطل وصار تصديق وعده بعد وفاة رسوله ﷺ آية للعالمين ودلالة على صحة خلافة الصديق رضي الله عنه »[1] روى ابن جرير الطبري بإسناده إلى علي رضي الله عنه أنه قال في قوله : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾ قال : فسوف يأتي الله المرتدة في دورهم بقوم يحبهم ويحبونه بأبي بكر وأصحابه »[2] وروى الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناده إلى الحسن البصري رحمه الله أنه قال في قوله : ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾ قال : هم الذين قاتلوا مع أبي بكر أهل الردة من العرب حتى رجعوا إلى الإسلام بعد رسول الله ﷺ ثم قال: وكذلك قال عكرمة وقتادة والضحاك، وروينا عن عبد الله بن الأهتم أنه قال لعمر بن عبد العزيز : إن أبا بكر الصديق قام بعد رسول الله ﷺ فدعا إلى سنته ومضى على سبيله فارتدت العرب، أو من ارتد منهم فعرضوا أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة فأبى أن يقبل منهم إلا ما كان رسول الله ﷺ قابلا في حياته فانتزع السيوف من أغمادها وأوقد النيران في شعلها وركب بأهل حق الله أكتاف أهل الباطل حتى قررهم بالذي نفروا منه وأدخلهم من الباب الذي خرجوا

---

(١) الاعتقاد للبيهقي ص ١٧٣ – ١٧٤ .

(٢) جامع البيان ٦/٢٨٥ .

منه حتى قبضه الله »[1] .

فدلت الآية السابقة على خلافة الصديق حيث حصل في خلافته ما نطقت به الآية من ارتداد الكثير من العرب عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ وجاهدهم أبو بكر رضي الله عنه هو والصحابة الكرام رضي الله عنهم حتى رجعوا إلى الإسلام كما أخبر الله تعالى في الآية وهذا من الكائنات التي أخبر بها الرب – جل وعلا – قبل وقوعها .

(٣) قال تعالى : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[2] ففي هذه الآية الكريمة جعل الله أبا بكر في مقابلة الصحابة أجمع حيث خاطبهم بأنهم إن لم يعينوا رسوله ﷺ بالنفير معه للمقاتلة في سبيل الله فقد نصره بصاحبه أبي بكر رضي الله عنه وأيده بجنود من الملائكة ثم بين – تعالى – أنه ثاني اثنين – ثالثهما رب العالمين وهذه الميزة الشريفة والمنزلة العظيمة اعتبرها أصحاب رسول الله ﷺ من صفاته العالية التي جعلته أحق الناس بالإمامة بعد النبي ﷺ[3] لأنه لا أفضل في الأمة المحمدية من أبي بكر الذي هو ثاني اثنين قال عليه الصلاة والسلام في شأنهما : « **ما ظنك باثنين الله ثالثهما** »[4] .

قال أبو عبد الله القرطبي : « قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ ما يدل على أن الخليفة بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأن الخليفة لا يكون أبداً إلا ثانياً وسمعت شيخنا أبا العباس أحمد ابن عمر يقول : إنما استحق الصديق أن يقال له ثاني اثنين لقيامه بعد النبي ﷺ بالأمر كقيام النبي ﷺ به أولا ، وذلك أن النبي ﷺ لما مات ارتدت العرب

---

(١) الاعتقاد ص ١٧٤ .

(٢) سورة التوبة آية / ٤٠ .

(٣) انظر صحيح البخاري ٢٤٨/٤ ، المصنف لابن أبي شيبة ٥٧٠/١٥ .

(٤) صحيح البخاري ٢٨٨/٢ ، صحيح مسلم ١٨٥٤/٤ .

كلها ولم يبق الإسلام إلا بالمدينة وجواثاً[1] فقام أبو بكر يدعو الناس إلى الإسلام ويقاتلهم على الدخول في الدين كما فعل النبي ﷺ فاستحق من هذه الجهة أن يقال في حقه ثاني اثنين »[2] .

(٤) قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[3] . الآية « ووجه دلالة الآية على أحقية الصديق بالإمامة بعد النبي ﷺ أن الهجرة فعل شاق على النفس ومخالف للطبع فمن أقدم عليه أولا صار قدوة لغيره في هذه الطاعة وكان ذلك مقوياً لقلب الرسول عليه الصلاة والسلام وسبباً لزوال الوحشة عن خاطره وكذلك السبق في النصرة فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة فلا شك أن الذين سبقوا إلى النصرة والخدمة فازوا بمنصب عظيم وإذا ثبت هذا فإن أسبق الناس إلى الهجرة أبو بكر الصديق فإنه كان في خدمة المصطفى عليه الصلاة والسلام وكان مصاحباً له في كل مسكن وموضع فكان نصيبه من هذا المنصب أعلى من نصيب غيره وإذا ثبت هذا صار محكوماً عليه بأنه رضي الله عنه ورضي هو عن الله وذلك في أعلى الدرجات من الفضل ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون إماماً حقاً بعد رسول الله ﷺ فصارت هذه الآية من أدل الدلائل على فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعلى صحة إمامتهما »[4] .

(٥) قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[5]

---

(١) جواثاً : قرية بالبحرين معروفة « انظر معجم البلدان » ١٧٤/٢ ، لسان العرب ١٢٦/٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤٧/٨ - ١٤٨ .

(٣) سورة التوبة آية / ١٠٠ .

(٤) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ١٦٨/١٦ - ١٦٩ .

(٥) سورة النور آية / ٥٥ .

« هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق رضي الله عنه وعلى خلافة الثلاثة بعده فلما وجدت هذه الصفة من الاستخلاف والتمكين في أمر أبي بكر وعمر وعثمان وعلي دل ذلك على أن خلافتهم حق »[1] .

قال الحافظ ابن كثير : « وقال بعض السلف خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حق في كتاب الله ثم تلا هذه الآية »[2] .

(٦) قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[3] .

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى : « وقد دل الله على إمامة أبي بكر في سورة براءة فقال للقاعدين عن نصرة نبيه عليه السلام والمتخلفين عن الخروج معه ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾[4] وقال في سورة أخرى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ يعني قوله : ﴿ لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا ﴾ ثم قال : ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وقال: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ ﴾ - يعني تعرضوا عن إجابة الداعي لكم إلى قتالهم - ﴿ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[5] والداعي لهم إلى ذلك غير النبي ﷺ الذي قال الله - عز وجل - له ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ وقال في سورة الفتح :

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢١/٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سورة الفتح آية / ١٦ .

(٤) سورة التوبة آية / ٨٣ .

(٥) سورة الفتح آية / ١٥ - ١٦ .

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ « فمنعهم عن الخروج مع نبيه عليه السلام وجعل خروجهم معه تبديلا لكلامه فوجب بذلك أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعد نبيه ﷺ »[1] . وقد قال مجاهد في قوله : ﴿ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ : هم فارس والروم وبه قال الحسن البصري . وقال عطاء : هم فارس وهو أحد قولي ابن عباس رضي الله عنه ، وفي رواية أخرى عنه أنهم بنو حنيفة يوم اليمامة فإن كانوا أهل اليمامة فقد قوتلوا في أيام أبي بكر : وهو الداعي إلى قتال مسيلمة وبني حنيفة من أهل اليمامة ، وإن كانوا أهل فارس والروم[2] فقد قوتلوا في أيام أبي بكر وقاتلهم عمر من بعده وفرغ منهم وإذا وجبت إمامة عمر وجبت إمامة أبي بكر كما وجبت إمامة عمر لأنه العاقد له الإمامة فقد دل القرآن على إمامة الصديق والفاروق رضي الله عنهما ، وإذا وجبت إمامة أبي بكر بعد رسول الله ﷺ وجب أنه أفضل المسلمين رضي الله عنه »[3] .

(٧) قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[4] .

وجه دلالة هذه الآية على خلافته رضي الله عنه أن الله – جل وعلا – سماهم « صادقين » ومن شهد له الرب – جل وعلا – بالصدق فإنه لا يقع في الكذب ولا يتخذه خلقاً بحال وقد أطبق هؤلاء الموصوفون بالصدق على تسمية الصديق رضي الله عنه « خليفة رسول الله »[5] ﷺ ومن هنا كانت الآية دالة على ثبوت خلافته رضي الله عنه .

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة ص ٦٧ ، وانظر مقالات الإسلاميين ١٤٤/٢ ، الاعتقاد للبيهقي ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٨٢/٢٦ - ٨٤ ، الاعتقاد للبيهقي ص ١٧٣ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٤٠/٦ .

(٣) الإبانة عن أصول الديانة ص ٦٧ .

(٤) سورة الحشر آية / ٨ .

(٥) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٠٧/٤ ، منهاج السنة ١٣٥/١ .

* **ثانياً** : وأما الأحاديث النبوية التي جاء التنبيه فيها على خلافة أبي بكر رضي الله عنه فكثيرة شهيرة متواترة ظاهرة الدلالة إما على وجه التصريح ، أو الإشارة ولاشتهارها وتواترها صارت معلومة من الدين بالضرورة بحيث لا يسع أهل البدعة إنكارها ومن تلك الأحاديث : -

(١) ما رواه الشيخان في صحيحيهما عن جبير بن مطعم قال : أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت : أرأيت إن جئت ولم أجدك - كأنها تقول الموت - قال ﷺ : « **إن لم تجديني فأتي أبا بكر** »[١] .

اشتمل هذا الحديث على إشارة واضحة في أن الذي يخلفه على الأمة هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

قال أبو محمد بن حزم : « وهذا نص جلي على استخلاف أبي بكر »[٢] .
وقال الحافظ ابن حجر : « وفي الحديث أن مواعيد النبي ﷺ كانت على من يتولى الخلافة بعده تنجيزها وفيه رد على الشيعة في زعمهم أنه نص على استخلاف علي والعباس »[٣] .

(٢) وروى مسلم رحمه الله بإسناده إلى ابن أبي مليكة قال : سمعت عائشة وسئلت : من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه ؟ قالت : أبو بكر . فقيل لها : ثم من بعد أبي بكر ؟ قالت : عمر ، ثم قيل لها : من بعد عمر ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح ثم انتهت إلى هذا »[٤] .

قال النووي : « هذا دليل لأهل السنة في تقديم أبي بكر ثم عمر للخلافة مع إجماع الصحابة وفيه دلالة لأهل السنة أن خلافة أبي بكر ليست بنص من

---

(١) صحيح البخاري ٢٨٩/٢ ، صحيح مسلم ١٨٥٦/٤ - ١٨٥٧ .
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٠٨/٤ .
(٣) فتح الباري ٢٤/٧ .
(٤) صحيح مسلم ١٨٥٦/٤ .

النبي ﷺ على خلافته صريحاً بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضيلته ولو كان هناك نص عليه أو على غيره لم تقع المنازعة من الأنصار وغيرهم أولا ولذكر حافظ النص ما معه ولرجعوا إليه لكن تنازعوا أولا ولم يكن هناك نص ثم اتفقوا على أبي بكر واستقر الأمر وأما ما تدعيه الشيعة من النص على علي والوصية إليه فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين والاتفاق على بطلان دعواهم من زمن علي وأول من كذبهم علي رضي الله عنه بقوله : ما عندنا إلا ما في هذه الصحيفة الحديث[1] ولو كان عنده نص لذكره ولم ينقل أنه ذكره في يوم من الأيام ولا أن أحداً ذكره له والله أعلم وأما قوله ﷺ ... للمرأة حين قالت : يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك قال : « **فإن لم تجديني فأتي أبا بكر** » فليس فيه نص على خلافته وأمر بها بل هو إخبار بالغيب الذي أعلمه الله تعالى به والله أعلم »[2] .

(٣) وروى الإمام أحمد وغيره عن حذيفة قال : كنا عند النبي ﷺ جلوساً فقال : « **إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي** » وأشار إلى أبي بكر وعمر « **وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه** »[3].

فقوله ﷺ : « **اقتدوا باللذين من بعدي** » أي : « بالخليفتين اللذين يقومان من بعدي وهما أبو بكر وعمر . وحث على الاقتداء بهما لحسن سيرتهما وصدق سريرتهما وفي الحديث إشارة لأمر الخلافة »[4] .

(٤) وروى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **بينا أنا نائم أريت أني أنزع على حوضي أسقي الناس فجاءني أبو بكر فأخذ الدلو من يدي ليروحني فنزع دلوين وفي نزعه**

---

(١) انظر هذا الحديث في صحيح مسلم ١٥٦٧/٣ .

(٢) شرح النووي ١٥٤/١٥ - ١٥٥ .

(٣) المسند ٣٨٥/٥ - وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٢٣٣/٣ - ٢٣٦ .

(٤) انظر فيض القدير للمناوي ٥٦/٢ ، تحفة الأحوذي بشرح الترمذي ١٤٧/١٠ .

ضعف والله يغفر له فجاء ابن الخطاب فأخذ منه فلم أر نزع رجل قط أقوى منه حتى تولى الناس والحوض ملآن يتفجر »[1] .

هذا الحديث فيه إشارة ظاهرة إلى خلافة أبي بكر وعمر وصحة ولايتهما وبيان صفتها وانتفاع المسلمين بها .

قال الشافعي رحمه الله تعالى : « رؤيا الأنبياء وحي وقوله : وفي نزعه ضعف قصر مدته وعجلة موته وشغله بالحرب لأهل الردة عن الافتتاح والتزيد الذي بلغه عمر في طول مدته »[2] .

(٥) وروى الشيخان في صحيحيهما من حديث عائشة قالت : قال لي رسول الله ﷺ في مرضه : « **ادعي لي أبا بكر ، وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل : أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** »[3] .

(٦) وعند الإمام أحمد عنها رضي الله عنها قالت : لما ثقل رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمٰن بن أبي بكر : « **ائتني بكتف**[4] **أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه** » فلما ذهب عبد الرحمٰن ليقوم قال : « **أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر** »[5] .

دل هذا الحديث دلالة ظاهرة على فضل الصديق رضي الله عنه حيث أخبر النبي ﷺ بما سيقع في المستقبل بعد التحاقه بالرفيق الأعلى وأن المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره رضي الله عنه وفي الحديث إشارة أنه سيحصل نزاع ووقع كل

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٠ ، صحيح مسلم ٤/١٨٦١ - ١٨٦٢ واللفظ له .
(٢) الاعتقاد للبيهقي ص ١٧١ .
(٣) صحيح البخاري ٢/٢٤٧ - ٢٤٨ ، صحيح مسلم ٤/١٨٥٧ واللفظ له .
(٤) الكتف : عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدواب كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس « النهاية » ٤/١٥٠ .
(٥) المسند ٦/٤٧ .

ذلك كما أخبر عليه الصلاة والسلام ثم اجتمعوا على أبي بكر رضي الله عنه قال أبو محمد بن حزم بعد أن ذكر هذا الحديث : « فهذا نص جلي على استخلافه عليه الصلاة والسلام أبا بكر على ولاية الأمة بعده »[1] .

(٧) وروى البخاري من حديث طويل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ قال : « **إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر** »[2] .

وفي لفظ آخر للشيخين : « **لا يبقين في المسجد خوخة**[3] **إلا سدت إلا خوخة أبي بكر** »[4] فأمره ﷺ بسد الأبواب جميعها إلا باب أبي بكر فيه إشارة قوية إلى أنه أول من يلي أمر الأمة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام . قال الحافظ ابن حجر : « قوله إلا باب أبي بكر » هو استثناء مفرغ والمعنى لا تبقوا باباً غير مسدود إلا باب أبي بكر فاتركوه بغير سد قال الخطابي وابن بطال وغيرهما : في هذا الحديث اختصاص ظاهر لأبي بكر وفيه إشارة قوية إلى استحقاقه للخلافة ولا سيما وقد ثبت أن ذلك كان في آخر حياة النبي ﷺ في الوقت الذي أمرهم فيه أن لا يؤمهم إلا أبو بكر وقد ادعى بعضهم أن الباب كناية عن الخلافة والأمر بالسد كناية عن طلبها[5] كأنه قال : لا يطلبن أحد الخلافة إلا أبا بكر فإنه لا حرج عليه في طلبها وإلى هذا جنح ابن حبان فقال بعد أن أخرج هذا الحديث : في هذا الحديث دليل على أنه الخليفة بعد النبي ﷺ لأنه حسم بقوله سدوا عنى

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٠٨/٤ .

(٢) صحيح البخاري ٢٨٨/٢ - ٢٨٩ .

(٣) الخوخة : الباب الصغير بين البيتين أو الدارين « شرح النووي » ١٥١/١٥ ، النهاية لابن الأثير ٨٦/٢ .

(٤) صحيح البخاري ٣٣١/٢ .

(٥) الصحيح في تأويل الحديث أن سد الخوخات كان حسياً وليس معنوياً ولذلك بادروا إلى سد الخوخات بالماء والطين والله أعلم .

كل خوخة في المسجد أطماع الناس كلهم على أن يكونوا خلفاء بعده »[1].

(٨) وروى الشيخان في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه فقال : « **مروا أبا بكر فليصل بالناس** » فقالت عائشة : إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس قال : « **مروا أبا بكر فليصل بالناس** » فعادت فقال : « **مري أبا بكر فليصل بالناس ، فإنكن صواحب يوسف** »[2] فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة النبي ﷺ [3].

(٩) وفي رواية أخرى عنها رضي الله عنها أنها قالت : « إن رسول الله ﷺ قال في مرضه : « **مروا أبا بكر يصلي بالناس** » قالت عائشة : قلت : إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء ، فمر عمر فليصل للناس فقالت عائشة : فقلت لحفصة : قولي له : إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل للناس ففعلت حفصة فقال رسول الله ﷺ : « **مه إنكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس** » فقالت حفصة لعائشة :« ما كنت لأصيب منك خيراً »[4].

(١٠) وروى مسلم في صحيحه بإسناده إلى عبيد الله بن عبد الله قال : دخلت على عائشة فقلت لها : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ قالت : بلى ثقل النبي ﷺ فقال : « **أصلى الناس** » قلنا : لا وهم ينتظرونك يا رسول الله قال: « **ضعوا لي ماء في المخضب** »[5] ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء[6] فأغمي عليه ثم

---

(١) فتح الباري ١٤/٧ .

(٢) قوله : فإنكن صواحب يوسف : أي في التظاهر على ما تردن وكثرة إلحاحكن في طلب ما تردنه وتملن إليه « اهـ » . شرح النووي ١٤٠/٤ .

(٣) صحيح البخاري ١٢٤/٢ ، صحيح مسلم ٣١٦/١ .

(٤) صحيح البخاري ١٢٤/٢ ، صحيح مسلم ٣١٣/١ .

(٥) المخضب : بالكسر شبه المركن وهي إجانة تغسل فيها الثياب « النهاية في غريب الحديث ٣٩/٢ ، شرح النووي ١٣٦/٤ .

(٦) ينوء : أي يقوم وينهض « شرح النووي » ١٣٦/٤ .

أفاق فقال : « **أصلى الناس** » قلنا : لا وهم ينتظرونك يا رسول الله فقال : « **ضعوا لي ماء في المخضب** » ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال : « **أصلى الناس** » فقلنا : لا وهم ينتظرونك يا رسول الله قالت : والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلي بالناس فأتاه الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس فقال أبو بكر ، وكان رجلا رقيقاً : يا عمر صل بالناس قال : فقال : عمر أنت أحق بذلك قالت : فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام ثم إن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ أن لا يتأخر وقال لهما : « **أجلساني إلى جنبه** » فأجلساه إلى جنب أبي بكر وكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي ﷺ قاعد قال عبيد الله : فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له : ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله ﷺ قال : هات فعرضت حديثها عليه فما أنكر منه شيئاً غير أنه قال : أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس قلت : لا قال : هو علي »[1] .

هذا الحديث اشتمل على فوائد عظيمة منها : « فضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وترجيحه على جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتفضيله ، وتنبيه على أنه أحق بخلافة رسول الله ﷺ من غيره ومنها أن الإمام إذا عرض له عذر عن حضور الجماعة استخلف من يصلي بهم وأنه لا يستخلف إلا أفضلهم ، ومنها فضيلة عمر بعد أبي بكر رضي الله عنه لأن أبا بكر رضي الله عنه لم يعدل إلى غيره »[2] .

---

(١) صحيح مسلم ٣١١/١ - ٣١٢ .

(٢) شرح النووي ١٣٧/٤ .

(١١) وروى الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع رسول الله ﷺ الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً قال : فبهتنا ونحن في الصلاة من فرح بخروج رسول الله ﷺ ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله ﷺ خارج للصلاة فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده أن أتموا صلاتكم قال : ثم دخل رسول الله ﷺ فأرخى الستر قال : فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك »[١] .

(١٢) وروى البخاري بإسناده إلى أنس رضي الله عنه قال : « لم يخرج النبي ﷺ ثلاثاً فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه فلما وضح وجه النبي ﷺ ما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضح لنا فأومأ النبي ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى النبي ﷺ الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات »[٢] فهذه الأحاديث التي فيها تقديم الصديق رضي الله عنه في الصلاة على اختلاف رواياتها واضحة الدلالة على أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل الصحابة على الإطلاق وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالإمامة وقد فهم هذه الدلالة أصحاب رسول الله ﷺ .

(١٣) فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير قال : فأتاهم عمر رضي الله عنه فقال : يا معشر الأنصار ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر يؤم الناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر رضي الله عنه فقالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر »[٣] .

---

(١) صحيح البخاري ١٢٤/٢ ، صحيح مسلم ٣١٥/١ .
(٢) صحيح البخاري ١٢٤/٢ - ١٢٥ .
(٣) المستدرك ٦٧/٣ .

(١٤) وروى ابن سعد بإسناده إلى الحسن قال : قال علي : لما قبض النبي ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لديننا فقدمنا أبا بكر [(١)].

وكما فهم أصحاب رسول الله ﷺ من تقديم الصديق في الصلاة أن ذلك إشارة إلى أنه أحق الناس بالإمامة بعد وفاته ﷺ كذلك فهم هذا الفهم من جاء بعدهم من أهل العلم ، فقد قال أبو بكر المروذي[(٢)]: قيل لأبي عبد الله – أحمد بن حنبل – قول النبي ﷺ : « **يؤم القوم أقرؤهم** » فلما مرض قال : « **قدموا أبا بكر يصلي بالناس** » ، وقد كان في القوم من هو أقرؤ من أبي بكر فقال أبو عبد الله : إنما أراد الخلافة [(٣)] . وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى : « وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام قال : وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء : أن رسول الله ﷺ قال : « **يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا فى السنة سواء فأكبرهم سناً ، فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم إسلاماً** » – قال ابن كثير – وهذا من كلام الأشعري رحمه الله مما ينبغي أن يكتب بماء الذهب ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلها في الصديق رضي الله عنه وأرضاه[(٤)].

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي بعد أن ساق الأحاديث التي فيها تقديم أبي بكر الصديق في الصلاة : « فهذه الأخبار وما في معناها تدل على أن النبي

---

(١) الطبقات ١٨٣/٣ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز أبو بكر المروذى كان رحمه الله مقدماً في أصحاب أحمد لورعه وفضله وكان أحمد يأنس به وينبسط إليه وهو الذي تولى إغماض أحمد لما مات وغسله وروى عن الإمام أحمد مسائل كثيرة توفى سنة خمس وسبعين ومائتين هجرية « انظر ترجمته في طبقات الحنابلة » ٥٦/١ – ٦٣ .

(٣) المسند من مسائل الإمام أحمد للخلال ورقة ٤٣ وهو مخطوط يوجد في مكتبة مخطوطات الجامعة الإسلامية ، وانظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ١٦٠ .

(٤) البداية والنهاية ٢٦٥/٥ .

ﷺ رأى أن يكون الخليفة من بعده أبو بكر الصديق فنبه أمته بما ذكر من فضيلته وسابقته وحسن أثره ، ثم بما أمرهم به من الصلاة خلفه ، ثم الاقتداء به وبعمر ابن الخطاب رضي الله عنهما على ذلك وإنما لم ينص عليه نصاً لا يحتمل غيره والله أعلم لأنه علم بإعلام الله إياه أن المسلمين يجتمعون عليه وأن خلافته تنعقد بإجماعهم على بيعته » اهـ[1] .

ولا يفوتنا أن نذكر في ختام هذا المبحث أن أهل السنة لهم قولان في إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من حيث الإشارة إليها بالنص الخفي أو الجلي .

* القول الأول :

منهم من قال : إن إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثابتة بالنص الخفي والإشارة وهذا القول ينسب إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى وجماعة من أهل الحديث[2] وهو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل[3] رحمة الله عليه واستدل أصحاب هذا القول بتقديم النبي ﷺ له في الصلاة وبأمره ﷺ بسد الأبواب إلا باب أبي بكر وقد تقدمت هذه الأحاديث قريباً .

* القول الثاني : -

ومنهم من قال : إن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثابتة بالنص الجلي وهذا قول طائفة من أهل الحديث[4] وبه قال أبو محمد بن حزم الظاهري[5] واستدل

---

(١) الاعتقاد ص ١٧٢ .

(٢) انظر « الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم » ١٠٧/٤ ، منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٣٤/١ - ١٣٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢٥/١ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٥٣٣ .

(٣) انظر المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى الفراء ص ٢٢٦ ، منهاج السنة ١٣٤/١ .

(٤) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٠٧/٤ ، منهاج السنة ١٣٤/١ - ١٣٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢٥/١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٣ .

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٠٧/٤ .

هذا الفريق بحديث المرأة التي قال لها : « **إن لم تجديني فأتي أبا بكر** » وبقوله لعائشة رضي الله عنها : « **ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** » وحديث رؤياه ﷺ « أنه على حوض يسقي الناس فجاء أبو بكر فنزع الدلو من يده ليروحه » وكل هذه الأحاديث تقدم تخريجها قريباً في هذا المبحث .

والقول الذي يطمئن إليه القلب وترتاح له النفس في خلافة أبي بكر رضي الله عنه أن يقال : إن المصطفى ﷺ لم يأمر المسلمين بأن يكون الخليفة عليهم من بعده أبا بكر رضي الله عنه وإنما دلهم عليها لإعلام الله – سبحانه – له بأن المسلمين سيختارونه لما له من الفضائل العالية التي ورد بها القرآن والسنة وفاق بها غيره من جميع الأمة المحمدية رضي الله عنه وأرضاه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد ذكره للخلاف الوارد في خلافة الصديق هل ثبتت بالنص الجلي ، أو الخفي : « والتحقيق أن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له وعزم على أن يكتب بذلك عهداً ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك ... فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه رسول الله ﷺ بياناً قاطعاً للعذر ولكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين وفهموا ذلك حصل المقصود ولهذا قال عمر بن الخطاب في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار : وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر ، رواه البخاري ومسلم ... » إلى أن قال – « فخلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسوله ﷺ له بها وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختياراً استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله وأنه أحقهم بهذا الأمر عند الله ورسوله فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعاً لكن النص دل على

رضا الله ورسوله بها وأنها حق وأن الله أمر بها وقدرها وأن المؤمنين يختارونها وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها لأنه حينئذ كان يكون طريق ثبوتها مجرد العهد ، وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ورضا الله ورسوله بذلك كان ذلك دليلا على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة فإن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهد خاص »[1] .

فهذا هو الرأى الراجح في هذه المسألة لأن النصوص متفقة على إثبات فضله الذي لا يلحقه فيه أحد ، وإرشاد الأمة إلى أنه أحق الناس بنيابة الرسول ﷺ بعد وفاته فقد أخبر النبي ﷺ أن المسلمين سيجتمعون على خلافة أبي بكر لسابقته إلى الإسلام وفضله العظيم الذي لا يشاركه فيه أحد فخلافته رضي الله عنه ورد في القرآن والسنة التنبيه والإشارة إليها والله أعلم .

* * *

(١) منهاج السنة ١٣٩/١ - ١٤١ وانظر مجموع الفتاوى ٤٧/٣٥ - ٤٩ .

★ المبحث الرابع ★

بيان انعقاد الإجماع على خلافته رضي الله عنه

لقد أجمع أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً على أن أحق الناس بالخلافة بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه لفضله وسابقته ولتقديم النبي ﷺ إياه في الصلوات على جميع الصحابة وقد فهم أصحاب النبي ﷺ مراد المصطفى عليه الصلاة والسلام من تقديمه في الصلاة فأجمعوا على تقديمه في الخلافة ومتابعته ولم يتخلف منهم أحد ولم يكن - الرب جل وعلا - ليجمعهم على ضلالة فبايعوه طائعين وكانوا لأوامره ممتثلين ولم يعارض منهم أحد في تقديمه وما يزعمه الشيعة من أن علياً تخلف عن بيعته هو والزبير قد قدمنا قريباً ما يدل على بطلان هذا الزعم من ثبوت بيعتهما في البيعة العامة التي كانت في مسجد رسول الله ﷺ في اليوم الثاني من بيعة السقيفة ومن زعم أن علياً والزبير رضي الله عنهما بايعا ظاهراً وخالفا باطناً فقد قال فيهما أقبح القول فهما رضي الله عنهما أجل قدراً وأكبر محلا من هذا، وقد نقل إجماع الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة على أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أولى بالخلافة من كل أحد جماعة من أهل العلم المعتبرين .

فقد روى الخطيب البغدادي بإسناده إلى أبي محمد عبد الله بن محمد بن عثمان الحافظ أنه قال : أجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر قالوا له : يا خليفة رسول الله ولم يسم أحد بعده خليفة ، وقيل : إنه قبض النبي ﷺ عن ثلاثين ألف مسلم كل قال لأبي بكر : يا خليفة رسول الله ورضوا به من بعده رضي الله عنهم [1] .

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/١٣٠ - ١٣١ .

وقال أبو الحسن الأشعري : « أثنى الله – عز وجل – على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام ، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة وأثنى على أهل بيعة الرضوان فقال عز وجل: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الآية[1] قد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسموه خليفة رسول الله ﷺ وبايعوه وانقادوا له وأقروا له بالفضل وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة وغير ذلك »[2] .

وقال أيضاً : بعد أن ذكر آيات من القرآن الكريم استدل بها على خلافة أبي بكر : « ومما يدل على إمامة الصديق رضي الله عنه أن المسلمين جميعاً تابعوه وانقادوا لإمامته ... ثم رأينا علياً والعباس قد بايعاه وأجمعا على إمامته فوجب أن يكون إماماً بعد النبي ﷺ بإجماع المسلمين ، ولا يجوز لقائل أن يقول كان باطن علي والعباس خلاف ظاهرهما ، ولو جاز هذا لمدعيه لم يصح إجماع وجاز لقائل أن يقول ذلك في كل إجماع المسلمين وهذا يسقط حجية الإجماع لأن الله – عز وجل – لم يتعبدنا في الإجماع بباطن الناس وإنما تعبدنا بظاهرهم وإذا كان ذلك كذلك فقد حصل الإجماع والاتفاق على إمامة أبي بكر الصديق »[3] .

وقال أبو بكر الباقلاني في معرض ذكره للإجماع على خلافة الصديق رضي الله عنه : « وكان رضي الله عنه مفروض الطاعة لإجماع المسلمين على طاعته وإمامته وانقيادهم له حتى قال أمير المؤمنين علي عليه السلام مجيباً لقوله رضي الله عنه لما قال : أقيلوني فلست بخيركم ، فقال : لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله ﷺ لديننا ألا نرضاك لدنيانا يعني بذلك حين قدمه للإمامة في الصلاة مع حضوره واستنابته في إمارة الحج فأمرك علينا وكان رضي الله عنه أفضل الأمة وأرجحهم

---

(١) سورة الفتح آية / ١٨ .

(٢) الإبانة عن أصول الديانة ص ٦٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٧ – ٦٨ .

إيماناً وأكملهم فهماً وأوفرهم علماً »[1] .

وقال أبو عثمان الصابوني : « ويثبت أهل الحديث خلافة أبي بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ باختيار الصحابة واتفاقهم عليه ، وقولهم قاطبة : رضيه رسول الله ﷺ لديننا فرضيناه لدنيانا ، وقولهم : قدمك رسول الله ﷺ فمن يؤخرك وأرادوا أنه ﷺ قدمك في الصلاة بنا أيام مرضه فصلينا وراءك بأمره فمن ذا الذي يؤخرك بعد تقديمه إياك وكان رسول الله ﷺ يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبين للصحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده فلذلك اتفقوا عليه واجتمعوا فانتفعوا بمكانه والله وارتفعوا به وارتقوا »[2] .

وقال أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي بعد ذكره روايات عدة في مبايعة الصحابة جميعاً بالخلافة لأبي بكر رضي الله عنه : « وقد صح بما ذكرنا اجتماعهم على مبايعته مع علي بن أبي طالب فلا يجوز لقائل أن يقول : كان باطن علي أو غيره بخلاف ظاهره فكان عليٌّ أكبر محلا وأجل قدراً من أن يقدم على هذا الأمر العظيم بغير حق أو يظهر للناس خلاف ما في ضميره ولو جاز هذا في اجتماعهم على خلافة أبي بكر لم يصح إجماع قط والإجماع أحد حجج الشريعة ولا يجوز تعطيله بالتوهم والذي روي أن علياً لم يبايع أبا بكر ستة أشهر ليس من قول عائشة إنما هو من قول الزهري فأدرجه بعض الرواة في الحديث عن عائشة في قصة فاطمة رضي الله عنهم وحفظه معمر بن راشد فرواه مفصلا وجعله من قول الزهري منقطعاً من الحديث وقد روينا في الحديث الموصول عن أبي سعيد الخدري ومن تابعه من المغازي أن علياً بايعه في بيعة العامة بعد البيعة التي جرت في السقيفة ويحتمل أن علياً بايعه بيعة العامة كما روينا في حديث أبي سعيد الخدري وغيره ، ثم شجر بين فاطمة وأبي بكر كلام بسبب الميراث إذ لم تسمع من رسول الله

---

(١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٦٥ .

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٢٨/١ .

ﷺ في باب الميراث ما سمعه أبو بكر وغيره فكانت معذورة فيما طلبته وكان أبو بكر معذوراً فيما منع فتخلف علي عن حضور أبي بكر حتى توفيت ، ثم كان منه تجديد البيعة والقيام بواجباتها كما قال الزهري ولا يجوز أن يكون قعود علي في بيته على وجه الكراهية لإمارته ففي رواية الزهري أنه بايعه بعد وعظم حقه ولو كان الأمر على غير ما قلنا لكانت بيعته آخراً خطأ ، ومن زعم أن علياً بايعه ظاهراً وخالفه باطناً فقد أساء الثناء على علي ، وقال فيه أقبح القول وقد قال علي في إمارته وهو على المنبر : ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ قالوا : بلى قال : أبو بكر ثم عمر ونحن نزعم أن علياً كان لا يفعل إلا ما هو حق ولا يقول إلا ما هو صدق وقد فعل في مبايعة أبي بكر ومؤازرة عمر ما يليق بفضله وعلمه وسابقته وحسن عقيدته وجميل نيته في أداء النصح للراعي والرعية .... فلا معنى لقول من قال بخلاف ما قال وفعل وقد دخل أبو بكر الصديق على فاطمة في مرض موتها وترضاها حتى رضيت عنه فلا طائل لسخط غيرهما ممن يدعي موالاة أهل البيت ثم يطعن على أصحاب رسول الله ﷺ ويهجن من يواليه ويرميه بالعجز والضعف واختلاف السر والعلانية في القول والفعل وبالله العصمة والتوفيق»[1].

وقال عبد الملك الجويني : « أما إمامة أبي بكر رضي الله عنه فقد ثبتت بإجماع الصحابة فإنهم أطبقوا على بذل الطاعة والانقياد لحكمه ... وما تخرص به الروافض من إبداء علي شراساً[2] وشماساً[3] في عقد البيعة له كذب صريح ، نعم لم يكن – رضي الله عنه – في السقيفة وكان مستخلياً بنفسه قد استفزه الحزن على رسول الله ﷺ ثم دخل فيما دخل الناس فيه وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد »[4] .

---

(١) الاعتقاد ص ١٧٩ – ١٨٠ .

(٢) الشراس : شدة المعاملة « مختار الصحاح » ص ٣٤٦ .

(٣) شموس : أي صعب الخلق « لسان العرب » ١١١/٦ .

(٤) كتاب الإرشاد ص ٣٦١ .

وقال ابن قدامة رحمه الله تعالى : « وهو – أي أبو بكر – أحق خلق الله تعالى بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضوان الله عليهم ، وإجماع الصحابة رضي الله عنهم على تقديمه ومتابعته ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة »[1] .

وقال أبو عبد الله القرطبي : « وأجمعت الصحابة على تقديم الصديق بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين حتى قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير فدفعهم أبو بكر وعمر والمهاجرون عن ذلك وقالوا لهم : إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش ورووا لهم الخبر في ذلك فرجعوا وأطاعوا لقريش »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في سياق رده على الرافضي : « فلما اتفقوا على بيعته[3] ولم يقل قط أحد : إني أحق بهذا الأمر منه لا قرشي ولا أنصاري فإن من نازع أولًا من الأنصار لم تكن منازعته للصديق بل طلبوا أن يكون منهم أمير ومن قريش أمير وهذه منازعة عامة لقريش ، فلما تبين لهم أن هذا الأمر في قريش قطعوا المنازعة وقال لهم الصديق : رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح قال عمر : فكنت والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، وقال له بمحضر الباقين : أنت خيرنا وأفضلنا وأحبنا إلى رسول الله وقد ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة ، ثم بايعوا أبا بكر من غير طلب منه ولا رغبة بذلتهم ولا رهبة فبايعه الذين بايعوا الرسول تحت الشجرة والذين بايعوه ليلة العقبة ، والذين بايعوه لما كانوا يهاجرون إليه والذين بايعوه لما كانوا يسلمون من غير هجرة كالطلقاء وغيرهم ، ولم يقل أحد قط : إني أحق بهذا من أبي بكر ولا قاله أحد في

---

(١) لمعة الاعتقاد ص ٢٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/٢٦٤ .

(٣) الضمير عائد إلى أبي بكر رضي الله عنه .

أحد بعينه إن فلاناً أحق بهذا الأمر من أبي بكر وإنما قال من فيه أثر جاهلية عربية أو فارسية : إن بيت الرسول أحق بالولاية لأن العرب - في جاهليتها - كانت تقدم أهل الرؤساء وكذلك الفرس يقدمون أهل بيت الملك فنقل عمن نقل عنه كلام يشير به إلى هذا وصاحب هذا الرأي لم يكن له غرض في علي بل كان العباس عنده بحكم رأيه أولى من علي ، فأما الذين لا يحكمون إلا بحكم الإسلام المحض وهو التقديم بالإيمان والتقوى فلم يختلف منهم اثنان في أبي بكر ولا خالف أحد من هؤلاء ولا هؤلاء وفي أنه ليس في القوم أعظم إيماناً وتقوى من أبي بكر فقدموه مختارين له مطيعين فدل على كمال إيمانهم وتقواهم واتباعهم لما بعث الله به نبيهم من تقديم الأتقى فالأتقى وكان ما اختاره الله لنبيه ﷺ ولهم أفضل لهم والحمد لله على أن هدى هذه الأمة وعلى أن جعلنا من أتباعهم »[1] .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : « قد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على بيعة الصديق حتى علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما »[2] وقال يحيى بن أبي بكر العامري رحمه الله تعالى : « وقد كانت بيعته إجماعاً من الصحابة الذين هم أعرف بالحال وأدرى بصحة الدليل في المقال والإجماع حجة قطعية من غيرهم فما ظنك بهم »[3] فهذه النقول للإجماع عمن تقدم ذكره من الأئمة كلها وضحت أن أهل السنة والجماعة أجمعوا على أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه هو الأحق بالخلافة بعد النبي ﷺ لإجماع الصحابة على إمامته وانقيادهم له جميعاً وإطباقهم على مخاطبتهم له بالخلافة فقالوا بأجمعهم : يا خليفة رسول الله وما حصل عليه الإجماع لا يكون إلا حقاً فهذا سبيل المؤمنين أهل السنة والجماعة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتبع سبيلا غيره .

---

(١) منهاج السنة ٢٦٩/٣ - ٢٧٠ .

(٢) البداية والنهاية ٣٤٠/٦ .

(٣) الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة ص ١٤٢ - ١٤٣ .

★ المبحث الخامس ★

ذكر بعض شبه الشيعة الإمامية في أن الخليفة بعد وفاة النبي ﷺ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبيان بطلانها

يزعم الشيعة الإمامية بأن علياً رضي الله عنه هو الإمام بعد النبي ﷺ بلا فصل ويدعون أن النبي ﷺ نص عليه وأوصى له بالخلافة[1] ويعتقدون هذا اعتقاداً جازماً والناظر بعين البصيرة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ يجد أنه ليس هناك دليل فيهما يدل على معتقدهم هذا ، وبالنظر في كتب الملل والنحل اتضح أن أول من أحدث هذه المقالة التي مضمونها أن علياً وصي النبي ﷺ وأنه أوصى له بالخلافة – عبد الله بن سبأ اليهودي[2] الذي رام بهذه المقالة الكيد للإسلام وتفريق كلمة المسلمين وقد تقبل مقالته الفاسدة من بعده الشيعة الإمامية والنظام[3] ومن وافقه من فرق المعتزلة وقد جعل الشيعة الإمامة ركناً من أركان الإيمان التي لا يكمل إيمان الإنسان إلا بها[4] بل بالغوا فيها حتى قالوا : إنها أفضل من أركان الإسلام الأخرى[5] ثم زعموا أن كل إمام من أئمتهم من أهل البيت

---

(١) انظر الطرائف في معرفة مذهب الطوائف لابن طاووس ١٦٨/١ وما بعدها ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للعاملي ٣٠/٢ – ٤٧ ، مقالات الإسلاميين ٨٩/١ ، الفرق بين الفرق ص ٥٩ – ٦٠ ، الملل والنحل للشهرستاني ١٤٦/١ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٣٥ ، الملل والنحل للشهرستاني ١٧٤/١ .

(٣) انظر الملل والنحل للشهرستاني ٥٧/١ .

(٤) جاء في كتاب « الكافي » للكليني ١٥/٢ كتاب الإيمان والكفر باب دعائم الإسلام حديث رقم (١) فقد ذكر بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال : بني الإسلام على خمس : على الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية وانظر ما قاله الخميني في هذا الصدد في كتابه كشف الأسرار ص ١٤٩ .

(٥) روى الكليني في « الكافي » أيضاً : ١٧/٢ حديث رقم (٥) عن أبي جعفر عليه السلام أن الإسلام =

منصوص على إمامته بالتلميح تارة ، وبالتصريح أخرى حيث إن كل إمام من أئمتهم يوصي بالإمامة لمن بعده[1] ولكي يضللوا على جهلة المسلمين وليستميلوهم إلى اعتقاد أن الخليفة بعد النبي ﷺ هو علي رضي الله عنه عمدوا إلى آيات من كتاب الله - تعالى - فيها ثناء ومدح لعامة عباد الله الصالحين وأوليائه المتقين وجعلوها خاصة برابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجعلوا يؤولونها على حسب معتقدهم الباطل ، كما اختلقوا كثيراً من الأحاديث لنصرة بدعتهم الفاسدة واعتقادهم الباطل ويجادلون بها على أنها أدلة مسلمة ، وفي الحقيقة إنها شبه يصطادون بها جهلة المسلمين ومن قل نصيبه من العلم منهم وسأذكر في هذا المبحث طائفة من الآيات القرآنية ، والأحاديث التي يذكرها عوامهم ومن يدعي العلم منهم عند محاجتهم في مسألة الإمامة وسأقرن تلك الآيات والأحاديث بالرد بما يبين بطلان دلالتهما على ما يدعون وما يهدفون إليه .

*** أولاً : ذكر بعض شبههم من الآيات القرآنية وهي : -**

*** الشبهة الأولى :**

قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[2] وجه استدلالهم بهذه الآية أنهم يذكرون عن ابن عباس أنه قال : سئل النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه فقال : « **سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين أن يتوب عليه فتاب عليه**» وهذه فضيلة لم يلحقه أحد من الصحابة فيها فيكون هو الإمام لمساواته النبي ﷺ في التوسل به إلى الله[3] .

= بني على خمسة أشياء على الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم ، والولاية قال زرارة : فقلت وأي شيء من ذلك أفضل ؟ فقال : الولاية أفضل لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن قلت : ثم الذي يلي ذلك في الفضل ؟ فقال : الصلاة إن رسول الله ﷺ قال : « **الصلاة عمود دينكم** .... إلخ » .

(١) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للعاملي ١٦٠/٢ - ١٧٠ .

(٢) سورة البقرة آية / ٣٧ .

(٣) منهاج الكرامة لابن المطهر الحلي المطبوع مع كتاب « منهاج السنة » لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٦/٤ - وانظر تفسير العياشي ٤١/١ ، تفسير فرات الكوفي ص ١٣ ، كتاب الصافي في تفسير القرآن ٨٢/١-٨٣، ص ١٣٨ .

وهذا الاستدلال باطل من وجوه :

الأول : أنهم يطالبون بثبوت هذا النقل إلى ابن عباس ولا سبيل لهم إلى هذا .

الثاني : أن هذا الذي نسبوه إلى ابن عباس كذب موضوع باتفاق أهل العلم وقد أورده أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات[1] من أفراد أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني فإن له كتباً في الأفراد والغرائب قال الدارقطني : تفرد به حسين الأشقر[2] راوي الموضوعات عن الأثبات عن عمرو[3] بن ثابت وليس بثقة ولا مأمون .

الثالث : أن الكلمات التي تلقاها آدم قد جاءت مفسرة في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[4] وقد روي عن السلف هذا وما يشبهه وليس في شيء من النقول الثابتة لتفسير الآية ما يذكره الشيعة من القسم .

الرابع : أن الكفار والفساق إذا تاب أحدهم إلى الله تاب الله عليه وإن لم يقسم عليه بأحد فكيف يحتاج آدم في توبته إلى ما لا يحتاج إليه أحد من المذنبين لا مؤمن ولا كافر ، ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه أمر أحداً في توبته بمثل هذا الدعاء .

---

(١) الموضوعات ٣/٣ .

(٢) هو الحسين بن الحسن الأشقر الفزاري الكوفي صدوق يهم ويغلو في التشيع من العاشرة مات سنة ثمان ومائتين ، قال أبو يعلى : سمعت أبا معمر الهذلي يقول : الأشقر كذاب . وقال ابن معين : كان من الشيعة الغالية « انظر ترجمته وأقوال العلماء فيه » كتاب الضعفاء الكبير للعقيلي ٢٤٩/١ - ٢٥٠ ، تهذيب التهذيب ٣٣٥/٢ - ٣٣٧ .

(٣) هو عمرو بن ثابت وهو ابن أبي المقدام الكوفي مولى بكر بن وائل ضعيف رمي بالرفض من الثامنة مات سنة اثنين وسبعين وهو رافضي خبيث « انظر ترجمته وأقوال العلماء فيه » في تهذيب التهذيب ٩/٨ - ١٠ ، ميزان الاعتدال ٢٤٩/٣ .

(٤) سورة الأعراف آية / ٢٣ .

الخامس : يقال لهم : إن هذه الخصيصة المكذوبة التي ذكرتموها ليست من خصائص الأئمة إذ أنها حسب زعمكم ثابتة لفاطمة رضي الله عنها وخصائص الأئمة لا تثبت للنساء وما لم يكن من خصائصهم لم يستلزم الإمامة فإن دليل الإمامة لابد أن يكون ملزوماً لها يلزم من وجوده استحقاقها فلو كان هذا دليلا على الإمامة لكان من يتصف به يستحقها والمرأة لا تكون إماماً بالنص والإجماع [1] .

* **الشبهة الثانية** :

قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ [2] الآية ، وجه استدلالهم بهذه الآية أنهم ينسبون إلى ابن مسعود أنه قال : قال النبي ﷺ : «**انتهت الدعوة إلي وإلى علي لم يسجد أحدنا لصنم قط فاتخذني نبياً واتخذ علياً وصياً** » وهذا نص في الباب[3].

والرد على هذا الاستدلال من وجوه :

الأول : إن هذا الحديث كذب باتفاق الحفاظ .

الثاني : أن قوله انتهت الدعوة إلينا كلام لا يجوز أن ينسب إلى النبي ﷺ فإنه إن أريد أنها لم تصب من قبلنا كان ممتنعاً لأن الأنبياء من ذرية إبراهيم دخلوا في الدعوة فقد قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ﴾[4]وقال عن بني إسرائيل:﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[5] ففي هاتين الآيتين إخبار بأنه - تعالى - جعل أئمة

(١) انظر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٦/٤، الميزان في تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائي ٢٧٩/١ .
(٢) سورة البقرة آية / ١٢٤ .
(٣) منهاج الكرامة لابن المطهر الحلي المطبوع مع كتاب « منهاج السنة» ٣٦/٤ ، المنتقى للذهبي ص ٤٣٩ .
(٤) سورة الأنبياء آية / ٧٣ .
(٥) سورة السجدة آية / ٢٤ .

من ذرية إبراهيم قبل أمتنا ، وإن أريد انتهت الدعوة إلينا أنه لا إمام بعدنا لزم ألَّا يكون باقي الاثني عشر أئمة .

الثالث : أن كونه لم يسجد لصنم فضيلة يشاركه فيها جميع من ولد على الإسلام مع أن السابقين الأولين أفضل منهم فكيف يجعل المفضول مستحقاً لهذه المرتبة دون الفاضل وليس كل من لم يكفر أو من لم يأت بكبيرة أفضل ممن تاب عنها مطلقاً بل قد يكون التائب من الكفر والفسوق أفضل ممن لم يكفر و لم يفسق كما دل على ذلك الكتاب فإن الله فضل الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا على الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وأولئك كلهم أسلموا من بعد وهؤلاء فيهم من ولد على الإسلام ، وفضل السابقين الأولين على التابعين لهم بإحسان وأولئك آمنوا بعد الكفر والتابعون ولدوا على الإسلام وقد ذكر الله في القرآن أن لوطاً آمن لإبراهيم وبعثه الله نبياً وقال شعيب : ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ﴾[1] وقد أخبر الله عن إخوة يوسف بما أخبر ثم نبأهم بعد توبتهم وهم الأسباط الذين أمرنا أن نؤمن بما أوتوا وإذا كان في هؤلاء من صار نبياً فمعلوم أن الأنبياء أفضل من غيرهم وهذا مما تنازع فيه الرافضة وغيرهم ويقولون من صدر منه ذنب لا يصير نبياً والنزاع فيمن أسلم أعظم لكن الاعتبار بما دل عليه الكتاب والسنة والذين منعوا من هذا عمدتهم أن التائب من الذنب يكون ناقصاً مذموماً لا يستحق النبوة ولو صار من أعظم الناس طاعة وهذا هو الأصل الذي نوزعوا فيه والكتاب والسنة يدلان على بطلان قولهم فيه »[2] .

وبهذه الوجوه اتضح بطلان استدلال الشيعة بالآية الكريمة على إمامة علي رضي الله عنه .

---

(١) سورة الأعراف آية / ٨٩ .

(٢) منهاج السنة ٣٧/٤ ، وانظر المنتقى للذهبي ص ٤٣٩ .

* الشبهة الثالثة : آية المباهلة .

وهي قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1] .

ووجه استدلالهم بهذه الآية على إمامة علي رضي الله عنه أنهم يزعمون أنها دلت على أفضليته من وجهين :

أحدهما : أن موضوع المباهلة ليتميز المحق من المبطل وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوعاً على صحة عقيدته أفضل الناس عند الله .

الثاني : أنه ﷺ جعله مثل نفسه بقول :﴿أَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ لأنه أراد بقوله ﴿أَبْنَآءَنَا﴾ الحسن والحسين « ع » وبقوله ﴿أَنفُسَنَا﴾ نفسه ونفس علي « ع » ... وإذا جعله مثل نفسه وجب أن لا يدانيه ولا يقاربه في الفضل أحد [2] .

قال السماوي مبيناً وجه الدلالة من الآية على ما يريده الشيعة : « فإذا عرفنا أن علياً بنص الكتاب هو نفس رسول الله ﷺ ... فهل يصح الرجوع إلى أحد من الناس أياً كان ونفس الرسول موجود بينهم وهل يحكم الناس حاكم ... ونفس الرسول حاضر »[3] .

وقال ابن المطهر الحلي مبيناً وجه الدلالة من الآية : « نقل الجمهور كافة أن أبناءنا إشارة إلى الحسن والحسين ونساءنا إشارة إلى فاطمة ، وأنفسنا إشارة إلى علي وهذه الآية دليل على ثبوت الإمامة لعلي لأنه تعالى قد جعله نفس رسول الله ﷺ والاتحاد محال فيبقى المراد بالمساواة له الولاية وأيضاً لو كان غير

---

(١) سورة آل عمران آية / ٦١ .

(٢) تفسير التبيان للطوسي ٤٨٥/٣ .

(٣) الإمامة في ضوء الكتاب والسنة ٩٨/٢ - ٩٩ .

هؤلاء مساوياً لهم وأفضل منهم في استجابة الدعاء لأمره تعالى بأخذهم معه لأنه في موضوع الحاجة وإذا كانوا هم الأفضل تعينت الإمامة فيهم وهل تخفى دلالة هذه الآية على المطلوب إلا على من استحوذ الشيطان عليه وأخذ بمجامع قلبه وحببت إليه الدنيا التي لا ينالها إلا بمنع أهل الحق من حقهم »[1] .

* والرد على استدلالهم هذا :

يقال لهم : إن استدلالكم بهذه الآية على إمامة علي رضي الله عنه مردود وباطل ودليل واضح على الجهل والقول بغير علم إذ تقريرهم أن الرسول عنى بقوله : أنفسنا نفسه ونفس علي غير مسلم لهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبيناً بطلان فهمهم من الآية مساواة علي للرسول ﷺ حيث قال : « وهو خلاف المستعمل في لغة العرب ومما يبين ذلك أن قوله ﴿نِسَآءَنَا﴾ لا يختص بفاطمة بل من دعاه من بناته كانت بمنزلتها في ذلك لكن لم يكن عنده إذ ذاك إلا فاطمة ، فإن رقية وأم كلثوم كن قد توفين قبل ذلك فكذلك أنفسنا ليس مختصاً بعلي بل هو صيغة جمع كما أن نساءنا صيغة جمع وكذلك أبناءنا صيغة جمع وإنما دعا حسناً وحسيناً لأنه لم يكن ممن ينسب إليه بالبنوة سواهما »[2] « وجاء في مختصر التحفة الاثنى عشرية » . وما قاله علماؤهم بأن الشخص لا يدعو نفسه فكلام مستهجن إذ قد شاع وذاع في العرف القديم والجديد أن يقال : دعته نفسه إلى كذا ودعوت نفسي إلى كذا ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾[3]، وأمرت نفسي ، وشاورت نفسي إلى غير ذلك من الاستعمالات الصحيحة الواقعة في كلام البلغاء فكان معنى (ندع أنفسنا نحضر أنفسنا وأيضاً : لو قررنا أن الأمير من قبل النبي لمصداق (أنفسنا) فمن

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٣٣/٤ - ٣٤ حق اليقين ١٤٨/١ ، كتاب الصافي في تفسير القرآن ٢٦٨/١ .

(٢) منهاج السنة ٣٥/٤ .

(٣) سورة المائدة آية / ٣٠ .

تقرره، من قبل الكفار لمصداق (أنفسكم) في أنفس الكفار مع أنهم مشتركون في صيغة (ندعو) ولا معنى لدعوة النبي إياهم وأبنائهم بعد قوله (تعالوا) فعلم أن الأمير داخل في الأبناء حكماً كما أن الحسنين داخلان في الأبناء كذلك لأنهما ليسا بابنين حقيقة ولأن العرف يعد الختن من غير ريبة في ذلك وأيضاً : قد جاء لفظ النفس بمعنى الشريك في النسب والدين كقوله تعالى : ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾[1] أي : أهل دينكم ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[2] ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾[3] فلما كان للأمير اتصال بالنبي ﷺ ، في النسب والقرابة والمصاهرة واتحاد في الدين والملة وكثرة المعاشرة والألفة وهذا غير بعيد ، فلا يلزم المساواة »[4] .

ولو سلم للشيعة بمساواة علي للرسول ﷺ في جميع الصفات كما يزعمون للزم من ذلك « اشتراكه في خصائص النبوة وغيرها من الأحكام الخاصة به وهو باطل بالإجماع لأن التابع دون المتبوع ، وأيضاً : لو كانت الآية دليلا لإمامته لزم – أن يكون علي – إماماً في زمنه ﷺ وهو باطل بالاتفاق وإن قيدوا بوقت دون وقت فالتقييد لا دليل عليه في اللفظ فلا يكون مفيداً للمدعي إذ هو غير متنازع فيه »[5] .

أمّا زعمهم لو كان غير من دعاهم عند المباهلة مساوياً لهم وأفضل منهم في استجابة الدعاء لأمره تعالى بأخذهم معه لأنه في موضع الحاجة وإذا كانوا هم الأفضل تعينت الإمامة فيهم يقال لهم : « لم يكن المقصود من أخذه ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم إجابة الدعاء إذ دعاؤه ﷺ وحده كاف

(١) سورة البقرة آية / ٨٤ .
(٢) سورة الحجرات آية / ١١ .
(٣) سورة النور آية / ١٢ .
(٤) مختصر التحفة الاثني عشرية ص ١٥٦ .
(٥) المصدر السابق نفس الصفحة .

ولو كان المراد بمن دعاه معه أن يستجاب دعاؤه لدعا المؤمنين كلهم ودعا بهم كما كان يستسقي بهم وكما كان يستفتح بصعاليك المهاجرين وكان يقول : « فهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم »[1] أي : بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم ومن المعلوم وإن كان علي وفاطمة والحسن والحسين مجابي الدعوة فكثرة الدعاء أبلغ في الإجابة لكن لم يكن المقصود من دعوة من دعاه إجابة دعائه بل لأجل المقابلة بين الأهل والأهل ، ومن المعلوم بالضرورة لدى كل مسلم أن النبي ﷺ لو دعا أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وغيرهم للمباهلة لكانوا من أعظم الناس استجابة لأمره وكان دعاء هؤلاء وغيرهم أبلغ في إجابة الدعاء لكن لم يأمره الله - سبحانه - بأخذهم لأنه لم يحصل به المقصود فإن المقصود أن أولئك يأتون بمن يشفقون عليه طبعاً كأبنائهم ونسائهم ورجالهم الذين هم أقرب الناس إليهم فلو دعا النبي ﷺ قوماً أجانب لأتى أولئك بأجانب ولم يكن يشتد عليهم نزول البهلة بأولئك الأجانب كما يشتد عليهم نزولها بالأقربين إليهم فإن طبع البشر يخاف على أقربيه ما لا يخاف على الأجانب فأمر النبي ﷺ أن يدعو قرابته وأن يدعو أولئك قرابتهم »[2] .

فتبين مما تقدم ذكره عن أهل العلم أن الآية ليس فيها ما يدل على إمامة علي وبنيه كما يزعم الشيعة ذلك وأن استدلال الشيعة بها على هذا المطلب تعسف منهم وتكلف خاطيء وفاسد وغاية ما تدل عليه الآية هو اختصاص علي رضي الله عنه بهذه المنقبة على غيره من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين وكون الرسول ﷺ أشركه في المباهلة إنما هو إرضاء للخصم وإفحام له إذ المعروف من طبيعة الإنسان ألا يعرض أقاربه للهلاك فكونه عليه الصلاة والسلام يدعو ألصق الناس به وأقربهم إليه دليل واضح على صحة نبوته ولهذا لما رأى نصارى

---

(١) انظر الحديث في مسند أحمد ١٩٨/٥ ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٨٨/٦ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٢) منهاج السنة ٣٥/٤ .

نجران صدقه خافوا على أنفسهم وتخلوا عن مباهلته ولكن الشيعة لما ابتلوا بدفع الحق وعدم التسليم له أصيبوا بعدم فهم ما تدل عليه آيات الكتاب العزيز .

* **الشبهة الرابعة**

قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[1] ووجه استدلالهم بهذه الآية أنهم يكذبون على الثعلبي أنه قال : إنما نزلت في علي وهذا دليل على أنه أفضل فيكون هو الإمام[2] .

وهذا الاستدلال مردود بوجوه :

الوجه الأول : أن هذا كذب على الثعلبي وأنه قال في تفسيره لهذه الآية : قال علي وقتادة والحسن أنهم أبو بكر وأصحابه .

الوجه الثاني : أن هذا قول بلا حجة فلا يجب قبوله ولا الالتفات إليه .

الوجه الثالث : أن قولهم هذا معارض لما هو أشهر منه وأظهر وهو أنها نزلت في أبي بكر وأصحابه[3] الذين قاتلوا معه أهل الردة وهذا هو المعروف كما تقدم ، لكن الشيعة أرادوا أن يجعلوا فضائل الصديق لعلي وهذا من المكر السيء الذي لا يحيق إلا بأهله . ولا يشك مسلم في أن علياً رضي الله عنه ممن كان يحب الله ويحبه الله لكن ليس بأحق بهذه الصفة من أبي بكر وعمر وعثمان ولا كان جهاده للكفار أعظم من جهاد هؤلاء ولا حصل به من المصلحة للدين أعظم مما حصل بهؤلاء بل كل منهم له سعي مشكور وعمل مبرور وآثار صالحة في الإسلام والله يجزيهم عن الإسلام وأهله خير جزاء فهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون .

---

(١) سورة المائدة آية / ٥٤ .

(٢) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٥٨/٤ ، وانظر تفسير العياشي ٣٢٧/١ ، تفسير القمي ١٧٠/١ ، « كتاب الصافي » في تفسير القرآن ٤٨٨/١ .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٢٨٥/٦ ، الدر المنثور للسيوطي ١٠٢/٣ .

الوجه الرابع : يقال لهم : على سبيل الفرض : إنها نزلت في علي فهل يصح أن يقول قائل : إنها مختصة به ولفظها يصرح بأنهم جماعة قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ فهذا صريح في أن هذا ليسوا رجلا واحداً فإن الواحد لا يسمى قوماً في لغة العرب لا حقيقة ولا مجازاً ، ولو قيل المراد هو وشيعته لقيل إذا كانت الآية أدخلت مع علي غيره فلا ريب أن الذين قاتلوا الكفار والمرتدين أحق بالدخول فيها من غيرهم .

الوجه الخامس : أن قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ لفظ مطلق ليس فيه تعيين وهو متناول لمن قام بهذه الصفات كائناً من كان لا يختص ذلك بأبي بكر ولا بعلي وإذا لم يكن مختصاً بأحدهما لم يكن هذا من خصائصه فبطل أن يكون بذلك أفضل ممن يشاركه فيه فضلا عن أن يستوجب بذلك الإمامة بل هذه الآية تدل على أنه لا يرتد أحد إلى يوم القيامة إلا أقام الله قوماً يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون هؤلاء المرتدين [(١)] .

وبهذه الوجوه الخمسة يبطل استدلال الشيعة بهذه الآية على إمامة علي رضي الله عنه .

* **الشبهة الخامسة** : آية الولاية .

وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[(٢)]

ووجه استدلالهم بهذه الآية أنهم يدعون الإجماع أنها نزلت في علي رضي الله عنه ويذكرون حديثاً يعزونه إلى تفسير الثعلبي عن أبي ذر أنه قال : سمعت

---

(١) منهاج السنة ٥٨/٤ – ٦٠ ، وانظر المنتقى للذهبي ص ٤٥١ – ٤٥٢ .

(٢) سورة المائدة آية / ٥٥ .

رسول الله ﷺ بهاتين وإلا صمتا ورأيته بهاتين وإلا عميتا يقول : علي قائد البررة وقاتل الكفرة فمنصور من نصره ومخذول من خذله أما إني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر فسأل سائل فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلى السماء وقال : اللهم إنك تشهد أني سألت في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي راكعاً فأومأ بخنصره اليمنى وكان متختماً فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم وذلك بعين النبي ﷺ فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال : « **اللهم إن موسى سألك وقال :** ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾[1] فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ **اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري** » قال أبو ذر : فما استتم كلام رسول الله ﷺ حتى نزل عليه جبريل من عند الله فقال : « يا محمد اقرأ قال : **وما أقرأ قال : اقرأ** ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾[2] .

قال ابن المطهر الحلي مبيناً وجه الدلالة من الآية : « ونقل ابن المغازلي الواسطي الشافعي أن هذه الآية نزلت في علي ، والولي هو المتصرف وقد أثبت له الولاية في الآية كما أثبتها الله تعالى لنفسه ولرسوله »[3] .

وقال الطوسي : « ووجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي في الآية بمعنى

---

(١) سورة طه آية / ٢٥ - ٣٢ .

(٢) ذكر هذا الخبر بن المطهر الحلي انظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٢/٤ تفسير فرات الكوفي ص ٣٨ - ٤٠ تفسير العياشي ٣٢٧/١ ، تفسير القمى ١٧٠/١ ، تفسير الكاشاني المسمى كتاب « الصافي في تفسير القرآن » ٤٥٠/١ - ٤٥١ .

(٣) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٢/٤ .

الأولى والأحق وثبت أيضاً : أن المعنى بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أمير المؤمنين[1] « ع » .

والناظر بعين البصيرة يرى أن هذا الخبر الذي ساقوه لبيان وجه دلالة الآية على إمامة علي رضي الله عنه بعد النبي ﷺ بلا فصل خبر مفترى وكذب على النبي ﷺ يعرف فيه ذلك من ألفاظه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وقد وضع بعض الكذابين حديثاً مفترى أن هذه الآية نزلت في حق علي لما تصدق بخاتمه في الصلاة وهذا كذب بإجماع أهل العلم بالنقل »[2] . وقد بين رحمه الله وجوه بطلان هذا الخبر المفترى فقال : « وكذبه بين من وجوه كثيرة : منها أن قوله : الذين ، صيغة جمع وعلي واحد .

ومنها : أن الواو ليست واو الحال إذ لو كان كذلك كان لا يسوغ أن يتولى إلا من أعطى الزكاة في حال الركوع فلا يتولى سائر الصحابة والقرابة ومنها : أن المدح إنما يكون بعمل واجب أو مستحب وإيتاء الزكاة في نفس الصلاة ليس واجباً ولا مستحباً باتفاق علماء الملة فإن في الصلاة شغلا ومنها : أنه لو كان إيتاؤها في الصلاة حسناً لم يكن فرق بين حال الركوع وغير حال الركوع بل إيتاؤها في القيام والقعود أمكن ومنها : أن علياً لم يكن عليه زكاة على عهد النبي ﷺ .

ومنها أن إيتاء غير الخاتم في الزكاة خير من إيتاء الخاتم فإن أكثر الفقهاء يقولون لا يجزيء إخراج الخاتم في الزكاة .

ومنها : أن هذا الحديث فيه أنه أعطاه السائل والمدح في الزكاة أن يخرجها ابتداء ويخرجها على الفور لا ينتظر أن يسأله سائل ، ومنها : أن الكلام في سياق

---

(١) تفسير التبيان للطوسي ٥٥٩/٣ ، وانظر المفصح في إمامة أمير المؤمنين له أيضاً : ص ١٢٩ .

(٢) منهاج السنة ١٥٥/١ - ١٥٦ .

النهي عن موالاة الكفار والأمر بموالاة المؤمنين كما يدل عليه سياق الكلام »[1] .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى : « إن ألفاظ الحديث مؤذنة بأنه حديث موضوع على النبي ﷺ فإن علياً رضي الله عنه ليس قائداً لكل البررة بل لهذه الأمة رسول الله ﷺ وليس هو أيضاً : قاتلاً لكل الكفرة بل قتل بعضهم كما قتل غيره بعضهم وما أحد من المجاهدين القاتلين لبعض الكفار إلا وهو قاتل لبعض الكفرة وكذلك قوله : منصور من نصره مخذول من خذله هو خلاف الواقع والنبي ﷺ لا يقول إلا حقاً .... وأيضاً : فالدعاء الذي عن النبي ﷺ عقب التصدق بالخاتم من أظهر الكذب لأن من المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم أنفقوا في سبيل الله وقت الحاجة إليه ما هو أعظم قدراً ونفعاً من إعطاء سائل خاتماً وفي الصحيح أن النبي ﷺ أنه قال : « **ما نفعني مال كمال أبي بكر إن أمن الناس علي في صحبته وذات يده أبو بكر ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلا** »[2] وقد تصدق عثمان بألف بعير في سبيل الله في غزوة العسرة حتى قال النبي ﷺ : « **ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم** »[3] والإنفاق في سبيل الله وفي إقامة الدين في أول الإسلام أعظم من صدقة على سائل محتاج - والإنفاق - الذي صدر في أول الإسلام في إقامة الدين ما بقي له نظير يساويه وأما إعطاء السائلين لحاجتهم فهذا البر يوجد مثله إلى يوم القيامة فإذا كان النبي ﷺ لأجل تلك النفقات العظيمة النافعة الضرورية لا يدعو بمثل هذا الدعاء فكيف يدعو به لأجل إعطاء خاتم لسائل قد يكون كاذباً في سؤاله ولا ريب أن هذا ومثله من كذب جاهل أراد أن يعارض ما ثبت لأبي بكر بقوله : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[4] بأن يذكر لعلي - رضي الله عنه -

---

(١) منهاج السنة ١/١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) صحيح البخاري ٢/٢٨٩ .

(٣) انظر سنن الترمذي ٥/٢٨٩ .

(٤) سورة الليل آية / ١٧ - ٢١ .

من هذا الجنس فما أمكنه أن يكذب أنه فعل ذلك في أول الإسلام فكذب هذه الأكذوبة التي لا تروج إلا على جاهل .. إلى أن قال : فمن زعم أن النبي ﷺ سأل الله أن يشد بشخص من الناس كما سأل موسى أن يشد أزره بهارون فقد افترى على رسول الله ﷺ وبخسه حقه »[1] .

وقد خطأ ابن كثير رحمه الله تعالى من ظن أن قوله تعالى في الآية : ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ جملة حالية وعلل ذلك بأنه : يلزم منه أن يكون دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوح وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء وممن نعلمه من أئمة الفتوى [2] .

وقال الدهلوي مبيناً عدم نزول الآية في علي وعدم صحة الحديث الذي اختلقه الرافضة لبيان دلالتها على إمامة علي رضي الله عنه حيث قال : وأما القول بنزولها في حق علي بن أبي طالب ورواية قصة السائل وتصدقه بالخاتم عليه في حالة الركوع فإنما هو للثعلبي فقط وهو متفرد به ولا يعد المحدثون من أهل السنة روايات الثعلبي قدر شعيرة ولقبوه بحاطب ليل[3] فإنه لا يميز بين الرطب واليابس وأكثر رواياته عن الكلبي عن أبي صالح وهو من أوهي ما يروي في التفسير عندهم[4].

وأمَّا زعم الشيعة أن لفظ : الولي هو المتصرف وقد أثبتت له[5] الولاية في الآية كما أثبتها الله تعالى لنفسه ولرسوله .

فهذا يدل على جهل الشيعة حيث « يجعلون الولي هو الأمير ولم يفرقوا بين الولاية بالفتح والولاية بالكسر والأمير يسمى الوالي ولكن قد يقال : هو ولي الأمر كما يقال : وليت أمركم ، ويقال : أولو الأمر وأما إطلاق القول بالمولى وإرادة

---

(١) منهاج السنة ٤/ ٦ - ٧ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٩٧/٢ .

(٣) انظر منهاج السنة ٤/٤ .

(٤) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٥) الضمير يعود إلى علي رضي الله عنه .

الولي فهذا لا يعرف بل يقال في الولي المولى ولا يقال : الوالي فتبين أن الآية دلت على الموالاة المخالفة للمعاداة الثابتة لجميع المؤمنين بعضهم على بعض وهذا مما يشترك فيه الخلفاء الأربعة وسائر أهل بدر وأهل بيعة الرضوان فكلهم بعضهم أولياء بعض ولم تدل الآية على أحد منهم يكون أميراً على غيره بل هذا باطل إذ لفظ الولي والولاية غير لفظ الوالي والآية عامة في المؤمنين والإمارة لا تكون عامة »[1] .

وبما تقدم ذكره اتضح بطلان استدلال الشيعة على إمامة علي رضي الله عنه إذ هي بعيدة كل البعد عن مراد الشيعة من حيث النزول والدلالة .

* **الشبهة السادسة :**

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾[2] وجه استدلالهم بهذه الآية أنهم يقولون : إن الحافظ أبا نعيم الأصبهاني روى بإسناده إلى ابن عباس قال : نزلت في علي والود محبة في القلوب المؤمنة ، وفي تفسير الثعلبي عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ لعلي : « **يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة** » فأنزل الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ ولم يثبت لغيره ذلك فيكون هو الإمام[3] .

والرد على هذا الاستدلال وبيان بطلانه من وجوه :

الوجه الأول : أنهم يطالبون بالدليل على صحة هذا النقل وإلا فالاستدلال بما لا تثبت مقدماته باطل بالاتفاق وهو من القول بلا علم ومن قفو الإنسان ، ما ليس له به علم ومن المحاجة بغير علم والعزو المذكور لا يقبل الثبوت باتفاق

---

(١) منهاج السنة النبوية ٨/٤ .

(٢) سورة مريم آية / ٩٦ .

(٣) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٣٧/٤ ، وانظر تفسير فرات الكوفي ص ٨٨ – ٨٩ تفسير القمي ٥٦/٢ ، تفسير الكاشاني المسمى « الصافي » في تفسير القرآن ٥٨/٢ .

أهل السنة والشيعة .

الوجه الثاني : أن هذين الحديثين من الكذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث .

الوجه الثالث : قوله - تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ عام في جميع المؤمنين فلا يجوز تخصيصها بعلي بل هي متناولة لعلي وغيره والدليل على ذلك أن الحسن والحسين وغيرهما من المؤمنين الذين تعظمهم الشيعة داخلون في الآية فعلم بذلك الإجماع على عدم اختصاصها بعلي - رضي الله عنه - .

الوجه الرابع : أن الله - تعالى - أخبر أنه سيجعل للذين آمنوا وعملوا الصالحات وداً وهذا وعد منه صادق والله لا يخلف الميعاد فقد جعل للصحابة رضي الله عنهم الود في قلوب جماهير المسلمين ولا سيما الخلفاء رضي الله عنهم ولا سيما أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنه في مقدمة من يودهما ويحبهما رضي الله عن صحابة نبيه أجمعين »[(١)] .

وبهذه الوجوه تبين أنه لا دلالة في الآية على ما تدعيه الشيعة من تقديم علي رضي الله عنه في الإمامة .

*** الشبهة السابعة :**

قوله تعالى :﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾[(١)] ووجه استدلالهم بها أنهم يقولون : قال الثعلبي بإسناده عن أنس وبريدة قالا : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقام رجل فقال : أي بيوت هذه يا رسول الله فقال : « **بيوت الأنبياء** » فقام إليه أبو بكر فقال : يا رسول الله هذا البيت منها يعني بيت علي وفاطمة ، قال : « **نعم من أفضلها** » ، وصف فيها الرجال بما يدل على أفضليتهم ؛ فيكون علي هو الإمام وإلا لزم

---

(١) انظر منهاج السنة ٣٧/٤ - ٣٨ .

(٢) سورة النور آية / ٣٧ .

تقديم المفضول »[1] .

واستدلالهم بهذه الآية مردود لوجوه : -

الوجه الأول : أنهم يطالبون بصحة هذا النقل إذ مجرد عزو ذلك إلى الثعلبي ليس بحجة باتفاق أهل السنة والشيعة وليس كل خبر رواه واحد من الجمهور يكون حجة عند الجمهور بل علماء الجمهور متفقون على أن ما يرويه الثعلبي وأمثاله لا يحتجون به لا في فضيلة أبي بكر وعمر ولا في إثبات حكم من الأحكام إلا أن يعلم ثبوته بطريقه ... ثم علماء الجمهور متفقون على أن الثعلبي وأمثاله يروون الصحيح والضعيف ومتفقون على أن مجرد روايته لا توجب اتباع ذلك ... وتفسيره وإن كان غالب الأحاديث التي فيه صحيحة ففيه ما هو كذب موضوع باتفاق أهل العلم .

الوجه الثاني : أن هذا الحديث موضوع عند أهل المعرفة بالحديث ولهذا لم يذكره علماء الحديث في كتبهم التي يعتمد عليها في الحديث كالصحاح والسنن والمسانيد مع أن في بعض هذه الكتب ما هو ضعيف بل ما يعلم أنه كذب لكن هذا قليل جداً وأما هذا الحديث وأمثاله فهو أظهر كذباً من أن يذكروه في مثل ذلك .

الوجه الثالث : أن يقال : الآية باتفاق الناس هي في المساجد كما قال تعالى : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ الآية وبيت علي ليس موصوفاً بهذه الصفة .

الوجه الرابع : يقال لهم : بيت النبي ﷺ أفضل من بيت علي باتفاق المسلمين ومع هذا لم يدخل في هذه الآية لأنه ليس في بيته رجال وإنما فيه هو والواحدة من نسائه ولما أراد بيت النبي قال : ﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ ﴾[2] وقال

---

(١) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة لابن المطهر مع منهاج السنة ٢٥/٤ ، وانظر « تفسير فرات الكوفي » ص ١٠٣ ، تفسير القمي ١٠٤/٢ .

(٢) سورة الأحزاب آية / ٥٣ .

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[1] .

الوجه الخامس : دعواهم أن الآية في بيوت الأنبياء كذب فإنه لو كان كذلك لم يكن لسائر المؤمنين فيها نصيب وقوله : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ متناول لكل من كان بهذه الصفة . إذ لفظ الآية دل على أنهم رجال ، وليسوا رجلا واحداً فهذا دليل على أن هذا لا يختص بعلي بل هو وغيره مشتركون فيها وحينئذ فلا يلزم أن يكون أفضل من المشاركين له فيها .

السادس : وأمَّا دعواهم امتناع تقديم المفضول على الفاضل فإنه إذا سلم فإنما هو في مجموع الصفات التي تناسب الإمامة وإلا فليس كل من فضل في خصلة من الخير استحق أن يكون هو الإمام ولو جاز هذا لقيل ففي الصحابة من قتل من الكفار أكثر مما قتل علي وفيهم من كان عنده من العلم ما ليس عند علي وبالجملة لا يمكن أن يكون واحد من الأنبياء له مثل ما لكل واحد من الصحابة من كل وجه ولا أحد من الصحابة يكون له مثل ما لكل واحد من الأنبياء من كل وجه ولا أحد من الصحابة يكون له مثل ما لكل واحد من الصحابة من كل وجه بل يكون في المفضول نوع من الأمور التي يمتاز بها عن الفاضل ولكن الاعتبار في التفضيل بالمجموع[2] .

فالآية لا دلالة فيها على ما ذهب إليه الرافضة حيث إن المراد بالبيوت فيها هي المساجد وهي عامة في كل من لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وليس فيها دلالة على إمامة علي رضي الله عنه ولا على أفضليته .

* **الشبهة الثامنة** : آية التطهير

وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ

---

(١) سورة الأحزاب آية / ٣٤ .

(٢) منهاج السنة النبوية ٢٥/٤ - ٢٦ . وانظر المنتقى للذهبي ص ٤٣١ .

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] هذه الآية فهم الشيعة منها أنها تدل على عصمة أهل البيت ثم أخذوا منها الدلالة على إمامة علي رضي الله عنه .

قال الطوسي : « إن لفظ إنما تجري مجرى ليس ... فيكون تلخيص الكلام ليس يريد الله إلا إذهاب الرجس على هذا الحد عن أهل البيت فدل ذلك أن إذهاب الرجس قد حصل فيهم، وذلك يدل على عصمتهم ، وإذا ثبتت عصمتهم ثبت ما أردناه »[2] .

وقال ابن المطهر الحلي : « وفي هذه الآية دلالة على العصمة مع التأكيد بلفظة « إنما » وإدخال اللام في الخبر والاختصاص في الخطاب بقوله : ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ والتكرير بقوله : ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ والتأكيد بقوله :﴿تَطْهِيرًا﴾ وغيرهم ليس بمعصوم ، فتكون الإمامة في علي ولأنه ادعاها في عدة من أقواله كقوله : والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى وقد ثبت نفي الرجس عنه فيكون صادقاً فيكون هو الإمام »[3] .

والرد على هذا الاستدلال :

يقال لهم : إن الآية ليس فيها أي إشارة تدل على عصمة أحد من أئمة أهل البيت التي يلزم منها عند الشيعة إمامتهم وذلك أن الآية ما هي إلا كقوله : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾[4] وكقوله : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[5] وكقوله : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾[6] فإن إرادة الله في هذه

---

(١) سورة الأحزاب آية / ٣٣ .
(٢) تفسير التبيان للطوسي ٣٤٠/٨ .
(٣) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٢٠/٤ وانظر حق اليقين ١٥٠/١ .
(٤) سورة المائدة آية / ٦ .
(٥) سورة البقرة آية / ١٨٥ .
(٦) سورة النساء آية / ٢٦ - ٢٧ .

الآيات متضمنة لمحبة الله لذلك المراد ورضاه به وأنه شرعه للمؤمنين وأمرهم به ليس في ذلك أنه خلق هذا المراد ولا أنه قضاه وقدره ولا أنه يكون لا محالة – وكما هو معلوم – « أن الإرادة في كتاب الله نوعان : إرادة شرعية دينية تتضمن محبته ورضاه ، وإرادة كونية قدرية تتضمن خلقه وتقديره »[1] .

والإرادة في آية التطهير إنما هي إرادة دينية شرعية تذهب الرجس عن أهل البيت بامتثالهم الأوامر الربانية واجتنابهم المنهيات « والدليل على ذلك أن النبي ﷺ بعد نزول آية التطهير – قال : « **اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً** »[2] فطلب من الله لهم إذهاب الرجس والتطهير فلو كانت الآية تتضمن إخبار الله بأنه قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم لم يحتج إلى الطلب والدعاء »[3] .

وإذا كان الشيعة يستدلون بهذه الآية على عصمة أهل البيت فإنه يلزم ، على معتقدهم هذا أن « يكون الصحابة لا سيما الحاضرين في غزوة بدر قاطبة معصومين لأن الله تعالى قال في حقهم في مواضع من التنزيل : ﴿ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4] وقال : ﴿ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾[5] وظاهر أن إتمام النعمة في الصحابة كرامة زائدة بالنسبة إلى ذينك اللفظين ووقوع هذا الإتمام أدل على عصمتهم لأن إتمام النعمة لا يتصور بدون الحفظ عن المعاصي وشر الشيطان »[6] .

وأما زعمهم أن علياً ادعاها وقد ثبت نفي الرجس عنه فيكون صادقاً ... إلخ

---

(١) منهاج السنة ٢٠/٤ ، ٢١ .
(٢) رواه أحمد في المسند ٢٩٢/٦ ، ٣٠٤ ورواه الترمذي في سننه ٣٠/٥ – ٣١ .
(٣) منهاج السنة ٢٠/٤ .
(٤) سورة المائدة آية / ٦ .
(٥) سورة الأنفال آية / ١١ .
(٦) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٥٣ .

فإن هذا « لا يسلم بل كل مسلم يعلم بالضرورة أن علياً ما ادعاها قط حتى قتل عثمان – وما قال : – « إني معصوم ولا أن الرسول ﷺ جعلني الإمام بعده ولا أنه أوجب على الناس متابعتي ولا نحو هذه الألفاظ بل من المعلوم بالضرورة أن من نقل هذا ونحوه عنه فهو كاذب عليه إذ أن علياً رضي الله عنه كان أتقى لله من أن يدعي الكذب الظاهر الذي يعلم الصحابة كلهم أنه كذب »[1] .

فآية التطهير ليس فيها دلالة على عصمة أهل البيت لأنها لم ترد بصيغة الإخبار وليس فيها أي إشارة لا من قريب ولا من بعيد على إمامتهم ومما يدل على ذلك « أن أزواج النبي ﷺ مذكورات في الآية . والسياق إنما هو في مخاطبتهن من قوله : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2] فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بهذا الخطاب وغيره وليس مختصاً بأزواجه بل هو متناول لأهل البيت كلهم وعلي وفاطمة والحسن والحسين أخص من غيرهم بذلك ولذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم »[3] .

*** الشبهة التاسعة : آية المودة .**

وهي قوله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[4] ووجه استدلالهم بهذه الآية أنهم ينسبون إلى الإمام أحمد أنه روى في مسنده عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قالوا : يا رسول الله ، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : « **علي وفاطمة وابناهما** » وكذا في تفسير الثعلبي ونحوه في الصحيحين وغير علي من الصحابة

---

(١) منهاج السنة ٢٤/٤ .
(٢) سورة الأحزاب آية / ٣٢ – ٣٣ .
(٣) منهاج السنة ٢١/٤ ، وانظر مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٤٩ .
(٤) سورة الشورى آية / ٢٣ .

والثلاثة لا تجب مودته فيكون علي أفضل فيكون هو الإمام ولأن مخالفته تنافي المودة وبامتثال أوامره تكون مودته فيكون واجب الطاعة وهو معنى الإمامة »[1] .

والرد على بطلان هذا الاستدلال من وجوه :

الوجه الأول : أنهم يطالبون بصحة هذا الحديث ودعواهم أن أحمد روى هذا الحديث في المسند كذب ظاهر فإن مسند أحمد موجود وبه من النسخ ماشاء الله وليس هو في الصحيحين ، بل فيهما وفي غيرهما ما يناقض ذلك ولا ريب أن الرافضة جهال بكتب أهل العلم لا يطالعونها ولا يعلمون ما فيها ... فهم يعزون إلى المسند والصحيحين وغيرهما باطلا لا حقيقة له يعزون إلى مسند أحمد ما ليس فيه أصلا لكن أحمد رحمه الله صنف كتاباً في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وقد يروي في هذا الكتاب ما ليس في المسند .

الوجه الثاني : أن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وهم المرجوع إليهم في هذا ولهذا لا يوجد في شيء من كتب الحديث التي يرجع إليها .

الوجه الثالث : أن هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية باتفاق أهل السنة . ومن المعلوم أن علياً إنما تزوج فاطمة بالمدينة بعد غزوة بدر والحسن ولد في السنة الثالثة من الهجرة والحسين في السنة الرابعة فتكون هذه الآية قد نزلت قبل وجود الحسن والحسين بسنين متعددة فكيف يفسر النبي ﷺ الآية بوجوب مودة قرابة لا تعرف ولم تخلق .

الوجه الرابع : أن تفسير الآية الذي في الصحيحين عن سعيد بن جبير قال :

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٢٦/٤ - ٢٧ ، حق اليقين لعبد الله شبر ١٥٠/١ ، وانظر تفسير القمي ٢٧٥/٢ ، تفسير فرات الكوفي ص ١٤٧ - ١٥٠ ، تفسير الكاشاني المسمى الصافي « في تفسير القرآن » ٥١٣/٢ - ٥١٤ .

سئل ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ فقلت : أن لا تؤذوا محمداً في قرابته فقال ابن عباس : عجلت إنه لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله ﷺ فيهم قرابة فقال : « **لا أسألكم عليه أجراً لكن أسألكم أن تصلوا القرابة التي بيني وبينكم** »[1] فهذا ابن عباس ترجمان القرآن وأعلم أهل البيت بعد علي يقول : ليس معناها مودة ذوي القربى لكن معناها : لا أسألكم يا معشر العرب ويا معشر قريش عليه أجراً لكن أسألكم أن تصلوا القرابة التي بيني وبينكم فهو سأل الناس الذين أرسل إليهم أولًا أن يصلوا رحمه فلا يعتدوا عليه حتى يبلغ الرسالة .

الوجه الخامس : أنه قال : لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى لم يقل : إلا المودة للقربى ولا المودة لذوي القربى فلو أراد المودة لذوي القربى لقال : المودة لذوي القربى كما قال : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[2] وكذلك قوله ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3] وهكذا في غير موضع فجميع ما في القرآن من التوصية بحقوق ذوي قربى النبي ﷺ وذوي قربى الإنسان إنما قيل فيها : ذوي القربى لم يقل : في القربى فلما ذكر هذا المصدر دون الاسم دل على أنه لم يرد ذوي القربى .

الوجه السادس : يقال لهم : إن النبي ﷺ لا يسأل على تبليغ رسالة ربه أجراً البته بل أجره على الله كما قال تعالى : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[4] ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾[5] ولا ريب أن محبة أهل بيت النبي ﷺ واجبة لكن لم يثبت

---

(١) انظر الحديث في صحيح البخاري ١٨٥/٣ .

(٢) سورة الأنفال آية / ٤١ .

(٣) سورة الروم آية / ٣٨ .

(٤) سورة « ص » آية / ٨٦ .

(٥) سورة سبأ آية / ٤٧ .

وجوبها بهذه الآية ولا محبتهم أجر للنبي ﷺ مما أمرنا الله به ، كما أمرنا بسائر العبادات ... فمن جعل محبة أهل بيته أجراً له يوفيه إياه فقد أخطأ خطأ عظيماً ولو كان أجراً له لم نثب عليه نحن لأنا أعطيناه أجره الذي يستحقه بالرسالة فهل يقول مسلم مثل هذا ؟ .

الوجه السابع : أنا نسلم أن علياً تجب مودته وموالاته بدون الاستدلال بهذه الآية لكن ليس في وجوب موالاته ومودته ما يوجب اختصاصه بالإمامة ولا الفضيلة . وأمّا اعتقادهم : « أن الثلاثة لا تجب موالاتهم » فممنوع بل يجب أيضاً : مودتهم وموالاتهم فإنه قد ثبت أن الله يحبهم ومن كان الله يحبه وجب علينا أن نحبه فإن الحب في الله والبغض في الله واجب ، وهو أوثق عرى الإيمان وكذلك هم من أكابر أولياء الله المتقين وقد أوجب الله موالاتهم بل قد ثبت أن الله رضي عنهم ورضوا عنه بنص القرآن وكل من رضي الله عنه فإنه يحبه والله يحب المتقين والمحسنين والمقسطين والصابرين وهؤلاء أفضل من دخل في هذه النصوص من هذه الأمة بعد نبيها »[1] .

وأمّا استنباطهم من هذا الحديث الذي لم يثبت أن المخالفة تنافي المودة وامتثال أوامره هو مودته فيكون واجب الطاعة وهو معنى الإمامة .

فالجواب عليه من وجوه :

الوجه الأول : إن كان المودة توجب الطاعة فقد وجبت مودة ذوي القربى فتجب طاعتهم فيجب أن تكون فاطمة أيضاً : إماماً وإن كان هذا باطلًا فهذا مثله .

الوجه الثاني : أن المودة ليست مستلزمة للإمامة في حال وجوب المودة ، فليس من وجبت مودته كان إماماً حينئذ بدليل أن الحسن والحسين تجب مودتهما قبل مصيرهما إمامين ، وعلي تجب مودته في زمن النبي ﷺ ولم يكن إماماً بل

---

(١) انظر هذه الوجوه في منهاج السنة ٢٧/٤ - ٢٩ .

تجب وإن تأخرت إمامته إلى مقتل عثمان .

الوجه الثالث : زعمهم أن المخالفة تنافي المودة . يقال لهم : متى ؟ إذا كان ذلك واجب الطاعة أو مطلقاً ؟ الثاني ممنوع وإلا لكان من أوجب على غيره شيئاً لم يوجبه الله عليه إن خالفه فلا يكون محباً له ولا يكون مؤمن محباً لمؤمن حتى يعتقد وجوب طاعته وهذا معلوم الفساد ، وأمَّا الأول فيقال : إذا لم تكن المخالفة قادحة في المودة إلا إذا كان واجب الطاعة فحينئذ يجب أن يعلم أولًا وجوب الطاعة حتى تكون مخالفته قادحة في مودته . فإنه لا يعلم أن المخالفة تقدح في المودة حتى يعلم وجوب الطاعة ولا يعلم وجوب الطاعة إلا إذا علم أنه إمام ولا يعلم أنه إمام حتى يعلم أن مخالفته تقدح في مودته .

الوجه الرابع : يقال : المخالفة تقدح في المودة إذا أمر بطاعته أو لم يؤمر ؟ والثاني منتف ضرورة ، وأمَّا الأول فإنا نعلم أن علياً لم يأمر الناس بطاعته في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان .

الوجه الخامس : يقال هذا بعينه في حق أبي بكر وعمر وعثمان فإن مودتهم ومحبتهم وموالاتهم واجبة ، ومخالفتهم تقدح في ذلك[1] .

فالآية إذن ليس فيها دليل على ما ذهب إليه الشيعة من الادعاء أنها نزلت في أهل البيت وأنها تدل على إمامتهم وفضلهم .

*** الشبهة العاشرة :**

قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾[2] وجه استدلالهم بهذه الآية على إمامة علي أنهم يعزون إلى ابن عبد البر وأبي نعيم أنهما رويا أن النبي ﷺ ليلة أسري به جمع الله بينه وبين الأنبياء ثم قال : سلهم يا محمد علام بعثتم ؟ قالوا : بعثنا على شهادة أن لا إلٰه إلا الله وعلى الإقرار بنبوتك والولاية

---

(١) منهاج السنة ٤/٣٠ .

(٢) سورة الزخرف آية / ٤٥ .

لعلي بن أبي طالب وهذا صريح بثبوت الإمامة لعلي »[1] ويرد على هذا الاستدلال من وجوه :

الوجه الأول : أنهم يطالبون في هذا الكذب القبيح بثبوت صحته إذ لا يشك أحد في أن هذا وأمثاله من أسمج الكذب وأقبحه لكن على طريق التنزل في المناظرة وأن هذا لو لم يعلم أنه كذب لم يجز أن يحتج به حتى يثبت صدقه فإن الاستدلال بما لا تعلم صحته لا يجوز بالاتفاق فإنه قول بلا علم وهو حرام بالكتاب والسنة والإجماع .

الوجه الثاني : أن مثل هذا مما اتفق أهل العلم أنه كذب موضوع .

الوجه الثالث : أن هذا مما يعلم من له علم ودين أنه من الكذب الباطل الذي لا يصدق به من له عقل ودين وإنما يختلق مثل هذا أهل الوقاحة والجراءة في الكذب فإن الرسل صلوات الله عليهم كيف يسألون عما لا يدخل في أصل الإيمان وقد أجمع المسلمون على أن الرجل لو آمن بالنبي ﷺ وأطاعه ومات في حياته قبل أن يعلم أن الله خلق أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً لم يضره ذلك ولم يمنعه ذلك من دخول الجنة فإذا كان هذا في أمة محمد ﷺ فكيف يقال : إن الأنبياء يجب عليهم الإيمان بواحد من الصحابة والله – تعالى – قد أخذ الميثاق عليهم لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه هكذا قال ابن عباس وغيره[2] قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[3] فأما

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٤/٤٥ ، حق اليقين في معرفة أصول الدين ١/١٥١ وانظر تفسير القمي ٢/٢٨٥ .

(٢) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري ٣/٣٣٢ ، تفسير البغوي على حاشية تفسير الخازن ١/٣١٤ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٦٥ ، الدر المنثور للسيوطي ٢/٢٥٢ – ٢٥٣ .

(٣) سورة آل عمران آية / ٨١ .

الإيمان بتفصيل ما بعث به محمد فلم يؤخذ عليهم فكيف يؤخذ عليهم موالاة واحد من الصحابة دون غيره من المؤمنين .

الوجه الرابع : أن لفظ الآية ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[1] ليس في هذا سؤال لهم بماذا بعثوا.

الوجه الخامس : يقال لهم إن كنتم تزعمون أن الرسل إنما بعثوا بهؤلاء الثلاثة فهذا كذب عليهم وإن كنتم تزعمون أنها أصول ما بعثوا به فهذا أيضاً كذب ، فإن أصول الدين التي بعثوا بها من الإيمان بالله واليوم الآخر ، وأصول الشرائع أهم عندهم من ذكر الإيمان بواحد من أصحاب نبي غيرهم بل ومن الإقرار بنبوة محمد ﷺ فإن الإقرار بمحمد يجب عليهم مجملًا ، كما يجب علينا نحن الإقرار بنبواتهم مجملًا لكن من أدركه منهم وجب عليه الإيمان بشرعه على التفصيل كما يجب علينا ، وأمَّا الإيمان بشرائع الأنبياء على التفصيل فهو واجب على أممهم ، فكيف يتركون ذكر ما هو واجب على أممهم ويذكرون ما ليس هو الأوجب .

الوجه السادس : أن ليلة الإسراء كانت بمكة قبل الهجرة بمدة قيل : إنها سنة ونصف وقيل : إنها خمس سنين ، وقيل : غير ذلك وكان علي صغيراً ليلة المعراج لم يحصل له هجرة ولا جهاد ولا أمر يوجب أن يذكره به الأنبياء ، والأنبياء لم يذكر علي في كتبهم أصلًا وقد دخل في الإسلام كثير من أهل الكتاب ولم يذكر أحد منهم أن علياً رضي الله عنه ذكر في كتبهم فكيف يجوز أن يقال : إن كلاً من الأنبياء بعثوا بالإقرار بولاية علي ولم يذكروا ذلك لأممهم ولا نقله أحد منهم[2] .

وبهذه الوجوه تبين أنه لا دلالة في الآية للشيعة الرافضة على ما يذهبون

---

(١) سورة الزخرف آية / ٤٥ .

(٢) انظر هذه الوجوه في منهاج السنة ٤/٤٥ - ٤٦ ، المنتقى للذهبي ص ٤٤٦ .

إليه من أنها دالة على إمامة علي رضي الله عنه .

* الشبهة الحادية عشرة :

قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[(1)] ووجه استدلالهم بهذه الآية أنهم ينسبون إلى أبي نعيم أنه روى عن ابن عباس قال في هذه الآية : سابق هذه الأمة علي بن أبي طالب كما يقولون : روى الفقيه ابن المغازلي الشافعي عن مجاهد عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ قال : سبق يوشع بن نون إلى موسى ، وسبق هارون إلى موسى ، وسبق صاحب يس إلى عيسى وسبق علي إلى محمد ﷺ وهذه الفضيلة لم تثبت لغيره من الصحابة فيكون هو الإمام »[(2)] .

وهذا الاستدلال باطل من وجوه :

الوجه الأول : أنهم يطالبون بصحة هذا النقل لأن أبا نعيم وابن المغازلي يدونان كثيراً من الأحاديث الموضوعة .

الوجه الثاني : أن هذا باطل عن ابن عباس ولو صح لم يكن حجة إذا خالفه من هو أقوى منه .

الوجه الثالث : أن الله تعالى يقول : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[(3)] وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[(4)]

---

(١) سورة الواقعة آية / ١٠ - ١١ .

(٢) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة لابن المطهر الحلى المطبوع مع منهاج السنة ٤٢/٤ ، وانظر تفسير القمي ٣٤٧/٢ تفسير فرات الكوفي ص ١٧٧ - ١٧٨ ، المناقب لمحمد بن علي بن شهر شوب ص ٥ ، البرهان في تفسير القرآن للبحراني ٢٧٤/٤ .

(٣) سورة التوبة آية / ١٠٠ .

(٤) سورة فاطر آية / ٣٢ .

« والسابقون الأولون هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ، الذين هم أفضل ممن أنفق من بعد الفتح وقاتل دخل فيهم أهل بيعة الرضوان وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة فكيف يقال : إن سابق هذه الأمة واحد » .

الوجه الرابع : دعواهم أن هذه الفضيلة لم تثبت لغيره من الصحابة ممنوع فإن الناس متنازعون في أول من أسلم فقيل : أبو بكر أول من أسلم فهو أسبق إسلاماً من علي . وقيل : إن علياً أسلم قبله لكن علياً كان صغيراً وإسلام الصبي فيه نزاع بين العلماء ولا نزاع في أن إسلام أبي بكر أكمل وأنفع فيكون هو أكمل سبقاً بالاتفاق وأسبق على الإطلاق على القول الآخر فكيف يقال : علي أسبق منه بلا حجة تدل على ذلك .

الوجه الخامس : أن هذه الأفضلية للسابقين الأولين لم تدل على أن كل من كان أسبق إلى الإسلام كان أفضل من غيره ، وإنما يدل على أن السابقين أفضل قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾[1] فالذين سبقوا إلى الإنفاق والقتال قبل الحديبية أفضل ممن بعدهم فإن الفتح فسره النبي ﷺ بالحديبية[2] وإذا كان أولئك السابقون قد سبق بعضهم بعضاً إلى الإسلام فليس في الآيتين ما يقتضي أن يكون أفضل مطلقاً بل قد يسبق إلى الإسلام من سبقه غيره إلى الإنفاق والقتال ولهذا كان عمر رضي الله عنه ممن أسلم بعد تسعة وثلاثين وهو أفضل من أكثرهم بالنصوص الصحيحة وبإجماع الصحابة والتابعين وما علمت أحداً قط قال : إن الزبير ونحوه أفضل من عمر ، والزبير أسلم قبل عمر ، ولا قال من يعرف من أهل العلم : إن عثمان أفضل من عمر ، وعثمان أسلم قبل عمر وإن كان الفضل بالسبق إلى الإنفاق والقتال فمعلوم أن أبا بكر أخص بهذا فإنه

---

(١) سورة الحديد آية / ١٠ .

(٢) المسند ٤٢٠/٣ ، ٤٨٦ ، سنن أبي داود ٦٩/٢ .

لم يجاهد قبله أحد لا بيده ولا بلسانه بل هو من حين آمن بالرسول ينفق ماله ويجاهد بحسب الإمكان فاشترى من المعذبين في الله غير واحد وكان يجاهد مع الرسول قبل الأمر بالقتال كما قال تعالى : ﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾[1] فكان أبو بكر أسبق الناس وأكملهم في أنواع الجهاد بالنفس والمال ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « **إن أمن الناس علينا في صحبته وذات يده أبو بكر** »[2] والصحبة بالنفس وذات اليد هو المال فأخبر ﷺ أنه أمن الناس عليه في النفس[3] والمال » وحسبنا هنا من الآيات القرآنية التي يدعون أنها أدلة على أن علياً رضي الله عنه هو الإمام بعد النبي ﷺ بلا فصل ما تقدم .

ونقتصر عليها في هذا المبحث لأنه كما تقدم معنا أن هذه الآيات التي ذكرناها هنا يذكرها عوامهم ومن يدعي العلم منهم عندما يحاجون في مسألة الإمامة ، وإلا فالآيات التي يستدلون بها على إمامة علي رضي الله عنه كثيرة فقد أورد ابن المطهر الحلي في كتابه « منهاج الكرامة في معرفة الإمامة » أربعين آية[4] وذكر الخميني في كتابه « كشف الأسرار »[5] أن مائة وأربعين آية تدل على أن الإمام هو علي رضي الله عنه وكما قدمنا أنها ليست أدلة وإنما هي شبه يتصيدون بها ضعاف العقول من المسلمين ومن حظه قليل من العلم فهي آيات قرآنية عامة واردة في جميع المؤمنين والشيعة يخصصونها بعلي رضي الله عنه ، وكما تقدم من الآيات التي أسلفناها أنه لا دلالة فيها على إمامة علي رضي الله عنه ولا على أفضليته وكذلك بقية الآيات التي لم يرد ذكرها هنا كلها من هذا القبيل .

---

(١) سورة الفرقان آية / ٥٢ .

(٢) صحيح البخاري ٢/٢٨٩ .

(٣) انظر هذه الوجوه في منهاج السنة النبوية ٤/٤٢ - ٤٣ ، المنتقى للذهبي ص ٤٤٢ .

(٤) انظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٤/ ٢ - ٧٩ .

(٥) ص ١٦١ .

* ثانياً : شبههم من الأحاديث :

أما شبههم من الأحاديث التي يستدلون بها على أن علياً رضي الله عنه هو الخليفة بعد النبي ﷺ فهي إما أحاديث صحيحة تدل على فضله ولا تدل على إمامته ، وإما أحاديث ضعيفة غير صحيحة لعلل في أسانيدها ، وإمَّا أحاديث مكذوبة مختلقة على النبي ﷺ ومن تلك الشبه ما يلي : -

* الشبهة الأولى : حديث المنزلة .

فقد روى الشيخان من طريق سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ لعلي : « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي** »[1] .

فقد فهم الشيعة من هذا الحديث النبوي أن النبي عليه الصلاة والسلام نصب علياً رضي الله عنه إماماً للمسلمين فقد روى الصدوق[2] بإسناده إلى هارون العبدي قال : سألت جابر بن عبد الله الأنصاري عن معنى قول النبي ﷺ : « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي** » قال : استخلفه بذلك والله على أمته في حياته وبعد وفاته وفرض عليهم طاعته فمن لم يشهد له بعد هذا القول بالخلافة فهو من الظالمين »[3] .

وقال ابن المطهر الحلي مبيناً وجه دلالة حديث المنزلة على إمامة علي رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ : « ومن جملة منازل هارون أنه كان خليفة لموسى ولو عاش بعده لكان خليفة أيضاً : ولأنه خلفه مع وجوده وغيبته مدة يسيرة فعند موته تطول الغيبة فيكون أولى بأن يكون خليفة »[4] .

---

(١) صحيح البخاري ٣٠٠/٢ ، صحيح مسلم ١٨٧٠/٤ واللفظ له .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن علي ، بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١ انظر ترجمته في تنقيح المقال للمامقانى ١٥٤/٣ .

(٣) معاني الأخبار للصدوق ص ٧٤ .

(٤) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٨٧/٤ .

والرد على هذا الاستدلال .

يقال لهم : لا يشك مسلم في صحة هذا الحديث وأنه يدل على فضل علي رضوان الله عليه لا على أنه الإمام بعد النبي ﷺ إذ مناسبة ورود الحديث تأبى أن يكون مراد النبي عليه الصلاة والسلام التنصيص على خلافة علي وإمامته ولو أراد ذلك لصرح بلفظ لا يتطرق إليه احتمال وذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يخرج من المدينة لغزو أو غيره إلا ويستخلف أحد الصحابة على المدينة فلما كانت غزوة تبوك « لم يأذن لأحد في التخلف عنها وهي آخر مغازيه ﷺ ولم يجتمع معه أحد كما اجتمع معه فيها فلم يتخلف إلا النساء والصبيان أو من هو معذور لعجزه عن الخروج أو من هو منافق وتخلف الثلاثة الذين تيب عليهم »[1] .

ولم يكن في المدينة رجال من المؤمنين يستخلف عليهم كما كان يستخلف في كل مرة بل كان هذا الاستخلاف أضعف من الاستخلافات المعتادة منه لأنه لم يبق في المدينة رجال من المؤمنين أقوياء يستخلف عليهم أحداً كما كان يبقي في جميع مغازيه فإنه كان يكون بالمدينة رجال كثيرون من المؤمنين أقوياء يستخلف عليهم من يستخلف فكل استخلاف يستخلفه في مغازيه مثل استخلافه في غزوة بدر الكبرى والصغرى وغزوة بني المصطلق وخيبر وفتح مكة وسائر مغازيه التي لم يكن فيها قتال ومغازيه بضع عشرة غزوة وقد استخلف فيها كلها إلا القليل وقد استخلف في حجة الوداع وعمرتين قبل غزوة تبوك وفي كل مرة يكون بالمدينة أفضل ممن بقي في غزوة تبوك فكان كل استخلاف قبل هذه يكون على أفضل ممن استخلف عليه علياً فلهذا خرج إليه علي رضي الله عنه وقال : « أتخلفني في النساء والصبيان »[2] .

---

(١) الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وتيب عليهم هم : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع « انظر قصتهم في صحيح مسلم » ٤/٢١٢٠ - ٢١٢٨ .

(٢) صحيح مسلم ٤/١٨٧١ .

وقيل : إن بعض المنافقين طعن فيه وقال : إنما خلفه لأنه يبغضه فبين له النبي ﷺ أنه إنما استخلفه لأمانته عنده وإن الاستخلاف ليس بنقص ولا غض فإن موسى استخلف هارون على قومه فكيف يكون نقصاً وموسى يفعله بهارون فطيب بذلك قلب علي وبين أن جنس الاستخلاف يقتضي كرامة المستخلف وأمانته لا يقتضي إهانته ولا تخوينه ... ولم يكن هذا الاستخلاف كاستخلاف هارون لأن العسكر كان مع هارون وإنما ذهب موسى وحده ، وأما استخلاف النبي ﷺ فجميع العسكر كان معه ولم يتخلف بالمدينة غير النساء والصبيان أو معذور أو عاص وقول القائل : هذا بمنزلة هذا وهذا مثل هذا هو كتشبيه الشيء بالشيء يكون بحسب ما دل عليه السياق لا يقتضي المساواة في كل شيء - فإنه قد ثبت - من قول النبي ﷺ في حديث الأسارى لما استشار أبا بكر وأشار بالفداء واستشار عمر فأشار بالقتل قال : « **أخبركم عن صاحبيكم مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم إذ قال** : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] **ومثل عيسى إذ قال** : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2] **ومثلك يا عمر مثل نوح إذ قال**: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[3] **أو مثل موسى إذ قال**:﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾[4]» فقوله لهذا : مثلك كمثل إبراهيم وعيسى ولهذا مثل نوح وموسى أعظم من قوله : « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى** » فإن نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى أعظم من هارون وقد جعل هذين مثلهم ولم يرد أنهما مثلهم في كل شيء لكن فيما دل عليه السياق من الشدة في الله واللين في الله وكذلك هنا إنما هو بمنزلة هارون فيما دل عليه

---

(١) سورة إبراهيم آية / ٣٦ .

(٢) سورة المائدة آية / ١١٨ .

(٣) سورة نوح آية / ٢٦ .

(٤) انظر الحديث بطوله في مسند الإمام أحمد ٣٨٣/١ - ٣٨٤ ، وأورده ابن كثير في تفسير ٣٤٥/٣ - ٣٤٦ .

السياق وهو استخلافه في مغيبه كما استخلف موسى هارون وهذا الاستخلاف ليس من خصائص علي بل ولا هو مثل استخلافاته فضلًا عن أن يكون أفضل منها وقد استخلف من علي أفضل منه في كثير من الغزوات ولم تكن تلك الاستخلافات توجب تقديم المستخلف على علي إذا قعد معه فكيف يكون موجباً لتفضيله على علي بل قد استخلف على المدينة غير واحد وأولئك المستخلفون منه بمنزلة هارون من موسى ومن جنس استخلاف علي ... وليس في الحديث دلالة على أن غيره لم يكن منه بمنزلة هارون من موسى ... وأمّا زعمهم . « أنه جعله بمنزلة هارون في كل الأشياء إلا في النبوة باطل فإن قوله : **أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى** .. دليل على أنه يسترضيه بذلك ويطيب قلبه لما توهم من وهن الاستخلاف ونقص درجته فقال هذا على سبيل الجبر له وقوله : « بمنزلة هارون من موسى » أي : مثل منزلة هارون وأن نفس منزلته من موسى بعينها لا تكون لغيره وإنما يكون له ما يشابهها فصار هذا كقوله : هذا مثل هذا ، وقوله عن أبي بكر : مثله مثل إبراهيم وعيسى ، وعمر : مثله مثل نوح وموسى ... ومما يبين ذلك أنه لو أراد أن يكون خليفة على أمته بعده لم يكن هذا خطاباً بينهما يناجيه به ولا كان أخره حتى يخرج إليه علي ويشتكي بل كان هذا من الحكم الذي يجب بيانه وتبليغه للناس كلهم بلفظ يبين المقصود ثم من جهل الرافضة أنهم يتناقضون فإن هذا الحديث يدل على أن النبي ﷺ لم يخاطب علياً بهذا الخطاب إلا ذلك اليوم في غزوة تبوك فلو كان علي قد عرف أنه المستخلف من بعده كما رووا ذلك فيما تقدم لكان علي مطمئن القلب أنه مثل هارون بعده في حياته ولم يخرج إليه يقول : « أتخلفني مع النساء والصبيان »[1] ولو كان علي بمنزلة هارون مطلقاً لم يستخلف عليه أحداً وقد كان يستخلف على المدينة غيره وهو فيها كما استخلف على المدينة عام خيبر غير علي وكان علي بها أرمد حتى

---

(١) تقدم تخريجه قريباً .

لحق بالنبي ﷺ فأعطاه النبي ﷺ الراية حين قدم وكان قد أعطى الراية رجلًا فقال : « **لأعطين الراية غداً رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله** »[1] .

وأمَّا قولهم في الاستدلال : « لأنه خليفة مع وجوده وغيبته مدة يسيرة فعند موته تطول الغيبة يكون أولى بأن يكون خليفة » .

فالجواب : أنه مع وجوده وغيبته قد استخلف غير علي استخلافاً أعظم من استخلاف علي واستخلف أولئك على أفضل من الذين استخلف عليهم علياً وقد استخلف بعد تبوك على المدينة غير علي في حجة الوداع فليس جعل علي هو الخليفة بعده لكونه استخلفه على المدينة بأولى من هؤلاء الذين استخلفهم على المدينة كما استخلفه وأعظم مما استخلفه وآخر الاستخلاف كان على المدينة عام حجة الوداع وكان علي باليمن وشهد معه الموسم لكن استخلف عليها في حجة الوداع غير على ، فإن كان الأصل بقاء الاستخلاف فبقاء من استخلفه في حجة الوداع أولى من بقاء استخلاف من استخلفه قبل ذلك ، وبالجملة فالاستخلافات على المدينة ليست من خصائصه ولا تدل على الأفضلية ولا على الإمامة بل قد استخلف عدداً غيره - ولكن الرافضة - يجعلون الفضائل العامة المشتركة بين علي وغيره خاصة بعلي - رضي الله عنه -[2] .

قال أبو نعيم الأصبهاني في معرض رده على الطاعنين في إمامة الصديق رضي الله عنه : « فإن قال : قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي : « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى** »[3] .

قيل له : كذلك نقول في استخلافه على المدينة في حياته بمنزلة هارون من

---

(١) صحيح البخاري ٣٠٠/٢ ، صحيح مسلم ١٨٧١/٤ .
(٢) منهاج السنة ٨٧/٤ - ٩٠ ، وانظر « المنتقى من منهاج الاعتدال » للذهبي ص ٤٦٨ - ٤٧٠ .
(٣) تقدم تخريجه قريباً .

موسى وإنما خرج هذا القول له من النبي ﷺ عام تبوك إذ خلفه بالمدينة فذكر المنافقون أنه مله وكره صحبته فلحق بالرسول ﷺ فذكر له قولهم فقال ﷺ : « **بل خلفتك كما خلف موسى هارون** »[1] .

وقال أبو محمد بن حزم مبيناً المراد من قوله ﷺ : « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى** » : وهذا لا يوجب له فضلًا على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام ، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة وإذا لم يكن علي نبياً كما كان هارون نبياً ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى فقد صح أن كونه رضي الله عنه من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط وأيضاً فإنما قال له رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك فقال المنافقون : استقله فخلفه فلحق علي برسول الله ﷺ فشكى ذلك إليه فقال رسول الله ﷺ حينئذ : **أنت مني بمنزلة هارون من موسى** يريد عليه السلام أنه استخلفه على المدينة مختاراً استخلافه كما استخلف موسى عليه السلام هارون عليه السلام أيضاً مختاراً لاستخلافه ، ثم قد استخلف عليه السلام قبل تبوك وبعد تبوك على المدينة في أسفاره رجالًا سوى علي رضي الله عنه فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي فضلًا على غيره ولا ولاية الأمر بعده كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين » اهـ[2] .

وقال الحافظ ابن حجر عند شرحه للحديث : « واستدل بحديث الباب على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة فإن هارون كان خليفة موسى ،

---

(١) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص ٢٢١ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٩٤/٤ - ٩٥ ، وانظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٤/١٥ .

وأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا في حياته لا بعد موته لأنه مات قبل موسى باتفاق أشار إلى ذلك الخطابي »[1] .

فلا دلالة في الحديث للشيعة من أن الخلافة كانت من جملة منازل هارون كما يزعمون ولا يسلم لهم بهذا الادعاء « لأن هارون كان نبياً مستقلًا في التبليغ ولو عاش بعد موسى أيضاً لكان كذلك ولم تزل عنه هذه المرتبة قط وهي تنافي الخلافة لأنها نيابة للنبي ولا مناسبة بين الأصالة والنيابة في القدر والشرف فقد علم أن الاستدلال على خلافة - علي رضي الله عنه - من هذا الطريق لا يصح أبداً »[2] .

* الشبهة الثانية : حديث الراية :

فقد زعم بن المطهر الحلي أن الجمهور رووا أن النبي ﷺ لما حاصر خيبر تسعاً وعشرين ليلة وكانت الراية لأمير المؤمنين علي فلحقه رمد أعجزه عن الحرب وخرج مرحب يتعرض للحرب فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر فقال : « **خذ الراية** » فأخذها في جمع من المهاجرين ولم يغن شيئاً ورجع منهزماً فلما كان من الغد تعرض لها عمر فسار غير بعيد ثم رجع يخبر أصحابه فقال النبي ﷺ : « **جيئوني بعلي** » فقيل : إنه أرمد فقال : « **أرونيه أروني رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار** » فجاءوا بعلي فتفل في يده ومسحها علي عينيه ورأسه فبرأ فأعطاه الراية ففتح الله على يديه وقتل مرحب ووصفه عليه السلام بهذا الوصف يدل على انتفائه عن غيره وهو يدل على أفضليته فيكون هو الإمام »[3] .

والرد على هذا الاستدلال من وجوه :

---

(١) فتح الباري ٧/٧٤ .

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٣) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٤/٩٧، العاملي في كتابه « الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم » ٢/٢.

الوجه الأول : أنهم يطالبون بتصحيح هذا النقل ولا سبيل لهم إلى هذا .

الوجه الثاني : دعواهم أنه رواه الجمهور يقال لهم : إن الثقات الذين رووه لم يرووه هكذا بل الذي في الصحيحين أن علياً رضي الله عنه كان غائباً عن خيبر لم يكن حاضراً فيها حيث كان أرمد ثم إنه شق عليه التخلف عن النبي ﷺ فلحقه فقال النبي ﷺ قبل قدومه : « **لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه** » – ولم تكن الراية قبل ذلك لأبي بكر ولا لعمر ولا قربها واحد منهما بل هذا من الأكاذيب ولهذا قال عمر : فما أحببت الإمارة إلا يومئذ وبات الناس كلهم يرجو أن يعطاها فلما أصبح دعا علياً فقيل له إنه أرمد فجاءه فتفل في عينه حتى برأ فأعطاه الراية »[1] وكان هذا التخصيص جزاء مجيء علي مع الرمد وكان إخبار النبي ﷺ بذلك وعلي ليس بحاضر لا يرجونه من كراماته ﷺ فليس في الحديث تنقيص بأبي بكر وعمر أصلًا »[2].

الوجه الثالث : أن مدعى الشيعة غير حاصل – من هذا الحديث الصحيح – إذ لا ملازمة بين كونه محباً لله ورسوله ومحبوباً لهما وبين كونه إماماً بلا فصل أصلًا على أنه لا يلزم من إثباتهما له نفيهما عن غيره كيف وقد قال الله – تعالى – في حق أبي بكر ورفقائه : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[3] وقال في حق أهل بدر : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[4] ولا شك أن من يحبه الله يحبه رسوله ومن يحب الله من المؤمنين يحب رسوله وقال في شأن أهل مسجد قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[5] وقال ﷺ لمعاذ: « **يا معاذ إني أحبك** »[6] ولما سئل من أحب

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٩ – ٣٠٠ ، صحيح مسلم ٤/١٨٧٢ .

(٢) منهاج السنة ٤/٩٧ – ٩٨ ، وانظر المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٤٧٢ .

(٣) سورة المائدة آية / ٥٤ .

(٤) سورة الصف آية / ٤ .

(٥) سورة التوبة آية / ١٠٨ .

(٦) المسند ٥/٢٤٥ سنن أبي داود ١/٣٤٩ ، سنن النسائي ٣/٥٣ .

الناس إليك ؟ قال عائشة قيل : ومن الرجال قال : « **أبوها** »[1] وإنما نص على المحبة والمحبوبية في حق علي مع وجودهما في غيره لنكتة دقيقة تحصل من ضمن قوله : « **يفتح الله على يديه** »[2] وهي أنه لو ذكر مجرد الفتح لربما توهم أن ذلك غير موجب لفضيلته لما ورد : « **إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر** »[3] فأزال ذلك التوهم بإثبات هاتين الصفتين له فصار المقصود منه تخصيص مضمون « يفتح الله على يديه وما ذكر من الصفات لإزالة ذلك التوهم »[4] .

* **الشبهة الثالثة** : حديث الثقلين .

فقد استدل الشيعة به على إمامة علي رضي الله عنه وبنيه وهم يسوقونه بطرق مختلفة وقد ساقه بن المطهر الحلي بلفظ : « **إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض** » وقال : « **أهل بيتي هم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق** » ثم قال : - وهذا يدل على وجوب التمسك بقول أهل بيته وعلي سيدهم فيكون واجب الطاعة على الكل فيكون هو الإمام[5] .

وقال الصدوق مبيناً وجه دلالة هذا الحديث الذي لم يصح بهذا اللفظ كما سنرى قريباً حيث قال : « والعترة علي بن أبي طالب وذريته من فاطمة وسلالة النبي ﷺ وهم الذين نص الله تبارك وتعالى عليهم بالإمامة على لسان نبيه ﷺ وهما اثنا عشر أولهم علي وآخرهم القائم عليه السلام على جميع ما ذهبت إليه العرب

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٠ .

(٢) صحيح مسلم ٤/١٨٧٢ .

(٣) صحيح البخاري ٤/١٤٥ ، صحيح مسلم ١/١٠٦ .

(٤) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٦٩ .

(٥) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٤/١٠٤ ، وأورده الصدوق في كتابه معاني الأخبار ص ٩١ ، الطرائف في معرفة مذهب الطوائف ص ١١٣ - ١١٧ ، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد للصفار ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

من معنى العترة »[1] .

وقال ابن طاووس[2] بعد ذكره لروايات كثيرة لحديث الثقلين : « فهذه عدة أحاديث برجال متفق على صحة أقوالهم يتضمن الكتاب والعترة فانظروا وأنصفوا هل جرى من التمسك بهما ما قد نص عليهما ، وهل اعتبر المسلمون من هؤلاء من أهل بيته الذين ما فارقوا الكتاب ؟ وهل فكروا في الأحاديث المتضمنة أنهما خليفتان من بعده ؟ وهل ظلم أهل بيت نبي من الأنبياء مثل ما ظلم أهل بيت محمد ﷺ بعد هذه الأحاديث المذكورة المجمع على صحتها ؟ وهل بالغ نبي أو خليفة أو ملك من ملوك الدنيا في النص على من يقوم مقامه بعد وفاته أبلغ مما اجتهد فيه محمد رسول الله ؟ لكن له أسوة بمن خولف من الأنبياء قبله ، وله أسوة بالله الذي خولف في ربوبيته بعد هذه الأحاديث المذكورة المجمع على صحتها »[3] .

ولقد كفانا مؤنة الرد على استدلالهم بحديث الثقلين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فإنه قد رد عليهم وأبطل استدلالهم من وجوه عدة هي :

الوجه الأول : أن لفظ الحديث الذي في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : « **أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به** » فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : « **وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي** »[4] وهذا اللفظ يدل

---

(١) معاني الأخبار للصدوق ص ٩٢ .

(٢) هو علي بن موسى بن طاووس الحسني الحسيني المتوفي سنة أربع وستين وستمائة له ترجمة في أول كتابه الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ٣/١ وما بعدها .

(٣) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس ١١٧/١ .

(٤) صحيح مسلم ١٨٧٣/٤ .

على أن الذي أمر بالتمسك به وجعل المتمسك به لا يضل هو كتاب الله ، وأمَّا قوله : « **وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض** » فهذا رواه الترمذي[1] وقد سئل عنه أحمد بن حنبل فضعفه ، وضعفه غير واحد من أهل العلم وقالوا : لا يصح[2] ، وقد أجاب عنه طائفة بما يدل على أن أهل بيته كلهم لا يجتمعون على ضلالة قالوا : ونحن نقول بذلك كما ذكر ذلك القاضي أبو يعلى وغيره لكن أهل البيت لم يتفقوا على شيء من خصائص مذهب الرافضة بل هم المبرءون المنزهون عن التدنس بشيء منه – وأما قوله : **مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح** فهذا لا يعرف له إسناد صحيح ولا هو في شيء من كتب الحديث التي يعتمد عليها .

الوجه الثاني : أن النبي ﷺ قال عن عترته : إنها والكتاب لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض وهو الصادق المصدوق فيدل على أن إجماع العترة حجة وهذا قول طائفة من علماء الحنابلة رحمهم الله – تعالى – لكن العترة هم بنو هاشم كلهم ولد العباس وولد علي وولد الحارث بن عبد المطلب وسائر بني أبي طالب وغيرهم وعلي وحده ليس هو العترة ، وسيد العترة هو رسول الله ﷺ يبين ذلك أن علماء العترة كابن عباس وغيره لم يكونوا يوجبون اتباع علي في كل ما يقوله ولا كان علي يوجب على الناس طاعته في كل ما يفتي به ولا عرف أن أحداً من أئمة السلف لا من بني هاشم ولا غيرهم قال : إنه يجب اتباع علي في كل ما يقوله .

الوجه الثالث : أن العترة لم تجتمع على إمامته ولا أفضليته بل أئمة العترة

---

(١) سنن الترمذي ٣٢٨/٥ .

(٢) لأن في سنده زيد بن الحسن القرشي أبو الحسن الكوفي صاحب الأنماط وهو ضعيف من الثامنة . قال أبو حاتم : « منكر الحديث » الجرح والتعديل ٥٦٠/٣ ، ميزان الاعتدال للذهبي ١٠٢/٢ ، تهذيب التهذيب ٤٠٦/٣ ، تقريب التهذيب ٢٧٣/١ ، ويعده الشيعة منهم وله ترجمة عند المامقاني في كتابه « تنقيح المقال في علم الرجال » ٤٦٢/١ ، وهو غير محمود عندهم .

كابن عباس وغيره يقدمون أبا بكر وعمر وفيهم من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم أضعاف من فيهم من الإمامية والنقل الثابت عن جميع علماء أهل البيت من بني هاشم من التابعين وتابعيهم من ولد الحسين بن علي وولد الحسن وغيرهما أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر وكانوا يفضلونهما على علي والنقول عنهم ثابتة متواترة .

الوجه الرابع : أن هذا معارض بما هو أقوى منه وأن إجماع الأمة حجة بالكتاب والسنة والإجماع ، والعترة بعض الأمة فيلزم من ثبوت إجماع الأمة إجماع العترة وأفضل الأمة أبو بكر[1] ، فإن كانت الطائفة التي إجماعها حجة يجب اتباع أفضلها مطلقاً فهو أبو بكر ، وإن لم يكن بطل ما يذكر الشيعة في إمامة علي رضي الله عنه »[2] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن حديث الثقلين قد تعددت رواياته في مصادر أهل السنة والجماعة وأن الدكتور علي أحمد السالوس قد تتبع هذا الحديث وقام بدراسة طرقه المتعددة وأخرجها في كتابه : (حديث الثقلين وفقهه) وتوصل إلى أن « ما رواه الإمامان مسلم وأحمد عن زيد بن أرقم لا خلاف حول صحته « وأما بقية الروايات فقد قال عنها : « ورأينا الروايات الأخرى لهذا الحديث ، وظهر ما بها من ضعف وهنا ملحظ هام وهو أن الضعف أساساً جاء من موطن واحد وهو الكوفة وهذا يذكرنا بقول الإمام البخاري في حديث رواه عطية : أحاديث الكوفيين هذه مناكير ومن هنا ندرك لماذا اعتبر ابن الجوزي هذا الحديث من الأحاديث الموضوعة وإن كانت الروايات في جملتها كما يبدو لا تجعل الحديث ينزل إلى درجة الموضوع »[3] . فدعوى ابن طاووس من الاتفاق على صحة أقوال رجال الأحاديث التي ساقها وحديث الثقلين الوارد في صحيح مسلم ليس

---

(١) منهاج السنة ٤/١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) انظر المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٤٧٦ .

(٣) حديث الثقلين ص ٢٤ .

فيه أكثر من الحث على حب آل بيت النبوة وحفظ حقوقهم لأن ذلك من كمال حبه ﷺ وحفظ حقوقهم وتذكيره ﷺ بأهل بيته لا يلزم منه إمامتهم ، ولو كان مراد الرسول ﷺ بيان إمامتهم لأفصح عن ذلك بلفظ في غاية البيان والوضوح .

* **الشبهة الرابعة** : حديث الغدير .

لقد أخذ حديث الغدير عند الشيعة منزلة رفيعة وافتخروا به وأشادوا به وأفردوه بالتأليف وفيه يقول الأميني : « للإمامية مجتمع باهر يوم الغدير عند المرقد العلوي الأقدس يضم إليه رجالات القبائل ، ووجوه البلاد من الدانين والقاصين إشادة بهذا الذكر »[1] .

ومفاد قصة الغدير كما يذكرونها في كتبهم أن النبي ﷺ عزم على الحج في سنة عشر من الهجرة وأعلن ذلك للناس فاجتمعوا إليه جماعات ووحدانا وقاد النبي ﷺ قافلة الحجيج إلى مكة قاصدين البيت الحرام مصطحباً معه نساءه وسائر أهل بيته ، ثم بعد أن قضى مناسكه قفل راجعاً إلى المدينة وسار حتى وصل غدير خم من الجحفة وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة ، ويومها نزل عليه جبريل من الله بقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[2] وأمره أن ينصب عليهم علياً إماماً ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد فحشر الناس في ذلك الموضع وأوقف سيرهم ورد مقدمتهم على مؤخرتهم ثم وقف عليهم خطيباً إلى أن قال : « **يا أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا** : الله ورسوله أعلم **قال : إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه** » يقولها ثلاث مرات ثم قال :

---

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب ١/١٣ .

(٢) سورة المائدة آية / ٦٧ .

« **اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار ألا فليبلغ الشاهد الغائب** » ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1] فقال رسول الله ﷺ : « **الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي وولاية علي من بعدي** »[2] .

ووجه استدلالهم من حديث الغدير عبارة : «**من كنت مولاه فعلي مولاه** » وهذه العبارة لا تعني عند الشيعة إلا النص على إمامة علي رضي الله عنه بعد النبي ﷺ .

قال ابن المطهر الحلي مبيناً وجه الدلالة منه : « والمراد بالمولى هنا الأولى بالتصرف لتقدم التقوى منه ﷺ بقوله : « **ألست أولى منكم بأنفسكم** »[3].

وروى الصدوق بإسناده إلى أبي إسحاق قال : قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام ما معنى قول النبي ﷺ : « **من كنت مولاه فعلي مولاه** » قال : أخبرهم أنه الإمام بعده »[4] .

وقبل أن أبين بطلان حديث الغدير هذا نبين أنه يحمل في ثناياه جهل الشيعة المركب بعدم معرفتهم بمكان وزمان نزول آيات القرآن الكريم فدعواهم أن قوله

---

(١) سورة المائدة آية / ٣ .

(٢) انظر كتاب الغدير في الكتاب والسنة والأدب للأميني ٩/١ - ١١ وكتاب الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ١٣٩/١ - ١٤٨ ، وكتاب اليقين لابن طاووس ص ١١٣ - ١١٥ ، الطبرسي في الإحتجاج ٥٥/١ ، والصدوق في معاني الأخبار ص ٦٧ وانظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٨٤/٤ ، حق اليقين ١٥٣/١ .

(٣) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٨٤/٤ ، وانظر حق اليقين لعبد الله شبر ١٥٤/١ .

(٤) معاني الأخبار ص ٦٥ .

تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ أنزلت يوم الغدير فهذه الدعوى غير صحيحة فقد رجح العلامة ابن كثير أنها مما نزل بالمدينة بل إنها من أواخر ما نزل فقد قال رحمه الله تعالى : « والصحيح أن هذه الآية مدنية بل هي من أواخر ما نزل بها والله أعلم »[1] .

وسياق الآية يشعر ببعد نزولها يوم الغدير بشأن خلافة علي رضي الله عنه ذلك أن الآية سبقت بآيات كلها وردت في ذم أهل الكتاب وبيان تعداد معاصيهم وتعديهم حدود الله – جل وعلا – قال العلامة ابن جرير عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ « وهذا أمر من الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قص الله تعالى قصصهم في هذه السورة وذكر فيها معايبهم وخبث أديانهم واجترائهم على ربهم ، وتوثبهم على أنبيائهم وتبديلهم كتابه وتحريفهم إياه ورداءة مطاعمهم ومآكلهم وسائر المشركين غيرهم ما أنزل عليه فيهم من معايبهم والإزراء عليهم والتقصير بهم ، والتهجين لهم وما أمرهم به ونهاهم عنه وأن لا يشعر نفسه حذراً منهم أن يصيبه في نفسه مكروه ، ما قام فيهم بأمر الله ولا جزعاً من كثرة وقلة عدد من معه وأن لا يتقي أحداً في ذات الله فإن الله تعالى كافيه كل أحد من خلقه ودافعٌ ، عنه مكروه كل من يتقي مكروهه »[2] .

وأمّا قوله تعالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾[3] فإن نزولها كان بعرفة وحادثة الغدير كانت بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع وهو في طريقه إلى المدينة قال ابن جرير رحمه الله تعالى ذاكراً القول الراجح في مكان ووقت نزول هذه الآية : « وأولى الأقوال في وقت نزول الآية القول الذي روي عن عمر بن الخطاب أنها نزلت يوم

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/٦١١ .
(٢) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ٦/٣٠٧ .
(٣) سورة المائدة آية / ٣ .

عرفة يوم جمعة لصحة سنده ووهن أسانيد غيره »[1] فادعاؤهم أن النبي ﷺ قال عند نزولها : « **الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي وولاية علي من بعدي** » فإنه كما قال الألوسي : « من مفترياتهم وركاكة الأمر شاهدة على ذلك »[2] .

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن المائدة لم ينزل منها شيء في غدير خم أو بعده حيث قال رحمه الله : « فمن زعم أن المائدة نزل منها شيء في غدير خم أو بعده فهو كاذب باتفاق أهل العلم »[3] وأما لفظ حديث الغدير فقد تصدى أهل العلم من أهل السنة والجماعة لبيان درجته كما أوضحوا ما يدل عليه ما صح من لفظه من وجوه .

الوجه الأول : أن لفظ « **من كنت مولاه فعلي مولاه** » ليس هو في الصحاح ولكن رواه طائفة من أهل العلم[4] وقد تنازع الناس في صحته أو عدمها على قولين : —

القول الأول : نقل عن الإمام البخاري وإبراهيم الحربي وطائفة من أهل العلم بالحديث أنهم طعنوا فيه وضعفوه .

وإلى هذا القول ذهب أبو محمد بن حزم فإنه ذكر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أنه قال : « **وأما من كنت مولاه فعلي مولاه** » « فلا يصح

---

(١) جامع البيان ٨٤/٦ .

(٢) روح المعاني ٦١/٦ .

(٣) منهاج السنة ٨٥/٤ .

(٤) أخرجه الترمذي بهذا اللفظ في سننه ٢٩٧/٥ من حديث أبي سريحة أو زيد بن أرقم شك شعبة وقال : عقبه هذا حديث حسن غريب ، ورواه أحمد في المسند ٣٦٨/٤ عن زيد بن أرقم ٣٦١/٥ من حديث بريدة ولفظه : « **من كنت وليه فعلي وليه** » ورواه ابن ماجة في سننه ٤٥/١ من حديث سعد بن أبي وقاص كما أخرجه أيضاً من حديث البراء بن عازب ٤٣/١ وقال محققه في الزوائد : إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان وقد صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٣٠/٤ — ٣٤٤ .

من طرق الثقاة أصلًا »[1] .

القول الثاني : نقل عن الإمام أحمد بن حنبل أنه حسنه كما حسنه الترمذي[2] ثم إن القائلين بصحة الحديث من أهل السنة سلفاً وخلفاً بينوا المراد من الحديث وما الذي يدل عليه وأنه ليس المراد به الخلافة .

فقد روى الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناده إلى فضيل بن مرزوق قال : سمعت الحسن بن الحسن وسأله رجل ألم يقل رسول الله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه ؟ قال لي : بلى والله لو يعني بذلك رسول الله ﷺ الإمارة والسلطان لأفصح لهم بذلك فإن رسول الله ﷺ كان أنصح للمسلمين فقال : « يا أيها الناس هذا ولي أمركم والقائم عليكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر وجعله القائم به للمسلمين من بعده ثم ترك علي أمر الله ورسوله لكان علي أول من ترك أمر الله ورسوله » ، ثم قال : ورواه شبابة بن سوار عن الفضيل بن مرزوق قال سمعت الحسن بن الحسن أخا عبد الله بن الحسن وهو يقول لرجل ممن يتولاهم فذكر قصة ثم قال : ولو كان الأمر كما يقولون : إن الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر وللقيام على الناس بعد رسول الله ﷺ إن كان علي لأعظم الناس خطية وجرماً في ذلك إذ ترك أمر رسول الله ﷺ كما أمره ويعذر فيه إلى الناس قال : فقال له الرافضي : ألم يقل رسول الله ﷺ لعلي « **من كنت مولاه فعلي مولاه** » فقال : أما والله إن رسول الله ﷺ إن كان يعني بذلك الإمرة والسلطان والقيام على الناس بعده لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت ولقال لهم : إن هذا ولي أمركم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا فما كان من وراء هذا شيء فإن أنصح الناس كان للمسلمين رسول الله ﷺ[3] .

---

(١) انظر كتاب « ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة » ص ٢٦٤ .
(٢) منهاج السنة ٨٦/٤ ، وانظر « المنتقى للذهبي » ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .
(٣) الاعتقاد للبيهقي ص ١٨٢ - ١٨٣ وانظر تفسير روح المعاني للألوسي ١٩٥/٦ .

ففي هذين الأثرين عن الحسن بن الحسن تكذيب لما نسبه الصدوق إلى علي ابن الحسين من أنه قال: إن المراد بقوله: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» أنه أخبرهم بأنه الإمام بعده فاتضح أن ذلك من زيادات الشيعة المنكرة على أهل البيت وأنهم يدخلون ألفاظاً منكرة في الأحاديث والآثار على حسب ما تملي لهم به أهواؤهم .

وروى البيهقي بإسناده إلى الربيع بن سليمان أنه قال : سمعت الشافعي رحمه الله يقول في معنى قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « **من كنت مولاه فعلي مولاه** » يعني بذلك ولاء الإسلام وذلك قول الله – عز وجل – : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾[1].

وأمَّا قول عمر بن الخطاب لعلي أصبحت مولى كل مؤمن يقول : ولي كل مسلم »[2] .

وقال أبو نعيم الأصبهاني : في معرض رده لحجج الرافضة التي يدعون أنها تدل على إمامة علي رضي الله عنه مباشرة بعد النبي ﷺ : « فإذا احتج بالأخبار وقال : قال رسول الله ﷺ : « **من كنت مولاه فعلي مولاه** » قيل له : مقبول منك ونحن نقول : وهذه فضيلة بينة لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ومعناه من كان النبي ﷺ مولاه فعلي والمؤمنون مواليه دليل ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[3] والولي والمولى في كلام العرب واحد والدليل عليه قوله – تبارك وتعالى – : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ أي : لا ولي لهم وهم عبيده وهو مولاهم وإنما أراد لا ولي لهم ... وإنما هذه منقبة من النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه وحث على محبته وترغيب في ولايته لما ظهر من ميل المنافقين عليه وبغضهم له وكذلك قال ﷺ : « **لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق** »[4] .

---

(١) سورة محمد آية / ١١ .

(٢) الاعتقاد للبيهقي ص ١٨٢ .

(٣) سورة التوبة آية / ٧١ .

(٤) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص٢١٧ – ٢١٨ والحديث في صحيح مسلم ٨٦/١، سنن الترمذي ٢٩٩/٥.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى : « وأما حديث الموالاة فليس فيه إن صح إسناده نص على ولاية علي بعده فقد ذكرنا من طرقه في كتاب «الفضائل» ما دل على مقصود النبي ﷺ من ذلك وهو أنه لما بعثه إلى اليمن كثرت الشكاة عنه وأظهروا بغضه فأراد النبي ﷺ أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه ويحثهم بذلك على محبته وموالاته وترك معاداته فقال: **«من كنت وليه فعلي وليه»** وفي بعض الروايات : **«من كنت مولاه فعلي مولاه»**.. والمراد به ولاء الإسلام ومودته وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضاً ولا يعادي بعضهم بعضاً وهو معنى ما ثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق[1] وفي حديث بريدة حين شكا علياً فقال النبي ﷺ : « **أتبغض علياً؟**» فقلت نعم فقال : **«لا تبغضه وأحببه وازدد له حباً»** قال بريدة : فما كان من الناس أحد أحب إلي من علي بعد قول رسول الله ﷺ»[2]وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن ذكر قولي أهل العلم في الحديث من حيث الصحة وعدمها: «ونحن نجيب بالجواب المركب فنقول إن لم يكن النبي ﷺ قاله فلا كلام فإن قاله فلم يرد به قطعاً الخلافة بعده إذ ليس في اللفظ ما يدل. عليه ومثل هذا الأمر العظيم يجب أن يبلغ بلاغاً مبيناً ، وليس في الكلام ما يدل دلالة بينة على أن المراد به الخلافة وذلك أن المولى كالولي والله تعالى قال : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[3] وقال : ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[4]فبين أن الرسول ولي المؤمنين وأنهم مواليه أيضاً: كما بين أن الله ولي المؤمنين وأنهم أولياؤه وأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض.

---

(١) صحيح مسلم ٨٦/١ .

(٢) الاعتقاد ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٣) سورة المائدة آية / ٥٥ .

(٤) سورة التحريم آية / ٤ .

الوجه الثاني : أمّا الزيادة وهي قوله : « **اللهم وال من والاه وعاد من عاداه** » فلا ريب أنه كذب فقد نقل أحمد بن محمد بن هانيء الأثرم قال : قلت لأبي عبد الله حسين الأشقر تحدث عنه ؟ قال : لم يكن عندي ممن يكذب في الحديث فقال له العباس بن عبد العظيم : حدث في أبي بكر وعمر فقلت له يا أبا عبد الله : صنف باباً فيه معايب أبي بكر وعمر فقال : ما هذا بأهل أن يحدث عنه وذكر أنه حدثه بحديثين .

أحدهما : أنه قال : إن علياً قال له : إنك ستعرض على البراءة مني فلا تتبرأ مني فاستعظمه أبو عبد الله وأنكره .

الثاني : « **اللهم وال من والاه وعاد من عاداه** » فأنكره أبو عبد الله جداً وكأنه لم يشك أن هذين كذب[1] .

الوجه الثالث : زعمهم أن المراد بالمولى : « هو الأولى بالتصرف » غير صحيح وإنما المراد بالموالاة المضادة للمعاداة وهذا حكم ثابت لكل مؤمن فعلي رضي الله عنه من المؤمنين الذين يتولون المؤمنين ويتولونه وفي الحديث إثبات إيمان علي في الباطن والشهادة له بأنه يستحق الموالاة باطناً وظاهراً ويرد ما يقوله فيه أعداؤه من الخوارج والنواصب لكن ليس فيه أنه ليس من المؤمنين مولى غيره فكيف ورسول الله ﷺ له موال وهم صالحوا المؤمنين فعلي أيضاً له مولى بطريق الأولى والأحرى وهم المؤمنون الذين يتولونه »[2] . وبهذه الوجوه المتقدمة يبطل استدلال الشيعة على خلافة علي بحديث الغدير الذي هو من عمدة أدلتهم على ذلك بل إن « أخبار الغدير التي فيها الأمر باستخلاف علي غير صحيحة عند أهل السنة ولا مسلمة لديهم أصلًا »[3] .

---

(١) انظر كتاب الضعفاء الكبير للعقيلي ٢٤٩/١ ، منهاج السنة النبوية ٨٥/٤ - ٨٦ ، المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٤٦٧ ، تهذيب التهذيب ٣٣٥/٢ - ٣٣٧ .

(٢) منهاج السنة ٨٦/٤ .

(٣) انظر روح المعاني للألوسي ١٩٣/٦ .

* الشبهة الخامسة : حديث الدار

لقد تداول الشيعة هذا الحديث فيما بينهم وتناقلوه في كتبهم وقبلوه وسلموا به سنداً ومتناً وجعلوه دليلًا على إثبات إمامة علي رضي الله عنه بل استنبط منه بعضهم بداية نشأة التشيع .

فقد قال الزنجاني : « إن الدعوة إلى التشيع ابتدأت من اليوم الذي هتف فيه المنقذ الأعظم محمد صلوات الله عليه وآله صارخاً بكلمة لا إلـٰه إلا الله في شعاب مكة وجبالها فإنه لما نزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1] جمع النبي ﷺ بني هاشم وأنذرهم وقال : **أيكم يؤازرني فيكون أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا** »[2] .

وحديث الدار كما قال الحلي : وهو « ما نقله الناس كافة أنه لما نزل قوله : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ جمع رسول الله بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون رجلًا وأمر أن يصنع لهم فخذ شاة مع مد من البر ويعد لهم صاعاً من اللبن وكان الرجل يأكل الجذعة في مقعد واحد ويشرب الفرق[3] من الشراب في ذلك المقام فأكلت الجماعة كلهم من ذلك الطعام اليسير حتى شبعوا ولم يتبين ما أكلوا فبهرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك وتبين لهم آية نبوته فقال : « **يا بني عبد المطلب إن الله بعثني إليكم خاصة** » فقال : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ « **وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار شهادة أن لا إلـٰه إلا الله وأني رسول الله فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني على القيام به يكن أخي ووزيري ووصيي ووارثي**

---

(١) سورة الشعراء آية / ٢١٤ .

(٢) عقائد الإمامية للزنجاني ٢٧١/١ .

(٣) الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلًا وهي اثنا عشر مداً أو ثلاثة آصع عند أهل الحجاز « النهاية في غريب الحديث » ٤٣٧/٣ .

وخليفتي من بعدي » فلم يجبه أحد منهم فقال أمير المؤمنين : أنا يا رسول الله أؤازرك على هذا الأمر فقال **اجلس** ، ثم أعاد القول على القوم ثانية فصمتوا فقال علي : فقمت فقلت مثل مقالتي الأولى فقال : اجلس ، ثم أعاد القول ثالثة فلم ينطق أحد منهم بحرف فقمت فقلت : أنا أؤازرك يا رسول الله على هذا الأمر فقال : « **اجلس فأنت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي** » فنهض القوم وهو يقولون لأبي طالب ليهنئك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك فقد جعل ابنك أميراً عليك »[1] .

قال الشيعي مهدي السماوي مشيداً بهذا الافتراء : « قد بلغ حداً من التواتر والشهرة لا تستطيع الأقلام إغفاله ولا الألسن أن تكم عن التحدث به لواسع شهرته وانتشاره من حيث السند ، وأمَّا مضمونه فأوضح من أن يحتاج إلى بيان في دلالته على إمامته « ع » وخلافة رسول الله (ص) ووراثته له سائر ما يورث الأنبياء فهو يثبت بوضوح كون الإمام وزير الرسول وأخاه ووصيه وخليفته من بعده »[2] .

وحديث الدار هذا تناوله شيخ الإسلام ابن تيمية بالنقد والتفنيد وبين زيفه وبطلانه من وجوه عدة هي : —

الوجه الأول : أنهم يطالبون بصحة هذا النقل وما يدعونه من نقل الناس كافة من أبين الكذب عند أهل العلم بالحديث فإن هذا الحديث لا يوجد في شيء من كتب المسلمين التي يستفيدون منها علم النقل لا في الصحاح ولا في المسانيد والسنن والمغازي والتفسير التي يذكر فيها الإسناد الذي يحتج به وإذا كان يوجد في بعض كتب التفسير التي ينقل فيها الصحيح والضعيف مثل تفسير الثعلبي

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٨٠/٤ ، وأورده القمي في تفسيره ١٢٤/٢ ، البرهان في تفسير القرآن للبحراني ١٩٠/٣ – ١٩٢ ، حق اليقين لعبد الله شبر ١٥٥/١ ، وانظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ٣٠/٢ .

(٢) الإمامة في ضوء الكتاب والسنة ١٣٦/١ .

والواحدي والبغوي بل وابن جرير وابن أبي حاتم لم يكن مجرد رواية واحد من هؤلاء دليلًا على صحته باتفاق أهل العلم فإنه إذا عرف أن تلك المنقولات فيها صحيح وضعيف فلابد من بيان أن هذا المنقول من قسم الصحيح دون الضعيف ، وهذا الحديث غايته أن يوجد في كتب التفسير التي فيها الغث والسمين وفيها أحاديث كثيرة موضوعة مكذوبة مع أن كتب التفسير التي يوجد فيها مثل تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم والثعلبي والبغوي ينقل فيها بالأسانيد الصحيحة الثابتة التي اتفق أهل العلم على صحتها ما يناقض ذلك ولكن هؤلاء المفسرون ذكروا ذلك على عادتهم في أنهم ينقلون ما ذكر في سبب نزول الآية من المنقولات الصحيحة والضعيفة ولهذا يذكر أحدهم في سبب نزول الآية عدة أقوال ليذكر أقوال الناس وما نقلوه فيها وإن كان بعض ذلك هو الصحيح وبعضه كذب ، وإذا احتج بمثل هذا الضعيف وأمثاله واحد فذكر بعض ما نقل في تفسير الآية من المنقولات وترك سائرها ينقل مما يناقض ذلك كان هذا من أفسد الحجج .... - وهذا الحديث - مناقض لما علم بالتواتر من أئمة التفسير الذين لم يذكروا هذا بحال لعلمهم أنه باطل .

الوجه الثاني : أن هذا الحديث كذب موضوع ولهذا لم يروه أحد منهم في الكتب التي يرجع إليها في المنقولات لأن أدنى من له معرفة بالحديث يعلم أن هذا كذب وقد رواه ابن جرير[١] والبغوي[٢] بإسناد فيه عبد الغفار بن القاسم بن فهد أبو مريم الكوفي وهو مجمع على تركه[٣] .... ، ورواه أيضاً ابن

---

(١) جامع البيان للطبري ١٢١/١٩ - ١٢٢ .

(٢) تفسير البغوي على حاشية الخازن ١٠٥/٥ .

(٣) هو عبد الغفار بن القاسم أبو مريم الأنصاري، رافضي ليس بثقة قال علي بن المديني : كان يضع الحديث ويقال : كان من رؤوس الشيعة، وقال يحيى بن معين : ليس بشيء وقال البخاري : عبد الغفار بن القاسم بن قيس بن فهد ليس بالقوي عندهم، وقال أحمد: كان أبو مريم يحدث ببلايا في عثمان، وقال أبو حاتم والنسائي وغيرهما : متروك الحديث ، «انظر ترجمته في» الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥٣/٦-٥٤، الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدى ١٩٦٤/٥-١٩٦٥، منهاج السنة ٨١/٤، ميزان الاعتدال للذهبي ٦٤٠/٢ .

أبي حاتم وفي إسناده عبد الله بن عبد القدوس وهو ليس بثقة[1] ،... وإسناد الثعلبي أضعف لأن فيه من لا يعرف .

الوجه الثالث : أن بني عبد المطلب لم يبلغوا أربعين رجلًا حين نزلت هذه الآية فإنها نزلت بمكة في أول الأمر ثم ولا بلغوا أربعين رجلًا في مدة حياة النبي ﷺ فإن بني عبد المطلب لم يعقب منهم باتفاق إلا أربعة وهم بنو هاشم ولم يدرك النبوة من عمومته إلا أربعة العباس ، وحمزة ، وأبو طالب ، وأبو لهب فآمن اثنان وهما حمزة والعباس ونفر اثنان أحدهما نصره وأعانه وهو أبو طالب ، والآخر عاداه وأعان أعداءه وهو أبو لهب ، وأما العمومة وبنو العمومة فأبو طالب كان له أربعة بنين طالب وعقيل وجعفر وعلي ، وطالب لم يدرك الإسلام وأدركه الثلاثة فآمن علي وجعفر في أول الإسلام وهاجر جعفر إلى أرض الحبشة ، ثم إلى المدينة عام خيبر وكان عقيل قد استولى على رباع بني هاشم وتصرف فيها ولهذا لما قيل للنبي ﷺ في حجته تنزل غداً في دارك بمكة قال : **وهل ترك لنا عقيل من دار** ، وأما العباس فبنوه كلهم صغار إذ لم يكن فيهم بمكة رجل – وعلى سبيل الفرض أنهم كانوا رجالًا – فهم عبد الله ، وعبيد الله ، والفضل ، وأما قثم فولد بعدهم وأكبرهم الفضل وبه كان يكنى وعبد الله ولد في الشعب بعد نزول قوله : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2] وكان سنه في الهجرة نحو ثلاث سنين أو أربع سنين ولم يولد للعباس في حياة النبي ﷺ إلا الفضل وعبد الله وأما سائرهم فولدوا بعد ، وأما الحارث بن عبد المطلب وأبو لهب فبنوهما أقل والحارث كان له ابنان أبو سفيان وربيعة وكلاهما تأخر إسلامه وكان من مسلمة

---

(١) هو عبد الله بن عبد القدوس التيمي السعدي أبو محمد ويقال : أبو سعيد ويقال : أبو صالح قال يحيى بن معين : ليس بشيء رافضي خبيث : وقال البخاري : هو في الأصل صدوق إلا أنه يروي عن أقوام ضعاف ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال الدارقطني : ضعيف ، انظر ترجمته في « الجرح والتعديل » ١٠٤/٥ ، الكامل لابن عدي ١٥١٤/٤ كتاب الضعفاء الكبير للعقيلي ٢٧٩/٢ – ٢٨٠ منهاج السنة ٨١/٤ ، تهذيب التهذيب ٣٠٣/٥ – ٣٠٤ .

(٢) سورة الشعراء آية / ٢١٤ .

الفتح ، وكذلك بنو أبي لهب تأخر إسلامهم إلى زمن الفتح ، وكان له ثلاثة ذكور فأسلم منهم اثنان عتبة ومغيث وشهدا الطائف وحنيناً وعتيبة دعا عليه رسول الله ﷺ أن يأكله الكلب فقتله السبع بالزرقاء من الشام كافراً[1] فهؤلاء بنو عبد المطلب لا يبلغون عشرين فأين الأربعون ؟ .

الوجه الرابع : أما دعواهم : أن الرجل منهم كان يأكل الجذعة ويشرب الفرق من اللبن كذب على القوم ليس بنو هاشم معروفين بمثل هذه الكثرة في الأكل ولا عرف فيهم من كان يأكل جذعة ولا يشرب فرقاً .

الوجه الخامس : أن قوله للجماعة : **من يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني على القيام به يكن أخي ووزيري ووصيي وخليفتي من بعدي** كلام مفترى على النبي ﷺ لا يجوز نسبته إليه فإن مجرد الإجابة إلى الشهادتين والمعاونة على ذلك لا يوجب هذا كله فإن جميع المؤمنين أجابوا إلى هاتين الكلمتين وأعانوه على هذا الأمر وبذلوا أنفسهم وأموالهم في إقامته وطاعته وفارقوا أوطانهم وعادوا إخوانهم وصبروا على الشتات بعد الألفة وعلى الذل بعد العز وعلى الفقر بعد الغنى وعلى الشدة بعد الرخاء وسيرتهم معروفة مشهورة ومع هذا فلم يكن أحد منهم خليفة له ، وأيضاً : فإن كان عرض هذا الأمر على أربعين رجلًا أمكن أن يجيبوه ، أو أكثرهم أو عدد منهم فلو أجابه منهم عدد من كان الذي يكون الخليفة بعده أيعين واحداً بلا موجب أم يجعل الجميع خلفاء في وقت واحد وذلك أنه لم يعلق الوصية والخلافة والأخوة والموازرة إلا بأمر سهل وهو الإجابة إلى الشهادتين والمعاونة على هذا الأمر وما من مؤمن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر إلى يوم القيامة إلا وله من هذا نصيب وافر ومن لم يكن له من ذلك حظ فهو منافق فكيف يجوز نسبة مثل هذا الكلام إلى النبي ﷺ .

الوجه السادس : أن حمزة وجعفراً وعبيدة بن الحارث أجابوا إلى ما أجابه

---

(١) انظر « مجمع الزوائد للهيثمي » ١٨/٦ - ١٩ ، ٢١٧/٩ .

علي من الشهادتين والمعاونة على هذا الأمر فإن هؤلاء من السابقين الأولين الذين آمنوا بالله ورسوله في أول الأمر بل حمزة أسلم قبل أن يصير المؤمنون أربعين رجلًا وكان النبي ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم وكان اجتماع النبي ﷺ به في دار الأرقم ولم يكن يجتمع هو وبنو عبد المطلب كلهم في دار واحدة فإن أبا لهب كان مظهراً لمعاداة رسول الله ﷺ ولما حصر بنو هاشم في الشعب لم يدخل معهم أبو لهب .

الوجه السابع : أن الذي في الصحاح من نزول هذه الآية غير هذا ففي الصحيحين عن ابن عمر وأبي هريرة عن النبي ﷺ لما نزلت : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعارسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فخص وعم فقال : « **يا بني كعب ابن لؤي انقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها** »[1] فإن قالوا – هذا الحديث قد ذكره طائفة من المفسرين والمصنفين في الفضائل كالثعلبي والبغوي وأمثالهما والمغازلي – يقال لهم : – مجرد رواية هؤلاء لا توجب ثبوت الحديث باتفاق أهل العلم بالحديث فإن في كتب هؤلاء من الأحاديث الموضوعة ما اتفق أهل العلم على أنه كذب موضوع وفيها شيء كثير يعلم بالأدلة اليقينية السمعية والعقلية أنها كذب بل فيها ما يعلم بالاضطرار أنه كذب والثعلبي وأمثاله لا يتعمدون الكذب بل فيهم من الصلاح والدين ما يمنعهم من ذلك لكن ينقلون ما وجدوه في الكتب ويروون ما سمعوه وليس لأحدهم من الخبرة بالأسانيد ما لأئمة الحديث[2] » .

وبهذه الوجوه تبين عدم صحة هذا الحديث الذي جعله الرافضة من أدلتهم

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه « فتح الباري » ٥٠١/٨ ، صحيح مسلم ١٩٢/١ واللفظ له .

(٢) منهاج السنة النبوية ٨٠/٤ – ٨٤ ، وانظر « المنتقى للذهبي » ص ٤٦٥ – ٤٦٦ .

على أن الإمامة بعد النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه .

* الشبهة السادسة : خبر الطائر

خبر الطائر مفاده أنهم يقولون : روى الجمهور كافة أن النبي صلى الله عليه وآله - أتي بطائر فقال : « **اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر** » فجاء علي - عليه السلام - فدق الباب فقال أنس بن مالك : إن النبي صلى الله عليه وآله - على حاجة فرجع ، ثم قال النبي - صلى الله عليه وآله . كما قال أولًا فدق علي - عليه السلام - الباب قال أنس : أو لم أقل لك إن النبي - صلى الله عليه وآله - على حاجة ؟ فانصرف فقال النبي - صلى الله عليه وآله - كما قال في الأولين فجاء علي - عليه السلام - فدق الباب أشد من الأولين فسمعه النبي - صلى الله عليه وآله - وقد قال له أنس إنه على حاجة فأذن له بالدخول فقال : « **يا علي ما أبطأك عني ؟** » قال جئت فردني أنس ، ثم جئت فردني أنس ، ثم جئت الثالثة فردني فقال : « **يا أنس ما حملك على هذا ؟** » فقال : رجوت أن يكون الدعاء لأحد من الأنصار فقال : « **يا أنس أو في الأنصار خير من علي - عليه السلام - ؟ أو في الأنصار أفضل من علي - عليه السلام - ؟** » وإذا كان أحب الخلق إلى الله تعالى وجب أن يكون الإمام »[1] ويرد على هذه الشبهة من وجوه : -

الوجه الأول : أنهم يطالبون بتصحيح هذا النقل ودعواهم أن كافة الجمهور رووه محض افتراء عليهم فإن حديث الطير هذا لم يروه أحد من أصحاب الصحيح ولا صححه أئمة الحديث ولكن هو مما رواه بعضهم[2] كما رووا أمثاله

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٩٩/٤ ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس ٧١/١ - ٧٣ .

(٢) رواه الترمذي في سننه ٣٠٠/٥ وقال عقبه : هذا حديث غريب لا نعرفه عن حديث السدي إلا من هذا الوجه ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٣٠/٣ - ١٣١ .

في فضل غير علي بل قد روى في فضائل معاوية أحاديث كثيرة وصنف في ذلك مصنفات وأهل العلم بالحديث لا يصححون لا هذا ولا هذا .

الوجه الثاني : أن أكل الطير ليس فيه أمر عظيم يناسب أن يجيء أحب الخلق إلى الله ليأكل منه فإن إطعام الطعام مشروع للبر والفاجر وليس في ذلك زيادة وقربة عند الله لهذا الآكل ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا فأي أمر عظيم هنا يناسب جعل أحب الخلق إلى الله يفعله .

الوجه الثالث : أن هذا الحديث يناقض مذهب الرافضة فإنهم يقولون إن النبي ﷺ كان يعلم أن علياً أحب الخلق إلى الله وأنه جعله خليفة من بعده وهذا الحديث يدل على أنه ما كان يعرف أحب الخلق إلى الله .

الوجه الرابع : أن يقال لهم : إما أن يكون النبي ﷺ كان يعرف أن علياً أحب الخلق إلى الله ، أو ما كان يعرف فإن كان يعرف ذلك كان يمكنه أن يرسل يطلبه كما كان يطلب الواحد من الصحابة ، أو يقول : اللهم ائتني بعلي فإنه أحب الخلق إليك فأي حاجة إلى الدعاء والإبهام في ذلك ولو سمى علياً لاستراح أنس من الرجاء الباطل ولم يغلق الباب في وجه علي وإن كان النبي ﷺ لم يعرف ذلك بطل ما يدعونه من كونه كان يعرف ذلك ثم إن في لفظة أحب الخلق إليك وإلي فكيف لا يعرف أحب الخلق إليه .

الوجه الخامس : أن الأحاديث الثابتة في الصحاح التي أجمع أهل الحديث على صحتها وتلقيها بالقبول تناقض هذا فكيف تعارض بهذا الحديث المكذوب الموضوع الذي لم يصححوه يبين هذا لكل متأمل ما في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من فضائل القوم فقد جاء في الصحيحين[1] عن النبي ﷺ أنه قال : « **لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر** » وهذا الحديث مستفيض بل متواتر عند أهل العلم بالحديث فإنه قد أخرج في الصحاح من وجوه متعددة

---

(١) صحيح البخاري ٢٢٩/٢ ، صحيح مسلم ١٨٥٥/٤ .

وهو صريح في أنه لم يكن عنده من أهل الأرض أحد أحب إليه من أبي بكر فإن الخلة هي كمال الحب وهذا لا يصلح إلا لله فإذا كانت ممكنة و لم يصلح لها إلا أبو بكر علم أنه أحب الناس إليه وقوله في الحديث الصحيح لما سئل أي الناس أحب إليك قال : **عائشة قيل** : من الرجال قال : **أبوها** »[1] وقول الصحابة : أنت خيرنا وسيدنا وأحب إلى رسول الله ﷺ يقوله عمر بين المهاجرين والأنصار ولا ينكر ذلك منكر ، وأيضاً : فالنبي ﷺ محبته تابعة لمحبة الله وأبو بكر أحبهم إلى الله تعالى فهو أحبهم إلى رسوله وإنما كان كذلك لأنه أتقاهم وأكرمهم وأكرم الخلق على الله تعالى أتقاهم بالكتاب والسنة وإنما كان أتقاهم لأن الله تعالى قال : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[2] وأئمة التفسير يقولون إنه أبو بكر »[3].

الوجه السادس : أن حديث الطير موضوع وممن صرح بوضعه ابن طاهر فقد قال : حديث الطائر موضوع إنما يجيء من سقاط أهل الكوفة عن المشاهير والمجاهيل عن أنس وغيره »[4] .

وقد صرح العلامة ابن الجوزي بعدم صحته فقد أورده في كتابه « العلل المتناهية » عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق واحد وقال : هذا حديث لا يصح ، وأورده أيضاً : عن أنس من ستة عشر طريقاً وبين علة كل طريق

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) سورة الليل آية / ١٧ - ٢١ .

(٣) منهاج السنة النبوية ٩٩/٤ - ١٠٠ وانظر « المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي » ص ٤٧٢ ، وانظر في شأن تفسير قوله تعالى : ﴿ **وسيجنبها الأتقى** ﴾ وما بعدها فإن المفسرين أطبقوا على أن المقصود بها هو أبو بكر رضي الله عنه . انظر جامع البيان للطبري ٢٢٨/٣٠ ، زاد المسير لابن الجوزي ١٥٢/٩ ، تفسير البغوي على حاشية الخازن ٢١٣/٧ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣١٠/٧ ، الدر المنثور للسيوطي ٥٣٨/٨ .

(٤) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ٢٣٣/١ - ٢٣٤ .

ثم قال في الآخر: وقد ذكره ابن مردويه من نحو عشرين طريقاً كلها مظلم ، وفيها مطعن، فلم أر الإطالة بذلك وقال: أنبأنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا محمد بن طاهر المقدسي قال: كل طرقه باطلة معلولة»[1] فإن اعترض معترض وقال: إن الحاكم قد أخرجه في مستدركه على الصحيحين وقال : إنه على شرطهما و لم يخرجاه»[2].

يرد على هذا بأن حكم الحاكم على هذا الحديث بهذا الحكم لم يسلم له به فقد تعقبه الحافظ الذهبي بقوله : « ولقد كنت زماناً طويلًا أظن أن حديث الطير لم يجسر الحاكم أن يودعه في مستدركه فلما علقت هذا الكتاب رأيت الهول من الموضوعات التي فيه فإذا حديث الطير بالنسبة إليها سماء »[3] وذكر أيضاً : أن الحاكم سئل عن حديث الطير فقال : لا يصح ، ولو صح لما كان أحد أفضل من علي بعد رسول الله ﷺ »[4] .

وبهذه الوجوه المتقدمة يتضح أن حديث الطير غير صحيح وأنه حديث موضوع ولا حجة للرافضة فيه على ما يدعون .

* **الشبهة السابعة** : حديث التسليم على علي بإمرة المؤمنين .

زعمت الشيعة أن الرسول ﷺ أمر الصحابة أن يسلموا على علي بإمرة المؤمنين وجعلوا هذا دليلًا على إمامته . وهذا الحديث ذكره الحلي فقال : « ما رواه الجمهور أنه أمر الصحابة بأن يسلموا على علي بإمرة المؤمنين وقال : بأنه سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وقال : هذا ولي كل مؤمن بعدي وقال في حقه : إن علياً مني وأنا منه أولى بكل مؤمن ومؤمنة فيكون علي وحده هو الإمام لذلك وهذه نصوص في الباب »[5] .

---

(١) المصدر السابق ٢٢٥/١ - ٢٣٣ .

(٢) المستدرك ١٣١/٣ .

(٣) المستدرك ١٣١/٣ .

(٤) تذكرة الحفاظ ١٠٤٢/٣، وانظر المنتقي ص ٤٧٢، وانظر طبقات الشافعية للسبكي ١٦٨/٤ - ١٦٩.

(٥) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ١٠٢/٤ - ١٠٣ .

والرد على هذه الشبهة من وجوه :

الوجه الأول : أنهم يطالبون بإسناد هذا الحديث وبيان صحته .

وأمَّا قوله : رواه الجمهور فهذا من الكذب المحض عليهم حيث إنه غير موجود في كتب الأحاديث المعروفة لا الصحاح ولا المسانيد ولا السنن وغيرها وإن كان وجد في بعض الكتب التي يروى فيها الصحيح والضعيف والموضوع فليس ذلك بحجة يجب اتباعها باتفاق المسلمين والرب – جل وعلا – قد حرم علينا الكذب وأن نقول عليه ما لا نعلم وقد تواتر عن النبي ﷺ أنه قال : « **من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** »[1] .

الوجه الثاني : أن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وكل من له أدنى معرفة بالحديث يعلم أن هذا كذب موضوع لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث في كتاب يعتمد عليه .

الوجه الثالث : أن هذا مما لا يجوز نسبته إلى النبي ﷺ فإن قائل هذا كاذب والنبي ﷺ منزه عن الكذب . وذلك أن سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين هو رسول الله ﷺ باتفاق المسلمين ، فإن قيل : علي هو سيدهم بعده ، قيل : ليس في لفظ الحديث ما يدل على هذا بل هو مناقض لهذا لأن أفضل المسلمين المتقين المحجلين هم القرن الأول ولم يكن لهم على عهد النبي ﷺ سيد ولا إمام ولا قائد غيره فكيف يخبر عن شيء لم يحضر ويترك الخبر عما هم أحوج إليه وهو حكمهم في الحال ثم القائد يوم القيامة هو رسول الله ﷺ فمن يقود علي ؟ وأيضاً : فعند الشيعة جمهور المسلمين المحجلين كفار أو فساق فلمن يقود ، فقد جاء في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال : « **وددت أني قد رأيت إخواني قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله قال : أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، قالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله قال : أرأيتم**

---

(١) صحيح البخاري ٣١/١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

لو أن رجلًا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم[1] بهم[2] ألا يعرف خيله قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فإنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء وأنا فرطهم على الحوض »[3] الحديث ، فهذا يبين أن كل من توضأ وغسل وجهه ويديه ورجليه فإنه من الغر المحجلين وهؤلاء جماهيرهم إنما يقدمون أبا بكر وعمر ، والرافضة لا تغسل بطون أقدامها ولا أعقابها فلا يكونون من المحجلين في الأرجل وحينئذ فلا يبقى أحد من الغر المحجلين يقودهم ولا يقادون مع الغر المحجلين فإن الحجلة لا تكون في ظهر القدم وإنما الحجلة في الرجل كالحجلة في اليد ، وقد قال ﷺ : « **ويل للأعقاب من النار** »[4] ومعلوم أن الفرس لو لم يكن البياض إلا لمعة في يده أو رجله لم يكن محجلًا ، وإنما الحجلة بياض اليد أو الرجل فمن لم يغسل الرجلين إلى الكعبين لم يكن من المحجلين فيكون قائد الغر المحجلين بريئاً منه كائناً من كان .

الوجه الرابع : زعمهم أن علياً رضي الله عنه سيدهم وإمامهم وقائدهم بعد رسول الله ﷺ مما يعلم بالاضطرار أنه كذب وأن رسول الله ﷺ لم يقل شيئاً من ذلك بل كان يفضل عليه أبا بكر وعمر تفضيلًا بيناً ظاهراً عرفه الخاصة والعامة حتى إن المشركين كانوا يعرفون منه ذلك ، ولما كان يوم أحد قال أبو سفيان وكان حينئذ أمير المشركين : أفي القوم محمد ؟ فقال النبي ﷺ : **لا تجيبوه** ؟ فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ قال : **لا تجيبوه** فقال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال : إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدو الله أبقى الله عليك ما يخزيك »[5] الحديث فهذا مقدم

---

(١) دهم : أي : عددها كثير « انظر النهاية في غريب الحديث » ١٤٥/٢ .

(٢) بهم : البهيم من الخيل الذي لا شية فيه تخالف معظم لونه « النهاية » ١٦٨/١ .

(٣) صحيح مسلم ٢١٨/١ .

(٤) صحيح البخاري ٢١/١ ، صحيح مسلم ٢١٤/١ .

(٥) صحيح البخاري ٢٠/٣ .

الكفار إذ ذاك لم يسأل إلا عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر لعلمه وعلم الخاص والعام أن هؤلاء الثلاثة هم رؤوس هذا الأمر وأن قيامه بهم ودل ذلك على أنه كان ظاهراً عند الكفار أن هذين وزيراه وبهما تمام أمره وأنهما أخص الناس به وأن لهما من السعي في إظهار الإسلام ما ليس لغيرهما وهذا أمر كان معلوماً للكفار فضلًا عن المسلمين والأحاديث الكثيرة متواترة بمثل هذا »[١] .

الوجه الخامس : أما قوله : « **هو ولي كل مؤمن بعدي** » هذا كذب على رسول الله ﷺ بل هو في حياته وبعد مماته ولي كل مؤمن ، وكل مؤمن وليه في المحيا والممات فالولاية التي هي ضد العداوة لا تختص بزمان فأما الولاية التي هي الإمارة فإنما يقال فيها والي كل مؤمن »[٢] .

وبهذه الوجوه ظهر بطلان هذه الشبهة التي هي أوهى من بيت العنكبوت . وحسبنا من حججهم التي يدعون أنها أدلة مسندة إلى السنة ما تقدم وقد اتضح أنها أحاديث مكذوبة على النبي ﷺ لم تثبت عنه وما صح عنه منها فإنما يدل على فضل علي رضي الله عنه لا على أنه أفضل الصحابة ولا على أنه الإمام بعد النبي ﷺ وقد صح عن علي وغيره نصوص عدة كلها تبين بطلان اعتقاد الشيعة في الإمامة جملة وتفصيلًا من أن النبي ﷺ لم يوص له بالإمامة وأنه لم ينص على الخلافة عيناً لأحد من الناس وتلك النصوص هي : —

١) روى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن عباس « أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا ، إني لأعرف وجوه

---

(١) منهاج السنة ١٠٣/٤ - ١٠٤ ، المنتقي للذهبي ص ٤٧٣ - ٤٧٥ .

(٢) المنتقي من منهاج الاعتدال ص ٤٧٥ .

بني عبد المطلب عند الموت اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمنا فأوصى بنا فقال علي : إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ »[1] .

فهذا نص صريح من علي رضي الله عنه في أنه لا نص عليه من رسول الله ﷺ بالخلافة ولو كان هناك نص كما تزعمه الرافضة لقال للعباس : لماذا نذهب إليه ونسأله وقد نص علي وأوصى لي بالخلافة ، ولما اعتدى عليه الخبيث الخارجي عبد الرحمٰن بن ملجم ظلماً وعدواناً وضربه ضربة أودت به إلى الموت قيل له : ألا تستخلف فكان رده على هذا العرض : أن المصطفى ﷺ لم يستخلف أحداً عند وفاته حتى يتأسى به .

٢) فقد روى أبو بكر البيهقي بإسناده إلى شقيق ابن سلمة قال : قيل لعلي بن أبي طالب : ألا تستخلف علينا ؟ فقال : ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم »[2] فهذا دليل واضح من أن دعوى النص عليه رضي الله عنه إنما هو من اختلاق الرافضة الذين ملئت قلوبهم بالبغض والحقد لأصحاب رسول الله ﷺ بما فيهم علي وأهل بيته ، وإنما يدعون حبهم تستراً ليتسنى لهم الكيد للإسلام وأهله .

٣) وروى أيضاً : بإسناده إلى عمرو بن سفيان قال : لما ظهر علي يوم الجمل قال : أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ،

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٤١/٨ .

(٢) الاعتقاد ص ١٨٤ ، وأورده الحافظ ابن كثير في البداية وعزاه إلى البيهقي بهذا اللفظ عن أبي وائل وقال عقبه : إسناد جيد ولم يخرجوه : « البداية والنهاية » ٢٨٢/٥ .

ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله – أو قال : حتى ضرب الدين بجرانه ، ثم إن أقواماً طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي الله فيها »[1] .

٤) وروى الشيخان في صحيحيهما عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : خطبنا علي بن أبي طالب فقال : من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة (قال وصحيفة معلقة في قراب سيفه)[2] فقد كذب ، فيها أسنان الإبل[3] وأشياء من الجراحات وفيها قال النبي ﷺ : « **المدينة حرم ما بين عير إلى ثور**[4] **فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلًا وذمة المسلمين واحدة**[5] **يسعى بها أدناهم**[6] **ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلًا** »[7] فهذا الحديث الثابت في الصحيحين وفي غيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة في زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة ، فإنهم كانوا أطوع لله ولرسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه فيقدموا غير من قدمه ، ويؤخروا من قدمه بنصه حاشا – وكلا – ولما ؟ ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم

---

(١) الاعتقاد ص ١٨٤ ، ورواه الإمام أحمد بلفظ مقارب انظر المسند مع الفتح الرباني ٤/٢٣ – ٥ وأورده بهذا اللفظ المباركفوري في تحفة الأحوذي ٤٧٨/٦ وقال : أخرجه أحمد والبيهقي في دلائل النبوة بسند حسن .

(٢) القراب : هو الغلاف الذي يجعل فيه السيف بغمده .

(٣) أي : في تلك الصحيفة بيان أسنان الإبل التي تعطي دية .

(٤) هو جبل صغير وراء أحد .

(٥) المراد بالذمة هنا الأمان ، ومعناه أن أمان المسلمين للكافر صحيح فإذا أمنه أحد المسلمين حرم على غيره التعرض له ما دام في أمان المسلم .

(٦) أي : يتولاها ويلي أمرها أدنى المسلمين مرتبة .

(٧) صحيح البخاري ٣٢١/١ ، صحيح مسلم ٩٩٤/٢ – ٩٩٨ واللفظ له .

إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ ومضادتهم في حكمه ونصه ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام وكفر بإجماع الأئمة الأعلام »[1] .

قال الإمام النووي بعد ذكر قول علي رضي الله عنه : « من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة فقد كذب » . هذا تصريح من علي رضي الله تعالى عنه بإبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة ويخترعونه من قولهم : إن علياً أوصى إليه النبي ﷺ بأمور كثيرة من أسرار العلم وقواعد الدين وكنوز الشريعة وإنه ﷺ خص أهل البيت بما لم يطلع عليه غيرهم ، وهذه دعاوى باطلة واختراعات فاسدة لا أصل لها ويكفي في إبطالها قول علي رضي الله عنه هذا »[2] .

٥) روى البخاري بإسناده إلى الأسود بن يزيد قال : « ذكروا عند عائشة أن علياً رضي الله عنهما كان وصياً فقالت : متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري أو قالت : حجري فدعا بالطست فلقد انخنث[3] في حجري فما شعرت أنه قد مات فمتى أوصى إليه[4] .

فقوله : « ذكروا عند عائشة أن علياً رضي الله عنهما كان وصياً » .

قال القرطبي : كانت الشيعة قد وضعوا أحاديث في أن النبي ﷺ أوصى بالخلافة لعلي ، فرد عليهم جماعة من الصحابة ذلك وكذا من جاء بعدهم فمن ذلك ما استدلت به عائشة ، ومن ذلك أن علياً لم يدع ذلك لنفسه ولا بعد أن ولي الخلافة ، ولا ذكره أحد من الصحابة يوم السقيفة وهؤلاء – الشيعة – تنقصوا علياً من حيث قصدوا تعظيمه لأنهم نسبوه – مع شجاعته العظمى

---

(١) البداية والنهاية ٥/٢٨٣ – ٢٨٤ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٩/١٤٣ .

(٣) أي : انكسر وانثنى لاسترخاء أعضائه عند الموت « النهاية لابن الأثير » ٢/٨٢ .

(٤) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٥/٣٥٦ .

وصلابته في الدين – إلى المداهنة والتقية والإعراض عن طلب حقه مع قدرته على ذلك وقال غيره : الذي يظهر أنهم ذكروا عندها أنه أوصى له بالخلافة في مرض موته فلذلك ساغ لها إنكار ذلك واستندت إلى ملازمتها له في مرض موته إلى أن مات في حجرها و لم يقع منه شيء من ذلك فساغ لها نفي ذلك لكونه منحصراً في مجالس معينة لم تغب عن شيء منها »[1] .

٦) وروى البخاري بإسناده إلى طلحة بن مصرف قال : « سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما : هل كان النبي ﷺ أوصى ؟ فقال : لا فقلت : كيف كتب على الناس الوصية وأمروا بالوصية ؟ قال : أوصى بكتاب الله »[2] والوصية المنفية في قول عبد الله بن أبي أوفى إنما هي الوصية في الخلافة فقد توفي عليه الصلاة والسلام عن غير وصية في شأن الخلافة وأما الوصايا بغير الخلافة فوردت في عدة أحاديث اشتملت على وصيته بأشياء كثيرة أما الذي لم يوص به قطعاً هو الخلافة فإنه لم يوص بها لأحد من بعده .

٧) فقد روى الشيخان من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له : ألا تستخلف يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني – يعني أبا بكر – وإن أترك فقد ترك من هو خير مني – يعني رسول الله ﷺ – قال ابن عمر : فعرفت حين ذكر رسول الله ﷺ أنه غير مستخلف »[4] فهذه النصوص القطعية تبين بطلان زعم الشيعة من دعوى النص على علي رضي الله عنه في الخلافة – ، وأن علياً رضي الله عنه براء مما نسبه إليه الشيعة من أنه الخليفة المنصوص عليه بعد – النبي ﷺ فإن دعواهم النص عليه إنما يتضمن الطعن فيه رضي الله

(١) فتح الباري ٣٦١/٥ – ٣٦٢ .
(٢) صحيح البخاري مع شرحه « فتح الباري » ٣٥٦/٥ .
(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٥٣/٢ – ٢٥٧ ، فتح الباري ٣٦٢/٥ .
(٤) صحيح البخاري ٢٤٨/٢ ، صحيح مسلم ١٤٥٤/٣ – ١٤٥٥ .

عنه لأنه لو كان معه نص فلم لا يحتج به على الصحابة على إثبات إمارته عليهم وإمامته لهم ؟ فإن لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص فهو عاجز والعاجز لا يصلح للإمارة . وإن كان يقدر و لم يفعله فهو خائن والخائن معزول عن الإمارة ، وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل »[1] وحاشاه رضي الله عنه من هذه الصفات كلها وحاشا الإمام الأكبر والصديق الأعظم أن يتقدم على وصي رسول الله ﷺ وهو الذي شهد الله له بأنه أتقى الأمة وأبرها على الإطلاق .

٨) قال هذيل بن شرحبيل : أبو بكر يتأمر على وصي رسول الله ﷺ ود أبو بكر أنه وجد عهداً من رسول الله ﷺ فخرم أنفه بخرامة »[2] فكل هذه النصوص التي ختمنا بها هذا المبحث المروية عن علي رضي الله عنه وعن غيره من الصحابة دلت دلالة قطعية على أن النبي ﷺ لم ينص و لم يعهد بالخلافة من بعده لأحد لا لأبي بكر ولا لعلي رضي الله عنهما وإنما أشار إشارة قوية يفهمها كل ذي لب وعقل إلى الصديق رضي الله عنه وأخبر أن المؤمنين لن يختاروا سواه ووقع كما أخبر عليه الصلاة والسلام .

كما توضح هذه النصوص لكل من له أدنى معرفة أن النصوص التي يستدل بها الشيعة الرافضة على أن علياً رضي الله عنه هو الخليفة بالنص بعد النبي ﷺ موضوعة وأنها من اختراعاتهم الباطلة وأن عقيدتهم في الإمامة مبنية على الأحاديث الموضوعة التي اختلقها الزنادقة الملحدون وأن قصدهم منها هو إفساد دين الإسلام فعلى من افتراها من الله ما يستحق وحسبه ما وعده به الرسول ﷺ حيث قال : « **من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** »[3] .

* * *

(١) انظر البداية والنهاية ٢٨٤/٥ .

(٢) أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٢٨٣/٥ .

(٣) صحيح البخاري ٣١/١ حديث أبي هريرة رضي الله عنه ورواه مسلم أيضاً في صحيحه ١٠/١ .

○ الفصل الثاني ○

خلافة الفاروق رضي الله عنه



○ الفصل الثاني ○

خلافة الفاروق رضي الله عنه

وفيه مباحث : -

المبحث الأول : استخلاف الفاروق بعهد من أبي بكر رضي الله عنهما .

المبحث الثاني : حقية خلافته رضي الله عنه .

المبحث الثالث : انعقاد الإجماع على خلافته .



★ المبحث الأول ★

استخلاف الفاروق بعهد من أبي بكر رضي الله عنهما

إن طريقة تولية الفاروق رضي الله عنه الخلافة بعد الصديق الأعظم رضي الله عنه كانت باستخلاف أبي بكر إياه ، وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه مرض قبل وفاته خمسة عشر يوماً ولما أحس بدنو أجله رضي الله عنه عهد في أثناء هذا المرض بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان رضي الله عنه . وقريء على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا ، ولم يعهد الصديق رضي الله عنه بالخلافة لعمر رضي الله عنه إلا بعد أن استشار نفراً من فضلاء الصحابة فيه مع أن عمر رضي الله عنه هو المعروف بصلابته في الدين ، وأمانته وشدته على المنافقين إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التي اتصف بها في ذات الله – عز وجل – ولكن الصديق رضي الله عنه فعل هذا مبالغة في النصح للأمة المحمدية وقد ذكر أهل السير والتواريخ صيغة عهد الصديق بالخلافة للفاروق رضي الله عنه فقد روى ابن سعد وغيره : أن أبا بكر الصديق لما استعز[1] به دعا عبد الرحمٰن بن عوف فقال : أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال عبد الرحمٰن : ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني فقال أبو بكر : وإن فقال عبد الرحمٰن : هو والله أفضل من رأيك فيه ، ثم دعا عثمان ابن عفان فقال : أخبرني عن عمر فقال : أنت أخبرنا به فقال : على ذلك يا أبا عبد الله فقال : عثمان : اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله ، فقال أبو بكر : يرحمك الله والله لو تركته ما عدوتك وشاور معهما

---

(١) استعز به : أي اشتد به المرض وأشرف على الموت ... يقال : عز يعز – بالفتح – إذا اشتد ، واستعز به المرض وغيره ، واستعز عليه إذا اشتد عليه وغلبه « النهاية في غريب الحديث والأثر » ٣/٢٢٨ .

سعيد بن زيد أبا الأعور وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار فقال أسيد : اللهم أعلمه الخيرة بعدك يرضى للرضى ويسخط للسخط الذي يسر خير من الذي يعلن ، و لم يل هذا الأمر أحد أقوى عليه منه ، وسمع بعض أصحاب النبي ﷺ بدخول عبد الرحمٰن وعثمان على أبي بكر وخلوتهما به فدخلوا على أبي بكر فقال له قائل منهم : ما أنت قائل لربك إذ سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته ؟ فقال أبو بكر : أجلسوني فقال : أبا لله تخوفوني ؟ خاب من تزود من أمركم بظلم ، أقول : اللهم استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عني ما قلت لك من وراءك ، ثم اضطجع ودعا عثمان بن عفان فقال : اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند أول عهده بالآخرة داخلًا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عيلكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً ، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه ، وإن بدل فلكل امرىء ما اكتسب من الإثم والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله ، ثم أمر بالكتاب فختمه ، ثم قال بعضهم لما أملى أبو بكر صدر هذا الكتاب : بقي ذكر عمر فذهب به قبل أن يسمي أحداً فكتب عثمان : إني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ثم أفاق أبو بكر فقال : اقرأ علي ما كتبت فقرأ عليه ذكر عمر فكبر أبو بكر وقال : أراك خفت إن أقبلت نفسي في غشيتي تلك يختلف الناس فجزاك الله عن الإسلام وأهله خيراً ، والله إن كنت لها لأهلًا ، ثم أمره فخرج بالكتاب مختوماً ومعه عمر بن الخطاب وأسيد بن سعيد القرظي فقال عثمان للناس : أتبايعون لمن في هذا الكتاب ؟ فقالوا : نعم ، وقال بعضهم : قد علمنا به قال ابن سعد : علي القائل وهو عمر ، فأقروا بذلك جميعاً ورضوا به وبايعوا ، ثم دعا أبو بكر عمر خالياً فأوصاه بما أوصاه به ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه مداً فقال : اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم وخفت عليهم

الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك أصلح لهم وإليهم وأجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدي نبي الرحمة ، وهدي الصالحين بعده وأصلح له رعيته »[1]

وذكر أبو الفرج بن الجوزي عن الحسن بن أبي الحسن قال : لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه جمع الناس إليه فقال : إنه قد نزل بي ما قد ترون ولا أظنني إلا ميت لما بي وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي وحل عنكم عقدتي ، ورد عليكم أمركم ، فأمروا عليكم من أحببتم ، فإنكم إن أمرتم في حياة مني كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي فقاموا في ذلك وخلوا عليه فلم تستقم لهم ، فرجعوا إليه فقالوا : رأينا يا خليفة رسول الله ﷺ رأيك قال : فلعلكم تختلفون قالوا : لا قال : فعليكم عهد الله على الرضى قالوا : نعم . قال : فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده فأرسل أبو بكر إلى عثمان بن عفان فقال : أشر علي برجل ووالله إنك عندي لها لأهل وموضع فقال : عمر فقال : اكتب فكتب حتى انتهى إلى الاسم فغشي عليه ثم أفاق ، فقال : اكتب عمر[2] » ومن هذا السياق تبين واتضح أن تولية الفاروق رضي الله عنه الخلافة كانت بعهد من الصديق رضي الله عنه ولقد صدقت فراسة أبي بكر في عمر حين اجتهد في العهد بالخلافة من بعده له رضي الله عنه فلقد قام بالخلافة أتم القيام حيث كان إماماً ناصحاً لله ولرسوله ولدين الإسلام حيث كثرت في خلافته الفتوح واتسعت رقعة الدولة الإسلامية ونعمت الأمة الإسلامية بعدله رضي الله عنه ولحسن اختيار الصديق رضي الله عنه في أن يكون الفاروق هو الخليفة من بعده اعتبر من أشد الناس فراسة بسبب

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩٩/٣ - ٢٠٠ ، تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤٢٨/٣ - ٤٢٩ ، كتاب الثقات لابن حبان ١٩٠/٢ - ١٩١ ، تاريخ عمر لأبي الفرج بن الجوزي ٦٦ - ٦٧ ، الكامل في التاريخ ٤٢٥/٢ - ٤٢٦ .

(٢) تاريخ عمر لابن الجوزي ص ٦٦ - ٦٧ .

ذلك فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : إن أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته : أكرمي مثواه ، والمرأة التي رأت موسى عليه السلام فقالت . لأبيها : يا أبت استأجره ، وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما قال الحاكم : فرضي الله عن ابن مسعود لقد أحسن في الجمع بينهم « بهذا الإسناد صحيح »[1] .

* * *

(١) المستدرك للحاكم ٩٠/٣ وصححه الذهبي . ورواه أبو بكر الخلال في كتاب « السنة » ص ٢٧٧ – ٢٧٨ .

★ المبحث الثاني ★

حقية خلافته رضي الله عنه

إن حقية خلافة الفاروق رضي الله عنه مما لا يشك فيها مسلم لما هو معلوم عند كل ذي عقل وفهم أنه يلزم من حقية خلافة أبي بكر حقية خلافة عمر وقد قدمنا في الفصل الثاني من هذا الباب أن نصوص الكتاب والسنة والإجماع كلها دلت على حقية خلافة أبي بكر ، وما دل على حقية خلافة الصديق رضي الله عنه دل على حقية خلافة الفاروق رضي الله عنه لأن الفرع يثبت له من حيث كونه فرعاً ما ثبت للأصل فحينئذ لا مطمع لأحد من الشيعة الرافضة في النزاع في حقية خلافة عمر لما قدمناه من الأدلة الواضحة القطعية على حقية خلافة مستخلفه ، ولما سنذكره هنا من بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى حقية خلافة الفاروق رضي الله عنه ، وإذا ثبت حقية خلافة الصديق رضي الله عنه قطعاً صار النزاع في حقية خلافة الفاروق عناداً وجهلًا وغباوة وإنكاراً لما هو معلوم في الدين بالضرورة ومن اعتقد عدم حقية خلافة الفاروق رضي الله عنه كالشيعة الرافضة إنما يعد من الجهلة الحمقى حقيق أن يعرض عنه وعن أكاذيبه وأباطيله ، ولا يلتفت إليه ولا يعول في شيء من الأمور عليه ، فخلافة الفاروق رضي الله عنه حق بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهذا معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وقد وردت الإشارة إلى حقية خلافته في طائفة من النصوص القطعية الصحيحة منها : -

(١) في نص القرآن دليل على صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وعلى وجوب الطاعة لهم وهو أن الله - تعالى - قال مخاطباً لنبيه ﷺ في

الأعراب ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾[1] وكان نزول براءة التي فيها هذا الحكم بعد غزوة تبوك بلا شك[2] التي تخلف فيها الثلاثة المعذرون الذين تاب الله عليهم في سورة براءة ولم يغز - عليه الصلاة والسلام - بعد غزوة تبوك إلى أن مات ﷺ وقال تعالى أيضاً : ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ فبين أن العرب لا يغزون مع رسول الله ﷺ بعد تبوك لهذا ، ثم عطف - سبحانه وتعالى - عليهم أثر منعه إياهم من الغزو مع رسول الله ﷺ فقال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[3] فأخبر - تعالى - أنهم سيدعوهم غير النبي ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون ووعدهم على طاعة من دعاهم إلى ذلك بجزيل الأجر العظيم وتوعدهم على عصيان الداعي لهم إلى ذلك العذاب الأليم .

قال أبو محمد بن حزم : وما دعا أولئك الأعراب أحد بعد رسول الله ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون إلا أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فإن أبا بكر رضي الله عنه دعاهم إلى قتال مرتدي العرب بني حنيفة وأصحاب الأسود وسجاح وطليحة والروم والفرس وغيرهم ، ودعاهم عمر إلى قتال الروم والفرس وعثمان دعاهم إلى قتال الروم والفرس والترك[4] فوجب طاعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بنص القرآن الذي لا يحتمل تأويلًا وإذ قد وجبت طاعتهم فقد صحت إمامتهم وخلافتهم رضي الله عنهم »[5] .

---

(١) سورة التوبة آية / ٨٣ .

(٢) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١١٩/٤ ، ١٢٢

(٣) سورة الفتح آية / ١٦ - ١٧

(٤) انظر الاعتقاد للبيهقي ص ١٧٣

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٠٩/٤ - ١١٠ .

(٢) ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « **أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً والله يغفر له ، ثم جاء عمر ابن الخطاب فاستحالت غرباً فلم أر عبقرياً يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن** »[١] .

هذا الحديث تضمن الإشارة إلى خلافة الشيخين رضي الله عنهما ، كما تضمن الإشارة إلى حقية خلافة الفاروق رضي الله عنه ، وإلى كثرة الفتوح وظهور الإسلام في زمنه فهذا المنام النبوي مثال واضح لما حصل لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في خلافتهما وحسن سيرتهما وظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما وكل ذلك مأخوذ عن المصطفى ﷺ وآثار صحبته فقد كان عليه الصلاة والسلام هو صاحب الأمر فقام به أكمل قيام حيث قرر قواعد الدين ومهد أموره وأوضح أصوله وفروعه ودخل الناس في دين الله أفواجاً وأنزل الله تعالى عليه قوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٢] .

ولما التحق ﷺ بالرفيق الأعلى خلفه أبو بكر رضي الله عنه على الأمة سنتين وأشهراً وهو المراد بقوله ﷺ : « **ذنوباً أو ذنوبين** » - وهذا شك من الراوي والمراد ذنوبان كما جاء التصريح بذلك في رواية أخرى[٣] وقد حصل في خلافته رضي الله عنه قتال المرتدين وقطع دابرهم واتساع رقعة الإسلام ولما توفي الصديق رضي الله عنه خلفه عمر رضي الله عنه فانتشر الإسلام في زمنه أكثر وتقرر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله لطول ولايته واتساع بلاد الإسلام وكثرة الأموال من الغنائم وغيرها فالحديث اشتمل على حقية خلافة عمر رضي الله عنه وصحتها وبيان صفتها وانتفاع المسلمين بها .

---

(١) صحيح البخاري ٢٩٤/٢ ، صحيح مسلم ١٨٦٠/٤ - ١٨٦٢ .

(٢) سورة المائدة آية / ٣ .

(٣) انظر صحيح مسلم ١٨٦١/٤ .

(٣) روى الإمام أحمد وغيره بإسناده إلى حذيفة رضي الله عنه قال : كنا عند النبي ﷺ جلوساً فقال : « **إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه** »[١] .

دل هذا الحديث دلالة صريحة على حقية خلافة عمر رضي الله عنه فقوله ﷺ : « **اقتدوا باللذين** » بفتح الذال - أي الخليفتين اللذين يقومان من بعدي أبو بكر وعمر ، فأمره ﷺ بطاعتهما يتضمن الثناء عليهما لكونهما أهلًا لأن يطاعا فيما يأمران به وينهيان عنه المؤذن بحسن سيرتهما وصدق سريرتهما وإيماء لكونهما الخليفتين بعده وسبب الحث على الاقتداء بالسابقين الأولين ما فطروا عليه من الأخلاق المرضية والطبيعة القابلة للخير ولذلك كانوا أفضل الناس بعد الأنبياء وصار أفضل الخلق بعدهم من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين »[٢] .

(٤) روى الشيخان في صحيحيهما بإسناديهما إلى النبي ﷺ أنه قال : « **بينا أنا نائم إذ رأيت قدحاً أتيت به فيه لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يجري في أظفاري ، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله قال : العلم** »[٣] .

ففي هذا الحديث إشارة إلى حقية خلافة عمر رضي الله عنه « والمراد بالعلم هنا العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واختص عمر بذلك لطول مدته بالنسبة إلى أبي بكر - وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان فإن

---

(١) المسند ٣٨٥/٥ ، ٤٠٢ ، سنن الترمذي ٢٧١/٥ ، ورواه الطحاوي في مشكل الآثار ٨٣/٢ - ٨٤ ، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٣٤ ، ورواه أبو نعيم في الحلية ١٠٩/٩ ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، ٢٠/١٢ ، والحاكم في المستدرك ٧٥/٣ ، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٣٣/٣ - ٢٣٦ .

(٢) انظر فيض القدير للمناوي ٥٦/٢ .

(٣) صحيح البخاري ٢٩٤/٢ ، صحيح مسلم ١٨٥٩/٤ - ١٨٦٠ .

مدة أبي بكر كانت قصيرة فلم يكثر فيها الفتوح التي هي أعظم الأسباب في الاختلاف ومع ذلك فساس عمر فيها – مع طول مدته – الناس بحيث لم يخالفه أحد ثم ازدادت اتساعاً في خلافة عثمان فانتشرت الأقوال واختلفت الآراء ، ولم يتفق له ما اتفق لعمر من طواعية الخلق له فنشأت من ثم الفتن إلى أن أفضى الأمر إلى قتله – واستخلف علي فما ازداد الأمر إلا اختلافاً ، والفتن إلا انتشاراً »[1] فالحديث فيه إشارة واضحة إلى حقية خلافة الفارق رضي الله عنه .

(٤) روى أبو داود وغيره من حديث الأشعث عن الحسن عن أبي بكرة أن النبي ﷺ قال ذات يوم : « **من رأى منكم رؤيا ؟** » فقال رجل : أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر ، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر ، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ، ثم رفع الميزان فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ »[2] .

في هذا الحديث إشارة إلى ترتيب الثلاثة في الفضل فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ، ثم عثمان رضي الله عنهم جميعاً كما أن الحديث تضمن الإشارة إلى حقية خلافة عمر رضي الله عنه وأنه يلي الخلافة بعد الصديق رضي الله عنه وقوله له في الحديث : « فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ » « وذلك لما علم ﷺ من أن تأويل رفع الميزان انحطاط رتبة الأمور وظهور الفتن بعد خلافة عمر »[3] .

(٦) وروى الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما كان يحدث أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال : إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف[4] السمن والعسل ، فأرى الناس ....

---

(١) فتح الباري ٤٦/٧ .

(٢) سنن أبي داود ٥١٢/٢ ، ورواه أحمد في المسند ٤٤/٥ ، ورواه الترمذي في سننه ٣٦٩/٣ .

(٣) انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود ٣٨٧/١٣ .

(٤) أي : تقطر « النهاية في غريب الحديث » ٧٥/٥ .

يتكففون[1] منها : فالمستكثر والمستقل وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلوت ، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل . فقال أبو بكر : يا رسول الله بأبي أنت والله لتدعني فأعبرها ، فقال النبي ﷺ : اعبرها قال : أما الظلة فالإسلام ، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطف فالمستكثر من القرآن والمستقل ، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله ثم يأخذ به رجل فيعلو به ، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به ثم يأخذ به رجل فينقطع به ، ثم يوصل له فيعلو به ، فأخبرني يا رسول الله - بأبي أنت - أصبت أم أخطأت ؟ قال النبي ﷺ : « **أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً** » قال : فوالله يا رسول الله لتحدثني بالذي أخطأت . قال **لا تقسم** »[2] .

تضمن هذا الحديث الإشارة إلى حقية خلافة عمر رضي الله عنه وأرضاه . ووجه ذلك أن قوله في الحديث : « ثم أخذ به رجل آخر فعلا به » هو أبو بكر رضي الله عنه وقوله ثانياً : ثم أخذ به رجل آخر فانقطع إشارة إلى خلافة الفاروق رضي الله عنه .

(٧) روى أبو داود بإسناد إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه كان يحدث أن - رسول الله ﷺ قال : « **أري الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط**[3] **برسول الله ﷺ ، ونيط عمر بأبي بكر ، ونيط عثمان بعمر** قال جابر : فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا : أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ ، وأما تنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ »[4] .

دل هذا الحديث بالإشارة الواضحة إلى ترتيب الثلاثة في الخلافة وإلى حقية

---

(١) أي : يأخذون منها بأكفهم « انظر النهاية في غريب الحديث » ١٩٠/٤ .
(٢) صحيح البخاري ٢١٩/٤ ، صحيح مسلم ١٧٧٧/٤ - ١٧٧٨ .
(٣) أي : علق « انظر النهاية في غريب الحديث » ١٤١/٥ .
(٤) سنن أبي داود ٥١٣/٢ .

خلافتهم رضي الله عنهم وهذا ما فهمه أصحاب رسول الله ﷺ من هذه الرؤيا ولذلك عبروا تنوط بعضهم ببعض بولاية الأمر بعده عليه الصلاة والسلام .

(٨) روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ فقالوا : سل لنا رسول الله ﷺ إلى من ندفع صدقاتنا بعدك قال : فأتيته فسألته فقال : « **إلى أبي بكر** » فأتيتهم فأخبرتهم فقالوا : ارجع إليه فسله فإن حدث بأبي بكر حدث فإلى من ؟ فأتيته فسألته فقال : « **إلى عمر** » فأتيتهم فأخبرتهم ... الحديث[١] .

اشتمل هذا الحديث على الإشارة إلى حقية خلافة عمر رضي الله عنه وأنه يلي أمر المسلمين بعد وفاة الصديق رضي الله عنه .

(٩) روى البزار والطبراني كما في مجمع الزوائد عن ابن عمر رضي الله عنه قال : كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان يعني في الخلافة »[٢] وهذا أيضاً : من الآثار التي إشارتها واضحة إلى حقية خلافة الفاروق رضي الله عنه .

(١٠) وروى مسلم في صحيحه بإسناده إلى ابن أبي مليكة قال : وسمعت عائشة وسئلت : من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه قالت : أبو بكر فقيل لها : ثم من بعد أبي بكر قالت : عمر ، ثم قيل لها : من بعد عمر قالت : أبو عبيدة ابن الجراح ثم انتهت إلى هذا »[٣] يعني وقفت على أبي عبيدة وهذا الحديث من أدلة أهل السنة والجماعة على تقديم أبي بكر ثم عمر للخلافة مع إجماع الصحابة »[٤] .

---

(١) المستدرك ٧٧/٣ وقال عقبه : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) مجمع الزوائد ١٧٧/٥ وقال عقبه : « رواه البزار والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح .

(٣) صحيح مسلم ١٨٥٦/٤ .

(٤) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٤/١٥ .

(١١) وروى الشيخان في صحيحيهما عن ابن أبي مليكة قال : سمعت ابن عباس يقول : وضع عمر بن الخطاب على سريره فتكنفه[١] الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم قال : فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت إليه فإذا هو علي فترحم على عمر وقال : ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وذاك أني كنت أكثر أسمع رسول الله ﷺ يقول : **جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر** فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما[٢] .

(١٢) ومما دل على حقية خلافته رضي الله عنه اجتماع الصحابة على أنهم لا يقدمون إلا أفضلهم وأخيرهم مع قول أبي بكر وعلي رضي الله عنهما فيه .

فأما قول أبي بكر رضي الله عنه فيه فهو قوله : اللهم أمرت عليهم خير أهلك »[٣] وأما قول علي رضي الله عنه فيه فهو ما رواه البخاري عن محمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب قال : قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال أبو بكر قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر وخشيت أن يقول : عثمان قلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين »[٤] . فهذه الأحاديث التي أوردناها في هذا المبحث كلها فيها الدلالة الواضحة على حقية خلافة عمر رضي الله عنه وأرضاه .

قال السفاريني رحمه الله تعالى : « اعلم أن خلافة سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه مرتبة ولازمة لحقية خلافة الصديق الأعظم أبي بكر

---

(١) أي : أحاطوا به .

(٢) صحيح البخاري ٢/٢٩٤ ، صحيح مسلم ٤/١٨٥٨ - ١٨٥٩ .

(٣) كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم ص ٢٧٦ ، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٢٧٤ .

(٤) صحيح البخاري ٢/٢٩١ .

رضي الله عنه وقد قام الإجماع وإشارات الكتاب والسنة على حقية خلافته فما ثبت للأصل الذي هو الصديق من حقية الخلافة يثبت لفرعه الذي هو عمر بن الخطاب فيها فلا مطمع لأحد من فرق الضلال في الطعن والنزاع في حقية الخلافة وقد علم أهل العلم علماً باتاً ضرورياً أن الصحابة الكرام أجمعوا على تولية الصديق الخلافة ومن شذ لا يقدح في ذلك من غير مرية »[1] .

* * *

(١) لوامع الأنوار البهية ٣٢٦/٢ .

★ المبحث الثالث ★

انعقاد الإجماع على خلافته رضي الله عنه

إن خلافة الفاروق رضي الله عنه لم يختلف فيها اثنان فإنه لما عهد الصديق رضي الله عنه بالخلافة من بعده لعمر رضي الله عنه أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على قبول ذلك العهد و لم يعارض في ذلك منهم أحد بل أقروا بذلك وسمعوا له وأطاعوا وكذلك التابعون لهم بإحسان من أهل السنة والجماعة أجمعوا على صحة خلافة الفاروق رضي الله عنه واعتقدوا اعتقاداً جازماً أنه رضي الله عنه أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه .

وقد نقل إجماع الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم على خلافة عمر طائفة من أهل العلم الذين يعتمد عليهم في النقل .

فقد تقدم معنا قريباً ما رواه ابن سعد وغيره في صيغة عهد الصديق بالخلافة لعمر رضي الله عنه وفيه أن الصديق رضي الله عنه أمر عثمان أن يخرج بالكتاب « مختوماً ومعه عمر بن الخطاب وأسيد بن سعيد القرظي فقال عثمان للناس : أتبايعون لمن في هذا الكتاب ؟ فقالوا : نعم ، وقال بعضهم : قد علمنا قال ابن سعد : علي القائل : وهو عمر فأقروا بذلك جميعاً ورضوا به وبايعوا »[1] .

وروى ابن الأثير بإسناده إلى يسار المدني قال : لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال : يا أيها الناس إني قد عهدت عهداً أفترضون به ؟ فقال الناس : قد رضينا يا خليفة رسول الله ﷺ فقال علي : لا نرضى إلا أن يكون

---

(١) الطبقات الكبرى ١٩٩/٣ ، وانظر كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم ص ٢٧٦ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤٢٥/٢ .

عمر بن الخطاب »[1] .

فكان ما توقعوه لأنهم كانوا رضي الله عنهم يعلمون أنه لا أحد أفضل من عمر رضي الله عنه بعد أبي بكر ولذلك أقروا جميعاً بعهد الصديق ورضوا به ، ثم بايعوه . وروى ابن جرير بإسناده إلى أبي السفر سعيد بن محمد قال : أشرف أبو بكر على الناس من كنيفة[2] وأسماء بنت عميس ممسكته وهو يقول : أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فإني والله ما ألوت من جهد الرأي ، ولا وليت ذا قرابة ، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا فقالوا : سمعنا وأطعنا »[3] .

وروى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : دخلت على عمر حين طعن . فقلت : أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين أسلمت حين كفر الناس ، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس ، وقبض رسول الله ﷺ وهو عنك راض ولم يختلف في خلافتك اثنان ، وقتلت شهيداً فقال : أعد علي فأعدت عليه فقال : والله الذي لا إلٰه غيره لو أن لي ما على الأرض من صفراء وبيضاء لا فتديت به من هول المطلع »[4] .

وقال أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى مبيناً الإجماع على خلافة الفاروق رضي الله عنه : لما علم الصديق رضي الله عنه من فضل عمر رضي الله عنه ونصيحته وقوته على ما يقلده وما كان يعينه عليه في أيامه من المعونة التامة لم يكن يسعه في ذات الله ونصيحته لعباد الله – تعالى – أن يعدل هذا الأمر عنه إلى غيره ، ولما كان يعلم من أمر شأن الصحابة رضي الله عنهم أنهم يعرفون منه

---

(١) أسد الغابة ١٦٩/٤ ، وانظر تاريخ الأمم والملوك ٤٢٨/٣ .

(٢) قال بن الأثير : وفي حديث أبي بكر حين استخلف عمر أنه أشرف من كنيف فكلمهم أي : من سترة وكل ما ستر من بناء أو حظيرة فهو كنيف « النهاية في غريب الحديث » ٢٠٥/٤ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤٢٨/٣ .

(٤) الاعتقاد ص ١٨٨ .

ما عرفه ولا يشكل عليهم شيء من أمره فوض إليه ذلك فرضي المسلمون له ذلك وسلموه ، ولو خالطهم في أمره ارتياب أو شبهة لأنكروه ولم يتابعوه كاتباعهم أبا بكر رضي الله عنه فيما فرض الله عليه الإجماع وأن إمامته وخلافته ثبتت على الوجه الذي ثبت للصديق ، وإنما كان كالدليل لهم على الأفضل والأكمل فتبعوه على ذلك مستسلمين له راضين به[1] » .

وقال أبو عثمان الصابوني رحمه الله تعالى بعد ذكره خلافة الصديق باختيار الصحابة وإجماعهم عليه قال : « ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه إياه واتفاق الصحابة عليه بعده وإنجاز الله — سبحانه — بمكانه في إعلاء الإسلام وإعظام شأنه وعده »[2] .

وقال النووي في معرض ذكره لإجماع الصحابة على تنفيذ عهد الصديق بالخلافة لعمر حيث قال : « أجمعوا على اختيار أبي بكر وعلى تنفيذ عهده إلى عمر »[3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وأما عمر فإن أبا بكر عهد إليه وبايعه المسلمون بعد موت أبي بكر فصار إماماً لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم »[4] .

وقال شارح الطحاوية : « ونثبت الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه ، واتفاق الأمة بعده عليه »[5] .

وقال أبو حامد محمد المقدسي بعد ذكره لطائفة من الأدلة على ثبوت خلافة

(١) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص ٢٧٤ .

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/١٢٩ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/٢٠٦ .

(٤) منهاج السنة ١/١٤٢ .

(٥) شرح الطحاوية ص ٥٣٩ .

أبي بكر : « وإذ قد صحت إمامة أبي بكر رضي الله عنه فطاعته فرض في استخلاف عمر رضي الله عنه بما ذكرناه ، وبإجماع المسلمين عليها »[1] .

وقال الملا على القاري ذاكراً للإجماع على فضل عمر وحقية خلافته فقال : « وقد أجمعوا على فضيلته وحقية خلافته »[2] اهـ .

ومن هذه النقول التي تقدم ذكرها تبين أن خلافة عمر رضي الله عنه تمت بإجماع أصحاب رسول الله ﷺ حيث تلقوا عهد أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة لعمر بالقبول والتسليم ولم يعارض في ذلك أحد وكذا أجمعت الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة على ما أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ ولم يخالفهم إلا من لا يعتد بخلافه ممن ابتلي ببغض أصحاب رسول الله ﷺ كالشيعة الرافضة ومن جرى في ركابهم ممن فتن بهم فإن اعترض معترض على إجماع الصحابة المتقدم ذكره بما رواه ابن سعد وغيره من أن بعض الصحابة سمعوا بدخول عبد الرحمٰن بن عوف وعثمان على أبي بكر فقال له قائل منهم : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلاف عمر علينا ؟ وقد ترى غلظته ؟ فقال أبو بكر : أجلسوني أبالله تخوفني ؟ خاب من تزود من أمركم بظلم ، أقول : اللهم استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عني ما قلت لك من وراءك »[3] والجواب عن هذا أن هذا الإنكار الصادر إن صح من هذا القائل ليس عن جهالة لتفضيل عمر بعد أبي بكر واستحقاقه للخلافة ، وإنما كان خوفاً من خشونته وغلظته لا اتهاماً له في قوته وأمانته »[4] .

فالذي يجب على المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً لا مرية فيه أن أحق

---

(١) الرد على الرافضة ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٢) شرح الفقه الأكبر ص ٩٨ .

(٣) الطبقات الكبرى ١٩٩/٣ ، الكامل في التاريخ ٤٢٥/٢ ، وانظر كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم ص ٢٧٦ .

(٤) انظر كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص ٢٧٦ .

خلق الله تعالى بالخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه لفضله وعهد أبي بكر إليه وإجماع المسلمين كافة على صحة خلافته وحقيتها .

* * *

○ الفصل الثالث ○

خلافة ذي النورين عثمان رضي الله عنه



○ الفصل الثالث ○

خلافة ذي النورين عثمان رضي الله عنه

وفيه مباحث : -

المبحث الأول : كيفية تولية الخلافة .

المبحث الثاني : حقية خلافته رضي الله عنه .

المبحث الثالث : انعقاد الإجماع على خلافته رضي الله عنه .

* * *



★ المبحث الأول ★

كيفية توليه الخلافة رضي الله عنه

لما طعن عمر رضي الله عنه لم يستخلف أحداً بعينه ليكون الخليفة على المسلمين من بعده بل أوصى أن يكون الأمر شورى بعده في ستة ممن توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض وهم : عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمٰن ابن عوف ، وتحرج أن يجعلها لواحد من هؤلاء على التعيين وقال : لا أتحمل أمرهم حياً وميتاً[1] ، وإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خير هؤلاء ، كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم ﷺ ، ومن تمام ورعه لم يذكر في الشورى سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل لأنه ابن عمه ، خشي أن يراعى فيولى لكونه ابن عمه فلذلك تركه وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، ولما مات الفاروق رضي الله عنه ودفنه أصحاب رسول الله ﷺ بجوار رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه اجتمع النفر الذين جعل عمر الأمر فيهم شورى للتشاور فيمن يلي الخلافة بعد عمر رضي الله عنه ففوض ثلاثة منهم ما لهم في ذلك إلى ثلاثة حيث فوض الزبير ما يستحقه من الإمارة إلى علي وفوض سعد ماله في ذلك إلى عبد الرحمٰن بن عوف وترك طلحة حقه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال عبد الرحمٰن لعلي وعثمان : أيكما يبرأ من هذا الأمر فنفوض الأمر إليه ؟

---

(١) في صحيح مسلم من حديث ابن عمر أن الصحابة قالوا له : استخلف فقال : أتحمل أمركم حياً وميتاً لوددت أن حظي منها الكفاف لا علي ولا لي فإن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني « يعني أبا بكر » وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني رسول الله ﷺ قال عبد الله : فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف « صحيح مسلم » ١٤٥٤/٣ .

والله عليه والإسلام ليولين أفضل الرجلين الباقيين فسكت علي وعثمان رضي الله عنهما ، فقال عبد الرحمٰن : إني أترك حقي من ذلك ، والله علي والإسلام أن أجتهد فأولى أولاكما بالحق فقالا : نعم ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل ، وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاه ليعدلن ، ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن فقال كل منهما : نعم ثم تفرقوا[1] .

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث طويل عن عمرو بن ميمون فيه تفاصيل حادثة استشهاد عمر رضي الله عنه وعدد الذين طعنوا معه ، ووصية عمر لابنه عبد الله أن يحسب ما عليه من الدين وكيف يقضيه ، وطلبه رضي الله عنه الاستئذان من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في أن يدفن مع رسول الله ﷺ وصاحبه فأذنت في ذلك رضي الله عنها بطيب نفس كما اشتمل هذا الحديث على الكيفية التي بويع بها لعثمان والاتفاق عليه ومما جاء فيه بشأن خلافة عثمان رضي الله عنه أنهم « قالوا : أوص يا أمير المؤمنين استخلف قال : ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمٰن وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذلك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة – إلى أن قال – لما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمٰن : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير : قد جعلت أمري إلى علي ، فقال طلحة : قد جعلت أمري إلى عثمان وقال سعد : قد جعلت أمري إلى عبد الرحمٰن بن عوف فقال عبد الرحمٰن بن عوف : أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمٰن : أفتجعلونه إلي والله علي أن لا آلو عن أفضلكم قالا : نعم . فأخذ بيد أحدهما فقال : لك قرابة من

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٥٨/٧ – ١٥٩ .

رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان فبايعه فبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه »[١] .

وروى أيضاً : بإسناده إلى الزهري أن حميد بن عبد الرحمٰن أخبره أن المسور بن مخرمة أخبره أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا قال لهم عبد الرحمٰن : لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمٰن فلما ولوا عبد الرحمٰن أمرهم فمال الناس على عبد الرحمٰن حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه ، ومال الناس على عبد الرحمٰن يشاورونه تلك الليالي حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان قال المسور : طرقني عبد الرحمٰن بعد هجع[٢] من الليل فضرب الباب حتى استيقظت فقال : أراك نائماً فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم انطلق فادع الزبير وسعداً فدعوتهما له فشاورهما ثم دعاني فقال : ادع لي علياً فدعوته فناجاه حتى ابهار[٣] الليل ، ثم قام علي من عنده وهو على طمع وقد كان عبد الرحمٰن يخشى من علي شيئاً ، ثم قال : ادع لي عثمان فدعوته فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح ، فلما صلى للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمٰن ثم قال : أما بعد يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلًا ، فقال : أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده ،

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٧ - ٢٩٩ .

(٢) قال ابن الأثير : الهجع والهجعة ، والهجيع : طائفة من الليل ، والهجوع : النوم ليلًا ، النهاية في غريب الحديث ٥/٢٤٧ .

(٣) أي : انتصف الليل وبهرة كل شيء وسطه « انظر الفائق في غريب الحديث » ٤/٩٤ ، النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٦٥ .

فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون »[1] . ففي هذين الحديثين بيان أن عمر رضي الله عنه لم يعهد بالخلافة من بعده إلى واحد بعينه وإنما جعلها شورى في الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وقد التمس بعض أهل العلم وجه الحكمة من جعل عمر الأمر شورى بين الستة دون أن يعين واحداً .

فقد قال ابن بطال : « إن عمر سلك في هذا الأمر مسلكاً متوسطاً خشية الفتنة فرأى أن الاستخلاف أضبط لأمر المسلمين فجعل الأمر معقوداً على الستة لئلا يترك الاقتداء بالنبي ﷺ وأبي بكر ، فأخذ من فعل النبي ﷺ طرفاً وهو ترك التعيين ، ومن فعل أبي بكر طرفاً وهو العقد لأحد الستة وإن لم ينص عليه » اهـ[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وأما عمر رضي الله عنه فرأى الأمر في الستة متقارباً فإنهم وإن كان لبعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض فلذلك المفضول مزية أخرى ليست للآخر ورأى أنه إن عين واحداً فقد يحصل بولايته نوع من الخلل فيكون منسوباً إليه فترك التعيين خوفاً من الله – تعالى – وعلم أنه ليس واحد أحق بهذا الأمر منهم فجمع بين المصلحتين بين تعيينهم إذ لا أحق منهم وترك تعيين واحد منهم لما تخوفه من التقصير ، والله تعالى قد أوجب على العبد أن يفعل المصلحة بحسب الإمكان فكان ما فعله غاية ما يمكن من المصلحة ، وإذا كان من الأمور أمور لا يمكن دفعها فتلك لا تدخل في التكليف وكان كما رآه فعلم أنه إن ولّي واحداً من الستة فلابد أن يحصل نوع من التأخر عن سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأن يحصل بسبب ذلك مشاجرة كما جبل الله على ذلك طباع بني آدم ، وإن كانوا من أولياء الله المتقين ، وذكر في

(١) صحيح البخاري ٢٤٥/٤ – ٢٤٦ .

(٢) فتح الباري ٢٠٧/١٣ .

كل واحد من الستة الأمر الذي منعه من تعيينه وتقديمه على غيره ثم إن الصحابة اجتمعوا على عثمان رضي الله عنه لأن ولايته كانت أعظم مصلحة وأقل مفسدة من ولاية غيره والواجب أن يقدم أكثر الأمرين مصلحة ، وأقلهما مفسدة ، وعمر رضي الله عنه خاف أن يتقلد أمراً يكون فيه ما ذكر ، ورأى أنهم إذا بايعوا واحداً منهم باختيارهم حصلت المصلحة بحسب الإمكان وكان الفرق بين حال المحيا وحال الممات أنه في الحياة يتولى أمر المسلمين فيجب عليه أن يولي عليهم أصلح من يمكنه ، وأما بعد الموت فلا يجب عليه أن يستخلف معيناً إذا كانوا يجتمعون على أمثلهم ، كما أن النبي ﷺ لما علم أنهم يجتمعون على أبي بكر استغنى بذلك عن كتابة العهد الذي كان قد عزم على أن يكتبه لأبي بكر وأيضاً : فلا دليل على أنه يجب على الخليفة أن يستخلف بعده فلم يترك عمر واجباً ولهذا روجع في استخلاف المعين وقيل له أرأيت لو أنك استرعيت[1] فقال : إن الله تعالى لم يكن يضيع دينه ولا خلافته ولا الذي بعث به نبيه ﷺ فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض »[2] اهـ .

ومما تقدم تبين لنا الكيفية التي تولى بها ذو النورين عثمان رضي الله عنه الخلافة وأنها تمت باختيار أصحاب رسول الله ﷺ له قاطبة فهو أحق الناس على الإطلاق بالخلافة بعد عمر رضي الله عنه .

* * *

(١) في صحيح مسلم ١٤٠٥/٤ قال عبد الله بن عمر مخاطباً لأبيه : « إني سمعت الناس يقولون مقالة فآليت أن أقولها لك زعموا أنك غير مستخلف وإنه لو كان لك راعي إبل وراعي غنم ثم جاءك وتركها رأيت أن قد ضيع فرعاية الناس أشد قال فوافقه قولي فوضع رأسه ساعة ثم رفعه إلي فقال إن الله عز وجل يحفظ دينه ، وإني لئن لا أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف ، وإن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف ... الحديث .

(٢) منهاج السنة ١٦٤/٣ .

★ المبحث الثاني ★

حقية خلافته رضي الله عنه

لا يشك مؤمن في حقية خلافة عثمان رضي الله عنه وصحتها وأنه لا مطعن فيها لأحد إلا ممن أصيب في قلبه بزيغ فنقم على أصحاب رسول الله ﷺ بسبب ما حل في قلبه من الغيظ منهم وهذا لم يحصل إلا من الشيعة الرافضة الذين جعلوا رأس مالهم في هذه الحياة الدنيا هو سب الصحابة رضي الله عنهم وبغضهم ولا قيمة لما يوجهونه من المطاعن على خلافة الثلاثة رضي الله عنهم لظهور بطلانه وأنها افتراءات لا تصح ، وقد جاء في جملة من النصوص القطعية الصحيحة والآثار الشهيرة التنبيه والإيماء إلى حقية خلافة عثمان رضي الله عنه ومن ذلك : -

(١) قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾[(١)] الآية وجه الاستدلال بهذه الآية على حقية خلافة عثمان رضي الله عنه أنه من الذين استخلفهم الله في الأرض ومكن لهم فيها وسار في الناس أيام خلافته سيرة حسنة حيث حكم فيهم بالعدل وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهذه الآية تضمنت الإشارة إلى حقية خلافته رضي الله عنه .

(٢) قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾[(٢)].

---

(١) سورة النور آية / ٥٥ .

(٢) سورة الفتح آية / ١٦ .

ووجه الاستدلال بهذه الآية على حقية خلافة عثمان رضي الله عنه هو أن الداعي لهؤلاء الأعراب داع يدعوهم بعد نبيه ﷺ وهو أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فأبو بكر دعاهم إلى قتال مرتدي العرب بني حنيفة وأصحاب الأسود ، وسجاح وطليحة والروم والفرس وغيرهم ودعاهم عمر إلى قتال الروم والفرس وعثمان دعاهم إلى قتال الروم والفرس والترك فوجبت طاعة هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم بنص القرآن ، وإذا وجبت طاعتهم صحت خلافتهم[1] رضي الله عنهم وأرضاهم .

(٣) روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : « **إن النبي ﷺ دخل حائطاً وأمرني بحفظ باب الحائط ، فجاء رجل يستأذن فقال : ائذن له وبشره بالجنة فإذا أبو بكر ، ثم جاء آخر يستأذن فقال : ائذن له وبشره بالجنة فإذا عمر ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فإذا هو عثمان بن عفان** »[2] هذا الحديث فيه إشارة إلى ترتيب الثلاثة في الخلافة وإخبار عن بلوى تصيب عثمان وهذه البلوى حصلت له رضي الله عنه وهي حصاره يوم الدار حتى قتل آنذاك مظلوماً فالحديث علم من أعلام النبوة وفيه الإشارة إلى كونه شهيداً رضي الله عنه وأرضاه .

(٤) وروى أبو داود بإسناده إلى أبي بكرة أن النبي ﷺ قال ذات يوم : « **من رأى منكم رؤيا ؟** » فقال رجل : أنا رأيت كأن ميزاناً أنزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر ، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر ، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ، ثم رفع الميزان فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ »[3] .

تضمن هذا الحديث الإشارة إلى ترتيب الخلفاء الثلاثة في الفضل كما تضمن

---

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٠٩/٤ - ١١٠ .

(٢) صحيح البخاري ٢٩٦/٢ ، صحيح مسلم ١٨٦٧/٤ .

(٣) سنن أبي داود ٥١٢/٢ .

الإشارة إلى أن ترتيبهم في الخلافة يكون على حسب ترتيبهم في الفضل وإلى حقية خلافتهم جميعاً رضي الله عنهم وأرضاهم .

(٥) وروى أبو داود رحمه الله بإسناده إلى جابر بن عبد الله أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « **أري الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ، ونيط عمر بأبي بكر ، ونيط عثمان بعمر** » قال جابر : فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ وقلنا : أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ ، وأما تنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ »[١] .

هذا الحديث علم من أعلام النبوة الدالة على صدق المصطفى ﷺ حيث حصل في شأن ترتيب الخلافة الراشدة طبقاً لهذه الرؤيا كما اشتمل على التنبيه على حقية خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم « وفيه إشارة واضحة إلى ترتيب الخلافة الراشدة بعده ﷺ وقد فهم هذا راوي الحديث وكان كما قال »[٢] .

(٦) وروى الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما كان يحدث أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال : إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل ، فأرى الناس يتكففون منها : فالمستكثر والمستقل وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلوت ، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل ، فقال أبو بكر : يا رسول الله بأبي أنت والله لتدعني فأعبرها فقال النبي ﷺ له : اعبرها قال : أما الظلة فالإسلام ، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطف فالمستكثر من القرآن والمستقل ، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله ، ثم يأخذ به رجل فيعلو به ، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو

---

(١) سنن أبي داود ٥١٣/٢ .

(٢) الدين الخالص ٤٤٥/٣ .

به ، ثم يأخذ به رجل فينقطع به ، ثم يوصل له فيعلو به ، فأخبرني يا رسول الله - بأبي أنت - أصبت أم أخطأت ؟ قال النبي ﷺ : « **أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً** » قال : فوالله يا رسول الله لتحدثني بالذي أخطأت قال : « **لا تقسم** »[1] تضمن هذا الحديث الإشارة إلى حقية خلافة عثمان رضي الله عنه ، فقوله في الحديث : « ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع ثم يوصل له فيعلو به » هو عثمان رضي الله عنه لكن قوله : « ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع ثم يوصل له فيعلو به » فيه إشكال من حيث كونه يوصل له بعد انقطاعه مع العلم أن خلافة عثمان رضي الله عنه لم يحصل فيها انقطاع ولم تنقطع إلا بموته رضي الله عنه وأرضاه . وقد ذكر العلامة ابن القيم وجه الإشكال في شرحه الحديث على سنن أبي داود مع بيان إزالته حيث قال رحمه الله تعالى : « وهذا يشكل عليه شيئآن :

أحدهما : أن في نفس الرؤيا « ثم وصل له ، فعلا به » فتفسير الصديق لذلك مطابق لنفس الرؤيا .

والثاني : أن قتل عثمان رضي الله عنه لا يمنع أن يوصل له ، بدليل أن عمر قد قتل ومع هذا فأخذ به وعلا به ، ولم يكن قتله مانعاً من علوه به .

أما الأول فلفظه : « ثم وصل له » لم يذكر هذا البخاري ، ولفظ حديثه « ثم أخذ به رجل آخر فانقطع به ، ثم وصل » فقط وهذا لا يقتضي أن يوصل له بعد انقطاعه به وقال الصديق في تفسيره في نفس حديث البخاري : « فينقطع به ثم يوصل له » فهذا موضع الغلط ، وهذا مما يبين فضل صدق معرفة البخاري ، وغور علمه في إعراضه عن لفظة « له » وإنما انفرد بها مسلم ، وأما الثاني : فيجاب عنه : بأن عمر رضي الله عنه لم ينقطع به السبب من حيث علا به ، وإنما انقطع به بالأجل المحتوم ، كما ينقطع الأجل بالسم وغيره ، وأما عثمان فانقطع

---

(١) صحيح البخاري ٢٩٤/٢ ، صحيح مسلم ١٨٦٠/٤ - ١٨٦٢ ، سنن أبي داود ٥١١/٢ - ٥١٢ .

به من حيث وصل له من الجهة التي علا بها وهي الخلافة ، فإنه إنما أريد منه أن يخلع نفسه ، وإنما قتلوه لعدم إجابتهم إلى خلع نفسه ، فخلعوه هم بالقتل ظلماً وعدواناً ، فانقطع به من الجهة التي أخذ به منها ثم وصل لغيره رضي الله عنه وهذا سر سكوت النبي ﷺ عن تعيين موضع خطأ الصديق فإن قيل : لم تكلفتم أنتم بيانه ، وقد منع النبي ﷺ الصديق من تعرفه ، والسؤال عنه ؟ قيل : منعه من هذا : ما ذكرناه من تعلق ذلك بأمر الخلافة ، وما يحصل للرابع من المحنة ، وانقطاع السبب به فأما وقد حدث ذلك ووقع فالكلام فيه كالكلام في غيره من الوقائع التي يحذر الكلام فيها قبل وقوعها سداً للذريعة ، ودرءاً للمفسدة فإذا وقعت زال المعنى الذي سكت عنها لأجله » اهـ[1] فالحديث فيه إشارة إلى حقية خلافة عثمان رضي الله عنه وأرضاه .

(٧) وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنها ستكون فتنة واختلاف أو اختلاف وفتنه قال قلنا يا رسول الله : فما تأمرنا قال : عليكم بالأمير وأصحابه وأشار إلى عثمان** »[2] .

وهذا الحديث أيضاً : فيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ الدالة على صدق نبوته حيث أخبر بالفتنة التي حصلت أيام خلافة عثمان وكانت كما أخبر كما تضمن الحديث التنبيه على حقية خلافة عثمان إذ أنه ﷺ أرشد الناس إلى أن يلزموه وأخبر بأنه حين وقوع الفتنة والاختلاف أمير المؤمنين ومقدمهم وأمرهم بالالتفاف حوله وملازمته لكونه على الحق ، والخارجون عليه على الباطل أهل زيغ وهوى ، وقد شهد له الرسول ﷺ بأنه سيكون مستمراً على الهدى لا ينفك عنه .

(٨) فقد روى الترمذي بإسناده إلى أبي الأشعث الصنعاني أن خطباء قامت

---

(١) شرح ابن القيم على سنن أبي داود على حاشية عون المعبود ٣٨٣/١٣ - ٣٨٦ .

(٢) المستدرك ٩٩/٣ ثم قال عقبه : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي » .

بالشام وفيهم رجال من أصحاب النبي ﷺ فقام آخرهم رجل يقال له : مرة ابن كعب فقال : لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت وذكر الفتن فقربها فمر رجل مقنع في ثوب فقال : هذا يومئذ على الهدى فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان فأقبلت عليه بوجهه فقلت هذا ؟ قال نعم »[1] .

(٩) وروى الإمام أحمد بإسناده إلى جبير بن نفير قال : كنا معسكرين مع معاوية بعد قتل عثمان رضي الله تعالى عنه فقام كعب بن مرة البهزي فقال : لولا شيء سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت هذا المقام فلما سمع بذكر رسول الله ﷺ أجلس الناس فقال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ مر عثمان عليه مرجلًا قال فقال رسول الله ﷺ : « **لتخرجن فتنة من تحت قدمي أو من بين رجلي هذا ، هذا يومئذ ومن اتبعه على الهدى** » قال : فقام ابن حوالة الأزدي من عند المنبر فقال : إنك لصاحب هذا قال : نعم قال : والله إني لحاضر ذلك المجلس ولو علمت أن لي في الجيش مصدقاً كنت أول من تكلم به »[2] .

(١٠) وروى أيضاً : بإسناده إلى كعب بن عجرة قال : كنت عند رسول الله ﷺ فذكر فتنة فقر بها فمر رجل متقنع فقال هذا يومئذ على الهدى قال فاتبعته حتى أخذت بضبعيه فحولت وجهه إليه وكشفت عن رأسه وقلت : هذا يا رسول الله قال : نعم فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه »[3] .

فهذه الثلاثة الأحاديث كلها تضمنت الإشارة إلى حقية خلافة عثمان رضي الله عنه وأنه سيبتلى بالفتنة المذكورة في الحديث والتي كان من آثارها قتله رضي الله عنه ظلماً وعدواناً بغير حق لما علم الله تعالى له أن سيكون في عداد الشهداء كما وضحت هذه الأحاديث أنه هو ومن اتبعه على الهدى عند وقوع تلك الفتن

---

(١) سنن الترمذي ٢٩١/٥ - ٢٩٢ ، المسند ٢٣٥/٤ ، وابن ماجة ٤١/١ .
(٢) المسند ٢٣٦/٤ .
(٣) المصدر السابق ٢٤٣/٤ .

الفتن من قبيل قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾[1] فعثمان رضي الله عنه كان على الحق ، والفتنة التي وقعت في زمنه أهلها على الباطل ففي ذلك فضيلة عظيمة لعثمان رضي الله عنه .

ولقد أعلم النبي ﷺ أن عثمان رضي الله عنه سيكون أحد الخلفاء الراشدين من بعده ، الذين يتولون أمر الأمة ، فقد أوصاه في غير ما حديث أنه إن خرج عليه الخارجون وأرادوا منه أن يخلع نفسه فلا يستجيب لهم ولا كرامة وأنه يتمسك بحقه فيه ولا يطع أحداً في تركه .

(١١) فقد روى أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « **يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم** »[2] .

ففي هذا الحديث « الإشارة إلى الخلافة واستعارة القميص لها وذكر الخلع ترشيح أي : سيجعلك الله خليفة ، فإن قصد الناس عزلك ، فلا تعزل نفسك عنها لأجلهم لكونك على الحق ، وكونهم على الباطل »[3] .

(١٢) وروى الترمذي بإسناده إلى أبي سهلة قال : « قال لي عثمان يوم الدار : إن رسول الله ﷺ قد عهد إلي عهداً فأنا صابر عليه »[4] .

فقوله : « قد عهد إلي عهداً » أي : أوصاني أن لا أخلع بقوله : « وإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم » فأنا صابر عليه « أي : على ذلك العهد »[5] .

---

(١) سورة البقرة آية / ٥ .

(٢) سنن الترمذي ٢٩٢/٥ وقال عقبه : « هذا حديث حسن غريب » .

(٣) الدين الخالص ٤٤٦/٣ .

(٤) سنن الترمذي ٢٩٥/٥ وقال عقبه : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٥) تحفة الأحوذي ٢٠٩/١٠ .

(١٣) وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي سهلة مولى عثمان عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **ادعوا لي أو ليت عندي رجلًا من أصحابي** » قالت قلت : أبو بكر قال : « **لا** » قلت : عمر قال : « **لا** » قلت : ابن عمك علي قال : « **لا** » قلت : فعثمان قال : « **نعم** » قالت : فجاء عثمان فقال : « **قومي** » قال : فجعل النبي ﷺ يسر إلى عثمان ولون عثمان يتغير قال : فلما كان يوم الدار قلنا : ألا تقاتل قال : لا إن رسول الله ﷺ عهد إلي أمراً فأنا صابر نفسي عليه »[(١)] .

فهذا الحديث والذي قبله فيهما دلالة على صحة خلافته ، فمن أنكر خلافته ولم يره من أهل الجنة والشهداء وأساء الأدب فيه باللسان ، أو الجنان فهو خارج عن دائرة الإيمان وحيز الإسلام »[(٢)] .

ولقد عمل رضي الله عنه وأرضاه بوصية رسول الله ﷺ طبقاً لما أوصاه به ولذلك ما عزل نفسه حين حاصروه يوم الدار .

(١٤) وروى ابن سعد بإسناده إلى عبد الله بن عمر قال : قال لي عثمان وهو محصور في الدار : ما ترى فيما أشار به علي المغيرة بن الأخنس ؟ قال قلت : ما أشار به عليك ؟ قال : إن هؤلاء القوم يريدون خلعي فإن خلعت تركوني وإن لم أخلع قتلوني قال قلت : أرأيت إن خلعت تترك مخلداً في الدنيا ؟ قال : لا ، قال : فهل يملكون الجنة والنار ؟ قال : لا قال : فقلت : أرأيت إن لم تخلع هل يزيدون على قتلك ؟ قال : لا قلت : فلا أرى أن تسن هذه السنة في الإسلام كلما سخط قوم على أميرهم خلعوه ، لا تخلع قميصاً قمصكه الله »[(٣)] .

(١٥) ومما دل على صحة خلافته وإمامته ما رواه البخاري بإسناده عن

---

(١) المستدرك ٩٩/٣ وقال عقبه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، سنن ابن ماجة ٤٢/١ .

(٢) الدين الخالص ٤٤٦/٣ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٩٦/٣ .

ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم »[1] .

وفي هذا إشارة إلى أن الله – تعالى – ألهمهم وألقى في روعهم ما كان صانعه بعد نبيه ﷺ من أمر ترتيب الخلافة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « فهذا إخبار عما كان عليه الصحابة على عهد النبي ﷺ من تفضيل أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان وقد روي أن ذلك كان يبلغ النبي ﷺ فلا ينكره ، وحينئذ فيكون هذا التفضيل ثابتاً بالنص وإلا فيكون ثابتاً بما ظهر بين المهاجرين والأنصار على عهد النبي ﷺ من غير نكير ، وبما ظهر لما توفي عمر فإنهم كلهم بايعوا عثمان بن عفان من غير رغبة ولا رهبة ولم ينكر هذه الولاية منكر منهم »[2] .

وكل ما تقدم ذكره من النصوص في هذا المبحث أدلة قوية كلها فيها الإشارة والتنبيه إلى حقية خلافة عثمان رضي الله عنه وأرضاه وأنه لا مرية في ذلك ولا نزاع عند المتمسكين بالكتاب والسنة والذين هم أسعد الناس بالعمل بهما وهم أهل السنة والجماعة فيجب على كل مسلم أن يعتقد حقية خلافة عثمان رضي الله عنه وأن يسلم تسليماً كاملًا للنصوص المشيرة إلى ذلك .

* * *

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٧ .

(٢) منهاج السنة ٣/١٦٥ .

★ المبحث الثالث ★

انعقاد الإجماع على خلافته رضي الله عنه

لقد أجمع أصحاب رسول الله ﷺ وكذا من جاء بعدهم ممن سلك سبيلهم من أهل السنة والجماعة على أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أحق الناس بخلافة النبوة بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يخالف أو يعارض في هذا أحد بل الجميع سلم له ذلك لكونه أفضل خلق الله على الإطلاق بعد الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

وقد نقل الإجماع على أحقية عثمان رضي الله عنه بالخلافة بعد عمر رضي الله عنه طائفة من أهل العلم بالحديث وغيرهم ومن تلك النقول : -

ما رواه ابن أبي شيبة بإسناده إلى حارثة بن مضرب قال : حججت في إمارة عمر فلم يكونوا يشكون أن الخلافة من بعده لعثمان »[١] .

وروى أبو نعيم الأصبهاني بإسناده إلى حذيفة - رضي الله عنه - قال : إني لواقف مع عمر تمس ركبتي ركبته فقال : من ترى قومك يؤمرون قال : إن الناس قد أسندوا أمرهم إلى ابن عفان »[٢] .

ونقل الحافظ الذهبي عن شريك بن عبد الله القاضي أنه قال : قبض النبي ﷺ فاستخلف المسلمون أبا بكر فلو علموا أن فيهم أحداً أفضل منه كانوا قد غشوا ثم استخلف أبو بكر عمر فقام بما قام به من الحق والعدل ، فلما احتضر جعل الأمر شورى بين ستة ، فاجتمعوا على عثمان ، فلو علموا أن فيهم أفضل

---

(١) المصنف ١٤/٥٨٨ .

(٢) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص ٣٠٦ .

منه كانوا قد غشونا »[1] . وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وأخرج يعقوب ابن شيبة في مسنده من طريق صحيح إلى حذيفة قال : قال لي عمر من ترى قومك يؤمرون بعدي ؟ قال : قلت : قد نظر الناس إلى عثمان وأشهروه لها »[2] وقال أيضاً : وأخرج البغوي في معجمه وخيثمة في « فضائل الصحابة » بسند صحيح عن حارثة بن مضرب قال : حججت مع عمر فكان الحادي يحدو أن الأمير بعده عثمان بن عفان »[3] .

وروى أبو نعيم الأصبهاني بإسناده إلى حارثة بن مضرب قال : حججت مع عمر أول خلافة عمر فلم يشك أن الخليفة بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه »[4] . فهذه النقول فيها بيان واضح في أن أصحاب النبي ﷺ قد اشتهر بينهم أولوية عثمان بالخلافة وما زال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حياً لما سبق من علمهم ببعض النصوص المشيرة إلى أن ترتيبه سيكون في خلافة النبوة بعد الفاروق رضي الله عنه ولعلمهم أنه أفضل الناس على الإطلاق بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعاً .

فقد روى ابن سعد بإسناده إلى النزال بن سبرة رضي الله عنه قال : قال عبد الله بن مسعود حين استخلف عثمان : استخلفنا خير من بقي ولم نأله « وفي رواية أخرى قال : « أمرنا خير من بقي ولم نأل »[5] ولما استشهد الفاروق رضي الله عنه بايع المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون عثمان رضي الله عنه ليكون الخليفة للمسلمين بعد عمر رضي الله عنه ولم يتأخر منهم أحد عن بيعته .

---

(١) ميزان الاعتدال ٢/٢٧٣ .
(٢) فتح الباري ١٣/١٩٨ .
(٣) فتح الباري ١٣/١٩٨ .
(٤) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص ٣٠٦ .
(٥) الطبقات الكبرى ٣/٦٣ وانظر كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم ص ٣٠٧ وقوله : ولم نأل أي لم نقصر في اختيار الأفضل .

فقد روى البخاري رحمه الله تعالى بإسناده إلى المسور بن مخرمة في قصة بيعة عثمان رضي الله عنه من حديث طويل وفيه : « أن عبد الرحمٰن أرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار ، وأرسل إلى أمراء الأجناد – وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر – فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمٰن ثم قال : أما بعد يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعلن على نفسك سبيلًا فقال : أبايعك على سنة الله وسنة رسوله والخليفتين من بعده : فبايعه عبد الرحمٰن وبايعه الناس : المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون »[1] وقال الحسن بن محمد الزعفراني سمعت الشافعي يقول : « أجمع الناس على خلافة أبي بكر واستخلف أبو بكر عمر ، ثم جعل عمر الشورى إلى ستة على أن يولوها واحداً فولوها عثمان رضي الله عنهم أجمعين »[2] .

وقد نقل أبو حامد محمد المقدسي كلاماً عزاه للإمام الشافعي أنه قال : « واعلموا أن الإمام الحق بعد عمر رضي الله عنه عثمان رضي الله تعالى عنه بجعل أهل الشورى اختيار الإمامة إلى عبد الرحمٰن بن عوف واختياره لعثمان رضي الله عنه وإجماع الصحابة رضي الله – تعالى – عنهم وصوبوا رأيه فيما فعله وأقام الناس على محجة الحق وبسط العدل إلى أن استشهد رضي الله عنه »[3] .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه قال : « لم يجتمعوا على بيعة أحد ما اجتمعوا على بيعة عثمان »[4] .

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى : « وثبتت إمامة عثمان رضي الله عنه بعد عمر بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشورى الذين نص عليهم

---

(١) صحيح البخاري ٤/٢٤٥ – ٢٤٦ .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ١/٤٣٤ – ٤٣٥ .

(٣) الرد على الرافضة ص ٣١٩ – ٣٢٠ .

(٤) منهاج السنة ٣/١٦٦ .

عمر فاختاروه ورضوا بإمامته وأجمعوا على فضله وعدله »[1] .

وقال أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى في صدد ذكره للإجماع على خلافة عثمان : « فاجتمع أهل الشورى ونظروا فيما أمرهم الله به من التوفيق وأبدوا أحسن النظر والحياطة والنصيحة للمسلمين وهم البقية من العشرة المشهود لهم بالجنة واختاروا بعد التشاور والاجتهاد في نصيحة الأمة والحياطة لهم عثمان بن عفان رضي الله عنه لما خصه الله به من كمال الخصال الحميدة والسوابق الكريمة وما عرفوا من علمه الغزير وحلمه لم يختلف على ما اختاروه وتشاوروا فيه أحد ، ولا طعن فيما اتفقوا عليه طاعن فأسرعوا إلى بيعته ، و لم يتخلف عن بيعته من تخلف عن أبي بكر ولا تسخطها متسخط بل اجتمعوا عليه راضين به مجيبين له »[2] .

وقال أبو عثمان الصابوني مبيناً عقيدة السلف وأصحاب الحديث في ترتيب الخلافة بعد أن ذكر أنهم يقولون أولًا بخلافة الصديق ثم عمر قال : « ثم خلافة عثمان رضي الله عنه بإجماع أهل الشورى وإجماع الأصحاب كافة ورضاهم به حتى جعل الأمر إليه »[3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان لم يتخلف عن بيعته أحد ... فلما بايعه ذوو الشوكة والقدرة صار إماماً وإلا لو قدر أن عبد الرحمٰن بايعه و لم يبايعه علي ولا غيره من الصحابة أهل الشوكة لم يصر إماماً ولكن عمر لما جعلها شورى في ستة عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمٰن بن عوف ، ثم إنه خرج طلحة والزبير وسعد باختيارهم وبقي عثمان وعلي وعبد الرحمٰن بن عوف واتفق الثلاثة باختيارهم على أن عبد الرحمٰن بن عوف لا يتولى ويولي أحد الرجلين وأقام

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة ص ٦٨ .

(٢) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٢٩/١ .

عبد الرحمٰن ثلاثاً حلف أنه لم يغتمض فيها بكبير نوم يشاور السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان يشاور أمراء الأجناد ، وكانوا قد حجوا مع عمر ذلك العام ، فأشار عليه المسلمون بولاية عثمان وذكر أنهم كلهم قدموا عثمان فبايعوه لا عن رغبة أعطاهم إياها ولا عن رهبة أخافهم بها ، ولهذا قال غير واحد من السلف والأئمة كأيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني وغيرهم من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار وهذا من الأدلة الدالة على أن عثمان أفضل لأنهم قدموه باختيارهم واشتوارهم »[1] .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى حاكياً لإجماع الصحابة على خلافة عثمان رضي الله عنه : « ويروى أن أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمٰن ليجتهد للمسلمين في أفضلهم ليوليه فيذكر أنه سأل من يمكنه سؤاله من أهل الشورى ، وغيرهم فلا يشير إلا بعثمان بن عفان حتى أنه قال لعلي : أرأيت إن لم أولك بمن تشير به علي ؟ قال بعثمان ، وقال لعثمان : أرأيت إن لم أولك بمن تشير به ؟ قال : بعلي بن أبي طالب والظاهر أن هذا كان قبل أن ينحصر الأمر في ثلاثة ، وينخلع عبد الرحمٰن منها لينظر الأفضل ، والله عليه والإسلام ليجتهدن في أفضل الرجلين فيوليه ، ثم نهض عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه يستشير الناس فيهما ويجمع رأي المسلمين برأي رؤوس الناس وأقيادهم جميعاً وأشتاتاً ، مثنى وفرادى ، ومجتمعين سراً وجهراً حتى خلص إلى النساء المخدرات في حجابهن ، وحتى سأل الولدان في المكاتب ، وحتى سأل من يرد من الركبان والأعراب إلى المدينة في مدة ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يجد اثنين يختلفان في تقدم عثمان بن عفان فسعى في ذلك عبد الرحمٰن ثلاثة أيام بلياليها لا يغتمض بكثير نوم إلا صلاة ودعاء واستخارة وسؤالًا من ذوي الرأي عنهم ، فلم يجد أحداً يعدل بعثمان بن عفان رضي الله عنه فلما كانت الليلة يسفر صباحها عن اليوم

(١) منهاج السنة ١٤٣/١ .

الرابع من موت عمر بن الخطاب – جاء إلى منزل ابن أخته المسور بن مخرمة وأمره أن ينادي له علياً وعثمان رضي الله عنهما فناداهما فحضرا إلى عبد الرحمٰن فأخبرهما أنه سأل الناس فلم يجد أحداً يعدل بهما أحداً ثم أخذ العهد على كل منهما أيضاً لئن ولاه ليعدلن ، ولئن ولي عليه ليسمعن وليطعن – ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبد الرحمٰن العمامة التي عممه بها رسول الله ﷺ وتقلد سيفاً ، وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ونودي في الناس عامة الصلاة جامعة فامتلأ المسجد بالناس حتى غص بالناس ، وتراص الناس وتراصوا حتى لم يبق لعثمان موضع يجلس فيه إلا في أخريات الناس – وكان رجلًا حيياً رضي الله عنه – ثم صعد عبد الرحمٰن بن عوف منبر رسول الله ﷺ فوقف وقوفاً طويلًا ودعا دعاء طويلًا لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال : أيها الناس إني سألتكم سراً وجهراً عن إمامكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما علي ، وإما عثمان فقم إلي يا علي ، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمٰن بيده فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم لا . ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي قال : فأرسل يده وقال : قم إلي يا عثمان ، فأخذ بيده وقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم نعم قال : فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان وقال : اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم إني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان قال : وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر قال : فقعد عبد الرحمٰن مقعد النبي ﷺ وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية ، وجاء إليه الناس يبايعونه ، وبايعه علي ابن أبي طالب أولًا ، ويقال ثانياً »[1] .

فهذه النقول المتقدم ذكرها للإجماع عن هؤلاء الأئمة كلها تفيد إفادة

---

(١) البداية والنهاية ١٥٩/٧ – ١٦١ .

قطعية أن البيعة بالخلافة تمت لعثمان رضي الله عنه بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولم يخالف أو يعارض في ذلك أحد ، وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون[1] أن علياً تلكأ فقال: عبد الرحمن ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2] فرجع علي يشق الناس حتى بايع وهو يقول : خدعة وأيما خدعة[3].

فهذا باطل من وجوه :

الوجه الأول : أن هذه القصة مخالفة لما ثبت في الحديث الصحيح وذلك أنه ثبت في صحيح البخاري في قصة البيعة والاتفاق على عثمان أن علياً رضي الله عنه بايع عثمان بعد عبد الرحمٰن بن عوف مباشرة ثم بايع الناس بعده وما جاء مخالفاً لهذا فهو مردود على قائله وناقليه .

الوجه الثاني: أخرج ابن سعد بإسناده إلى مولى عمر بن الخطاب عن أبيه عن جده قال: أنا رأيت علياً بايع عثمان أول الناس، ثم تتابع الناس فبايعوا »[4] .

الوجه الثالث : أن المظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها ومستقيمها وسقيمها ومبادها وقويمها »[5] .

فكل ما يذكر من أن علياً رضي الله عنه تلكأ عن بيعة عثمان أو تأخر عنها فهو مبني على خبر غير صحيح رجاله لا يعرفون قد يكون في الغالب من وضع الرافضة الذين أوبقوا أنفسهم ببغض الصحابة رضي الله عنهم . فبيعة عثمان تمت بإجماع المسلمين كافة ولا مطعن فيها لأحد من أهل الزيغ .

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٦١/٧ .

(٢) سورة الفتح آية / ١٠ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير ٢٣٨/٤ - ٢٣٩ .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦٢/٣ .

(٥) البداية والنهاية ١٦١/٧ .

○ الفصل الرابع ○

خلافة علي رضي الله عنه



○ الفصل الرابع ○

خلافة علي رضي الله عنه

وفيه مباحث : -

المبحث الأول : كيف تمت له البيعة بالخلافة .

المبحث الثاني : حقية خلافته رضي الله عنه .

المبحث الثالث : انعقاد الإجماع على خلافته رضي الله عنه .

المبحث الرابع : ذكر الحرب التي دارت بينه وبين بعض الصحابة وموقف أهل السنة من تلك الحرب .

المبحث الخامس : خلافة الحسن رضي الله عنه .

* * *

★ المبحث الأول ★

كيف تمت له البيعة بالخلافة

لقد تمت بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة بطريقة الإختيار وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه على أيدي الخارجين المارقين الشذاذ الذين جاءوا من الآفاق ومن أمصار مختلفة ، وقبائل متباينة لا سابقة لهم ، ولا أثر خير في الدين فبعد أن قتلوه رضي الله عنه ظلماً وعدواناً « يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين »[1] . قام كل من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ بمبايعة علي رضي الله عنه بالخلافة وذلك لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق بعد عثمان رضي الله عنه ، ولذلك لم يدع الإمامة لنفسه أحد بعد عثمان رضي الله عنه ولم يكن أبو السبطين رضي الله عنه حريصاً عليها ، ولذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد ممن بقي من الصحابة بالمدينة وخوفاً من ازدياد الفتن وانتشارها ومع ذلك لم يسلم من معرة تلك الفتن كموقعة الجمل وصفين التي أوقد نارها وأنشبها الحاقدون على الإسلام كابن سبأ وأتباعه الذين استخفهم فأطاعوه لفسقهم ولزيغ قلوبهم عن الحق والهدى ، وقد روى الكيفية التي تم بها اختيار علي رضي الله عنه للخلافة بعض أهل العلم .

فقد روى أبو بكر الخلال بإسناده إلى محمد بن الحنفية قال : كنت مع علي رحمه الله وعثمان محصر قال : فأتاه رجل فقال : إن أمير المؤمنين مقتول الساعة قال : فقام علي رحمه الله : قال محمد : فأخذت بوسطه تخوفاً عليه فقال : خل لا أم لك قال : فأتى علي الدار وقد قتل الرجل رحمه الله فأتى داره فدخلها فأغلق بابه ، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا : إن هذا قد قتل ،

---

(١) الطبقات لابن سعد ٣١/٣ .

ولابد للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحق بها منك فقال لهم علي : لا تريدوني فإني لكم وزير خير مني لكم أمير فقالوا : لا والله لا نعلم أحداً أحق بها منك قال : فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سراً ، ولكن أخرج إلى المسجد فبايعه الناس .

وفي رواية أخرى عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية : « فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : إن هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من إمام ولا نجد أحداً أحق بهذا منك أقدم مشاهد ، ولا أقرب من رسول الله ﷺ فقال علي : لا تفعلوا فإني وزير خير مني أمير ، فقالوا : لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قال : ففي المسجد فإنه لا ينبغي بيعتي أن تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضا من المسلمين قال : فقال سالم بن أبي الجعد : فقال عبد الله بن عباس فلقد كرهت أن يأتي المسجد كراهية أن يشغب عليه وأبى هو إلا المسجد فلما دخل المسجد جاء المهاجرون والأنصار فبايعوا وبايع الناس »[1] .

وقال ابن جرير : « وكتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان – يزيد بن أسيد الغساني – قال : لما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان رضي الله عنه جمعوا أهل المدينة فوجدوا سعداً والزبير خارجين ووجدوا طلحة في حائط له ... فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم أهل مصر : أنتم أهل الشورى ، وأنتم تعقدون الإمامة وأمركم عابر[2] على الأمة فانظروا رجلًا تنصبونه ونحن لكم تبع فقال الجمهور : علي بن أبي طالب نحن به راضون » .

وفي رواية أخرى : أن جمهور الصحابة لما عرضوا على علي رضي الله عنه الخلافة قال لهم : « دعوني والتمسوا غيري ... فقالوا : ننشدك الله ألا ترى الفتنة ألا تخاف الله ؟ فقال : إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم وإن تركتموني فإنما أنا

---

(١) المسند من مسائل الإمام أحمد للخلال ق ٦٢/ أ ، ب ، تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤٢٧/٤ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٩٠/٣ – ١٩١ .

(٢) عند ابن الأثير « وحكمك جائز على الأمة » الكامل ١٩٢/٣ .

كأحدكم إلا أني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد ... فلما أصبحوا يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء علي حتى صعد المنبر فقال : « يا أيها الناس – عن ملأ وإذن – إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم ، وقد افترقنا بالأمس على أمر فإن شئتم قعدت لكم ، وإلا فلا أجد على أحد فقالوا نحن على ما فارقناك بالأمس »[(١)] .

وقال الحافظ ابن كثير : « وذكر سيف[(٢)] بن عمر عن جماعة من شيوخه قالوا : بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر ، والمصريون يلحون على علي وهو يهرب منهم إلى الحيطان ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم ، فقالوا فيما بينهم : لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة فمضوا إلى سعد بن أبي وقاص فقالوا : إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم ، ثم راحوا إلى ابن عمر فأبى عليهم ، فحاروا في أمرهم ثم قالوا : إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة – اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم فرجعوا إلى علي فألحوا عليه ، وأخذ الأشتر بيده ، فبايعه وذلك يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة وذلك بعد مراجعة الناس لهم في ذلك وكلهم يقول : لا يصلح لها إلا علي ، فلما كان يوم الجمعة وصعد المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس »[(٣)] .

ومما تقدم تبين أن خلافة علي رضي الله عنه تمت بطريق الاختيار من جميع من كان موجوداً من أصحاب النبي ﷺ بالمدينة بعد استشهاد ذي النورين رضي الله عنه ، وهذه الطريقة التي تم بها اختيار علي رضي الله عنه كالطريق التي

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٤/٤٣٣ – ٤٣٥ ، الكامل ٣/١٩٢ – ١٩٣ .

(٢) هو سيف بن عمر التميمي صاحب « كتاب الردة » ويقال له : الضبي ويقال غير ذلك الكوفي ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ من الثامنة ، مات زمن الرشيد انظر ترجمته في « الميزان للذهبي » ٢/٢٥٥ – ٢٥٦ ، التهذيب ٤/٢٩٥ – ٢٩٦ ، التقريب ١/٢٤٤ .

(٣) البداية والنهاية ٧/٢٤٧ ، وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/١٩٢ .

ثبتت بها خلافة الصديق أبي بكر رضي الله عنه حيث إن عثمان رضي الله عنه لم يعين أحداً يقوم بالخلافة بعده فقد روى الإمام أحمد والبخاري والحاكم عن مروان بن الحكم أن عثمان رضي الله عنه أصابه رعاف شديد سنة الرعاف حتى حبسه عن الحج وأوصى وطلب منه أن يستخلف فلم يستخلف رضي الله عنه وأرضاه »[1] كما تبين أيضاً : مما تقدم « أن بيعة علي رضي الله عنه كانت كبيعة إخوانه من قبل جاءت على قدر وفي إبانها وأنها مستمدة من رضا الأمة في حينها لا من وصية سابقة مزعومة ، أو رموز خيالية موهومة »[2] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : « وأما ما يغتر به كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء من أنه أوصى إلى علي بالخلافة فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة ، وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه ، وصرفهم إياها إلى غيره لا لمعنى ولا لسبب وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق - يعلم بطلان هذا الافتراء لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء وهم خير قرون هذه الأمة التي هي أشرف الأمم بنص القرآن ، وإجماع السلف والخلف في الدنيا والآخرة ولله الحمد »[3] .

* * *

(١) المسند ٦٤/١ ، صحيح البخاري مع « الفتح » ٨٩/٧ ، المستدرك ٣٦٣/٣ .
(٢) من كلام محب الدين الخطيب في تعليقه على العواصم في القواصم ص ١٤٣ .
(٣) البداية والنهاية ٢٤٥/٧ .

★ المبحث الثاني ★

حقية خلافته رضي الله عنه

إن أحق الناس بالخلافة بعد الثلاثة المتقدمين أعني أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهذا معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بل ومعتقد أصحاب رسول الله ﷺ قاطبة وهذا هو ما يجب على المسلم اعتقاده والديانة لله به في شأن ترتيب الخلافة الراشدة ، وقد ورد الإيماء إلى حقية خلافة علي رضي الله عنه في كثير من النصوص الشرعية منها : —

(١) قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾[١] الآية ووجه الاستدلال بها على حقية خلافة علي رضي الله عنه أنه أحد المستخلفين في الأرض الذين مكن الله لهم دينهم »[٢].

(٢) قوله عليه الصلاة والسلام : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ** »[٣].

ووجه الدلالة في هذا الحديث على حقية خلافة علي رضي الله عنه أنه أحد الخلفاء الراشدين المهديين الذي أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وحافظوا على

---

(١) سورة النور آية / ٥٥ .

(٢) انظر منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين لابن قدامة ص ٧٤ « مخطوط » برقم ٢٥٣ في مكتبة عارف حكمت بالمدينة .

(٣) رواه أحمد في المسند ١٢٦/٤ — ١٢٧ ، سنن أبي داود ٥٠٦/٢ ، سنن ابن ماجة ١٦/١ ، سنن الترمذي ١٥٠/٤ ، سنن الدارمي ٤٥/١ .

حدود الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وساروا بسيرة رسول الله ﷺ في العدل وإقامة الحق .

(٣) روى أبو عبد الله الحاكم وغيره بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فانقطعت نعله فتخلف علي يخصفها فمشى قليلًا ثم قال : « **إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله** » فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قال أبو بكر : أنا هو قال « **لا** » . قال عمر أنا هو قال « **لا** . ولكن خاصف النعل » – يعني عليا فأتيناه فبشرناه فلم يرفع به رأسه كأنه قد سمعه من رسول الله ﷺ »[1] .

هذا الحديث فيه إيماء إلى ولايته حيث إنه رضي الله عنه قاتل في خلافته أهل التأويل الذين خرجوا عليه بالتأويل ، ومنه أخذت أحكام قتال البغاة في أنه لا يتبع مدبرهم ولا يجاز على جريحهم ولا يغنم لهم مال ولا يسبى لهم ذرية وغير ذلك من أحكامهم وقاتل أيضاً الحرورية[2] الذين تأولوا القرآن على غير تأويله وكفروا أهل الحق ومرقوا من الدين مروق السهم من الرمية .

(٤) روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق** » .

وفيه أيضاً : أنه قال : « **تكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق** » .

وفي لفظ : قال : « **تمرق مارقة في فرقة من الناس فيلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق** » .

---

(١) المستدرك ٣/١٢٢ – ١٢٣ وقال عقبه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي ، والحديث رواه أحمد في المسند ٣/٣١ ، ٣٣ ، ٨٢ ، تهذيب خصائص الإمام علي للنسائي ص ١١٨ – ١١٩ ، وأبو نعيم في الحلية ١/٦٧ .

(٢) إحدى فرق الخوارج وسيأتي التعريف بها في « الباب الرابع » .

وجاء أيضاً بلفظ « **يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق** »[1] .

فقوله ﷺ على حين فرقة – بضم الفاء – أي : في وقت افتراق الناس أي : افتراق يقع بين المسلمين وهو الافتراق الذي كان بين علي ومعاوية رضي الله عنهما »[2] .

والمراد بالفرقة المارقة هم « أهل النهروان كانوا في عسكر علي رضي الله عنه في حرب صفين فلما اتفق علي ومعاوية على تحكيم الحكمين خرجوا وقالوا : إن علياً ومعاوية استبقا إلى الكفر كفرسي رهان فكفر معاوية بقتال علي ثم كفر علي بتحكيم الحكمين وكفروا طلحة والزبير فقتلتهم الطائفة الذين كانوا مع علي وقد شهد النبي ﷺ أن الطائفة التي تقتلهم أقرب إلى الحق وهذا شهادة من النبي ﷺ لعلي وأصحابه بالحق وهذا من معجزات النبي ﷺ لكونه أخبر بما يكون فكان على ما قال وفيه دلالة على صحة خلافة علي رضي الله عنه وخطأ من خالفه »[3] .

(٥) وروى البخاري بإسناده إلى خالد الحذاء عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه علي : انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه ، فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه ، فأخذ رداءه فاحتبى ، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال : « كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول : **ويح[4] عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**

---

(١) هذه الأحاديث في صحيح مسلم ٧٤٥/٢ – ٧٤٦ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦٦/٧ .

(٣) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين لابن قدامة ص ٧٥ – ٧٦ مخطوط وانظر شرح النووي ١٦٦/٧ .

(٤) ويح : كلمة رحمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها يرثى له قال الأصمعي : الويل : قبوح ، والويح : ترحم ، غريب الحديث لابن الجوزي ٤٨٦/٢ ، الفائق في غريب الحديث ٨٥/٤ ، النهاية في غريب الحديث ٢٣٥/٥ .

قال : يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن »[1] .

(٦) عند مسلم عن أبي سعيد أيضاً : قال أخبرني من هو خير مني أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول : « **بؤس[2] ابن سمية تقتلك فئة باغية** »[3] .

هذان الحديثان دلا على حقية خلافة علي رضي الله عنه وأنه الإمام الحق بعد عثمان رضي الله عنه وأن الذين قاتلوه مجتهدون مخطئون « لا إثم عليهم ولا لوم فيما وقع بينهم من القتال » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : بعد ذكره لقوله ﷺ : **تقتل عماراً الفئة الباغية**[4] « وهذا أيضاً يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار وإن كان متأولًا وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي وعلى هذا فمقاتله مخطيء وإن كان متأولًا ، أو باغ بلا تأويل وهو أصح القولين لأصحابنا وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين وكذلك أنكر يحيى بن معين على الشافعي استدلاله بسيرة علي في قتال البغاة المتأولين قال : أيجعل طلحة والزبير معاً بغاة ؟ رد عليه الإمام أحمد فقال : ويحك وأي شيء يسعه أن يضع في هذا المقام يعني : إن لم يقتد بسيرة علي في ذلك لم يكن معه سنة من الخلفاء الراشدين في قتال البغاة - إلى أن قال - ولم يتردد أحمد ولا أحد من أئمة السنة في أنه ليس غير علي أولى بالحق منه »[5] .

---

(١) صحيح البخاري ٨٩/١ .

(٢) قال ابن الأثير : ومنه حديث عمار رضي الله عنه « بؤس ابن سمية » كأنه ترحم له من الشدة التي يقع فيها » اهـ . النهاية في غريب الحديث ٨٩/١ .

(٣) صحيح مسلم ٢٢٣٥/٤ .

(٤) المصدر السابق ٢٢٣٦/٤ .

(٥) مجموع الفتاوى ٤٣٧/٤ - ٤٣٨ .

فلو قال قائل : إن قتل عمار كان بصفين « وهو مع علي والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار ، فالجواب أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة وهو مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها وهو طاعة الإمام وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم »[1] .

قال الإمام النووي بعد قوله ﷺ : **« بؤس ابن سمية تقتلك فئة باغية »** « قال العلماء : هذا الحديث حجة ظاهرة في أن علياً رضي الله عنه كان محقاً مصيباً والطائفة الأخرى بغاة لكنهم مجتهدون فلا إثم عليهم لذلك .. وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ من أوجه : منها : أن عماراً يموت قتيلًا وأنه يقتله مسلمون وأنهم بغاة . وأن الصحابة : يقاتلون وأنهم يكونون فرقتين باغية وغيرها وكل هذا وقع مثل فلق الصبح صلى الله وسلم على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى »[2] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بعد ذكره لقوله ﷺ : **« تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلها أولى الطائفتين بالحق »** :

« وفي هذا وفي قوله ﷺ : **« تقتل عماراً الفئة الباغية »** « دلالة واضحة على أن علياً ومن معه كانوا على الحق وأن من قاتلهم كانوا مخطئين في تأويلهم »[3] .

(١٠) وروى أبو داود بإسناده إلى سفينة قال : قال رسول الله ﷺ : **« خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء »**[4] .

---

(١) فتح الباري ٥٤٢/١ .
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٤٠/١٨ - ٤١ .
(٣) فتح الباري ٦١٩/٦ .
(٤) سنن أبي داود ٥١٤/٢ - ٥١٥ .

وعند الترمذي بلفظ : « **الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك** »[1] وفي هذا الحديث إشارة إلى حقية خلافة علي رضي الله عنه حيث إن خلافته كانت آخر الثلاثين من مدة خلافة النبوة التي حددها النبي ﷺ في هذا الحديث وبموجب هذا قال أهل العلم .

قال أبو عمر : قال أحمد بن حنبل : حديث سفينة في الخلافة صحيح وإليه أذهب في الخلفاء[2] .

وقد وصف الإمام أحمد رحمه الله تعالى قول من يقول بأن علياً رضي الله عنه ليس من الخلفاء بأنه سيء ورديء .

قال عبد الله بن أحمد رحمه الله تعالى : قلت لأبي إن قوماً يقولون إنه ليس بخليفة قال : هذا قول سوء رديء فقال : أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون له يا أمير المؤمنين أفنكذبهم وقد حج وقطع ورجم فيكون هذا إلا خليفة[3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رسالة له في حديث سفينة : « وهو حديث مشهور من رواية حماد بن سلمة وعبد الوارث بن سعيد والعوام بن حوشب عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ رواه أهل السنن كأبي داود . وغيره واعتمد عليه الإمام أحمد وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة وثبته أحمد واستدل به على من توقف في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه حتى قال أحمد : « من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ونهى عن مناكحته »[4] .

وقال شارح الطحاوية : « ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما

---

(١) سنن الترمذي ٣٤١/٣ ، والحديث في المسند ٢٢٠/٥ - ٢٢١ .

(٢) جامع بيان العلم ٢٢٥/٢ ، وانظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ص ٢٣٥ .

(٣) كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ص ٢٣٥ .

(٤) هذه الرسالة بالمكتبة الظاهرية بخطه في مسودته ق ٨١/٢ - ٨٤/٢ كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٢٠٠/١ .

لما قتل عثمان وبايع الناس علياً صار إماماً حقاً واجب الطاعة وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة كما دل عليه حديث سفينة أنه قال: قال رسول الله ﷺ «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء**»[1].

فهذه النصوص المتقدم ذكرها كلها دالة على حقية خلافة علي رضي الله عنه وأنه رضي الله عنه أحق بالأمر وأولى بالحق من كل أحد بعد الثلاثة رضي الله عنهم جميعاً فيجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن علياً رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين وأحد الأئمة المهديين.

* * *

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٤٥، والحديث في سنن أبي داود ٢/٥١٤ - ٥١٥.

★ المبحث الثالث ★

انعقاد الإجماع على خلافته رضي الله عنه

لقد انعقد إجماع الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة على أن علياً رضي الله عنه كان متعيناً للخلافة بعد عثمان رضي الله عنه لفضله على من بقي من الصحابة ، وأنه أقدمهم إسلاماً ، وأوفرهم علماً ، وأقربهم بالنبي ﷺ نسباً ، وأشجعهم نفساً ، وأحبهم إلى الله ورسوله وأكثرهم مناقب ، وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأشرفهم منزلة ، وأشبهم برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً فكان رضي الله عنه متعيناً للخلافة دون غيره ، وقد قام من بقي من أصحاب النبي ﷺ بالمدينة بعقد البيعة به بالخلافة بالإجماع فكان حينئذ إماماً حقاً وجب على سائر الناس طاعته وحرم الخروج عليه ومخالفته وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم : فقد نقل محمد بن سعد إجماع من له قدم صدق وسابقة في الدين ممن بقي من أصحاب النبي ﷺ بالمدينة على بيعة علي رضي الله عنه حيث قال : « وبويع لعلي بن أبي طالب رحمه الله بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة بايعه طلحة والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمار بن ياسر ، وأسامة بن زيد ، وسهل بن حنيف ، وأبو أيوب الأنصاري ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت ، وخزيمة بن ثابت وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم »[1] .

كما نقل إجماع الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة على بيعة علي رضي الله عنه الإمام أحمد بن حنبل ، وأبو الحسن الأشعري وأبو نعيم

---

(١) الطبقات الكبرى ٣١/٣ .

الأصبهاني وغيرهم من أهل العلم .

فقد روى الإمام أحمد بإسناده إلى محمد بن الحنفية قال : كنت مع علي وعثمان محصور قال فأتاه رجل فقال : إن أمير المؤمنين مقتول ، ثم جاء آخر فقال : إن أمير المؤمنين مقتول الساعة قال : فقام علي قال محمد : فأخذت بوسطه تخوفاً عليه فقال : خل لا أم لك قال فأتى علي الدار وقد قتل الرجل فأتى داره فدخلها وأغلق عليه بابه فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا : إن هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحق بها منك فقال لهم علي : لا تريدوني فإني لكم وزير خير مني لكم أمير فقالوا : لا والله ما نعلم أحداً أحق بها منك قال : فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سراً ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني قال : فخرج إلى المسجد فبايعه الناس »[1] .

وذكر ابن قدامة رحمه الله تعالى أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى روى بإسناده عن عبد الرزاق عن محمد بن راشد عن عوف قال : كنت عند الحسن فكأن رجلًا انتقص أبا موسى باتباعه علياً فغضب الحسن ثم قال : سبحان الله قتل أمير المؤمنين عثمان فاجتمع الناس على خيرهم فبايعوه أفيلام أبو موسى باتباعه »[2] .

فقد نقل الإمام أحمد رحمه الله في هاتين الروايتين أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على بيعة علي رضي الله عنه وأن إجماعهم رضي الله عنهم كان على خيرهم وأفضلهم على الإطلاق وأحقهم بالخلافة بعد عثمان رضي الله عنه .

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى : « ونثبت إمامة علي بعد عثمان رضي الله عنه بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد ولأنه لم يدع

---

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٥٧٣/٢ .

(٢) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين ص ٧٧ - ٧٨ وانظر فضائل الصحابة للإمام أحمد ٥٧٧/٢ .

أحد من أهل الشورى غيره في وقته وقد اجتمع على فضله وعدله ، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقاً لعلمه أن ذلك ليس بوقت قيامه فلما كان لنفسه في غير وقت الخلفاء قبله كان حقاً لعلمه أن ذلك وقت قيامه ، ثم لما صار الأمر إليه أظهر وأعلن ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد ، كما مضى من قبله من الخلفاء وأئمة العدل على السداد والرشاد متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم هؤلاء الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضي الله عنهم »[1] .

وقال أبو نعيم الأصبهاني مبيناً كيف تدارك أصحاب النبي ﷺ الموقف بعد استشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، ومبيناً المزايا العالية التي تميز بها علي رضي الله عنه على باقي الصحابة وجعلته أهلًا لأن يختاروه خليفه للمسلمين فقال : « فلما اختلفت الصحابة كان على الذين سبقوا إلى الهجرة والسابقة والنصرة والغيرة في الإسلام الذين اتفقت الأمة على تقديمهم لفضلهم في أمر دينهم ودنياهم لا يتنازعون فيهم ولا يختلفون فيمن أولى بالأمر من الجماعة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة في العشرة ممن توفي وهو عنهم راضٍ فسلم من بقي من العشرة الأمر لعلي رضي الله عنه ولم ينكر أنه من أكمل الأمة ذكراً وأرفعهم قدراً لقديم سابقته وتقدمه في الفضل والعلم ، وشهوده المشاهد الكريمة يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ويحبه المؤمنون ويبغضه المنافقون لم يضع منه تقديم من تقدمه من أصحاب رسول الله ﷺ بل ازداد به ارتفاعاً لمعرفته بفضل من قدمه على نفسه إذ كان ذلك موجوداً في الأنبياء والرسل عليهم السلام قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ إلى قوله ﴿ مَا يُرِيدُ ﴾[2] فلم يكن تفضيل بعضهم على بعض بالذي يضع ممن هو دونه فكل الرسل صفوة الله —

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة ص ٧٨ ، وانظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ١/٣٤٦ .

(٢) سورة البقرة آية / ٢٥٣ .

عز وجل – وخيرته من خلقه ، فتولى أمر المسلمين عادلًا زاهداً آخذاً في سيرته بمنهاج الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله عنهم حتى قبضه الله – عز وجل – شهيداً هادياً مهدياً سلك بهم السبيل المستبين والصراط المستقيم »[1] .

وقال أبو منصور البغدادي : « أجمع أهل الحق والعدل على صحة إمامة علي رضي الله عنه وقت انتصابه لها بعد قتل عثمان رضي الله عنه »[2] .

وقال الزهري رحمه الله تعالى بعد ذكره لما قام به أبو الحسن من الوفاء بالعهد لإخوانه الثلاثة الخلفاء السابقين قبله قال : « وكان قد وفى بعهد عثمان حتى قتل وكان أفضل من بقي من الصحابة فلم يكن أحد أحق بالخلافة منه ، ثم لم يستبد بها مع كونه أحق الناس بها حتى جرت له بيعة وبايعه مع سائر الناس من بقي من أصحاب الشورى »[3] .

وقال عبد الملك الجويني في صدد ذكره للطريق التي تمت بها خلافة عمر وعثمان وعلي وأنه لا يُعبأ بقول من يقول : إن إمامة علي لم يحصل عليها إجماع فقال : « وأما عمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم فسبيل إثبات إمامتهم واستجماعهم لشرائط الإمامة كسبيل إثبات إمامة أبي بكر ، ومرجع كل قاطع في الإمامة إلى الخبر المتواتر والإجماع .... ولا اكتراث بقول من يقول : لم يحصل إجماع على إمامة علي رضي الله عنه فإن الإمامة لم تجحد له وإنما هاجت الفتن لأمور أخر »[4] .

وقال أبو عبد الله بن بطة رحمه الله تعالى حاكياً لثبوت الإجماع على خلافة أبي الحسن رضي الله عنه حيث قال : « كانت بيعة علي رحمه الله بيعة اجتماع

---

(١) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص ٣٦٠ – ٣٦١ .

(٢) كتاب أصول الدين ٢٨٦ – ٢٨٧ .

(٣) الاعتقاد ص ١٩٣ .

(٤) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ٣٦٢ – ٣٦٣ .

ورحمة لم يدع إلى نفسه ولم يجبرهم على بيعته بسيفه ولم يغلبهم بعشيرته ولقد شرف الخلافة بنفسه وزانها بشرفه وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو قدره ولقد أباها فأجبروه وتقاعس عنها فأكرهوه »[1] .

فقد بين رحمه الله تعالى أن بيعة علي رضي الله عنه كانت بالإجماع وأن حصول الإجماع عليها من قبل أهل الحل والعقد كان رحمة من الله بالأمة المحمدية ، كما بين رحمه الله أن علياً رضي الله عنه زين الخلافة ولم تزينه ، ورفعها ولم ترفعه وهكذا كان من تقدمه من الخلفاء رضي الله عنهم زينوا الخلافة وجملوا الأمة المحمدية ، وأتموا الدين وأظهروه ، وأسسوا الإسلام وأشهروه رضي الله عنهم أجمعين .

وقال الغزالي : « وقد أجمعوا على تقديم أبي بكر ، ثم نص أبو بكر على عمر ، ثم أجمعوا بعده على عثمان ، ثم على علي رضي الله عنهم ، وليس يظن منهم الخيانة في دين الله – تعالى – لغرض من الأغراض وكان إجماعهم على ذلك من أحسن ما يستدل به على مراتبهم في الفضل ، ومن هذا اعتقد أهل السنة هذا الترتيب في الفضل ، ثم بحثوا عن الأخبار فوجدوا فيها ما عرف مستند الصحابة وأهل الإجماع في هذا الترتيب »[2] .

وقال أبو بكر بن العربي في معرض سياقه لحادثة قتل عثمان ظلماً وعدواناً على أيدي الخارجين عليه الظلمة المعتدين قال : « فلما قضى الله من أمره ما قضى ومضى في قدره ما مضى علم أن الحق لا يترك الناس سدى، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدراً وعلماً وتقى وديناً فانعقدت له البيعة ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي لجري

(١) ذكره عنه العلامة ابن قدامة في كتابه منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين ص ٧٧ وانظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/٣٤٦ .

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٥٤ .

على من بها من الأوباش ما لا يرقع خرقه ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار ورأى ذلك فرضاً عليه فانقاد إليه »[1] .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : أن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعوا على بيعة عثمان بعد عمر رضي الله عنهم جميعاً كما بين كذلك أن أهل السنة والجماعة أجمعوا عامة على تقديم الصديق ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم .

فقد قال رحمه الله : « واتفق أصحاب رسول الله ﷺ على بيعة عثمان بعد عمر وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة** » فكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه آخر الخلفاء الراشدين المهديين « وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي »[2] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « وكانت بيعة علي بالخلافة عقب قتل عثمان في أوائل ذي الحجة سنة خمس وثلاثين فبايعه المهاجرون والأنصار وكل من حضر وكتب بيعته إلى الآفاق فأذعنوا كلهم إلا معاوية في أهل الشام فكان بينهم بعد ما كان »[3] .

والذي نستفيده من هذه النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة علي رضي الله عنه محل إجماع على حقيتها وصحتها في وقت زمنها وذلك بعد قتل عثمان رضي الله عنه حيث لم يبق على الأرض أحق بها منه رضي الله عنه فقد جاءته رضي الله عنه على قدر في وقتها ومحلها ، وقد جاء في بعض هذه النقول للإجماع النص على

---

(١) العواصم من القواصم ص ١٤٢ .

(٢) الوصية الكبرى ص ٣٣ .

(٣) فتح الباري ٧٢/٧ .

مبايعة طلحة والزبير رضي الله عنهما لعلي رضي الله عنه وهذا فيه رد لبعض الروايات التي ذكرها بعض المؤرخين من أنهما بايعا مكرهين فقد جاء في بعض تلك الروايات أن طلحة رضي الله عنه قال : « بايعت واللج على قفي »[١] .

وقد رد العلامة ابن العربي على هذا بقوله : « اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في « القفا » لغة « قفي » كما يجعل في « الهوى » : « هوي » وتلك لغة هذيل لا قريش[٢] فكانت كذبه لم تدبر »[٣] .

بل قد جاء في بعض الروايات أن طلحة رضي الله عنه كان أول من بايع علياً حتى قال حبيب بن ذؤيب : بايع علياً يد شلاء لا يتم هذا الأمر[٤] « وأهل الكوفة يقولون : أول من بايعه الأشتر »[٥] .

وقد رد القاضي أبو بكر ابن العربي على قول القائل في طلحة « يد شلاء » بقوله : « أما قولهم : « يد شلاء » لو صح فلا متعلق لهم فيه فإن يداً شلت في وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل أمر ويتوق بها من كل مكروه وقد تم الأمر على وجهه ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه وجهل المبتدع ذلك فاخترع ما هو حجة عليه »[٦] .

وهذا الرد من ابن العربي على ما قيل في يد طلحة رضي الله عنه يستحق أن يكتب بماء الذهب لأنه لو كانت يد طلحة هي الأولى في البيعة لكانت أكثر بركة ونفعاً لأنها يد ذبت عن رسول الله ﷺ المشركين يوم أحد ، أما يد الأشتر

---

(١) العواصم من القواصم لابن العربي ص ١٤٤ وانظر تاريخ الأمم والملوك ٤٣١/٤ ، ٤٣٥ وانظر أيضاً الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٩٣/٣ ، النهاية لابن الأثير ٢٣٤/٤ ، البداية والنهاية ٢٤٧/٧ .

(٢) بل إنها أبعد عن لغة قريش من لهجة هذيل فقد ذكر العلامة ابن الأثير في كتابه « النهاية في غريب الحديث » ٢٣٤/٤ أنها لغة طيء .

(٣) العواصم من القواصم ص ١٤٤ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٤٢٨/٤ ، الكامل لابن الأثير ١٩١/٣ .

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٤٣٣/٤ ، البداية والنهاية ٢٤٧/٧ .

(٦) العواصم من القواصم ص ١٤٤ - ١٤٥ .

اللئيم فإنها كانت لا تزال رطبة من دم الإمام الشهيد المبشر بالجنة عثمان رضي الله عنه ، فدعوى أن طلحة والزبير بايعا مكرهين دعوى غير صحيحه بل الثابت أنه لما قتل عثمان رضي الله عنه طلب جمهور الصحابة رضي الله عنهم من علي أن يتولى أمر المسلمين فكان يفر منهم في حيطان المدينة[1] وأيضاً : لما توفي عمر رضي الله عنه جعل الأمر شورى في ستة منهم طلحة والزبير واتفقوا على أن الأمر دائر بين عثمان وعلي فاتفقوا على تقديم عثمان وبعد استشهاده رضي الله عنه كان صاحب الحق هو علي رضي الله عنه .

وقد اعترض بعض الناس على الإجماع على خلافة علي رضي الله عنه من وجوه :

(١) تخلف عنه من الصحابة جماعة منهم سعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلمة وابن عمر وأسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم[2] .

(٢) إنما بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان[3] .

(٣) أن أهل الشام معاوية ومن معه لم يبايعوه بل قاتلوه .

وهذه الاعتراضات لا تأثير لها على الإجماع المذكور ، ولا توجب معارضته وذلك أنها مردودة من وجوه :

الوجه الأول : أن دعوى أن جماعة من الصحابة تخلفوا عن بيعته دعوى غير صحيحة إذ أن بيعته لم يتخلف عنها وأما نصرته فتخلف عنها قوم منهم من ذكر لأنها كانت مسألة اجتهادية فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره »[4] .

---

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤٣٢/٤ ، البداية والنهاية ٢٤٦/٧ .

(٢) العواصم من القواصم ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٥ .

(٤) العواصم من القواصم ص ١٤٧ ، وانظر كتاب « التمهيد » للباقلاني ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

الوجه الثاني : أن عقد الخلافة ونصب إمام واجب لابد منه ، ووقف ذلك على حضور جميع الأمة واتفاقهم مستحيل أو متعذر فلا يجوز اشتراطه لإفضاء ذلك إلى انتفاء الواجب ووقوع الفساد اللازم من انتفائه »[1] .

الوجه الثالث : أن الإجماع حصل على بيعة أبي بكر بمبايعة الفاروق وأبي عبيدة ومن حضرهم من الأنصار مع غيبة علي وعثمان وغيرهما من الصحابة وكذلك حصل الإجماع على خلافة علي بمبايعة عمار ومن حضر من البدريين وغيرهم من الصحابة ولا يضر هذا الإجماع من غاب عن البيعة أو لم يبايعه من غيرهم رضي الله عنهم جميعاً .

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : « والله ما كانت بيعة علي إلا كبيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم »[2] .

الوجه الرابع : دعوى أنه إنما بويع على أن يقتل قتلة عثمان « هذا لا يصح في شرط البيعة . وإنما يبايعونه على الحكم بالحق وهو أن يحضر الطالب للدم ، ويحضر المطلوب وتقع الدعوى ويكون الجواب وتقوم البينة ويقع الحكم »[3] بعد ذلك .

الوجه الخامس : أن معاوية رضي الله عنه لم يقاتل علياً على الخلافة ولم ينكر إمامته وإنما كان يقاتل من أجل إقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان مع ظنه أنه مصيب في اجتهاده ولكنه كان مخطئاً في اجتهاده ذلك فله أجر الاجتهاد فقط .

قال عبد الملك الجويني : « ومعاوية وإن قاتل علياً فإنه لا ينكر إمامته ولا يدعيها لنفسه وإنما كان يطلب قتلة عثمان رضي الله عنه ظاناً أنه مصيب ولكنه

---

(١) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين ص ٧٦ - ٧٧ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٧٧ .

(٣) العواصم من القواصم ص ١٤٥ - ١٤٦ .

كان مخطئاً »[1] .

فخلافة علي رضي الله عنه ثابتة بالنص والإجماع ولا تأثير لأي اعتراض يورد على الإجماع فيجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن علياً رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين الذين أمرنا بالتمسك بسنتهم والاقتداء بهم وترتيبهم في الإمامة كترتيبهم في الفضل أولًا أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين وهذا معتقد الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة فقد روى البيهقي بإسناده إلى الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال : « في الخلافة والتفضيل نبدأ بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم »[2] وروى أيضاً بإسناده إلى الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه قيل له : « إلى ما تذهب في الخلافة قال : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فقيل له : كأنك تذهب إلى حديث سفينة قال : أذهب إلى حديث سفينة وإلى شيء آخر رأيت علياً في زمن أبي بكر وعمر وعثمان لم يتسم بأمير المؤمنين ولم يقم الجمع والحدود ثم رأيته بعد قتل عثمان قد فعل ذلك فعلمت أنه قد وجب له في ذلك الوقت ما لم يكن له قبل ذلك »[3] .

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى : « خير الناس بعد رسول الله ﷺ وأولاهم بالخلافة أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ثم علي بن أبي طالب رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين »[4] .

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى : « ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولًا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلًا له وتقديماً على جميع الأمة ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم لعثمان رضي الله عنه ، ثم لعلي بن

---

(١) لمع الأدلة في « عقيدة أهل السنة » ص ١١٥ مخطوط نقلًا عن كتاب « أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ » ص ١١٥ .

(٢) الاعتقاد ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ذكره عنه البيهقي بالإسناد في كتابه « الاعتقاد » ص ١٩٦ - ١٩٧ .

أبي طالب رضي الله عنه وهم الخلفاء الراشدون والأئمة والمهديون »[1] .

وقال أبو بكر الباقلاني رحمه الله تعالى موضحاً الدليل على ترتيب الخلافة الراشدة : «والدليل على إثبات الإمامة للخلفاء الأربعة رضي الله عنهم على الترتيب الذي بيناه : أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أعلام الدين ومصابيح أهل اليقين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل ، وشهد لهم النبي ﷺ بأنهم خير القرون فقال : « **خير القرون قرني** »[2] . فلما قدموا هؤلاء الأربعة على غيرهم ورتبوهم على الترتيب المذكور علمنا أنهم رضي الله عنهم لم يقدموا أحداً شهيا منهم ، وإنما قدموا من قدموه لاعتقادهم كونه أفضل وأصلح للإمامة من غيره في وقت توليه قال الشريف الأجل الإمام جمال الإسلام : ووقع لي أنا دليل من نص الكتاب في ترتيبهم على هذه الرتبة : أنه لا يجوز أن يكون غير ذلك هو قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3] . ووعده حق . وخبره صدق لا يقع بخلاف مخبره فلا بد من أن يتم ما وعدهم به ، وأخبر أن يكون لهم ، ولا يصح إلا على هذا الترتيب لأنه لو قدم علي عليه السلام لم تصر الخلافة فيها إلى أحد من الثلاثة لأن علياً عليه السلام مات بعد الثلاثة وكذلك لو قدم عثمان رضي الله عنه لم تصر الخلافة إلى أبي بكر وعمر لأن عثمان مات بعد موتهما ، ولو قدم عمر لم تصر الخلافة إلى أبي بكر لأن عمر مات بعده والله تعالى أخبر ووعد أنها تصير إليهم فلم يصح أن تقع إلا على الوجه الذي وقعت ولله الحمد على الهداية والتوفيق »[4] .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٣ – ٥٤٥ .

(٢) انظر صحيح البخاري ٢٨٨/٢ ، صحيح مسلم ١٩٦٣/٤ .

(٣) سورة النور آية / ٥٥ .

(٤) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به / ص ٦٦ – ٦٧ .

فهذه الأقوال عن هؤلاء الأئمة كلها فيها البيان الشافي لعقيدة الفرقة الناجية في ترتيب الخلافة الراشدة كما علم مما تقدم في هذا المبحث من نقول للإجماع أن علياً رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين باتفاق أهل الحل والعقد وأنه قد اتفق على بيعته عامة من حضر المدينة من البدريين والأنصار كاجتماع أهل السقيفة على بيعة أبي بكر رضي الله عنه وبناءً على ما تقدم فإن الذي لا يسعه في عقيدة ترتيب الخلافة ما وسع الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة فإنه رافضي مقيت .

* * *

★ المبحث الرابع ★

ذكر الحرب التي دارت بينه وبين بعض الصحابة وموقف أهل السنة منها

المراد بالحرب التي أريد ذكرها في هذا المبحث هي حرب الجمل وصفين وقبل الدخول في ذكر هاتين الموقعتين أذكر بين يديهما لمحة عن أمرين .

* **الأمر الأول** : متى بدأ التشاجر بين أصحاب رسول الله ﷺ .

* **الأمر الثاني** : ما هو الدافع لهم على ذلك .

فأما عن الأمر الأول فإن قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ظلماً وعدواناً من قبل الخارجين عليه من أهل مصر ، وأهل الكوفة ، وأهل البصرة سنة خمس وثلاثين للهجرة[1] كان مصدر بدء التشاجر بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم والقارىء لكتب التواريخ والسير يخرج منها بأن بداية التشاجر بين خير القرون كان بعد قتل ثالث الخلفاء الراشدين وبداية خلافة أبي الحسن رضي الله عنهما .

وأما عن الأمر الثاني : فإن أعظم دافع لهم إلى ذلك ليس إلا مطالبة الخليفة الرابع بوجوب الإسراع بأخذ القود من أولئك الأشرار قتلة عثمان رضي الله عنه وأرضاه ذلك أن طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين كانوا يرون أنه لابد من المطالبة بدم عثمان ووجوب الإسراع بإقامة حد الله عليهم كما أمر الله[2] .

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣٦٥/٤ وما بعدها ، الكامل لابن الأثير ١٧٨/٣ ، البداية والنهاية ١٨٦/٧ .

(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك ٤٦٢/٤ - ٤٦٤ ، ٥/٦ ، الكامل في التاريخ ٢١٢/٣ - ٢١٣ ، ص ٢٨٦ ، البداية والنهاية ٢٥١/٧ - ٢٥٣ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

بينما كان يرى علي رضي الله عنه إرجاء الأمر حتى يبايعه أهل الشام ويستتب له الأمر ليتسنى له بعد ذلك التمكن من القبض عليهم لأنهم كانوا كثيرين في جيش علي ومن قبائل مختلفة وكانوا لهم بعض التمكن حينذاك .

قال الحافظ ابن كثير : « ولما استقر أمر بيعة علي دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة - رضي الله عنهم - وطلبوا منه إقامة الحدود والأخذ بدم عثمان فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان ، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا»[1] اهـ.

ومما يؤكد أن سبب البداية للتشاجر بين الصحابة هو قتل عثمان رضي الله عنه أن علياً رضي الله عنه بعد أن بويع له بالخلافة شرع في إرسال عماله إلى الأمصار فكان من أرسله إلى الشام بدل معاوية سهل بن حنيف فسار حتى بلغ تبوك فتلقته خيل معاوية فقالوا : من أنت ؟ فقال : أمير قالوا : على أي شيء ؟ قال : على الشام فقالوا : إن كان عثمان بعثك فحيهلا بك وإن كان غيره فارجع فقال : أو ما سمعتم بالذي كان ؟ قالوا بلى فرجع إلى علي ، وأما قيس بن سعد ابن عبادة - فاختلف عليه أهل مصر فبايع له الجمهور ، وقالت طائفة : لا نبايع حتى نقتل قتلة عثمان ، وكذلك أهل البصرة ، وأما عمارة بن شهاب المبعوث أميراً على الكوفة فصده طليحة بن خويلد - الأسدي - غضباً لعثمان فرجع إلى علي فأخبره »[2] « وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه ، يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان ، ممن قتله من أولئك الخوراج منهم عبادة بن الصامت وأبو الدرداء وأبو أمامة ، وعمرو بن عنبسة وغيرهم من الصحابة ومن التابعين : شريك بن حباشة وأبو مسلم الخولاني ، وعبد الرحمن بن غنم ... وغيرهم من التابعين »[3] . ولما كان رأي كل واحد من الفريقين مضاداً لرأى الآخر من هنا

---

(١) البداية والنهاية ٢٤٨/٧ - ٢٤٩ ، وانظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤٣٧/٤ ، الكامل لابن الأثير ١٩٥/٣ - ١٩٦ .

(٢) تاريخ ابن جرير الطبري ٤٤٢/٤، كتاب الكامل لابن الأثير ٢٠١/٣، البداية والنهاية ٢٤٩/٧ - ٢٥٠.

(٣) البداية والنهاية ٢٤٨/٧ .

اختلفت الكلمة وتفاقم الأمر ، وانتشرت الفتنة فما كان من علي رضي الله عنه وهو الخليفة الحق الذي تجب طاعته إلا أن قام بإرسال الكتب المتتابعة إلى معاوية رضي الله عنه يدعوه فيها إلى البيعة غير أن معاوية رضي الله عنه لم يرد شيئاً فكرر عليه علي رضي الله عنه ذلك مراراً إلى أن دخل الشهر الثالث من مقتل ذي النورين رضي الله عنه ، ثم بعث بعد ذلك طوماراً[1] من رجل فدخل به على علي فقال : ما وراءك ؟ قال جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود كلهم موتور[2] .... فقال علي : أمني يطلبون دم عثمان ؟ ألست موتوراً كترة عثمان ؟ اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان »[3] .

وقد وجه علي رضي الله عنه جماعة إلى معاوية رضي الله عنه وهو بصفين منهم بشير بن عمرو الأنصاري وقال لهم : « ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول لكم فلما دخلوا على معاوية « قال له بشير بن عمرو : يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، والله محاسبك بعملك ومجازيك بما قدمت يداك إني أنشدك الله أن لا تفرق جماعة هذ الأمة وأن تسفك دماءها بينها – إلى أن قال له : – وإنه – أي علي – يدعوك إلى مبايعته فإنه أسلم لك في دنياك وخير لك في آخرتك فقال معاوية : ويطل[4] دم عثمان ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً »[5] .

وقد دخل أبو الدرداء ، وأبو أمامة رضي الله عنهما أيام صفين على معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما فقالا له : يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل ؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاماً وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ وأحق

---

(١) الطومار : الصحيفة « لسان العرب » ٥٠٣/٤ .

(٢) الموتور : الطالب بالثأر « النهاية في غريب الحديث والأثر » ١٤٨/٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٤٤٤/٤ .

(٤) أي يهدر « انظر النهاية ١٣٦/٣ ، المصباح المنير » ٣٧٧/٢ .

(٥) تاريخ الطبري ٥٧٣/٤ ، الكامل لابن الأثير ٢٨٥/٣ – ٢٨٦ . البداية والنهاية ٢٨٠/٧ .

بهذا الأمر منك - فكان جوابه عليهم - « أقاتله على دم عثمان وأنه أوى قتلته فاذهبا إليه فقولا له : فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من يبايعه من أهل الشام »[1] فهذه الرواية وما قبلها تبين لنا أن معاوية رضي الله عنه كان باذلًا للبيعة بالخلافة لعلي رضي الله عنه لكن بشرط تعجيل القود من قتلة عثمان وكان رأي علي رضي الله عنه أن يدخل معاوية في البيعة أولًا ثم بعد ذلك يتتبع القتلة ويقام عليهم الحد الشرعي بعد إقامة الدعوى والإجابة ثم صدور الحكم فيهم كما أمر الله به . ولكن لما كان رأي علي ومعاوية رضي الله عنهما رأيين متضادين لا يلتقيان أدى ذلك إلى المنازعة واختلاف الكلمة ، ولما رأى علي رضي الله عنه أن الكتب التي وجهها إلى معاوية لم تجد شيئاً بل إن الفتنة بدأت تشتد ولم تزدد الأمور إلا تعقيداً حيث استأثر معاوية رضي الله عنه ببلاد الشام ولم يسمح لأمر علي أن يمتد إليها وهو الخليفة الحق بعد ذي النورين عثمان ، وأن من حقه على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا أخذ في إعداد جيش وعزم على قتال أهل الشام ولما رآه ولده الحسن رضي الله عنه يهيء الجيش لقتال أهل الشام حاول أن يثنيه عن ذلك وقال له : يا أبتي دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين »[2] . فلم يسمع لقوله بل هيأ الجيش ودفع اللواء إلى ولده محمد بن علي - المعروف بابن الحنفية - غير أنه لم يتمكن مما قصده من تسيير الجيش إلى بلاد الشام فإنه جاءه ما شغله عن ذلك وهو توجه أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم إلى البصرة وعندما بلغ هذا الخبر علياً - رضي الله عنه - عدل عن وجهته إلى الشام وغير رأيه وتوجه إلى البصرة بدلًا من الشام وهكذا بدأ النزاع يتدرج بين الصحابة رضي الله عنهم من طور المكاتبة والمحاورة إلى طور التعبئة وتجهيز الجيوش استعداداً للقتال والمواجهة للضرب بالسيوف وقد تمثل ذلك في موقعتين :

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٧/٢٨٣ .

(٢) المصدر السابق ٧/٢٥٠ .

الأولى : موقعة الجمل .

الثانية : موقعة صفين .

أما موقعة الجمل فقد دارت رحا الحرب فيها بين علي رضي الله عنه ومن معه وبين أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومن معهم رضي الله عنهم وذلك أنه : « لما وقع قتل عثمان بعد أيام التشريق سنة خمس وثلاثين للهجرة – كان أزواج النبي ﷺ – أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل أقمن بمكة[1] وقد تجمع بمكة خلق كثير وجم غفير من سادات الصحابة منهم طلحة والزبير حيث استأذنا علياً في الاعتمار فأذن لهما فخرجا إلى مكة وتبعهما كثير من الناس وكذا قدم إلى مكة ابن عمر ومن اليمن يعلى بن أمية عامل عثمان عليها وعبد الله بن عامر عامله على البصرة و لم يزل الناس حينذاك يفدون على مكة ولما كثروا فيها قامت فيهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فحثتهم على القيام بطلب دم عثمان وذكرت ما افتات به أولئك من قتله في بلد حرام وشهر حرام ولم يراقبوا جوار رسول الله ﷺ وقد سفكوا الدماء وأخذوا الأموال ، فاستجاب الناس لها وطاوعوها على ما تراه من الأمر بالمصلحة وقالوا : لها : حيثما سرت سرنا معك وبعد أن تعددت آراؤهم في تحديد الجهة التي يسيرون إليها أجمعوا على الذهاب إلى البصرة فلما أتوا البصرة منعهم من دخولها عثمان بن حنيف عامل علي عليها حينذاك وجرت بينه وبينهم مراسلة ومحاورة حتى وصل الأمر بهم إلى المشاجرة ثم ما لبثوا أن اصطلحوا بعد ذلك إلى أن يقدم علي رضي الله عنه لأنه بلغهم أنه متوجه إليهم – وكما تقدم قريباً أنه عدل عن المسير إلى الشام بعد أن بلغه مسير أم المؤمنين عائشة إلى البصرة فأخذ في الاتجاه بعدهم في جمع كبير وهو يرجو أن يدركهم قبل وصولهم إلى البصرة فلما علم أنهم قد فاتوه ، استمر في طريقه إليهم قاصداً البصرة من أرض

---

(١) البداية والنهاية ٧/٢٥٠ .

العراق »[1] .

لما انتهى إلى البصرة كاتب أبا موسى الأشعري رضي الله عنه - عامله على الكوفة وطلب منه أن يستنفر الناس ليلحقوا به غير أن أبا موسى رضي الله عنه كان يرى عكس رأى علي فكان يدعو إلى القعود ويقول : « إنما هي فتنة وجعل كلما جاء رسول من عند علي رده بمثل ذلك حتى أرسل علي ابنه الحسن وعمار ابن ياسر فقال الحسن لأبي موسى : لم تثبط الناس عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء فقال : صدقت بأبي وأمي ولكن المستشار مؤتمن سمعت النبي ﷺ يقول : « **إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب** »[2] وقد جعلنا الله إخواناً وحرم علينا دماءنا وأموالنا فكان كلما قام رجل فحرض الناس على النفير يثبطهم أبو موسى من فوق المنبر - ولكن مع ذلك استجاب للنفير كثير من الناس فخرج مع الحسن جمع كبير من أهل الكوفة وقدموا على علي رضي الله عنه فتلقاهم بذي[3] قار إلى أثناء الطريق في جماعة منهم ابن عباس فرحب بهم وقال : يا أهل الكوفة أنتم لقيتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فإن يرجعوا فذاك الذي نريده وإن أبوا داويناهم بالرفق حتى يبدءونا بالظلم ، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى »[4] وفي هذا توضيح لمقصد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأن - مقصده الأول والأخير هو طلب الإصلاح وأن القتال كان غير محبب إلى نفسه لا سيما مع إخوانه البررة أصحاب رسول الله ﷺ وهكذا كان مقصد أم المؤمنين

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٤/٤٥٥ ، الكامل ٣/٢٢١ - ٢٢٢ ، البداية والنهاية ٧/٢٥٥ .

(٢) الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة ٤/٢٢٥ ورواه مسلم أيضاً ٤/٢٢١٢ .

(٣) ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط ... وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس « معجم البلدان » ٤/٢٩٣ .

(٤) انظر تاريخ الأمم والملوك ٤/٤٧٧ - ٤٧٨ ، الكامل ٣/٢٢٧ - ٢٣٢ ، البداية والنهاية ٧/٢٥٧ - ٢٥٨ .

عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير من خروجهم من مكة إلى البصرة من أرض العراق هو التماس الإصلاح بين المسلمين بأمر يرتضيه طرفا النزاع ويحسم به الاختلاف وتجتمع به كلمة المسلمين ولم يخرجوا مقاتلين ولا داعين لأحد منهم ليولوه الخلافة وهذا ما قرره العلماء من أهل السنة ، قال أبو محمد بن حزم رحمه الله تعالى : « وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم ومن معهم فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها ولا ذكروا فيه جرحة تحطه عن الإمامة ولا أحدثوا إمامة أخرى ولا جددوا بيعة لغيره هذا ما لا يقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه بل يقطع كل ذي علم على أن كل ذلك لم يكن فإذ لا شك في كل هذا فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافاً عليه ولا نقضاً لبيعته ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته هذا مما لا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد فصح أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلماً ، وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة[1] والتدبير عليهم فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم في دعوى حتى خالطوا عسكر علي فدفع أهله عن أنفسهم وكل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بديء بها بالقتال واختلط الأمر اختلاطاً لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب وإضرامه فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها مدافعة عن نفسها »[2] .

وقال أبو بكر بن العربي في صدد ذكره للغرض الذي خرجت له عائشة ومن معها من مكة إلى البصرة : « ويمكن أنهم خرجوا في جمع طوائف المسلمين

---

(١) أي : الطلب « انظر لسان العرب » ٤٣٠/٨ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٥٨/٤ .

وضم نشرهم وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا وهذا هو الصحيح لا شيء سواه »[1] .

وقال أبو الوليد بن رشد المالكي[2] : بعد ذكره قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾[3] الآية « فأرادت عائشة رضي الله عنها بقولها والله أعلم : ما رأيت ما ترك الناس في هذه الآية » نسبة التقصير إلى من أمسك من الصحابة عن الدخول في الحرب التي وقعت بينهم واعتزلهم وكف عنهم ولم يكن مع بعضهم على بعض ورأت أن الحظ لهم والواجب عليهم إنما كان أن يروموا الإصلاح بينهم »[4]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في صدد ذكره لبعض الأدلة التي تدل على أن عائشة رضي الله عنها ما خرجت إلا للإصلاح : « ويدل لذلك أن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً في الخلافة ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة »[5] .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : « وبلغ الخبر[6] عائشة وهي حاجة ومعها طلحة والزبير فخرجوا إلى البصرة يريدون الإصلاح بين الناس واجتماع الكلمة »[7] .

فأهل السنة والجماعة مجمعون على أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما قصدت بخروجها إلى البصرة إلا الإصلاح بين بنيها رضي الله عنها وبهذا وردت – أخبار منها :

---

(١) العواصم من القواصم ص ١٥١ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن رشد (الجد) المتوفي سنة عشرين وخمسمائة انظر ترجمته في « الغنية » للقاضي عياض ص ١٢٢ – ١٢٣ .

(٣) سورة الحجرات آية / ٩ .

(٤) البيان والتحصيل ٣٦٠/١٦ .

(٥) فتح الباري ٥٦/١٣ .

(٦) أي : خبر قتل عثمان رضي الله عنه .

(٧) مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٢٥١ .

(١) روى ابن جرير الطبري : أن عثمان بن حنيف لما بلغه مجيء عائشة رضي الله عنها إلى البصرة أرسل إليها عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي فقال لهما : « انطلقا » إلى هذه المرأة فاعلما علمها ، وعلم من معها فخرجا فانتهيا إليها وإلى الناس وهم بالحفير[1] فاستأذنا فأذنت لهما فسلما وقالا : إن أميرنا بعثنا إليك نسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا ؟ فقالت : والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم ولا يغطي لبنيه الخبر إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث وآووا فيه المحدثين واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله ، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام ، فسفكوه وانتهبوا المال الحرام ، وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ومزقوا الأعراض والجلود وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا وقرأت ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[2] .

(٢) وروى أيضاً : أن علياً رضي الله عنه لما نزل بذي قار دعا القعقاع ابن عمرو فأرسله إلى أهل البصرة وقال له : الق هذين الرجلين يا ابن الحنظلية فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظم الفرقة .. فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة رضي الله عنها فسلم عليها وقال : أي أمه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت أي بني إصلاح بين الناس قال : فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما فبعثت إليهما فجاءا فقال : إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد ؟ فقالت : إصلاح بين الناس فما تقولان أنتما ؟

---

(١) الحفير : ماء لباهلة بينه وبين البصرة أربعة أميال « معجم البلدان » ٢٧٧/٢ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٤٦١/٤ - ٤٦٢ ، الكامل ٢١١/٣ ، البداية والنهاية ٢٥٢/٧ .

أمتابعان أم مخالفان ؟ قالا : متابعان قال : فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح ؟ فوالله لئن عرفناه لنصلحن ، ولئن أنكرناه لا نصلح قالا : قتلة عثمان رضي الله عنه فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن »[1] .

(٣) لما رجع القعقاع بن عمرو إلي علي رضي الله عنه وأخبره أن أصحاب الجمل استجابوا إلى ما بعثه به إليهم أذعن علي لذلك وبعث إلى طلحة والزبير يقول : « إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر فأرسلا إليه : « إنا على ما فارقنا عليه القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس »[2] ففي هذه الأخبار دليل واضح على أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لم تكن تقصد بخروجها هي ومن معها تفريق الجماعة ولا شفاء حقد بينها وبين علي كما يزعمه ذلك مبغضوا الصحابة من الرافضة ، وإنما الغرض الذي كانت تريده الإصلاح بين الناس ابتغاء مرضات الله راجية الثواب على ذلك من الله ، كما أن الذين طلبوا منها الخروج وهم طلحة والزبير ومن معهما كانوا كذلك ، وكانوا يعلقون آمالًا على خروجها في حسم الاختلاف وجمع الكلمة ولم يكن يخطر على بالهم قتل أحد لأنهم ما أرادوا إلا الإصلاح ما استطاعوا .

قال أبو بكر بن العربي في صدد ذكره لبيان الغرض الذي خرجت من أجله أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي ومن معها قائلًا : « فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم فيراعوا حرمة نبيهم واحتجوا عليها عندما حاولت الامتناع بقول الله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[3] ثم قالوا لها: إن النبي ﷺ قد خرج في الصلح وأرسل فيه فرجت المثوبة واغتنمت

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٤/٤٤٨ ، الكامل لابن الأثير ٣/٢٣٣ ، البداية والنهاية ٧/٢٥٩ .

(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٧/٢٦١ .

(٣) سورة النساء آية / ١١٤ .

الفرصة وخرجت حتى بلغت الأقضية مقاديرها »[1] .

وقال أيضاً : في معرض الرد على من قال : إن أهل البصرة لما عرفوا بمجيىء عائشة وطلحة والزبير خرجوا ليقاتلوهم وعلى رأسهم حكيم بن جبلة قال في شأن حكيم هذا : « وعن أي شيء كان يدافع ؟ وهم ما جاءوا مقاتلين ولا ولاة ، وإنما جاءوا ساعين في الصلح راغبين في تأليف الكلمة ، فمن خرج إليهم ودافعهم وقاتلهم دافعوا عن مقصدهم كما يفعل في سائر الأسفار والمقاصد »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن بين بطلان الحديث الذي نصه أن النبي ﷺ قال لعائشة : « **تقاتلين علياً وأنت ظالمة** » بين أن هذا الحديث لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة ولا له إسناد معروف وبين أنه إلى الموضوعات أشبه ثم قال بعد ذلك : « فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين » ... لا قاتلت ولا أمرت بقتال هكذا ذكر غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار »[3] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى مبيناً القصد الذي خرجت من أجله عائشة رضي الله عنها هي ومن معها : « والعذر في ذلك عن عائشة أنها كانت متأولة هي وطلحة والزبير وكان مرادهم إيقاع الإصلاح بين الناس وأخذ القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنهم أجمعين وكان رأي علي الاجتماع على الطاعة وطلب أولياء المقتول القصاص ممن يثبت عليه القتل بشروطه »[4] .

فلا مقصد إذن من خروج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي ومن معها من الصحابة من مكة إلى البصرة إلا بغية الإصلاح بين المسلمين ولم تخرج لقتال ولا أمرت به ثم أيضاً : إن فكرة الصلح لم تكن عند أم المؤمنين عائشة رضي الله

---

(١) العواصم من القواصم ص ١٥٢ .
(٢) المصدر السابق ص ١٥٤ .
(٣) منهاج السنة ١٨٥/٢ .
(٤) فتح الباري ١٠٨/٧ .

عنها هي ومن معها فحسب بل كانت أيضاً : تجول في فكر علي رضي الله عنه ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ وقد تقدم معنا قريباً أن علياً رضي الله عنه بعث إلى طلحة والزبير يقول : « إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر » فأرسلا إليه : « إنا على ما فارقنا عليه القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس »[1] ولما كان جوابهم على علي رضي الله عنه بهذا « اطمأنت النفوس وسكنت واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين فلما أمسوا بعث علي عبد الله بن عباس إليهم وبعثوا إليه محمد بن طلحة السجاد وعولوا جميعاً على الصلح وباتوا بخير ليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية »[2] فهكذا كانت فكرة الصلح مسيطرة على عقول الجميع من الطرفين كما كانت هدفهم الذي يهدفون إليه حتى في وقت استعدادهم للقتال وفي أثناء تنظيم الجيوش .

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى : « ولما خرج طلحة والزبير نزلت مضر جميعاً وهم لا يشكون في الصلح ، ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكون في الصلح ونزلت اليمن أسفل منهم ولا يشكون في الصلح ... ونزل علي بحيالهم ، فنزلت مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة ، واليمن إلى اليمن فكان بعضهم يخرج إلى بعض لا يذكرون إلا الصلح وكان أصحاب علي عشرين ألفاً ، وخرج علي وطلحة والزبير فتوافقوا فلم يروا أمراً أمثل من الصلح ووضع الحرب فافترقوا على ذلك »[3] .

ولما أرسلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلي علي رضي الله عنه تعلمه أنها إنما جاءت للصلح فرح هؤلاء وهؤلاء لاتفاقهم على رأي واحد وهو الصلح ولما رجع القعقاع بن عمرو من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم « جمع علي الناس ثم قام خطيباً فيهم – فحمد الله – عز وجل وأثنى عليه وصلى على النبي

---

(١) البداية والنهاية ٢٦١/٧ .

(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك ٥٠٦/٤ ، الكامل لابن الأثير ٢٤٢/٣ ، البداية والنهاية ٢٦١/٧ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٥٠٥/٤ ، الكامل لابن الأثير ٢٤١/٣ – ٢٤٢ .

ﷺ وذكر الجاهلية وشقاءها ، والإسلام والسعادة وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ﷺ ، ثم الذي يليه - ثم حدث هذا الحدث الذي جره على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة وأرادوا رد الأشياء على أدبارها ، والله بالغ أمره ، ومصيب ما أراد ألا وإني راحل غداً فارتحلوا ، ألا ولا يرتحلن معي أحد أعان على قتل عثمان في شيء من أمور الناس »[1] .

ففكرة الصلح كانت هي المقصد الذي يطلبه الفريقان واتفقوا عليه وكان المسلمون حينئذ مجمعين على وجوب إقامة الحد وتنفيذ القصاص في قتلة عثمان ولم يخطر القتال على بال أحد منهم ، ولكن المفسدين في الأرض الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه أصابهم الغم وأدركهم الحزن من اتفاق الكلمة وجمع الشمل ، وأيقنوا أن الصلح الذي حصل الاتفاق عليه بين علي وأم المؤمنين وطلحة والزبير رضي الله عنهم سيكشف أمرهم وسيسلم رؤوسهم إلى سيف الحق وقصاص الخليفة فباتوا يدبرون أمرهم بليل شديد الظلمة فلم يجدوا سبيلًا لنجاتهم إلا بأن يعملوا على إبطال الصلح وتفريق صفوف المسلمين وذلك بأن يقوموا بعمل يحير العقلاء ويجعل كل فريق يسيء الظن بالآخر . فقد أجمعوا على إنشاب الحرب في السر واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر وخاصة بعد أن تيقنوا أن رأي علي فيهم موافق لرأي طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم وقض مضجعهم قوله رضي الله عنه في خطبته التي ذكرناها آنفاً : ألا وإني راحل غداً فارتحلوا ألا ولا يرتحلن معي أحد أعان على قتل عثمان في شيء من أمور الناس »[2] « فلما قال هذا اجتمع من رؤوسهم جماعة كالأشتر النخعي ، وشريح بن أوفى وعبد الله بن سبأ - المعروف بابن السوداء ، وسالم بن ثعلبة

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٤/٤٩٣ ، وانظر البداية والنهاية ٧/٢٦٠ .

(٢) البداية والنهاية ٧/٢٦٠ .

وعلياء بن الهيثم وغيرهم في ألفين وخمسمائة وليس فيهم صحابي ولله الحمد فقالوا : ما هذا الرأي ؟ وعلي والله أعلم بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان ، وأقرب إلى العمل بذلك وقد قال ما سمعتم غداً يجمع عليكم الناس ، وإنما يريد القوم كلهم أنتم فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم ؟

فقال الأشتر : قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا وأما رأي علي فلم نعرفه إلى اليوم فإن كان اصطلح معهم فإنما اصطلحوا على دمائنا ، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا علياً بعثمان فرضي القوم منا بالسكوت فقال ابن السوداء : بئس ما رأيت لو قتلناه قتلنا فإنا يا معشر قتلة عثمان - في ألفين وخمسمائة - وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف لا طاقة لكم بهم وهم إنما يريدونكم .

فقال علياء بن الهيثم : دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها فقال ابن السوداء : بئس ما قلت ، إذاً والله كان يتخطفكم الناس ، ثم قال ابن السوداء : قبحه الله يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فإذا التقى الناس فأنشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون ، فمن أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يحبون ويأتيهم ما يكرهون فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه »[1] فاجتمعوا على هذا الرأي الذي تفوه به الخبيث عبد الله بن سبأ اليهودي « فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم فخرجوا متسللين وعليهم ظلمة فخرج مضريهم إلى مضريهم ، وربيعهم إلى ربيعهم ويمانيهم إلى يمانيهم فوضعوا فيهم السلاح بغتة فثار أهل البصرة ، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين أتوهم ، وبلغ طلحة والزبير ما وقع من الاعتداء على أهل البصرة فقالا : ما هذا ؟ قالوا : طرقنا أهل الكوفة ليلًا وفي نفس الوقت حسب خطة أولئك المفسدين ذهبت منهم فرقة أخرى في ظلمة الليل ففاجأت معسكر علي بوضع السيف فيهم وقد وضعت السبئيه رجلًا قريباً من علي يخبره بما يريدون

---

(١) البداية والنهاية ٢٦٠/٧ .

فلما سمع علي الصوت عندما هجموا على معسكره قال : ما هذا ؟ قال ذلك الرجل : ما شعرنا إلا وقوم من أهل البصرة قد بيتونا »[1] .

« فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا اللأمة وركبوا الخيول ، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر وكان أمر الله قدراً مقدوراً وقامت الحرب على قدم وساق وتبارز الفرسان ، وجالت الشجعان فنشبت الحرب وتوافق الفريقان وقد اجتمع مع علي عشرون ألفاً ، والتف على عائشة ومن معها نحو من ثلاثين ألفاً فإنا لله وإنا إليه راجعون والسبئية أصحاب ابن السوداء - قبحه الله - لا يفترون عن القتل ومنادي علي ينادي ألا كفوا ، ألا كفوا فلا يسمع أحد »[2] فاشتدت المعركة وحمي الوطيس «و قد كان من سنتهم في هذا اليوم أنه لا يذفف[3] على جريح ولا يتبع مدبر وقد قتل من هذا خلق كثير جداً »[4] حتى حزن علي رضي الله عنه أشد الحزن وجعل يقول لابنه الحسن : يا بني ليت أباك مات منذ عشرين سنة فقال له : يا أبه قد كنت أنهاك عن هذا قال : يا بني إني لم أر أن الأمر يبلغ هذا »[5] ثم نزل بنفسه إلى ميدان المعركة لإنهاء القتال « وطلب طلحة والزبير ليكلمهما فاجتمعوا حتى التقت أعناق خيولهم فذكرهما بما ذكرهما به فانتهى الأمر برجوع الزبير يوم الجمل وفي أثناء رجوعه رضي الله عنه « نزل وادياً يقال له : وادي السباع فاتبعه رجل يقال له عمرو بن جرموز فجاءه وهو نائم فقتله غيلة »[6] وأما طلحة رضي الله عنه فإنه بعد « أن اجتمع به علي فوعظه تأخر فوقف في بعض الصفوف فجاءه سهم غرب فوقع في ركبته

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٥٠٦/٤ - ٥٠٧ ، الكامل لابن الأثير ٢٤٢/٣ البداية والنهاية ٢٦١/٧ - ٢٦٢ ، فتح الباري ٥٦/١٣ .
(٢) البداية والنهاية ٢٦٢/٧ .
(٣) أي : لا يجهز عليه « النهاية في غريب الحديث » ١٦٢/٢ .
(٤) البداية والنهاية ٢٦٢/٧ .
(٥) ذكره ابن كثير في البداية ٢٦٢/٧ .
(٦) انظر تاريخ الأمم والملوك ٥٣٥/٤ ، البداية والنهاية ٢٦٤/٧ ، الرياض النضرة ٢٨٨/٤ .

وقيل في رقبته والأول أشهر ، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كاد يلقيه وجعل يقول : إلي عباد الله فأدركه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها ويقال : إنه مات بالمعركة »[1] ولم تنته موقعة الجمل برجوع الزبير واستشهاد طلحة رضي الله عنهما بل اشتدت الحرب بين الفريقين حتى أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقدمت وهي في هودجها وناولت كعب بن سور قاضي البصرة مصحفاً وقالت ادعهم إليه وذلك حين اشتد الحرب وحمي القتال فلما تقدم كعب بن سور بالمصحف يدعو إليه استقبله مقدمة جيش الكوفيين وكان عبد الله بن سبأ - وهو ابن السوداء - وأتباعه بين يدي الجيش يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة لا يتوقفون في أحد ، فلما رأوا كعب بن سور رافعاً المصحف رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد فقتلوه ووصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فجعلت تنادي الله الله يابَنيَّ اذكروا يوم الحساب ورفعت يديها تدعو على أولئك النفر من قتلة عثمان ، فضج الناس معها بالدعاء حتى بلغت الضجة إلى علي فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أم المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم فقال : اللهم العن قتلة عثمان »[2] .

ولما رأى علي رضي الله عنه أن المعركة حميت حول الجمل أمر بعقره على ما يقال كي لا تصاب أم المؤمنين لأنها بقيت غرضاً للرماة ولينفصل هذا الموقف الذي تفاني فيه الناس ولما سقط البعير إلى الأرض انهزم من حوله من الناس وانتهت المعركة وحملت أم المؤمنين بأمر من علي وهي مكرمة معززة ودخلت البصرة ومعها أخوها محمد بن أبي بكر »[3] . وأما علي رضي الله عنه ، فإنه « أقام بظاهر البصرة ثلاثاً ثم صلى على القتلى من الفريقين ... ثم جمع ما وجد لأصحاب عائشة في المعسكر ، وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة فمن عرف شيئاً هو

---

(١) البداية والنهاية ٢٦٤/٧ ، ٢٧٠ ، الرياض النضرة في مناقب العشرة ٢٦٦/٤ .

(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ٥١٣/٤ ، البداية والنهاية ٢٦٤/٧ .

(٣) انظر تاريخ الأمم والملوك ٥٣٣/٤ - ٥٣٤ ، البداية والنهاية ٢٦٦/٧ - ٢٦٧ .

لأهلهم فليأخذه إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين – عشرة آلاف خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء رحمهم الله ورضي عن الصحابة منهم وقد سأل بعض أصحاب علي علياً أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير فأبى عليهم »[1] .

« ولما أرادت أم المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها علي رضي الله عنه بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك وأذن لمن نجا ممن جاء في الجيش معها – أن يرجع إلا أن يحب المقام ، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر ، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه ، جاء علي فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار[2] في الهودج فودعت الناس ودعت لهم وقالت : يا بني لا يعتب بعضنا على بعض إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها فقال علي : صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة وسار علي معها مودعاً ومشيعاً أميالًا ، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين – وقصدت في مسيرها ذلك إلى مكة ، فأقامت بها إلى أن حجت عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة رضي الله عنها »[3] .

ومما تقدم ذكره بشأن موقعة الجمل تبين أن القتال وقع بين الصحابة فيما بينهم كان بدون قصد منهم ولا اختيار وأن حقيقة المؤامرة التي قام بها قتلة عثمان خفيت على كلا الفريقين حتى ظن كل منهما أن الفريق الآخر قصده بالقتال .

وقد وضح حقيقة هذه المؤامرة العلامة ابن حزم وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله قال أبو محمد بن حزم : « وأما أهل الجمل فما قصدوا قط قتال علي

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٥٣٨/٤ – ٥٣٩ ، البداية والنهاية ٢٦٧/٧ .

(٢) هي دار عبد الله بن خلف الخزاعي وهي أعظم دار كانت بالبصرة « تاريخ الطبري » ٥٣٩/٤ ، البداية والنهاية ٢٦٧/٧ .

(٣) البداية والنهاية ٢٦٨/٧ – ٢٦٩ .

رضوان الله عليه ولا قصد علي رضوان الله عليه قتالهم وإنما اجتمعوا بالبصرة للنظر في قتلة عثمان رضوان الله عليه وإقامة حق الله تعالى فيهم ، فتسرع الخائفون على أنفسهم أخذ حد الله تعالى منهم وكانوا أعداداً عظيمة يقربون من الألوف - فأثاروا القتال خفية حتى اضطر كل واحد من الفريقين إلى الدفاع عن أنفسهم إذ رأوا السيف قد خالطهم »[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء[٢] قصد في القتال ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم فإنه لما تراسل علي وطلحة والزبير وقصدوا الاتفاق على المصلحة وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة وكان علي غير راض بقتل عثمان ولا معيناً عليه كما كان يحلف فيقول : والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله[٣] وهو الصادق البار في يمينه فخشي القتلة أن يتفق علي معهم على إمساك القتلة فحملوا دفعاً عن أنفسهم فظن علي أنهم حملوا عليه فحمل دفعاً عن نفسه فوقعت الفتنة بغير اختيارهم »[٤] .

فهكذا أنشب الحرب بين علي وأخويه الزبير وطلحة قتلة عثمان الأشرار دون أن يفطن لذلك أولئك الأخيار من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم .

*** وأما موقعة صفين :[٥]**

فقد دارت رحا الحرب فيها بين أهل العراق من أصحاب علي رضي الله عنه وبين أهل الشام من أصحاب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ذلك أن علياً رضي الله عنه لما فرغ من وقعة الجمل ودخل البصرة وشيع أم المؤمنين

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام ٨٥/٢ .

(٢) المقصود بالإشارة إلى الصحابة الذين اقتتلوا في موقعة الجمل .

(٣) انظر المصنف لابن أبي شيبة ٢٠٨/١٥ - ٢٠٩ ، المصنف لعبد الرزاق ٤٥٠/١١ ، المستدرك ٩٥/٣ .

(٤) منهاج السنة ١٨٥/٢ .

(٥) صفين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس وفيه كانت وقعة صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في شهر صفر سنة ٣٧ هجرية معجم البلدان ٤١٤/٣ .

عائشة رضي الله عنها لما أرادت الرجوع إلى مكة ثم سار من البصرة إلى الكوفة فدخلها وكان في نيته أن يمضي ليرغم أهل الشام على الدخول في طاعته كما كان في نية معاوية ألا يبايع حتى يقام الحد على قتلة عثمان رضي الله عنه ، أو يسلموا إليه ليقتلهم ولما دخل علي رضي الله عنه الكوفة شرع في مراسلة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فقد بعث إليه جرير بن عبد الله البجلي ومعه كتاب أعلمه فيه « باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ودعاه فيه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه الكتاب فطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان ، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان وإن لم يفعل لم يبايعوه حتى يقتل قتلة عثمان رضي الله عنه فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا : وحينئذ خرج من الكوفة عازماً على دخول الشام فعسكر بالنخيلة[1] وبلغ معاوية أن علياً قد خرج بنفسه فاستشار عمرو بن العاص فقال له : اخرج أنت أيضاً بنفسك فتهيأ أهل الشام وتأهبوا ، وخرجوا أيضاً : إلى نحو الفرات من ناحية صفين حيث يكون مقدم علي بن أبي طالب رضي الله وسار علي رضي الله عنه بمن معه من الجنود من النخيلة قاصداً أرض الشام فالتقى الجمعان في صفين - أوائل ذي الحجة سنة ست وثلاثين »[2] .

ومكث علي يومين لا يكاتب معاوية ، ولا يكاتبه معاوية ، ثم دعا علي بشير بن عمرو الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني ، وشبث بن ربعي التميمي فقال لهم : ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول لكم : فلما دخلوا على معاوية جرى بينه وبينهم حوار لم يوصلهم إلى نتيجة فما كان من معاوية إلا أن أخبرهم أنه مصمم على القيام بطلب دم عثمان الذي قتل

---

(١) النخيلة : تصغير نخلة : موضع قرب الكوفة على سمت الشام وهو الموضع الذي خرج إليه علي رضي الله عنه « معجم البلدان » ٢٧٨/٥ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٥٦٣/٤ - ٥٦٥ ، الكامل ٢٧٦/٣ - ٢٧٩ ، البداية والنهاية ٢٧٦/٧ - ٢٧٧ .

مظلوماً »[1] . ولما رجع أولئك النفر إلى علي رضي الله عنه وأخبروه بجواب معاوية رضي الله عنه لهم وأنه لن يبايع حتى يقتل القتلة أو يسلمهم » عند ذلك نشبت الحرب بين الفريقين واقتتلوا مدة شهر ذي الحجة كل يوم ، وفي بعض الأيام ربما اقتتلوا مرتين ولما دخل شهر المحرم تحاجز القوم رجاء أن تقوم بينهم مهادنة وموادعة يؤول أمرها إلى الصلح بين الناس وحقن دمائهم »[2] ثم في خلال هذا الشهر بدأت مساعي الصلح والمراسلة تتكرر بين الطرفين ولكن انسلخ شهر المحرم ولم يحصل لهم أي اتفاق ، ولم يقع بينهم صلح .

ثم نشبت الحرب بين الطائفتين أياماً ثمانية وكان أشدها وأعنفها ليلة التاسع من صفر سنة سبع وثلاثين حيث سميت هذه الليلة « ليلة الهرير » تشبيهاً لها بليلة القادسية اشتد القتال فيها حتى توجه النصر فيها لأهل العراق على أهل الشام »[3]وتفرقت صفوفهم وكادوا ينهزمون فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح وقالوا : هذا بيننا وبينكم قد فنى الناس فمن لثغور أهل الشام بعد أهل الشام ، ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق ، فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت قالوا : نجيب إلى كتاب الله - عز وجل - وننيب إليه »[4] ولما رفعت المصاحف بالرماح توقفت الحرب ولما رفع أهل الشام المصاحف اختلف أصحاب علي رضي الله عنه وانقسموا عليه فمنهم : من رأى الموافقة على التحكيم ، ومنهم من كان يرى الاستمرار في القتال حتى يحسم الأمر ، وهذا كان رأي علي رضي الله عنه في باديء الأمر ، ثم وافق أخيراً على التحكيم » .

فتم الاتفاق بين الفريقين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين وهو أن يحكم

---

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك ٥٧٣/٤، الكامل لابن الأثير ٢٨٥/٣ - ٢٨٦ ، البداية والنهاية ٢٨٠/٧ .

(٢) انظر تاريخ الطبري ٥٧٤/٤ - ٥٧٥ ، ٥/٥ الكامل ٢٨٦/٣ - ٢٨٧ ، ص ٢٨٩ ، البداية والنهاية ٢٨٠/٧ - ٢٨١ .

(٣) انظر تاريخ الطبري ١٢/٥ - ٤٨ ، الكامل ٢٩٤/٣ - ٣١٥ ، البداية والنهاية ٢٨٤/٧ - ٢٩٧ .

(٤) انظر تاريخ الأمم والملوك ٤٨/٥ ، الكامل ٣١٦/٣ - ٣١٨ ، البداية والنهاية ٢٩٨/٧ .

كل واحد منهما رجلًا من جهته ، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين فوكل معاوية عمرو بن العاص ووكل علي أبا موسى الأشعري رضي الله عنهم جميعاً ، ثم أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين - كليهما - عهد الله وميثاقه أنهما على ما في ذلك الكتاب وأجلا القضاء إلى رمضان[1] وإن أحبا أن يؤخرا ذلك فعلى تراض منهما وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في رمضان ، ومع كل واحد من الحكمين أربعمائة من أصحابه ، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح[2] ولما كان شهر رمضان جعل الاجتماع كما تشارطوا عليه وقت التحكيم بصفين وذلك أن علياً رضي الله عنه لما كان مجيىء رمضان بعث أربعمائة فارس مع شريح بن هانيء ومعهم أبو موسى ، وعبد الله بن عباس وإليه الصلاة ، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة فارس من أهل الشام ومعهم عبد الله ابن عمر ، فتوافوا بدومة الجندل بأذرح وهي نصف المسافة بين الكوفة والشام بينها وبين كل من البلدين تسع مراحل - وشهد معهم جماعة من رؤوس الناس كعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام المخزومي وعبد الرحمٰن بن عبد يغوث الزهري ، وأبو جهم ابن حذيفة فلما اجتمع الحكمان وتراوضا على المصلحة للمسلمين ونظرا في تقدير أمور[3] ثم اتفقا على أن يكون الفصل في موضوع النزاع بين علي ومعاوية يكون لأعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم هذا ما اتفق

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤٨/٥ - ٤٩ ، الكامل ٣١٦/٣ - ٣١٨ ، البداية والنهاية ٢٩٨/٧ - ٢٩٩ .

(٢) أذرح : اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لأرض الحجاز « معجم البلدان » ١٢٩/١ .

(٣) البداية والنهاية ٣٠٢/٧ - ٣٠٣ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ، وانظر تاريخ الأمم والملوك ٦٧/٥ ، الكامل في التاريخ ٣٢٩/٣ .

عليه الحكمان فيما بينهما لا شيء سواه .

أما ما يذكره المؤرخون من أن الحكمين لما اجتمعا بأذرح من دومة الجندل[1] وتفاوضا واتفقا على أن يخلعا الرجلين فقال عمرو بن العاص لأبي موسى : اسبق بالقول فتقدم فقال : إني نظرت فخلعت علياً عن الأمر وينظر المسلمون لأنفسهم كما خلعت سيفي هذا من عنقي أو من عاتقي وأخرجه من عنقه فوضعه في الأرض ، وقام عمرو فوضع سفيه في الأرض وقال : إني نظرت فأثبت معاوية في الأمر : كما أثبت سيفي هذا في عاتقي وتقلده ، فأنكر أبو موسى فقال عمرو : كذلك اتفقنا وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف »[2] .

فهذه الحكاية وما يشبهها من اختلاق أهل الأهواء والبدع الذين لا يعرفون قدر أبي موسى وعمرو بن العاص ومنزلتهما الرفيعة في الإسلام . قال أبو بكر بن العربي مبيناً كذب ذلك : « هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط ، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع »[3] .

ولم يكتف الواضعون من أهل التاريخ بهذا بل وسموا الحكمين بصفات يتخذون منها وسيلة للتفكه والتندر ، وليتخذ منها أعداء الإسلام صوراً هزيلة لأعلام الإسلام في المواقف الحرجة ، فقد وصفوا عمرو بن العاص رضي الله عنه بأنه كان صاحب غدر وخداع »[4] ووصفوا أبا موسى بأنه كان أبله ضعيف

---

(١) دومة الجندل : اسم مكان على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول ﷺ وبعضهم يعدها من أعمال المدينة « معجم البلدان » ٤٨٦/٢ .

(٢) ذكره ابن العربي في العواصم من القواصم ص ١٧٤ - ١٧٦ ، وانظر تاريخ الأمم والملوك ٧١/٥ الكامل لابن الأثير ٣٣٢/٣ - ٣٣٣ ، البداية والنهاية ٣٠٩/٧ - ٣١٠ ومروج الذهب ٦٨٤/٢ - ٦٨٥ .

(٣) العواصم من القواصم ص ١٧٧ .

(٤) انظر تاريخ الطبري ٧٠/٥ - ٧١ ، الكامل لابن الأثير ٣٣٢/٣ - ٣٣٣ ، مروج الذهب ٦٨٤/٢ - ٦٨٥ .

الرأي مخدوع في القول كما وصفوه بأنه كان على جانب كبير من الغفلة »[1] ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضية التحكيم حيث اتفقا على خلع الرجلين فخلعهما أبو موسى واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية كل هذه الصفات الذميمة يحاول المغرضون إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا في خلاف كبير أدى إلى قتل الآلاف من المسلمين وكل ذي لب يعلم أن المسلمين لا يسندون الفصل في هذا الأمر إلى أبي موسى وعمرو بن العاص رضي الله عنهما إلا لعلمهم بما هما عليه من الفضل ، وأنهما من خيار الأمة المحمدية ، ومن أكثرهم ثقة وورعاً وأمانة فكيف يصف الغافلون هذين الرجلين بما وصفوهما به من المكيدة والخداع وضعف الرأي والغفلة ، ولكن تلك الأوصاف هي أليق بمن تفوه بها من أهل الأهواء ، وقد تجاهل أولئك الواصفون لأبي موسى وعمرو بما تقدم ذكره أموراً لو دققوا النظر فيها لاستحيوا من ذكر تلك الأوصاف وتلك الأمور هي :

* الأمر الأول :

أنهم تجاهلوا أن معاوية لم يكن خليفة ولا هو ادعى الخلافة يومئذ حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه أو تثبيتها له .

* الأمر الثاني :

أن سبب النزاع هو أخذ الثأر لعثمان رضي الله عنه من قتلته فلما طلب علي البيعة من معاوية « اعتل بأن عثمان قتل مظلوماً وتجب المبادرة إلى الاقتصاص من قتلته وأنه أقوى الناس على الطلب بذلك والتمس من علي أن يمكنه منهم ثم يبايع له بعد ذلك »[2] ومعنى هذا أن معاوية كان مسلماً لعلي بالخلافة لأنه طلب منه بوصفه الخليفة تسليم القتلة ، أو إقامة الحد عليهم باعتباره أمير المؤمنين ، وكان

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٧٠/٥ ، الكامل ٣٣٢/٣ - ٣٣٣ ، مروج الذهب ٦٨٤/٢ - ٦٨٥ .
(٢) فتح الباري ٢٨٤/١٢ .

رأي علي أن يدخل معاوية ومن معه من أهل الشام فيما دخل فيه الناس من البيعة له ، ثم يتقدم أولياء عثمان بالمحاكمة إليه « فإن ثبت على أحد بعينه أنه ممن قتل عثمان اقتص منه فاختلفوا بحسب ذلك »[١].

قال أبو محمد بن حزم مبيناً أن القتال الذي دار بين علي ومعاوية كان مغايراً لقتال علي الخوارج حيث قال : « وأما أمر معاوية رضي الله عنه فبخلاف ذلك ولم يقاتله علي رضي الله عنه لامتناعه من بيعته لأنه كان يسعه في ذلك ما وسع ابن عمر[٢] وغيره لكن قاتله لامتناعه من إنفاذ أوامره في جميع أرض الشام وهو الإمام الواجبة طاعته فعلي المصيب في هذا ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من ولد عثمان وولد الحكم ابن أبي العاص لسنه ولقوته على الطلب بذلك كما أمر رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن بن سهل أخا عبد الله بن سهل المقتول بخيبر بالسكوت وهو أخو المقتول وقال له : كبر كبر[٣] فسكت عبد الرحمٰن وتكلم محيصة وحويصة ابنا مسعود وهما ابنا عم المقتول لأنهما كانا أسن من أخيه »[٤] فلم يطلب معاوية من ذلك إلا ما كان له من الحق أن يطلبه وأصاب في ذلك الأثر الذي ذكرنا وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط فله أجر الاجتهاد في ذلك ولا إثم عليه فيما حرم من الإصابة كسائر المخطئين في اجتهادهم الذين أخبر رسول الله ﷺ أن لهم أجراً واحداً وللمصيب أجران — إلى أن قال — وقد علمنا أن من لزمه حق واجب وامتنع من أدائه وقاتل دونه فإنه يجب على

---

(١) فتح الباري ٥٦/١٣ .

(٢) كانت عادة ابن عمر رضي الله عنه عدم البيعة في حال الاختلاف وكان يبايع عند اجتماع الكلمة فقد أخرج يعقوب بن سفيان في تاريخه عن ابن عمر أنه قال : « ما كنت لأعطي بيعتي في فرقة ولا أمنعها من جماعة » أورده الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري ١٩٥/١٣ .

(٣) أي : اترك الكلام لمن هو أكبر منك سناً .

(٤) الحديث متفق عليه انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١٧٨/٢ .

الإمام أن يقاتله وإن كان منا وليس ذلك بمؤثر في عدالته وفضله ولا بموجب له فسقاً بل هو مأجور لاجتهاده ونيته في طلب الخير فبهذا قطعنا على صواب علي رضي الله عنه وصحة إمامته وأنه صاحب الحق وأن له أجرين أجر الاجتهاد ، وأجر الإصابة وقطعنا أن معاوية رضي الله عنه ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجراً واحداً »[1] .

فابن حزم رحمة الله عليه يقرر في هذا النص أن النزاع الذي كان بين علي ومعاوية إنما هو في شأن قتلة عثمان وليس اختلافاً على الخلافة إذ أن معاوية رضي الله عنه لم ينكر فضل علي واستحقاقه للخلافة وإنما امتنع عن البيعة حتى يسلمه القتلة أو يقتلهم وكان علي رضي الله عنه يستمهله في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك فتحكيمهما إذن إنما هو في محل النزاع ، وليس من أجل الخلافة .

*** الأمر الثالث :**

أن موقف أبي موسى الأشعري في التحكيم لم يكن أقل من موقف عمرو ابن العاص في شيء ولذلك عد المؤرخون المنصفون هذا الموقف من مفاخر أبي موسى بعد موته بأجيال وصار مصدر فخر لأحفاده من بعده حتى قال ذو الرمة الشاعر مخاطباً بلال بي أبي بردة بن أبي موسى الأشعري بأبيات منها : —

أبوك تلافى الدين والناس بعدما تشاءوا[2] وبيت الدين منقطع الكسر
فشد أصار الدين أيام أذرح ورد حروباً قد لقحن إلى عقر[3]

فلم يول رضي الله عنه في الفصل في قضية التحكيم إلا لما علم فيه من الفطنة والعلم وقدرته على حل المعضلات فقد ولاه النبي ﷺ هو ومعاذ ابن جبل قبل حجة الوداع على بلاد اليمن حيث بعث كل واحد منهما على

---

(١) الفصل في الملل والنحل ١٥٩/٤ – ١٦١ ، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٠٦/٤ .
(٢) أي : تنازعوا.
(٣) ديوان ذي الرمة ص ٣٦١ – ٣٦٢ ، معجم البلدان ١٣٠/١ .

مخلاف[1] وأوصاهما عليه الصلاة والسلام بأن ييسرا ولا يعسرا وأن يبشرا ولا ينفرا[2] وما توليته عليه الصلاة والسلام لأبي موسى إلا لعلمه بصلاحه للإمارة .

قال العلامة ابن حجر رحمه الله عند شرحه لحديث بعث النبي ﷺ أبا موسى ومعاذاً إلى اليمن : « واستدل به على أن أبا موسى كان عالماً فطناً حاذقاً ، ولولا ذلك لم يوله النبي ﷺ الإمارة ، ولو كان فوض الحكم لغيره لم يحتج إلى توصيته بما وصاه به ، ولذلك اعتمد عليه عمر ، ثم عثمان ، ثم علي وأما الخوارج والروافض فطعنوا فيه ونسبوه إلى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه في التحكيم بصفين[3] فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة ، وأن عمراً لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه ولم يقرر في التحكيم غير الذي قرره أبو موسى ولم يخرج عما اتفقا عليه من تفويض الحسم في موضع النزاع إلى النفر الذين بقوا على قيد الحياة ممن توفي عنهم رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم .

قال ابن كثير : « والحكمان كانا من خيار الصحابة وهما : عمرو بن العاص السهمي – من جهة أهل الشام والثاني : أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري – من جهة أهل العراق ، وإنما نصبا ليصلحا بين الناس ويتفقا على أمر فيه رفق بالمسلمين وحقن لدمائهم وكذلك وقع »[4] . وإذا كان قرارهما الذي اتفقا عليه لم يتم فما في ذلك تقصير منهما فهما قد قاما بمهمتهما بحسب ما أدى

---

(١) كان اليمن حينذاك مقسماً إلى مخلافين . « والمخلاف – بكسر الميم وسكون المعجمة وآخره فاء هو بلغة أهل اليمن وهو الكورة والإقليم – والرستاق – بضم الراء – وسكون المهملة بعدها مثناة وآخرها قاف وكانت جهة معاذ العليا إلى صوب عدن وكان من عمله الجند – بفتح الجيم والنون وله بها مسجد مشهور إلى اليوم وكانت جهة أبي موسى السفلى والله أعلم » فتح الباري ٦١/٨ ، وقد ذكر ياقوت أن اليمن مخاليف كثيرة انظر معجم البلدان ٦٧/٥ – ٧٠ .

(٢) انظر الحديث بطوله في صحيح البخاري ٧٢/٣ .

(٣) فتح الباري ٦٢/٨ .

(٤) البداية والنهاية ٢٤٥/٦ .

إليه اجتهادهما واقتناعهما ولو لم تكلفهما الطائفتان معاً بأداء هذه المهمة لما تعرضا لها ولا أبديا رأيا فيها ، وكل ما تقدم ذكره في هذا المبحث عن موقعتي الجمل وصفين وقضية التحكيم هو اللائق بمقام الصحابة فهو خال مما دسه الشيعة الرافضة وغيرهم على الصحابة في تلك المواطن من الحكايات المختلقة والأحاديث الموضوعة ومما يعجب له الإنسان أن أعداء الصحابة إذا دعوا إلى الحق أعرضوا عنه وقالوا : لنا أخبارنا ولكم أخباركم ونحن حينئذ نقول لهم : سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين .



* موقف أهل السنة من تلك الحرب :

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم هو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضي الله عنهم لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين وذلك من أعظم الذنوب وقالوا : إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويترضى عنهم ويترحم عليهم ويحفظ لهم فضائلهم ، ويعترف لهم بسوابقهم ، وينشر مناقبهم وأن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطيء في اجتهاده وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة ، ولم يجوز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم .

وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التي تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال وبما وصفوا به فيها وتلك النصوص هي : -

(١) قال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[١] .

ففي هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال لأنهم إخوة وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان حيث سماهم الله - عز وجل - مؤمنين وأمر بالإصلاح بينهم وإذ كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين ولم يخرجهم ذلك من الإيمان فأصحاب رسول الله ﷺ الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيماناً حقيقياً ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في

(١) سورة الحجرات آية / ٩ .

إيمانهم بحال لأنه كان عن اجتهاد[1] .

(٢) روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال : رسول الله ﷺ « **لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان وتكون بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة** »[2] .

فالمراد بالفئتين جماعة علي وجماعة معاوية والمراد بالدعوة الإسلام على الراجح وقيل المراد اعتقاد كل منهما الحق[3] .

(٣) وروى الإمام أحمد ومسلم : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق** »[4] والفرقة المشار إليها في الحديث هي ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وقد وصف ﷺ الطائفتين معاً بأنهما مسلمتان وأنهما متعلقتان بالحق . والحديث علم من أعلام النبوة « إذ قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين : أهل الشام وأهل العراق ، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام ، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً وهو مأجور إن شاء الله ولكن علي هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجره** »[5] .

(٤) وروى البخاري بإسناده إلى أبي بكرة قال : بينا النبي ﷺ يخطب

---

(١) انظر العواصم من القواصم لابن العربي ص ١٦٩-١٧٠، أحكام القرآن له أيضاً ١٧١٧/٤-١٧١٨.
(٢) المسند ٣١٣/٢ ، صحيح البخاري ٢٣١/٤ صحيح مسلم ٢٢١٤/٤ .
(٣) فتح الباري ٣٠٣/١٢ .
(٤) المسند ٤٨/٣ ، صحيح مسلم ٧٤٥/٢ .
(٥) البداية والنهاية لابن كثير ٣٠٥/٧ والحديث في صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣١٨/١٣ .

جاء الحسن فقال النبي ﷺ : « **ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين** »[1] .

ففي هذا الحديث شهادة من النبي ﷺ بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفروا علياً ومن معه ومعاوية ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام ولذا كان يقول سفيان ابن عيينة : « قوله فئتين من المسلمين يعجبنا جداً » قال البيهقي : وإنما أعجبهم لأن النبي ﷺ سماهما جميعاً مسلمين وهذا خبر من رسول الله ﷺ بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان »[2] .

فهذه الثلاثة الأحاديث المتقدم ذكرها كلها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان وقد وصفهم النبي ﷺ بأنهم من أمته[3] . كما وصفهم بأنهم جميعاً متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه كما شهد لهم ﷺ بأنهم مستمرون على الإيمان ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾[4] وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم رضي الله عنهم أجمعين فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم بل هم مجتهدون متأولون وقد بين الحكم في قتالهم ذلك علي رضي الله عنه فقد شهد للفريقين بالحسنى فقد روى ابن جرير الطبري أن علياً لما وصل البصرة خطب الناس فقام إليه أبو سلامة الدالاني فقال : أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله – عز وجل – بذلك قال : نعم قال : فترى لك حجة بتأخيرك

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٦١/١٣ .

(٢) الاعتقاد للبيهقي ص ١٩٨ ، وانظر فتح الباري ٦٦/١٣ .

(٣) في صحيح مسلم ٧٤٦/٢ « تكون في أمتي فرقتان فيخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق » .

(٤) سورة الحجرات آية / ٩ .

ذلك ؟ قال : نعم إن الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعاً قال : فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً ؟ قال : إني لأرجو ألا يقتل أحد نقى قلبه لله إلا أدخله الله الجنة »[1] .

وروى ابن سعد بإسناده إلى محمد بن علي – المعروف بابن الحنفية – قال : قال علي : إني لأرجو أن أكون وطلحة والزبير من الذين قال الله – عز وجل – : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[2] .

كما شهد رضي الله عنه بالحسنى للقتلى من الفريقين في موقعة صفين : –

فقد روى ابن أبي شيبة بإسناده إلى يزيد بن الأصم قال : سئل علي عن قتلى يوم صفين فقال : قتلانا وقتلاهم في الجنة[3] .

وشهادة علي رضي الله عنه للقتلى من الفريقين بالجنة شهادة حق وصدق لأن الباري – جل وعلا – أخبر بأنه وعد أصحاب رسول الله ﷺ بالجنة ووعده – سبحانه – حق وصدق لا خلف فيه .

قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ ﴾[4]

فالخطاب في هذه الآية الكريمة موجه لأصحاب رسول الله ﷺ والوعد فيها بالجنة لجميعهم رضي الله عنهم فكل من صحب رسول الله ﷺ بنية صادقة ولو ساعة واستمر على الإيمان حتى مات فإنه من أهل الجنة لا يدخل النار لتعذيب إلا أن الذين أسلموا من بعد الفتح وقاتلوا لا يلحقون من أسلم وقاتل قبل الفتح في المرتبة وعلو الدرجة وكلاً وعد الله الجنة ورضي عنهم ومن كمال ورع علي

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٤٩٦/٤ ، الكامل لابن الأثير ٣٣٧/٣ – ٣٣٨ ، البداية والنهاية ٢٦١/٧ .

(٢) الطبقات الكبرى ١١٣/٣ ، والبيهقي في الاعتقاد ص ١٩٥ والآية رقم (٤٧) من سورة الحجر .

(٣) المصنف ٣٠٣/١٥ وأورده الذهبي في كتابه « سير أعلام النبلاء » ١٤٤/٣ .

(٤) سورة الحديد آية / ١٠ .

رضي الله عنه أنه لم ينسب أحداً إلى الشرك أو إلى النفاق ممن قاتله من أهل القبلة بل كان يقول رضي الله عنه : « هم إخواننا بغوا علينا »[1] ذلك هو معتقد علي رضي الله عنه في قتلى الصحابة رضي الله عنهم في موقعتي الجمل وصفين فقد شهد للقاتل والمقتول منهم بالجنة لأنهم لم يقصدوا بقتالهم إلا الحق والاجتهاد و لم يكونوا مقاتلين لغرض دنيوي أو لإيثار باطل أو لدافع الحقد حاشاهم من كل ذلك وقد ثبت كذلك أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ترحمت على من قاتلها يوم الجمل أو قتل معها من صحابة رسول الله ﷺ .

فقد ذكر ابن الأثير : أنها رضي الله عنها لما كانت بالبصرة بعد وقعة الجمل سألت يومئذ عمن قتل من الناس منهم معها ومنهم عليها والناس عندها فكلما نعي واحد من الجميع قالت : يرحمه الله فقيل لها : كيف ذلك ؟ قالت : كذلك قال رسول الله ﷺ : « **فلان في الجنة ، وفلان في الجنة** »[2] .

وقولها رضي الله عنها : فلان في الجنة ، وفلان في الجنة تعني بذلك من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وسماه مثل طلحة والزبير رضي الله عنهما . ولقد تقدم معنا أن علياً رضي الله عنه تصرف فيما خلفه القتلى في يوم الجمل تصرفاً يدل على أن تلك الحرب لم تكن بين مسلمين وغير مسلمين وإنما هي حرب بين فريقين من المسلمين يرى كل فريق منهما أن الحق في جانبه حيث جمع كل مخلفات موقعة الجمل وبعث بها إلى مسجد البصرة وقال : « من عرف شيئاً فليأخذه إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان »[3] .

وصلى على جميع القتلى من الفريقين ودفن كثيراً منهم في قبر كبير[4] كل عمله هذا دل على إيمانه أنهم جميعاً كانوا يقاتلون اجتهاداً لا عناداً ولا شهوة ،

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ١٥/٣٣٢ .
(٢) الكامل في التاريخ ٣/٢٥٧ – ٢٥٨ .
(٣) انظر تاريخ ابن جرير الطبري ٤/٥٣٨ ، الكامل لابن الأثير ٣/٥٥ ، البداية والنهاية ٧/٢٦٧ .
(٤) انظر تاريخ الطبري ٤/٥٣٨ .

ولا شفاء خصومة كانت بينهم رضي الله عنهم أجمعين ومما ينبغي أن يعلم أن شهادة علي رضي الله عنه بالجنة للقتلى من الفريقين كما تقدم لا يدخل فيها من مرق عن الحق في إثارة الفتنة الأولى على عثمان كما لا يعد من إحدى الطائفتين اللتين وصفتا بأنهما متعلقتان بالحق وإن قاتل معها والتحق بها لأن الذين تلوثت أيديهم ونياتهم وقلوبهم بالبغي الظالم على أمير المؤمنين عثمان - كائناً من كانوا - استحقوا إقامة الحد الشرعي عليهم سواء استطاع ولي الأمر أن يقيم عليهم هذا الحد أو لم يستطع وفي حالة عدم استطاعته ، فإن مواصلتهم تسعير نار الحرب بين صالحي المسلمين كلما أحسوا منهم بالعزم على الإصلاح والتآخي كما فعلوا في وقعة الجمل وبعدها يعد إصراراً منهم على الاستمرار في الإجرام ما داموا على ذلك ، فإذا قال أهل السنة والجماعة : إن الطائفتين كانتا على الحق فإنما يريدون أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا في الطائفتين ومن سار معهم على سنته ﷺ من التابعين .

فالواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم مسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وهو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنهم ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم .

وكتب أهل السنة مملوءة ببيان عقيدتهم الصافية النقية في حق أولئك الصفوة المختارة وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في أقوالهم الحسنة التي منها .

(١) سئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عن القتال الذي حصل بين الصحابة فقال : تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر منها لساني مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون ، ودواء العيون ترك مسها »[1] .

---

(١) مناقب الشافعي للرازي ص ١٣٦ ، والإنصاف للباقلاني ص ٦٩ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٢/١٦ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٩٤/٥ .

قال البيهقي معلقاً على قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : « هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب »[1] .

والمسلم مطلوب منه أن يتحرز من الوقوع في الخطأ ، والحكم على بعض الصحابة بما لا يكون مصيباً فيه .

(٢) قال عامر بن شراحيل الشعبي رحمه الله تعالى في المقتتلين من الصحابة : « هم أهل الجنة لقي بعضهم بعضاً فلم يفر أحد من أحد »[2] .

(٣) سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال : قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا ، وعلموا وجهلنا ، واجتمعوا فاتبعنا ، واختلفوا فوقفنا »[3] .

ومعنى قول الحسن هذا : أن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه ، ونقف عندما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأياً منا ، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله – عز وجل – إذ كانوا غير متهمين في الدين »[4] .

(٤) سئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة فأجاب بقوله : أقول ما قال الله : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[5] .

(٥) قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى بعد أن قيل له : ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية قال : ما أقول فيهم إلا الحسنى[6] .

(٦) وقال أبو بكر المروذي : سمعت أبا عبد الله وذكر له أصحاب رسول الله فقال : رحمهم الله أجمعين ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو موسى

---

(١) ذكره عنه الرازي في مناقب الشافعي ص ١٣٦ .

(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣٠٣/٧ .

(٣) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٣٢/١٦ .

(٤) انظر للمصدر السابق ٣٣٢/١٦ .

(٥) ذكره الباقلاني في كتابه « الإنصاف » ص ٦٩ والآية رقم (٥٢) من سورة « طه » .

(٦) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ١٦٤ .

الأشعري والمغيرة كلهم وصفهم الله تعالى في كتابه فقال : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[1] .

(٧) قال إبراهيم بن آرز الفقيه : حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية ؟ فأعرض عنه فقيل له : يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه فقال : اقرأ ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2] .

(٨) وقال أبو الحسن الأشعري : « فأما ما جرى بين علي والزبير وعائشة رضي الله عنهم فإنما كان على تأويل واجتهاد ، وعلي الإمام وكلهم من أهل الاجتهاد وقد شهد لهم النبي ﷺ بالجنة والشهادة فدل على أنهم كلهم على حق في اجتهادهم وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان على تأويل واجتهاد ، وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين ، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم والتبري ممن ينقص أحداً منهم رضي الله عن جميعهم »[3] .

(٩) وقال ابن أبي زيد القيرواني في صدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله ﷺ وما ينبغي أن يذكروا به فقال : « وأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس – لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب »[4] .

(١٠) وقال أبو نعيم الأصبهاني مبيناً حق الصحابة على المسلمين بعدهم وما يجب عليهم نحوهم : « فالواجب على المسلمين في أصحاب رسول الله ﷺ إظهار ما مدحهم الله تعالى به وشكرهم عليه من جميل أفعالهم وجميل سوابقهم

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ١٢٦ والآية رقم (٢٩) من سورة الفتح .

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ١٢٦ والآية رقم (١٤١) من سورة البقرة .

(٣) الإبانة عن أصول الديانة ص ٧٨ .

(٤) رسالته المشهورة مع شرحها الثمر الداني في تقريب المعاني ص ٢٣ .

وأن يغضوا عما كان منهم في حال الغضب والإغفال وفرط منهم عند استزلال الشيطان إياهم ونأخذ في ذكرهم بما أخبر الله تعالى به فقال تعالى :﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾[1] الآية فإن الهفوة والزلل والغضب والحدة والإفراط لا يخلو منه أحد وهو لهم مغفور ولا يوجب ذلك البراءة منهم ولا العداوة لهم ولكن يحب على السابقة الحميدة ويتولى للمنقبة الشريفة »[2] .

(١١) وقال أبو عبد الله بن بطة رحمه الله أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة : « ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم »[3] اهـ .

(١٢) قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني : « ويجب أن يعلم : أن ما جرى بين أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم من المشاجرة نكف عنه ونترحم على الجميع ونثني عليهم ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان ونعتقد أن علياً عليه السلام أصاب فيما فعل وله أجران ، وان الصحابة رضي الله عنهم إن ما صدر منهم كان باجتهاد فلهم الأجر ولا يفسقون ولا يبدعون والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾[4] وقوله ﷺ :«**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر** » فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران

---

(١) سورة الحشر آية / ١٠ .

(٢) الإمامة والرد على الرافضة ص ٣٤٣ .

(٣) كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ٢٦٨ .

(٤) سورة الفتح آية / ١٨ .

على اجتهاده فما ظنك باجتهاد من رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ويدل على صحة هذا القول : قوله ﷺ للحسن عليه السلام : « **إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** »[1] فأثبت العظم لكل واحدة من الطائفتين وحكم لهم بصحة الإسلام وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[2]... إلى أن قال : « ويجب الكف عن ذكر ما شجر بينهم والسكوت عنه » اهـ[3] .

(١٣) وقال أبو عثمان الصابوني في صدد ذكره لعرض عقيدة السلف وأصحاب الحديث : ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم »[4] .

(١٤) وقال أبو الوليد بن رشد المالكي : كلهم محمود على ما فعله ، القاتل منهم والمقتول في الجنة فهذا الذي يجب على كل مسلم أن يعتقده فيما شجر بينهم لأن الله تعالى قد أثنى عليهم في كتابه وعلى لسان رسوله فقال عز من قائل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[5] وقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[6] أي : خياراً عدولًا ... وقال رسول الله ﷺ : « **عشرة من قريش في الجنة** » فسمى فيهم علياً وطلحة والزبير والذي يقول أئمة أهل السنة والحق : إن علياً رضي الله عنه ومن اتبعه كان على الصواب والحق ، وإن طلحة والزبير كانا

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه « فتح الباري » ٦١/١٣ .
(٢) سورة الحجر آية / ٤٧ .
(٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٦٧ - ٦٩ .
(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٢٩/١ .
(٥) سورة آل عمران آية / ١١٠ .
(٦) سورة البقرة آية / ١٤٣ .

على الخطأ إلا أنهما رأيا ذلك باجتهادهما فكان فرضهما ما فعلاه إذ هما من أهل الاجتهاد ... إلى أن قال : « والذي قلناه من أنهم اجتهدوا فأصاب علي وأخطأ طلحة والزبير هو الصحيح الذي يلزم اعتقاده فلعلي أجران لموافقته الحق باجتهاده ولطلحة والزبير أجر لاجتهادهما وبالله التوفيق »[1] .

(١٥) وقال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى : « لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به ، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله – عز وجل – وهم كلهم لنا أئمة ، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر لحرمة الصحبة ولنهي النبي ﷺ عن سبهم[2] وأن الله غفر لهم وأخبر بالرضا عنهم هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبي ﷺ أن طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض[3] فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصياناً لم يكن بالقتل فيه شهيداً وكذلك لو كان ما خرج إليه خطأ في التأويل وتقصيراً في الواجب عليه لأن الشهادة لا تكون إلا بقتل في طاعة فوجب حمل أمرهم على ما بيناه ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من أخبار علي بأن قاتل الزبير في النار[4] وقوله : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **بشر قاتل ابن صفية بالنار** »[5] وإذا كان كذلك فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين ولا آثمين بالقتال لأن ذلك لو كان كذلك لم يقل النبي ﷺ في طلحة « شهيد » ولم يخبر أن قاتل الزبير في النار وكذلك من قعد غير مخطيء في التأويل بل صواب أراهم الله الاجتهاد وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم وإبطال فضائلهم وجهادهم وعظيم عنائهم في الدين

---

(١) البيان والتحصيل ١٦/٣٦٠ – ٣٦١ .

(٢) انظر صحيح البخاري ٢/٢٩٢ ، صحيح مسلم ٤/١٩٦٧ ، مسند أحمد ٣/١١ .

(٣) انظر سنن الترمذي ٥/٣٠٧ – ٣٠٨ ، سنن ابن ماجة ١/٤٦ ، جامع الأصول ١٠/٥ .

(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/١٠٥ ، ١١٠ ، الاعتقاد للبيهقي ص ١٩٥ ، وانظر البداية والنهاية ٧/٢٧٢ .

(٥) أورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٧/٢٧٢ ، والمحب الطبري في « الرياض النضرة » ٤/٢٨٩ .

رضي الله عنهم » اهـ[1] .

(١٦) وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى عند قوله ﷺ : « **إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار** » واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ لأنه لاجتهاد والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا مذهب أهل السنة وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ، ثم تأخروا عن مساعدته منهم » اهـ[2] .

وقال في موضع آخر مبيناً سبب الحروب التي وقعت بين الصحابة : « واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة ، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام :

قسم : ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف ، وأن مخالفه باغ ، فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده .

وقسم : عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه .

وقسم ثالث : اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣٢١ - ٣٢٢ .
(٢) شرح النووي ١٨/١١ .

لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك »[1] وهذا هو التفسير الصحيح لمواقف الصحابة رضي الله عنهم في تلك الحروب وهو اللائق بحالهم رضي الله عنهم .

(١٧) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة : « ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون : إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون »[2] اهـ .

(١٨) وقال الإمام الذهبي : « ... تقرر الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف ، وبعضه كذب وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا فينبغي طيه وإخفاؤه ، بل إعدامه لتصفوا القلوب ، وتتوفر على حب الصحابة والترضى عنهم ، وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العري من الهوى ، بشرط أن يستغفر لهم كما علمنا الله تعالى حيث يقول:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع منهم وجهاد محاء وعبادة ممحصة »[3] .

(١٩) وقال الحافظ ابن كثير : (أما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام فمنه ما وقع عن غير قصد كيوم الجمل ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين والإجتهاد يخطيء ويصيب ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضاً :

---

(١) المصدر السابق ١٤٩/١٥ .

(٢) العقيدة الواسطية مع شرحها لمحمد خليل هراس ص ١٧٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٩٢/١٠ .

وأما المصيب فله أجران اثنان »[1] .

(٢٠) وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى حاكياً للإجماع على وجوب المنع من الطعن على واحد من الصحابة بسبب ما حصل بينهم ولو عرف المحق منهم حيث قال : « واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً ، وأن المصيب يؤجر أجرين »[2] .

فهذه طائفة من كلام أكابر علماء أهل السنة والجماعة تبين منها الموقف الواجب على المسلم أن يقفه من الآثار المشتملة على نيل أحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بسبب ما وقع بينهم من شجار وخلاف ومقاتلة خاصة في حرب الجمل بين الخليفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومن معه وبين أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومن معهم . وأيضاً في حرب صفين بين علي ومعاوية وهو صيانة القلم واللسان عن ذكر ما لا يليق بهم وإحسان الظن بهم والترضي عنهم أجمعين ، ومعرفة حقهم ومنزلتهم والتماس أحسن المخارج لما ثبت صدوره من بعضهم واعتقاد أنهم مجتهدون والمجتهد مغفور له خطؤه إن أخطأ ، وأن الأخبار المروية في ذلك منها ما هو كذب ، ومنها ما قد زيد فيه أو نقص منه حتى تحرف عن أصله وتشوه ، كما تبين من هذه النقول المتقدم ذكرها أن عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة فيما شجر بينهم هو الإمساك ، ومعنى الإمساك عما شجر بينهم وهو عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفصيلات ونشر ذلك بين العامة أو التعرض لهم بالتنقص لفئة والانتصار لأخرى وقد تقدم معنا قريباً من قول الذهبي رحمه الله تعالى : « بأن كثيراً مما حدث بين الصحابة من شجار وخلاف ينبغي طيه وإخفاؤه بل إعدامه

---

(١) الباعث الحثيث ص ١٨٢ .

(٢) فتح الباري ٣٤/١٣ .

وأن كتمان ذلك متعين على العامة بل آحاد العلماء » لأنه لا مصلحة شرعية ولا علمية من وراء نشر ذلك ، أما من ناحية النظر العلمي المستقيم المهتدي بنصوص الشريعة فإن البحث في هذا الموضوع لا يمتنع إذا قصد به تبين أحكام الشريعة[1] وما كان ذكر العلماء المعتبرين للحروب والخلافات التي وقعت بين الصحابة رضي الله عنهم إلا على هذا السبيل ، أو لبيان المواقف الصحيحة ، وتصحيح الأغاليط التاريخية التي أثيرت حول مواقفهم في تلك الحروب رضي الله عنهم فعلى المسلم أن يعتقد فيما صح مما جرى بين الصحابة من خلاف أنهم فيه مجتهدون ، إما مصيبون فلهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة ، وإما مخطئون فلهم أجر الاجتهاد ، وخطؤهم مغفور وهم ليسوا معصومين بل هم بشر يصيبون ويخطئون ولكن ما أكثر صوابهم بالنسبة لصواب غيرهم ، وما أقل خطأهم إذا نسب إلى خطأ غيرهم ، وقد وعدوا من الله بالمغفرة والرضوان ، كما أنه يجب على كل مسلم أن يكون لسانه رطباً بالذكر الحسن والثناء الجميل على أصحاب رسول الله ﷺ ويحاول جهده في ذكر محاسنهم العظيمة وسيرتهم الحميدة ويتجنب ذكر ما شجر بينهم ، هذه طريقة الصدر الأول من هذه الأمة والتي اتخذها أهل السنة والجماعة منهاجاً في موقفهم نحو الصحابة رضي الله عنهم جميعاً .

قال العوام[2] بن حوشب : أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة بعضهم يقول لبعض : اذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ لتأتلف عليها القلوب ولا تذكروا ما شجر بينهم فتحرشوا[3] الناس عليهم[4] .

وبعبارة أخرى أنه قال : « أدركت صدر هذه الأمة يقولون : اذكروا

---

(١) انظر في تفصيل هذا الموضوع ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » ٤/٤٣٤ .

(٢) هو : العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني أبو عيسى الواسطي ثقة ، ثبت فاضل من السادسة مات سنة ثمان وأربعين « تقريب التهذيب » ٢/٨٩ ، التهذيب ٨/١٦٣ - ١٦٤ .

(٣) التحريش : هو الإغراء بين الناس « مختار الصحاح » ص ١٣٠ ، لسان العرب ٦/٢٧٩ .

(٤) كتاب الشرح والإبانه على أصول السنة والديانه لابن بطة ص ١٦٥ .

محاسن أصحاب رسول الله ﷺ حتى تألف عليهم القلوب ولا تذكروا ما شجر بينهم فتجسروا[1] الناس عليهم »[2] .

فأهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر محاسنهم رضي الله عنهم وأرضاهم .

* * *

(١) أي : تشجعوهم ، انظر لسان العرب ، ٤/١٣٦ .

(٢) ذكره القرطبي في « الجامع لأحكام القرآن » ١٨/٣٣ .

★ المبحث الخامس ★

خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه

لما استشهد الخليفة الرابع علي رضي الله عنه بقتل أحد الخوارج له وهو عبد الرحمن بن عمرو المرادي في شهر رمضان لسبع عشرة ليلة خلت منه سنة أربعين للهجرة النبوية[1] بويع بالخلافة بعده ابنه الحسن رضي الله عنه واستمر خليفة على الحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك نحو سبعة أشهر ، وقيل : ثمانية أشهر ، وقيل ستة أشهر وكانت خلافته هذه المدة خلافة راشدة حقه لأن تلك المدة كانت مكملة لمدة الخلافة الراشدة التي أخبر النبي ﷺ أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً .

فقد روى الترمذي بإسناده إلى سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « **الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك** »[2] .

وعند الإمام أحمد من حديث سفينة أيضاً بلفظ : « **الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك** »[3] .

وعند أبي داود بلفظ : « **خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء أو ملكه من يشاء** »[4] .

ولم يكن في الثلاثين بعده ﷺ إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن وقد قرر

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧/٣ ، تاريخ الطبري ١٤٣/٥ ، الكامل لابن الأثير ٣٨٧/٣ البداية والنهاية ٣٨٧/٧ وانظر تاريخ خليفة بن خياط / ص ١٩٩ الطبقات له ص ٥ .

(٢) سنن الترمذي ٣٤١/٣ .

(٣) المسند ٢٢٠/٥ - ٢٢١ .

(٤) سنن أبي داود ٥١٥/٢ .

جمع من أهل العلم عند شرحهم لقوله ﷺ : « **الخلافة في أمتي ثلاثون سنة** » أن الأشهر التي تولى فيها الحسن بن علي بعد موت أبيه كانت داخلة في خلافة النبوة ومكملة لها .

فقد قال أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى : « فنفذ الوعد الصادق في قوله – ﷺ – ... : « **الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم تعود ملكاً** » فكانت لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وللحسن منها ثمانية أشهر لا تزيد ولا تنقص يوماً فسبحان المحيط لا رب غيره »[1] .

وقال القاضي عياض : « لم يكن في ثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة والأشهر التي بويع فيها الحسن بن علي ... والمراد في حديث « **الخلافة ثلاثون سنة** » خلافة النبوة وقد جاء مفسراً في بعض الروايات « **خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً** »[2] .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : « والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة[3] من طريق سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : « **الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً** » وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي »[4] .

وقال شارح الطحاوية : وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر ، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً ، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر ، وخلافة الحسن ستة أشهر »[5] .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٧٢٠/٤ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠١/١٢ .

(٣) يشير إلى باب عقده في البداية والنهاية وعنون له هكذا « باب في دلائل النبوة الحسية وهي سماوية وأرضية» وهذا الباب في الجزء السادس ص٨٧ والحديث الذي أشار إليه أورده في نفس الجزء ص٢٥٠.

(٤) البداية والنهاية ١٨/٨ .

(٥) شرح الطحاوية ص ٥٤٥ .

وقال المناوي بعد ذكره لقوله ﷺ : « **ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** » قال : وكان ذلك فلما بويع له بعد أبيه وصار هو الإمام الحق مدة ستة أشهر تكملة للثلاثين سنة التي أخبر المصطفى ﷺ إنها مدة الخلافة وبعدها يكون ملكاً عضوضاً »[1] .

ولما كان رضي الله عنه هو المبايع بالخلافة بعد أبيه وأنه الإمام الحق تلك المدة التي كانت مكملة لخلافة النبوة رأى أنه لابد من أن يكون أمره نافذاً على بلاد الشام التي كان الأمر فيها حينئذ لمعاوية رضي الله عنه فتوجه نحو بلاد الشام بكتائب[2] كأمثال الجبال وبايعه منهم أربعون ألفاً على الموت فلما ترائى الجمعان علم أنه لا يغلب أحدهما حتى يقتل الفريق الآخر فنزل لمعاوية عن الخلافة لا لقلة ولا لذلة بل رحمة للأمة حتى لا يقتل بعضها بعضاً واشترط على معاوية رضي الله عنه شروطاً التزمها ، ووفى بها وعلى وفقها جرى الصلح بينهما وقد روى قصة الصلح بينهما الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه .

فقد روى بإسناده إلى الحسن البصري حيث قال : « استقبل والله الحسن ابن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص : إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها فقال له معاوية – وكان والله خير الرجلين – : أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس من لي بنسائهم ، من لي بضيعتهم ؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس – عبد الرحمٰن ابن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز – فقال : اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه فقال لهما الحسن بن علي : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها قالا : فإنه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ويسألك

---

(١) فيض القدير ٢/٤٠٩ .

(٢) الكتيبة : القطعة العظيمة من الجيش والجمع : « الكتائب » النهاية في غريب الحديث ٤/١٤٨ .

قال: فمن لي بهذا ؟ قالا نحن لك به فما سألهما شيئاً إلا قالا : نحن لك به فصالحه فقال الحسن : ولقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر - والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : « **إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** »[1] .

وبقبوله الصلح مع معاوية حصل مصداق قوله ﷺ فيه : « فكان كما قال : أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة »[2] .

وهذا الإصلاح الذي حصل بين فريقي الحسن بن علي ومعاوية رضي الله عنهما مما يحبه - الرب جل وعلا - ورسوله ﷺ وهو من أكبر مناقب الحسن رضي الله عنه ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وهذا الحديث يبين أن الإصلاح بين الطائفتين كان ممدوحاً يحبه الله ورسوله ، وأن ما فعله الحسن من ذلك كان من أعظم فضائله ومناقبه التي أثنى بها عليه النبي ﷺ ولو كان القتال واجباً أو مستحباً لم يثن النبي ﷺ بترك واجب أو مستحب »[3] .

وقد ذكر بن العربي أسباباً هيأت الحسن لقبول الصلح مع معاوية رضي الله عنه حيث قال : « وعمل الحسن بمقتضى حاله فإنه صالح حين اسشترى الأمر عليه وكان ذلك بأسباب سماوية ومقادير أزلية ومواعيد من الصادق صادقة منها : ما رأى من تشتت آراء من معه .

ومنها : أنه طعن حين خرج إلى معاوية فسقط عن فرسه وداوى جرحه حتى برأ فعلم من ينافق عليه ولا يأمنه على نفسه .

---

(١) صحيح البخاري ١١٤/٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٧٦/٦ .

(٣) منهاج السنة ٢٠٢/٢ .

ومنها : أنه رأى الخوارج أحاطوا بأطرافه ، وعلم أنه إن اشتغل بحرب معاوية استولى الخوارج على البلاد ، وإن اشتغل بالخوارج استولى عليه معاوية .

ومنها: أنه تذكر وعد جده الصادق عند كل أحد ﷺ في قوله: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» وإنه لما سار الحسن إلى معاوية بالكتائب في أربعين ألفاً وقدم قيس بن سعد بعشرة آلاف قال عمرو بن العاص لمعاوية: إني أرى كتيبة لا تولي أولاها حتى تدبر أخراها فقال معاوية لعمرو: من لي بذراري المسلمين فقال أنا: فقال عبد الله بن عامر وعبد الرحمٰن بن سمرة : تلقاه فتقول له: الصلح فصالحه فنفذ الوعد الصادق في قوله: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[1] .

وكان ذلك الصلح المبارك الذي أشار إليه النبي ﷺ أنه سيكون علي يد سبطه الحسن بن علي عام واحد وأربعين هجرية « فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة وهذا من دلائل نبوته - صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً ، وقد مدحه رسول الله ﷺ على صنيعه هذا وهو تركه الدنيا الفانية ورغبته في الآخرة الباقية ، وحقنه دماء هذه الأمة فنزل عن الخلافة وجعل الملك بيد معاوية حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد »[2] وتسليم الحسن الأمر لمعاوية يعتبر عقد بيعة منه له بالخلافة وكان ذلك في موضع يقال له : « مسكن »[3] ولما نزل الحسن عن الخلافة لمعاوية بايعه « الأمراء من الجيشين واستقل بأعباء الأمة فسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد »[4] ولاجتماع المسلمين بعد الفرقة وتفرغهم

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٧١٩/٤ - ١٧٢٠ .

(٢) البداية والنهاية ١٨/٨ .

(٣) مسكن : موضع قريب من أوانا على نهر دجيل « معجم البلدان » ١٢٧/٥ .

(٤) البداية والنهاية ٢٥٠/٦ .

للحروب الخارجية والفتوح ، ونشر دعوة الإسلام بعد أن عطل قتلة عثمان سيوف المسلمين عن هذه المهمة نحو خمس سنوات . « ولما تسلم معاوية البلاد ودخل الكوفة وخطب بها واجتمعت عليه الكلمة في سائر الأقاليم والآفاق وحصل على بيعته عامئذ الإجماع والاتفاق – رحل الحسن بن علي ومعه أخوه الحسين وبقية إخوتهم ، وابن عمهم عبد الله بن جعفر من أرض العراق إلى أرض المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وجعل كلما مر بحي من شيعتهم يبكتونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية وهو في ذلك – هو البار الراشد الممدوح ، وليس يجد في صدره حرجاً ولا تلوماً ولا ندماً ، بل هو راض بذلك مستبشر به وإن كان قد ساء هذا خلقاً من ذويه وأهله وشيعتهم ولا سيما بعد ذلك بمدد ، وهلم جراً والحق في ذلك اتباع السنة ومدحه فيما حقن به دماء الأمة ، كما مدحه على ذلك رسول الله ﷺ كما تقدم في الحديث الصحيح ولله الحمد والمنة »[1] .

والحاصل مما تقدم أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن خلافة الحسن بن علي كانت خلافة حقة وأنها جزء مكمل لخلافة النبوة التي أخبر النبي ﷺ أن مدتها ستكون ثلاثين سنة وكذلك كانت كما أخبر عليه الصلاة والسلام .

* * *

(١) البداية والنهاية ٢١/٨ .

الباب الثالث

سلامة قلوب وألسنة أهل السنة والجماعة للصحابة الكرام - رضي الله عنهم -،



الباب الثالث

سلامة قلوب وألسنة أهل السنة والجماعة للصحابة الكرام – رضي الله عنهم – ،

وفيه فصول :

الفصل الأول : وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم والشهادة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة منهم .

الفصل الثاني : إثبات عدالتهم – رضي الله عنهم – .

الفصل الثالث : تحريم سبهم – رضي الله عنهم – .

* * *



الفصل الأول

وجوب محبتهم والاستغفار لهم ، والشهادة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة منهم ،



الفصل الأول

وجوب محبتهم والاستغفار لهم ، والشهادة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة منهم ،

وفيه مباحث :

المبحث الأول : وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ .

المبحث الثاني : الدعاء والاستغفار لهم .

المبحث الثالث : الشهادة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة منهم .

* * *

★ المبحث الأول ★

وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ

من عقائد أهل السنة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والاقتداء بهم ، والأخذ بآثارهم ، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسوله ﷺ والجهاد معه لنصرة دين الإسلام ، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين ، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم وتقديم حب الله ورسوله ﷺ على ذلك كله ، وقد دلت النصوص الكثيرة على وجوب حب الصحابة رضي الله عنهم جميعاً ، وقد فهم أهل السنة والجماعة ما دلت عليه النصوص في هذا واعتقدوا ما تضمنته مما يجب لهم من المحبة على وجه العموم رضي الله عنهم وأرضاهم ، ومن تلك النصوص : —

(١) قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[١] .

« هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ، وأن من سبهم أو واحداً منهم أو اعتقد فيه شراً أنه لا حق له في الفيء ، روي ذلك عن مالك وغيره ، قال مالك : « من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ، ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو

---

(١) سورة الحشر آية : ١٠ .

﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ الآية[1] .

(٢) روى الترمذي بإسناده إلى عبد الله بن مغفل المزني قال : قال رسول الله ﷺ : « **الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه** »[2] .

هذا الحديث تضمن الحث لكل إنسان يأتي بعد الصحابة في أن يحفظ حقهم ، والمعنى : لا تنقصوا من حقهم ولا تسبوهم ، بل عظموهم ووقروهم ، ولا تتخذوهم هدفاً ترمونهم بقبيح الكلام ، كما يرمى الهدف بالسهم ، وبين عليه الصلاة والسلام أن حبهم ما استقر في قلب إنسان إلا بسبب حبه للنبي ﷺ ، أو بسبب حب النبي ﷺ إياهم وما وجد بغضهم في قلب إنسان إلا بسبب ما فيه من البغض للنبي ﷺ ، ومعنى قوله ﷺ : « **يوشك أن يأخذه** » : أي : يعاقبه في الدنيا أو في الآخرة[3]. فالحديث دل على وجوب حب الصحابة رضي الله عنهم وخطورة بغضهم .

قال المناوي في قوله ﷺ : « **الله الله في أصحابي** » أي : اتقوا الله فيهم ولا تلمزوهم بسوء أو اذكروا الله فيهم ، وفي تعظيمهم وتوقيرهم ، وكرره إيذاناً بمزيد الحث على الكف عن التعرض لهم بمنقص « **فمن أحبهم فبحبي أحبهم** » أي : فبسبب حبهم إياي ، أو حبي إياهم ، أي : إنما أحبهم لحبهم إياي ، أو لحبي إياهم . « **ومن أبغضهم فببغضي** » . أي : فبسبب بغضه إياي ، « **أبغضهم** » يعني : إنما أبغضهم لبغضه إياي .... وخص الوعيد بها لما اطلع عليه مما سيكون بعده من ظهور البدع وإيذاء بعضهم زعماً منهم الحب لبعض آخر ، وهذا من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٣٢/١٨ .

(٢) سنن الترمذي : ٣٥٨/٥ ، وقال عقبه : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ورواه الإمام أحمد في مسنده : ٨٧/٤ ، والبيهقي في الاعتقاد ، ص : ١٦١ .

(٣) انظر تحفة الأحوذي : ٣٦٥/١٠ ، الفتح الرباني للساعاتي : ١٦٩/٢٢ .

باهر معجزاته ، وقد كان في حياته حريصاً على حفظهم والشفقة عليهم . أخرج البيهقي عن ابن مسعود : خرج علينا رسول الله ﷺ ، فقال : « **لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر** » ، وإن تعرض إليهم ملحد وكفر نعمة قد أنعم الله بها عليهم ، فجهل منه وحرمان ، وسوء فهم ، وقلة إيمان ، إذ لو لحقهم نقص لم يبق في الدين ساق قائمة لأنهم النقلة إلينا ، فإذا جرح النقلة دخل من الآيات والأحاديث التي بها ذهاب الأنام ، وخراب الإسلام إذ لا وحي بعد المصطفى ﷺ وعدالة المبلغ شرط لصحة التبليغ[1] .

(٣) وروى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال : « **آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار** »[2] .

ومعنى قوله ﷺ هذا : « أن علامات كمال إيمان الإنسان ، أو نفس إيمانه حب مؤمني الأوس والخزرج لحسن وفائهم بما عاهدوا الله عليه من إيواء نبيه ﷺ ونصره على أعدائه زمن الضعف والعسرة وحسن جواره ورسوخ صدقاتهم وخلوص مودتهم ولا يلزم منه ترجيحهم على المهاجرين الذين فارقوا أوطانهم وأهليهم وحرموا أموالهم حباً له وروماً لرضاه .. « **وآية النفاق** » بالمعنى الخاص « **بغض الأنصار** » ، صرح به مع فهمه مما قبله لاقتضاء المقام التأكيد ، ولم يقابل الإيمان بالكفر الذي هو ضده ، لأن الكلام فيمن ظاهره الإيمان ، وباطنه الكفر فميزه عن ذوي الإيمان الحقيقي ، فلم يقل آية الكفر لكونه غير كافر ظاهراً ، وخص الأنصار بهذه المنقبة العظمى ، لما امتازوا به من الفضائل ، فكان اختصاصهم بها مظنة الحسد الموجب للبغض ، فوجب التحذير من بغضهم

---

(١) فيض القدير للمناوي : ٩٨/٢ .

(٢) صحيح البخاري : ١٢/١ .

والترغيب في حبهم ، وأبرز ذلك في هذين التركيبين المفيدين للحصر لأن المبتدأ والخبر فيهما معرفتان ، فجعل ذلك آية الإيمان والنفاق على منهج القصر الادعائي ، حتى كأنه : لا علامة للإيمان إلا حبهم ، وليس حبهم إلا علامته ، ولا علامة للنفاق إلا بغضهم ، وليس بغضهم إلا علامته تنويهاً بعظيم فضلهم ، وتنبيهاً على كريم فعلهم ، وإن كان من شاركهم في المعنى مشاركاً لهم في الفضل كل بقسطه »[1] .

(٤) وروى مسلم بإسناده إلى عدي بن ثابت ، قال : سمعت البراء يحدث عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار : « **لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله** » .

قال شعبة : قلت لعدي : سمعته من البراء ؟ ، قال : إياي حدث[2] .

(٥) وروى أيضاً : بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر** »[3] .

(٦) وروى الإمام أحمد بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أحب الأنصار أحبه الله ، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله** »[4] .

(٧) وروى الحافظ الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « **من أحب الأنصار فبحبي أحبهم ، ومن أبغض الأنصار فببغضي أبغضهم** »[5] .

---

(١) فيض القدير للمناوي : ٦٢/١ .
(٢) صحيح مسلم : ٨٥/١ .
(٣) المصدر السابق : ٨٦/١ .
(٤) المسند : ٥٠١/٢ ، ورواه ابن ماجة من حديث البراء بن عازب : ٥٧/١ ، وأورده الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (٩٩١) .
(٥) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٣٩/١٠ ، وقال عقبه : «ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن حاتم =

(٨) وروى الإمام أحمد بإسناده إلى البراء بن عازب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يحب الأنصار إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله** »[١] .

(٩) وروى أيضاً : بإسناده إلى سعد بن عبادة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن هذا الحي من الأنصار محنة[٢] حبهم إيمان وبغضهم نفاق** »[٣] .

(١٠) وروى أيضاً : بإسناده إلى الحارث بن زياد الساعدي أنه أتى رسول الله ﷺ يوم الخندق وهو يبايع الناس على الهجرة فقال : يا رسول الله بايع هذا، قال: «**ومن هذا**»، قال: ابن عمي حوط بن يزيد أو يزيد بن حوط ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لا أبايعك إن الناس يهاجرون إليكم ولا تهاجرون إليهم ، والذي نفس محمد ﷺ بيده لا يحب رجل الأنصار حتى يلقى الله تبارك وتعالى إلا لقي الله - تبارك وتعالى - وهو يحبه ، ولا يبغض رجل الأنصار حتى يلقى الله - تبارك وتعالى - إلا لقي الله - تبارك وتعالى - وهو يبغضه** »[٤] .

(١١) وروى الإمام مسلم بإسناده إلى عليٍّ رضي الله عنه أنه قال : « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق »[٥] .

فهذه الأحاديث كلها دلت على وجوب حب أصحاب رسول الله ﷺ

= وهو ثقة»، وذكر أيضاً: أن الطبراني رواه بهذا اللفظ عن معاوية بن أبي سفيان « ورجاله رجال الصحيح غير النعمان بن مرة وهو ثقة اهـ». وأورده أيضاً الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧٢٤/٢.

(١) المسند : ٢٨٣/٤ .

(٢) معناه : أن الله تعالى يمتحن الناس بحبهم وبغضهم فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله .

(٣) المسند : ٢٨٥/٥ ، قال الساعاتي في كتابه « الفتح الرباني » ١٧٤/٢٢: لم أقف عليه لغير الإمام أحمد عن سعد بن عبادة ، وسنده جيد ورجاله ثقات . ورواه عبد الرزاق في المصنف : ٥٩/١١ .

(٤) المسند : ٤٢٩/٣ ، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٢٣٥/٤ ، ورواه أيضاً عبد الرزاق في المصنف : ٥٩/١١ .

(٥) صحيح مسلم : ١٨٦/١ .

جميعاً مهاجرين وأنصار ، ولا يقال إن ظاهر لفظها في الأنصار فلا يدخل فيها المهاجرون ، بل الصحيح أنه يدخل فيها كل فرد من أفراد الصحابة لتحقق مشترك الإكرام ، لما لهم من حسن الغناء في الدين رضي الله عنهم أجمعين .

كما اشتملت على ذكر الجزاء الذي ينتظر من يكن لهم المحبة في قلبه ومن يكن لهم البغض ، فمن أحبهم فاز بحب الله له ، ومن أبغضهم أبغضه الله ، وشتان بين الجزائين ، كما دلت على أن القلب الذي امتلأ ببغضهم إنما هو قلب ينضح بالنفاق ، خذل صاحبه بعدم الإيمان والعياذ بالله .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى مبيناً المراد في قوله ﷺ : « **آية المنافق بغض الأنصار ، وآية المؤمن حب الأنصار** » ، وفي الرواية الأخرى : « **لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، ومن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله** » ، وفي الأخرى : « **لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر** » ، وفي حديث علي رضي الله عنه : « والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي ﷺ إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ، ولا يبغضني إلا منافق » .

الآية : هي العلامة ، ومعنى هذه الأحاديث أن من عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في نصرة دين الإسلام والسعي في إظهاره وإيواء المسلمين وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام ، وحبهم النبي ﷺ ، وحبه إياهم ، وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه ، وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إيثاراً للإسلام ، وعرف من علي بن أبي طالب رضي الله عنه قربه من رسول الله ﷺ وحب النبي ﷺ له ، وما كان منه في نصرة الإسلام ، وسوابقه فيه ، ثم أحب الأنصار وعلياً لهذا كان ذلك من دلائل صحة إيمانه ، وصدقه في إسلامه لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله – سبحانه وتعالى – ورسوله ﷺ ، ومن أبغضهم كان بضد ذلك ، واستدل به على نفاقه وفساد سريرته والله أعلم[1] .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم : ٦٣/٢ – ٦٤ .

وقال الذهبي رحمه الله تعالى مبيناً العلة من جعله ﷺ حب الأنصار علامة الإيمان وبغضهم علامة النفاق حيث قال : (وما ذاك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدي رسول الله ﷺ ، وكذلك حب علي رضي الله عنه من الإيمان وبغضه من النفاق ، وإنما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان ، والمجاهدة للكفار ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام وإعلاء كلمة الله ورسوله وتعليم فرائضه وسننه ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً ، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئا)[1] .

وقال العيني رحمه الله تعالى شارحاً لقوله ﷺ : « **آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار** » . المقصود من الحديث الحث على حب الأنصار وبيان فضلهم ، لما كان منهم من إعزاز الدين وبذل الأموال والأنفس والإيثار على أنفسهم والإيواء والنصر وغير ذلك ، قالوا : وهذا جار في أعيان الصحابة كالخلفاء وبقية العشرة والمهاجرين بل في كل الصحابة إذ كل واحد منهم له سابقة وسالفة وغناء في الدين وأثر حسن فيه ، فحبهم لذلك المعنى محض الإيمان وبغضهم محض النفاق ويدل عليه ما روي مرفوعاً في فضل أصحابه كلهم : « **من أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم** » .

وقال القرطبي : « وأما من أبغض والعياذ بالله أحداً منهم من غير تلك الجهة لأمر طاريء من حدث وقع لمخالفة غرض أو لضرر ونحوه لم يصر بذلك منافقاً ولا كافراً ، فقد وقع بينهم حروب ومخالفات ، ومع ذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق ، وإنما كان حالهم في ذلك حال المجتهدين في الأحكام ، فإما أن يقال كلهم مصيب ، أو المصيب واحد والمخطيء معذور ، مع أنه مخاطب بما

---

(١) كتاب الكبائر ، ص : ٢٣٤ - ٢٣٥ .

يراه ويظنه ، فمن وقع له بغض في أحد منهم والعياذ بالله لشيء من ذلك ، فهو عاص يجب عليه التوبة ، ومجاهدة نفسه بذكر سوابقهم ، وفضائلهم ، وما لهم على كل من بعدهم من الحقوق إذ لم يصل أحد من بعدهم لشيء من الدين والدنيا إلا بهم وبسببهم قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾[1] الآية اهـ .

وقد وفق الله الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة لاعتقاد ما دلت عليه النصوص المتقدم ذكرها من أن حب الصحابة واجب على كل مسلم ، فقد سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى : حب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما سنة ؟ قال : لا ، فريضة[2] .

وقال الطحاوي رحمه الله تعالى مبيناً ما يجب على المسلم اعتقاده في محبة أصحاب رسول الله ﷺ : « ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان »[3] .

وقال أبو عبد الله بن بطة في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة : « ويحب جميع أصحاب رسول الله ﷺ على مراتبهم ومنازلهم أولاً فأولاً : من أهل بدر والحديبية وبيعة الرضوان وأحد فهؤلاء أهل الفضائل الشريفة والمنازل المنيفة الذين سبقت لهم السوابق رحمهم الله أجمعين »[4] .

فعلى المسلم أن يسلك في حب الصحابة مسلك أهل الحق من أهل السنة

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : ١٥٢/١ ، والآية رقم (١٠) من سورة الحشر .

(٢) رواه خيثمة بن سليمان في كتاب الرقائق والحكايات ، ص : ١٧١ .

(٣) شرح الطحاوية ص ٤٦٧ .

(٤) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، ص : ٢٧١ .

والجماعة بحيث يحبهم جميعاً ، ولا يفرط في حب أحد منهم وأن يتبرأ من طريقة الشيعة الرافضة الذين يتدينون ببغضهم وسبهم ، ومن طريقة النواصب والخوارج الذين ابتلوا بإيذاء أهل بيت رسول الله ﷺ ، وليعلم كل مسلم أن أهل السنة والجماعة يتبرؤون من طريقة هذه الفرق فيهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « ويتبرؤون من طريقة الروافض والشيعة الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ، وطريقة النواصب والخوارج الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل »[1] .

فمن أراد السلامة لدينه وأن يسلم له إيمانه فليحبهم جميعاً ، وأن يحتم ذلك على نفسه ، وعلى كل أبناء جنسه لأن ذلك واجب على جميع الأمة واتفق على ذلك الأئمة ، فلا يزوغ عن حبهم إلا هالك ، ولا يزوغ عن وجوب ذلك إلا آفك[2] .

* * *

---

(١) العقيدة الواسطية مع شرحها ، لمحمد خليل هراس ، ص : ١٧٣ ، وانظر : قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر ، ص : ١٠٣ .

(٢) انظر : لوامع الأنوار البهية ، للسفاريني : ٢/٣٥٤ .

★ المبحث الثاني ★

الدعاء والاستغفار لهم

من حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم على كل من جاء بعدهم من عباد الله المؤمنين أن يدعو لهم ويستغفر لهم ، ويترحم عليهم ، لما لهم من القدر العظيم ، ولما حازوه من المناقب الحميدة ، والسوابق القديمة ، والمحاسن المشهورة ، ولما لهم من الفضل الكبير على كل من أتى بعدهم ، فهم الذين نقلوا إلى من بعدهم الدين الحنيف الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، ففضلهم مستمر على كل مسلم جاء بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد ندب الله – جل وعلا – كل من جاء بعدهم من أهل الإيمان إلى أن يدعو لهم ، ويترحم عليهم ، وأثنى على من استجاب منهم لذلك بقوله – جل وعلا – : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

فالآية مشتملة على بيان موقف أهل الإيمان ممن تقدمهم من الصحابة ، فقد بين – تعالى – أن موقفهم من أولئك الصفوة أنهم يثنون عليهم ، ويدعون لهم ابتهاجاً بما آتاهم الله من الفضل وغبطة لهم فيما وفقوا له من الأعمال المصحوبة بالإخلاص واليقين ، وهذا الموقف المبارك ينطبق على أهل السنة والجماعة ، فقد وفقهم الله للثناء الجميل والقول الحسن في أصحاب رسول الله ﷺ وهم الذين يترضون عنهم جميعاً ويستغفرون لهم ، وحرم هذا الموقف العظيم الشيعة الرافضة الذين جعلوا رأس مالهم سبهم وبغضهم والحقد عليهم ، وهذا خذلان أيما خذلان ،

---

(١) سورة الحشر ، آية : ١٠ .

أعاذنا الله منه .

وقد فهم متقدموا أهل السنة والجماعة ومتأخروهم أن المراد من الآية السابقة الأمر بالدعاء والاستغفار من اللاحق للسابق ، ومن الخلف للسلف ، الذين هم أصحاب رسول الله ﷺ ، وإليك طائفة من أقوالهم التي دلت على عمق معرفتهم بما دل عليه كتاب ربهم جل وعلا : -

(١) روى الإمام مسلم بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال : قالت لي عائشة : « يا ابن أختي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم »[١] .

(٢) وعند ابن أبي شيبة بلفظ : « أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسبوهم »[٢] .

(٣) وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : « أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ ، فسبوهم ، ثم قرأت الآية ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[٣] .

قال النووي رحمه الله تعالى : قولها : « أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم » ، قال القاضي : الظاهر أنها قالت هذا عندما سمعت أهل مصر يقولون في عثمان ما قالوا : وأهل الشام في عليٍّ ما قالوا ، والحرورية في الجميع ما قالوا : وأما الأمر بالاستغفار الذي أشارت إليه فهو قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ وبهذا احتج مالك في أنه لا حق في الفيء لمن سب الصحابة رضي الله عنهم

---

(١) صحيح مسلم : ٢٣١٧/٤ .

(٢) المصنف لابن أبي شيبة : ١٧٩/١٢ .

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي : ١١٣/٨ .

لأن الله – تعالى – إنما جعله لمن جاء بعدهم ممن يستغفر الله لهم والله أعلم »[1] .

(٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فإن الله قد أمرنا بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون »[2] .

(٥) ذكر الإمام البغوي رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ الآية . عن مالك بن مغول قال : قال عامر بن شراحيل الشعبي : يا مالك تفاضلت[3] اليهود والنصارى الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم ، فقالت : أصحاب موسى عليه السلام ، وسئلت النصارى : من خير أهل ملتكم ، فقالوا : حواري عيسى عليه السلام ، وسئلت الرافضة : من شر أهل ملتكم ، فقالوا : أصحاب محمد ﷺ . أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة ، لا تقوم لهم راية ، ولا يثبت لهم قدم ، ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدحاض حجتهم ، أعاذنا الله وإياكم من الفتن المضلة »[4] .

(٦) وروى أبو نعيم بإسناده إلى عمر بن ذر ، قال : أقبلت أنا وأبي دار عامر ، فقال له أبي : يا أبا عمرو ، قال : لبيك ، قال : ما تقول فيما قال فيه الناس من هذين الرجلين ، قال عامر : أي هذين الرجلين ؟ ، قال : عليٌّ وعثمان ، قال : إني والله لغني أن أجيء يوم القيامة خصيماً لعلي وعثمان رضي الله تعالى عنهما وغفر لنا ولهما »[5] .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٥٨/١٨ – ١٥٩ .

(٢) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، لابن بطة ، ص ١١٩ ، وأورده القرطبي في تفسيره : ٣٣/١٨ .

(٣) أي : فضلت . فقد جاء في شرح الطحاوية ، ص : ٥٣١ « بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة » .

(٤) تفسير البغوي على حاشية تفسير الخازن : ٥٤/٧ ، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن : ٣٣/١٨ ، وانظر منهاج السنة : ٦/١ – ٧ ، شرح الطحاوية ، ص : ٥٣١ – ٥٣٢ .

(٥) حلية الأولياء : ٣٢١/٤ ، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف : ١٧٩/١٢ .

(٧) أخرج عبد بن حميد عن الضحاك بن مزاحم رحمه الله تعالى ، أنه قال في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ الآية : « أمروا بالاستغفار لهم وقد علم ما أحدثوا »[١] .

(٨) وأخرج ابن جرير الطبري بإسناده إلى قتادة بن دعامة السدوسي أنه قال بعد قراءته لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ الآية : « إنما أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ ولم يؤمروا بسبهم »[٢] .

فهذه جملة صالحة من أقوال السلف الصالح كلها دلت على أن كل من جاء بعد الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم مأمور بالدعاء والاستغفار لهم ، والترحم عليهم ، وأنه يجب على كل مسلم أن يطهر قلبه من الغل والحقد عليهم ، وقد استنبط أهل العلم من الصحابة ومن جاء بعدهم من علماء أهل السنة والجماعة أن من لم يستغفر لهم وكان في قلبه غل عليهم أنه بعيد من أهل الإسلام ، ولا حظ له في الفيء وما يغنمه المسلمون .

(٩) أخرج ابن مردويه عن ابن عمر أنه سمع رجلاً وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ الآية .. ثم قال : هؤلاء المهاجرون فمنهم أنت ؟ ، قال : لا ، ثم قرأ عليه ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ الآية ، ثم قال : هؤلاء الأنصار ، أفأنت منهم ؟ ، قال : لا ، ثم قرأ عليه ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾[٣] الآية ثم قال : أفمن هؤلاء أنت ؟ ، قال : أرجو ، قال : لا ليس من هؤلاء من يسب هؤلاء[٤] .

(١٠) وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عمر أنه بلغه أن رجلاً نال من عثمان ، فدعاه ، فأقعده بين يديه ، فقرأ عليه ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ﴾

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ١١٣/٨ .
(٢) جامع البيان للطبري : ٤٤/٢٨ - ٤٥ .
(٣) الآيات رقم : ٨ ، ٩ ، ١٠ من سورة الحشر .
(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ١١٣/٨ - ١١٤ .

الآية ، قال : من هؤلاء أنت ؟ ، قال : لا ، ثم قرأ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ الآية ، قال : من هؤلاء أنت ؟، قال : أرجو أن أكون منهم ، قال : لا والله ما يكون منهم من يتناولهم وكان في قلبه الغل عليهم[1].

ولم يذكر الآية الواردة في الأنصار لكون الرجل تناول عثمان رضي الله عنه وهو من المهاجرين.

(١١) روى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر ، قال : « حدثنا عبد الله ابن زيد عن طلحة بن مصرف عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال : الناس على ثلاث منازل ، فمضت منزلتان ، وبقيت واحدة ، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ، ثم قرأ : ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾ هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت ، ثم قرأ ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾ ، ثم قال : هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت ، ثم قرأ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ ، فقد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة التي بقيت أن تستغفروا لهم »[2].

ولا يتردد من له أدنى علم في أن الشيعة الرافضة خارجون من هذه المنزلة لأنهم لم يترحموا على الصحابة ولم يستغفروا لهم بل سبوهم وحملوا لهم الغل في قلوبهم ، فحرموا من تلك المنزلة التي يجب على المسلم أن يكون فيها ولا يحيد عنها بحال حتى يلقى ربه - جل وعلا - .

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ١١٣/٨ - ١١٤ .

(٢) أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه « منهاج السنة » : ١٥٣/١ ، ورواه الحاكم في المستدرك : ٤٨٤/٢ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(١٢) وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى : « من يبغض أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ، ثم تلا ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ﴾ حتى أتى على هذه الآية ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ إلى قوله ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾»[١] .

(١٣) وقال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى : قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ يعني : التابعين إلى يوم القيامة .

قال الزجاج : والمعنى : ما أفاء الله على رسوله فلله وللرسول ولهؤلاء المسلمين وللذين يجيئون من بعدهم إلى يوم القيامة ما أقاموا على محبة أصحاب رسول الله ﷺ ، ودليل هذا قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ أي : الذين جاءوا في حال قولهم ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ﴾ فمن ترحم على أصحاب رسول الله ﷺ ، ولم يكن في قلبه غل لهم فله حظ من فيء المسلمين بنص الكتاب »[٢] اهـ .

(١٤) وقال البغوي رحمه الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يعني التابعين ، وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ، ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان والمغفرة ... – إلى أن قال – : « فكل من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية ، لأن الله – تعالى – رتب المؤمنين على ثلاثة منازل : المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر ، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجاً من أقسام المؤمنين .

---

(١) انظر قول مالك في « أحكام القرآن لابن العربي » : ١٧٧٨/٤ ، زاد المسير في علم التفسير : ٢١٦/٨ ، تفسير البغوي على حاشية تفسير الخازن : ٥٤/٧ ، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٦٠٩/٦ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير : ٢١٦/٨ .

قال ابن أبي ليلى : الناس على ثلاثة منازل : المهاجرين ، والذين تبوءوا الدار والإيمان ، والذين جاءوا من بعدهم ، فاجتهد أن لا تكون خارجاً من هذه المنازل »[1] .

(١٥) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن ذكر آيات الحشر الثلاث من قوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] .

قال رحمه الله : « وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلّاً لهم وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء ، ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة ، فإنهم لم يستغفروا للسابقين وفي قلوبهم غل عليهم ، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك ، وهذا ينقض مذهب الرافضة »[3] .

(١٦) وقال الحافظ ابن كثير : « قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ الآية .. هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء وهم المهاجرون ثم الأنصار ، ثم التابعون لهم بإحسان ، كما قال في آية براءة : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[4] . فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ ﴾ أي : قائلين : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا

(١) تفسير البغوي على حاشية تفسير الخازن : ٥٤/٧ .

(٢) الآيات أرقام : ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٣) منهاج السنة : ١٥٣/١ ، وانظر شرح الطحاوية ، ص : ٥٢٩ .

(٤) آية رقم : ١٠٠ .

بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا ﴾ أي : بغضاً وحسداً ﴿ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قوله : ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] اهـ .

(١٧) وقال الشوكاني رحمه الله تعالى بعد أن ذكر قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ الآية : « أمرهم الله – سبحانه – بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله – سبحانه – أن ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الإطلاق ، فيدخل في ذلك الصحابة دخولاً أولياً لكونهم أشرف المؤمنين ، ولكون السياق فيهم ، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية فإن وجد في قلبه غلاً لهم فقد أصابه نزغ من الشيطان وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيه ﷺ وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم إن لم يتدارك نفسه باللجأ إلى الله – سبحانه – والاستغاثة به بأن ينزع عن قلبه ما طرقه من الغل لخير القرون وأشرف هذه الأمة ، فإن جاوز ما يجده من الغل إلى شتم أحد منهم ، فقد انقاد للشيطان بزمام ووقع في غضب الله وسخطه ، وهذا الداء العضال إنما يصاب به من ابتلي بمعلم من الرافضة أو صاحب من أعداء خير الأمة الذين تلاعب بهم الشيطان وزين لهم الأكاذيب المختلقة والأقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعة ، وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كل عصر من العصور فاشتروا الضلالة بالهدى واستبدلوا الخسران العظيم بالربح الوافر وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة إلى منزلة ، ومن

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٠٩/٦ .

رتبة إلى رتبة حتى صاروا أعداء كتاب الله وسنة رسوله وخير أمته وصالحي عباده وسائر المؤمنين وأهملوا فرائض الله وهجروا شعائر الدين وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر والله من ورائهم محيط[1] اهـ .

فهذه النصوص التي سقناها في هذا المبحث عن المتقدمين والمتأخرين من أهل السنة والجماعة كلها تبين أنهم هم الفائزون بسلامة الصدور من الغل والحقد لأصحاب رسول الله ﷺ وأنهم يعتقدون أن من حق الصحابة الكرام على من بعدهم الترحم عليهم والاستغفار لهم فأهل السنة والجماعة يترحمون على جميع أصحاب رسول الله ﷺ صغيرهم وكبيرهم أولهم وآخرهم ، ويذكرون محاسنهم وينشرون فضائلهم ويقتدون بهديهم ويقتفون آثارهم ، ويعتقدون أن الحق في كل ما قالوه والصواب فيما فعلوه[2] .

فمن لم يترحم على الصحابة ويستغفر لهم فهو ليس من أهل السنة والجماعة وليس له حظ في شيء من فيء المسلمين .

* * *

---

(١) فتح القدير : ٢٠٢/٥ .

(٢) انظر كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة ، ص : ٢٦٤ - ٢٦٥ .

★ المبحث الثالث ★

الشهادة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة منهم

من عقائد أهل السنة والجماعة أنهم يشهدون لمن شهد له المصطفى ﷺ بالجنة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم فهناك أشخاص أخبر النبي ﷺ أنهم من أهل الجنة ، وهناك آخرون أخبر ببعض النعيم المعد لهم في الجنة ، وكل ذلك شهادة منه ﷺ لهم بالجنة ، وسواء ذكر المصطفى ﷺ الشخص من أهل الجنة أو أخبر أن له كذا أو مكانته في الجنة كذا أو أخبر أنه رآه في الجنة الكل يشهد له أهل السنة والجماعة بالجنة تصديقاً منهم لخبر الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ ، فلقد أخبر ﷺ عن عشرة من المهاجرين بأنهم في الجنة وسماهم بأعيانهم وبشرهم بها وأولئك العشرة هم : -

(١) أبو بكر : عبد الله بن عثمان الصديق الأكبر .

(٢) أبو حفص : عمر بن الخطاب .

(٣) أبو عبد الله : عثمان بن عفان .

(٤) أبو الحسن : علي بن أبي طالب .

(٥) أبو محمد : طلحة بن عبيد الله .

(٦) أبو عبد الله : الزبير بن العوام .

(٧) أبو إسحاق : سعد بن أبي وقاص .

(٨) أبو محمد : عبد الرحمٰن بن عوف .

(٩) أبو عبيدة : عامر بن عبد الله بن الجراح .

(١٠) أبو الأعور : سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

وهؤلاء العشرة رضي الله عنهم انتظم تبشيرهم بالجنة حديث واحد .

روى الإمام الترمذي وغيره عن سعيد بن زيد أن رسول الله ﷺ قال : « **عشرة في الجنة : أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعلي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمٰن وأبو عبيدة ، وسعد بن أبي وقاص** » - قال : فعد هؤلاء التسعة ، وسكت عن العاشر ، فقال القوم ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر ؟ ، قال : « نشدتموني بالله أبو الأعور في الجنة »[1] .

هؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة رضي الله عنهم وكلهم من المهاجرين وتبشير العشرة هؤلاء بالجنة لا ينافي تبشير غيرهم ، فقد جاء تبشير غيرهم في غير ما خبر ، ولأن العدد في الحديث لا ينفي الزائد وممن بشر بالجنة سوى هؤلاء العشرة كثير منهم : -

(١١) « بلال بن رباح » :

بلال بن رباح الحبشي المؤذن واسم أمه حمامة اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد ، فأعتقه ، فلزم النبي ﷺ ، وأذن له ، شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وآخى بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح ، خرج رضي الله عنه مجاهداً بعد وفاة النبي ﷺ إلى أن مات بالشام زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2] .

وقد بشر رضي الله عنه بالجنة في غير ما حديث ، فقد روى البخاري رحمه الله من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : قال النبي ﷺ : « **رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء[3] امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة**

---

(١) سنن الترمذي : ٣/٣١١ - ٣١٢ ، وسنن أبي داود : ٢/٥١٥ - ٥١٦ ، وابن ماجة : ١/٤٨ .

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣/٢٣٢ - ٢٣٩ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة : ١/١٤٥ - ١٥٠ ، أسد الغابة : ١/٢٠٦ - ٢٠٩ ، تهذيب الأسماء واللغات : ١/١٣٦ - ١٣٧ ، سير أعلام النبلاء : ١/٣٤٧ . الإصابة : ١/١٦٩ ، تهذيب التهذيب : ١/٥٠٢ .

(٣) جاء في النهاية : ٢/٢٦٣ « يقال غمصت العين ورمصت من الغمص والرمص وهو البياض الذي =

فقلت : من هذا؟ ، فقال : هذا بلال »[1] .

وعند مسلم بلفظ : « .... ثم سمعت خشخشة أمامي فإذا بلال »[2] .

وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاة الغداة : « **يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة ، فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة** » ، قال بلال : ما عملت عملاً في الإسلام أرجى عندي منفعة من أني لا أتطهر طهوراً تاماً في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي[3] .

(١٢) « زيد بن حارثة » :

هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي بن عبد العزى بن زيد بن امريء القيس وزيد هذا هو والد أسامة بن زيد بن زيد الحب ابن الحب لرسول الله ﷺ ، وكان يدعى زيد بن محمد حتى نزلت ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾[4] ، استشهد في مؤتة من أرض الشام سنة ثمان من الهجرة رضي الله عنه[5] .

ومما جاء في بشارته بالجنة ما أخرجه ابن عساكر عن زيد بن الحباب : حدثني حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعاً ، أن النبي ﷺ قال : « **دخلت الجنة فاستقبلتني جارية شابة ، فقلت : لمن أنت ؟ قالت : أنا**

= تقطعه العين ويجتمع في زوايا الأجفان والرمص الرطب والغمص اليابس » .

(١) صحيح البخاري : ٢٩٣/٢ .

(٢) صحيح مسلم : ١٩٠٨/٤ .

(٣) صحيح مسلم : ١٩١٠/٤ .

(٤) من الآية رقم (٥) من سورة الأحزاب .

(٥) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد : ٤٠/٣ – ٤٧ ، الجرح والتعديل : ٥٥٩/٣ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة : ٥٢٥/١ – ٥٣٠ ، أسد الغابة : ٢٢٤/٢ – ٢٢٧ ، تهذيب الأسماء واللغات : ٢٠٢/١ – ٢٠٣ سير أعلام النبلاء : ٢٢٠/١ – ٢٣٠ ، مجمع الزوائد : ٢٧٤/٩ – ٢٧٥ ، الإصابة : ٥٤٥/١ – ٥٤٦ .

لزيد بن حارثة »[1] .

فهذا الحديث اشتمل على منقبة ظاهرة لزيد بن حارثة حيث أخبر النبي ﷺ أنه أحد الذين رأى لهم بعض النعيم المعد لهم في الجنة .

(١٣) « حاطب بن أبي بلتعة » :

هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي من ولد لخم بن عدي ، يكنى أبا عبد الله ، وقيل يكنى أبا محمد واسم أبي بلتعة عمرو بن راشد بن معاذ اللخمي ، حليف قريش ، ويقال : إنه من مذحج ، وقيل : هو حليف للزبير بن العوام ، وهو من أهل اليمن ، والأكثر أنه حليف لبني أسد بن عبد العزى ، شهد بدراً والحديبية ، ومات سنة ثلاثين بالمدينة ، وهو ابن خمس وستين سنة وصلى عليه ذو النورين عثمان[2] .

وقد جاء النص عليه في أنه من أصحاب الجنة ، وممن يقطع له بدخولها فيما رواه مسلم بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً ، فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ : **« كذبت ، لا يدخلها ، فإنه شهد بدراً والحديبية »**[3] .

فهذا الحديث تضمن فضيلة لأهل بدر والحديبية على وجه العموم ولحاطب

---

(١) أورده السيوطي في « الجامع الصغير » وعزاه للروياني والضياء في المختارة عن بريدة . انظر : فيض القدير للمناوي : ٥٢١/٣ ، وذكره الألباني في كتابه « سلسلة الأحاديث الصحيحة » : ٤٧٤/٤ ، وقال : رواه ابن عساكر : ٢/٣٩٩/٦ ، من طريقين عن زيد بن الحباب .. إلخ السند المذكور ، ثم قال : وهذا سند صحيح على شرط مسلم ، وأورده أيضاً في : صحيح الجامع : ١٤١/٣ ، وقال عقبه : صحيح .

(٢) انظر ترجمته في الطبقات لابن سعد : ١١٤/٣ - ١١٥ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة : ٣٤٧/١ - ٣٥٠ ، سير أعلام النبلاء : ٤٣/٢ - ٤٥ ، البداية والنهاية : ١٧١/٧ ، الإصابة : ٢٩٩/١ - ٣٠٠ .

(٣) صحيح مسلم : ١٩٤٢/٤ .

على وجه الخصوص ، حيث نص عليه باسمه أنه من أهل الجنة وأن النار لا تمسه رضي الله عنه وأرضاه .

(١٤) « عكاشة بن محصن » :

هو عكاشة بن محصن بن حرثان بن مرة بن بكير بن غنم بن دودان بن أسيد بن خزيمة الأسدي حليف بني عبد شمس من السابقين الأولين البدريين أهل الجنة ، قتل شهيداً في قتال أهل الردة زمن أبي بكر الصديق قتله طليحة بن خويلد الأسدي الذي ادعى النبوة وقد هداه الله – عز وجل – فرجع إلى الإسلام[1] .

شهد له الرسول ﷺ بالجنة .

فقد روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : خرج علينا النبي ﷺ يوماً فقال : « **عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط ، والنبي ليس معه أحد ورأيت سواداً كثيراً سد الأفق ، فرجوت أن تكون أمتي ، فقيل : هذا موسىٰ وقومه ، ثم قيل لي : انظر . فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق ، فقيل لي : انظر هكذا وهكذا ، فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل : هؤلاء أمتك ، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب** » ، فتفرق الناس ، ولم يبين لهم فتذاكر أصحاب النبي ﷺ ، فقالوا : أما نحن فولدنا في الشرك ، ولكنا آمنا بالله ورسوله ، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا ، فبلغ النبي ﷺ فقال : « **هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون** » ، فقام عكاشة بن محصن ، فقال : أمنهم أنا يا رسول الله ؟ ، قال : « **نعم** » ، فقام آخر ، فقال : أمنهم أنا ؟ فقال : « **سبقك بها عكاشة** »[2] .

---

(١) انظر ترجمته في « طبقات ابن سعد » : ٩٢/٣ – ٩٣ ، الجرح والتعديل : ٣٩/٧ ، حلية الأولياء : ١٢/٢ – ١٣ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة : ١٥٥/٣ – ١٥٧ ، تهذيب الأسماء واللغات : ٣٣٨/١ ، الإصابة : ٤٨٧/٢ – ٤٨٩ .

(٢) صحيح البخاري : ١٨/٤ – ١٩ ، وانظر صحيح مسلم : ١٩٩/١ .

وعند الإمام مسلم من حديث عمران بن حصين ، قال : قال نبي الله ﷺ : « **يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب** » ، قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ ، قال : « **هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون** » ، فقام عكاشة ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : « **أنت منهم** »[1] .

فهذان الحديثان فيهما منقبة ظاهرة لعكاشة بن محصن رضي الله عنه وهي أن النبي ﷺ أخبر بأنه من المقطوع لهم بدخول الجنة .

(١٥) « سعد بن معاذ » :

هو أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان بن امريء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي سيد الأوس ، وأمه كبشة بنت رافع ، لها صحبة ، أسلم رضي الله عنه بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية على يدي مصعب بن عمير ، ثم كان سبباً في إسلام قومه كلهم ، شهد بدراً ، وأحداً ، والخندق ، ورمي يوم الخندق بسهم فعاش بعد ذلك شهراً حتى حكم في بني قريظة حكمه المشهور[2] الذي وافق فيه حكم الله من فوق سبع سماوات ، وبعد ذلك مات بسبب انتقاض جرحه وذلك سنة خمس[3] .

وقد أخبر ﷺ ببعض ما أعد الله له في الجنة من النعيم ، فقد روى الشيخان

---

(١) صحيح مسلم : ١٩٨/١ .

(٢) وهو أن من أنبت منهم قتل ومن لم ينبت خلي سبيله ، انظر حديث عطية القرظي في سنن أبي داود : ٤٥٣/٢ ، سنن الترمذي : ٧٢/٣ ، وقال « هذا حديث حسن صحيح » .

(٣) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد : ٤٢٠/٣ - ٤٣٦ ، الجرح والتعديل : ٩٣/٤ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة : ٢٥/٢ - ٣٠ ، أسد الغابة : ٢٩٦/٢ - ٢٩٩ ، تهذيب الأسماء واللغات : ٢١٤/١ - ٢١٥ ، سير أعلام النبلاء : ٢٧٩/١ - ٢٩٧، البداية والنهاية : ١٤٣/٤ - ١٤٦ ، الإصابة : ٣٥/٢ .

من حديث البراء رضي الله عنه ، قال : أهديت للنبي ﷺ حلة حرير ، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها ، فقال : « **تعجبون من لين هذه ؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين** »[1] .

ورويا أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه ، قال : أهدي للنبي ﷺ جبة[2] سندس وكان ينهى عن الحرير فعجب الناس منها فقال : « **والذي نفس محمد بيده إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا** »[3] . ففي هذين الحديثين : إشارة إلى عظيم منزلة سعد في الجنة ، وأن أدنى ثيابه فيها التي هي المناديل خير من تلك الجبة التي أثارت العجب في نفوس أصحاب رسول الله ﷺ ، لأن المنديل أدنى الثياب ، فغيره أفضل ، وفيهما إثبات الجنة لسعد بن معاذ رضي الله عنه[4] .

(١٦) « ثابت بن قيس بن شماس » :

هو : ثابت بن قيس بن شماس بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ، وأمه امرأة من طيء ، يكنى أبا محمد بابنه محمد ، وقيل : أبا عبد الرحمٰن ، كان رضي الله عنه خطيب الأنصار ، ويقال له : خطيب رسول الله ﷺ ، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، وقتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه[5] .

---

(١) صحيح البخاري : ٩٥/٢ ، صحيح مسلم ١٩١٦/٤ ، وانظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : ١٥٨/٣ .

(٢) الجبة : هي ما قطع من الثياب مشمراً . هدي الساري ، ص : ٩٦ ، وانظر شرح النووي : ٢٣/١٦ - ٢٤ .

(٣) صحيح البخاري : ٩٥/٢ ، صحيح مسلم : ١٩١٦/٤ ، وانظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : ١٥٨/٣ .

(٤) انظر شرح النووي على صحيح مسلم : ٢٣/١٦ .

(٥) انظر ترجمته في الاستيعاب على حاشية الإصابة : ١٩٣/١ - ١٩٧ ، تهذيب الأسماء واللغات : ١٣٩/١ - ١٤٠ ، سير أعلام النبلاء : ٣٠٨/١ - ٣١٤ ، تهذيب التهذيب : ١٢/٢ - ١٣ ، الإصابة : ١٩٧/١ .

وقد وردت بشارته بالجنة فيما رواه البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه (أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس ، فقال رجل : يا رسول الله أنا أعلم لك علمه ، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه ، فقال له : ما شأنك ؟ ، فقال : شر . كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ ، فقد حبط عمله ، وهو من أهل النار فأتى الرجل[1] النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا ، فقال موسى[2] : فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة ، فقال : « **اذهب إليه ، فقل له : إنك لست من أهل النار ، ولكنك من أهل الجنة** »[3] .

وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أنس بن مالك، أنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[4] إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: « **يا أبا عمر ، وما شأن ثابت؟ أشتكى**[5] »؟، قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « **بل هو من أهل الجنة** » .

وفي رواية أخرى له عن أنس قال : لما نزلت هذه الآية . واقتص الحديث[6] ولم يذكر سعد بن معاذ ، وزاد : فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة[7] .

---

(١) هذا الرجل هو سعد بن معاذ كما في رواية مسلم التي ستأتي بعد هذا الحديث .
(٢) هو ابن أنس راوي الحديث عن أنس . انظر فتح الباري : ٥٩٢/٨ .
(٣) صحيح البخاري : ١٩١/٣ .
(٤) سورة الحجرات ، آية : ٢ .
(٥) أشتكى : الهمزة للاستفهام أي : أمرض ، فالشكوى هنا المرض وهمزة الوصل ساقطة كما في قوله تعالى : ﴿ **أصطفى البنات على البنين** ﴾ .
(٦) أي : وروى الحديث على وجهه .
(٧) الحديثان في صحيح مسلم : ١١٠/١ - ١١١ .

هذه الأحاديث تضمنت منقبة عظيمة لثابت بن قيس رضي الله عنه وهي أن النبي ﷺ أخبر أنه من أهل الجنة رضي الله عنه وأرضاه .

(١٧) « حارثة بن سراقة » :

هو حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر ابن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري ، أمه الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك ، شهد بدراً ، وقتل يومئذ شهيداً ، قتله حبان بن العرقة بسهم وهو يشرب من الحوض ، وكان خرج نظاراً يوم بدر ورماه فأصاب حنجرته فقتله ، وهو أول قتيل قتل ببدر من الأنصار[1] .

وقد شهد له النبي ﷺ بأنه من أهل الجنة ، فقد روى البخاري رحمه الله تعالى بإسناده إلى أنس رضي الله عنه ، قال : « أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام ، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني ، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الأخرى تر ما أصنع ، فقال : **« ويحك - أو هبلت - أو جنة واحدة هي ؟ ، إنها جنات كثيرة ، وإنه في جنة الفردوس »**[2] .

وروى أيضاً : بإسناده إلى أنس بن مالك أن أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت : يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب - فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ، قال : **« يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى »**[3] .

في هذين الحديثين منقبة ظاهرة لحارثة بن سراقة وهي أن النبي ﷺ أخبر

---

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد : ٥١٠/٣ - ٥١١ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة : ٢٨٤/١ ، الإصابة في تمييز الصحابة : ٢٩٧/١ ، فتح الباري : ٣٠٥/٧ ، أسد الغابة : ٣٥٥/١ - ٣٥٦ .

(٢) صحيح البخاري : ٧/٣ .

(٣) صحيح البخاري : ١٣٩/٢ .

أمه بأنه في الجنة وأنه أصاب من الجنان أعلاها ، وهي الفردوس .

(١٨) « حارثة بن النعمان » :

هو : حارثة بن النعمان بن نقع بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري ، يكنى أبا عبد الله ، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان من فضلاء الصحابة ، توفي رضي الله عنه في خلافة معاوية بن أبي سفيان[1] .

وحارثة هذا وردت بشارته بالجنة فيما صح من الخبر عن النبي ﷺ ، فقد روى الإمام أحمد بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها ، قالت:قال رسول الله ﷺ : « **نمت فرأيتني في الجنة فسمعت صوت قارىء يقرأ فقلت : من هذا ؟ ، قالوا : حارثة بن النعمان** » ، فقال لها رسول الله ﷺ : « **كذاك البر كذاك البر** » وكان أبر الناس بأمه »[2] .

ورواه أبو عبد الله الحاكم بلفظ : « **دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة فقلت : من هذا ؟ ، قالوا : حارثة بن النعمان** » ، فقال رسول الله ﷺ : « **كذلكم البر كذلكم البر** »[3] .

قال الطيبي في قوله ﷺ : « **كذلكم البر كذلكم البر** » المشار إليه ما سبق والمخاطبون الصحابة ، فإن المصطفى ﷺ رأى هذه الرؤيا وقصها على أصحابه ، فلما بلغ إلى قوله النعمان نبههم على سبب نيل تلك الدرجة بقوله

---

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد : ٤٨٧/٣ – ٤٨٨ ، طبقات خليفة ، ص : ٩٠ ، المستدرك : ٢٠٨/٣ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة : ٢٨٢/١ – ٢٨٤ ، أسد الغابة : ٣٥٨/١ – ٣٥٩ ، سير أعلام النبلاء : ٣٧٨/٢ – ٣٨٠ ، الإصابة : ٢٩٨/١ – ٢٩٩ .

(٢) المسند : ١٥١/٦ – ١٥٢ ، قال الحافظ : إسناده صحيح . الإصابة : ٢٩٨/١ .

(٣) المستدرك : ٢٠٨/٣ ، وقال عقبه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي . وأورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة . انظر فيض القدير للمناوي : ٥١٩/٣ ، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٦١٦/٢ .

« **كذلكم البر** » ، أي : حارثة ، نال تلك الدرجة بسبب البر وموقع هذه الجملة التذييل كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ، وفيه من المبالغة أنه جعل جزاء البر براً ، وعرف الخبر بلام الجنس تنبيهاً على أن هذه الدرجة القصيا لا تنال إلا بير الوالدين والتكرار للاستيعاب . اهـ[1] .

(١٩) « عبد الله بن سلام » :

هو : عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف بن يعقوب ﷺ ، كان حليفاً للأنصار ، وهو أحد أحبار اليهود أسلم رضي الله عنه حين قدم النبي ﷺ المدينة ، وكان اسمه في الجاهلية الحصين ، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله ، توفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين[2] .

أخبر رسول الله ﷺ أنه من أهل الجنة .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سعد بن أبي وقاص قال : ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض (إنه من أهل الجنة) ، إلا لعبد الله بن سلام ، قال : وفيه نزلت هذه الآية : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ... ﴾[3] الآية .

ورويا أيضاً – عن قيس بن عباد ، قال : كنت جالساً في مسجد المدينة ، فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع ، فقالوا : هذا رجل من أهل الجنة ، فصلى ركعتين تجوز فيهما ، ثم خرج ، وتبعته ، فقلت إنك حين دخلت المسجد قالوا : هذا رجل من أهل الجنة ، قال : والله ما ينبغي لأحد[4] أن يقول ما لا يعلم ،

---

(١) ذكره عنه المناوي في فيض القدير : ٥١٩/٣ والآية رقم (٣٤) من سورة النمل .

(٢) انظر ترجمته في الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة : ٣٧٤/٢ – ٣٧٦ ، أسد الغابة : ١٧٦/٣ ، البداية والنهاية : ٣٠/٨ ، الإصابة : ٣١٢/٢ – ٣١٣ .

(٣) صحيح البخاري : ٣١٤/٢ ، صحيح مسلم : ١٩٣٠/٤ ، والآية رقم (١٠) من سورة الأحقاف .

(٤) هذا إنكار من عبد الله بن سلام حيث قطعوا له بالجنة فيحمل على أن هؤلاء بلغهم خبر سعد بن =

وسأحدثك لم ذاك رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه ، ورأيت كأني في روضة ذكر من سعتها وخضرتها وسطها عمود من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء ، في أعلاه عروة[1] فقيل له : ارقه ، قلت : لا أستطيع فأتاني منصف[2] فرفع ثيابي من خلفي فرقيت حتى كنت في أعلاها فأخذت العروة فقيل له : استمسك فاستيقظت وإنها لفي يدي ، فقصصتها على النبي ﷺ ، فقال : « **تلك الروضة الإسلام ، وذلك العمود عمود الإسلام ، وتلك العروة عروة الوثقى ، فأنت على الإسلام حتى تموت** » وذاك الرجل عبد الله بن سلام »[3] .

وفي سنن الترمذي من حديث طويل عن معاذ بن جبل ، قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول - أي في ابن سلام - «**إنه عاشر عشرة[4] في الجنة**»[5] .

هذه الأحاديث تضمنت الشهادة بالجنة لعبد الله بن سلام وأنه من المقطوع لهم بها .

قال ابن كثير في ترجمة عبد الله بن سلام : « وهو ممن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وهو ممن يقطع له بدخولها »[6] .

= أبي وقاص بأن ابن سلام من أهل الجنة ولم يسمع هو ، ويحتمل أنه كره الثناء عليه بذلك تواضعاً وإيثاراً للخمول وكراهة للشهرة . شرح النووي : ٤٢/١٦ ، فتح الباري : ١٣١/٧ .

(١) العروة : هي مقبض الشيء . انظر لسان العرب : ٤٥/١٥ .

(٢) هو : الخادم الصغير المدرك للخدمة . شرح النووي : ٤٢/١٦ ، النهاية في غريب الحديث : ٦٦/٥ .

(٣) صحيح البخاري : ٣١٤/٢ - ٣١٥ ، صحيح مسلم : ١٩٣٠/٤ - ١٩٣١ ، وانظر اللؤلؤ والمرجان : ١٦٤/٣ .

(٤) جاء في تحفة الأحوذي : ٣٠٧/١٠ : (عاشر عشرة في الجنة) أي : مثل عاشر عشرة ، أو المعنى يدخل بعد تسعة نفر من الصحابة في الجنة ذكره السيد جمال الدين .
قال القاريء : وفيه أنه يلزم تقدمه على بعض العشرة ، فلعله العاشر من الذين أسلموا من اليهود ، أو مما عدا العشرة المبشرة فيدخل الجنة بعد تسعة عشر من الصحابة اهـ .

(٥) سنن الترمذي : ٣٣٦/٥ ، وقال عقبه : وفي الباب عن سعد هذا حديث حسن غريب .

(٦) البداية والنهاية : ٣٠/٨ .

(٢٠) « أم سليم بنت ملحان » :

هي : أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر ابن غنم بن عدي بن النجار . اختلف في اسمها ، فقيل : سهلة ، وقيل : رميلة ، وقيل : رميثة ، وقيل : مليكة ، ويقال : الغميصاء ، أو الرميصاء كانت تحت مالك بن النضر ، أبي أنس بن مالك في الجاهلية ، فولدت أنساً في الجاهلية ، وأسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار ، فغضب مالك وخرج إلى الشام ، فمات ، فتزوجت بعده أبا طلحة الأنصاري[١] .

أخبر النبي ﷺ أنه رآها وسمع صوت حركة مشيها في الجنة .

فقد روى البخاري بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : قال النبي ﷺ: **«رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء[٢] امرأة أبي طلحة»**[٣].

وعند مسلم بلفظ : **« أريت الجنة ، فرأيت امرأة أبي طلحة »**[٤] .

وروى مسلم بإسناده إلى أنس بن مالك عن النبي ﷺ ، قال : **« دخلت الجنة فسمعت خشفة[٥] ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك »**[٦] .

فهذه الأحاديث تضمنت شهادة النبي ﷺ بالجنة لأم سليم رضي الله عنها .

---

(١) طبقات ابن سعد : ٤٢٤/٨ - ٤٣٤ ، الجرح والتعديل : ٤٦٤/٩ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة : ٤٣٧/٤ - ٤٣٨ ، سير أعلام النبلاء : ٣٠٤/٢ - ٣١١ ، الإصابة : ٤٤١/٤ - ٤٤٢ ، تهذيب التهذيب ٤٧١/١٢ .

(٢) الرمص : قذى يابس وغير يابس يكون في أطراف العينين . انظر شرح النووي : ١١/١٦ ، النهاية في غريب الحديث : ٢٦٣/٢ .

(٣) صحيح البخاري : ٢٩٣/٢

(٤) صحيح مسلم ١٩٠٨/٤

(٥) هي : حركة المشي وصوته انظر شرح النووي : ١١/١٦ ، النهاية في غريب الحديث : ٣٤/٢ .

(٦) صحيح مسلم ١٩٠٨/٤

وهناك جماعة من أهل بيت النبوة غير عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه وردت نصوص عن النبي ﷺ فيها دلالة واضحة في أنهم ممن يقطع لهم بدخول الجنة ، منهم أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد ، فقد بشرها النبي ﷺ ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[1] ، وابنته فاطمة رضي الله عنها أخبر بأنها سيدة نساء أهل الجنة[2] وولداها الحسن والحسين فقد بين عليه الصلاة والسلام بأنهما سيدا شباب أهل الجنة[3] ، وحمزة بن عبد المطلب وجعفر ابن أبي طالب رضي الله عنهما ، فقد أخبر عليه الصلاة والسلام أنه دخل الجنة فنظر فيها فإذا جعفر يطير مع الملائكة وإذا حمزة متكيء على سرير[4] .

فكل من تقدم ذكره شهد له الرسول ﷺ بالجنة على سبيل التنصيص عليه باسمه منفرداً ، كما شهد ﷺ بالجنة لخلق كثير من الصحابة على سبيل الجمع كأهل بدر وأهل بيعة الرضوان ، فأهل بدر كان عددهم رضي الله عنهم بضعة[5] عشر وثلاثمائة[6] ، فهؤلاء أخبر عنهم ﷺ أنهم من أهل الجنة فقد روى البخاري من حديث طويل عن عليٍّ رضي الله عنه ، وفيه أنه قال : « **لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو فقد غفرت لكم** »[7] .

---

(١) صحيح البخاري : ٣١٥/٢ - ٣١٦ ، صحيح مسلم : ١٨٨٧/٤ .

(٢) انظر صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٦٢٧/٦ - ٦٢٨ ، المستدرك : ١٥١/٣ .

(٣) انظر المسند : ٣/٣ ، سنن الترمذي : ٣٢١/٥ ، سنن ابن ماجة : ٤٤/١ ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة . انظر فيض القدير للمناوي : ٤١٥/٣ .

(٤) انظر المستدرك : ٢٠٩/٣ ، الجامع الصغير للسيوطي . انظر فيض القدير للمناوي : ٥٢١/٣ ، صحيح الجامع الصغير للألباني : ١٤٠/٣ - ١٤١ .

(٥) البضع في العدد بالكسر وقد يفتح ما بين الثلاث إلى التسع ، وقيل ما بين الواحد إلى العشرة لأنه قطعة من العدد . النهاية في غريب الحديث : ١٣٣/١ .

(٦) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٢٩٠/٧ - ٢٩١ .

(٧) صحيح البخاري : ٧/٣ .

وأما أهل بيعة الرضوان فقد كان عددهم ألفاً وأربعمائة[1] وكلهم شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة ، وأنهم ممن يقطع لهم بدخولها ، فقد قال ﷺ كما في حديث جابر عند مسلم رحمه الله أن النبي ﷺ قال : « **لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها** »[2] .

فقد قال أهل العلم : « معناه لا يدخلها أحد منهم قطعاً ... وإنما قال إن شاء الله للتبرك لا للشك »[3] .

فأهل السنة والجماعة يشهدون بالجنة لكل من قدمنا ذكره في هذا المبحث[4] ، بل يشهدون بالجنة لجميع الصحابة من مهاجرين وأنصار حيث إن الله تعالى وعدهم جميعاً بالحسنى كما قال : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾[5] .

* * *

(١) ذكر البخاري ثلاثة أقوال في عددهم وأرجحها ما أوردناه هنا . انظر صحيح البخاري : ٤٢/٣ – ٤٣ ، وشرحه فتح الباري : ٤٤٠/٧ .

(٢) صحيح مسلم : ١٩٤٢/٤ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : ٥٨/١٦ .

(٤) انظر كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة ، ص : ٢٦١ – ٢٦٤ ، عقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية : ١٢٨/١ ، لمعة الاعتقاد لابن قدامة ، ص : ٢٨ ، العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية مع شرحها لمحمد خليل هراس ، ص : ١٦٩ ، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لصديق حسن خان ، ص : ٩٨ .

(٥) سورة الحديد : آية ١٠ .



○ الفصل الثاني ○

* إثبات عدالتهم رضي الله عنهم ، *



○ الفصل الثاني ○

* إثبات عدالتهم رضي الله عنهم ، *

وفيه مباحث :

المبحث الأول : معنى العدالة في اللغة والاصطلاح .
المبحث الثاني : تعديل الله ورسوله للصحابة .
المبحث الثالث : الإجماع على عدالتهم رضي الله عنهم .



★ المبحث الأول ★

معنى العدالة في اللغة والاصطلاح

* أولاً : معنى العدالة في اللغة :

جاء في الصحاح[1] للجوهري : « العدل خلاف الجور ، يقال : عدل عليه في القضية فهو عادل ، وبسط الوالي عدله ومعدِلته ومعدَلَته ، وفلان من أهل المَعْدلة ، أي : من أهل العدل ، ورجل عدل ، أي : رضا ومقنع في الشهادة ، وهو في الأصل مصدر ، وقوم عدْل وعدول أيضاً : وهو جمع عدل وقد عُدل الرجل بالضم عدالة ... إلى أن قال : وتعديل الشيء : تقويمه ، يقال : عدلته فاعتدل ، أي : قومته فاستقام » .

وجاء في لسان العرب[2] : « رجل عدل بين العدل والعدالة : وصف بالمصدر معناه ذو عدل ، قال في موضعين : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[3]، ويقال : رجل عدل ورجلان عدل ، ورجال عدل ، وامرأة عدل ، ونسوة عدل ، كل ذلك على معنى رجال ذوو عدل ، ونسوة ذوات عدل ، فهو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ، فإن رأيته مجموعاً ، أو مثنى أو مؤنثاً ، فعلى أنه قد أجري مجرى الوصف الذي ليس بمصدر » اهـ .

وجاء في المصباح المنير : « وعدلت الشاهد نسبته إلى العدالة ووصفته بها و « عُدّل » هو بالضم ، « عدالة » و « عدولة » فهو « عدل » أي : مرضي يقنع به ويطلق « العدل » على الواحد وغيره بلفظ واحد ، وجاز أن يطابق في التثنية

---

(١) ٥/١٧٦٠ - ١٧٦١ ، مختار الصحاح ، ص : ٤١٥ - ٤١٦ .

(٢) ١١/٤٣٠ .

(٣) سورة الطلاق ، آية / ٢ .

والجمع فيجمع على عدول ، قال ابن الأنباري : وأنشدنا أبو العباس :

وتعاقد العقد الوثيق وأشهدا   من كل قوم مسلمين عدولاً

وربما طابق في التأنيث ، وقيل : امرأة عدلة[1] .

وجاء في القاموس[2] : « العدل ضد الجور ، وما قام في النفوس أنه مستقيم كالعدالة والعَدُولة والمعدِلة والمعدَلة » اهـ .

فمن هذه التعاريف اللغوية تبين أن معنى العدالة في اللغة الاستقامة ، وأن العدل هو الذي لم تظهر منه ريبة[3] ، وهو الذي يرضى الناس عنه ، ويقبلون شهادته ويقنعون بها[4] .

* ثانياً : تعريف العدالة في الاصطلاح :

أما تعريف العدالة في الاصطلاح فقد تنوعت فيها عبارات العلماء من محدثين وأصوليين وفقهاء :

(١) روى الخطيب البغدادي بإسناده إلى القاضي أبي بكر محمد بن الطيب أنه قال : العدالة المطلوبة في صفة الشاهد والمخبر هي العدالة الراجعة إلى استقامة دينه ، وسلامة مذهبه ، وسلامته من الفسق ، وما يجري مجراه مما اتفق على أنه مبطل العدالة من أفعال الجوارح والقلوب المنهي عنها[5] .

(٢) وعرفها الخطيب البغدادي بقوله : « العدل هو من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به وتوقي ما نهي عنه ، وتجنب الفواحش المسقطة وتحري الحق والواجب في أفعاله ومعاملته والتوقي في لفظه مما يثلم الدين والمروءة فمن

---

(١) المصباح المنير : ٣٩٧/٢ .

(٢) ١٣/٤ .

(٣) انظر لسان العرب : ٤٣١/١١ ، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف : ٢٨٢/١١ .

(٤) انظر المصباح : ٣٩٧/٢ .

(٥) الكفاية ، ص : ١٠٢ .

كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه ومعروف بالصدق في حديثه وليس يكفيه في ذلك اجتناب كبائر الذنوب التي يسمى فاعلها فاسقاً حتى يكون مع ذلك متوقياً لما يقول كثير من الناس أنه لا يعلم أنه كبير[1] .

(٣) وعرفها الغزالي بقوله : « والعدالة : عبارة عن استقامة السيرة والدين ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه فلا ثقة بقول من لا يخاف الله تعالى خوفاً وازعاً عن الكذب ، ثم لا خلاف في أنه لا يشترط العصمة من جميع المعاصي ولا يكفي أيضاً : اجتناب الكبائر بل من الصغائر ما يرد به كسرقة بصلة وتطفيف في حبة قصداً ، وبالجملة كل ما يدل على ركاكة دينه إلى حد يستجريء على الكذب بالأغراض الدنيوية كيف وقد شرط في العدالة التوقي عن بعض المباحات القادحة في المروءة نحو الأكل في الطريق والبول في الشارع وصحبة الأراذل وإفراط المزح وضابط ذلك فيما جاوز محل الإجماع أن يرد إلى اجتهاد الحاكم فما دل عنده على جرأته على الكذب رد الشهادة به وما لا ، فلا »[2] .

(٤) وعرفها ابن الحاجب[3] بقوله : العدالة : هي محافظة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروءة ليس معها بدعة ، وتتحقق باجتناب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر وبعض المباح كاللعب بالحمام والاجتماع مع الأراذل والحرف الدنية مما لا يليق به ولا ضرورة »[4] .

(٥) وعرفها الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بقوله : « المراد بالعدل من له

---

(١) الكفاية ، ص : ١٠٣ .

(٢) المستصفى للغزالي : ١٥٧/١ .

(٣) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس بن عمرو جمال الدين بن الحاجب فقيه مالكي من كبار العلماء بالعربية ولد في أسنا من صعيد مصر سنة سبعين وخمسمائة ، وتوفي سنة ست وأربعين وستمائة هجرية . انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء : ٢٦٤/٢٣ - ٢٦٦ ، البداية والنهاية : ١٦٨/١٣ ، الأعلام للزركلي : ٣٧٤/٤ ، معجم المؤلفين : ٢٦٥/٦ .

(٤) مختصر منتهى الأصولي مع شرح القاضي عضد الملة والدين : ٦٣/٢ .

ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة ، والمراد بالتقوى : اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة »[1] .

(٦) وعرفها أيضاً بتعريف آخر فقال : « والعدل والرضا عند الجمهور من يكون مسلماً مكلفاً حراً غير مرتكب كبيرة ولا مصر على صغيرة . زاد الشافعي : وأن يكون ذا مروءة »[2] .

واشتراط الحرية فيه نظر .

(٧) وذكر علاء الدين أبو الحسن عليٌّ بن سليمان المرداوي عدة تعريفات للعدالة في كتابه « الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف »[3] حيث قال : « العدالة : هي استواء أحواله في دينه واعتدال أقواله وأفعاله ، وقيل : العدل من لم تظهر منه ريبة » .

وذكر أبو محمد الجوزي في العدالة : « اجتناب الريبة وانتفاء التهمة » . زاد في الرعاية : « وفعل ما يستحب وترك ما يكره » اهـ .

(٨) وقال السيوطي في تعريف العدالة : « حدها الأصحاب : بأنها ملكة أي : هيئة راسخة في النفس تمنع من اقتراف كبيرة أو صغيرة دالة على الخسة أو مباح يخل بالمروءة وهذه أحسن عبارة في حدها وأضعفها قول من قال : اجتناب الكبائر والإصرار على الصغائر لأن مجرد الاجتناب من غير أن تكون عنده ملكة وقوة تردعه عن الوقوع فيما يهواه غير كاف في صدق العدالة ، ولأن التعبير بالكبائر بلفظ الجمع يوهم أن ارتكاب الكبيرة الواحدة لا يضر وليس كذلك ، ولأن الإصرار على الصغائر من جملة الكبائر فذكره في الحد تكرار »[4] .

---

(١) نزهة النظر شرح نخبة الفكر ، ص : ٢٩ ، وانظر شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول للقرافي ، ص : ٣٦١ .

(٢) فتح الباري : ٢٥١/٥ – ٢٥٢ ، وانظر : تيسير التحرير : ٤٤/٣ .

(٣) ٤٣/١٢ .

(٤) الأشباه والنظائر ، ص : ٣٨٤ – ٣٨٥ .

هذه تعريفات أهل العلم للعدالة في الاصطلاح ، وهي وإن تنوعت عباراتها إلا أنها ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ولا تتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهي وأن يبعد عما يخل بالمروءة ، وأيضاً : لا تتحقق إلا بالإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والسلامة من الفسق .

والمراد بالفسق : ارتكاب كبيرة من كبائر الذنوب والإصرار على صغيرة من الصغائر لأن الإصرار على فعل الصغائر يصيرها من الكبائر .

والمروءة التي يعبر عنها أهل العلم : هي الآداب النفسية التي تحمل صاحبها على الوقوف عند مكارم الأخلاق ، ومحاسن العادات وما يخل بالمروءة يعود إلى سببين : —

الأول : ارتكاب الصغائر من الذنوب التي تدل على الخسة كسرقة شيء حقير كبصلة أو تطفيف في حبة قصداً .

الثاني : فعل بعض الأشياء المباحة التي ينتج عنها ذهاب كرامة الإنسان أو هيبته وتورث الاحتقار ، وذلك مثل كثرة المزاح المذموم .

ولم تتحقق العدالة في أحد تحققها في أصحاب رسول الله ﷺ ، فجميعهم رضي الله عنهم عدول تحققت فيهم صفة العدالة ومن صدر منه ما يدل على خلاف ذلك كالوقوع في معصية فسرعان ما يحصل منه التوجه إلى الله تعالى بالتوبة النصوح الماحية التي تحقق رجوعه وتغسل حوبته فرضي الله عنهم أجمعين .

* * *

★ المبحث الثاني ★

تعديل الله ورسوله للصحابة

لقد تضافرت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على تعديل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، مما لا يبقى معها شك لمرتاب في تحقيق عدالتهم ، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله ، ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى النبي ﷺ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن ذلك : -

(١) قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[١] .

ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم أن وسطاً بمعنى « عدولاً خياراً »[٢] ، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة .

وقد ذكر بعض أهل العلم أن اللفظ وإن كان عاماً إلا أن المراد به الخصوص ، وقيل : « إنه وارد في الصحابة دون غيرهم »[٣] .

وقد بين الرازي المعنى لقوله تعالى في الآية : ﴿وَسَطًا﴾ من وجوه :

---

(١) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري : ٧/٢ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٥٣/٢ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٣٣٥/١ .

(٣) انظر الكفاية للخطيب البغدادي ، ص : ٦٤ .

أحدها : أن الوسط حقيقة في البعد عن الطرفين ، فكان معتدلاً فاضلاً .

الثاني : إنما سمي العدل وسطاً لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين والعدل هو : المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الطرفين .

الثالث : لا شك أن المراد بقوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ طريقة المدح لهم لأنه لا يجوز أن يذكر الله تعالى وصفاً ويجعله كالعلة في أن جعلهم شهوداً له ، ثم يعطف على ذلك شهادة الرسول إلا وذلك مدح فثبت أن المراد بقوله وسطاً : ما يتعلق بالمدح في باب الدين ولا يجوز أن يمدح الله الشهود حال حكمه عليهم بكونهم شهوداً إلا بكونهم عدولاً ، فوجب أن يكون المراد من الوسط العدالة .

الرابع : أن أعدل بقاع الشيء وسطه لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء وعلى اعتدال ، والأطراف يتسارع إليها الخلل والفساد والأوساط محمية محوطة ، فلما صح ذلك في الوسط صار كأنه عبارة عن المعتدل الذي لا يميل إلى جهة دون جهة »[1] اهـ .

فالآية ناطقة بعدالة الصحابة رضي الله عنهم قبل غيرهم ممن جاء بعدهم من هذه الأمة .

(٢) قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[2] .

ووجه دلالة هذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة ، ومن

---

(١) تفسير الرازي : ٩٧/٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١١٠ .

البعيد أن يصفهم الله - عز وجل - بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة ، وهل الخيرية إلا ذلك ، كما أنه لا يجوز أن يخبر الله تعالى بأنه جعلهم أمة وسطاً - أي : عدولاً - وهم على غير ذلك .

والخطاب في هاتين الآيتين وإن كان موجهاً لمن كان موجوداً مع النبي ﷺ وقت نزول الآيتين إلا أنه يشمل جميع الأمة ويكون الصحابة هم أولى الناس بالدخول فيه لما لهم من المآثر الجليلة والأعمال الخيرية النبيلة التي جعلتهم أهلاً لأن يتصفوا بتلك الصفات الواردة في الآيتين .

قال الشاطبي[1] رحمه الله تعالى : سنة الصحابة رضي الله عنهم سنة يعمل عليها ويرجع إليها ، ومن الدليل على ذلك أمور : -

أحدها : ثناء الله عليهم من غير مثنوية ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها كقوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ، وقوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ، ففي الآية الأولى : إثبات الأفضلية على سائر الأمم ، وذلك يقضي باستقامتهم في كل حال ، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة .

وفي الثانية : إثبات العدالة مطلقاً ، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى .

ولا يقال إن هذا عام في الأمة ، فلا يختص بالصحابة دون من بعدهم لأنا نقول :

أولاً : ليس كذلك بناء على أنهم المخاطبون على الخصوص ولا يدخل معهم من بعدهم إلا بقياس وبدليل آخر .

---

(١) هو : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي الشهير بالشاطبي ، أبو إسحاق ، محدث ، فقيه ، أصولي ، لغوي ، مفسر ، مات في شعبان سنة تسعين وسبعمائة .

انظر ترجمته في « فهرس الفهارس » : ١٣٤/١ ، الأعلام للزركلي : ٧١/١ ، معجم المؤلفين : ١١٨/١ .

ثانياً : على تسليم التعميم أنهم أول داخل في شمول الخطاب ، فإنهم أول من تلقى ذلك من الرسول عليه الصلاة والسلام وهم المباشرون للوحي .

ثالثاً : أنهم أولى بالدخول من غيرهم ، إذ الأوصاف التي وصفوا بها لم يتصف بها على الكمال إلا هم ، فمطابقة الوصف للاتصاف شاهد على أنهم أحق من غيرهم بالمدح ، وأيضاً : فإن من بعد الصحابة من أهل السنة عدلوا الصحابة على الإطلاق والعموم فأخذوا عنهم رواية ودراية من غير استثناء ، ولا محاشاة ، بخلاف غيرهم فلم يعتبروا منهم إلا من صحت إمامته وثبتت عدالته وذلك مصدق لكونهم أحق بذلك المدح من غيرهم ، فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق ، وأنهم وسط ، أي : عدول بإطلاق ، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر وعملهم مقتدى به[1].

(٣) قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[2]

ففي هذه الآية وصف الله تعالى عموم المهاجرين والأنصار بالإيمان الحق ومن شهد الله له بهذه الشهادة فقد بلغ أعلى مرتبة العدالة .

(٤) قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[3] .

ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم رضي الله عنهم أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا ، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلاً في دينه .

---

(١) الموافقات : ٤/٤٠ - ٤١ .

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٧٤ .

(٣) سورة التوبة ، آية : ١٠٠ .

ومن أثنى الله تعالى عليه بهذا الثناء كيف لا يكون عدلاً وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس فكيف لا تثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء الصادر من رب العالمين .

(٥) قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[١] .

وهذه الآية فيها دلالة واضحة على تعديل الصحابة الذين كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية ، وقد تقدم ذكر عدتهم وأنهم كانوا ألفاً وأربعمائة ووجه دلالة الآية على تعديلهم رضي الله عنهم أن – الباري جل وعلا – أخبر برضاه عنهم ، وشهد لهم بالإيمان وزكاهم بما استقر في قلوبهم من الصدق والوفاء والسمع والطاعة ولا تصدر تلك التزكية العظيمة من – الرب جل وعلا – إلا لمن بلغ الذروة في تحقيق الاستقامة على وفق ما أمر الله به والصحابة رضي الله عنهم كانوا في مقدمة من استقاموا في جميع الأحوال .

فالآية فيها بيان أن طاعة الله والرسول وجدت من أهل بيعة الرضوان أما طاعة الله فالإشارة إليها بقوله ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وأما طاعة الرسول ﷺ فبقوله : ﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ بقي الموعود به وهو إدخال الجنة أشار إليه بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لأن الرضا يكون معه إدخال الجنة ، كما قال – عز وجل – ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾[٢] .

(٦) قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ

(١) سورة الفتح آية : ١٨ .

(٢) انظر التفسير الكبير للرازي : ٩٥/٢٨ ، والآية (٢٢) من سورة المجادلة .

عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[1] .

فهذا الوصف الذي وصفهم الله به في كتبه ، وهذا الثناء الذي أثنى به عليهم لا يتطرق إلى النفس معه شك في عدالتهم ؟.

قال القرطبي رحمه الله تعالى عند تفسيره لهذه الآية : « فالصحابة كلهم عدول ، أولياء الله تعالى وأصفياؤه ، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله ، هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة ، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم ، فيلزم البحث عن عدالتهم ، ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر ، فقال : إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك ، ثم تغيرت بهم الأحوال ، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء ، فلابد من البحث وهذا مردود فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة بقوله تعالى : ﴿ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ ، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد[2] .

(٧) قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[3] .

فالصحابة رضي الله عنهم هم السابقون من أمة محمد ﷺ إلى كل خير ، وإلى تحصيل كل قربة فيها رضي الرب جل وعلا ، ولا يصدر ذلك إلا ممن تحقق

---

(١) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٩/١٦ .

(٣) سورة الواقعة ، آية : ١٠ - ١٢ .

بوصف العدالة .

قال أبو محمد بن حزم بعد أن ذكر أفضلية جماعات الصحابة حسب سبقهم إلى الإسلام وحسب المشاهد ، قال : « فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان فإنا نقطع على غيب قلوبهم وأنهم كلهم مؤمنون صالحون ، ماتوا على الإيمان والهدى والبر كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار البتة لقول الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾[2] الآية - إلى أن قال : - فمن أخبر الله عنهم بذلك فلا يحل لأحد أن يتوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة[3] .

(٨) قوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[4] .

فالصادقون هم المهاجرون ، والمفلحون هم الأنصار ، بهذا فسر أبو بكر الصديق هاتين الكلمتين من الآيتين حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطباً الأنصار: «إن الله سمانا (الصادقين) وسماكم (المفلحين)، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[5] ،

---

(١) سورة الواقعة ، آية : ١٠ - ١٢ .

(٢) سورة الفتح آية : ١٨ .

(٣) ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة ، ص : ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٤) سورة الحشر ، آية : ٨ - ٩ .

(٥) العواصم من القواصم ، لابن العربي ، ص : ٤٤ - ٤٥ ، والآية رقم : (١١٩) من سورة التوبة .

فهذه الصفات الحميدة في هاتين الآيتين كلها حققها المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ واتصفوا بها ولذلك ختم الله صفات المهاجرين بالحكم بأنهم صادقون وختم صفات الذين آزروهم ونصروهم وآثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفلحون ، وهذه الصفات العالية لا يمكن أن يحققها قوم ليسوا بعدول .

فهذه الآيات التي أسلفناها من الآيات البينة الدالة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم ، فعدالتهم ثابتة بنص القرآن .

* وأما دلالة السنة على تعديلهم رضي الله عنهم :

فقد وصفهم النبي ﷺ في أحاديث يطول تعدادها وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم بتعديلهم ومن تلك الأحاديث : -

(١) ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي بكرة أن النبي ﷺ قال : « ... **ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب** » الحديث[1] .

وجه دلالة الحديث على عدالتهم رضي الله عنهم أن هذا القول صدر من النبي ﷺ في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثني منهم أحداً .

قال ابن حبان رحمه الله تعالى : « وفي قوله ﷺ : « **ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب** » أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى في قوله ﷺ وقال : ألا ليبلغ فلان منكم الغائب فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دل ذلك على أنهم كلهم عدول وكفى بمن عدله رسول الله ﷺ شرفاً »[2] اهـ .

---

(١) صحيح البخاري : ٣١/١ ، صحيح مسلم : ١٣٠٦/٣ .

(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان : ٩١/١ .

(٢) روى الشيخان في صحيحيهما من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** » قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً ... الحديث[١] .

(٣) روى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : « **خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته** »[٢] .

(٤) وروى بإسناده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ، ثم قلنا : لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء ، قال : فجلسنا ، فخَرج علينا فقال : « **ما زلتم ههنا** » ، قلنا : يا رسول الله ، صلينا معك المغرب ، ثم قلنا : نجلس حتى نصلي معك العشاء ، قال : « **أحسنتم أو أصبتم** » ، قال : فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه ، فقال : « **النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون** »[٣] .

هذه الثلاثة الأحاديث فيها دلالة واضحة على أن الصحابة عدول على الإطلاق حيث شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية المطلقة كما أخبر بأنهم أمان للأمة من ظهور البدع والحوادث في الدين ولا يخبر ﷺ بهذا إلا لمن كانوا عدولاً مستقيمين على الصراط المستقيم .

(٥) روى البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ**

---

(١) صحيح البخاري : ٢٨٧/٢ – ٢٨٨ ، صحيح مسلم : ١٩٦٤/٤ .

(٢) صحيح البخاري : ٢٨٨/٢ ، وانظر صحيح مسلم : ١٩٦٣/٤ .

(٣) صحيح مسلم : ١٩٦١/٤ .

مد أحدهم ولا نصيفه »[1] .

وجه الاستدلال بهذا الحديث على عدالة الصحابة رضي الله عنهم « أن الوصف لهم بغير العدالة سب لا سيما وقد نهى ﷺ بعض من أدركه وصحبه عن التعرض لمن تقدمه لشهود المواقف الفاضلة فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى[2] .

فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم ، وثناء رسول الله ﷺ عليهم ، فليسوا بحاجة إلى تعديل أحد من الخلق .

قال الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية[3] : « باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة وأنه لا يحتاج إلى سؤال عنهم وإنما يجب فيمن دونهم – ثم قال – : كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن » .

ثم ساق جملة من الآيات الدالة على ذلك وقد سبق لنا قريباً ذكر بعضها وكذلك جملة من الأحاديث إلى أن قال : « والأخبار في هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن ، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له » .

ثم قال : « على أنه لو لم يرد من الله – عز وجل – ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل

---

(1) صحيح البخاري : ٢/٢٩٢ .

(2) فتح المغيث شرح ألفية الحديث : ٣/١١٠ – ١١١ .

(3) ص : ٦٣ – ٦٧ .

المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد ، والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون بعدهم أبد الآبدين » .

فلقد صدق رحمه الله تعالى لو لم تكن عدالتهم منصوصاً عليها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لجزم أهل العقول الصحيحة والقلوب السليمة بعدالتهم استناداً إلى ما تواترت به الأخبار عنهم من الأعمال الجليلة والخيرات الوفيرة التي قدموها لنصرة الدين الحنيف ، فقد بذلوا ما أمكنهم بذله في سبيل نصرة الحق ورفع رايته وإرساء قواعده ونشر أحكامه في جميع الأقطار رضي الله عنهم أجمعين .

والعدالَة المرادة هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع في الذنوب والخطايا فإن هذا لا يكون إلا لمعصوم .

قال ابن الأنباري : وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم ، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية إلا أن ثبت ارتكاب قادح ولم يثبت ذلك ولله الحمد فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله ﷺ حتى يثبت خلافه ، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير ، فإنه لا يصح وما صح فله تأويل صحيح »[1] .

* * *

(١) فتح المغيث : ١١٥/٣ .

★ المبحث الثالث ★

الإجماع على عدالتهم رضي الله عنهم

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الصحابة جميعهم عدول بلا استثناء من لابس الفتن وغيرها ولا يفرقون بينهم الكل عدول إحساناً للظن بهم ونظراً لما أكرمهم الله به من شرف الصحبة لنبيه عليه الصلاة والسلام ولما لهم من المآثر الجليلة من مناصرتهم للرسول ﷺ والهجرة إليه والجهاد بين يديه والمحافظة على أمور الدين والقيام بحدوده فشهاداتهم ورواياتهم مقبولة دون تكلف بحث عن أسباب عدالتهم بإجماع من يعتد بقوله .

وقد نقل الإجماع على عدالتهم جم غفير من أهل العلم ، ومن تلك النقول : —

(١) قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ التي دلت على عدالة الصحابة وأنهم كلهم عدول ، قال : « هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء »[(١)] .

(٢) قال أبو عمر بن عبد البر : « ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول فواجب الوقوف على أسمائهم »[(٢)] .

(٣) حكى الإجماع على عدالتهم إمام الحرمين وعلل حصول الإجماع على عدالتهم بقوله : « ولعل السبب فيه أنهم نقلة الشريعة ، فلو ثبت توقف في

---

(١) الكفاية ، ص : ٦٧ .

(٢) الاستيعاب على حاشية الإصابة : ٨/١ .

رواياتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول ﷺ ولما استرسلت على سائر الأعصار »[1] .

(٤) وقال الغزالي : « والذي عليه سلف الأمة وجماهير الخلق أن عدالتهم معلومة بتعديل الله - عز وجل - إياهم وثنائه عليهم في كتابه ، فهو معتقدنا فيهم ، إلا أن يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه به وذلك مما لا يثبت فلا حاجة لهم إلى التعديل - ثم ذكر بعض ما دل على عدالتهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ثم قال : « فأي تعديل أصح من تعديل علام الغيوب - سبحانه - وتعديل رسوله ﷺ كيف ولو لم يرد الثناء لكان فيما اشتهر وتواتر من حالهم في الهجرة والجهاد وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأهل في موالاة رسول الله ﷺ ونصرته كفاية في القطع بعدالتهم »[2] .

(٥) ذكر ابن الصلاح أن الإجماع على عدالة الصحابة خصيصة فريدة تميزوا بها عن غيرهم ، فقد قال : « للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم ، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة » .

وقال أيضاً : « إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم ، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحساناً للظن بهم ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر ، وكأن الله - سبحانه وتعالى - أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة والله أعلم »[3] .

(٦) قال الإمام النووي رحمه الله تعالى بعد أن ذكر أن الحروب التي وقعت بينهم كانت عن اجتهاد وأن جميعهم معذورون رضي الله عنهم فيما حصل بينهم ، قال : « ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم

---

(١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث : ١١٢/٣ ، وذكره السيوطي في « تدريب الراوي » : ٢١٤/٢ .

(٢) المستصفى : ١٦٤/١ .

(٣) مقدمة ابن الصلاح ، ص : ١٤٦ - ١٤٧ .

ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم »[1] .

وقال في التقريب : « الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به »[2] .

(٧) وقال الحافظ ابن كثير : « والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز ، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل »[3] .

(٨) وقال العراقي في شرح ألفيته بعد ذكره لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عدالة الصحابة : « إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلابس الفتن منهم ، وأما من لابس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان فأجمع من يعتد به أيضاً : في الإجماع على تعديلهم إحساناً للظن بهم وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد »[4] .

(٩) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى مبيناً أن أهل السنة مجمعون على عدالة الصحابة فقال : « اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة »[5] .

(١٠) وقال السخاوي : « وهم رضي الله عنهم باتفاق أهل السنة عدول كلهم مطلقاً كبيرهم وصغيرهم لابس الفتنة أم لا وجوباً لحسن الظن ، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر من امتثال أوامره بعده ﷺ وفتحهم الأقاليم وتبليغهم عنه الكتاب والسنة وهدايتهم الناس ومواظبتهم على الصلاة والزكاة وأنواع القربات

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٤٩/١٥ .
(٢) تقريب النواوي مع شرحه تدريب الراوي : ٢١٤/٢ .
(٣) الباعث الحثيث : ص : ١٨١ – ١٨٢ .
(٤) شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة : ١٣/٣ – ١٤ .
(٥) الإصابة : ١٧/١ .

مع الشجاعة والبراعة والكرم والإيثار والأخلاق الحميدة التي لم تكن في أمة من الأمم المتقدمة »[1] اهـ

وقال الألوسي رحمه الله تعالى : « اعلم أن أهل السنة - إلا من شذ - أجمعوا على أن جميع الصحابة عدول يجب على الأمة تعظيمهم ، فقد أخلصوا الأعمال من الرياء نفلاً وفرضاً واجتهدوا في طاعة مولاهم ليرضى وغضوا أبصارهم عن الشهوات غضاً ، فإذا أبصرتهم رأيت قلوباً صحيحة وأجساداً مرضى ، وعيوناً قد ألفت السهر ، فما تكاد تطعم غمضاً بادروا أعمارهم لعلمهم أنها ساعات تنقضي ولله در من قال فيهم شعراً : -

لله در أناس أخلصوا عملاً ... على اليقين ودانوا بالذي أمروا
أولاهم - نعماً فازداد شكرهم ... ثم ابتلاهم فأرضوه بما صبروا
وفوا له ثم وافوه بما عملوا ... سيوفيهم يوماً إذا نشروا[2]

فهذه النقول المباركة للإجماع من هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان واضح ودليل قاطع على أن ثبوت عدالة الصحابة عموماً أمر مفروغ منه ومسلم فلا يبقى لأحد شك ولا ارتياب بعد تعديل الله ورسوله وإجماع الأمة على ذلك وهناك مذاهب ذهب أصحابها إلى القول بخلاف هذا الإجماع وأصحابها ممن لا يعتد بقولهم ولا عبرة بخلافهم وهي لا تستحق أن تذكر وإنما تذكر لبيان بطلانها ومجانبتها للحق والصواب ، وتلك المذاهب هي : -

* (١) مذهب الشيعة الرافضة :

الشيعة الرافضة يعتقدون أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم ليسوا بعدول بل يعتقدون ضلال كل من لم يعتقد أن النبي ﷺ نص على أن الخليفة من بعده بلا فصل هو عليٌّ رضي الله عنه ، ويعتقدون أن جميع الناس هلكوا وارتدوا بعد

---

(١) فتح المغيث ٣/٨ .
(٢) الأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهورية . ص ١٠ .

أن قبض النبي ﷺ إلا نفراً يسيراً منهم يعدون بالأصابع ، وسبب تكفيرهم لهم أنهم يزعمون أنهم بايعوا بالخلافة غير عليٍّ رضي الله عنه ، ولم يعملوا بالنص عليه ومعتقدهم هذا طافحة به كتبهم .

فقد روى محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد في كتابه الاختصاص عن الحارث بن المغيرة ، قال : سمعت عبد الملك بن أعين يسأل أبا عبد الله عليه السلام ، فلم يزل يسأله حتى قال : فهلك الناس إذاً ، فقال : أي والله يا ابن أعين هلك الناس أجمعون ، قلت أهل الشرق والغرب ؟ ، قال : إنها فتحت على الضلال أي والله هلكوا إلا ثلاثة نفر سلمان الفارسي وأبو ذر والمقداد ولحقهم عمار وأبو ساسان الأنصاري[1] وحذيفة وأبو عمرة[2] فصاروا سبعة .

وفي رواية بعدها أنه قال : ارتد الناس بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة نفر : المقداد ابن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي ، ثم إن الناس عرفوا ولحقوا بعد[3] .

ولا شك أن من اعتقد كفر الصحابة وارتدادهم أنه كافر لأنه لم يبق له أي علاقة في الدين لأن الكتاب والسنة إنما تلقاهما من جاء بعد الصحابة من الصحابة فمن اعتقد هذا المعتقد في خيار الخلق بعد النبيين والمرسلين ماذا بقي له من الدين ؟ ، وبناء على ذلك المعتقد الفاسد الذي يعتقده الشيعة الرافضة في الصحابة رضي الله عنهم ، يكون من البعيد جداً أن يقولوا بعدالة الصحابة بعد أن وصفوهم بالضلال والارتداد عن الإسلام، وهذا المذهب يحكم ببطلانه وضلال

---

(١) هو الصحابي الجليل بشير بن عمر الأنصاري النجاري . انظر ترجمته في الاستيعاب : ١٥٧/١ ، الإصابة : ١٤١/٤ .

(٢) هو حصين بن المنذر بن الحارث الرقاشي . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب : ٣٩٥/٢ .

(٣) الروايتان في كتاب « الاختصاص » للمفيد ، ص : ٦ ، وانظر كتاب « الروضة » من الكافي للكليني ، حديث رقم (٣٥٦) .

أهله كل من ألقى السمع لما ذكر الله في كتابه وذكره رسوله ﷺ ، وما قام عليه إجماع أهل الحق ممن يعتد بقوله من بيان مكانة الصحابة الكرام رضي الله عنهم وكل ما قدمنا في المبحث الثاني من هذا الفصل من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كلها تقضي بفساد هذا المذهب وخبث قائليه وسوء ما تنطوي عليه سرائرهم في أصحاب رسول الله ﷺ والناظر بعين البصيرة في شبههم التي يبنون عليها معتقدهم هذا يجد أنها من زخرف القول تارة يقولونها من عند أنفسهم ، وتارة ينسبونها إلى أهل البيت وهم رضي الله عنهم بريئون من هذا المعتقد ويتبرءون من كل من استطال بلسانه على الصحابة بالسباب والشتائم ، فقد كان موقف أهل بيت النبوة من الصحابة الكرام هو أنهم كانوا في مقدمة العاملين بقوله جل وعلا : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[1] . وكانوا ينكرون على من يزعم التشيع لهم ولا يعمل بما دلت عليه هذه الآية ويدعون عليهم ويطردونهم من مجالسهم ويتوعدونهم بالخروج من الإسلام .

فقد ذكر القرطبي : أن محمد بن عليٍّ بن الحسين رضي الله عنهم روى عن أبيه ، أن نفراً من أهل العراق جاءوا إليه فسبوا أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – ثم عثمان رضي الله عنه ، فأكثروا ، فقال لهم : أمن المهاجرين الأولين أنتم ؟ ، قالوا : لا . فقال : أفمن الذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبلهم ؟ ، فقالوا : لا . فقال : قد تبرأتم من هذين الفريقين ، أنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله – عز وجل – : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ قوموا فعل الله بكم وفعل .

---

(١) سورة الحشر ، آية : ١٠ .

وذكر أيضاً : عن جعفر بن محمد بن عليٍّ عن أبيه عن جده عليٍّ بن الحسين رضي الله عنه أنه جاءه رجل فقال له : يا ابن بنت رسول الله ما تقول في عثمان ، فقال له : يا أخي أنت من قوم قال الله فيهم : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ الآية ، قال : لا ، قال : فوالله لئن لم تكن من أهل الآية فأنت من قوم قال الله فيهم : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ الآية . قال : لا ، قال : فوالله لئن لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجن من الإسلام وهي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾[1] .

فمذهب الشيعة الرافضة في أصحاب رسول الله ﷺ مذهب باطل بنص كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإجماع الأمة حيث دلت هذه الأدلة كلها على عدالة جميع الصحابة صغيرهم وكبيرهم ذكراناً وإناثاً .

* (٢) مذهب المعتزلة :

أما المعتزلة فقد اضطربت آراؤهم في عدالة الصحابة إلى ثلاثة أقوال وإليك هذه الأقوال الثلاثة مع اقتران كل قول ببيان بطلانه : -

القول الأول : ذهب جمهورهم إلى أن الصحابة كلهم عدول إلا من قاتل علياً ، فالجمهور منهم صوبوا علياً في حروبه وخطئوا من قاتله فنسبوا طلحة والزبير وعائشة ومعاوية إلى الخطأ[2] وانتفاء العدالة عنهم وأسوق الرد على هذا القول ببعض ما قرره أهل العلم من أهل السنة والجماعة فيما يجب على المسلم اعتقاده حيال ما جرى بين الصحابة من الشجار :

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب وهم كانوا مجتهدين إما مصيبين لهم أجران ، أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم وما كان لهم من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣١/١٨ - ٣٢ ، والآية رقم (١٠) من سورة الحشر .

(٢) مقالات الإسلاميين : ١٤٥/٢ ، الفرق بين الفرق ص ١٢٠ - ١٢١ .

السيئات – وقد سبق لهم من الله الحسنى – فإن الله يغفرها لهم ، إما بتوبة أو بحسنات ماحية ، أو مصائب مكفرة أو غير ذلك ، فإنهم خير قرون هذه الأمة ... وهذه خير أمة أخرجت للناس ، ونعلم مع ذلك أن عليًّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان أفضل وأقرب إلى الحق من معاوية وممن قاتله معه لما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق** »[1] ، وفي هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق ، وأن علياً رضي الله عنه أقرب إلى الحق » اهـ[2].

وقال الحافظ ابن كثير مبيناً فساد معتقد المعتزلة في عدالة الصحابة « وقول المعتزلة الصَحَابة عدول إلا من قاتل علياً قول باطل مرذول ومردود وقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال عن ابن بنته الحسن بن عليٍّ وكان معه على المنبر : « **إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** »[3] وظهر مصداق ذلك في نزول الحسن لمعاوية عن الأمر بعد موت أبيه عليٍّ واجتمعت الكلمة على معاوية وسمي « عام الجماعة » ، وذلك سنة أربعين من الهجرة ، فسمي الجميع « مسلمين » ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾[4] فسماهم « مؤمنين » مع الاقتتال »[5].

وممن بين بطلان هذا القول الشوكاني رحمه الله تعالى ، فإنه قال في صدد عرضه للأقوال في عدالة الصحابة : « القول الرابع : أنهم كلهم عدول إلا من قاتل علياً وبه قال جماعة من المعتزلة والشيعة ، ويجاب عنه بأن تمسكهم بما تمسكوا

---

(١) انظر الحديث في صحيح مسلم : ٧٤٥/٢ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٤٠٦/٣ – ٤٠٧ .

(٣) صحيح البخاري : ١١٤/٢ .

(٤) سورة الحجرات ، آية : ٩ .

(٥) الباعث الحثيث ، ص : ١٨٢ .

به من الشبه يدل على أنهم لم يقدموا على ذلك جراءة على الله ، وتهاوناً بدينه ، وجناب الصحبة أمر عظيم ، فمن انتهك أعراض بعضهم فقد وقع في هوة لا ينجو منها سالماً ، وقد كان في أهل الشام صحابة صالحون عرضت لهم شبه لولا عروضها لم يدخلوا في تلك الحروب ولا غمسوا فيها أيديهم ، وقد عدلوا تعديلاً عاماً بالكتاب والسنة فوجب علينا البقاء على عموم التعديل والتأويل لما يقتضي خلافه »[1] .

فهذا القول الذي قاله جمهور المعتزلة من نفي العدالة عمن قاتل علياً من الصحابة قول باطل لأن الحروب التي جرت بينهم كانت لكل طائفة منهم شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها فكلهم عدول رضي الله عنهم ولم يخرج بشيء من تلك الحروب أحد من العدالة ، لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد ، كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم رضي الله عنهم »[2] .

القول الثاني : قول واصل بن عطاء :

فقد ذهب إلى أن أحد الفريقين المتخاصمين من الصحابة في موقعتي الجمل وصفين كان مخطئاً لا بعينه كالمتلاعنين ، فإن أحدهما فاسق لا محالة « وأقل درجات الفريقين أنه غير مقبول الشهادة كما لا تقبل شهادة المتلاعنين »[3] ، وبناء على معتقده هذا فإنه لم يحكم بشهادة رجلين أحدهما من أصحاب عليٍّ والآخر من أصحاب الجمل فقد قال : « لو شهدت عندي عائشة وعليٌّ وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم »[4] .

---

(١) إرشاد الفحول ، ص : ٧٠ .

(٢) انظر الرد على الرافضة لأبي حامد محمد المقدسي ، ص : ٣١٦ - ٣١٧ .

(٣) انظر الملل والنحل للشهرستاني : ٤٩/١ .

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي : ٣٢٩/٤ ، وانظر الفرق بين الفرق ، ص ١٢٠ ، الملل والنحل للشهرستاني : ٤٩/١ .

وقال بقبول شهادة رجلين من أصحاب عليٍّ وشهادة رجلين من أصحاب طلحة والزبير[1] إذ قد يكون أحد الفريقين عدلاً وعلى صواب وهذا الرأي قال به وتبناه ضرار بن عمرو وأبو الهذيل ومعمر بن عياد السلمي حيث قالوا جميعاً : « نحن نتولى كل واحد من الفريقين على انفراد »[2] .

وهذا القول كما هو واضح أصحابه قد شكوا في عدالة عليٍّ وطلحة والزبير وهو قول ظاهر البطلان وهو أحقر من أن يرد عليه لأن عدالة عليٍّ وطلحة والزبير وغيرهم من الصحابة ثابتة بتعديل الله ورسوله إياهم ، وبإجماع من قوله معتبر من أهل السنة والجماعة وكفى بعلي وطلحة والزبير شرفاً ورفعة أنهم من أصحاب الجنة بشهادة النبي ﷺ لهم بذلك ، وإضافة إلى تلك المنزلة الرفيعة دخولهم في أهل بيعة الرضوان الذين عدلهم الله وزكاهم من فوق سبع سموات بقوله – جل وعلا – ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[3] فأي تعديل وأي شرف أعظم لمن كان من جملة هؤلاء ، فمن تجرأ على تجريح هؤلاء فهو الجدير بالجرح وهو الأولى به ، ومن قال بكفرهم فهو الكافر وهو من الذين ضلوا عن سواء السبيل .

القول الثالث : قول عمرو بن عبيد :

أما عمرو بن عبيد فإنه تقدم خطوة أخرى على من تقدم ذكره من المعتزلة فإنه يعتقد أن الطرفين المتحاربين في موقعتي الجمل وصفين قد فسقوا جميعاً ، وقال : « لا أقبل شهادة الجماعة منهم سواء كانوا من أحد الفريقين أو كان بعضهم من حزب عليٍّ وبعضهم من حزب الجمل »[4] . وبلغ به الإزراء بهم والتنقص

(١) انظر الفرق بين الفرق ، ص : ١٢٠ ، ص : ٣٢٠ .
(٢) مقالات الإسلاميين : ٢/١٤٥ .
(٣) سورة الفتح آية : ١٨ .
(٤) انظر الفرق بين الفرق، ص: ١٢١، التبصير في الدين، ص: ٦٩، الملل والنحل للشهرستاني: ١/٤٩.

منهم إلى أن قال : « لو شهد عندي عليّ وطلحة والزبير وعثمان على شراك نعل ما أجزت شهادتهم »[1] .

وهذه الكلمة الخبيثة التي خرجت منه تنبيء عما يكنه لهم من الكراهية وما عود عليه لسانه من سبهم وشتمهم وهذه الكلمة لا يجرؤ أن ينطق بها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان .

وقد ذكر الشوكاني رحمه الله تعالى مذهب عمرو بن عبيد وتولى الرد عليه حيث قال : « القول الثالث : إنهم كلهم عدول قبل الفتن لا بعدها فلا يجب البحث عنهم ، وأما بعدها فلا يقبل الداخلون فيها مطلقاً – أي من الطرفين – لأن الفاسق من الفريقين غير معين وبه قال عمرو بن عبيد من المعتزلة ، ثم قال رحمه الله مبيناً بطلان هذا القول – : « وهذا القول في غاية الضعف لاستلزامه إهدار غالب السنة فإن المعتزلين لتلك الحروب هم طائفة يسيرة بالنسبة إلى الداخلين فيها ، وفيه أيضاً : أن الباغي غير معين من الفريقين وهو معين بالدليل الصحيح ، وأيضاً التمسك بما تمسكت به كل طائفة يخرجها من إطلاق اسم البغي عليها على تسليم أن الباغي من الفريقين غير معين » اهـ[2] .

ويرد عليه أيضاً : أن الواجب على كل مسلم « أن يحمل كل ما جرى بينهم من الفتن على أحسن حال وإن كان ذلك إنما لما أدى إليه اجتهاد كل فريق من اعتقاده أن الواجب ما صار إليه ، وأنه أوفق للدين وأصلح للمسلمين وعلى هذا « فإما أن يكون كل مجتهد مصيباً ، أو أن المصيب واحد والآخر مخطيء في اجتهاده ، وعلى كلا التقديرين فالشهادة والرواية من الفريقين لا تكون مردودة »[3] .

---

(١) ميزان الاعتدال : ٢٧٥/٣ .

(٢) إرشاد الفحول : ص ٧٠ .

(٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي : ٢٧٤/١ .

فقول عمرو بن عبيد في عدالة الصحابة قول ظاهر البطلان ومردود عليه .

* **المذهب الثالث :**

أن حكمهم في العدالة حكم من بعدهم في لزوم البحث عن عدالتهم عند الرواية[1] ، وقد عزا هذا القول السخاوي والشوكاني إلى أبي الحسين بن القطان[2] من علماء الشافعية .

وشبهته أنه قال : « فوحشي قتل حمزة وله صحبة . والوليد شرب الخمر فمن ظهر عليه خلاف العدالة لم يقع عليه اسم الصحبة والوليد ليس بصحابي لأن الصحابة إنما هم الذين كانوا على طريقته »[3] .

وهذه الشبهة حكم عليها السخاوي بأنها ساقطة إذ الكل أصحابه باتفاق وقتل وحشي لحمزة كان قبل إسلامه ثم أسلم ، وليس ذلك مما يقدح به فالإسلام يجب ما قبله وأما قوله : والوليد ليس بصحابي – إلخ كلامه – فلم يقل قائل من أهل العلم إن ارتكاب المعصية يخرج من كان صحابياً عن صحبته وقد كف النبي ﷺ من لعن بعضهم بقوله : « **لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله** »[4] . كما كف عمر عن حاطب رضي الله عنه – لما قال له النبي ﷺ : « **إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** »[5] لا سيما وهم مخلصون في التوبة فيما لعله صدر منهم ، والحدود كفارات ، بل قيل في الوليد بخصوصه : إن بعض أهل الكوفة

---

(١) المصدر السابق : ٢٧٤/١ ، شرح مختصر المنتهى : ٦٧/٢ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن القطان البغدادي من كبار الشافعية له مصنفات في أصول الفقه وفروعه ، توفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ٣٦٥/٤ ، تهذيب الأسماء واللغات للنووي : ٢١٤/٢ – ٢١٥ .

(٣) انظر فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي : ١١٢/٣ ، إرشاد الفحول للشوكاني ، ص : ٦٩ .

(٤) صحيح البخاري : ١٧٢/٣ ، من حديث عمر رضي الله عنه .

(٥) صحيح البخاري : ٧/٣ ، صحيح مسلم : ١٩٤٢/٤ ، من حديث عليٍّ رضي الله عنه .

تعصبوا عليه فشهدوا عليه بغير الحق وبالجملة فترك الخوض في هذا ونحوه متعين »[1] .

فقول أبي الحسين القطان قول لا يعتد به إذ هو في هذه المسألة أحد الأقوال التي جانبت الصواب .

* المذهب الرابع :

أن العدالة لا تثبت إلا لمن لازم النبي ﷺ من أصحابه دون من رآه ، أو زاره ، أو وفد عليه لمدة قليلة وهذا قول المازري من علماء المالكية ، فقد حكى عنه الحافظ ابن حجر أنه قال : « في شرح البرهان لسنا نعني بقولنا الصحابة عدول كل من رآه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يوماً ما أو زاره لماماً أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كثب وإنما نعني به الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون »[2] .

ويرد على كلام المازري بأنه لم يوافق عليه بل اعترضه جماعة من الفضلاء - كما قال الحافظ ابن حجر - وذكر أن الشيخ صلاح الدين العلائي قال « هو غريب يخرج كثيراً من المشهورين بالصحبة والرواية عن الحكم بالعدالة كوائل بن حجر ومالك بن الحويرث وعثمان بن أبي العاص وغيرهم ممن وفد عليه ﷺ ولم يقم عنده إلا قليلاً وانصرف وكذلك من لم يعرف إلا برواية الحديث الواحد ولم يعرف مقدار إقامته من أعراب القبائل والقول بالتعميم هو الذي صرح به الجمهور وهو المعتبر والله - سبحانه وتعالى - أعلم » اهـ[3] .

فقول المازري هذا غير معتبر وهو قول ضعيف كما هو واضح « لاستلزامه إخراج جماعة من خيار الصحابة الذين أقاموا مع النبي ﷺ قليلاً ثم

---

(١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث : ١١٢/٣ - ١١٣ .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة : ١٩/١ .

(٣) الإصابة : ١٩/١ - ٢٠ ، فتح المغيث شرح ألفية الحديث : ١١٣/٣ - ١١٤ .

انصرفوا[1] منهم من ذكر في قول صلاح الدين العلائي .

فهذه هي المذاهب التي خالف فيها أصحابها إجماع أهل السنة والجماعة في مسألة عدالة الصحابة وهي كما رأينا مبنية على شبه واهية لا تزيدها إلا ضعفاً ، فالواجب على المسلم أن يعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من أن عموم الصحابة عدول ويحرم على كل إنسان ثلبهم بما يشينهم ، ولا عبرة بخلاف من خالف في ذلك من الطوائف المخذولة أهل البدع والأهواء مثل الرافضة والمعتزلة والزنادقة وغيرهم ولا من سلك طريقهم في العصر الحديث من الكفرة المستشرقين الذين يزعمون أنهم يعتنون بالدراسات الإسلامية والبحث فيها هم ومن قلدهم من أبناء المسلمين الواقعين في حرمات الله باسم حرية البحث العلمي ويقولون إن كل إنسان له أن يقول ما شاء حتى ولو كان في ذلك اعتداء على حرمات المؤمنين وتكذيب القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين تحت ستار حرية الرأي والبحث ، وهذا الاتجاه مرفوض عند علماء المسلمين حيث إن للعلم قواعد وأصول وضوابط شرعية يلتزم بها المؤمن حتى يكون بحثه واجتهاده في نطاقها ، أما حرية البحث التي فتن بها أهل الأهواء ممن ينتسبون إلى الإسلام وقلدوا فيها الأعداء وطبقوها حسب ما تلقوها ، فليست من سنن المؤمنين ولا سبيل المسلمين ، ولذلك كانت بحوثهم مناقضة للقواعد الشرعية والأحكام الإسلامية فالذين يجرحون الصحابة ويطعنون في عدالتهم إنما غرضهم من وراء ذلك هو التشكيك في الإسلام ، وهدم قواعده التي قام عليها ، وهذا ما فطن له أبو زرعة الرازي في القرن الثالث الهجري ، فقد روى الخطيب البغدادي بإسناده إلى أبي زرعة الرازي أنه قال : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول عندنا حق والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا

---

(١) انظر إرشاد الفحول للشوكاني ، ص : ٧٠ .

شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة »[1] .

فقد صدق رحمه الله فلا يتجرأ على تجريح الصحابة إلا مجروح فتح لنفسه باباً يلج منه إلى الزندقة ، فمن يرد السلامة لدينه فعليه أن يعتقد ما اعتقده أهل السنة والجماعة في عدالة الصحابة وهو أنهم كلهم عدول من لابس الفتن ومن لم يلابسها ، وهذا هو المذهب الحق الذي يجب المصير إليه ، وما أحسن ما قاله الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في هذه المسألة حيث قال : « فأما الصحابة رضي الله عنهم فبساطهم مطوي وإن جرى ما جرى إذ على عدالتهم وقبول ما نقلوه العمل وبه ندين الله تعالى[2] .

* * *

---

(١) الكفاية ، ص : ٦٧ .

(٢) الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد ، ص : ٤٦ .



○ الفصل الثالث ○

تحريم سبهم رضي الله عنهم



○ الفصل الثالث ○

تحريم سبهم رضي الله عنهم

وفيه مباحث :

المبحث الأول : تحريم سبهم بنص الكتاب العزيز .

المبحث الثاني : دلالة السنة على تحريم سب الصحابة .

المبحث الثالث : من كلام السلف في تحريم سب الصحابة .

المبحث الرابع : حكم ساب الصحابة وعقوبته .



★ المبحث الأول ★

تحريم سبهم بنص الكتاب العزيز

إن سب أصحاب رسول الله ﷺ محرم بنص الكتاب العزيز وهو ما تعتقده وتدين به الفرقة الناجية من هذه الأمة ، وقد جاءت الإشارة إلى تحريم سبهم في غير ما آية من كتاب الله - جل وعلا - من ذلك : -

(١) قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ الآية .

ووجه دلالة الآية على تحريم سبهم أن الله تعالى رضي عنهم رضى مطلقاً ، فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان ، والرضى من الله صفة قديمة فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى ، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً ، وقد بين تعالى في آخر هذه الآية أن هؤلاء الذين رضي الله عنهم هم من أهل الثواب في الآخرة يموتون على الإيمان الذي به يستحقون ذلك حيث قال : ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[١] ولذا لما كان هؤلاء الأخيار بهذه المنزلة العظيمة والمكانة الرفيعة أمر الله من جاء بعدهم أن يستغفروا لهم ويدعوا الله ألا يجعل في قلوبهم غلاً لهم ، ومن هنا علم إن الاستغفار وطهارة القلب من الغل لهم أمر يحبه الله ويرضاه ، ويثني على فاعله كما أنه قد أمر بذلك رسوله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[٢] .

---

(١) سورة التوبة ، آية : ١٠٠ .

(٢) سورة محمد آية : ١٩ .

وقال تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[1] ، ومحبة الشيء كراهته لضده ، فيكون الله يكره السب لهم ، الذي هو ضد الاستغفار ، والبغض لهم الذي هو ضد الطهارة ، وهذا معنى قول عائشة رضي الله عنها : « أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم »[2] .

(٢) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾[3] .

هذه الآية تضمنت التهديد والوعيد بالطرد والإبعاد من رحمة الله والعذاب المهين لمن آذاه – جل وعلا – بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك[4] وإيذاء رسوله « يشمل كل أذية قولية أو فعلية من سب وشتم أو تنقص له أو لدينه ، أو ما يعود إليه بالأذى »[5] . ومما يؤذيه ﷺ سب أصحابه وقد أخبر ﷺ أن إيذاءهم إيذاء له ، ومن آذاه فقد آذى الله[6] وأي أذية للصحابة أبلغ من سبهم فالآية فيها إشارة قوية ظاهرة إلى أنه يحرم سبهم رضي الله عنهم .

(٣) قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾[7] .

وهذه الآية فيها التحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بما ينسب إليهم مما هم منه براء لم يعملوه ، ولم يفعلوه ، والبهت الكبير أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٩ .

(٢) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص : ٥٧٢ – ٥٧٥ ، وحديث عائشة في صحيح مسلم : ٢٣١٧/٤ .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٧ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٥١٤/٥ .

(٥) تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان : ١٢١/٦ .

(٦) انظر المسند للإمام أحمد : ٨٧/٤ .

(٧) سورة الأحزاب ، آية : ٥٨ .

والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم[1] .

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم أنهم في صدارة المؤمنين فإنهم المواجهون بالخطاب في كل آية مفتتحة بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[2] ، ومثل قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[3] في جميع القرآن فالآية دلت على تحريم سب الصحابة لأن لفظ المؤمنين أول ما ينطلق عليهم لأن الصدارة في المؤمنين لهم رضي الله عنهم وسبهم والنيل منهم من أعظم الأذى ، وأن من نال منهم بذلك فقد آذى خيار المؤمنين بما لم يكتسبوا وأن من اتخذ شتمهم والنيل منهم ديناً له فإن الوعيد المذكور في الآية يصيبه .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية : « ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم ، فإن الله - عز وجل - قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم ويتنقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً فهم في الحقيقة منكسوا القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين[4] » اهـ .

وكما هو معلوم « أن سب آحاد المؤمنين موجب للتعزير بحسب حالته وعلو مرتبته ، فتعزير من سب الصحابة أبلغ وتعزير من سب العلماء وأهل الدين أعظم من غيرهم »[5] .

(٤) قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٥/٥١٤ - ٥١٥ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٠٤ .

(٣) سورة الكهف ، آية : ١٠٧ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٥/٥١٥ .

(٥) تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان : ٦/١٢١ .

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[1] الآية .

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم أنه لا يسبهم شخص إلا لما وجد في قلبه من الغيظ عليهم ، وقد بين تعالى في هذه الآية إنما يغاظ بهم الكفار ، فدلت على تحريم سبهم ، والتعرض لهم بما وقع بينهم على وجه العيب لهم .

قال أبو عبد الله القرطبي : روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير : كنا عند مالك بن أنس ، فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ ، فقرأ مالك هذه الآية ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ حتى بلغ ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ ، فقال مالك : من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية – ثم قال – : « لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين ، ثم ذكر طائفة من الآيات القرآنية التي تضمنت الثناء عليهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح ، ثم قال عقبها : « وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم ومآل أمرهم »[2] اهـ .

فهذه الآية اشتملت على تحريم سب الصحابة ، لأن سبهم إنما يصدر ممن امتلأ قلبه غيظاً عليهم ، لا محل فيه للإيمان[3] نعوذ بالله من الخذلان .

(٥) قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[4] .

---

(١) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٦/١٦ – ٢٩٧ ، وانظر قول مالك في شرح السنة للبغوي : ٢٢٩/١ .

(٣) انظر ما قاله الإمام مالك فيمن يسب الصحابة في تفسير ابن كثير : ٣٦٥/٥ .

(٤) سورة الحجرات ، آية : ١٢ .

وهذه الآية الكريمة تضمنت النهي لجميع العباد عن أن يقول بعضهم في بعض بظهر الغيب ما يكره المقول فيه ، ذلك أن يقال له في وجهه والغيبة قد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قيل يا رسول الله ما الغيبة ؟ ، قال ﷺ : « **ذكرك أخاك بما يكره** » ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ ، قال ﷺ : « **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته** »[1] .

وبتفسير الشارع للغيبة في هذا الحديث يتبين وجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة وذلك أن سبهم وازدراءهم والتنقص من مكانتهم الرفيعة التي أنزلهم الله فيها إنما هو من البهت لهم بما ليس فيهم ، فكل من عابهم وطعن فيهم أو في أحد منهم كل ذلك من البهتان المبين ومن الوقوع في أعراضهم الذي يعد من أربى الربا عند الله – جل وعلا – ، فقد روى ابن أبي حاتم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « **أي الربا أربى عند الله** » ؟ ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « **أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم** » ، ثم قرأ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾[2]

فإذا كان الكلام في عرض أي مسلم كان من أربى الربا عند الله عز وجل فما الشأن بالاستطالة والسب على أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم في مقدمة عباد الله المتقين وعباده الصالحين ، ولا يشك مسلم في أن النيل منهم بالقول السيء من سب وغيره أنه انتهاك لحرمة أمر الله عز وجل باحترام الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) سنن أبي داود : ٥٦٧/٢ ، سنن الترمذي : ٢٢٠/٣ – ٢٢١ ، وقال : حسن صحيح .

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره : ٥١٥/٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٦٥٨/٦ .

(٦) قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾[١] .

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة يتضح بما قاله السلف في تفسير هذه الآية ، فقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه بعد أن سئل عن قوله : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ ﴾ ، قال : طعان ، « لمزة » ، قال : مغتاب[٢] .

وقال مجاهد: الهمزة الطعان في الناس، واللمزة الذي يأكل لحوم الناس[٣].

وقال قتادة : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ قال : يأكل لحوم الناس ويطعن عليهم »[٤]. وقال أبو العالية : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ قال : تهمزه في وجهه وتلمزه من خلفه[٥] ..، فهذه التفاسير لهذه الآية عن هؤلاء الأئمة من السلف تدل على تحريم اغتياب عموم المؤمنين وهي تنطبق على من أطلقوا ألسنتهم بالوقوع في الصحابة من الرافضة وغيرهم فهم الهمازون لهم بالقول بحيث يزدرونهم وينتقصونهم بالسب والشتم وينسبون إليهم ما لم يقولوه وما لم يفعلوه ، ولا شك أن العذاب الذي توعد الله به في هذه الآية سيصيب كل من اتخذ الطعن فيهم ديدنه إن لم يتب ويقلع عن ذلك ويجعل لسانه رطباً بذكرهم بالجميل والترضي عنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم كما جاء الأمر به لكل من جاء بعدهم من أهل الإيمان ، والحاصل مما تقدم ذكره أن تحريم سب الصحابة جاءت الإشارة إليه في القرآن الكريم وأن الواجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله تعالى حرم سبهم وازدراءهم وعيبهم بما جرى بينهم وأن يحذر طريقة الروافض الذين لم يراعوا لهم حرمة ولم يقدروهم حق قدرهم وأن من سلك طريقهم ألقى نفسه في المهالك التي لا نجاة منها إلا بالرجوع إلى طريقة أهل الحق من أهل السنة والجماعة والتوبة مما أسلفه من جناية في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) سورة الهمزة آية : ١ .

(٢) الدر المنثور : ٨/٦٢٤ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الدر المنثور : ٨/٦٢٤ .

(٥) المصدر السابق .

★ المبحث الثاني ★

دلالة السنة على تحريم سب الصحابة

لقد دلت السنة النبوية المطهرة على تحريم سب الصحابة والتعرض لهم بما فيه نقص وحذر النبي ﷺ من الوقوع في ذلك لأن الله – تعالى – اختارهم لصحبة نبيه ونشر دينه وإعلاء كلمته، وبلغوا الذروة في محبة النبي ﷺ، فكانوا له وزراء وأنصاراً يذبون عنه وسعوا جاهدين منافحين لتمكين الدين في أرض الله حتى بلغ الأقطار المختلفة ووصل إلى الأجيال المتتابعة كاملاً غير منقوص، ولمقامهم الشريف ولما لهم من القيام التام بأنواع العبادات، وصنوف الطاعات والقربات جاءت النصوص النبوية القطعية بتحريم سبهم وتجريحهم أو الطعن فيهم والحط من قدرهم ومن تلك النصوص: –

(١) ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**»[١].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد أيضاً بلفظ: قال كان بين خالد ابن الوليد وبين عبد الرحمٰن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**»[٢].

(٢) وعند الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان بين خالد

---

(١) صحيح البخاري: ٢/٢٩٢.

(٢) صحيح مسلم: ٤/١٩٦٧ – ١٩٦٨.

ابن الوليد وعبد الرحمٰن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمٰن بن عوف تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها – فبلغ النبي ﷺ ذلك – ، فقال : « **دعوا لي أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد ذهباً أو مثل الجبال ذهباً لما بلغتم أعمالهم** »[1] .

هذان الحديثان اشتملا على النهي والتحذير من سب الصحابة رضي الله عنهم ، وفيهما التصريح بتحريم سبهم ، وقد عد بعض أهل العلم سبهم « من المعاصي الكبائر »[2] .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : « واعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات ، سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون »[3] .

والنهي في هذين الحديثين المتقدمين كان موجهاً من النبي ﷺ لمن كانت له صحبة متأخرة ، أن يسب من كانت له صحبة متقدمة « لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية ، وإن كان قبل فتح مكة ، فكيف حال من ليس من الصحابة بحال مع الصحابة رضي الله عنهم »[4] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « فإن قيل : فلم نهى خالداً عن أن يسب أصحابه إذا كان من أصحابه أيضاً ؟ ، وقال : (لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) .

---

(١) المسند : ٣/٢٦٦ ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة . انظر فيض القدير : ٣/٥٣١ ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤/٥٥٦ .

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم : ١٦/٩٣ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) شرح الطحاوية ، ص : ٥٢٩ – ٥٣٠ .

قلنا : لأن عبد الرحمٰن بن عوف ونظراءه هم من السابقين الأولين الذين صحبوه في وقت كان خالد وأمثاله يعادونه فيه ، وأنفقوا أموالهم قبل الفتح وقاتلوا وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا ، وكلًّا وعد الله الحسنى ، فقد انفردوا من الصحبة بما لم يشركهم فيه خالد ونظراؤه ممن أسلم بعد الفتح الذي هو صلح الحديبية وقاتل ، فنهى أن يسب أولئك الذين صحبوه قبله ، ومن لم يصحبه قط نسبته إلى من صحبه كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد .

وقوله : « **لا تسبوا أصحابي** » خطاب لكل أحد أن لا يسب من انفرد عنه بصحبته عليه الصلاة والسلام ، وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر : « **أيها الناس إني أتيتكم ، فقلت : إني رسول الله إليكم ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر ، صدقت فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ فهل أنتم تاركوا لي صاحبي** »[1] .. أو كما قال بأبي هو وأمي ﷺ ، قال ذلك لما عاير بعض الصحابة أبا بكر ، وذلك الرجل من فضلاء أصحابه ولكن امتاز أبو بكر عنه بصحبته وانفرد بها[2] عنه » اهـ .

فالنهي عن سبهم عام لكل من وجد على ظهر الأرض أيا كان عن أن يسب أي واحد من الصحابة .

قال المناوي بعد قوله ﷺ في الحديث : « **دعوا لي أصحابي** » : « الإضافة للتشريف تؤذن باحترامهم وزجر سابهم ... « **لو أنفقتم مثل أحد ذهباً ما بلغتم أعمالهم** » أي : ما بلغتم من إنفاقكم بعض أعمالهم لما قارنها من مزيد إخلاص وصدق نية وكمال يقين ، وقوله : (أصحابي) مفرد مضاف فيعم كل صاحب له لكنه عموم مراد به الخصوص ... يدل على أن الخطاب لخالد وأمثاله ممن تأخر إسلامه وأن المراد هنا متقدموا الإسلام منهم الذي كانت له الآثار الجميلة والمناقب

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٣٠٣/٨ ، من حديث أبي الدرداء .
(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص : ٥٧٦ - ٥٧٧ .

الجليلة في نصرة الدين من الإنفاق في سبيل الله واحتمال الأذى في سبيل الله ومجاهدة أعدائه ، ويصح أن يكون من بعد الصحابة مخاطباً بذلك حكماً إما بالقياس أو بالتبعية »[1] .

(٤) روى الحافظ الطبراني بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « **لا تسبوا أصحابي ، لعن الله من سب أصحابي** »[2] .

(٥) وروى أيضاً بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « **من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** »[3] .

(٦) وروى أيضاً : بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « **لعن الله من سب أصحابي** »[4] .

هذه الأحاديث الثلاثة مشتملة على لعن من سب الصحابة ودلت على أن سبهم من الكبائر ، وقد جمع الإمام الذهبي الذنوب التي هي كبائر وعدّ سب الصحابة منها[5] ، فعلى المسلم أن يحذر من سبهم أو يتعرض لهم بما يشينهم رضي الله عنهم « وسبهم معناه : شتمهم ومعنى قوله ﷺ « **فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** » الطرد والإبعاد عن مواطن الأبرار ، ومنازل الأخيار ، والسب والدعاء من الخلق وتحريم سبهم يشمل من لابس الفتن ومن لم يلابسها ، **لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون فسبهم كبيرة ونسبتهم إلى الضلال**

---

(١) فيض القدير للمناوي : ٣/٥٣١ .

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٠/٢١ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عليٍّ بن سهل وهو ثقة .

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له « بالحسن » . انظر فيض القدير : ٦/١٤٦ ، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير : ٥/٢٩٩ ، وقال : حسن ، وأشار إلى أنه أورده في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » برقم : ٢٣٤٠ .

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له « بالصحة » . انظر فيض القدير : ٥/٢٧٤ ، وأورده الألباني في كتابه « صحيح الجامع الصغير » : ٥/٢٣ ، وقال : حسن .

(٥) انظر : كتاب الكبائر للذهبي ، ص : ٢٣٣ – ٢٣٧ .

أو الكفر كفر »[1] .

(٧) روى الإمام أحمد وغيره من حديث سعيد بن زيد عن النبي ﷺ ، قال : « **إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق** »[2] .

فكل من أطلق لسانه بالسب لهم فهو مستطيل عليهم بغير حق وهو أفاك أثيم إذ لفظ المسلم في الحديث أول ما ينطلق عليهم إذ هم مقدمة المسلمين الذين انقادوا لله تعالى بالطاعة وأخلصوا العبادة له وحده لا شريك له « وأدنى أحوال الساب لهم أن يكون مغتاباً »[3] .

(٨) روى الشيخان من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** »[4] .

فإذا كان هذا الوعيد يلحق من سب أي مسلم كان فما الشأن بمن يسب خيار المسلمين والأبرار من عباده المتقين وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم .

قال النووي رحمه الله تعالى : « السب في اللغة الشتم والتكلم في عرض الإنسان بما يعيبه والفسق في اللغة الخروج والمراد به في الشرع الخروج عن الطاعة ، وأما معنى الحديث فسب المسلم بغير حق حرام بإجماع الأمة وفاعله فاسق كما أخبر به النبي ﷺ[5] ، وعلى هذا فالرافضة والخوراج ومن سلك طريقهم من أهل البدع الذين يشتمون الصحابة ويتكلمون فيهم بما يعيبهم بغير حق فهم أكثر من يدخل في وصف الفسق كما أخبر بذلك النبي ﷺ .

قال المناوي مبيناً معنى قوله ﷺ : « **سباب المسلم فسوق** » أي : مسقط

---

(١) فيض القدير للمناوي : ١٤٦/٦ - ١٤٧ .

(٢) المسند : ١٩٠/١ ، سنن أبي داود : ٥٦٧/٢ ، صحيح الجامع الصغير : ٢٤٢/٢ .

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص : ٥٧١ .

(٤) صحيح البخاري : ١٨/١ ، صحيح مسلم : ٨١/١ .

(٥) شرح النووي : ٥٣/٢ - ٥٤ .

للعدالة والمرتبة ، وفيه تعظيم حق المسلم والحكم على من سبه بالفسق وأن الإيمان ينقص ويزيد لأن الساب إذا فسق نقص إيمانه وخرج عن الطاعة فضره ذنبه لا كما زعم المرجئة ، أنه لا يضر مع التوحيد ذنب[1] .

فكل من سب الصحابة رضي الله عنهم أو واحداً منهم أسقط نفسه من العدالة وفسق بذلك وأدى إلى نقصان إيمانه بخروجه عن الطاعة .

(٩) روى أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال : « **ساب الموتى كالمشرف على الهلكة** »[2] .

« أراد : الموتى المؤمنين وإيذاء المؤمن الميت أغلظ من الحي لأن الحي يمكن استحلاله والميت لا يمكن استحلاله ، فلذا توعد عليه بالوقوع في الهلاك »[3] .

(١٠) وروى أبو القاسم الطبراني أيضاً : عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : « **ساب المؤمن كالمشرف على الهلكة** »[4] .

ومعنى الحديث : أي يكاد أن يقع في الهلاك الأخروي ، وأراد في ذلك المؤمن المعصوم والقصد به التحذير من السب[5] .

وهذا الحديث والذي قبله تضمنا العقوبة الشديدة التي تلحق ساب أي ميت من المسلمين وأي مؤمن كان فما الشأن بمن سب أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم خيار موتى المؤمنين وأفضل المؤمنين بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فكل من سبهم يعد من أهلك الهالكين وأخسر الخاسرين بنص هذين الحديثين ،

---

(١) فيض القدير : ٨٤/٤ .

(٢) أورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة ، انظر : فيض القدير : ٧٩/٤ .

(٣) فيض القدير : ٧٩/٤ .

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة . انظر فيض القدير للمناوي : ٧٩/٤ ، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير : ١٩٦/٣ ، وعزاه للبزار وقال : حسن ، كما أورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم : ١٨٧٨ .

(٥) فيض القدير للمناوي : ٧٩/٤ .

فلا يجوز سب أحد من أصحاب رسول الله ﷺ بأي وجه ، وقد كان ﷺ ينهى عن أي كلام يصدر من بعض الصحابة لآخرين منهم يتضمن الأذى وكان يحذر من ذلك أشد تحذير .

(١١) فقد روى أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال : شكا عبد الرحمٰن بن عوف خالداً إلى رسول الله ﷺ ، فقال : « **يا خالد لا تؤذ رجلاً من أهل بدر فلو أنفقت مثل أحد ذهباً لم تدرك عمله** » ، فقال يقعون فيّ فأرد عليهم » ، فقال : « **لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار** »[1] .

فإذا كان النبي ﷺ لم يقبل أي كلام يتضمن الأذى من بعض الصحابة لآخرين منهم ، فما الشأن بحال من ليس من الصحابة ويطلق لسانه عليهم بالسب القبيح الذي يستحي المؤمن من حكايته عنهم ، لا شك أن من كان هذا شأنه فإنه أنزل نفسه أقبح المنازل وتجرأ على خيار المؤمنين ، وعصى سيد المرسلين في أمره بوجوب الإمساك عن الكلام في شأنهم إذا ذكروا .

(١٢) فقد روى الحافظ الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا** »[2] .

فمعنى قوله ﷺ : « **إذا ذكر أصحابي** » بما شجر بينهم من الحروب

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٣٤٩/٩ ، وقال عقبه : رواه الطبراني في الصغير والكبير باختصار والبزار بنحوه ، ورجال الطبراني ثقات وأخرج الحاكم منه ما يخص خالداً في المستدرك : ٢٩٨/٣ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : ١٥٠/١٢ .

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٢٠٢/٧ وقال : رواه الطبراني وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح ، ورواه أبو نعيم في الحلية : ١٠٨/٤ ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له « بالحسن » . انظر : فيض القدير للمناوي : ٣٤٧/١ ، ٣٤٨ . وأورده الألباني في « صحيح الجامع الصغير » : ٢٠٩/١ ، وقال عقبه : « صحيح » ، وأورده في الصحيحة : ٤٢/١ .

والمنازعات (فأمسكوا) وجوباً عن الطعن فيهم والخوض في ذكرهم بما لا يليق فإنهم خير الأمة وخير القرون ، ولما جرى بينهم محامل[1] ، فالذي يشغل نفسه بما حصل بينهم من الوقائع ويتخذ ذلك ذريعة لسبهم والطعن فيهم فقد عصى أبا القاسم ﷺ في أمره بالإمساك عن الكلام فيهم إذا ذكر ما شجر بينهم وعصاه أيضاً : في أمره بالإحسان إليهم وأمره بحفظه فيهم .

(١٣) فقد روى الإمام أحمد بإسناده إلى جابر بن سمرة ، قال : خطب عمر الناس بالجابية ، فقال : إن رسول الله ﷺ قام في مثل مقامي هذا فقال : « **أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** »[2] .

فقد أمرَ النبي ﷺ في هذا الحديث بالإحسان إلى جميع الصحابة والإحسان يكون بالقول كما يكون بالفعل ، فيجب على جميع الناس بعدهم أن يحسنوا إليهم بكف ألسنتهم « عن غمطهم أو الوقيعة فيهم بلوم أو تعنيف لبذلهم نفوسهم وإطراحها بين يدي الله تعالى في الحروب وقتالهم القريب والبعيد في ذات الله ، وبذلهم أموالهم وخروجهم من ديارهم وصبرهم على البلاء والجهد الذي لا يطيقه غيرهم ، وليس ذلك إلا عن أمر عظيم ملك البواطن وصرفها على حكم محبة الله ومحبة رسوله ﷺ فاستوجبوا بذلك الرعاية وكمال العناية »[3] . فالذي يسبهم ويطعن فيهم لم يحسن إليهم ولم يمتثل أمر الرسول ﷺ بذلك ، وإنما أتى بعكس ما أمر به الرسول ﷺ وهو أنه فعل ضد ما أمر به وهو الإساءة إليهم بالقول السيء نعوذ بالله من ذلك .

والأحاديث التي اشتملت على تحريم سب الصحابة والنهي عنه كثيرة فالواجب على كل مسلم أن يحذر من الوقوع في ذلك ويعتقد حرمة ذلك وأنه من

---

(١) فيض القدير للمناوي : ٣٤٧/١ .

(٢) المسند : ٢٦/١ ، قال أحمد شاكر في تعليقه على المسند : ٢٣٠/١ : « إسناده صحيح » ، وأورده الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم : ٤٣١ .

(٣) فيض القدير للمناوي : ١٩٧/١ .

أعظم الذنوب التي لا يقع فيها إلا رافضي غال جعل للشيطان على نفسه سبيلاً يتبعه في كل شيء يأمره به مما فيه معصية لله - عز وجل - .

والحاصل مما تقدم أن السنة دلت على أن سب الصحابة من أكبر الكبائر ، وأفجر الفجور ، وأن من ابتلي بذلك فهو من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، وقد وفق الله الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة لاحترامهم ومعرفة حقهم وذكرهم بالجميل اللائق بهم ، وحفظوا رسول الله ﷺ فيهم حيث اعتقدوا ما دل عليه الكتاب والسنة من حرمة سبهم فهم العاملون بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ فيما يجب لهم من الحق على الخلق بعدهم حفظ الله أحياءهم ورحم موتاهم ..

* * *

★ المبحث الثالث ★

من كلام السلف في تحريم سب الصحابة

إن النصوص الواردة عن سلف الأمة وأئمتها من الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان التي تقضي بتحريم سب الصحابة والدفاع عنهم كثيرة جداً ومتنوعة في ذم وعقوبة من أطلق لسانه على أولئك البررة الأخيار وأقوال السلف التي كانوا يواجهون بها الذين ابتلوا بالنيل من أصحاب رسول الله ﷺ ، كانت في غاية الإنكار على من وقع في ذلك وبيان الخسارة الكبيرة التي يكسبها من أراد الله فتنته بالوقوع والنيل من خير القرون .

(١) فقد روى ابن أبي حاتم بإسناده إلى يوسف بن سعد عن محمد بن حاطب قال : ونزل في داري حيث ظهر عليٌّ رضي الله عنه على أهل البصرة ، فقال لي يوماً : لقد شهدت أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه وعنده عمار وصعصعة[(١)] والأشتر ومحمد بن أبي بكر رضي الله عنهم ، فذكروا عثمان رضي الله عنه فنالوا منه ، فكان عليٌّ رضي الله عنه على السرير ومعه عود في يده ، فقال قائل منهم : إن عندكم من يفصل بينكم فسألوه ، فقال عليّ رضي الله عنه : كان عثمان رضي الله عنه من الذين قال الله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾[(٢)]، قال : والله عثمان وأصحاب عثمان رضي الله عنهم قالها ثلاثاً : قال يوسف :فقلت لمحمد بن حاطب آلله لسمعت هذا من عليٍّ

---

(١) هو صعصعة بن صوحان العبدي نزيل الكوفة تابعي كبير مخضرم فصيح ثقة مات في خلافة معاوية . انظر ترجمته في التقريب : ٣٣٧/١ ، تهذيب التهذيب : ٤٢٢/٤ .

(٢) سورة الأحقاف آية : ١٦ .

رضي الله عنه ، قال : آلله لسمعت هذا من عليٍّ رضي الله عنه »[1] .

(٢) وكان رضي الله عنه يعاقب بالجلد الموجع على الكلام الذي فيه إيماء أو إشارة إلى النيل من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فقد ذكر ابن الأثير أن رجلين وقفا على باب الدار[2] الذي نزلت فيه أم المؤمنين بالبصرة ، فقال أحدهما : جزيت عنا أمناً عقوقاً .

وقال الآخر : يا أمي توبي فقد أخطأت – فبلغ ذلك علياً – فبعث القعقاع ابن عمرو إلى الباب فأقبل بمن كان عليه ، فأحالوا على رجلين من أزد الكوفة وهما : عجلان ، وسعد ابنا عبد الله فضربهما مائة سوط وأخرجهما من ثيابهما »[3] .

(٣) روى أبو داود بإسناده إلى رباح بن الحارث قال : كنت قاعداً عند فلان[4] في مسجد الكوفة ، وعنده أهل الكوفة ، فجاء سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل فرحب به وحياه وأقعده عند رجله على السرير ، فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة ، فاستقبله فسب وسب ، فقال سعيد : من يسب هذا الرجل ؟ قال : يسب علياً ، فقال : ألا أرى أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك ثم لا تنكر ولا تغير ؟ ، أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول – وإني لغني أن أقول عنه ما لم يقل فيسألني عنه غداً إذا لقيته – « **أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعليٌّ في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وسعد بن مالك في الجنة وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة ، وأبو عبيدة ابن الجراح في الجنة** » ، وسكت عن العاشر ، قالوا : من هو العاشر ؟ فقال :

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره : ٢٨٣/٦ .

(٢) هي دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة نزلت بها عائشة رضي الله عنها بعد انتهاء وقعة الجمل .

(٣) الكامل في التاريخ : ٢٥٧/٣ .

(٤) هو المغيرة بن شعبة كما في عون المعبود : ٤٠٢/١٢ .

سعيد بن زيد – يعني نفسه – ، ثم قال : والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عَمِّرَ عُمرَ نوح »[1] .

زاد رزين[2] : ثم قال : « لا جرم لما انقطعت أعمارهم ، أراد الله أن لا يقطع الأجر عنهم إلى يوم القيامة ، والشقي من أبغضهم ، والسعيد من أحبهم »[3] .

(٤) وذكر ابن الأثير عن رزين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قيل لعائشة : إن ناساً يتناولون ، أصحاب النبي ﷺ حتى أبا بكر وعمر ، فقالت : وما تعجبون من هذا ؟ ، إنقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر »[4] .

(٥) روى ابن بطة بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنه قال : « لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ ، فلمقام أحدهم ساعة – يعني مع النبي ﷺ – خير من عمل أحدكم أربعين سنة »[5] .

---

(١) سنن أبي داود : ٢/٥١٦ .

(٢) هو رزين بن معاوية بن عمار العبدري ، السرقسطي الأندلسي أبو الحسن إمام الحرمين نسبته إلى سرقسطه من بلاد الأندلس جاور بمكة زمناً طويلاً وتوفي بها ، له تصانيف منها التجريد للصحاح الستة . انظر ترجمته في « الرسالة المستطرفة » ، ص : ١٣٠ – ١٣١ ، شذرات الذهب : ٤/١٠٦ ، الأعلام : ٣/٤٦ .

(٣) جامع الأصول : ٩/٤١١ .

(٤) جامع الأصول : ٩/٤٠٨ – ٤٠٩ ، مسند عائشة للسيوطي ، ص : ١٦٤ ، وعزاه لابن عساكر وذكره شارح الطحاوية ، ص : ٥٣٠ وعزاه إلى مسلم وتعقبه الألباني بقوله : « هذا حديث غريب عندي وعزوه لمسلم أغرب فإني لم أقف عليه فيه بعد الاستعانة عليه بكل الوسائل الممكنة ... ثم تيقنت عدم وجوده فيه بعد أن فرغت منذ بضعة سنين من اختصار صحيح مسلم والأمر كما قال الشيخ الألباني وهو عدم وجوده في صحيح مسلم ، فإني بحثت عنه فلم أجده قبل أن أطلع على كلام الشيخ الألباني هذا .

(٥) ذكره شارح الطحاوية ، ص : ٥٣٠ ، وانظر الشرح والإبانة لابن بطة ، ص : ١١٩ ، فإنه أخرج الجزء الأول من قول ابن عباس هذا .

وفي رواية وكيع : « خير من عبادة أحدكم عمره »[1] .

(٦) وروى أبو نعيم بإسناده أن يزيد بن هزاري أنه لقي سعيد بن جبير بأصبهان ، فقال له : إن رأيت أن تفيدني مما عندك ؟ ، فحبس دابته وقال : قال لي ابن عباس : احفظ عني ثلاثاً : إياك والنظر في النجوم فإنه يدعو إلى الكهانة ، وإياك والنظر في القدر ، فإنه يدعو إلى الزندقة ، وإياك وشتم أصحاب رسول الله ﷺ ، فيكبك الله في النار على وجهك يوم القيامة »[2] .

(٧) وروى محمد بن عبد الواحد المقدسي إلى عريب[3] بن حميد قال : قام رجل فنال من عائشة رضي الله عنها ، فقام عمار رضي الله عنه يتخطى الناس فقال : اجلس مقبوحاً[4] منبوحاً[5] أنت تقع في حبيبة رسول الله ﷺ ؟ فوالله إنها لزوجته في الدنيا والآخرة »[6] .

(٨) وروى أبو يعلى والطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت لأبي عبد الله الجدلي : « يا أبا عبد الله أيسب رسول الله ﷺ فيكم ، قلت : أني يسب رسول الله ﷺ ؟ ، قالت : أليس يسب علي ومن يحبه ، وقد كان رسول الله ﷺ يحبه »[7] .

(٩) وروى محمد بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله بإسناده إلى سعيد بن عبد الرحمٰن بن أبزى ، قال : «قلت لأبي[8] : ما تقول في رجل سب أبا بكر؟،

---

(١) ذكره أيضاً : شارح الطحاوية ، ص : ٥٣١ .

(٢) أخبار أصبهان : ٣٢٤/١ .

(٣) هو : عريب بن حميد أبو عمار الدهني كوفي ثقة من الثالثة . التقريب : ٢٠/٢ ، التهذيب : ١٩١/٧ .

(٤) أي : مبعداً ، النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣/٤ .

(٥) أي : مشتوماً . النهاية في غريب الحديث : ٥/٥ .

(٦) كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، ص : ٢١ - ٢٢ ، وأورده ابن الأثير في النهاية : ٣/٤ .

(٧) مجمع الزوائد : ١٣٠/٩ ، وقال عقبه : « رواه الطبراني في الثلاثة وأبو يعلى ورجال الطبراني رجال الصحيح ، غير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة .

(٨) هو : عبد الرحمٰن بن أبزى الخزاعي مولاهم ، صحابي صغير ، وكان في عهد عمر رجلاً ، وكان =

قال : يقتل ، قلت : سب عمر ؟ ، قال : يقتل »[1] .

هذه تسعة نماذج عن أصحاب رسول الله ﷺ فيها توضيح للطريقة التي كانوا يواجهون بها من أزاغ الله قلبه عن معرفة ما يجب لأصحاب رسول الله ﷺ وفتن بسبهم والنيل منهم ، فقد كان إنكارهم عظيماً على من صدر منه ذلك ، فلم يسكتوا عن المتقولين فيهم بل كانوا يردون عليهم إما بذكر فضائلهم ومالهم عند الله من المنزلة العظيمة التي لا يلحقهم فيها غيرهم مهما قدم من العمل ، وإما أن يعاقبوا بجلدهم بالسياط ، وقد حصل الأمران في موقف علي رضي الله عنه ممن نال من عثمان وعائشة رضي الله عنهما ، وبعض الصحابة كان يعتبر سب أصحاب رسول الله ﷺ سباً للرسول ﷺ كما تقدم ذلك عن أم سلمة ، وبعضهم كان يفتي بقتل من سب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكل ذلك يدل على عظم الجرم الذي يقع فيه من امتلأ قلبه ببغضهم وخبث لسانه بالقول القبيح فيهم الذي لا يليق إلا بمن صدر منه وقد سلك التابعون بإحسان من أهل السنة والجماعة في مواجهة السابين لأصحاب رسول الله ﷺ طريقة الغلظة والشدة عليهم ولم يسكتوا عن أي تعريض بهم ، بل اعتبروا الطعن في الصحابة والسب لهم مروقاً من الدين أعاذنا الله من ذلك .

(١٠) فقد روى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى محمد بن علي بن الحسين بن علي أنه قال لجابر الجعفي : يا جابر بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبونا ويتناولون أبا بكر وعمر ، ويزعمون أني آمرهم بذلك ، فأبلغهم عني أني إلى الله منهم بريء والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم لا نالتني شفاعة محمد ﷺ إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما إن أعداء الله لغافلون عن فضلهما ، فأبلغهم أني بريء منهم وممن تبرأ من

= على خراسان لعلي » انظر ترجمته في الإصابة » : ٣٨١/٢ ، تهذيب التهذيب : ١٣٢/٦ – ١٣٣ ، تقريب التهذيب : ٤٧٢/١ .

(١) كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، ص : ٢٣ .

أبي بكر وعمر رضي الله عنهما »[1] .

(١١) وروى أيضاً بإسناده إلى عبد الله بن الحسن بن علي أنه قال : « ما أرى رجلاً يسب أبا بكر وعمر تيسر له توبة أبداً »[2] .

(١٢) وقال عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي : « من شتم أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقد ارتد عن دينه وأباح دمه »[3] .

(١٣) وقال مالك بن أنس رحمه الله تعالى : « الذي يشتم أصحاب رسول الله ﷺ ليس له سهم أو قال نصيب في الإسلام »[4] .

(١٤) روى محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى الحسن بن الربيع قال : سمعت أبا الأحوص[5] يقول : لو أن الروم أقبلت من موضعها يعني تقتل ما بين يديها وتقبل حتى تبلغ النخيلة ثم خرج رجلٌ بسيفه فاستنقذ ما في أيديها وردها إلى موضعها ولقي الله وفي قلبه شيء على بعض أصحاب محمد ﷺ ما رأينا أن ذلك ينفعه »[6] .

(١٥) وروى أيضاً : بإسناده إلى عبد الله بن مصعب[7] قال : قال لي أمير المؤمنين – المهدي – ما تقول في الذين يشتمون أصحاب رسول الله ﷺ ،

---

(١) كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، ص : ١٢ ، وأورده الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية : ٣٤٩/٩ ، والسياق له .

(٢) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، ص : ١٧ .

(٣) الشرح والإبانة ، لابن بطة ، ص : ١٦٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص : ١٦٢ .

(٥) هو سلام بن سليم الحنفي مولاهم أبو الأحوص الكوفي ثقة متقن من السابعة مات سنة تسع وسبعين ومائة . التقريب : ٣٤٢/١ .

(٦) كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، ص : ٢٢ .

(٧) هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير أبو بكر القرشي الأسدي أمير من أهل العدل والورع والشعر والفصاحة ، ولد بالمدينة سنة إحدى عشرة ومائة وتوفي بالرقة سنة أربعة وثمانين ومائة . ألزمه الرشيد بولاية المدينة وعمره سبعون سنة « انظر ترجمته في تاريخ بغداد » : ١٧٣/١٠ – ١٧٦ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٢١١/١٠ ، تهذيب التهذيب : ١٦٢/١٠ ، الأعلام للزركلي : ٢٨١/٤ – ٢٨٢ .

فقلت : زنادقة يا أمير المؤمنين ، قال : ما علمت أحداً قال هذا غيرك فكيف ذلك ؟ ، قلت : إنما قوم أرادوا رسول الله ﷺ فلم يجدوا أحداً من الأمة يتابعهم على ذلك فيه فشتموا أصحابه رضي الله عنهم يا أمير المؤمنين ما أقبح بالرجل أن يصحب صحابة السوء فكأنهم قالوا رسول الله صحب صحابة السوء ، فقال لي : ما أرى الأمر إلا كما قلت[1] .

(١٦) روى أبو عبيد الله بن بطة إلى أبي بكر بن عياش[2] أنه قال : « لا أصلي على رافضي ولا حروري لأن الرافضي يجعل عمر كافراً ، والحروري يجعل علياً كافراً »[3] .

(١٧) روى محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى يعقوب بن حميد قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : حج هارون الرشيد أمير المؤمنين فدعاني فقال : يا سفيان إن أبا معاوية الضرير حدثني عن أبي جناب الكلبي عن أبي سليمان الهمداني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال : (سيكون بعدي قوم لهم نبز يسمون الرافضة وآية ذلك أنهم يسبون أبا بكر وعمر ، فإذا وجدتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون ، فقلت : يا أمير المؤمنين اقتلهم بكتاب الله ، فقال : يا سفيان وأين موضع ذلك من كتاب الله ، فقلت : أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ ﴾[4] ، يا أمير المؤمنين ، فمن غاظه أصحاب رسول الله ﷺ فهو كافر[5] .

---

(١) كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، ص : ٢٢ - ٢٣ ، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد : ١٠/١٧٥ .

(٢) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي المقرىء مشهور بكنيته والأصح أنها اسمه ثقة عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح، مات سنة أربع وتسعين ومائة. وقيل: قبل ذلك. التقريب: ٢/٣٩٩.

(٣) الشرح والإبانة لابن بطة ، ص : ١٦٠ .

(٤) آية ٢٩ من سورة الفتح .

(٥) كتاب النهي عن سب الأصحاب ، ص : ٢٤ - ٢٥ ، وروى الطبراني عن ابن عباس قال : كنت =

(١٨) وقال أيضاً : من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى[١] .

(١٩) ذكر القرطبي عن عمر بن حبيب[٢] قال : حضرت مجلس هارون الرشيد فجرت مسألة تنازعها الحضور وعلت أصواتهم فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فرفع بعضهم الحديث وزادت المرافعة والخصام ، حتى قال قائلون منهم : « لا يقبل هذا الحديث على رسول الله ﷺ ، لأن أبا هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ، ونصر قولهم ، فقلت أنا : الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ وأبو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن النبي ﷺ وغيره فنظر إليّ الرشيد نظر مغضب وقمت من المجلس فانصرفت إلى منزلي ، فلم ألبث حتى قيل : صاحب البريد بالباب ، فدخل فقال لي : أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنط وتكفن ، فقلت : اللهم إنك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه ، فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي .. حاسر عن ذراعيه بيده السيف ، وبين يديه النطع[٣] ، فلما بصر بي قال لي : يا عمر ابن حبيب ما تلقاني أحد من الرد والدفع لي بمثل ما تلقيتني به ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن الذي قلته وجادلت عنه فيه ازدراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء

= عند النبي ﷺ وعنده علي ، فقال النبي ﷺ : يا علي سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم نبز يسمون الرافضة قاتلوهم فإنهم مشركون .
قال الهيثمي : رواه الطبراني وإسناده حسن « مجمع الزوائد » : ١٠/٢٢ .

(١) ذكره عبد القادر الجيلاني في كتابه « الغنية لطالبي طريق الحق » : ١/٧٩ .

(٢) هو عمر بن حبيب بن محمد العدوي قاضي من رجال الحديث ولي قضاء البصرة ، ثم الشرقية للمأمون العباسي ، وكان صلباً في القضاء ، حسن السياسة ، هابه الناس وأمنوا ضياع حقوقهم في أيامه ، توفي سنة سبع ومائتين . انظر ترجمته في « أخبار القضاة » لوكيع : ٢/١٤٢ ، تهذيب التهذيب : ٧/٤٣١ – ٤٣٢ ، التقريب : ٢/٥٢ ، الأعلام ، للزركلي : ٥/٢٠١ .

(٣) النطع : بالكسر بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس ، أو يفرش للأكل أو اللعب .

به إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة ، والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول ، فرجع إلى نفسه ثم قال : أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله »[1] .

(٢٠) روى أبو عبيد الله بن بطة بإسناده إلى هارون بن زياد ، قال : سمعت الفريابي[2] ورجل يسأله عمن شتم أبا بكر ، فقال : كافر ، قال : فنصلي عليه ، قال : لا ، فسألته : كيف نصنع به وهو يقول : لا إلٰه إلا الله ، قال : لا تمسوه بأيديكم ، إدفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته »[3] .

(٢١) وقال بشر بن الحارث[4] : « من شتم أصحاب رسول الله ﷺ فهو كافر وإن صام وصلى وزعم أنه من المسلمين »[5] .

(٢٢) وقال أبو بكر المروزي : سألت أبا عبد الله عمن شتم أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله عنهم ، فقال : « ما أراه على الإسلام »[6] .

(٢٣) وقال محمد بن بشار[7]: قلت لعبد الرحمٰن بن مهدي : أحضر جنازة من سب أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال : «لو كان من عصبتي ما ورثته »[8].

(٢٤) وروى محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى إسماعيل بن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٨/١٦ - ٢٩٩ .

(٢) هو محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي مولاهم الفريابي ، ثقة فاضل مات سنة اثنتي عشرة ومئتين وروى له الجماعة . التقريب : ٢٢١/٢ ، تهذيب التهذيب : ٥٣٥/٩ - ٥٣٧ .

(٣) الشرح والإبانة ، ص : ١٦٠ .

(٤) هو بشر بن الحارث المروزي أبو نصر الحافي الزاهد الجليل المشهور ثقة قدوة مات سنة سبع وعشرين ومائتين . التقريب : ٩٨/١ .

(٥) الشرح والإبانة ، لابن بطة ، ص : ١٦٢ .

(٦) الشرح والإبانة لابن بطة ، ص : ١٦١ .

(٧) هو محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري أبو بكر بندار ثقة ، مات سنة اثنتين وخمسين ومائتين . روى له الجماعة « التقريب » : ١٤٧/٢ .

(٨) الشرح والإبانة ، ص : ١٦٠ .

القاسم ، قال : قال لي عبد الله بن سليمان : يا إسماعيل ما تقول فيمن يسب أبا بكر وعمر ، قلت : يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، قال لي القتل ؟ ، قلت : نعم ، قال : وأنى لك هذا ، قلت : بآية من كتاب الله تعالى ، فقال : وآية من كتاب الله ؟ ، قلت : نعم ، قال : وأي هي من كتاب الله تعالى ، قلت له : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ ﴾[1] ، ولا فساد في الأرض أعظم من سب أبي بكر وعمر عليهما السلام ، قال لي : أحسنت يا إسماعيل »[2] .

وهذه الآثار عن هؤلاء الأئمة كلها دلت على تحريم سب الصحابة عموماً وفيها بيان الخسارة الواضحة التي تلحق من أقحم نفسه في هذا الجرم الكبير وأن من ابتلي بداء المبغضين لخيار الأمة وحمله ذلك على سبهم وتجريحهم إنما رام الطعن في رسول الله ﷺ وإبطال الشريعة الإسلامية من أساسها لأن الصحابة إذا كانوا كذابين فجميع أحكام دين الإسلام باطلة، إذ الدين لم يصل إلينا إلا عن طريقهم فهم الذين تلقوه من الرسول ﷺ ومن جاء بعدهم لم يأخذه إلا عنهم، ومن طعن فيهم، أو جرحهم ماذا يبقى له من الدين وكما دلت تلك الآثار عن أولئك الأسلاف على تحريم سب الصحابة دلت كذلك على أن من تكلم فيهم بكلام لا ينبغي فإنه لا يضرهم وإنما يضر نفسه، فهم رضي الله عنهم قدموا على ما قدموا، وقد قدموا الخير الكثير من الأعمال الجليلة والمآثر الحميدة في نصرة دين الإسلام والكلام فيهم بغير حق يكون ذلك زيادة في حسناتهم ورفعة لدرجاتهم، لأن المتكلم فيهم بغير حق إن كانت له حسنات فإنهم يأخذون من حسناته ويضاف ذلك إلى حسناتهم ويزدادون بذلك رفعة عند الله تعالى، وإن لم يكن للمتكلم فيهم حسنات فلا تأثير لكلامه فيهم ولا مضرة عليهم، إذ الذي مدحه الله وأثنى عليه لا يضيره ذم الخلق وتنقصهم.

---

(١) سورة المائدة آية : ٣٣ .

(٢) كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، ص : ٢٥ .

★ المبحث الرابع ★

حكم ساب الصحابة وعقوبته

اختلف أهل العلم في الحكم والعقوبة التي يستحقها من سب أصحاب رسول الله ﷺ أو جرحهم هل يكفر بذلك وتكون عقوبته القتل ، أو أنه يفسق بذلك ويعاقب بالتعزير .

(١) ذهب جمع من أهل العلم إلى القول بتكفير من سب الصحابة رضي الله عنهم أو انتقصهم وطعن في عدالتهم وصرح ببغضهم وأن من كانت هذه صفته فقد أباح دم نفسه وحل قتله ، إلا أن يتوب من ذلك ويترحم عليهم .

وممن ذهب إلى هذا القول من السلف الصحابي الجليل عبد الرحمٰن بن أبزى[١] وعبد الرحمٰن بن عمرو الأوزاعي[٢] وأبو بكر بن عياش[٣] وسفيان بن عيينة[٤] ومحمد بن يوسف الفريابي[٥] وبشر بن الحارث المروزي[٦] ومحمد بن بشار العبدي[٧] وغيرهم كثير ، فهؤلاء الأئمة صرحوا بكفر من سب الصحابة وبعضهم صرح مع ذلك أنه يعاقب بالقتل ، وإلى هذا القول ذهب بعض العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية .

---

(١) انظر كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، ص : ٢٣ ، فتاوى السبكي : ٥٨٠/٢ .

(٢) انظر الشرح والإبانة لابن بطة ، ص : ١٦٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص : ١٦٠ .

(٤) كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، ص : ٢٤ - ٢٥ .

(٥) الشرح والإبانة ، ص : ١٦٠ ، الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص : ٥٧٠ .

(٦) الشرح والإبانة ،: ص : ١٦٢ .

(٧) المصدر السابق ، ص : ١٦٠ .

قال الإمام الطحاوي في عقيدته : « وحبهم – أي الصحابة رضي الله عنهم – دين وإيمان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان »[(١)] ، ومن سبهم وطعن فيهم فقد زاد على بغضهم . وقال السرخسي[(٢)] وهو أحد كبار علماء الحنفية : « فأما من طعن في السلف من نفاة القياس لاحتجاجهم بالرأي في الأحكام فكلامه كما قال الله تعالى : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[(٣)] لأن الله تعالى أثنى عليهم في غير موضع من كتابه ، كما قال الله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[(٤)] ورسول الله ﷺ وصفهم بأنهم خير الناس فقال : « **خير الناس قرني الذي أنا فيهم** »[(٥)] ، والشريعة بلغتنا بنقلهم ، فمن طعن فيهم فهو ملحد منابذ للإسلام ، دواءه السيف إن لم يتب »[(٦)] .

وقال الحميدي القرشي تلميذ الشافعي وشيخ البخاري موضحاً العقيدة التي يجب على المسلم أن يلتزمها : « والسنة عندنا أن يؤمن الرجل بالقدر خيره وشره حلوه ومره » .. إلى أن قال « والترحم على أصحاب محمد ﷺ كلهم فإن الله – عز وجل – قال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ فلم نؤمر إلا بالاستغفار لهم فمن سبهم أو بعضهم أو أحداً منهم ، فليس على السنة وليس له في الفيء حق أخبرنا بذلك غير واحد عن مالك بن أنس أنه قال : قسم الله الفيء فقال : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ

---

(١) شرح الطحاوية ، ص : ٥٢٨ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن سهل أبو بكر قاضي من كبار الأحناف مجتهد من أهل سرخس (في خراسان) توفي سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة هجرية . انظر ترجمته في الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، ص ١٥٨ – ١٥٩ ، الأعلام للزركلي : ٢٠٨/٦ .

(٣) سورة الكهف ، آية : ٥ .

(٤) سورة الفتح ، آية : ٢٩ .

(٥) انظر صحيح البخاري : ٢٨٧/٢ – ٢٨٩ ، صحيح مسلم : ١٩٦٣/٤ – ١٩٦٥ .

(٦) أصول السرخسي : ١٣٤/٢ .

﴿أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا﴾ الآية .. فمن لم يقل هذا لهم فليس ممن جعل له الفيء »[1] .

وقد تقدم في المبحث الذي قبل هذا عن الإمام مالك أنه قال : « والذي يشتم أصحاب رسول الله ﷺ ليس له سهم ، أو قال : نصيب في الإسلام »[2] .

وقال القرطبي بعد أن ذكر قول مالك : « من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ إلى قوله ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾[3] قال : « لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله ، فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين »[4] .

وقد ذكر القاضي عياض عن بعض المالكية أنه ذهب إلى أن عقوبة ساب الصحابة أنه يقتل حيث قال : « وقال بعض المالكية يقتل »[5] .

وذكر الألوسي أن القاضي حسين[6] من علماء الشافعية ذهب إلى أن سب الشيخين كفر وإن لم يكن بما فيه إكفارهما – ثم قال – وإلى ذلك ذهب معظم الحنفية[7] .

---

(١) مسند الحميدي : ٥٤٦/٢ .

(٢) الشرح والإبانة ، ص : ١٦٢ .

(٣) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٧/١٦ .

(٥) شرح النووي : ٩٣/١٦ .

(٦) هو أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي ويقال له – أيضاً – المرورذي – بالذال المعجمة وتشديد الراء الثانية وتخفيفها – قال النووي : « وهو القاضي حسين من أصحابنا ويأتي كثيراً معرفاً بالقاضي حسين وكثيراً مطلقاً القاضي فقط كان كبير القدر مرتفع الشأن » ، توفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة رحمه الله . انظر ترجمته في تهذيب الأسماء واللغات : ١٦٤/١ – ١٦٥ .

(٧) الأجوبة العراقية ، ص : ٥٠ .

وقال الإمام الذهبي مبيناً حكم الطاعن في الصحابة والساب لهم : « فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول والطعن في الوسائط طعن في الأصل والإزدراء بالناقل ازدراء بالمنقول وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته »[1] .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر اختلاف أهل العلم في عقوبة ساب الصحابة ونص على أن بعض الشافعية يرى قتله ، فقد قال رحمه الله : « واختلف في ساب الصحابي ، فقال عياض : ذهب الجمهور إلى أنه يعزر ، وعن بعض المالكية يقتل[2] وخص بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسنين فيحكى القاضي حسين في ذلك وجهين : وقواه السبكي في حق من كفر الشيخين ، وكذا من كفر من صرح النبي ﷺ بإيمانه أو تبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر بذلك عنه لما تضمن من تكذيب رسول الله ﷺ[3] » اهـ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبيناً أن من علماء الحنابلة من ذهب إلى القول بتكفير من يعتقد سب الصحابة حيث قال : « وصرح جماعات من أصحابنا بكفر الخوارج المعتقدين البراءة من عليّ وعثمان وبكفر الرافضة المعتقدين لسب جميع الصحابة الذين كفروا الصحابة وفسقوهم وسبوهم – ثم قال – وقال أبو بكر عبد العزيز[4] في المقنع : فأما الرافضي فإن

---

(١) الكبائر ، ص : ٢٣٥ .

(٢) انظر شرح النووي : ٩٣/١٦ .

(٣) فتح الباري : ٣٦/٧ ، وانظر : تحفة الأحوذي : ٣٦٨/١٠ ، وانظر : فتاوى السبكي : ٥٨٠/٢ .

(٤) هو الإمام عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد بن معروف أبو بكر المعروف بغلام الخلال كان أحد أهل الفهم موثوقاً به في العلم ، متسع الرواية مشهوراً بالديانة توفي سنة ثلاثة وستين وثلاثمائة . =

كان يسب فقد كفر فلا يزوج ولفظ بعضهم وهو الذي نصره القاضي أبو يعلى[1] أنه إن سبهم سباً يقدح في دينهم وعدالتهم كفر بذلك ، وإن سبهم سباً يقدح – مثل أن يسب أبا أحدهم أو يسبه سباً يقصد به غيظه ونحو ذلك لم يكفر »[2] .

وجاء في كتاب « الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف »[3] : « وقال في نهاية المبتدي : « من سب صحابياً كفر وإلا فسق ، وقيل : وعنه يكفر » اهـ .

وأما أبو محمد بن حزم الظاهري فإنه ذهب إلى أن ساب الصحابة لا بد من تعليمه وتعريفه أولاً بما يجب للصحابة ، فإن تمادى بعد ذلك يكون فاسقاً ، وأما إذا عاند ما جاء عن الله ورسوله فيهم ، فهنا يكون كافراً مشركاً حيث قال : « حكمه – أي : ساب الصحابة – أن يعلم ويعرف ، فإن تمادى فهو فاسق وإن عاند في ذلك الله تعالى أو رسوله ﷺ فهو كافر مشرك » اهـ[4] .

فهذه النقول فيها توضيح أن طائفة من أهل العلم يرون كفر ساب الصحابة ومنهم من قرن هذا الحكم عليه أن يعاقب معه بقتله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة وكفر الرافضة »[5] . وقد استدل أصحاب هذا القول بأمور منها : –

= انظر ترجمته في طبقات الحنابلة : ٢/١١٩ – ١٢٧ .

(١) هو محمد بن الحسين بن خلف بن الفراء أبو يعلى عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون من أهل بغداد ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين ولد سنة ثمانين وثلاثمائة ، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة . انظر ترجمته في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى : ٢/١٩٣ – ٢٣٠ ، تاريخ بغداد : ٢/٢٥٦ ، شذرات الذهب : ٣/٣٠٦ ، الأعلام للزركلي : ٦/٣٣١ .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص : ٥٧٠ .

(٣) ١٠/٣٢٤ .

(٤) الإحكام في أصول الأحكام ١/١٤٩ .

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص : ٥٦٩ – ٥٧٠ .

(١) إن سب الصحابة وانتقاصهم والطعن فيهم إيذاء لرسول الله ﷺ وإنتقاص له وحط من مكانته عليه الصلاة والسلام ، لأنهم أصحابه الذين رباهم وزكاهم وذكرهم بخير وأوصى بهم خيراً ومن المعلوم أن إيذاء النبي ﷺ كفر فيكون سب أصحابه كفراً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأذى الله ورسوله كفر موجب للقتل ، كما تقدم ، وبهذا يظهر الفرق بين أذاهم قبل استقرار الصحبة وأذى سائر المسلمين وبين أذاهم بعد صحبتهم له ، فإنه على عهد قد كان الرجل ممن يظهر الإسلام يمكن أن يكون منافقاً ويمكن أن يكون مرتداً ، فأما إذا مات مقيماً على صحبة النبي ﷺ وهو غير مزنون[١] بنفاق فأذاه أذى مصحوبه قال عبد الله بن مسعود : اعتبروا الناس بأخدانهم ، وقالوا :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال مالك رضي الله عنه : « إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي عليه الصلاة والسلام ، فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال : رجل سوء ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين ، أو كما قال ، وذلك أنه ما منهم رجل إلا كان ينصر الله ورسوله ويذب عن رسول الله ﷺ بنفسه وماله ويعينه على إظهار دين الله وإعلاء كلمة الله وتبليغ رسالات الله وقت الحاجة ، وهو حينئذ لم يستقر أمره ولم تنتشر دعوته ولم تطمئن قلوب أكثر الناس بدينه ، ومعلوم أن رجلاً لو عمل به بعض الناس نحو هذا ثم آذاه أحد لغضب له صاحبه ، وعد ذلك أذى له وإلى هذا أشار ابن عمر ، قال نسير بن ذعلوق[٢] : سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول : « لا تسبوا أصحاب محمد ، فإن مقام أحدهم خير من عملكم كله » رواه اللالكائي ، وكأنه أخذه من قول النبي ﷺ :

---

(١) أي : غير متهم . انظر النهاية في غريب الحديث : ٣١٦/٢ .

(٢) هو نسير بن ذعلوق - بضم المعجمة واللام - بينهما مهملة ساكنة ، الثوري مولاهم ، أبو طعمة الكوفي صدوق لم يصب من ضعفه من الرابعة . « التقريب » : ٢٩٨/٢ .

« **لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم أو نصيفه** »[1] ، وهذا تفاوت عظيم جداً[2] .

(٢) إن الطعن في الصحابة والتجريح لهم مفاده إبطال جميع أحكام الشريعة الإسلامية إذ هم نقلتها والمبلغون لها .

قال عمر بن حبيب بن محمد العدوي مخاطباً هارون الرشيد عندما جرت مسألة في مجلسه تنازعها الحاضرون واحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة رضي الله عنه ، فقال قائلون منهم : لا يقبل الحديث لأن أبا هريرة متهم فيما يرويه ، ودافع عنه عمر بن حبيب ومن ضمن ما قاله للرشيد : « إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة ، والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول »[3] . فاقتنع الرشيد بقوله وأيده عليه .

وقال القرطبي : « فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين »[4] .

(٣) إن الطعن في الصحابة يؤدي إلى إنكار ما قام عليه الإجماع « قبل ظهور المخالف من فضلهم وشرفهم ومصادمة المتواتر من الكتاب والسنة الدالين على أن لهم الزلفى من ربهم »[5] .

ولا شك أن من يعارض كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولم يقبل ما دلا عليه فإنه على خطر عظيم ، بل إنه لو أنكر حرفاً من القرآن فإن ذلك يخرجه من الإسلام ، ويدخله في الكفر والعياذ بالله .

---

(١) انظر صحيح البخاري : ٢٩٢/٢ .
(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص : ٥٨٠ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٩/١٦ .
(٤) المصدر السابق : ٢٩٧/١٦ .
(٥) الأجوبة العراقية ، ص : ٤٩ .

قال محمد صديق حسن خان : « من خالف الله ورسوله في أخبارهما وعصاهما بسوء العقيدة في خلص عباده ، ونخبة عباده فكفره بواح لا سترة عليه »[1] اهـ .

(٤) ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار** »[2] .

ورويا أيضاً : من حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار : « **لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله** »[3] .

وعند مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر** »[4] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « فمن سبهم فقد زاد على بغضهم ، فيجب أن يكون منافقاً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، وإنما خص الأنصار – والله أعلم – لأنهم هم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين وآووا رسول الله ﷺ ونصروه ومنعوه ، وبذلوا في إقامة الدين النفوس والأموال وعادوا الأحمر والأسود من أجله وآووا المهاجرين وواسوهم في الأموال ، وكان المهاجرون إذ ذاك قليلاً غرباء فقراء مستضعفين ، ومن عرف السيرة وأيام رسول الله عليه الصلاة والسلام وما قاموا به من الأمر ، ثم كان مؤمناً يحب الله ورسوله ، لم يملك أن لا يحبهم ، كما أن المنافق لا يملك أن لا يبغضهم وأراد بذلك – والله أعلم – أن يعرف الناس قدر الأنصار لعلمه بأن الناس يكثرون

---

(١) الدين الخالص : ٣٨٢/٣ .
(٢) صحيح البخاري : ١٢/١ ، صحيح مسلم : ٨٥/١ .
(٣) صحيح البخاري : ٣١٠/٢ ، صحيح مسلم : ٨٥/١ .
(٤) صحيح مسلم : ٨٦/١ .

والأنصار يقلون وأن الأمر سيكون في المهاجرين فمن شارك الأنصار في نصر الله ورسوله ﷺ بما أمكنه فهو شريكهم في الحقيقة ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ ﴾[1] فبغض من نصر الله ورسوله من أصحابه نفاق » اهـ[2] .

هذه بعض أدلة الفريق الأول من أهل العلم التي استدلوا بها على ما ذهبوا إليه من أن ساب الصحابة يكفر بسببه وانتقاصه لهم وطعنه في عدالتهم .

(٢) ذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن ساب الصحابة لا يكفر بسببهم بل يفسق ويضلل ولا يعاقب بالقتل ، بل يكتفي بتأديبه وتعزيره تعزيراً شديداً يردعه ويزجره حتى يرجع عن ارتكاب هذا الجرم الذي يعتبر من كبائر الذنوب وفواحش المحرمات ، وإن لم يرجع تكرر عليه العقوبة حتى يظهر التوبة .

فقد روى اللالكائي : عن الحارث بن عتبة ، قال : إن عمر بن عبد العزيز أتي برجل سب عثمان ، فقال : ما حملك على أن سببته ؟ ، قال : أبغضه ، قال : وإن أبغضت رجلاً سببته ؟ ، قال : فأمر به فجلد ثلاثين سوطاً[3] .

وروى الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا عاصم[4] الأحول قال : أتيت برجل قد سب عثمان ، قال : فضربته عشرة أسواط ، قال : ثم عاد لما قال ، فضربته عشرة أخرى ، قال فلم يزل يسبه حتى ضربته سبعين سوطاً »[5] .

وممن ذهب من الأئمة إلى ما ذهب إليه عمر بن عبد العزيز وعاصم الأحول

---

(١) سورة الصف ، آية : ١٤ .

(٢) الصارم المسلول ، ص : ٥٨١ - ٥٨٢ .

(٣) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في المصدر السابق ، ص : ٥٦٩ .

(٤) هو : عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمٰن البصري ثقة من الرابعة لم يتكلم فيه إلا القطان وكأنه بسبب دخوله في الولاية ، مات سنة أربعين ومائة هجرية . التقريب : ٣٨٤/١ ، التهذيب : ٤٢/٥ - ٤٣ .

(٥) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه « الصارم المسلول » ، ص : ٥٦٩ .

الإمام مالك والإمام أحمد وكثير من العلماء ممن جاء بعدهما .

قال القاضي عياض مبيناً ما ذهب إليه الإمام مالك وبعض علماء المالكية في هذه المسألة :

« وقد اختلف العلماء في هذا ، فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع ، قال مالك رحمه الله : « من شتم النبي ﷺ قتل ، ومن شتم أصحابه أدب » ، وقال أيضاً : من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال : كانوا على ضلال وكفر ، قتل ، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالاً شديداً .

وقال ابن حبيب[1] : « من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدباً شديداً ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي ﷺ » اهـ[2] .

قال إسحاق بن راهويه : « من شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب ويحبس »[3] .

وقال سحنون[4] : من كفر أحداً من أصحاب النبي ﷺ علياً أو عثمان أو غيرهما يوجع ضرباً . وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون فيمن قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلال وكفر قتل ، ومن شتم غيرهم

---

(١) هو : عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الألبيري القرطبي أبو مروان عالم الأندلس ، وفقيهها في عصره ، ولد سنة أربع وسبعين ومائة وتوفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين . انظر ترجمته في الديباج المذهب ، ص ١٥٤ - ١٥٦ ، ميزان الاعتدال : ٦٥٢/٢ ، الأعلام : ٣٠٢/٤ .

(٢) الشفاء : ٢٦٧/٢ .

(٣) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص : ٥٦٨ .

(٤) هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي من علماء المالكية ، توفي سنة أربعين ومائتين هجرية . انظر ترجمته في الديباج المذهب ، ص : ١٦٠ - ١٦٦ ، وفيات الأعيان : ١٨٠/٣ ، ١٨٢ ، الأعلام : ١٢٩/٤ .

من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد »[1] .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : « ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين ، والكف عن الذي جري بينهم ، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم فهو مبتدع رافضي حبهم سنة ، والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم ، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه ، بل يعاقبه ثم يستتيبه ، فإن تاب قبل منه ، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يتوب ويراجع »[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ساق قول أحمد هذا : « وحكى الإمام أحمد هذا عمن أدركه من أهل العلم وحكاه الكرماني عنه وعن إسحاق والحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم .

وقال الميموني : سمعت أحمد يقول ما لهم ولمعاوية ؟ ، نسأل الله العافية ، وقال لي : يا أبا الحسن : إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء ، فاتهمه على الإسلام » ، فقد نص رضي الله عنه على وجوب تعزيره واستتابته حتى يرجع بالجلد ، وإن لم ينته حبس حتى يموت أو يراجع ، وقال : ما أراه على الإسلام وقال : وأتهمه على الإسلام ، وقال : أجبن عن قتله » .

وقال رحمه الله بعد قول إسحاق بن راهويه المتقدم : « وهذا قول كثير من أصحابنا منهم ابن أبي موسى ، قال : ومن سب السلف من الروافض فليس بفكؤ ولا يزوج ، وهذا في الجملة قول عمر بن عبد العزيز وعاصم الأحول وغيرهما من التابعين »[3] .

---

(١) الشفاء للقاضي عياض : ١٦٧/٢ .

(٢) السنة للإمام أحمد ، ص : ١٧ ، الصارم المسلول ، ص : ٥٦٨ ، طبقات الحنابلة : ٣٠/١ .

(٣) الصارم المسلول ، ص : ٥٦٨ .

وفي مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله أنه قال : سألته عمن شتم رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ، رضي الله عنهم ؟ ، فقال أبي : أرى أن يضرب ، فقلت له حد ؟ ، فقال : فلم يقف على الحد إلا أنه قال : يضرب وقال : ما أراه إلا متهماً على الإسلام »[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : قال أحمد في رواية أبي طالب في الرجل يشتم عثمان : هذا زندقة ، وقال في رواية المروزي : « من شتم أبا بكر وعمر وعائشة ما أراه على الإسلام » .

قال القاضي أبو يعلى : فقد أطلق القول فيه أنه يكفر بسببه لأحد من الصحابة وتوقف في رواية عبد الله وأبي طالب عن قتله ، وكمال الحد وإيجاب التعزير يقتضي أنه لم يحكم بكفره ، قال : فيحتمل أن يحمل قوله : « ما أراه على الإسلام » إذا استحل سبهم بأنه يكفر بلا خلاف ويحمل إسقاط القتل على من لم يستحل ذلك بل فعله مع اعتقاده لتحريمه كمن يأتي المعاصي قال : ويحتمل قوله : « ما أراه على الإسلام على سب يطعن في عدالتهم نحو قوله : ظلموا ، وفسقوا بعد النبي ﷺ وأخذوا الأمر بغير حق ويحمل قوله في إسقاط القتل على سب لا يطعن في دينهم نحو قوله : كان فيهم قلة علم ، وقلة معرفة بالسياسة والشجاعة ، وكان فيهم شح ومحبة للدنيا ، ونحو ذلك ، قال : ويحتمل أن يحمل كلامه على ظاهره فتكون في سابهم روايتان : إحداهما يكفر ، والثانية يفسق ، وعلى هذا استقر قول القاضي وغيره ، حكوا في تكفيرهم روايتين »[2] .

وقال ملا علي القاري حاكياً الإجماع في حكم سب الصحابة : « من سب أحداً من الصحابة فهو فاسق ومبتدع بالإجماع ، إلا إذا اعتقد أنه مباح أو يترتب عليه ثواب كما عليه بعض الشيعة أو اعتقد كفر الصحابة فإنه كافر

---

(١) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله ، ص : ٤٣١ ، تحقيق : زهير الشاويش .
(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص : ٥٧١ .

بالإجماع » اهـ[1] .

فهذه النقول فيها توضيح أن طائفة من أهل العلم ومنهم عمر بن عبد العزيز وعاصم الأحول والإمام مالك وأحمد وكثير من الفقهاء ذهبوا إلى أن ساب الصحابة فاسق ومبتدع ليس كافراً ، يجب على السلطان تأديبه تأديباً شديداً لا يبلغ به القتل .

واستدلوا لما ذهبوا إليه بأدلة منها : -

(١) ما رواه الشيخان في صحيحيهما من أن النبي ﷺ قال لخالد بن الوليد وقد سب عبد الرحمٰن بن عوف : (لا تسبوا أصحابي ... الحديث)[2] .

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن سب الصحابة وقع على عهد الرسول ﷺ وسمع ذلك ، فلم يقل أن الساب كافر ولا أهدر دمه وإنما اكتفى ﷺ بالنهي عن ذلك .

(٢) ما رواه الإمام أحمد بإسناده إلى أبي برزة الأسلمي قال : « أغلظ رجل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال : فقال أبو برزة ألا أضرب عنقه ، قال : فانتهره وقال : ما هي لأحد بعد رسول الله ﷺ »[3] .

(٣) إن الله تعالى ميز بين مؤذي الله ورسوله ومؤذي المؤمنين فجعل الأول ملعوناً في الدنيا والآخرة ، وقال في الثاني : ﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[4] ، ومطلق البهتان والإثم ليس بموجب للقتل وإنما هو موجب للعقوبة في الجملة ، فتكون عليه عقوبة مطلقة ، ولا يلزم من العقوبة جواز القتل ،

---

(١) ذكره ابن عابدين في كتاب تنبيه الولاة والحكام ضمن مجموعة رسائله : ٣٦٧/١ .

(٢) صحيح البخاري : ٢٩٢/٢ ، صحيح مسلم : ١٩٦٧/٤ .

(٣) المسند : ٩/١ ، مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله ، ص : ٤٣١ ، سنن النسائي : ١٠٩/٧ .

(٤) سورة النساء آية : ١١٢ .

ولأن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « **لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إلٰه إلا الله إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زني بعد إحصان ، أو رجل قتل نفساً فيقتل بها** »[1] .

ومطلق السب لغير الأنبياء لا يستلزم الكفر ، لأن بعض من كان على عهد النبي عليه الصلاة والسلام كان ربما سب بعضهم بعضاً ، ولم يكفر أحد بذلك ولأن أشخاص الصحابة لا يجب الإيمان بهم بأعيانهم ، فسب الواحد لا يقدح في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر »[2] .

هذه أدلة من ذهب من أهل العلم إلى أن ساب الصحابة غير كافر ولا مهدور الدم وإنما يفسق ويضلل ويبدع ، هذا ما قرره أهل العلم في حكم ساب الصحابة ، فقد اختلفوا في حكمه كما تقدم على قولين ، فمن قائل بأنه كافر يجب قتله ومن قائل بأنه فاسق مبتدع يعاقب بما دون القتل ، وكل له أدلة على ما ذهب إليه ، والقول الذي تطمئن إليه النفس ويرتاح إليه قلب المؤمن أن من أبغضهم جميعاً أو أكثرهم أو سبهم سباً يقدح في دينهم وعدالتهم ، فإنه يكفر بهذا لأن هذا يؤدي إلى إبطال الشريعة بكاملها ، أو أكثرها لأن الصحابة هم الناقلون لها ، ومن اعتقد أنهم مجروحون وغير عدول فقد طعن في تلك الواسطة التي تلقت الشريعة عن المصطفى ﷺ ، ومن المستحيل أن تطمئن النفوس إلى شريعة نقلتها مطعون فيهم مجروحون .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : « وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة وتكفير جميع الأمة بعد النبي ﷺ إذ لم تقدم علياً ، وكفرت علياً إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها ، إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه

(١) انظر صحيح البخاري : ١٨٨/٤ ، صحيح مسلم : ١٣٠٢/٣ ، ١٣٠٣ .
(٢) الصارم المسلول ، ص : ٥٧٨ - ٥٧٩ .

كفرة على زعمهم وإلى هذا والله أعلم أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كفر الصحابة ، ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي ﷺ على مقتضى قولهم وزعمهم أنه عهد إلى علي رضي الله عنه وهو يعلم أنه يكفر بعده على قولهم[1] لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله »[2] اهـ .

وكذا يكفر من أبغض واحداً من الصحابة أو أكثر ، لأمر يرجع إلى الصحبة أو النصرة لرسول الله ﷺ أو الجهاد معه إذ هذا يؤدي إلى إيذاء الرسول ﷺ ، وأما إذا كان البغض لأمر لا يرجع إلى الصحبة ولا إلى النصرة فحكم هذا أنه فاسق مبتدع على الحاكم أن ينكل به نكالاً شديداً لا يبلغ به القتل حتى يظهر التوبة ويرجع عن طعنه في صحابة رسول الله ﷺ ويعرف لهم حقهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « من لعن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم كمعاوية وعمرو بن العاص أو من هو أفضل من هؤلاء كأبي موسى الأشعري وأبي هريرة أو من هو أفضل من هؤلاء كطلحة والزبير وعثمان أو علي أو أبي بكر أو عمر أو عائشة أو نحو هؤلاء من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم فإنه يستحق العقوبة البليغة باتفاق المسلمين » اهـ[3] .

* مطلب في حكم ساب أزواجه ﷺ وعقوبته :

إن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن داخلات في عموم الصحابة رضي الله عنهم لأنهن منهم ، وكل ما جاء في تحريم سب الصحابة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية فإن ذلك يشملهن ولما لهن من المنزلة العظيمة وقوة قرابتهن من

---

(١) تكفير جميع الأمة من عقائد الكاملية إحدى فرق الشيعة أتباع رجل من الرافضة يعرف بأبي كامل . انظر « مقالات الإسلاميين » : ٨٩/١ ، التبصير في الدين للإسفراييني ، ص : ٣٥ ، الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص : ٥٤ - ٥٦ ، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي ، ص : ٦٠ ، الملل والنحل للشهرستاني : ١٧٤/١ - ١٧٥ .

(٢) الشفاء للقاضي عياض : ٢٤٧/٢ - ٢٤٨ .

(٣) مختصر فتاوى ابن تيمية لبدر الدين البعلي ، ص : ٤٧٨ - ٤٧٩ .

سيد الخلق ﷺ لم يغفل أهل العلم حكم سابهن وعقوبته بل بينوا ذلك أوضح بيان في أقوالهم المأثورة ومؤلفاتهم المختلفة ، وفي هذا المطلب أجمع شتات بعض ما ورد في ذلك وليكن البدء بذكر حكم من سب عائشة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها فنقول : إن أهل العلم من أهل السنة والجماعة أجمعوا قاطبة على أن من طعن فيها بما برأها الله منه وبما رماها به المنافقون من الإفك فإنه كافر مكذب بما ذكره الله في كتابه من إخباره ببراءتها وطهارتها ، وقالوا إنه يجب قتله .

وقد ساق أبو محمد بن حزم الظاهري بإسناده إلى هشام بن عمار ، قال : سمعت مالك بن أنس يقول : من سب أبا بكر وعمر جلد ، ومن سب عائشة قتل ، قيل له : لم يقتل في عائشة ؟ ، قال : لأن الله تعالى يقول في عائشة رضي الله عنها ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[(1)] .

قال مالك : فمن رماها فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل .

قال أبو محمد رحمه الله : قول مالك ههنا صحيح وهي ردة تامة وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها » اهـ[(2)] .

وحكى أبو الحسن الصقلي أن القاضي أبا بكر بن الطيب قال : إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾[(3)] في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة فقال : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ ﴾[(4)] سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من

---

(١) سورة النور آية : ١٧ .

(٢) المحلى : ٥٠٤/١٣ ، وانظر أحكام القرآن لابن العربي : ١٣٥٦/٣ ، الشفاء للقاضي عياض : ٢٦٧/٢ .

(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٦ .

(٤) سورة النور آية : ١٦ .

السوء ، وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة ومعنى هذا والله أعلم ، أن الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سباً لنبيه وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك » اهـ[1] .

وقال أبو بكر بن العربي : « إن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله ، فكل من سبها بما برأها الله منه فهو مكذب لله ، ومن كذب الله فهو كافر فهذا طريق قول مالك ، وهي سبيل لائحة لأهل البصائر ولو أن رجلاً سب عائشة بغير ما برأها الله منه لكان جزاؤه الأدب »[2] .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعض الوقائع التي قتل فيها من رماها رضي الله عنها بما برأها الله منه حيث قال : « وقال أبو بكر بن زياد النيسابوري : سمعت القاسم بن محمد يقول لإسماعيل بن إسحاق أتى المأمون بالرقة برجلين شتم أحدهما فاطمة والآخر عائشة ، فأمر بقتل الذي شتم فاطمة وترك الآخر ، فقال إسماعيل : ما حكمهما إلا أن يقتلا لأن الذي شتم عائشة رد القرآن .

قال شيخ الإسلام : وعلى هذا مضت سيرة أهل الفقه والعلم من أهل البيت وغيرهم.

قال أبو السائب القاضي : « كنت يوماً بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطبرستان ، وكان بحضرته رجل فذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة ، فقال : يا غلام اضرب عنقه ، فقال له العلويون : هذا رجل من شيعتنا ، فقال : معاذ الله ، هذا رجل طعن على النبي ﷺ ، قال الله تعالى ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[3] .

فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي ﷺ خبيث ، فهو كافر فاضربوا عنقه ،

---

(١) الشفاء للقاضي عياض : ٢/٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي : ٣/١٣٥٦ .

(٣) سورة النور ، آية : ٢٦ .

فضربوا عنقه وأنا حاضر » . رواه اللالكائي .

وروي عن محمد بن زيد أخي الحسن بن زيد أنه قدم عليه رجل من العراق فذكر عائشة بسوء فقام إليه بعمود فضرب به دماغه ، فقتله ، فقيل له : هذا من شيعتنا ومن بني الآباء ، فقال : هذا سمى جدي قرنان[1] ، ومن سمى جدي قرنان استحق القتل فقتلته »[2] .

هذا هو موقف أهل البيت من نسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيرهم ممن أطلق لسانه بالنيل من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إنه موقف الغيور على الدين الذي لم يرض الله لعباده سواه فمن نال من عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فإنما ذلك معاندة للقرآن وتكذيب لله رب العالمين وطعن في رسول الله ﷺ ولا عقوبة أنجع مع من أقدم على مثل هذا العمل المناقض لدين الإسلام لأن من كذب الله في أخباره وطعن بقول السوء في سيد الخلق عليه الصلاة والسلام لا يختلف اثنان في أنه خرج من ملة الإسلام إلى الكفر .

قال القاضي أبو يعلى : من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد ، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم[3] .

وقال ابن أبي موسى[4] : « ومن رمى عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه

---

(١) قرنان : على وزن سكران ، وهو الذي لا غيرة له ، قال الأزهري : هذا قول الليث وهو من كلام الحاضرة ولا يعرفه أهل البادية . المصباح المنير : ٥٠١/٢ .

(٢) الصارم المسلول ، ص : ٥٦٦ - ٥٦٧ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) هو عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن جعفر الشريف الهاشمي ، إمام الحنابلة ببغداد في عصره ، كان ثقةً زاهداً درس بجامع المنصور وبجامع المهدي وصنف كتباً منها « رؤوس المسائل » و « أدب الفقه » ، وكان شديداً على أهل البدع ، ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، وتوفي سنة سبعين وأربعمائة . انظر ترجمته في طبقات الحنابلة : ٢٣٧/٢ - ٢٤١ ، الذيل على طبقات الحنابلة : ١٥/١ - ٢٦ ، مناقب الإمام أحمد ، ص : ٥٢١ - ٥٢٣ ، الأعلام : ٦٣/٤ .

فقد مرق من الدين ولم ينعقد له نكاح على مسلمة »[1] .

وقال ابن قدامة المقدسي : « ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء أفضلهن خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة ، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم » اهـ[2] .

وقال الإمام النووي في صدد تعداده الفوائد التي اشتمل عليها حديث الإفك : « الحادية والأربعون براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز ، فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين ، قال ابن عباس وغيره : لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا إكرام من الله تعالى لهم » اهـ[3] .

وقد حكى العلامة ابن القيم اتفاق الأمة على كفر قاذف عائشة رضي الله عنها حيث قال : « واتفقت الأمة على كفر قاذفها »[4] .

وقال الحافظ ابن كثير عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[5] قال : « أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن » اهـ[6].

وقال بدر الدين الزركشي : « من قذفها فقد كفر لتصريح القرآن الكريم ببراءتها »[7] .

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص : ٥٦٨ .
(٢) لمعة الاعتقاد ، ص : ٢٩ .
(٣) شرح النووي : ١١٧/١٧ – ١١٨ .
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد : ١٠٦/١ .
(٥) سورة النور ، آية : ٢٣ .
(٦) تفسير القرآن العظيم : ٧٦/٥ .
(٧) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ، ص : ٤٥ .

وقال السيوطي عند آيات سورة النور التي نزلت في براءة عائشة رضي الله عنها من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ الآيات قال : نزلت في براءة عائشة فيما قذفت به ، فاستدل به الفقهاء على أن قاذفها يقتل لتكذيبه لنص القرآن .

قال العلماء : قذف عائشة كفر لأن الله سبح نفسه عند ذكره[1] فقال سبحانك هذا بهتان عظيم ، كما سبح نفسه عند ذكر ما وصفه به المشركون من الزوجة والولد » اهـ[2] .

هذه الأقوال المتقدمة عن هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان واضح أن الأمة مجمعة على أن من سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقذفها بما رماها به أهل الإفك فإنه كافر حيث كذب الله فيما أخبر به من براءتها وطهارتها رضي الله عنها ، وأن عقوبته أن يقتل مرتداً عن ملة الإسلام .

وأما حكم من سب غير عائشة من أزواجه ﷺ ففيه قولان : —

أحدهما : أنه كساب غيرهن من الصحابة على حسب ما تقدم ذكره .

الثاني : وهو الأصح من القولين على ما سيتضح من أقوال أهل العلم أن من قذف واحدة منهن فهو كقذف عائشة رضي الله عنها وإلى ما قرره أهل العلم في هذه المسألة .

فقد أخرج سعيد بن منصور وابن جرير[3] والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ سورة النور ففسرها ، فلما أتى على هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ﴾ قال : هذه في عائشة وأزواج النبي ﷺ ولم يجعل لمن فعل ذلك توبة وجعل لمن رمى امرأة من المؤمنات من غير

---

(١) الضمير يعود على قصة الإفك .

(٢) الإكليل في استنباط التنزيل ، ص : ١٩٠ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٠٤/١٨ .

أزواج النبي ﷺ التوبة ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ ، ولم يجعل لمن قذف امرأة من أزواج النبي ﷺ توبة ثم تلا هذه الآية : ﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، فهم بعض القوم أن يقوم إلى ابن عباس فيقبل رأسه لحسن ما فسر »[1] .

« فقد بين ابن عباس أن هذه الآية إنما نزلت فيمن يقذف عائشة وأمهات المؤمنين لما في قذفهن من الطعن على رسول الله ﷺ وعيبه ، فإن قذف المرأة أذى لزوجها كما هو أذى لابنها ، لأنه نسبة له إلى الدياثة وإظهار لفساد فراشه ، فإن زناء امرأته يؤذيه أذىً عظيماً ولهذا جوز له الشارع أن يقذفها إذا زنت ودرء الحد عنه باللعان ولم يبح لغيره أن يقذف امرأة بحال »[2] .

وقد قال كثير من أهل العلم أن بقية أزواج النبي ﷺ لهن حكم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

فقد قال أبو محمد بن حزم بعد أن ذكر أن رمي عائشة رضي الله عنها ردة تامة وتكذيب للرب - جل وعلا - في قطعه ببراءتها ، قال : « وكذلك القول في سائر أمهات المؤمنين ولا فرق لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾[3] فكلهن مبرآت من قول إفك والحمد لله رب العالمين »[4] .

وذكر القاضي عياض عن ابن شعبان[5] أنه قال : « ومن سب غير عائشة من أزواج النبي ﷺ ففيها قولان :

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ١٦٥/٦ .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص : ٤٥ .

(٣) سورة النور آية : ٢٦ .

(٤) المحلي : ٥٠٤/١٣ .

(٥) هو محمد بن القاسم بن شعبان أبو إسحاق ابن القرطبي ، ويقال له ابن شعبان من نسل عمار بن =

أحدهما : يقتل لأنه سب النبي ﷺ بسب حليلته .

والآخر : أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري ، قال : « وبالأول أقول »[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وأما من سب غير عائشة من أزواجه ﷺ ففيه قولان : -

أحدهما : أنه كساب غيرهن من الصحابة .

والثاني : وهو الأصح أنه من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة رضي الله عنها ... وذلك لأن هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن » اهـ[2] .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[3]

« هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات ، خرج مخرج الغالب المؤمنات ، فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة ولا سيما التي كانت سبب النزول ، وهي عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما - إلى أن قال - « وفي بقية أمهات المؤمنين قولان : أصحهما أنهن كهي والله أعلم » اهـ[4] .

ومما يرجح القول بأن أزواج النبي ﷺ غير عائشة مثل عائشة في الحكم وجوه :-

---

= ياسر ، رأس الفقهاء المالكين بمصر في وقته مع التفنن في التاريخ والأدب ولد سنة سبعين ومائتين ، وتوفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة هجرية . انظر ترجمته في ترتيب المدارك : ٢٧٤/٥ - ٢٧٥ ، الديباج المذهب ، ص : ٢٤٨ .

(١) الشفاء للقاضي عياض : ٢٦٩/٢ .

(٢) الصارم المسلول ، ص : ٥٦٧ .

(٣) سورة النور ، آية : ٢٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٧٦/٥ .

* **الوجه الأول** : أن لعنة الله في الدنيا والآخرة لا تستوجب بمجرد القذف أن اللام في قوله ﴿ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ لتعريف المعهود والمعهود هنا أزواج النبي ﷺ لأن الكلام في قصة الإفك ووقوع من وقع في أم المؤمنين عائشة - أو قصر اللفظ العام على سببه للدليل الذي يوجب ذلك .

* **الوجه الثاني** : أن الله - سبحانه - رتب هذا الوعيد على قذف محصنات غافلات مؤمنات ، وقال في أول - سورة النور - : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾[1] الآية ، فترتب الجلد وردّ الشهادة والفسق على مجرد قذف المحصنات ، فلا بد أن تكون المحصنات الغافلات المؤمنات لهن مزية على مجرد المحصنات وذلك - والله أعلم - لأن أزواج النبي ﷺ مشهود لهن بالإيمان لأنهن أمهات المؤمنين وهن أزواج نبيه في الدنيا والآخرة وعوام المسلمات إنما يعلم منهن في الغالب ظاهر الإيمان ولأن الله سبحانه قال في قصة عائشة : ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2] فتخصيصه بتولي كبره دون غيره دليل على اختصاصه بالعذاب العظيم وقال : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3] فعلم أن العذاب العظيم لا يمس كل من قذف وإنما يمس متولي كبره فقط وقال هنا ﴿ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ فعلم أنه الذي رمى أمهات المؤمنين ويعيب بذلك رسول الله ﷺ وتولى كبر الإفك وهذه صفة المنافق ابن أبي .

* **الوجه الثالث** : لمّا كان رمي أمهات المؤمنين أذى للنبي ﷺ لعن صاحبه في الدنيا والآخرة ، ولهذا قال ابن عباس : « ليس فيها توبة ، لأن مؤذي النبي ﷺ لا تقبل توبته إذا تاب من القذف حتى يسلم إسلاماً جديداً وعلى هذا فرميهن

---

(١) الآية رقم : ٤ .

(٢) سورة النور آية : ١١ .

(٣) سورة النور آية : ١٤ .

نفاق مبيح للدم إذا قصد به أذى النبي ﷺ أو أذاهن بعد العلم بأنهن أزواجه في الآخرة ، فإنه ما لعنت امرأة نبي قط .

ومما يدل على أن قذفهن أذىً للنبي ﷺ ما خرجاه في الصحيحين في حديث الإفك عن عائشة ، قالت : فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله ابن أبي بن سلول ، قالت : فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر : « **يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي** » ، فقام سعد بن معاذ الأنصاري ، فقال : « أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك »[1] .

فهذه الوجوه الثلاثة فيها تقوية وترجيح لقول من ذهب إلى أن قذف غير عائشة رضي الله عنها من أزواج النبي ﷺ حكمه كقاذف عائشة رضي الله عنها لما فيه من العار والغضاضة على النبي ﷺ كما أن في ذلك أذى عظيماً للنبي عليه الصلاة والسلام .

* * *

---

(١) صحيح البخاري : ١٦٣/٣ ، صحيح مسلم : ٢١٢٩/٤ - ٢١٣٦ .

عقيدة أهل السنة والجماعة

في الصحابة الكرام رضي الله عنهم

تأليف

الدكتور ناصر بن علي عائض حسن الشيخ

الجزء الثالث

الناشر

مكتبة الرشد

الرياض

○ الطبعة الأولى ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الناشر

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - طريق الحجاز

ص.ب : ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٨٣٧١٢

تلكس ٤٠٥٧٩٨ فاكس ملي ٤٥٧٣٣٨١

□ الباب الرابع □



□ الباب الرابع □

ردود أهل السنة
على الفرق المنحرفة في اعتقادها نحو الصحابة

وفيه فصلان :

الفصل الأول : ردودهم على مطاعن الشيعة في الصحابة .
الفصل الثاني : ردود أهل السنة على مطاعن الخوارج والنواصب في الصحابة .

* * *



الفصل الأول



○ الفصل الأول ○

ردودهم على مطاعن الشيعة في الصحابة

وفيه مباحث :

المبحث الأول : تعريف التشيع والرفض لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : بداية نشأة التشيع .

المبحث الثالث : التعريف بأهم فرق الشيعة .

المبحث الرابع : رد أهل السنة على مطاعن الشيعة الإمامية في الصحابة على سبيل العموم .

المبحث الخامس: الرد على مطاعنهم في أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

المبحث السادس: الرد على مطاعنهم في حق الفاروق رضي الله عنه .

المبحث السابع : الرد على مطاعنهم في حق ذي النورين عثمان رضي الله عنه .

المبحث الثامن : من مطاعنهم في حق أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، والرد على ذلك .

المبحث التاسع : آثار عن السلف في ذم الرافضة .

* * *

★ المبحث الأول ★

تعريف التشيع والرفض لغة واصطلاحاً

* الشيعة في اللغة :

قال الجوهري رحمه الله : شيعة الرجل : أتباعه وأنصاره ، يقال : شايعه كما يقال : والاه من الولي .... وتشيع الرجل أي : ادعى دعوى الشيعة وتشايع القوم من الشيعة وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع وقوله تعالى : ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾[1] أي: بأمثالهم من الشيع الماضية» اهـ[2].

وقال العلامة ابن الجوزي : « الشيع : جمع شيعة وهي الطائفة المجتمعة على أمر ، ويقال : هؤلاء شيعة فلان : أي : أتباعه » اهـ[3] .

وجاء في لسان العرب : الشيعة : أتباع الرجل وأنصاره وجمعها شيع وأشياع ، جمع الجمع ويقال : شايعه كما يقال : والاه – إلى أن قال – : « وأصل الشيعة الفرقة من الناس ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلّب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته جميعاً[4]

---

(١) سورة سبأ ، آية : ٥٤ .

(٢) الصحاح : ١٢٤٠/٣ ، مختار الصحاح للرازي ، ص ٣٥٣ ، وانظر المفردات في غريب القرآن للراغب ، ص : ٢٧١ .

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، ص : ٣٧٦ .

(٤) كل مسلم يجب عليه تولي أهل بيت رسول الله ﷺ وموالاتهم ومحبتهم ، وقد كان القسط الأكبر والحظ الأوفر من هذا لأهل السنة والجماعة أما دعوى الشيعة في أنهم هم الذين اختصوا بموالاتهم دعوى بلا برهان ولكن يقال : إنهم اختصوا بالغلو المذموم نحوهم وبمعاداة من يحبهم أهل البيت وأهل البيت يحبون جميع أصحاب رسول الله ﷺ ولا يكنون أي عداوة لأحد منهم رضي الله عنهم جميعاً .

حتى صار لهم اسماً خاصاً ، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم وفي مذهب الشيعة كذا أي : عندهم وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة »[1] .

وجاء في القاموس : « شيعة الرجل بالكسر أتباعه والفرقة على حده ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته حتى صار اسماً خاصاً لهم والجمع أشياع وشيع كعنب »[2] .

وجاء في المصباح المنير[3] : « والشيعة الأتباع والأنصار ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، ثم صارت « الشيعة » نبزاً لجماعة مخصوصة والجمع « شيع » مثل سدرة وسدر ، والأشياع جمع الجمع « وشيعت رمضان بست من شوال أتبعته بها » اهـ .

فالشيعة : من حيث مدلولها اللغوي تعني : القوم والصحب والأتباع والأعوان وقد ورد هذا المعنى في بعض آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾[4]، وقوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾[5] ، فلفظ الشيعة في الآية الأولى تعني القوم ، وفي الثانية : تشير إلى الأتباع الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهما .

* تعريف الشيعة اصطلاحاً :

كلمة « شيعة » اتخذت معنى اصطلاحياً مستقلاً حيث أطلقت على جماعة اعتقدوا أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي ترجع إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها

(١) لسان العرب : ١٨٨/٨ – ١٨٩ .
(٢) القاموس : ٤٩/٣ .
(٣) ٣٢٩/١ .
(٤) سورة القصص ، آية : ١٥ .
(٥) سورة الصافات ، آية : ٨٣ .

بتعيينهم ، بل إنها ركن الدين وقاعدة الإسلام ، ولا يجوز لنبي إغفالها ولا تفويضها إلى الأمة ، بل يجب عليه أن يعين الإمام للأمة »[1] .

فقد قال أبو الحسن الأشعري في صدد ذكره للشيعة : « وإنما قيل لهم الشيعة : لأنهم شايعوا علياً رضوان الله عليه ، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ »[2] .

وقال أبو محمد بن حزم الظاهري مبيناً حد الشيعي : « ومن وافق الشيعة في أن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد الرسول ﷺ وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي »[3] .

وقال الشهرستاني معرفاً للشيعة : « الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص ، وقالوا : بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً ، وإما خفياً ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقيَّة من عنده » اهـ[4] .

وقال عبد الرحمٰن بن خلدون : « اعلم أن الشيعة لغة هم الصحب والأتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع عليّ وبنيه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعاً متفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ، ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر وإن علياً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة ، بل أكثرها موضوع أو مطعون في

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص : ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) مقالات الإسلاميين : ٦٥/١ .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ١١٣/٢ .

(٤) الملل والنحل : ١٤٦/١ .

طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة »[1] .

وقال الجرجاني : « الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه ، قالوا : إنه الإمام بعد رسول الله – ﷺ – واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده » اهـ[2] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله معرفاً التشيُّع بقوله : « والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويطلق عليه رافضي ، وإلا فشيعي ، فإن انضاف إلى ذلك السب والتصريح بالبغض فغال في الرفض وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو »[3] .

فهذه ستة تعاريف من أهل العلم لبيان المقصود بالشيعة وهي تتقارب في مدلولها ، فقد أوضحوا فيها أن الشيعة طائفة من الناس يعتقدون أفضلية علي رضي الله عنه على سائر الصحابة وأحقيته هو وبنوه بالإمامة وأنها لا تخرج عنهم « إلا في حال التقية إذا خافوا بطش ظالم »[4] كما يزعمون .

* تعريف الرافضة :

الرفض لغة : الترك وقد رفضه يرفضه ويرفضه رفضاً ورفضاً والشيء رفيض ومرفوض والروافض : جند تركوا قائدهم وانصرفوا والرافضة فرقة من الشيعة .

قال الأصمعي : « سموا بذلك لتركهم زيد بن علي رضي الله عنه »[5] .

وجاء في المصباح المنير : رفضته « رفضاً » من باب ضرب وفي لغة من

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص : ١٩٦ – ١٩٧ .

(٢) كتاب التعريفات للجرجاني ، ص : ١٢٩ .

(٣) هدي الساري مقدمة فتح الباري ، ص : ٤٥٩ .

(٤) انظر الملل والنحل للشهرستاني : ١٤٦/١ .

(٥) الصحاح للجوهري : ١٠٧٨/٣ ، لسان العرب : ١٥٧/٧ .

باب « قتل » تركته والرافضة فرقة من شيعة الكوفة سموا بذلك لأنهم « رفضوا » أي : تركوا زيد بن علي عليه السلام حين نهاهم عن الطعن في الصحابة »[1] .

فالرفض في اللغة معناه الترك والتخلي عن الشيء .

* وأما في الاصطلاح :

فالرفض يطلق على « قوم من الشيعة سموا بذلك لأنهم تركوا زيد بن علي » .

قال الأصمعي : « كانوا بايعوه ثم قالوا له : إبرأ من الشيخين نقاتل معك ، فأبى ، وقال : كانا وزيري جدي فلا أبرأ منهما ، فرفضوه ، وأرفضوا عنه فسموا رافضة ، وقالوا : الروافض ولم يقولوا الرفاض لأنهم عنوا الجماعة »[2] .

قال عبد الله بن أحمد رحمه الله : قلت لأبي : « من الرافضي ؟ ، قال : الذي يشتم ويسب أبا بكر وعمر »[3] .

فالرافضة اصطلاحاً قوم من الشيعة ابتلوا بالنيل من أصحاب رسول الله ﷺ عموماً والبراءة من الشيخين خصوصاً .

* سبب تسميتهم بهذا الاسم :

قال الرازي : إنما سموا بالروافض لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره على أبي بكر فمنعهم من ذلك ، فرفضوه ، ولم يبق معه إلا مائتا فارس ، فقال لهم - أي زيد بن علي - رفضتموني ، قالوا : نعم ، فبقي عليهم هذا الاسم »[4] .

---

(١) المصباح : ٢٣٢/١ .

(٢) لسان العرب : ١٥٧/٧ .

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ، ص : ١٦٥ ، السنة للخلال ص : ٤٩٢ .

(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص : ٥٢ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « الخلفاء الراشدون الأربعة » ابتلوا بمعادات بعض المنتسبين إلى الإسلام من أهل القبلة ولعنهم وبغضهم وتكفيرهم ، فأبو بكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما دون غيرهم من الطوائف ، ولهذا قيل للإمام أحمد : من الرافضي ؟ ، قال : الذي يسب أبا بكر وعمر ، وبهذا سميت الرافضة فإنهم رفضوا زيد بن علي لما تولى الخليفتين أبا بكر وعمر لبغضهم لهما ، فالمبغض لهما هو الرافضي ، وقيل : إنما سموا رافضة لرفضهم أبا بكر وعمر » اهـ[١] .

وقال أيضاً رحمه الله : « ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية ، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم ، فقال لهم : رفضتموني ، فسموا رافضة لرفضهم إياه ، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدياً لانتسابهم إليه »[٢] .

وقال الحافظ ابن كثير في صدد بيانه ما حدث سنة ثنتين وعشرين ومائة : « فيها كان مقتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكان سبب ذلك : أنه لما أخذ البيعة ممن بايعه من أهل الكوفة أمرهم في أول هذه السنة بالخروج والتأهب له ، فشرعوا في أخذ الأهبة لذلك ، فانطلق رجل يقال له سليمان بن سراقة إلى يوسف بن عمر نائب العراق فأخبره – وهو بالحيرة يومئذ – خبر زيد ابن علي هذا ومن معه من أهل الكوفة فبعث يوسف بن عمر يتطلبه ويلح في طلبه ، فلما علمت الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن علي فقالوا له : ما قولك – يرحمك الله – في أبي بكر وعمر ؟ ، فقال : غفر الله لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتي تبرأ منهما ، وأنا لا أقول فيهما إلا خيراً ، قالوا : فلم تطلب إذاً بدم أهل البيت ؟ ، فقال : إنا كنا أحق الناس بهذا الأمر ولكن القوم استأثروا علينا به

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٤/٤٣٥ .

(٢) منهاج السنة : ١/٨ .

ودفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً قد ولوا فعدلوا وعملوا بالكتاب والسنة ، قالوا : فلم تقاتل هؤلاء إذاً ؟ ، قال : إن هؤلاء ليسوا كأولئك ، إن هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم ، وإني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإحياء السنن وإماتة البدع ، فإن تسمعوا يكن خيراً لكم ولي وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل ، فرفضوه وانصرفوا عنه ونقضوا بيعته وتركوه ، فلهذا سموا الرافضة من يومئذ »[1] .

وقال صاحب روضات الجنات : « فالروافض هم أولئك الذين رفضوا من أهل الكوفة صحبة زيد بن علي رضي الله عنه حين منعهم من الطعن في الخلفاء الراشدين الذين سبقوا علياً رضي الله عنهم جميعاً وتبرأوا منه حيث لم يتبرأ منهم »[2] .

ومما تقدم تبين أن سبب تسميتهم بالرافضة أنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي حين نهاهم عن الطعن في الصحابة وذلك أنهم لما عرفوا أنه يتولى الشيخين ولا يبرأ منهما رفضوه فاستعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب وأجاز الطعن في الصحابة وقد أطلق عليهم هذا الاسم سنة اثنتين وعشرين ومائة هجرية »[3] .

* * *

(١) البداية والنهاية : ٩/٣٧٠ - ٣٧١ .

(٢) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات لميرزا محمد الباقر : ١/٣٢٤ .

(٣) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري : ٧/١٨٠ - ١٨١ ، الكامل لابن الأثير : ٥/٢٤٢ - ٢٤٣ ، البداية والنهاية : ٩/٣٧٠ - ٣٧١ .

★ المبحث الثاني ★

بداية نشأة التشيع

لقد قرر المحققون من أهل العلم بالتاريخ والمقالات أن أول من زرع فكرة التشيع هو عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام بغية الكيد له ولأهله بنشر العقائد الفاسدة وزعزعة العقيدة الإسلامية الصافية من قلوب الناس وقد ظهر ابن السوداء - عبد الله بن سبأ - أيام الخليفة الثالث ذي النورين عثمان رضي الله عنه وأرضاه حيث تظاهر بالإسلام وأخذ في التنقل في البلدان ، فقد اتجه من المدينة إلى البصرة ، ثم إلى الكوفة ثم إلى مصر وأخذ ينفث سمومه وينشر أفكاره الخبيثة ، وقد نشط ببث فكرتين أساسيتين لمخططه اليهودي :

الأولى : دعوته إلى اعتقاد رجعة النبي ﷺ وكان يقول : « عجباً ممن يزعم أن عيسى سيرجع ويكذب بأن محمداً سيرجع وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ »[1] .

الثانية : دعوته إلى اعتقاد « أن لكل نبي وصياً وعلي وصي لمحمد ، ومحمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء ، ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب على حق وصيه وتناول أمر الأمة » .

وقد استجاب له والتف حوله لفيف من الفاسدين والحاقدين وألفوا جماعة من ضعاف النفوس ويتسترون باسم الدين ويدعون إلى المطالبة بإسناد الأمر إلى علي رضي الله عنه نظراً إلى اعتقادهم الفاسد أنه خاتم أوصياء محمد وأخذ ابن سبأ يأمر أتباعه الذين استجابوا له بتحريك هذا الأمر والبدء بالطعن على الأمراء

---

(١) سورة القصص آية : ٨٥ .

والتظاهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاستمالة الناس إلى دعوتهم وكان لابن سبأ تأثير في سامعيه ، فكان الذين يجتمعون إليه يتأثرون به ويقبلون قوله ويستعظمونه ، وما زال هذا اليهودي الماكر المتظاهر بالإسلام ينشط هو وجماعته ضد الخليفة الثالث رضي الله عنه ، وأمرائه ، حتى أوسعوا الأرض إذاعة وكانوا يكتبون الكتب التي تنسب إليهم العيوب الكثيرة وتدس عليهم الدسائس ، ويرسلونها إلى وجوه الناس في الأمصار إعداداً للفتنة الكبرى المدبرة في رأس عبد الله بن سبأ الخبيث حتى بلغ أهل المدينة طائفة من رسائلهم ، فجاؤوا إلى عثمان رضي الله عنه يسألونه : هل أتاه من الأمصار مثل ما أتاهم ؟ ، فقال لهم : والله ما جاءني إلا السلامة فأخبروه الخبر ، فقال لهم : أنتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا عليّ ، فأشاروا عليه أن يرسل أشخاصاً ممن يثق فيهم إلى الأمصار ليخبروا أهلها بأنهم لم ينكروا شيئاً من عثمان لا أعلامهم ولا عوامهم ، ففعل ذلك عثمان ثم كتب إلى أهل الأمصار كتاباً عاماً يذكر فيه ما بلغه من الإذاعات والطعن على الأمراء ويقول : إنه تولى أمر المؤمنين ليقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه ولّي عماله على ذلك ، وأنه مستعد لسماع كل شكوى منهم ومن عماله وإنصاف صاحبها ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، ويدعو من له شكوى إلى موافاته في موسم الحج ثم اتضح أن الشكاوى التي كانت على عمال عثمان كانت محض اختلاق ودسائس شيطانية من مخططات ابن سبأ وأتباعه ثم ابتدعوا فكرة إرسال الكتب المزورة إلى من يريدون تحريضه على عثمان وولاته بأسماء طائفة من كبار الصحابة ، ثم الكتب المزورة باسم الخليفة نفسه ، ثم انتهت دسائس ابن سبأ الخبيث إلى إشعال فتنة كبرى انطلقت جذواتها الثلاث من البصرة والكوفة ومصر وهي الأمصار الثلاثة التي كان من نتائجها المشئومة قتل الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه بغير حق ظلماً وعدواناً »[1] .

---

(١) انظر تاريخ ابن جرير الطبري : ٣٤٠/٤ وما بعدها ، تاريخ ابن عساكر : ١/٣ - ٨ ، الكامل في التاريخ : ١٥٤/٣ - ١٨١ ، البداية والنهاية : ١٩٠/٧ - ٢١٠ ، ابن سبأ حقيقة لا خيال للدكتور =

وإلى ذكر أقوال علماء التاريخ والمقالات فيما قرروه في كيفية بداية نشأة التشيع وأن زارعه الأول صاحب الحقد العظيم على الإسلام وأهله عبد الله بن سبأ اليهودي .

فقد روى ابن جرير بإسناده إلى يزيد الفقعسي قال : « كان عبد الله بن سبأ يهودياً فأسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ، ثم البصرة ، ثم الكوفة ، ثم الشأم ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشأم ، فأخرجوه حتى أتى مصر فاغتمر فيهم فقال لهم فيما يقول : « لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾[1] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى قال : فقبل ذلك عنه ، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ثم قال لهم : إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد ، ثم قال : محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء ، ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة ! ثم قال لهم بعد ذلك : إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله ﷺ ، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر ، فبث دعاته وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون

= سعدي الهاشمي ، ص : ٢٩ ، وما بعدها ، عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام ، ص : ٣٨ - ٥٢ .

(١) القصص آية : ٨٥ .

ويسرون غير ما يبدون ، فيقول أهل كل مصر : إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء إلا أهل المدينة ، فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار ، فقالوا : إنا لفي عافية مما فيه الناس – واجتمع أصحاب رسول الله ﷺ إلى عثمان – فقالوا يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ ، قال : لا والله ما جاءني إلا السلامة ، قالوا : فإنا قد أتانا ، وأخبروه بالذي أسقطوه إليهم ، قال : فأنتم شركائي وشهود المؤمنين ، فأشيروا عليّ ، قالوا : نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق فيهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة ، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر ، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشأم وفرق رجالاً سواهم فرجعوا جميعاً قبل عمار ، فقالوا : أيها الناس ما أنكرنا شيئاً ، ولا أنكره أعلام المسلمين إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم » اهـ[1] .

وقال عبد القاهر البغدادي : « وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً ... فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً وأن علياً رضي الله عنه وصي محمد ﷺ وأنه خير الأوصياء كما أن محمداً خير الأنبياء ... إلى أن قال : « وقال المحققون من أهل السنة : إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود ، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه السلام »[2] .

وقال الشهرستاني في شأن ابن سبأ : « زعموا أنه كان يهودياً فأسلم وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام مثل ما قال في علي رضي الله عنه ، وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي الله عنه

---

(١) تاريخ الطبري : ٣٤٠/٤ – ٣٤١ ، تاريخ ابن عساكر : ٣٤/١ – ٣ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ١٥٤/٣ – ١٥٥ .

(٢) الفرق بين الفرق : ص ٢٣٥ .

ومنه انشعبت أصناف الغلاة » اهـ[1] .

وقال الحافظ ابن عساكر : « عبد الله بن سبأ الذي ينسب إليه السبئية وهم الغلاة من الرافضة ، كان يهودياً وأظهر الإسلام ، وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر وقد دخل دمشق لذلك في زمن عثمان بن عفان » اهـ[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبيناً أنه أول من أحدث الرفض والغلو المذموم حيث قال : « وأصل الرفض » من المنافقين الزنادقة فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه وادعى العصمة له ولهذا لما كان مبدأه من النفاق قال بعض السلف : حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما نفاق وحب بني هاشم إيمان وبغضهم نفاق » اهـ[3] .

كما ذكر رحمه الله أن بين ابن سبأ وبولص النصراني الذي أفسد دين النصرانية شبهاً واضحاً ، حيث قال : « وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ ، فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية وطلب أن يفسد الإسلام كما فعل « بولص » النصراني الذي كان يهودياً في إفساد دين النصارى »[4] .

وقال رحمه الله في موضع آخر في سياق ذكره للرافضة : « وما يذكرونه من خلاف السنة في دعوى الإمام المعصوم وغير ذلك فإنما هو في الأصل من ابتداع منافق زنديق كما قد ذكر أهل العلم ذكر غير واحد منهم أن أول من ابتدع الرفض والقول بالنص على علي وعصمته كان منافقاً زنديقاً أراد فساد دين الإسلام

---

(١) الملل والنحل : ١٧٤/١ .
(٢) تاريخ دمشق : ١/٣٤ .
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٤٣٥/٤ .
(٤) المصدر السابق : ٤٨٣/٢٨ .

وأراد أن يصنع بالمسلمين ما صنع « بولص » بالنصارى ، لكن لم يتأت له ما تأتى لبولص لضعف النصارى وعقلهم ، فإن المسيح ﷺ رفع ولم يتبعه خلق كثير يعلمون دينه ويقومون به علماً وعملاً ، فلما ابتدع بولص ما ابتدعه من الغلو في المسيح اتبعه على ذلك طوائف وأحبوا الغلو في المسيح ودخلت معهم ملوك فقام أهل الحق خالفوهم وأنكروا عليهم فقتلت الملوك بعضهم وداهن الملوك بعضهم ، وبعضهم اعتزلوا في الصوامع والديارات وهذه الأمة ولله الحمد لا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق فلا يتمكن ملحد ولا مبتدع من إفساده بغلو أو انتصار على الحق ، ولكن يضل من يتبعه على ضلاله » اهـ[1] ، فقد بين رحمه الله أن منشأ الرفض كان من وضع الزنديق ابن سبأ اليهودي وأن هذا الشخص تظاهر بالإسلام نفاقاً وأنه كان له هدف أشد من تأسيس الرفض وهو إفساد دين الإسلام كما فعل « بولص » اليهودي بدين النصرانية ، ولكن الله رد كيده في نحره وكشف خبثه لأنصار دينه .

وقال المقريزي مبيناً كيفية بدء التشيع : « وكان ابتداع التشيع في الإسلام أن رجلاً من اليهود في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أسلم فقيل له عبد الله بن سبأ وعرف بابن السوداء وصار يتنقل من الحجاز إلى أمصار المسلمين يريد إضلالهم ، فلم يطق ذلك فرجع إلى كيد الإسلام وأهله – ثم ذكر نبذاً من كيده للإسلام – ومنها أنه قال : « لكل نبي وصي وعلي بن أبي طالب وصي محمد ﷺ » اهـ[2] .

فالنصوص المتقدم ذكرها كلها فيها بيان واضح أن ابن سبأ كان يبيت للإسلام الشر وأنه كان له خبيئة سوء وإنما كان يتستر بالتشيع لأهل البيت ليصل إلى مقصوده الخبيث ولكن الله لا يهدي كيد الخائنين ، فقد كشف الله عواره

---

(١) منهاج السنة : ٣/٢٦١ .

(٢) خطط المقريزي : ٢/٣٣٤ .

وفضح غرضه السيء للناس ولوضوح خبثه وشدة حقده على الإسلام والمسلمين لم يذكره أحد من أهل العلم والإيمان بخير ، وإنما وصفوه بأنه أول من سن لأهل الخذلان النيل من أبي بكر وعمر ووصفوه بالخبث والكذب وأنه ضال مضل .

فقد ذكر الحافظ ابن حجر من طريق أبي إسحاق الفزاري أن سويد بن غفلة دخل على علي في إمارته ، فقال : إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك منهم عبد الله بن سبأ وكان عبد الله أول من أظهر ذلك فقال علي : مالي ولهذا الخبيث الأسود ، ثم قال : معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل ، ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ فسيره إلى المدائن ، وقال : لا يساكنني في بلدة أبداً ، ثم نهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس – ثم أثنى على الشيخين ثناءً طويلاً وقال في آخره : « ألا ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري »[1] .

بل قد روى ابن عساكر أن علياً رضي الله عنه لما بلغه انتقاص ابن سبأ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما هم بقتله ، فقد روى بإسناده إلى سماك بن حرب قال : بلغ علياً أن ابن السوداء ينتقص أبا بكر وعمر ، فدعا به ودعا بالسيف – أو قال فهم بقتله ، فكلم فيه ، فقال : لا يساكنني ببلد أنا فيه ، قال : فسيره إلى المدائن »[2] .

وروى بإسناده إلى أبي الجلاس[3] قال : سمعت علياً يقول لعبد الله السبئي : « ويلك والله ما أفضي إليّ بشيء كتمه أحداً من الناس وقد سمعته يقول : إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً وإنك لأحدهم »[4] .

---

(١) لسان الميزان : ٣/٢٩٠ ، وانظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ، ص ١٠٠ – ١٠١ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : ٧/٣٤ .

(٣) أبو الجلاس : هكذا معروف بكنيته – سمع علياً وعنه الحارث بن عبد الرحمٰن الهمداني . انظر المقتنى في سرد الكنى : ١/١٥٠ ، التهذيب : ١٢/٦٣ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : ٦/٣٤ .

فعلي رضي الله عنه مقدم أهل البيت الذي زعم عبد الله بن سبأ أنه وصي محمد ﷺ قد حكم على ابن سبأ بأنه خبيث وهم بقتله ولما تراجع عن قتله نفاه إلى المدائن ، وبين بطلان دسائسه على الإسلام بأنه أحد الدجالين الذين أخبر الرسول - ﷺ - بأنهم سيكونون بين يدي الساعة .

وأخرج ابن عساكر أيضاً : بإسناده إلى عامر بن شراحيل الشعبي أنه قال : « أول من كذب عبد الله بن سبأ »[1] .

وقال الحافظ الذهبي في شأن ابن سبأ : « عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل أحسب أن علياً حرقه بالنار ، وزعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند عليّ فنفاه عليّ بعد ما هم به » اهـ[2] .

وقال الحافظ ابن حجر بعد أن أورد روايات في ذمه : « وأخبار عبد الله ابن سبأ شهيرة في التواريخ وليست له رواية ولله الحمد وله أتباع يقال لهم السبائية معتقدون إلهية علي بن أبي طالب وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته » اهـ[3] .

والحاصل مما تقدم تقريره عن أهل العلم أن ابن سبأ هو أول من زرع فكرة التشيع والقول بالرجعة والوصية وتلقفها منه من قلت بضاعته من العلم والهدى الذي جاء به محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، فالآراء التي يعتنقها الشيعة الرافضة ويتدينون بها لم تكن معروفة لدى الرعيل الأول من هذه الأمة وإنما هي من اختلاق عبد الله بن سبأ اليهودي الذي رام بها إضلال الناس وإفساد دين الإسلام وفتن بضلالاته الشيعة الرافضة وفتنت قلوبهم بالحقد على خيار الأمة ، وتعبدوا بلعنهم وحكموا بردتهم ، وهذا خذلان أيما خذلان لما فيه من تكذيب الله عز وجل من شهادته لهم في كتابه الكريم بالإيمان وكمال اليقين

---

(١) المصدر السابق : ٤/٣٤ .

(٢) ميزان الاعتدال : ٤٢٦/٢ .

(٣) لسان الميزان : ٢٩٠/٣ .

وإخباره برضاه عنهم وأنهم جميعاً من أصحاب الجنة رضي الله عنهم وأرضاهم .

وما فتن به الرافضة من تنقصهم للشيخين وقولهم بتقديم علي رضي الله عنه على الشيخين وطعنهم في عثمان لم يكن معروفاً عند شيعة علي رضي الله عنه وإنما ابتلي به المتأخرون من الشيعة الرافضة الذين سلكوا مسلك ابن سبأ في عقائده الفاسدة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « ولم تكن الشيعة التي كانت مع علي يظهر منها تنقص لأبي بكر وعمر ولا فيها من يقدم علياً على أبي بكر وعمر ولا كان سب عثمان شائعاً فيها ، وإنما كان يتكلم به بعضهم فيرد عليه آخر »[1] .

وختاماً لهذا المبحث تبين من كلام علماء التاريخ وأصحاب المقالات أن ابن سبأ شخص خبيث ظهر في آخر زمن خلافة ذي النورين بعقائد وأفكار زائغة ليلفت المسلمين عن دينهم ، ولحق به من غوغاء الناس ما تكونت لهم طائفة السبائية[2] .

* * *

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٤٣٦/٤ .

(٢) لزيادة معرفة حقيقة ابن سبأ ومعرفة أباطيله يراجع كتاب « ابن سبأ حقيقة لا خيال » للدكتور سعدي الهاشمي ، وكذا كتاب « عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام » لسليمان بن حمد العودة .

★ المبحث الثالث ★

التعريف بأهم فرق الشيعة

لقد ذكر العلماء الذين صنفوا مؤلفات خاصة بالفرق أن الشيعة الرافضية فرق كثيرة ومتشعبة ، والذي أذكره منهم في هذا المبحث هم أهم فرقهم التي تعتبر أمهات فرقهم ، وهي الشيعة الغالية ، والشيعة الكيسانية ، والزيدية والشيعة الاثنى عشرية ، وما ذكر من الفرق غيرها فإنها تكون متشعبة منها وإلى بيان تلك الفرق : -

* (١) الشيعة الغالية :

ينتمي إلى الشيعة فرق متعددة أصيب بعضها بالتطرف والغلو المذموم حيث رفعت الخليفة الرابع علياً رضي الله عنه وذريته إلى مرتبة الألوهية أو النبوة وجعلت منزلة « علي » أعلى من منزلة النبي - ﷺ - ومرتبته ، والبعض الآخر منهم لم يصل إلى هذا المستوى المتدني من الغلو والانحراف الذي لا يقبله من له أدنى عقل وبصيرة ، ولقد حاول الشيعة إنكار نسبة فرق الشيعة الغالية إليهم[١] ، ولكن ما استطاعوا إذ كل من كتب في الفرق تجدهم جميعاً يثبتون العلاقة القوية بين الفرق الغالية وبين عموم الشيعة ، وعلى سبيل الفرض أنه لم يكن للغلاة صلة بالتشيع ، فإنهم ولا شك قد اتخذوا التشيع ستاراً ، ومن حب أهل بيت النبوة وسيلة لبث أفكارهم المنحرفة وعقائدهم الباطلة ، ومن هنا أصبح التشيع ملجأ

---

(١) انظر الشيعة في الميزان « محمد جواد مغنية » ، ص : ٢٩١ - ٢٩٤ ، قال سعد القمي وهو من الإمامية بعد ذكره لفرق الغلاة : « فهذه فرق أهل الغلو ممن انتحل التشيع وإلى الخرمدينية ، والمزدكية ، والزنديقية ، والدهرية مرجعهم جميعاً لعنهم الله وكلهم متفقون على نفي الربوبية عن الله الجليل الخالق تبارك وتعالى عما يصفون علواً كبيراً وإثباتها في بدن مخلوق .. المقالات والفرق ، ص : ٦٤ .

ومأوى لكل من رام هدم الإسلام لعداوة أو حقد عليه في نفسه ، من أجل هذا رأيت أنه لا بد من الإشارة إلى الغلاة المنتسبين إلى التشيع .

وقد ذكر أهل العلم الذين ألفوا في الفرق ومقالاتهم العديد من فرق الشيعة الغالية ، التي بالغت بالغلو في حق الأئمة « كالسبئية والغرابية والبيانية والمغيرية ، والهشامية ، والخطابية ، والعلبائية ، والنصيرية » والإسماعيلية من فرق الشيعة الغالية ، وإنما أذكر هذه الفرق فقط مع الإشارة إلى بيان غلوهم في الأئمة كنماذج فقط وإلا فهم كثر .

وقد عرف الشهرستاني الغلاة من الشيعة فقال : « هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق وهم على طرفي الغلو والتقصير ، وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق ، فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام الإلهية في حق بعض الأئمة »[1] .

هذا هو تعريف الغلاة من الشيعة ومن أين استمدوا أسس معتقدهم في الأئمة الذين يزعمون نسبتهم إليهم ، وأن ذلك سرى إلى أذهانهم من فرق الضلال من الأمم الماضية فضلوا بذلك عن سواء السبيل ، ويتضح ضلالهم أكثر بالإشارة إلى ذكر غلوهم في الأئمة .

*** فالسبئية :**

أتباع عبد الله بن سبأ : يزعمون أن علياً لم يمت وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وذكروا عنه أنه قال لعليّ

---

(١) الملل والنحل ، للشهرستاني : ١٧٣/١ .

عليه السلام : أنت أنت[1] « يعني أنت الإلـٰه فنفاه إلى المدائن »[2] .

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله بعد ذكره للفرقة الخامسة عشرة من فرق الشيعة الغالية : « يزعمون أن الله – عز وجل – وكل الأمور وفوضها إلى محمد ﷺ وأنه أقدره على خلق الدنيا فخلقها ودبرها ، وأن الله – سبحانه – لم يخلق من ذلك شيئاً ويقول ذلك كثير منهم في عليّ ويزعمون أن الأئمة ينسخون الشرائع ويهبط عليهم الملائكة وتظهر عليهم الأعلام والمعجزات ويوحى إليهم ، ومنهم من يسلم على السحاب ويقول إذا مرت سحابة به : إن عليّاً رضوان الله عليه فيها وفيهم يقول بعض الشعراء :

برئت من الخوارج لست منهم   من الغزال[3] منهم وابن باب[4]
ومن قوم إذا ذكروا عليـــــاً   يردون السلام على السحاب[5]

* الغرابية :

وأما الغرابية : فهم « قوم زعموا أن الله – عز وجل – أرسل جبريل عليه السلام إلى علي فغلط في طريقه فذهب إلى محمد ، لأنه كان يشبهه ، وقالوا : كان أشبه به من الغراب بالغراب والذباب بالذباب[6] « من أجل هذا سموا غرابية[7] ، ومن الغرابية فرق تسمى الذمية « زعموا أن علياً هو الله وشتموا محمداً – ﷺ – وزعموا أن علياً بعثه لينبيء عنه فادعى الأمر لنفسه[8] .

---

(١) مقالات الإسلاميين : ٨٦/١ ، وانظر تاريخ دمشق لابن عساكر : ٣٤/١ – ٨ .
(٢) الملل والنحل : ١٧٤/١ .
(٣) الغزال : لقب لقبوا به واصل بن عطاء أحد شيوخ المعتزلة . توفي سنة إحدى وثمانين ومائة . انظر ترجمته في وفيات الأعيان : ٧/٦ – ١١ .
(٤) ابن باب : المقصود به عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان ، انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان : ٤٦٠/٣ – ٤٦٢ .
(٥) مقالات الإسلاميين : ٨٨/١ .
(٦) انظر في شأن هذه الفرقة « الفرق بين الفرق » ، ص : ٢٥٠ ، التبصير في الدين : ص ١٢٨ – ١٢٩ .
(٧) التبصير في الدين ، ص : ١٢٨ .
(٨) الفرق بين الفرق ، ص : ٢٥١ ، التبصير في الدين للإسفراييني : ١٢٩ .

* البيانية :

أتباع بيان بن سمعان التميمي الذي كان يقول بإمامة محمد بن الحنفية وكان الكثير من أتباعه يقولون إنه كان نبياً وإنه نسخ بعض شريعة محمد ﷺ ، وقالوا : هو المراد بقوله : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾[1] وقوم من أتباعه قالوا : إنه كان إلهاً ، وقالوا : إن روح الإلٰه قد حل فيه ، وأنه يحل في الأنبياء والأئمة وينتقل من واحد إلى واحد آخر ، وقالوا : إن روح الإلٰه قد انتقل عن أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية إلى بيان وكان يدعي لنفسه الإلهية على معنى الحلول ، وكان يدعى أنه يعرف اسم الله الأعظم وأنه يدعو به الزهرة فتجيبه ، ولما وصل خبره إلى خالد بن عبد الله القسري صلبه وكفى الله شره »[2] .

* المغيرية :

أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ، ادعى أن الإمامة بعد محمد بن علي ابن الحسين في : محمد النفس الزكية بن عبد الله الحسن بن الحسن الخارج بالمدينة وزعم أنه حي لم يمت ، وكان المغيرة مولى لخالد بن عبد الله القسري وادعى الإمامة لنفسه بعد الإمام محمد ، وبعد ذلك ادعى النبوة لنفسه واستحل المحارم وغلا في حق علي رضي الله عنه غلواً لا يعتقده عاقل ... وقد قال المغيرة بإمامة أبي جعفر محمد بن علي ، ثم غلا فيه ، وقال بإلهيته فتبرأ منه الباقر ولعنه »[3] .

* الهشامية :

أصحاب الهشامين : هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه وهشام بن سالم الجواليقي ، الذي نسج على منواله في التشبيه ... وقد غلا هشام بن الحكم

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٣٨ .

(٢) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، ص : ١٢٤ ، وانظر مقالات الإسلاميين : ٦٦/١ - ٦٧ ، الفرق بين الفرق ، ص : ٢٣٦ - ٢٣٨ ، الملل والنحل : ١٥٢/١ - ١٥٣ ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص : ٥٧ .

(٣) الملل والنحل : ١٧٦/١ - ١٧٧ ، وانظر مقالات الإسلاميين : ٦٩/١ - ٧٤ ، الفرق بين الفرق ، ص : ٢٣٨ - ٢٤٢ .

في حق علي رضي الله عنه حتى قال : إنه إلٰه واجب الطاعة »[1] .

*** الخطابية :**

أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه وأمر أصحابه بالبراءة منه ، وشدد القول في ذلك وبالغ في التبري منه واللعن عليه فلما اعتزل عنه ادعى الإمامة لنفسه ، زعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة ، وقال بإلهية جعفر بن محمد وإلهية آبائه وهم أبناء الله وأحباؤه والإلهية نور في النبوة ، والنبوة نور في الإمامة ، ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار ، وزعم أن جعفرا هو الإلٰه وليس هو المحسوس الذي يرونه ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها ، ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة وافترقت الخطابية بعده فرقاً »[2] .

*** العلبائية :**

أصحاب العلباء بن ذارع الدوسي ، وقال قوم : هو الأسدي وكان يفضل علياً على النبي ﷺ ، وزعم أنه بعث محمداً ، يعني علياً ، وسماه إلٰهاً وكان يقول بذم محمد ﷺ ، وزعم أنه بعث ليدعو إلى علي فدعا إلى نفسه ، ويسمون هذه الفرقة الذميمة .

ومنهم من قال : بإلهيتهما جميعاً ويقدمون عليّاً في أحكام الإلهية ويسمونهم العينية ، ومنهم من قال : بإلهيتهما جميعاً ، ويقدمون محمداً في الإلهية ويسمونهم الميمية ، ومنهم من قال : بالإلهية لجملة أشخاص أصحاب الكساء ، محمد ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وقالوا : خمستهم شيء واحد والروح حالة

---

(١) الملل والنحل : ١٨٤/١ – ١٨٥ .

(٢) الملل والنحل : ١٧٩/١ – ١٨٤ ، وانظر مقالات الإسلاميين : ٧٦/١ – ٨٢ .

فيهم بالسوية لا فضل لواحد منهم على الآخر »[1] .

* النصيرية :

من جملة غلاة الشيعة النصيرية أتباع محمد بن نصير النمري ، « ولهم جماعة ينصرون مذهبهم ويذبون عن أصحاب مقالاتهم وبينهم خلاف في كيفية إطلاق اسم الإلهية على الأئمة من أهل البيت ، قالوا : ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل ، أما في جانب الخير فكظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص والتصور بصورة أعرابي والتمثل بصورة البشر ، وأما في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة إنسان حتى يعمل الشر بصورته وظهور الحسن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه ، فكذلك نقول : إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص ، ولما لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من علي رضي الله عنه وبعده أولاده المخصوصون وهم خير البرية ، فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم فعن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم ويقولون : إنما أثبتنا هذا الاختصاص لعلي رضي الله عنه دون غيره ، لأنه كان مخصوصاً بتأييد إلـٰهي من عند الله تعالى »[2] ، إلى غير ذلك من الحجج الباطلة التي تعد من تزيين الشيطان وتسويله ، وهذه الفرقة وسائر أصناف القرامطة الباطنية عرفت كلها في التاريخ بشدة عداوتها للإسلام وأهله ومناصرتها لأعداء الإسلام وكراهية انتصار المسلمين على أعدائهم من التتار والنصارى ، كما اشتهرت بالإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلامه تعالى وكلام رسوله - ﷺ - عن مواضعه ، ويكفينا نحوهم ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه رحمه الله عرف حقيقتهم وما كانوا عليه من سوء الحال ، فقد سئل رحمه الله عن النصيرية ، فأجاب بقوله : « الحمد لله رب العالمين ، هؤلاء القوم المتسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنيه

---

(١) الملل والنحل : ١/١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني : ١/١٨٨ - ١٨٩ .

أكفر من اليهود والنصارى ، بل وأكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والإفرنج وغيرهم ، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت ، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ، ولا بأمر ولا نهي ، ولا ثواب ولا عقاب ، ولا جنة ، ولا نار ، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ ولا بملة من الملل السالفة ، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها يدعون أنها علم الباطن وليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه ... - إلى أن قال - « ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين ، فهم مع النصارى على المسلمين ، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى - والعياذ بالله تعالى - النصارى على ثغور المسلمين ... فهؤلاء المحادون لله ورسوله كثروا حينئذ بالسواحل وغيرها فاستولى النصارى على الساحل ، ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره ، فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب في ذلك ، ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى كنور الدين الشهيد[1] وصلاح الدين[2] وأتباعهما وفتحوا

---

(١) هو محمود بن زنكي الملقب بالملك العادل ملك الشام وديار الجزيرة ومصر وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم ، كان من المماليك جده من موالي السلجوقيين ، ولد في حلب سنة (٥١١) وتوفي سنة (٥٦٩) كان من المداومين للجهاد وكان يباشره بنفسه ، كان موفقاً في حروبه مع الصليبيين أيام زحفهم على بلاد الشام « انظر ترجمته في وفيات الأعيان ، لابن خلكان » : ١٨٤/٥ - ١٨٩ ، سير أعلام النبلاء : ٥٣١/٢٠ - ٥٣٩ ، شذرات الذهب : ٢٢٨/٤ - ٢٣١ .

(٢) هو : يوسف بن أيوب بن شاذي أبو المظفر صلاح الدين الأيوبي الملقب بالملك الناصر ، من أشهر ملوك الإسلام ، وهو من أصل كردي ولد بتكريت سنة (٥٣٢هـ) سيرته مشهورة طبقت الآفاق لما له من الأيادي البيض في نصرة الإسلام وأهله ، منها تخليص بيت المقدس وبلاد فلسطين والساحل الشامي من براثن الصليبيين ، فقد كان موفقاً في حروبه لهم فقد هزمهم شر هزيمة في (حطين) وغيرها من الوقائع ، توفي رحمه الله سنة (٥٨٩هـ) . =

السواحل من النصارى وممن كان بها منهم وفتحوا أيضاً : أرض مصر ، فإنهم كانوا مستولين عليها نحو مائتي سنة ، واتفقوا هم والنصارى ، فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد ... ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم ... ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين تارة يسمون (الملاحدة) وتارة يسمون (القرامطة) ، وتارة يسمون (الباطنية) ، وتارة يسمون (الإسماعيلية) وتارة يسمون (الخرَّمية) ، وتارة يسمون (المحمرة) .

وهذه الأسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم .. ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين ، والصديق وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدين قبل الكفار من أهل الكتاب ... وأيضاً : فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر أولئك ... ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب ، فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه عن أخبارهم ، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ولا يحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بما أمر الله ورسوله ... والمعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله تعالى »[1] .

فقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بكلامه هذا حقيقة « النصيرية » وسائر أصناف الباطنية الإسماعيلية وكشف معاملتهم للمسلمين وموقفهم المشين من الإسلام عبر تاريخهم الأسود ، كما بين الموقف الذي يجب

= انظر ترجمته في وفيات الأعيان : ٧/١٣٩ - ٢١٨ ، الكامل لابن الأثير : ١١/٤١٥ وما بعدها ، سير أعلام النبلاء : ٢١/٢٧٨ - ٢٩١ .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٣٥/١٤٩ - ١٥٩ .

على المسلم أن يقفه كل بحسب ما يمكنه من تعريف الناس أخبارهم وإفشاء أسرارهم ليعرف الناس حقيقة حالهم .

* الشيعة الإسماعيلية :

بعد موت الإمام جعفر بن محمد الصادق افترقت الشيعة إلى فرقتين :

فرقة : ساقت الإمامة إلى ابنه موسى الكاظم وهؤلاء هم الشيعة الاثنا عشرية .

وفرقة : نفت عنه الإمامة ، وقالت : إن الإمام بعد جعفر هو ابنه إسماعيل ، وهذه الفرقة عرفت بالشيعة الإسماعيلية .

قال عبد القاهر البغدادي في شأن الإسماعيلية : « وهؤلاء ساقوا الإمامة إلى جعفر وزعموا أن الإمام بعده ابنه إسماعيل »[١] .

وقال الشهرستاني : « الإسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الإثنى عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر قالوا : ولم يتزوج الصادق رضي الله عنه على أمه بواحدة من النساء ، ولا تسرى بجارية كسنة رسول الله ﷺ في حق خديجة رضي الله عنها ، وكسنة علي رضي الله عنه في حق فاطمة رضي الله عنها »[٢] .

فالإسماعيلية إحدى فرق الشيعة ، وهي تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ولهم ألقاب كثيرة عرفوا بها غير لقب « الإسماعيلية » .

فأشهر ألقابهم الباطنية : وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً .

ويطلق عليهم: القرامطة والمزدكية، وقد عرفوا بهذين اللقبين في بلاد العراق.

---

(١) الفرق بين الفرق ، ص : ٦٢ .

(٢) الملل والنحل : ١٩١/١ .

ويطلق عليهم في خراسان : التعليمية والملحدة وهم لا يحبون أن يعرفوا بهذه الأسماء ، وإنما يقولون : نحن الإسماعيلية لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم »[1] .

وكما تقدم قريباً أن الشيعة أصيبوا بالفرقة والاختلاف بعد موت جعفر الصادق وهذه صفة ليست غريبة عليهم ، وإنما هي صفة ملازمة لهم .

قال أبو عبد الله الملقب بالمفيد مبيناً اختلافهم بعد الصادق : « فلما مات الصادق عليه السلام سنة ١٤٨هـ انتقل فريق منهم إلى القول بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام بعد أبيه عليه السلام ، وافترق الباقون فريقين :

فريق منهم : رجعوا عن حياة إسماعيل ، وقالوا بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل لظنهم أن الإمامة كانت في أبيه ، وأن الابن أحق بمقام الإمامة من الأخ

وفريق : ثبتوا على حياة إسماعيل وهم اليوم شذاذ لا يعرف منهم أحد يومىء إليه .

وهذان الفريقان يسميان بالإسماعيلية ، والمعروف منهم الآن من يزعم أن الإمامة بعد إسماعيل في ولده إلى آخر الزمان »[2] .

والإسماعيلية لا يقولون بإمامة موسى بن جعفر ، وإنما يقولون : « إن موسى الكاظم لم يجعله الصادق « ع » إماماً إلا سترا على ولي الأمر (محمد بن إسماعيل) ليكتم أمره على الأضداد ... وذلك أنه لما اشتدت المحنة وعظمت التقية في أيام جعفر بن محمد صلوات الله عليه كتم اسم الإمام من ولده تقية عليه ، فلم يطلع عليه في حياة جعفر بن محمد ولا بعد وفاته إلا أوثق الثقات من شيعته »[3] .

وقد ذكر محمد حسن الأعظمي في كتابه « الحقائق الخفية عن الشيعة

---

(١) انظر المصدر السابق : ١٩٢/١ . وانظر كتاب فضائح الباطنية للغزالي : ١١ – ١٥ .
(٢) الإرشاد للمفيد ، ص : ٥٥٤ .
(٣) الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ، ص : ٧٧ .

الفاطمية والاثنى عشرية » أن الإسماعيلية فرقتان ، هما :

(١) المستعلية .　　　　(٢) والنزارية .

ثم عرف كل فرقة منهما ، فقال :

والمستعلية : هي التي يطلق عليها اسم البوهرة وهو لفظ « كوجراتي » معناه بالعربية التجار وهم منتشرون في الهند والباكستان واليمن وحضرموت وعدن وغيرها .

والنزارية : تشتهر باسم « الأغاخانية » ويعتقدون أن زعيمهم الديني من نسل نزار بن المستنصر الفاطمي ، ويطلق عليه الإمام الحاضر وهو الآن الأمير كريم (أغا خان) ، الذي دفن جده محمد شاه أغا خان في مدينة أسوان بمصر .

وأما البوهرة : فيعتقدون أن إمامهم الحادي والعشرين « الطيب » بن الآمر المستعلي بن المستنصر الفاطمي قد استتر وبدأ هو سلسلة الدعاة المطلقين وقد ظهر منهم ثلاثة وعشرون في اليمن ، ثم ثلاثة وعشرون في الهند ، ويقال : إن السادس والأربعين محمد بدر الدين الداعي المطلق عبد علي سيف الدين قتل بالسم علي يد منافسه عبد القادر نجم الدين »(١) .

والإسماعيلية على اختلاف فرقها ونحلها تدين بعقائد فاسدة في الإلـٰهيات والنبوات والمعاد والإمامة ولهم فيها تخليط وتخبيط مصدرهم في هذه العقائد الفاسدة الفلسفات اليونانية ، وكل عقائدهم الباطلة يقصدون منها إبطال الإسلام وهدم أركانه .

وقد نبه الشهرستاني من قبل إلى تأثر الباطنية بالفلسفة اليونانية حيث قال : « إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج »(٢) .

---

(١) الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثنى عشرية ، ص : ١٧ .

(٢) الملل والنحل : ١٩٣/١ .

كما قرر الغزالي أيضاً : « أن آراء الباطنية في الإلٰهيات مسترقة من الثنوية والمجوس في القول بإلٰهين ومن كلام الفلاسفة في المبدأ الأول وأن مذاهبهم في النبوات مستخرجة من مذاهب الفلاسفة في النبوات مع تحريف وتغيير وأن مذهبهم في المعاد موافق لآراء الثنوية والفلاسفة في الباطن وللروافض والشيعة في الظاهر »[1] .

وتمسُّك الإسماعيلية بمبادىء الفلاسفة أدى بهم إلى تجريد الباري – جل وعلا – من كل صفة كمال اتصف بها حيث يقولون : « إنا لا نقول هو موجود ولا لا موجود ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك في جميع الصفات فإن الإثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقنا عليه ، وذلك تشبيه فلم يكن الحكم بالإثبات المطلق والنفي المطلق بل هو إلٰه المتقابلين ، وخالق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين ، ونقلوا في هذا نصاً عن محمد بن علي الباقر أنه قال : « لما وهب العلم للعالمين قيل هو عالم ، ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر ، فهو عالم .

والقدرة لا بمعنى أنه قام به العلم والقدرة أو وصف بالعلم والقدرة ... قالوا : ولذلك نقول في القدم : إنه ليس بقديم ولا محدث بل القديم أمره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته »[2] .

ومن أجل هذا وصف الإسماعيلية بأنهم نفاة الصفات حقيقة معطلة الذات عن جميع الصفات ومقصودهم من هذا هو إنكار وجود الخالق .

قال الغزالي : « إن الإسماعيلية يتطلعون في الجملة لنفي الصانع ، فإنهم لو قالوا : إنه معدوم لم يقبل منهم ، بل منعوا الناس من تسميته موجوداً وهو عين النفي مع تغيير العبارة لكنهم تحذقوا فسموا هذا النفي تنزيهاً وسموا مناقضه تشبيهاً

---

(١) فضائح الباطنية ، ص : ٤٠ – ٤٢ ، ٤٦ .

(٢) الملل والنحل : ١٩٣/١ . وانظر فضائح الباطنية للغزالي : ص ٣٩ .

حتى تميل القلوب إلى قبوله »[1] .

ومعتقدهم في الإمامة كمعتقد الإثنى عشرية فهم يقولون بإمامة آل البيت وأن سلسلة الأئمة عندهم بعد جعفر الصادق هم إسماعيل وسلالته من بعده وذهبوا إلى القول بعصمة هؤلاء الأئمة ، وأن الإمامة لا تثبت إلا بالنص كما ذهب الاثنا عشرية إلى ذلك في أئمتهم ، ولا يختلفون عنهم في تعظيم أمر الإمامة وتقديس منزلتها ، فهي عندهم العمود الأساسي الذي تدور عليه كل عقائد الإسماعيلية .

وفي هذا يقول مصطفى غالب : « ولا تزال الإمامة المحور الذي تدور عليه كل العقائد الإسماعيلية لأن الإمامة ركن أساس جميع أركان الدين ، فدعائم الدين هي الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والولاية هي أفضل هذه الدعائم »[2] .

وقال أيضاً : في بيان معتقدهم في النص على الإمام وأنه لا اختيار للبشر في نصبه : « ومن أصول ومرتكزات العقيدة الإسماعيلية ضرورة وجود الإمام المنصوص عليه من نسل علي بن أبي طالب والنص من الإمام يجب أن يكون من الإمام الذي سبقه بحيث تتسلسل الإمامة في الأعقاب »[3] .

والإسماعيلية لم يصدقوا بموت إسماعيل في حياة أبيه جعفر ، بل يزعمون أن الإخبار بموته في ذلك الوقت الغرض منه التمويه والتعمية على ولاة الأمر من العباسيين .

قال مصطفى غالب : « إن قصة وفاة إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه إنما كانت قصة أراد بها الإمام جعفر الصادق « ع » التمويه والتعمية على الخليفة العباسي .... ثم شوهد إسماعيل « ع » بعد ذلك في البصرة وفي غيرها من بلاد

---

(١) فضائح الباطنية ، ص : ٣٩ .

(٢) تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص : ٤٩ – ٥٠ ، الإمامة وقائم القيامة ص : ١٤٥ .

(٣) تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص : ٥٠ .

فارس وعلى ذلك فالإمامة لم تسقط عن إسماعيل بالموت قبل وفاة أبيه لأنه مات بعد أبيه »[1] .

ومنهم من قال : « إنه مات وإنما فائدة النص عليه انتقال الإمامة منه إلى أولاده خاصة كما نص موسى على هارون عليهما السلام ، ثم مات هارون في حال حياة أخيه ، وإنما فائدة النص انتقال الإمامة منه إلى أولاده ، فإن النص لا يرجع قهقرى والقول بالبداء محال ، ولا ينص الإمام على واحد من أولاده إلا بعد السماع من آبائه والتعيين لا يجوز على الإبهام والجهالة »[2] .

و لم يختلفوا في تعظيمهم لأئمتهم على تعظيم الاثنى عشرية لأئمتهم من حيث الإطراء والغلو المذموم فهم شركاؤهم في هذا المقام ، حيث يعتقدون أنه « لا يعترض على شيء مما صدر عن الإمام من أوامر ونواه وأقوال وأفعال إذ أنه يتمتع بالعصمة التي منحه إياها الله فامتاز بها عن بقية المخلوقات »[3] .

وادعاء الشيعة الإمامية والإسماعيلية وجوب العصمة للأئمة ما هو إلا نوع من هذيانهم وكذبهم وافترائهم « لم يرد به دليل من الكتاب ولا من السنة ولا من الإجماع ولا من القياس الصحيح ولا من العقل السليم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون »[4] .

إذ أنه لا عصمة لأحد بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فبطلان دعوى وجوب العصمة ظاهر . ونقتصر على ذكر هذه الفرق التسع من فرق الشيعة الغالية إذ ليس المراد استقصاء الغلاة ، وإنما ذكرنا هذه الفرق مع الإشارة إلى غلوهم الفاسد في الأئمة ليتضح للقارىء ضلالهم ونبذهم للإسلام وراء ظهورهم وليتبين أن غلاة الشيعة اتخذوا من حب آل البيت والتشيع لهم ذريعة لبث آرائهم

---

(١) الحركات الباطنية ، ص : ٧٧ .

(٢) الملل والنحل : ١/١٩١ .

(٣) إثبات الإمامة للنيسابوري ، ص : ٥١ . وانظر فضائح الباطنية للغزالي ص : ١٤٢ وما بعدها .

(٤) الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص : ٢٨ ، وانظر ص : ٣٤ .

الباطلة وهدم الإسلام ونقضه عروة عروة ، ومن جهة أخرى جعلوا من التشيع مدخلاً لإحياء عقائد الديانات الوثنية ، كالقول بالتناسخ وانتقال أرواح الأئمة من إمام إلى إمام ، والزعم بحلول الله تعالى في أرواح البشر وإنكار نبوة محمد ﷺ ولم يكن في وسع أهل البيت إلا أن تبرأوا من هؤلاء الغلاة ولعنوهم على الملأ وفضحوا أكاذيبهم كما فعل جعفر الصادق مع الخطابية ، وقد ذكر الشهرستاني أن جعفر الصادق « قد تبرأ عما كان ينسبه إليه بعض الغلاة وبريء منهم ولعنهم وبريء من خصائص مذاهب الرافضة ، وحماقاتهم من القول بالغيبة والرجعة والبداء والتناسخ والحلول والتشبيه ، لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهباً وأراد أن يروجه على أصحابه فنسبه إليه وربطه به ، وجعفر بريء من ذلك ومن الاعتزال والقدر أيضاً »[1] ، كما أشار إلى الغلاة على مختلف أصنافهم كلهم متفقون على القول بالتناسخ والحلول ثم ذكر أن التناسخ « كان مقالة لفرقة في كل ملة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة الصابئة »[2] .

* (٢) الكيسانية :

ذكر العلماء الذين ألفوا في الفرق ومقالاتهم أن فرقة الكيسانية تنسب إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي[3] وسميت من أجل ذلك بالمختارية ، وسميت أيضاً : بالكيسانية لأن المختار كان يقال له : كيسان ، أو أن كيسان الذي تنسب إليه كان مولى لعلي بن أبي طالب ، أو كان تلميذاً لمحمد بن الحنفية وأن المختار تلقى

---

(١) الملل والنحل : ١٦٦/١ .

(٢) المصدر السابق : ١٧٥/١ .

(٣) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي الذي خرج يطلب بثأر الحسين بن علي وهو الذي جهز الجيش لحرب عبيد الله بن زياد بقيادة إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وقتل المختار سنة سبع وستين هجرية في موقعة عظيمة دارت بينه وبين مصعب بن الزبير . انظر : العبر : ٧٤/١ ، ميزان الاعتدال : ٨٠/٤ ، لسان الميزان : ٦/ ٧ - ٨ ، سير أعلام النبلاء : ٥٣٨/٣ - ٥٤٤ .

مقالته من كيسان هذا ومن هنا أطلق على هذه الفرقة اسم الكيسانية .

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى : « وإنما سموا « كيسانية » لأن المختار الذي خرج وطلب بدم الحسين بن علي ودعا إلى « محمد بن الحنفية » كان يقال له « كيسان » ، ويقال : إنه مولى لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه »[1] .

وقال عبد القاهر البغدادي في ذكره للكيسانية : « هؤلاء أتباع المختار ابن أبي عبيد الثقفي ، الذي قام بثأر الحسين بن علي بن أبي طالب وقتل أكثر الذين قتلوا حسيناً بكربلاء ، وكان المختار يقال له : كيسان ، وقيل : إنه أخذ مقالته عن مولى لعلي رضي الله عنه ، كان اسمه كيسان »[2] .

وقال أبو المظفر الإسفراييني : « وأما الكيسانية فهم أتباع مختار بن أبي عبيد الثقفي الذي كان قام يطلب ثأر الحسين بن علي بن أبي طالب وكان يقتل من يظفر به ممن كان قاتله بكربلاء »[3] .

وأما الشهرستاني : فقد نسب هذه الفرقة إلى كيسان مولى أمير المؤمنين وذكر أنها فرق ومن ضمنها المختارية ، فقد قال : « الكيسانية : أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية ، يعتقدون فيه اعتقاداً فوق حده ودرجته من إحاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها ، من علم التأويل والباطن ، وعلم الآفاق والأنفس »[4] .

كما أنه قرر أن « المختار بن أبي عبيد الثقفي كان خارجياً ثم صار زبيرياً ثم

---

(١) مقالات الإسلاميين : ٩١/١ .

(٢) الفرق بين الفرق ، ص : ٣٨ .

(٣) التبصير في الدين ، ص : ٣٠ .

(٤) الملل والنحل : ١٤٧/١ ، وانظر في شأن فرقة الكيسانية مروج الذهب للمسعودي : ٧٠/٣ - ٨٩ .

صار شيعياً وكيسانياً ، قال : بإمامة محمد بن الحنفية بعد أمير المؤمنين علي رضي الله عنهما ، وقيل : لا بل بعد الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وكان يدعو الناس إليه وكان يظهر أنه من رجاله ودعاته ويذكر علوماً مزخرفة بترهاته ينوطها به »[1] .

وتقرير الشهرستاني هذا يؤدي إلى اضطراب وغموض حول حركة المختار ابن أبي عبيد وحقيقة الكيسانية ولكن الظاهر أن الحركة التي قام بها المختار كانت حركة شيعية غرضها أخذ الثأر من قتلة الحسين بن علي من جهة وتحقيق أطماع وتطلعات قائدها المختار من جهة أخرى ، أما الكيسانية فهي حركة غالية منحرفة ، اتخذت من التشيع لآل البيت ستاراً نفذت بواسطته بتعاليمها الفاسدة وآرائها المنحرفة ، وقد تولد عن الكيسانية الكثير من الحركات الباطنية ، وأما المختار فقد نشأ في بيت مسلم بعيد عن هذه الانحرافات ، فوالده أبو عبيد بن مسعود ، كان ممن أسلموا مع قبيلة ثقيف ، ثم انتقل من الطائف موطنه وحيث ولد المختار إلى المدينة وصار أحد أصحاب النبي ﷺ ، وفي زمن الفاروق رضي الله عنه تولى قيادة المسلمين في فتوحات العراق ، واستشهد هو وابنه جبر في موقعة الجسر الشهيرة على نهر الفرات »[2] ، وقد ولد المختار في السنة الأولى من الهجرة وانتقل مع والده إلى بلاد العراق لقتال الفرس وبعد استشهاد والده دخل تحت كفالة عمه سعيد بن مسعود ، الذي كان والياً لعلي رضي الله عنه على الكوفة وقد وصف المختار بن أبي عبيد بأنه كان على درجة عالية من الذكاء والدهاء والفطنة[3] ، وقد استغل هذا الذكاء وهذه الفطنة في محاولة للوصول إلى الحصول على مكانة عند الناس فاتخذ من حب آل البيت والولاء لهم وسيلة ينفذ منها إلى ما يهدف إليه من الولاية وحب الرياسة ، واستطاع أن يجمع حوله كثيراً من

(١) الملل والنحل : ١/١٤٧ - ١٤٨ .
(٢) انظر تاريخ الطبري : ٣/٤٥٤ وما بعدها ، لسان الميزان ، لابن حجر : ٦/٧ .
(٣) انظر كتاب « المختار الثقفي مرآة العصر الأموي » ، علي حسن الخربوطلي ، ص : ٤٠ .

الأتباع والأنصار ممن ينتمون للشيعة ، وتمكن من الاستيلاء على الكوفة وعقدت له البيعة فيها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والطلب بدماء أهل البيت وأول ما بدأ به بعد البيعة أن تتبع قتلة الحسين بن علي وهدم دورهم وأخذ الثأر منهم وقد أكسبه هذا الفعل مكانة عند الشيعة وحببه إليهم ، وقد ذكر الشهرستاني أن المختار انتظم له ما انتظم بأمرين :

أحدهما : انتسابه إلى محمد بن الحنفية علماً ودعوة .

والثاني : قيامه بثأر الحسين بن علي رضي الله عنهما واشتغاله ليلاً ونهاراً بقتال الظلمة الذين اجتمعوا على قتل الحسين[1] .

وهذه تعتبر مرحلة أولى للمختار بن أبي عبيد الثقفي ، فقد أظهر نفسه أنه شيعي ، ينتقم لقتلى آل البيت ، ويدعو إلى إمامة محمد بن الحنفية وقد ذكر الشهرستاني أنه انتقل من هذه المرحلة وصار كيسانياً ونسب إليه القول بالبداء ، حيث زعم أن الله – سبحانه وتعالى – يغير ما يشاء تبعاً لتغير علمه وأنه يأمر بالشيء ثم يبدو له فيأمر بغيره ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

قال الشهرستاني : « وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدعي علم ما يحدث من الأحوال ، إما بوحي يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الإمام (محمد بن الحنفية) ، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة ، فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على دعواه ، وإن لم يوافقه قال : « قد بدا لربكم »[2] . وكان يستدل على ذلك بقول الله تعالى : ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾[3] .

وقد ذكر البغدادي أن هذا التغير في أراء المختار حدث له بعد أن تم له

---

(١) الملل والنحل : ١/١٤٨ .

(٢) الملل والنحل : ١/١٤٩ .

(٣) سورة الرعد ، آية : ٣٩ .

الاستيلاء على الكوفة والجزيرة والعراقين إلى حدود أرمينية تكهن بعد ذلك وسجع بأسجاع الكهنة ، وكان يدعي نزول الوحي عليه[1] والذي يظهر أن المختار في آخر أمره تأثر ببعض غلاة الشيعة .

قال البغدادي : « إن الذي زين له ذلك جماعات من الشيعة الغلاة وقالوا له : أنت حجة هذا الزمان ، وحملوه على دعوى النبوة فادعاها ولكن لم يصرح بهذا إلا لخاصته »[2] ، وبدعواه نزول الوحي عليه حكم عليه بأنه ضال مضل .

قال الذهبي رحمه الله تعالى : « المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب لا ينبغي أن يروى عنه شيئاً ، لأنه ضال مضل ، كان زعم أن جبرائيل عليه السلام ينزل عليه وهو شر من الحجاج أو مثله » اهـ[3] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن العلماء أجمعوا على أن المراد بالكذاب في الحديث الذي رواه مسلم[4] من حديث ابن عمر : أن في ثقيف كذاباً ومبيراً ، أنه المختار ابن أبي عبيد .

فقد قال النووي رحمه الله تعالى مبيناً قول أسماء بنت أبي بكر للحجاج : « أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً[5] فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه » ، قال : « وقولها في الكذاب فرأيناه تعني به المختار بن أبي عبيد ، كان شديد الكذب ومن أقبحه ، ادعى أن جبريل ﷺ يأتيه ، واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد وبالمبير الحجاج ابن يوسف والله أعلم »[6] .

---

(١) انظر الفرق بين الفرق : ص ٤٦ .
(٢) الفرق بين الفرق ، ص : ٤٧ .
(٣) ميزان الاعتدال : ٤/٨٠ .
(٤) صحيح مسلم : ٤/١٩٧١ - ١٩٧٢ .
(٥) المبير : المهلك . انظر شرح النووي : ١٦/١٠٠ ، وانظر تحفة الأحوذي : ٦/٤٦٧ .
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٦/١٠٠ .

وقد هلك المختار بن أبي عبيد عام « ٦٧هـ » على يد مصعب بن الزبير[١] ولم تنته آراؤه الفاسدة بهلاكه ، بل قام أتباعه من الكيسانية بنشرها فيما بعد فقد اجتمع رأيهم على القول بإمامة محمد بن الحنفية واختلفوا في رجعته على قولين :

فبعضهم : زعم أنه مات وسيرجع .

ومنهم : من ذهب إلى أنه لم يمت بل هو حي بجبل رضوى ، وعنده عينان تجريان بماء وعسل وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه وهو المهدي المنتظر الذي سيعود فيملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ، وإلى هذا يشير شاعرهم كثير عزة فيقول :

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط[٢] ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زماناً ... برضوى عنده عسل وماء[٣]

وقد مات ابن الحنفية بالمدينة سنة إحدى وثمانين هجرية ، فقد روى ابن سعد بإسناده إلى زيد بن السائب ، قال : سألت أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية : أين دفن أبوك ؟ ، فقال : بالبقيع ، قلت : أي سنة ؟ قال : سنة إحدى وثمانين في أولها وهو يومئذ ابن خمس وستين سنة لا يستكملها[٤] .

---

(١) انظر تاريخ الطبري : ٩٣/٦ وما بعدها ، الكامل في التاريخ : ٢٦٧/٤ ، وما بعدها ، البداية والنهاية : ٣٠٨/٨ وما بعدها .

(٢) الأسباط : جمع سبط ، قيل : هم الأولاد خاصة ، وقيل أولاد الأولاد ، وقيل : أولاد البنات ، النهاية : ٣٣٤/٢ .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص : ٤١ ، الملل والنحل للشهرستاني : ١٥٠/١ .

(٤) الطبقات الكبرى : ١٦/٥ .

ففي هذا بيان لفساد من يعتقد من الكيسانية رجوع محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى ، فقد مات بالمدينة ، ودفن بالبقيع ، والذي أم المصلين في صلاة الجنازة عليه أبان بن عثمان ، لأنه كان الوالي يومئذ على المدينة لعبد الملك بن مروان[1] .

واختلفت الكيسانية أيضاً : فيمن يتولى الأمر بعد ابن الحنفية ، حتى صار كل اختلاف مذهباً ، وافترقوا عدة فرق[2] ويجمعها شيئان :

أحدهما : قولهم بإمامة محمد بن الحنفية ، وإليه كان يدعو المختار بن أبي عبيد .

والثاني : قولهم بجواز البداء على الله – عز وجل – ولهذه البدعة قال بتكفيرهم كل من لا يجيز البداء على الله[3] .

والكيسانية كانت مصدراً لكثير من الآراء الفاسدة التي كان الهدف منها إبطال الشريعة الإسلامية والدعوة إلى الكفر والزندقة .

قال الشهرستاني : « وأجمع الكيسانية على القول بأن الدين طاعة رجل ، وحملهم هذا على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك على رجال ، فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل ، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة ، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت . فمن مقتصر على واحد معتقد أنه لا يموت ، ولا يجوز أن يموت حتى يرجع ومن معتقد حقيقة الإمامة إلى غيره ، ثم متحسر عليه متحيرٌ فيه ، ومن مدع حكم الإمامة وليس من الشجرة ، وكلهم حيارى متقطعون ، ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل ولا رجل له ، فلا دين له

---

(١) الطبقات الكبرى : ١٦/٥ .

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني : ١٥١/١ .

(٣) الفرق بين الفرق ، ص : ٣٨ – ٣٩ .

نعوذ بالله من الحيرة والحور بعد الكور ، رب اهدنا سواء السبيل[1] .

* ٣ - الزيدية :

هم المنتسبون إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، خرج زيد في خلافة هشام بن عبد الملك لأمور أنكرها ، فقتل بالكوفة سنة اثنتين وعشرين ومائة وكان مولده بالمدينة سنة ثمانين[2] ، وكان رحمه الله تعالى تقياً زاهداً فاضلاً وأحد العلماء الصلحاء ، تلقى العلم في المدينة والبصرة والعراق ، وبلغ درجة عالية في العلم والفقه[3] .

قال أبو الحسن الأشعري : « وإنما سموا « زيدية » لتمسكهم بقول زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب »[4] .

وقال الشهرستاني : « الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن ، أو من أولاد الحسين رضي الله عنهما »[5] .

فالزيدية إحدى فرق الشيعة وهي تنتسب إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، وقد افترقت الزيدية فرقاً عدة لكل فرقة منها منهج ووجهة ، وأصول هذه الفرق ثلاث ، وهي : الجارودية ، والسليمانية ، والصالحية ، وإليك نبذة عن كل واحدة من هذه الفرق الثلاث ليتضح معتقدها

---

(١) الملل والنحل : ١/١٤٧ .

(٢) انظر تهذيب التهذيب : ٣/٤١٩ ، تقريب التهذيب : ١/٢٧٦ .

(٣) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد : ٥/٣٢٥ - ٣٢٦ ، سير أعلام النبلاء : ٥/٣٨٩ - ٣٩١ ، وفيات الأعيان : ٥/١٢٢ .

(٤) مقالات الإسلاميين : ١/١٣٦ .

(٥) الملل والنحل للشهرستاني : ١/١٥٤ - ١٥٥ .

في خيار هذه الأمة الذين هم صحابة رسول الله ﷺ .

* أولاً : الجارودية :

هم : « أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر الكوفي المتوفى ما بين خمسين وستين بعد المائة »[1] والذين اتبعوه في أفكاره وآرائه سموا جارودية لأنهم أخذوا بأقواله ، وهم يعتقدون أن النبي ﷺ نص على « علي بن أبي طالب » بالوصف لا بالتسمية ، فكان هو الإمام من بعده ، وأن الناس ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء به بعد الرسول ﷺ ، ثم « الحسن » من بعد علي هو الإمام ، ثم « الحسين » هو الإمام من بعد الحسن ، وافترقت الجارودية فرقتين – في النص على الإمام الذي يكون بعد علي – فرقة : زعمت أن علياً نص على إمامة « الحسن » ، وأن « الحسن » نص على « الحسين » ثم هي شورى في ولد الحسن وولد الحسين فمن خرج منهم يدعو إلى سبيل ربه وكان عالماً فاضلاً فهو الإمام .

وفرقة : زعمت أن النبي ﷺ نص على « الحسن » بعد علي وعلى « الحسين » بعد الحسن ، ليقوم واحد بعد واحد .

وافترقت الجارودية أيضاً في رجعة أئمتهم ثلاث فرق :

فزعمت فرقة أن « محمد بن عبد الله بن الحسن »[2] لم يمت وأنه يخرج ويغلب .

وفرقة أخرى : زعمت أن « محمد بن القاسم »[3] صاحب الطالقان لم

---

(١) انظر تهذيب التهذيب : ٣٨٧/٣ .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية ، قال عنه أبو الحسن الأشعري : « خرج بالمدينة وبويع له في الآفاق فبعث إليه أبو جعفر المنصور بعيسى بن موسى وحميد بن قحطبة فحارب محمد حتى قتل . المقالات : ١٥٤/١ ، وكان قتله سنة خمس وأربعين ومائة . راجع تهذيب التهذيب : ٢٥٢/٩ .

(٣) هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، انظر ما جاء في شأن محمد هذا تاريخ الطبري : ٧/٩ – ٨ ، الكامل لابن الأثير ٤٤٢/٦ – ٤٤٣ .

يمت وأنه يخرج ويغلب .

وفرقة قالت مثل ذلك في « يحيى بن عمر » صاحب الكوفة[1] .

* ثانياً : السليمانية أو الجريرية :

هم : أتباع سليمان بن جرير الزيدي ، وهذه الفرقة تعتقد : « أن الإمامة شورى وأنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وأنها قد تصلح في المفضول وإن كان الفاضل أفضل في كل حال ويثبتون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر - وذكر - عن سليمان بن جرير أنه كان يزعم أن بيعة أبي بكر وعمر خطأ لا يستحقان عليها اسم الفسق من قبل التأويل وأن الأمة قد تركت الأصلح في بيعتهم إياهما »[2] .

وقد تجرأ سليمان بن جرير على الخليفة الثالث : عثمان رضي الله عنه حيث زعم « أنه كفر بسبب ما نقم عليه من الأحداث »[3] ، كما تجرأ أيضاً : على القول بكفر « عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم بإقدامهم على قتال علي رضي الله عنه »[4] .

* ثالثاً : الصالحية أو البترية :

هم أتباع الحسن بن صالح بن حي[5] وكثير ....

---

(١) مقالات الإسلاميين : ١/١٤١ - ١٤٢ .

(٢) المصدر السابق : ١/١٤٣ .

(٣) انظر مقالات الإسلاميين : ١/١٤٣ ، الفرق بين الفرق ، ص : ٣٣ ، الملل والنحل للشهرستاني : ١/١٦٠ .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني : ١/١٦٠ .

(٥) قال الحافظ : الحسن بن صالح بن حي وهو حيان بن شفي الهمداني ثقة ، فقيه ، عابد ، رمي بالتشيع من السابعة ، مات سنة تسع وتسعين وكان مولده سنة مائة . التقريب : ١/١٦٧ ، وقال عبد القاهر البغدادي : وقد أخرج مسلم بن الحجاج حديث الحسن بن صالح بن حي في مسنده الصحيح ، ولم يخرج محمد بن إسماعيل البخاري حديثه في الصحيح ، ولكنه قال : في كتاب « التاريخ الكبير » : الحسن بن صالح بن حي الكوفي سمع سماك بن حرب ، ومات سنة سبع وستين ومائة وهو من ثور =

النواء[1] ، وإنما سموا « بترية » لأن « كثيراً » كان يلقب بالأبتر يزعمون أن علياً أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأولاهم بالإمامة وأن بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ لأن علياً ترك ذلك لهما ويقفون في عثمان وفي قتلته ولا يقدمون عليه بإكفار »[2] .

قال الرازي : « والصالحية أصحاب الحسن بن علي بن حي الفقيه كان يثبت إمامة أبي بكر وعمر ويفضل علي بن أبي طالب على سائر الصحابة إلا أنه توقف في عثمان وقال : إذا سمعنا ما ورد في حقه من الفضائل اعتقدنا إيمانه ، وإذا رأينا أحداثه التي نقمت عليه وجب الحكم بفسقه ، فتحيرنا في أمره وفوضنا إلى الله تعالى » اهـ[3] .

وقد اعتبر الشهرستاني : الصالحية أو البترية فرقتين مستقلتين حيث قال : « الصالحية أصحاب الحسن بن صالح بن حي ، والبترية : أصحاب كثير النواء الأبتر وهما متفقتان في المذهب ، وقولهم في الإمامة كقول السليمانية إلا أنهم توقفوا في أمر عثمان ، أهو مؤمن أم كافر ؟ ، قالوا : إذا سمعنا الأخبار الواردة في حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة ، قلنا : يجب أن نحكم بصحة إسلامه وإيمانه وكونه من أهل الجنة ، وإذا رأينا الأحداث التي أحدثها من استهتاره بتربية بني أمية وبني مروان واستبداده بأمور لم توافق سيرة الصحابة قلنا يجب أن نحكم بكفره فتحيرنا في أمره ، وتوقفنا في حاله ووكلناه إلى أحكم الحاكمين »[4] .

= همدان وكنيته أبو عبد الله . الفرق بين الفرق ، ص : ٣٤ . وقال أبو المظفر الإسفراييني : وقد أخرج مسلم بن الحجاج حديث الحسن بن صالح بن حي في المسند الصحيح لما أنه لم يعرف منه هذه الخصال فأجراه على ظاهره » اهـ . التبصير في الدين ، ص : ٢٩ .

(١) هو كثير بن إسماعيل ، أو ابن نافع النواء بالتشديد أبو إسماعيل التيمي الكوفي ضعيف ، من السادسة . تقريب التهذيب : ١٣١/٢ .

(٢) مقالات الإسلاميين : ١٤٤/١ .

(٣) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، ص : ٣٦١ .

(٤) الملل والنحل : ١٦١/١ .

فالصالحية أو البترية قولهم كقول سليمان بن جرير غير أنهم توقفوا في عثمان ولم يقدموا على ذمه ولا على مدحه ، وهؤلاء – كما يقول البغدادي – « أحسن حالاً عند أهل السنة من أصحاب سليمان بن جرير »[1] .

وأبخس معتقد لفرق الزيدية في الصحابة هو ما تعتقده الجارودية من كفر الشيخين[2] ، وكذا ما تعتقده السليمانية من كفر عثمان بسبب ما نقم عليه من الأحداث على حسب زعمهم[3] واعتقادهم كفر « عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم بحجة إقدامهم على قتال علي رضي الله عنه »[4] .

وهذا المعتقد لفرقتي الجارودية والسليمانية في أولئك الأخيار باطل من وجهين : –

الوجه الأول : أنه معاندة منهم للرب – جل وعلا – ولرسوله ﷺ ، حيث شهد الله لجميع الصحابة في غير ما آية من كتابه العزيز بحقيقة الإيمان ورسوخه في قلوبهم ، كما أخبر أنه رضي عنهم ورضوا عنه وأنه وعدهم جميعاً بالحسنى ، وأولئك النفر الذين تكفرهم الجارودية والسليمانية من الزيدية في مقدمة من شرفهم الله بالثناء عليهم بتحقيق الإيمان ، وشهد لهم الرسول ﷺ بالجنة ، فلا يعتقد كفرهم أو يطعن فيهم بعد ذلك إلا معارض لله ولرسوله ومكذب لما أخبر الله ورسوله بما لهم من المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة في الدنيا والآخرة .

الوجه الثاني : لو تدبرت الجارودية والسليمانية ما اعتمدنا عليه في تكفير من تقدم ذكره من الصحابة لاستحيوا من ذكر ذلك ، فالأحداث التي يزعمون أن عثمان كفر بها معظمها أكاذيب افتراها الخارجون عليه ، وما صح منها كان

---

(١) الفرق بين الفرق ، ص : ٣٣ – ٣٤ .
(٢) الفرق بين الفرق ، ص : ٣٤ .
(٣) انظر مقالات الإسلاميين : ١٤٣/١ .
(٤) الملل والنحل للشهرستاني : ١٦٠/١ .

مجتهداً فيها ، وقد بينت فساد ما نقموا به على عثمان في مبحث مستقل من هذه الرسالة[1] بما يشفي قلب كل من سلم من داء الرفض ، وأما تكفيرهم عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم بحجة أنهم خرجوا لمقاتلة علي ، فهي حجة أوهى من بيت العنكبوت ، وكذب عليهم ، إذ أنهم لم يخرجوا لقتاله رضي الله عنه ، ولا أعلنوا عدم طاعته ولا بايعوا بالخلافة غيره ، وإنما خرجوا إلى البصرة لقصد الإصلاح وطلب إقامة الحد على قتلة عثمان « ولم يقصد علي رضي الله عنه قتالهم ، بل أجابهم إلى ما طلبوا من إقامة الحد على أولئك الأشرار قتلة عثمان ، ولما علم أولئك الفسقة أن الدائرة راجعة عليهم سعوا جادين في إنشاب القتال بين الفريقين فحمل كل فريق منهم دفعاً عن نفسه دون قصد منهم للقتال »[2] ، وكذا اقتتالهم في صفين كان عن اجتهاد وتأويل ، إذ أن معاوية : « لم يدع الخلافة ولم يبايع له فيها حين قاتل علياً ولم يقاتل على أنه خليفة ، ولا أنه يستحق الخلافة ويقرون له بذلك ، وكان هو يقر بذلك لمن يسأله ، وما كان يرى هو وأصحابه أن يبتدئوا علياً وأصحابه بالقتال ، بل لمّا رأى علي رضي الله تعالى عنه وأصحابه أنه يجب على معاوية وأصحابه طاعته ومبايعته إذ لا يكون للمسلمين إلا خليفة واحد وأنهم خارجون عن طاعته يمتنعون عن هذا الواجب وهم أهل شوكة رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا الواجب فتحصل الطاعة والجماعة ، وقال معاوية وأصحابه : إن ذلك لا يجب عليهم ، وأنهم إذا قوتلوا كانوا مظلومين ، قالوا : لأن عثمان قتل مظلوماً باتفاق المسلمين ، وقتلته في عسكر علي وهم غالبون لهم شوكة »[3] .

فالفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم يجب أن يكون حظ العاقل منها حسن الظن بالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والسكوت عن الكلام فيهم إلا بخير والترضي عنهم جميعاً وموالاتهم ومحبتهم والجزم أنهم دائرون في اجتهاداتهم

---

(١) انظر ص : (١٠٥٠ - ١٠٩٢) هذه الرسالة .

(٢) انظر الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم : ٨٥/٢ .

(٣) سؤال في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٢ - ٣٣ .

بين الأجر والأجرين ، ولو سلك الجارودية والسليمانية من الزيدية هذا المسلك لما وقعوا في الاعتقاد الباطل فيمن تقدم ذكره من الصحابة ولما تنكبوا طريقة زيد ابن علي في خيار الأمة ، ومن شؤم معتقدهم السيء في أولئك الصفوة كان فتنة لهم حيث كفر بعضهم بعضاً ، فقد قال عبد القاهر البغدادي : « هؤلاء البترية ، والسليمانية من الزيدية كلهم يكفرون الجارودية من الزيدية ، لإقرار الجارودية على تكفير أبي بكر وعمر ، والجارودية يكفرون السليمانية والبترية لتركهما تكفير أبي بكر وعمر »[1] .

فهذه الفرق الثلاث المتقدم ذكرها تعتبر أهم فرق الشيعة الزيدية ، وقد ذكر العلماء أن الزيدية افترقت إلى أكثر من ثلاث فرق .

فقد ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري أن الزيدية ست فرق[2] .

وذكر المسعودي في كتابه « مروج الذهب » أن جماعة من مصنفي كتب المقالات والآراء والديانات من آراء الشيعة وغيرهم كأبي عيسى محمد بن هارون الوراق وغيره أن الزيدية كانت في عصرهم ثمان فرق »[3] وعدها بأسمائها .

ولا تأثير لاختلاف العلماء في العدد ، فمن اقتصر على الأصول منها ذكر أصولها الثلاث ، ومن ذكر الأصول منها والفروع ذكر أنها أكثر من ثلاث فرق ، والزيدية على اختلاف فرقهم ونحلهم يجتمعون على القول بأن الإمام بعد الرسول ﷺ هو علي رضي الله عنه .

قال الرازي : « فالذي يجمعهم أن الإمام بعد الرسول عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنص الخفي ثم الحسين ، ثم كل فاطمي مستحق لشرائط الإمامة ودعا الخلق إلى نفسه شاهراً لسيفه على الظلمة » اهـ[4] .

---

(١) الفرق بين الفرق ، ص : ٣٤ .
(٢) مقالات الإسلاميين : ١/١٤٠ .
(٣) مروج الذهب : ٣/١٩٢ ، وانظر الغنية لطالبي معفرة طريق الحق للجيلاني : ١/٨٩ .
(٤) المحصل : ص ٣٦٠ .

وهذا الاعتقاد لم تكن تعرفه الزيدية الذين كانوا مع زيد بن علي حين خروجه وإنما كانوا يتولون الشيخين أبا بكر وعمر وكانوا يتبرءون ممن يبرأ منهما ولكن هذا الاعتقاد وما أصيبت به فرق الزيدية التي حدثت بعد زيد بن علي رضي الله عنه من بغض للصحابة ، ومن التحامل عليهم والقدح فيهم كل ذلك اكتسبوه وجاء إليهم من طريق الرافضة الذين رفضوا زيد بن علي حين خرج على هشام بن عبد الملك وخذلوه لما علموا وسمعوا أنه يتولى صديق الأمة وعمر الفاروق رضي الله عنهما ، هنا أعلنوا مخالفته وخذلانه ، وهو الذي أطلق عليهم اسم « الرافضة » ، ذلك أن زيداً رحمه الله لما رأى الخروج على هشام بن عبد الملك سنة اثنتين وعشرين ومائة بايعه على الإمامة « خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة وخرج بهم على والي العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقين ، فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له : إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب ، فقال زيد : إني لا أقول فيهما إلا خيراً ، وإنما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين ، وأغاروا على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار[1] ، ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم : رفضتموني ومن يومئذ سموا الرافضة »[2] .

وقد روى الحافظ ابن عساكر بإسناده إلى عيسى بن يونس[3] أنه سئل عن الزيدية والرافضة ، فقال : أما الرافضة فأول ما ترفضت جاءت إلى زيد بن

---

(١) كان ذلك في أيام عبد الملك بن مروان ، إذ أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي لحرب عبد الله بن الزبير في مكة فقذف الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير وصلبه . انظر تاريخ الأمم والملوك : ١٨٧/٦ ، الكامل : ٣٥٠/٤ – ٣٥١ ، البداية والنهاية : ٣٥٣/٨ .

(٢) الفرق بين الفرق ، ص : ٣٥ – ٣٦ .

(٣) هو : عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي أخو إسرائيل ، كوفي نزل الشام ، مرابط ، ثقة ، مأمون ، من الثالثة ، مات سنة سبع وثمانين وقيل سنة إحدى وتسعين . التقريب : ١٠٣/٢ ، تهذيب التهذيب : ٢٣٧/٨ .

علي حيث خرج ، فقالوا : تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نكون معك ، فقال : بل أتولاهما وأبرأ ممن يبرأ منهما ، قالوا : فإذن نرفضك فسميت الرافضة ، وأما الزيدية فقالوا : نتولاهما ونبرأ ممن يتبرأ منهما ، فخرجوا معه فسموا الزيدية[١] .

فالشيعة الزيدية الذين ينتسبون إلى زيد بن علي معتقدهم في الصحابة مشتمل على صواب وخطأ ، والصواب فيه أنهم يتولون الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويقولون : بتعديلهما ، والخطأ فيه أنهم يقولون : إن علياً رضي الله عنه أفضل الصحابة ، ويقولون بتقديمه على الشيخين مع أن علياً رضي الله عنه صرح للأمة جمعاء أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق[٢] ، بل وتوعد رضي الله عنه من جيء به إليه وهو يقول بتفضيله عليهما أن يحده حد المفتري[٣] ، ولم يخالفه أحد ممن كان معه على هذا المعتقد ، فقد كان المتقدمون من الشيعة الذين كانوا معه يقدمون عليه أبا بكر وعمر ويعتقدون ذلك كما كان يعتقده هو رضي الله عنه[٤] .

وقال الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر أن الزيدية هم الذين تابعوا زيد بن علي ، قال : « وفي مذهبهم حق وهو تعديلهم الشيخين ، وباطل وهو : اعتقاد تقديم عليّ عليهما ، وليس عليّ مقدماً عليهما بل ولا عثمان على أصح قولي أهل السنة »[٥] .

قلت : ليت الزيدية اقتصروا على ما ذكره الحافظ ابن كثير ، وإنما تجاوزوا ذلك حيث ابتلوا بالتحامل على طائفة من فضلاء الصحابة كأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبي موسى الأشعري ،

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق : ٢١/٦ – ٢٢ ، فوات الوفيات : ٣٦/٢ .
(٢) انظر صحيح البخاري : ٢٩١/٢ .
(٣) انظر تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، ص : ١٠١ .
(٤) انظر منهاج السنة : ١٧١/١ ، وانظر مجموع الفتاوى : ٣٤/١٣ .
(٥) البداية والنهاية : ٣٧١/٩ .

وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وغيرهم ، وذلك لأنهم تنكبوا طريقة زيد بن علي في أصحاب رسول الله ﷺ ، فقد كان رحمه الله أحد أئمة أهل السنة والجماعة ، وكان يتولى جميع أصحاب رسول الله ﷺ ويتبرأ ممن لم يتولهم ولم يعرف لهم قدرهم ويحفظ لهم مكانتهم ، وبسبب ذلك رفضته جماعة ممن كانوا معه في زمنه لما علموا أن عقيدته في الصحابة هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، نقضوا ما عاهدوه عليه فلم ينصروه بل تركوه وشهدوا عليه وعلى من اتبعه على رأيه من الزيدية بالكفر والفسق .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض بيانه أن زيداً رحمه الله كان من أهل السنة والجماعة « فليست ذرية فاطمة كلهم محرمين على النار ، بل منهم البر والفاجر والرافضة تشهد على كثير منهم بالكفر والفسق ، وهم أهل السنة منهم الموالون لأبي بكر وعمر كزيد بن علي بن الحسين بن علي وأمثاله من ذرية فاطمة رضي الله عنها ، فإن الرافضة رفضوا زيد بن علي ومن والاه وشهدوا عليه بالكفر والفسق »[1] .

فالرفض لم يظهر إلا حين خروج زيد بن علي بن الحسين بعد المائة الأولى ، لمّا أظهر الترحم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رفضته الرافضة « فسموا » رافضة واعتقدوا أن أبا جعفر هو الإمام المعصوم واتبعه آخرون فسموا زيدية نسبة إليه[2] .

وإلى ذكر طائفة من أقوال الإمام زيد بن علي في الخلفاء الراشدين لنبين أنه أحد أهل السنة والجماعة ، وليعلم من فرّط في حق الصحابة ممن انتسب إليه أنه مجانب لطريقته وأن عليه أن يراجع ما كان عليه زيد رحمه الله ليتدارك ما وقع فيه من الزلل .

فأقول : قد أخطأ من نسب إلى زيد رحمه الله أنه كان يرى أن علياً

---

(١) منهاج السنة : ١٢٦/٢ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ١٧٢ .

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية : ٤٩٠/٢٨ .

رضي الله عنه أفضل من الشيخين ، وأنه كان يجوِّز إمامتهما على أساس القول بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل[1] ، بل الثابت عنه أنه كان يعتقد أنهما الأفضل وأنهما كانا يستحقان الإمامة بذلك الفضل .

فقد روى الحافظ ابن عساكر عن آدم بن عبد الله الخثعمي وكان من أصحاب زيد ، قال : سألت زيداً عن قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ من هؤلاء ؟ ، قال : أبو بكر وعمر ، ثم قال : لا أنالني الله شفاعة جدي إن لم أوالهما .

وذكر عن كثير الكوفي ، أنه قال : سألت زيداً عن أبي بكر وعمر فقال : « تولهما » ، فقلت له : كيف تقول فيمن تبرأ منهما ؟ ، قال : « ابرأ منه حتى تموت »[2] .

وقال الذهبي رحمه الله تعالى : « وروى هاشم بن البريد عن زيد بن علي قال : كان أبو بكر رضي الله عنه إمام الشاكرين ، ثم تلا ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[3] ثم قال : « البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي »[4] .

ومن هذه النصوص عن زيد رحمه الله تعالى يتبين أنه كان يعرف للشيخين قدرهما ومالهما من المنزلة العظيمة ، إذ لا شك أن السبق في الإسلام والقرب من الباري جل وعلا - وشكره من أعلا مراتب الفضل للشيخين رضي الله عنهما .

وقد صرح زيد رحمه الله أنه متبع لأهل بيته الذين كانوا قبله فيما يعتقدونه نحو الشيخين من إثبات الأفضلية لهما وأحقية إمامتهما .

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني : ١٥٥/١ ، مقالات الإسلاميين : ١٣٧/١ .

(٢) تهذيب تاريخ دمشق : ٢١/٦ ، فوات الوفيات : ٣٦/٢ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٤٤ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ٣٩٠/٥ .

فقد ذكر ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : أنه عندما حصل الطعن في زمنه من الرافضة على أبي بكر وعمر منعهم من ذلك ، وقال لهم : « ما سمعت أحداً من أهل بيتي يذكرهما إلا بخير »[1] .

وقد روى البخاري رحمه الله تعالى بإسناده إلى محمد بن علي بن أبي طالب قال : قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ، قال : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ ، قال : ثم عمر ، وخشيت أن يقول عثمان ، قلت : ثم أنت ؟ ، قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين[2] .

ومن هذا يتبين أنه يبعد جداً أن زيداً رحمه الله يقول : إنه متبع لأهل بيته ويخالف جده علياً رضي الله عنه ، الذي يعتبر مقدَّم أهل البيت في هذا القول ، بل إن متقدمي الشيعة كانوا لا يختلفون في تفضيل أبي بكر وعمر رَضي الله عنهما ، ولم يخالفوا علياً في تصريحه بأفضلية الشيخين .

قال شريك بن عبد الله : « إن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر ، فقيل له : أتقول هذا وأنت من الشيعة ؟ ، فقال : كل الشيعة كانوا على هذا ، وهذا الذي قاله على أعواد منبره ، أفنكذبه فيما قال »[3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكانت الشيعة أصحاب علي يقدمون عليه أبا بكر وعمر وإنما كان النزاع في تقدمه على عثمان »[4] .

فإذا كانت الشيعة الأوائل تقول هذا وتعتقده فمن باب أولى أن يقول به زيد إذ هو أحد أهل السنة والجماعة الذين يعتقدون أفضلية الخلفاء الراشدين على حسب ترتيبهم في الخلافة .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ١٨٠/٧ .

(٢) صحيح البخاري : ٢٩١/٢ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٣٤/١٣ .

(٤) منهاج السنة : ١٧١/١ ، وانظر مجموع الفتاوى : ٣٥/١٣ - ٣٦ .

وقد نقل البيهقي عن الإمام الشافعي إجماع الصحابة والتابعين على أفضلية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على سائر الصحابة حيث قال : « لم يختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتقديمهما على جميع الصحابة »[1] .

وقد أيد هذا الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله بعد ذكره له : « وما علمت من نقل عنه في ذلك نزاع من أهل الفتيا إلا ما نقل عن الحسن ابن صالح بن حي أنه كان يفضل علياً ، وقيل : إن هذا كذب عليه ، ولو صح هذا عنه لم يقدح فيما نقله الشافعي رضي الله عنه من الإجماع ، فالحسن بن صالح بن حي لم يكن من الصحابة ولا التابعين[2] .

أما زيد بن علي رحمه الله تعالى فهو أحد التابعين ، وبذلك يكون رأيه هو رأيهم ، وهو أن الشيخين أفضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ ، ولم ينقل عن زيد أنه خرق هذا الإجماع أو خالفه ، بل لم ينقل عن أحد من أهل البيت رضوان الله عليهم مخالفة الإجماع .

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « والنقل الثابت عن جميع علماء أهل البيت من بني هاشم من التابعين وتابعيهم من ولد الحسين بن علي وولد الحسن وغيرهما ، أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر ، وكانوا يفضلونهما على علي والنقول عنهم ثابتة متواترة » اهـ[3] .

وزيد بن علي رحمه الله تعالى واحد من علماء أهل بيت النبوة الذين يعتقدون صحة هذا الإجماع ، ويقولون به ، إذ هو من أبناء الحسين بن علي ومن فضلاء التابعين رحمة الله عليهم أجمعين .

---

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة : ٧٧/٤ .
(٢) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة : ٧٧/٤ .
(٣) المصدر السابق : ١٠٥/٤ .

فالذي يتضح مما تقدم ذكره أن الإمام زيد بن علي كان يرى أن أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ولم يقل إن علياً أفضل الصحابة رضي الله عنهم ، وإنما كان مقتفياً ما كان عليه أهل بيته وفي مقدمتهم أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي أعلن للأمة المحمدية أن أفضل الناس بعد المصطفى ﷺ الصديق ، ثم الفاروق ، وعلى هذا المعتقد تتابع علماء أهل البيت قاطبة ، ولم يشذ أحد منهم عن هذه العقيدة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن موقف زيد بن علي من الخليفة الثالث ذي النورين عثمان لم يختلف عن موقفه من أبي بكر وعمر ، وإنما كان موالياً لعثمان مترضياً عليه ، رافضاً للبراءة منه ، بل كان يقرنه بأبي بكر وعمر وعلي ، ولم يكن متوقفاً فيه كما يرى ذلك بعض المتأخرين[1] .

فقد روى الخطيب البغدادي بإسناده إلى زيد رحمه الله أنه قال : « البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان البراءة من علي والبراءة من علي البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان »[2] .

وروى الحافظ ابن عساكر بإسناده إلى السدي ، قال : أتيته – أي زيد – وهو في بارق حي من أحياء الكوفة ، فقلت له : أنتم سادتنا ، وأنتم ولاة أمورنا فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ ، فقال : تولهما ، وكان يقول : البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان البراءة من علي ، والبراءة من علي البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان ، وفي رواية : البراءة من أبي بكر وعمر البراءة من علي ، فإن شئت فتقدم ، وإن شئت فتأخر »[3] .

وقال محمود شكري الألوسي في صدد ذكره للقاء زيد بن علي بمن أراد

---

(١) ذكر هذا أبو زهرة في كتابه « الإمام زيد » ، ص : ١٨٩ ، ولم يذكر له سلفاً في هذا القول .

(٢) تاريخ بغداد : ٨٩/٢ .

(٣) تاريخ تهذيب دمشق : ٢١/٦ .

قتالهم « فلما جد الأمر وحان القتال أنكروا إمامته بسبب أنه لم يتبرأ من الخلفاء الثلاثة ، فتركوه في أيدي الأعداء ودخلوا به الكوفة واستشهد وعاد رَزء الحسين وكنا بواحد فصرنا باثنين » اهـ[1] .

وبما رواه الخطيب البغدادي وابن عساكر وما قاله الألوسي تبين أن الإمام زيد بن علي لم يختلف موقفه في عثمان عن موقفه من أبي بكر وعمر ، فقد كان رحمه الله مثبتاً فضل الخلفاء الراشدين الذين كانوا قبل علي رضي الله عنه وكان موالياً لهم ومنكراً غاية الإنكار على من حاول الإزراء بهم والحط من قدرهم وأنه كان يرتبهم في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة .

وبعد أن حصل التميز بين رأي زيد رحمه الله وبين رأي المنتسبين إليه من الفرق في أصحاب رسول الله ﷺ اتضح لنا أن موقف زيد بن علي من أصحاب رسول الله ﷺ هو موقف أهل السنة والجماعة ومعتقدهم ، ولم يخرج عنه قيد أنملة ، وقد تبرأ رحمه الله من كل من لم يوال الخلفاء الثلاثة وأوصى غيره بأن يتبرأ ممن يتبرأ من الشيخين حتى الموت كما تقدم قريباً في جوابه على سؤال كثير الكوفي في ذلك وبناء على ما ثبت عنه في ذلك فإنه بريء كل البراءة من الجارودية المعتقدين كفر وضلال الناس بناء على حجتهم التي هي أوهى من بيت العنكبوت ، وهي دعواهم أن الرسول ﷺ نص على علي بالوصف لا بالتسمية وتركوا الاقتداء به ، إذ هو الإمام من بعد الرسول ﷺ ، وهذا الاعتقاد زيد بريء منه وأعلن البراءة من معتقديه قبل وجودهم ، كما هو بريء رحمه الله من السليمانية الذين يعتقدون كفر عثمان بسبب ما نقم عليه وكفر أم المؤمنين عائشة والزبير وطلحة بحجة أنهم أقدموا على قتال علي .

وكذا هو بريء من فرقة الصالحية الذين يعتقدون بأن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأنه الأولى بالإمامة بعده ، ويقولون إنهم

---

(١) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٦٣ .

متوقفون في عثمان وفي قاتليه الظلمة ، فزيد بن علي رضي الله عنه بريء من معتقدات الفرق المتقدم ذكرها في الصحابة ، وأن معتقداتهم الخاطئة في الصحابة اكتسبوها من الرافضة الذين هم من أشد الناس عداوة لزيد بن علي رحمه الله تعالى ورضي عنه ، فالذين يخالفون زيداً في عقيدته في الصحابة الكرام رضي الله عنهم ويدعون أنهم زيدية هؤلاء ليس لهم مما كان عليه زيد إلا مجرد النسبة ، وإنما يقال لهم زيدية لكونهم قالوا : « بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي في وقته وإمامة ابنه يحيى بن زيد في وقته »[1] .

ولم يتبرأ زيد بن علي رحمه الله تعالى ممن خالف عقيدته في الصحابة وحده فحسب ، بل إن من المنتسبين إليه حقيقة تبرأ من كل أحد ادعى أنه زيدي ، وخالف معتقد زيد في الصحابة ، ونذكر من ذلك كلام أحد كبار أئمة الزيدية في اليمن ، وهو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة[2] ، فقد ذكر يحيى بن أبي بكر العامري في كتابه « الرياض المستطابة » أنه وقف على كلام للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة في كتاب له اسمه « جواب المسائل التهامية » قال : « فإنه رضي الله عنه أثنى عليهم على الإجمال وعدد مزاياهم على غيرهم » ثم قال : « فهم خير الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعده فرضي الله عنهم وجزاهم عن الإسلام خيراً ، ثم قال : فهذا مذهبنا لم نخرجه غلطة ولم نكتم سواه تقية ، ومن هو دوننا مكاناً وقدرة يسب ويلعن ويذم ويطعن ونحن إلى الله — سبحانه — من فعله براء ، وهذا ما يفضي به علم آبائنا منا إلى علي كرم الله وجهه ... إلى قوله : « وفي هذه الجهة من يرى محض الولاء سب الصحابة

---

(١) التبصير في الدين للإسفراييني ، ص : ٢٩ ، وانظر الفرق بين الفرق ، ص : ٣٤ — ٣٥ .

(٢) هو : عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة أحد أئمة الزيدية في اليمن ومن علمائهم وشعرائهم ، بويع له سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، واستولى على صنعاء وذمار ، وكانت وفاته سنة أربع عشرة وستمائة هجرية . انظر ترجمته في كتاب بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام ، ص : ٤٣ ، الأعلام للزركلي : ٢١٣/٤ .

رضي الله عنهم والبراء منهم ، فيبرأ من محمد صلى الله عليه وآله وسلم من حيث لا يعلم ، وأنشد :

وإن كنت لا أرمي وترمي كنانتي تصب جائحات النبل كشحي ومنكبي[1]

ففي كلام هذا الإمام بيان واضح أن من كان صادقاً في انتسابه إلى مذهب زيد أنه يترضى على الصحابة عموماً ، ويواليهم جميعاً ولا يتوقف في أحد منهم وأن من لم يكن على هذا فهو خارج عن مذهب زيد رحمه الله تعالى ، ومجانب لطريقة أهل البيت جميعاً وأن من سل لسانه بالسب لخيار الأمة وتبرأ منهم فقد بريء من محمد بن عبد الله ﷺ من حيث لا يشعر .

ومما هو جدير بالتنبيه عليه أن الإمام زيد بن علي رحمه الله تعالى لم يكن يرى حصر الإمامة في أولاد فاطمة ، ولم يكن خروجه على هشام بن عبد الملك من أجل المطالبة بحق أهل البيت في الإمامة كما تعتقده الرافضة ، وإنما كان خروجه من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان أيضاً رحمه الله متأولاً في خروجه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن زيد بن علي بن الحسين لما خرج في خلافة هشام وطلب الأمر لنفسه كان ممن يتولى أبا بكر وعمر فلم يكن قتاله على قاعدة من قواعد الإمامة التي يقولها الرافضة » اهـ[2] وأهم قاعدة لدى الرافضة هي حصر الإمامة في أهل البيت .

وقال الذهبي رحمه الله تعالى مبيناً الدافع لخروج الإمام زيد على هشام بن عبد الملك : « خرج متأولاً وقتل شهيداً وليته لم يخرج » اهـ[3] .

ومما يجدر التنبيه عليه أيضاً : أن الإمام زيد بن علي لم يكن منكراً على

---

(١) الرياض المستطابة ، ص : ٣٠٠ .
(٢) منهاج السنة : ٢٢٧/٣ .
(٣) سير أعلام النبلاء : ٣٩١/٥ .

الشيعة الإمامية معتقدهم السيء في الصحابة فحسب ، بل كان منكراً لجميع معتقداتهم المنكرة من القول بالعصمة والمهدية والرجعة والتقية للإمام ونسبة العلم اللدني إليه[1] .

ولا يلتفت إلى ما رواه الحافظ ابن عساكر بإسناده إلى زيد بن علي أنه كان يقول : « المعصومون منا خمسة : رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين »[2] ، فعند الرجوع إلى سند هذه الرواية اتضح عدم صحة سندها إلى زيد بن علي رحمه الله تعالى ، حيث إن فيها محمد بن عمر الجعابي[3] وهاشم بن البريد[4] وهما شيعيان ، ومما هو معلوم ومقرر عند علماء مصطلح الحديث أن الثقة صاحب البدعة مقبول الحديث « إلا إن روى ما يقوي بدعته ، فيرد على المختار »[5] ، ورواية هذين هنا من هذا القبيل فترد .

فزيد رحمه الله أحد أهل السنة والجماعة وأهل السنة لا يعتقدون ولا يقولون بعصمة أحد غير النبي ﷺ ، وإنكار زيد للمعتقدات التي ابتلي بها الشيعة الإمامية أثبته الزيدية والإمامية معاً .

قال الدهلوي : « وكان زيد بن علي منكراً لجميع معتقدات الإمامية كما روى الزيدية والإمامية معاً إنكاره »[6] .

* ٤ - الشيعة الاثنا عشرية :

تعتبر الشيعة الاثنا عشرية أكثر فرق الشيعة انتشاراً في هذا الزمن ويليهم في هذا الزيدية ، ثم الإسماعيلية ، فالنصيرية .

---

(١) انظر كتاب الإمام زيد المفترى عليه ، ص : ٢٣١ - ٢٣٩ .

(٢) تهذيب تاريخ دمشق الكبير : ٢٢/٦ .

(٣) قال عنه الخطيب البغدادي: «كان كثير الغرائب ومذهبه في التشيع معروف» اهـ. تاريخ بغداد: ٢٦/٣.

(٤) قال عنه الإمام أحمد : « ثقة وفيه تشيع قليل » . وقال عنه العجلي : « كوفي ثقة إلا أنه يترفض » . تهذيب التهذيب : ١٧/١٠ .

(٥) نزهة النظر ، ص : ٥١ .

(٦) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ١٩٨ .

وللشيعة الاثنا عشرية أسماء كثيرة تميزوا بها بين الناس ، ومن تلك الأسماء أنه يطلق عليهم اسم : « الإمامية » لكونهم يقولون بوجوب الإمامة بالنص الظاهر والتعيين الصادق .

قال الشهرستاني : الإمامية هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه الصلاة والسلام نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف ، بل إشارة إليه بالعين ، قالوا : وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة ، فإنه إنما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق ، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملاً ، يرى كل واحد منهم رأياً ويسلك كل واحد منهم طريقاً لا يوافقه في ذلك غيره ، بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه ، وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه(١) .

ويطلق عليهم : « الجعفرية » لادعائهم أن مذهبهم هو مذهب جعفر الصادق ، ومن أسمائهم التي عرفوا بها اسم « الرافضة » ، وهم يكرهون إطلاق هذا الاسم عليهم .

قال صاحب كتاب « أعيان الشيعة » إن هذا الاسم : « لقب ينبز به من يقدم علياً عليه السلام في الخلافة ، وأكثر ما يستعمل للتشفي والانتقام »(٢) . لكن ذكر الكليني رواية في كتابه « الكافي » ما يدل على أنهم راضون بهذا اللقب ، ويفترون على الله أنه خلع عليهم هذا الاسم :

قال الكليني : عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني : ١٦٢/١ ، وانظر دعوى الشيعة في التنصيص بالإمامة على علي وغيره من الأئمة الاثني عشر . الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف : ١٧٢/١ - ١٧٨ ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للعاملي : ١/٢ - ٤٠ ، حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبر : ١٤١/١ - ١٤٤ .

(٢) أعيان الشيعة : « لمحسن الأمين » : ٢٠/١ .

سليمان عن أبيه ، قال : كنت عند أبي عبد الله « ع » إذ دخل عليه أبو بصير وقد خفره[1] النفس ، فلما أخذ مجلسه قال أبو عبد الله عليه السلام يا أبا محمد ما هذا النفس العالي ؟ ، قال : جعلت فداك يا ابن رسول الله كبر سني ودق عظمي واقترب أجلي مع أنني لست أدري ما أرد عليه من أمر آخرتي ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا محمد وإنك لتقول هذا ؟ قال : جعلت فداك وكيف لا أقول هذا ؟ فقال : يا أبا محمد أما علمت أن الله تعالى يكرم الشباب منكم ويستحي من الكهول ، قال : قلت : جعلت فدائك فكيف يكرم الشباب ويستحي من الكهول ؟ ، فقال : يكرم الله الشباب أن يعذبهم ويستحي من الكهول أن يحاسبهم ، قال : قلت : جعلت فداك هذا لنا خاصة أم لأهل التوحيد ؟ ، قال : فقال : لا والله إلا لكم خاصة دون العالم ، قال : قلت : جعلت فداك فإنا قد نبزنا نبزاً انكسرت له ظهورنا ، وماتت له أفئدتنا واستحلت له الولاة دماءنا في حديث رواه لهم فقهاؤهم ، قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : الرافضة ؟ ، قال : قلت نعم ، قال : لا ، والله ما هم سموكم ، ولكن الله سماكم به ، أما علمت يا أبا محمد أن سبعين رجلاً من بني إسرائيل رفضوا فرعون وقومه لما استبان لهم ضلالهم فلحقوا بموسى عليه السلام لما استبان لهم هداه فسموا في عسكر موسى الرافضة لأنهم رفضوا فرعون ، وكانوا أشد أهل ذلك العسكر عبادة ، وأشدهم حباً لموسى وهارون وذريتهما عليهما السلام ، فأوحى الله – عز وجل – إلى موسى عليه السلام أن اثبت لهم هذا الاسم في التوراة ، فإني قد سميتهم به ونحلتهم إياه ، فأثبت موسى عليه السلام الاسم لهم ، ثم ذخر الله – عز وجل – لكم هذا الاسم حتى نحلكموه يا أبا محمد رفضوا الخير ورفضتم الشر[2] .

هذا غاية في الوقاحة وغاية في عدم المبالاة بالافتراء على الله وعلى خلقه

---

(١) كذا في الكافي ، ولعلها «حفزه» .

(٢) فروع الكافي : ٢٨/٨ ، حديث رقم (٦) من كتاب الروضة .

وقد تقدم معنا أن الذي سماهم بهذا الاسم هو الإمام زيد بن علي رحمه الله تعالى لما اختبروه في عقيدته في الشيخين فأخبرهم أنه يتولاهما ويبرأ ممن تبرأ منهما عند ذلك رفضوه ، ورفضوا خلافة الشيخين رضي الله عنهما فسماهم « الرافضة » .

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى : « وإنما سموا الرافضة لرفضهم امامة أبي بكر وعمر » اهـ[1] .

ومن الأسماء التي اشتهروا بها اسم « الاثنى عشرية » لقولهم واعتقادهم بإمامة اثنى عشر إماماً وهم على هذا الترتيب عندهم :

(١) أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . (٢٣ ق . هـ - ٤٠هـ)

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . (٣ - ٥٠ هـ)

(٣) الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . (٤ - ٦١ هـ)

(٤) على زين العابدين بن الحسين بن علي . (٣٨ - ٩٥ هـ)

(٥) محمد الباقر بن علي . (٥٧ - ١١٤هـ)

(٦) جعفر الصادق بن محمد . (٨٣ - ١٤٨هـ)

(٧) موسى الكاظم بن جعفر . (١٢٨ - ١٨٣هـ)

(٨) علي بن موسى الرضا . (١٤٨ - ٢٠٣هـ)

(٩) أبو جعفر محمد بن علي « الجواد » . (١٩٥ - ٢٢٠هـ)

(١٠) أبو الحسن علي بن محمد « الهادي » . (٢١٢ - ٢٥٤هـ)

(١١) أبو محمد الحسن بن علي « العسكري » . (٢٣٢ - ٢٦٠هـ)

(١٢) أبو القاسم محمد بن الحسن « المهدي » (٢٥٦ - ٠٠٠)[2]

هؤلاء هم الأئمة الاثنا عشر عند الشيعة الإمامية وللشيعة في هؤلاء الأئمة

---

(١) مقالات الإسلاميين : ٨٩/١ .

(٢) انظر كتاب « الإرشاد » للمفيد ، وانظر عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر ، ص : ٦٢ - ٦٣ ، الأنوار الوضية في العقائد الرضوية : ص : ٤٤ - ٤٧ . وانظر كتاب عيون المعجزات لحسين عبد الوهاب ، ص : ١٨ - ١٤٦ .

معتقدات كلها غلو وإطراء اختلقوها لهم من عند أنفسهم ومن معتقداتهم فيهم أنهم معصومون « من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً ، كما يجب أن يكونوا معصومين من السهو والخطأ والنسيان لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي »[1] ، ثم لم يقتصروا على هذا المعتقد فيهم بل تجاوزوه ووصفوهم بصفات تجاوزوا فيها الحدود ، ويكفينا منها هنا على سبيل المثال كلام ثلاثة أشخاص منهم :

أولهم : الكليني مؤلف كتاب الكافي ، وهو أعظم كتاب عندهم إذ هو بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة ، فقد عقد في هذا الكتاب المسمى « أصول الكافي » عدة أبواب أورد فيها أحاديث من أحاديثهم كلها تضمنت غلوهم الممقوت في أولئك الأئمة ، ونكتفي بذكر طائفة من تلك الأبواب للعلم بمدى ما وصل إليه الرافضة من السقوط بسبب الغلو الذي كان سبباً في هلاك الماضين من الأمم ، وتلك الأبواب هي :

« باب أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه »[2] ، « باب أن الأئمة هم أركان الأرض »[3] ، باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف أدلتها »[4] ، « باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة »[5] ، « باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل »[6] ، « باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم »[7] ، « باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون

---

(١) عقائد الإمامية « لمحمد رضا المظفر » ، ص : ٥١ .

(٢) الأصول من الكافي : ١٩٢/١ .

(٣) الأصول من الكافي : ١٩٦/١ .

(٤) الأصول من الكافي : ٢٢٧/١ .

(٥) الأصول من الكافي : ٢٢٨/١ .

(٦) الأصول من الكافي : ٢٥٥/١ .

(٧) الأصول من الكافي : ٢٥٨/١ .

وأنه لا يخفى عليهم الشيء[1] ، « باب أن الله لم يعلّم نبيه علماً إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين وأنه كان شريكه في العلم »[2] ، « باب أن الأئمة لو ستر عليهم لأخبروا كل امريء بما له وعليه »[3] ، « باب أن الإمام يعرف الإمام الذي يكون من بعده »[4] ، « باب في أن الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يسألون البينة »[5] ، باب أنه ليس شيء من الحق في أيدي الناس إلا ما خرج من عند الأئمة وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل[6] .

ثانياً : قول المجلسي الذي يعد من كبار علمائهم ، فقد قال : « وبالجملة لابد لنا من الإذعان بعدم كونهم – أي الأئمة – أنبياء وأنهم أفضل وأشرف من جميع الأنبياء سوى نبينا ﷺ ومن سائر الأولياء ولا نعرف سبباً لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية جلالة خاتم الأنبياء ﷺ ولا تصل عقولنا إلى فرق بين النبوة والإمامة »[7] .

ومن هنا يزعمون أن عصمة الأئمة فوق عصمة الأنبياء ، لأنهم أعلا درجة منهم[8] .

ثالثاً : قول زعيم الشيعة في هذا العصر ، ومرجعهم الأعلى وآيتهم العظمى وهو الخميني ، فقد قال في كتابه الحكومة الإسلامية الذي هو عبارة عن دروس فقهية ألقاها على طلاب علوم الدين في النجف ، قال : « فإن للإمام مقاماً محموداً

---

(١) الأصول من الكافي : ١/٢٦٠ .
(٢) الأصول من الكافي : ١/٢٦٣ .
(٣) الأصول من الكافي : ١/٢٦٤ .
(٤) الأصول من الكافي : ١/٢٧٦ .
(٥) الأصول من الكافي : ١/٣٩٧ .
(٦) الأصول من الكافي : ١/٣٩٩ .
(٧) مرآة العقول للمجلسي : ٢/٢٨٩ ، وانظر حق اليقين لعبد الله شبر : ١/٢٠٩ .
(٨) انظر مجمع النورين وملتقى البحرين ، لأبي الحسن النجفي ، ص : ١٧ .

ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها جميع ذرات هذا الكون ، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل – إلى أن قال – وقد ورد عنهم أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب، ولا نبي مرسل ، ومثل هذه المنزلة موجودة لفاطمة الزهراء عليها السلام لا بمعنى أنها خليفة أو حاكمة أو قاضية، فهذه المنزلة شيء آخر وراء الولاية والخلافة والإمرة ، وحين نقول : إن فاطمة (ع) لم تكن قاضية أو حاكمة أو خليفة ، فليس يعني ذلك تجردها عن تلك المنزلة المقربة كما لا يعني ذلك أنها امرأة عادية من أمثال ما عندنا » اهـ[1] .

هذه ثلاثة نماذج تبين ما وصل إليه الرافضة من الغلو الممقوت في الأئمة الاثنى عشر ، فقد غلوا فيهم بما يباين المعقول ، ويخالف المنقول ويناقض الأصول ، والأئمة الذين قالوا فيهم ما تقدم ذكره وما لم يذكر هنا هم منه براء ، وهم بريئون أيضاً ممن تقوَّله لهم ، أو عليهم ، فأهل البيت رضوان الله عليهم ما ورد لهم من الفضل محفوظ في كتاب الله تعالي وفي سنة رسوله ﷺ ، وقد بين الله ورسوله – ﷺ – منزلتهم التي يستحقونها ، علم ذلك أهل العلم والإيمان من أهل السنة والجماعة وتنكَّب ذلك من أشرب قلبه بالغلو واطمأن إلى الروايات المختلقة المكذوبة من الشيعة الرافضة ، فلم يعرفوا لهم مكانتهم ، ولم ينزلوهم منزلتهم ، بل نسبوا إليهم ما يشينهم .

ولم يعرف ما لهؤلاء الأئمة من الحق والتكريم وإنزالهم منزلتهم التي يستحقونها إلا أهل السنة والجماعة ، فقد قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى مبيناً عقيدة أهل الحق فيهم : « فمولانا الإمام علي : من الخلفاء الراشدين المشهود لهم بالجنة رضي الله عنه ، نحبه أشد الحب ولا ندعي عصمته ولا عصمة أبي بكر الصديق، وابناه الحسن والحسين : فسبطا رسول الله ﷺ وسيدا شباب أهل الجنة،

(١) الحكومة الإسلامية ، ص : ٥٢ – ٥٣ .

لو استخلفا لكانا أهلاً لذلك .

وزين العابدين كبير القدر من سادة العلماء العاملين يصلح للإمامة .

وكذلك ابنه أبو جعفر الباقر سيد إمام فقيه يصلح للخلافة .

وكذلك ولده جعفر الصادق : كبير الشأن من أئمة العلم ، كان أولى بالأمر من أبي جعفر .

وكان ولده موسى : كبير القدر ، جيد العلم ، أولى بالخلافة من هارون وله نظراء في الشرف والفضل .

وابنه علي بن موسى الرضا : كبير الشأن له علم وبيان ووقع في النفوس صيره المأمون ولي عهده لجلالته ، فتوفي سنة ثلاث ومائتين .

وابنه محمد الجواد : من سادة قومه ، لم يبلغ رتبة آبائه في العلم والفقه .

وكذلك ولده المقلب بالهادي : شريف جليل .

وكذلك ابنه الحسن بن علي العسكري رحمهم الله تعالى[1] .

وأما عن الإمام الثاني عشر ، فقال فيه : « ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخلف الحجة وأنه صاحب الزمان ، وأنه صاحب السرداب بسامراء وأنه حي لا يموت حتى يخرج فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً ، فوددنا ذلك - والله - وهم في انتظاره من أربع مئة وسبعين سنة[2] ومن أحالك على غائب لم ينصفك ، فكيف بمن أحال على مستحيل ؟ والإنصاف عزيز فنعوذ بالله من الجهل والهوى »[3] .

وبعد التعريف بأهم فرق الشيعة كما تقدم نقول إن الشيعة الإمامية طعنوا على الصحابة الكرام بمطاعن قبيحة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين كما سنرى ذلك في المباحث الآتية : -

---

(١) سير أعلام النبلاء : ١٣/١٢٠ - ١٢١ .

(٢) المراد زمان الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨هـ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ١٣/١٢٠ .

★ المبحث الرابع ★

رد أهل السنة على مطاعن الشيعة الإمامية في الصحابة على سبيل العموم

إن الرافضة وقفوا من الصحابة موقفاً لم ترضه اليهود في أصحاب موسى ولم ترضه النصارى في أصحاب عيسى ، فلقد اجترءوا على الصحابة الكرام وتناولوهم بالطعن والقدح المشين استجابة منهم بذلك إلى سلوك غير سبيل المؤمنين فيهم فلهم مطاعن في الصحابة على وجه العموم ، ولهم مطاعن في أفراد منهم على وجه الخصوص ، وذلك كالخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كما سيأتي ذكر هذا ورده في المباحث التي ستأتي بعد هذا المبحث الذي سنقتصر فيه على ذكر بعض مطاعنهم التي شملوا بها جميع الصحابة .

فمن مطاعنهم في الصحابة عموماً أن أكثرهم انفضوا عن رسول الله ﷺ إلى العير التي جاءت من الشام وتركوه وحده في خطبة الجمعة وتوجهوا إلى اللهو واشتغلوا بالتجارة وذلك دليل على عدم الديانة[1] .

والرد على هذا أن هذه القصة حصلت في بداية زمن الهجرة ولم يكونوا رضي الله عنهم قد علموا جميع الآداب الشرعية وكان قد أصاب أهل المدينة جوع فغلب على ظنهم أن الإبل التي جاءت محملة بالميرة[2] لو ذهبت يزيد الغلاء ويعم البلاء ، ثم لم ينفضوا جميعهم بل كبار الصحابة كأبي بكر وعمر كانوا قائمين

---

(١) انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٧١ - ٢٧٢ ، وانظر كتاب الصافي في تفسير القرآن : ٧٠١/٢ ، تفسير القمي : ٣٦٧/٢ ، مجمع البيان للطبرسي : ٢٨٧/٥ ، ٢٨٩ ، تفسير فرات الكوفي ، ص : ١٨٥ .

(٢) الميرة : هي الطعام الذي يجلب من بلد إلى بلد آخر . انظر مختار الصحاح ، ص : ٦٤٠ ، المصباح المنير : ٥٨٧/٢ .

عنده ﷺ كما ثبت في الأحاديث الصحيحة ولذا لم يشنع على الذين خرجوا عند وصول القافلة التجارية إلى المدينة ، ولم يتوعدهم الله سبحانه بعذاب ولم يعتب عليهم المصطفى ﷺ[1] .

قال الألوسي رحمه الله مبيناً طعن الشيعة على الصحابة بقوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ الآية[2] ، وبيان بطلان ذلك حيث قال عند هذه الآية : « وطعن الشيعة بهذه الآية الصحابة رضي الله تعالى عنهم بأنهم آثروا دنياهم على آخرتهم حيث انفضوا إلى اللهو والتجارة ورغبوا عن الصلاة التي هي عماد الدين وأفضل كثير من العبادات لا سيما مع رسول الله ﷺ وروى أن ذلك قد وقع مراراً منهم ، وفيه أن كبار الصحابة كأبي بكر وعمر[3] وسائر العشرة المبشرة لم ينفضوا والقصة كانت في أوائل زمن الهجرة ولم يكن أكثر القوم تام التحلي بحلية آداب الشريعة بعد وكان قد أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر، فخاف أولئك المنفضون اشتداد الأمر عليهم بشراء غيرهم ما يقتات به لو لم ينفضوا ولذا لم يتوعدهم الله تعالى على ذلك بالنار أو نحوها بل قصارى ما فعل- سبحانه- أنه عاتبهم ووعظهم ونصحهم ، ورواية أن ذلك وقع منهم مراراً إن أريد بها رواية البيهقي في شعب الإيمان عن مقاتل بن حيان أنه قال: بلغني والله تعالى أعلم أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات ، فمثل ذلك لا يلتفت إليه، ولا يعول عند المحدثين عليه وإن أريد بها غيرها فليبين ولتثبت صحته، وأنى بذلك؟، وبالجملة الطعن بجميع الصحابة لهذه القصة التي كانت من بعضهم في أوائل أمرهم وقد عقبها منهم عبادات؟ لا تحصى سفه ظاهر وجهل وافر» اهـ[4].

---

(١) انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٧٢ .

(٢) سورة الجمعة ، آية : ١١ .

(٣) انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٧٢ .

(٤) روح المعاني للألوسي : ١٠٧/٢٨ ، ورواية البيهقي المشار إليها أوردها السيوطي في الدر : ١٦٦/٨ ، ولم يعزها لغيره .

ورد آخر على هذه القصة أنه ورد في بعض الأخبار أنها وقعت لما كان النبي ﷺ يقدم الصلاة على الخطبة يوم الجمعة .

قال الحافظ ابن كثير : « ولكن ههنا شيء ينبغي أن يعلم وهو : أن هذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل[1] .

فلا مطعن على الصحابة بما حصل منهم في أوائل زمن الهجرة حيث لم يزالوا حينها في بداية تعلم الآداب الشرعية وأيضاً لم ينفضوا جميعهم بل إن عظماء الصحابة كالعشرة المبشرة بالجنة لم يخرجوا بل لزموا النبي ﷺ ، فطعن الشيعة على الصحابة بهذا كله هراء وهذيان لا يقبله من نوّر الله قلبه بنور الإيمان .

ومن مطاعنهم في جميع الصحابة أنهم يعتقدون فيهم أنهم ارتدوا بعد وفاة رسول الله ﷺ بدعوى أنهم جحدوا النص على إمامة علي ، وبايعوا غيره بالخلافة ولم يستثنوا منهم بعد علي وبعض أهل البيت - إلا سلمان الفارسي وأبا ذر والمقداد ابن الأسود وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وأبو الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وأبو أيوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت وأبو سعيد الخدري[2] ، وبعض الشيعة يرى أن الطيبين من أصحاب رسول الله ﷺ أقل عدداً من هؤلاء .

فقد روى الكليني بسنده إلى أبي جعفر أنه قال : ارتد الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة هم المقداد وسلمان وأبو ذر[3] .

وروى أيضاً : عن عبد الرحمٰن القصير قال : قلت لأبي جعفر : إن الناس

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ١٣/٧ - ١٤ ، وانظر الخبر في كتاب المراسيل لأبي داود ، ص : ١٠٥ ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » : ١٦٥/٨ - ١٦٦ ، ونسبها إلى أبي داود فقط .

(٢) انظر الإرشاد للمفيد، ص ٩، حق اليقين لعبد الله شبر، ص: ٢١٥، رجال الكشي، ص: ١٢ - ١٣.

(٣) الأصول من الكافي الرواية رقم (٣٤١) .

يفزعون إذا قلنا : إن الناس ارتدوا ، فقال : يا عبد الرحمٰن إن الناس عادوا بعدما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أهل جاهلية إن الأنصار اعتزلت فلم تعتزل بخير جعلوا يبايعون سعداً وهم يرتجزون ارتجاز الجاهلية[1] .

وروى أيضاً : بسنده عن حمران بن أعين قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك فما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها ؟ ، فقال : ألا أحدثك بأعجب من ذلك المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا – وأشار بيده – إلا ثلاثة ، قال حمران : فقلت : جعلت فداك ما حال عمار ؟ ، قال : رحم الله عماراً أبا اليقظان بايع وقتل شهيداً[2] .

هذا أخبث معتقد للشيعة الإمامية في أصحاب رسول الله ﷺ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

والرد على هذا المعتقد الفاسد أن مضمونه التكذيب بالمحكم من آيات الكتاب العزيز التي شهد الله لهم فيها بما وقر في قلوبهم ، من حقيقة الإيمان وشهادة الله – عز وجل – للصحابة الكرام بالإيمان الصادق ليست شهادة قاصرة على الحياة الدنيا بل امتدت حتى شملت حسن الخاتمة بالموت على ذلك وما يستتبعه من وعده – تعالى – لهم بالمغفرة والرضوان وحسن المثوبة في الجنان .

قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[3] .

ففي هذه الآية إخبار من الله – عز وجل – عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاهم بما أعده لهم من جنات النعيم

---

(١) الأصول من الكافي ، الرواية رقم (٤٥٥) .

(٢) الأصول من الكافي : ٢/٢٤٤ .

(٣) سورة التوبة ، آية : ١٠٠ .

وهذا يعني الموت على الإيمان بشهادة محكم القرآن فأين من الإيمان بالقرآن من يسبون من رضي الله عنهم ووعدهم بجنة الخلد وفوز الأبد .

وقال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(1) .

وفي هذه الآيات شهد الله لأصحاب نبيه ﷺ الذين آمنوا ، وشرفوا بالهجرة والجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم بالفوز وعظيم الدرجات ، وبشرهم برحمة منه ورضوان وبالنعيم المقيم في الجنات فهل هذه الشهادة وهذه البشارة تكون لقوم علم الله أنهم سيرتدون من بعد عن دينهم ويموتون وهم كفار ؟ ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقال تعالى : ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(2) .

وفي هاتين الآيتين وعد من الله – جل وعلا – لرسوله وللذين آمنوا معه بالخيرات والدرجات العلى في جنات الفردوس ، فهل يكون هذا الوعد لقوم علم الله أنهم سيرتدون على أعقابهم بعد موت النبي ﷺ ؟ وهل كان هؤلاء ثلاثة أشخاص ، أو عشرة كما يزعم الزاعمون أم أنهم جيوش تحقق بهم نصر الله وتمكن من مواجهة جيوش دولة الروم التي كانت في زمنهم أقوى وأعظم دولة على وجه الأرض ؟ .

---

(1) سورة التوبة ، آية : ١٩ – ٢٢ .

(2) سورة التوبة آية : ٨٨ – ٨٩ .

وقال تعالى : ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

وفي هذه الآية إخبار من الرب - جل وعلا - أنه أكرم أصحاب نبيه وأنزلهم منزلة عالية حيث قرن بينهم وبين نبيهم في التوبة وهؤلاء هم الصحابة الذين خرجوا معه في غزوة تبوك وكان عددهم أكثر من ثلاثين ألفاً[2] ، فالذي يعتقد أن الصحابة كفروا إلا ثلاثة نفر أو عشرة أو أكثر فهو ضال مضل لا يؤمن بيوم الحساب .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ الآية[3] .

هذه الآية تضمنت وعد الله باستخلاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين في زمن المصطفى ﷺ ومعلوم أن هذا الاستخلاف لم يحصل إلا بعد وفاة النبي ﷺ لأن استخلاف غيره لا يكون إلا بعده ومما هو معلوم بالضرورة أنه لا نبوة بعده عليه الصلاة والسلام فيكون المراد بالاستخلاف هي الخلافة الراشدة التي كانت بعده ﷺ للخلفاء الأربعة الراشدين وقد حصل في زمن أبي بكر وعمر وعثمان من الفتوح العظيمة وحصول التمكين وظهور الدين والأمن ما هو معلوم لدى كل إنسان بصّره الله لاتباع الحق وهدى قلبه للإيمان ، ولا يجحد ذلك إلا من استحب العمى على الهدى وملئ قلبه بعقيدة المخذولين من الرافضة الذين جحدوا ما لخيار الأمة من الفضل وحيازة قصب السبق إلى الإسلام ، والدين الذي مكنه الله لهم ونشروه في مشارق الأرض ومغاربها هو

---

(١) سورة التوبة آية : ١١٧ .

(٢) انظر فتح الباري : ٨/١١٧ - ١١٨ .

(٣) سورة النور ، آية . ٥٥ .

دين الإسلام ، الذي ارتضاه الله لعباده ديناً ولا يقبل منهم سواه ، فما يجرؤ على القول بتكفير أولئك الخلفاء العظام الذين تحقق على أيديهم وعد الله إلا إنسان امتلأ قلبه بالتكذيب لما أخبر الله به عنهم من صدق الإيمان وقوة اليقين وما يكذب الله في أخباره بذلك إلا الرافضة الذين وقفوا منهم موقفاً لم ترضه اليهود والنصارى في أصحاب موسى وعيسى .

قال العلامة ابن العربي : « ما رضيت النصارى واليهود في أصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض في أصحاب محمد ﷺ حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل ، فما يرجى من هؤلاء وما يستبقى منهم ؟ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾[1] وهذا قول صدق ووعد حق وقد انقرض عصرهم ولا خليفة ولا تمكين ولا أمن ولا سكون إلا في ظلم وتعد وغصب وهرج وتشتيت وإثارة ثائرة »[2] .

وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[3] .

هذه الآية الكريمة أخبر الله تعالى فيها أنه رضي عن أصحاب بيعة الرضوان وزكاهم بما وقر في قلوبهم من الوفاء والصدق بقوله في الآية : ﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ وكان عددهم رضي الله عنهم ألفاً وأربعمائة[4] فمن اعتقد أن الصحابة كفروا إلا نفراً يسيراً فهو من أخسر الخاسرين وأهلك الهالكين .

---

(١) النور آية : ٥٥ .

(٢) العواصم من القواصم ، ص : ١٨٥ .

(٣) سورة الفتح آية : ١٨ .

(٤) انظر صحيح البخاري في شرحه فتح الباري : ٧/٤٤٣ .

وقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[1] .

هذه الآية الكريمة تضمنت المدح والثناء للصحابة بكثرة الصلاة وصدق إخلاصهم فيها لله – جل وعلا – يرجون من وراء ذلك عظيم الأجر وجزيل الثواب وأخبر تعالى أنه وعدهم على ذلك المغفرة والأجر العظيم ووعده تبارك وتعالى حق وصدق لا يخلف ولا يبدل ، وهذا فيه القطع لهم بصدق الإيمان الذي عاشوا عليه وماتوا عليه .

وقال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾[2]، فكيف يسوغ لهالك خاسر بعد هذا أن يقول إنهم ارتدوا إلا نفراً قليلاً نعوذ بالله من الضلال والخذلان ، هذه الآيات المتقدم ذكرها كلها فيها إثبات شهادة الرب – جل وعلا – للصحابة الكرام بما وقر في قلوبهم من حقيقة الإيمان ، وبما كانوا عليه من الإخلاص في الطاعات والصدق في العبادات ، كما تضمنت ثناءه عليهم بالهجرة والجهاد والنصرة وسائر أنواع القربات ، فلقد خسر قوم أنفسهم وكابروا الحق حيث زعموا أنه لم يبق منهم على الدين إلا ثلاثة نفر ، أو إلا عشرة على الأكثر ، ونسبوا الباقين منهم إلى الكفر والردة ، فأين أولئك المفترون من هذه الآيات البينات والحقائق الراسخات ولا يمكن أن يخرج قول من اعتقد كفر الصحابة إلا على أساس الطعن

---

(١) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(٢) سورة الحجرات ، آية : ٧ .

في القرآن والتشكيك في صحته ، وهذا ما حصل بالفعل من غلاة الرافضة ، فقد ألف بعضهم المطولات في إثبات تحريف القرآن[1] ، ولا يكون لنسبة الصحابة إلى الكفر بعد ما ورد لهم من الثناء العظيم في محكم الكتاب المبين من تفسير إلا التكذيب بتلك الآيات أو تجهيل الله - عز وجل - حيث قد وعد بالجنة قوماً لم يدر بم يختم لهم ؟ ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن الوقاحة الفاضحة التي وصل إليها الشيعة الرافضة أنهم يستدلون على ارتداد المهاجرين والأنصار بما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « .... **وأن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : أصحابي أصحابي ، فيقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح** ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ - إلى قوله - ﴿ الْحَكِيمُ ﴾»[2] .

تستدل الرافضة بمثل هذا الحديث على ارتداد المهاجرين والأنصار والذي أوصلهم إلى هذا الفهم السقيم أنهم عموا وصموا واتبعوا الهوى واستحبوا العمى على الهدى ، فزاغت قلوبهم عن المراد بالأصحاب في الحديث فليس المراد بالأصحاب في الحديث ما هو المعلوم في العرف ، « بل المراد بهم مطلق المؤمنين به ﷺ المتبعين له وهذا كما يقال لمقلدي أبي حنيفة أصحاب أبي حنيفة ولمقلدي الشافعي أصحاب الشافعي وهكذا وإن لم يكن هناك رؤية واجتماع وكذا يقول الرجل للماضين الموافقين له في المذهب أصحابنا مع أن بينه وبينهم عدة من السنين ومعرفته ﷺ مع عدم رؤيتهم في الدنيا بسبب أمارات تلوح عليهم ، فقد جاء في

---

(١) انظر كتاب « فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب » للنوري الطبرسي ، وهو كتاب مطبوع إلا أنه خال من مكان الطبع وتاريخه .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٣٨٦/٦ - ٣٨٧ ، صحيح مسلم : ٢١٩٤/٤ - ٢١٩٥ ، والآية رقم (١١٧) من المائدة .

الخبر[1] أن عصاة هذه الأمة يمتازون يوم القيامة من عصاة غيرهم كما أن طائعيهم يمتازون عن طائعي غيرهم ، وجذبهم إلى ذات الشمال كان تأديباً لهم وعقاباً على معاصيهم ولو سلمنا أن المراد بهم ما هو المعلوم في العرف فهم الذين ارتدوا من الأعراب على عهد الصديق رضي الله تعالى عنه »[2] .

قال عبد القاهر البغدادي : « وأجمع أهل السنة على أن الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ من كندة ، وحنيفة ، وفزارة ، وبني أسد ، وبني بكر بن وائل – لم يكونوا من الأنصار ولا من المهاجرين قبل فتح مكة ، وإنما أطلق الشرع اسم المهاجرين على من هاجر إلى النبي ﷺ قبل فتح مكة ، وأولئك بحمد الله ومنه درجوا على الدين القويم والصراط المستقيم »[3] .

فإذن لا يوجد ولله الحمد ممن ارتد أحد من الصحابة الذين يعدلهم أهل السنة ويترضون عنهم وأولئك المرتدون هددهم الله بقوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ فعندما ارتد المرتدون تصدى لهم أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم فتبين أن المقصود بقوله – عز وجل – : ﴿ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[4] الآية هم الصحابة رضي الله عنهم ولا يعلم تصد لهم إلا تصدي الصديق وأصحابه ويكفي أن علياً رضي الله عنه كان أحد المتصدين مع بقية الصحابة ، أما الذين ينتقصون الصحابة ويتلذذون بسبهم ولعنهم والبراءة منهم فعليهم إن كانوا صادقين في تشيعهم لأهل البيت أن يكونوا تابعين لهم في تعظيم الصحابة ومحبتهم ، ولكنهم كاذبون في ذلك وأنهم أعداء لأهل البيت إذ أهل البيت لم يخرجوا عما كان عليه الرسول ﷺ وخلفاؤه

---

(١) انظر المسند : ٣/١٠٢ ، فقد أورد الإمام أحمد هنا حديثاً من أحاديث الحوض وفيه « **يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي فيقال لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك** » . ففيه إشارة إلى أن هناك علامة يتميز بها عصاة هذه الأمة .

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٧٢ – ٢٧٣ .

(٣) الفرق بين الفرق ، ص : ٣٥٩ .

(٤) سورة المائدة ، آية : ٥٤ .

الراشدون من بعده ، فالشيعة الرافضة في واد وأهل البيت في واد آخر .

ومن مطاعنهم أيضاً في عموم الصحابة أنهم لا يعتقدون عدالتهم جميعاً وإنما يقولون هم كغيرهم من الناس فيهم العدل وغيره وفيهم مجهول الحال ، وفيهم المنافقون والبغاة .

قال شرف الدين الموسوي : « إن الصحبة بمجردها وإن كانت عندنا فضيلة جليلة ، لكنها بما هي من حيث هي غير عاصمة ، فالصحابة كغيرهم من الرجال فيهم العدول وهم عظماؤهم وعلماؤهم وفيهم البغاة وفيهم أهل الجرائم من المنافقين وفيهم مجهول الحال ، فنحن نحتج بعدولهم ونتولاهم في الدنيا والآخرة – إلى أن قال : « إن أصالة العدالة في الصحابة مما لا دليل عليه ولو تدبروا[1] القرآن الحكيم لوجدوه مشحوناً بذكر المنافقين منهم وحسبك منه سورة التوبة والأحزاب »[2] .

وقال مرتضى العسكري : « وفي شأن العدالة نرى أن الصحابة فيهم المؤمن العدل البر التقي ، وهم المقصودون في ما ورد من ثناء لهم في القرآن والحديث – إلى أن قال : « وفيهم المنافقون مردوا على النفاق لا يعلمهم إلا الله » اهـ[3] .

هذا معتقد الشيعة الرافضة في عدالة الصحابة جميعاً ، وبمجرد أن يسمعه من نور الله بصيرته يقطع بأنه دليل على الخذلان وعلى سوء الفهم لكتاب الله حيث لم يفهموا منه إلا صفات المنافقين ، ولم يهتدوا لدلالته على تعديل الصحابة قاطبة حيث نص الله على عدالتهم في غير ما آية من كتابه العزيز ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[4] .

---

(١) يقصد أهل السنة والجماعة .

(٢) الفصول المهمة في تأليف الأمة ، ص : ٢٠٣ ، وانظر الصحابة في نظر الشيعة الإمامية لأسد حيدر ، ص : ٣١ – ٣٢ .

(٣) مقدمة مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : ٨/١ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

ومعنى ﴿ وَسَطًا ﴾ في الآية أي : عدولاً .

وقال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] .

ووجه دلالة الآيتين على عدالة الصحابة عموماً أنهم أول من يدخل في منطوقهما ، وكون - الرب جل وعلا - جعلهم شهداء على الناس دليل قاطع على عدالتهم جميعاً وعلى صدق إيمانهم ، فالرب تبارك وتعالى لا يستشهد بغير عدول ولا يستشهد بمن يدين بالكذب والخداع ويسميه بغير اسمه .

ويبطل زعمهم أن العدالة ثابتة لبعض الصحابة دون البعض الآخر بأن يقال لهم : إن الصحابة كلهم عدول وكلهم موعودون بالحسنى وهي الجنة ويكفي قوله - عز وجل - : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾[2] . وقوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] .

فلينظر كل ذي بصيرة في هذه الآيات بتدبر حيث يجد فيها أن الباري جل وعلا شهد لجميع الصحابة مهاجرين وأنصار بصدق الإيمان وزكاهم وأثنى

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

(٢) سورة الحديد ، آية : ١٠ .

(٣) سورة الحشر ، آية : ٨ - ١٠ .

عليهم بما ثبت في قلوبهم من الإخلاص في الأعمال الصالحة وتركهم ديارهم وأموالهم حيث خرجوا منها ابتغاء نصرة الله ورسوله ، كما أثنى على من جاء بعدهم مستغفراً لهم ، ولا يستغفر لهم إلا أهل السنة ، أما الشيعة الرافضة فلا يستغفرون لهم وإنما يدينون بالاعتقاد بتكفير أولئك الأخيار وبسؤالهم ربهم أن يملأ قلوبهم غلًّا للصحابة الكرام وهاهم كذلك ولا نصيب لهم من الثناء الذي اشتملت عليه الآية ما داموا على ذلك .

فالثناء على المهاجرين عموماً بخروجهم من ديارهم وأموالهم يبتغون بذلك رضوان الله وينصرون الله ورسوله والشهادة لهم بأنهم صادقون ، وكذا ثناؤه - جل وعلا - على الأنصار قاطبةً بتبوئهم الدار والإيمان وحبهم لإخوانهم المهاجرين وإيثارهم لهم على أنفسهم وشهادة الباري تبارك وتعالى لهم بالفلاح كل ذلك أدلة قطعية على عدالة الصحابة جميعاً مهاجرين وأنصار .

أما نسبة النفاق إلى خيار هذه الأمة بدعوى أنه كان في المدينة منافقون فهي فرية واضحة لا تثبت لها قدم ، وهي شبهة أوهى من بيت العنكبوت لأن المنافقين لم يكونوا مجهولين في مجتمع الصحابة الكرام رضي الله عنهم ولم يكونوا هم السواد الأعظم والجمهور الغالب فيهم ، وإنما كانوا فئةً معلومةً آل أمرهم إلى الخزي والفضيحة حيث علم بعضهم بعينه ، والبعض الآخر منهم علم بأوصافه ، فقد ذكر الله في كتابه من أوصافهم وخصوصاً في سورة التوبة ما جعل منهم طائفةً متميزةً منبوذةً لا يخفى أمرها على أحد فأين هذه الفئة ممن أثبت الله لهم في كتابه نقيض صفات المنافقين حيث أخبر عن رضاه عنهم من فوق سبع سمٰوات وجعلهم خير أمة أخرجت للناس ، فنسبة الرافضة النفاق إلى الصحابة إنما منشؤه من عمى البصيرة ، ومحبة العمى على الهدى وعدم التمييز بين من أوقفوا حياتهم لنصرة الله ورسوله ، ولم ينقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وبين الذين لم يعرفوا في تاريخ الإسلام إلا بالخيانة والتآمر على الإسلام وأهله .

فالصحابة رضي الله عنهم عدول كلهم لا سبيل إلى تجريحهم لأن الله - جل وعلا - هو الذي تولى تزكيتهم وتعديلهم من فوق سبع سماوات

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى بعد أن ذكر أنه لا بد في رجال الأسانيد والرواة من معرفة أنسابهم وأحوالهم قال : « والصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلا في الجرح والتعديل ، فإنهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح لأن الله - عز وجل - زكاهم وعدلهم وذلك مشهور لا نحتاج لذكره » اهـ[1] .

والأمر كما ذكر رحمه الله فإن كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - مليئان بالثناء الحسن على الصحابة الكرام رضي الله عنهم مما يدل على أن ثبوت عدالتهم أمر قطعي لم يجحده إلا المخذولون من الرافضة ، فالذي ينفي عدالة الصحابة وينسب إليهم النفاق ويعتقد ذلك فهو مكذب للقرآن والسنة اللذين تضمنا الشهادة للصحابة الكرام بصدق اليقين وكمال الإيمان .

ومن مطاعنهم العامة في الصحابة : أنهم حرفوا القرآن وأسقطوا منه كلمات بل آيات وأن القرآن الموجود لدى الشيعة كما يزعمون يعادل ثلاث مرات من القرآن الموجود بين أيدينا وما فيه حرف واحد منه ويزعمون أن ما جمع القرآن كما أنزل إلا الإمام علي رضي الله عنه ومن ادعى غير ذلك فهو كذاب .

فلقد ذكر الكليني في « الكافي » عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : وإن عندنا لمصحف فاطمة « ع » وما يدريهم ما مصحف فاطمة « ع » ؟ ، قال : قلت : وما مصحف فاطمة « ع » ، قال : مصحف فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ، قال : قلت : والله هذا العلم[2] .

وذكر عن جابر قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ما ادعى أحد

(١) أسد الغابة : ٣/١ .

(٢) الأصول من الكافي : ٤٥٧/١ .

من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب وما جمعه وحفظه كما أنزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام ...

وذكر أيضاً : عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام ، أنه قال : ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن ظاهره وباطنه غير الأوصياء[١] .

ولقد توارث الشيعة هذا المعتقد الزائف وتمسكوا به وأثبتوه في مؤلفاتهم وأشادوا بأن أكابر المتقدمين من علمائهم كانوا على هذا .

فقد قال المفيد في كتابه أوائل المقالات : « اتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة واتفقوا على إطلاق لفظ البداء في وصف الله تعالى ، واتفقوا على أن أئمة الضلال[٢] خالفوا في كثير من تأليف القرآن وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي ﷺ[٣] .

وقال الكاشاني في مقدمة كتابه المسمى : « تفسير « الصافي » بعد أن ذكر الروايات التي تفيد تحريف القرآن ونقصانه ، وأن الصحابة هم الذين حذفوا مناقب أهل البيت منه ، وإتيان علي رضي الله عنه إلى الصحابة ورفضهم بأن يعملوا بالقرآن الذي جمعه وأنهم أيدوا زيد بن ثابت رضي الله عنه بجمع غيره ، قال بعد ذلك : « أقول : المستفاد من جميع هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن ليس بتمامه كما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله ومنه ما هو مغير محرف وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي عليه السلام في كثير من المواضع ومنها لفظة آل محمد صلى الله عليهم غير مرة ومنها أسماء المنافقين في مواضعها ومنها غير ذلك وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وبه قال علي

---

(١) المصدر السابق : ٤٤١/١ .

(٢) يقصد الصحابة الكرام رضي الله عنهم وغضب عليه إن كان مات على هذا المعتقد الفاسد .

(٣) المقالات ، ص : ٤٨ - ٤٩ .

ابن إبراهيم »[1] .

والنتيجة التي انتهى إليها بعد أن قرر أن القرآن محرف هي أن العمل به غير ممكن ولا يمكن الإقرار بصحته ولا الاعتماد عليه حيث قال : « لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن يكون محرفاً ومغيراً ويكون على خلاف ما أنزل الله فلم يبق لنا في القرآن حجة أصلاً فتنتفي فائدته وفائدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسك به إلى غير ذلك »[2] .

ثم قرر أن اعتقاده بتحريف القرآن ليس بدعاً من علماء الإمامية الذين يقرون بتحريف القرآن بل يذكر أنه سبقه في ذلك كبار علمائهم أمثال الكليني والقمي والطبرسي حيث قال : « وهذا ما عندي من التقصي عن الإشكال والله يعلم حقيقة الحال ، وأما اعتقاد مشايخنا في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد ابن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن لأنه كان روى روايات في هذا المعنى في كتابه « الكافي » ولم يتعرض لقدح فيها مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه أستاذه علي بن إبراهيم القمي فإن تفسيره مملوء منه وله غلو فيه[3] وكذلك الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي[4] فإنه أيضاً نسج على منوالهما في كتاب الاحتجاج »[5] .

وقد حكى أبو المظفر الإسفرائيني إجماع الإمامية على طعن الصحابة بتغيير القرآن بالزيادة والنقصان فيه حيث قال بعد ذكره لفرق الإمامية : « واعلم أن جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة ويدعون أن القرآن قد

---

(١) كتاب الصافي في تفسير القرآن : ٣٢/١ .

(٢) المصدر السابق : ٣٣/١ .

(٣) انظر ما تفوه به القمي من اعتقاده تحريف القرآن تفسيره : ١٠/١ – ١١ .

(٤) انظر كتاب الاحتجاج للطبرسي : ١٥٣/١ ، فقد ساق روايةً على طريقة السؤال والجواب بين علي وطلحة يستدل بها على نقصان القرآن وأنه لم يجمعه كاملاً إلا عليّ وأن الصحابة لم يقبلوا منه ما جمعه ..

(٥) كتاب « الصافي » في تفسير القرآن : ٣٤/١ .

غير عما كان ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة ويزعمون أنه لا اعتماد على الشريعة التي في أيدي المسلمين وينتظرون إماماً يسمونه المهدي يخرج ويعلمهم الشريعة وليسوا في الحال على شيء من الدين » اهـ[1] .

والرد على هذا الافتراء الذي اختلقته فرق الإمامية على الصفوة المختارة أصحاب رسول الله ﷺ أنه لا يصدر إلا ممن فسدت ديانته وخبثت سريرته وهذا الافتراء يتضمن تكذيب الله تعالى الذي أخبر بأنه حافظ لكتابه العزيز من الزيادة والنقصان والتبديل وأنه ليس للبطلان إليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2] فقد قرر تعالى في هذه الآية « أنه هو الذي أنزل على نبيه الذكر – وهو القرآن – وهو الحافظ له من التغيير والتبديل »[3] .

قال أبو عبد الله القرطبي في قوله : ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ من أن يزاد فيه أو ينقص منه .

وذكر عن قتادة وثابت البناني أنهما قالا : حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلاً أو تنقص منه حقاً فتولى – سبحانه – حفظه فلم يزل محفوظاً »[4] اهـ .

وقال الرازي : « واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير ، إما في الكثير منه ، أو في القليل ، وبقاء هذا الكتاب مصوناً عن جميع جهات التحريف مع أن دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده من أعظم المعجزات وأيضاً : أخبر الله تعالى عن بقائه محفوظاً عن التغيير والتحريف وانقضى الآن قريباً من

---

(١) التبصير في الدين ، ص : ٤١ .

(٢) سورة الحجر ، آية : ٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٤/١٥٤ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٠/٥ .

ستمائة سنة[1] فكان هذا إخباراً عن الغيب فكان ذلك أيضاً معجزاً قاهراً » اهـ[2] .

وقال تعالى : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[3] ، وفي هذه الآية بين الله تعالى أن القرآن « محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه ، أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه ، دل على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[4] فالذي يعتقد أن القرآن يدخله التغيير والزيادة ، والنقص ، فهو مكذب لله رب العالمين ، ومنسلخ من دين الإسلام بالكلية ليس له أمانة ولا دين .

وقال أبو محمد بن حزم مبيناً بطلان اعتقاد الرافضة في أن الصحابة بدلوا القرآن وأسقطوا منه وزادوا فيه .

قال رحمه الله : « مات رسول الله ﷺ والإسلام قد انتشر وظهر في جميع جزيرة العرب من منقطع البحر المعروف ببحر القلزم ماراً إلى سواحل اليمن كلها إلى بحر فارس إلى منقطعه ماراً إلى الفرات ثم على ضفة الفرات إلى منقطع الشام إلى بحر القلزم ، وفي هذه الجزيرة من المدن والقرى ما لا يعرف عدده إلا الله – عز وجل – كاليمن والبحرين وعمان ونجد وجبلي طي وبلاد مضر وربيعة وقضاعة والطائف ومكة كلهم قد أسلم وبنوا المساجد ليس منها مدينة ولا قرية ولا حلة لأعراب إلا قد قرئ فيها القرآن في الصلوات وعلمه الصبيان والرجال والنساء وكتب ومات رسول الله ﷺ والمسلمون كذلك ليس بينهم اختلاف في شيء أصلاً بل كلهم أمة واحدة ودين واحد ومقالة واحدة ، ثم ولي أبو بكر سنتين وستة أشهر فغزا فارس والروم وفتح اليمامة وزادت قراءة الناس للقرآن وجمع الناس

---

(١) هذا التحديد إلى عصر الرازي وكانت وفاته سنة ست وستمائة .

(٢) التفسير الكبير : ١٩/١٦١ .

(٣) سورة فصلت ، آية : ٤٢ .

(٤) سورة الحجر ، آية : ٩ .

المصاحف كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد وأبي زيد[1] وابن مسعود وسائر الناس في البلاد ، فلم يبق بلد إلا وفيه المصاحف ، ثم مات رضي الله عنه والمسلمون كما كانوا لا اختلاف بينهم في شيء أصلاً أمة واحدة ومقالة واحدة ... ثم مات أبو بكر وولي عمر ففتحت بلاد الفرس طولاً وعرضاً وفتحت الشام كلها والجزيرة ومصر كلها ولم يبق بلد إلا وبنيت فيه المساجد ونسخت فيه المصاحف وقرأ الائمة القرآن وعلمه الصبيان في المكاتب شرقاً وغرباً ، وبقي كذلك عشرة أعوام وأشهراً والمؤمنون كلهم لا اختلاف بينهم في شيء بل ملة واحدة ومقالة واحدة وإن لم يكن عند المسلمين إذ مات عمر مائة ألف مصحف من مصر إلى العراق إلى الشام إلى اليمن فيما بين ذلك فلم يكن أقل ، ثم ولي عثمان فزادت الفتوح واتسع الأمر فلو رام أحد إحصاء مصاحف أهل الإسلام ما قدر وبقي كذلك اثنى عشر عاماً حتى مات وبموته حصل الاختلاف وابتداء الروافض واعلموا أنه لو رام اليوم أحد أن يزيد في شعر النابغة أو شعر زهير كلمة أو ينقص أخرى ما قدر لأنه كان يفتضح الوقت وتخالفه النسخ المثبوتة فكيف القرآن في المصاحف وهي من آخر الأندلس وبلاد البربر وبلاد السودان إلى آخر السند وكابل وخراسان والترك والصقالبة[2] وبلاد الهند فيما بين ذلك ، فظهر حمق الرافضة ومجاهرتها بالكذب ... ومما يبين كذب الروافض في ذلك أن علي بن أبي طالب الذي هو عند أكثرهم إلـه خالق وعند بعضهم نبي ناطق وعند سائرهم إمام معصوم مفترضة طاعته ولي الأمر وملك فبقي خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفةً مطاعاً ظاهر الأمر ساكناً بالكوفة مالكاً الدنيا حاشا الشام ومصر إلى الفرات والقرآن يقرأ في المساجد في كل مكان وهو يؤم الناس به والمصاحف

---

(١) اختلف في اسمه فقيل : أوس ، وقيل ثابت بن زيد ، وقيل : معاذ ، وقيل : سعد بن عبيد ، وقيل : قيس بن السكن وهذا هو الراجح . الإصابة : ٧٨/٤ .

(٢) قال أبو منصور : الصقالبة جيل حمر الألوان صهب الشعور يتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم ، وقال غيره : الصقالبة بلاد بين بلغار وقسطنطينية وتنسب إليهم الخزم الصقالبة وأحدهم صقلبي « معجم البلدان » : ٣ : ٤١٦ .

معه وبين يديه فلو رأى فيه تبديلاً كما تقول الرافضة أكان يقرهم على ذلك فكيف يسوغ لهؤلاء أن يقولوا إن في المصحف حرفاً زايداً أو ناقصاً أو مبدلاً مع هذا ولقد كان جهاد من حرف القرآن وبدل الإسلام أوكد عليه من قتال أهل الشام الذين إنما خالفوه في رأي يسير رأوه ورأى خلافه فقط فلاح كذب الرافضة ببرهان لا محيد عنه والحمد لله رب العالمين » اهـ[1] .

فاعتقاد الشيعة الرافضة أن القرآن قد دخله التغيير والزيادة والنقصان من قبل الصحابة اعتقاد فاسد وكذب واضح على أصحاب رسول الله ﷺ الذين قاموا بجمعه في مصحف واحد وحرصوا على ذلك أشد الحرص خوفاً عليه من الضياع ، فكان جمعهم له من أسباب حفظ الله تعالى إياه فإنه لما تكفل بحفظ كتابه قيضهم لذلك رضي الله عنهم وأرضاهم لكن الشيعة لهم مقصد خبيث من وراء طعنهم على الصحابة بأنهم حرفوا القرآن بين ذلك الإسفراييني في كتابه « التبصير في الدين فإنه قال بعد أن ذكر أن الإمامية متفقون على القول بتكفير الصحابة وأنهم حرفوا القرآن بالزيادة فيه والنقص منه « وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام في الإمامة ، ولكن مقصودهم إسقاط كلفة تكليف الشريعة عن أنفسهم حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية ، ويعتذروا عند العوام بما يعدونه من تحريف الشريعة وتغيير القرآن من عند الصحابة ولا مزيد على هذا النوع من الكفر إذ لا بقاء فيه على شيء من الدين » اهـ[2] .

ومن مطاعنهم في الصحابة عموماً أنهم يقولون : إن كثيراً منهم فروا يوم الزحف في غزوتي أحد وحنين ، والفرار من الزحف من أكبر الكبائر[3] .

والرد على هذا الهراء أن الفرار يوم أحد كان قبل النهي عن الفرار من

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٧٨/٢ - ٨٠ .

(٢) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، ص : ٤١ .

(٣) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٧٣ ، وانظر تفسير الكاشاني المسمى « تفسير الصافي » : ٦٩١/١ ، تفسير القمي : ٢٨٧/١ . الميزان : ٢٢٦/٩ .

الزحف ولو فرض أنه حصل منهم بعد النهي فهو معفو عنه بدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[1] ، « ولا تعيير بعد عفو الله تعالى عن الجميع »[2] ، وأما الفرار يوم حنين فبعد التسليم أنه كان فراراً في الحقيقة معاتباً عليه ، فإن أولئك المخلصين رضي الله عنهم لم يصروا عليه ، بل انقلبوا وظفروا بدليل قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3] ، ولم يحصل الفرار من الجميع وأن من فر منهم لم يكن على نية الاستمرار في الفرار لما رواه مسلم من حديث كثير بن عباس بن عبد المطلب ، قال : قال عباس شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله - ﷺ - فلم نفارقه ، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي ، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار ، قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « **أي عباس ، ناد أصحاب السمرة** » ، فقال عباس - وكان رجلاً - صيتاً - فقلت بأعلى صوتي : أين أصحاب السمرة ، قال : فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ... الحديث »[4] .

قال النووي : قال العلماء في هذا الحديث دليل على أن فرارهم لم يكن بعيداً ، وأنه لم يحصل الفرار من جميعهم وإنما فتحه عليهم من في قلبه مرض من

---

(١) انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٧٣ ، والآية رقم (١٥٥) من سورة آل عمران .

(٢) روح المعاني للألوسي : ٩٩/٤ .

(٣) سورة التوبة ، آية : ٢٦ .

(٤) صحيح مسلم : ١٣٩٨/٣ - ١٣٩٩ .

مسلمة أهل مكة المؤلفة ومشركيها الذين لم يكونوا أسلموا ، وإنما كانت هزيمتهم فجأة لانصبابهم عليهم دفعة واحدة ورشقهم بالسهام ولاختلاط أهل مكة معهم ممن لم يستقر الإيمان في قلبه ، وممن يتربص بالمسلمين الدوائر وفيهم نساء وصبيان خرجوا للغنيمة فتقدم أخفاؤهم ، فلما رشقوهم بالنبل ولوا فانقلبت أولاهم على أخراهم إلى أن أنزل الله سكينته على المؤمنين كما ذكر الله تعالى في القرآن »[1] .

فطعن الشيعة الرافضة على الصحابة الكرام بأنهم فروا يوم الزحف في غزوتي أحد وحنين كله هراء يدل على تعمقهم في الجهل وسوء الفهم .

ومن مطاعنهم على سبيل العموم في الصحابة أنهم طعنوا عليهم بما رواه مسلم في صحيحه بإسناده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم ؟** » ، قال عبد الرحمٰن ابن عوف : نقول كما أمرنا الله ، قال رسول الله ﷺ : « **أو غير ذلك تتنافسون ، ثم تتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون ، أو نحو ذلك ، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض** »[2] .

قالوا : « هذا صريح في وقوع التنافس والتدابر والتباغض فيما بين الصحابة والجواب أن الخطاب وإن كان للصحابة لكن باعتبار وقوع ذلك فيما بينهم وهو لا يستدعي أن يكون منهم ويدل على ذلك أن الصحابة إما مهاجرون أو أنصار والحديث صريح في أن أولئك ليسوا مهاجرين ، والواقع ينفي كونهم من الأنصار لأنهم ما حملوا المهاجرين على التحارب فتعين أنهم من التابعين ، وقد وقع ذلك منهم فإنهم حملوا المهاجرين على التحارب بينهم كمالك الأشتر وأضرابه »[3] وقد اعترف الأشتر بأنه أحد قتلة الخليفة الراشد عثمان بن عفان وذلك عندما أتاه الخبر

---

(١) شرح النووي : ١١٥/١٢ - ١١٦ .

(٢) صحيح مسلم : ٢٢٧٤/٤ .

(٣) مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص : ٢٧٤ .

باستعمال علي بن عباس - رضي الله عنهما - وقال : علام قتلنا الشيخ إذاً ! اليمن لعبيد الله والحجاز لقثم ، والبصرة لعبد الله ، والكوفة لعلي »[1] .

ومن مطاعنهم على الصحابة عموماً زعمهم أنهم آذوا علياً وحاربوه[2] وقد قال ﷺ : « **من آذى علياً فقد آذاني** »[3] .

والجواب على هذا الافتراء أن أساسه عدم فهم الرافضة للأسباب التي أدت لاقتتالهم رضي الله عنهم فيما بينهم ، ولو أمعنوا النظر في الحروب التي وقعت بين الصحابة رضي الله عنهم في موقعتي الجمل وصفين لفهموا أنها كانت لأمور اجتهادية ، فلا يلحقهم طعن من ذلك ، لكن من ابتلي بالوقوع في أصحاب رسول الله ﷺ وكان قلبه مشبعاً بعقيدة الرافضة فإنه لا يعرف الحق فى أصحاب رسول الله ﷺ إلا أن يرحمه الله فيبرأ من طريقة الروافض حينئذ يحمل ما وقع بين الصحابة على أحسن المحامل ، ويؤوله بما يندفع به الطعن عن أولئك السادة الأماثل ، وهذا لا يتحقق إلا لمن سار في ركب أهل السنة والجماعة ويكفينا من مطاعن الرافضة في الصحابة عموماً ما تقدم ذكره وإلا فمطاعنهم لا تدخل تحت حصر وسقنا هذه المطاعن العامة والرد عليها ليتبين أن الرافضة يعادون الصحابة جميعاً ولا يحبونهم ولا يوالون منهم إلا نفراً يسيراً يعدون بالأصابع كما تقدم قريباً .

* * *

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري : ٤/٤٩٢ .

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٧٤ .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك : ٣/١٢٢ ، وقال عقبهُ : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

★ المبحث الخامس ★

الرد على مطاعنهم في أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لم تكتف الشيعة الرافضة بالطعن في الصحابة الكرام على سبيل العموم بل انقادوا للشيطان بزمام حيث حملهم على أن وجهوا مطاعن في الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ، كل واحد منهم على حده .

ومطاعنهم على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كثيرة . وإليك في هذا المبحث طائفة من مطاعنهم في حق الصديق :

فمن مطاعنهم في حق أبي بكر - رضي الله عنه - أنهم يطعنون عليه بقوله تعالى : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] .

ووجه طعنهم على الصديق بهذه الآية أنهم يزعمون أن النبي ﷺ استصحبه معه لئلا يظهر أمره حذراً منه ، وأن الآية دلت على نقصه لقوله تعالى فيها : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فإنه يدل على خوره وقلة صبره وعدم يقينه بالله تعالى وعدم رضاه بمساواته النبي ﷺ وبقضاء الله وقدره ، ولأن الحزن إن كان طاعة استحال أن ينهى عنه النبي ﷺ وإن كان معصية كان ما ادعوه من الفضيلة رذيلة »[2] .

والرد على هذا الهذيان أن وضوح بطلانه أعظم من وضوح الشمس في وسط

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٤٠ .

(٢) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٢٣٩/٤ ، وانظر كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة : ٢٢/٢ - ٢٦ . الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف : ٤٠٧/٢ - ٤١٠ ، وانظر الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي : ٢٢٢/٩ - ٢٢٤ .

النهار ، فقولهم : إن النبي ﷺ استصحبه حذراً منه لئلا يظهر أمره فهذا باطل من وجوه عدة : -

أولاً : أنه قد علم بدلالة القرآن أن الصديق رضي الله عنه كان موالياً ومحباً للرسول ﷺ لا معادياً له .

ثانياً : علم بالتواتر المعنوي أنه كان محباً للرسول مؤمناً به مختصاً به أعظم مما علم من سخاء حاتم وشجاعة عنترة ، لكن الرافضة قوم بهت حتى أن بعضهم جحدوا أن يكون الصديق والفاروق دفنا في الحجرة النبوية .

ثالثاً : إن قولهم هذا في أبي بكر يدل على فرط جهلهم وخاصة بما حصل وقت الهجرة فإن الرسول اختفى هو وأبو بكر في الغار وأرسل المشركون الطلب من الغد في كل فج وجعلوا الدية فيه وفي أبي بكر لمن أتى بواحد منهما ، فهذا دليل أنهم كانوا يعلمون أن أبا بكر كان موالياً للمصطفى ﷺ ومعادياً لهم ولو كان مباطناً لهم على زعم الرافضة لما بذلوا فيه الدية .

رابعاً : وأما زعمهم أن الآية دلت على نقصه لقوله تعالى:﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فقولهم هذا ينقض تخرصهم أنه استصحبه حذراً منه لئلا يظهر أمره فإنه إذا كان عدوه وكان مباطناً لأعدائه الذين يطلبونه كان ينبغي أن يفرح ويسر ويطمئن إذا جاء العدو ، فإن المشركين جاءوا إلى الغار ومشوا فوقه »[1] .

« فإن أبا بكر لو كان قاصداً ، له لصاح بالكفار عند وصولهم إلى باب الغار ، وقال لهم : نحن ههنا ، ولقال ابنه وابنته ، عبد الرحمٰن وأسماء للكفار نحن نعرف مكان محمد فندلكم عليه ، فنسأل الله العصمة من عصبية تحمل الإنسان على مثل هذا الكلام الركيك »[2] . ويقال أيضاً : لهؤلاء المفترين إن

---

(١) انظر منهاج السنة : ٢٥٦/٤ - ٢٦٠ ، المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ، ص : ٥٥٤ - ٥٥٦ .
(٢) التفسير الكبير للرازي : ٦٨/١٦ .

دعواهم أن الآية دلت على نقص الصديق أن النقص نوعان :

نقص ينافي إيمانه ، ونقص عمن هو أكمل منه ، فإن أرادوا الأول فهو باطل لأن الله تعالى قال مخاطباً نبيه : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[1] وقال مخاطباً المؤمنين جميعاً : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾[2] ، فقد نهى نبيه عن الحزن في غير موضع ونهى المؤمنين جملة فعلم أن ذلك لا ينافي الإيمان ، وإن أرادوا بذلك أنه ناقص عمن هو أكمل منه ، فلا ريب أن حال النبي ﷺ أكمل من حال أبي بكر ، وهذا لا ينازع فيه أحد من أهل السنة ، ولكن ليس في هذا ما يدل على أن علياً أو عثمان أو عمر أو غيرهم أفضل منه لأنهم لم يكونوا مع النبي ﷺ في هذه الحال ، ولو كانوا معه لم يعلم أن حالهم يكون أكمل من حال الصديق بل المعروف من حالهم دائماً وحاله أنهم وقت المخاوف يكون الصديق أكمل منهم كلهم يقيناً وصبراً ، وعند وجود أسباب الريب يكون الصديق أعظم يقيناً وطمأنينة ، وعندما يتأذى منه النبي ﷺ يكون الصديق أتبعهم لمرضاته وأبعدهم عما يؤذيه ، هذا هو المعلوم لكل من استقرأ أحوالهم في محيا رسول الله ﷺ وبعد وفاته ، حتى إنه لما مات وموته كان أعظم المصائب التي تزلزل بها الإيمان حتى ارتد الأعراب واضطرب لها عمر الذي كان أقواهم إيماناً وأعظمهم يقيناً كان مع هذا تثبيت الله تعالى للصديق بالقول الثابت أكمل وأتم من غيره وكان في يقينه وطمأنينته وعلمه وغير ذلك أكمل من عمر وغيره فقال الصديق رضي الله عنه : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم قرأ الآية ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾ الآية »[3] ..

---

(١) سورة النحل ، آية : ١٢٧ .

(٢) سورة آل عمران : ١٣٩ .

(٣) منهاج السنة : ٢٦١/٤ ، والآية رقم (١٤٤) من سورة آل عمران .

خامساً : أما دعواهم أن حزنه دل على خوره فهذا كله من الكذب الواضح وضوح الشمس لأنه لا يوجد في الآية ما يدل على هذا من وجهين :

أحدهما : أن النهي عن شيء لا يدل على وقوعه ، بل يدل على أنه ممنوع لئلا يقع فيما بعد ، كقوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾[1]، فهذا لا يدل على أنه كان يطيعهم ... فقوله تعالى : ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ لا يدل على أن الصديق قد حزن، لكن من الممكن في العقل أنه يحزن ، فقد ينهى عن ذلك لئلا يفعله .

الثاني : أنه بتقدير أن يكون حزن فكان حزنه على النبي ﷺ لئلا يقتل ويذهب الإسلام ، وكان يود أن يفدي النبي ﷺ ولهذا لما كان معه في سفر الهجرة كان يمشي أمامه تارة ووراءه تارة ، فسأله النبي ﷺ[2] عن ذلك فقال : أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون وراءك »[3] رضي الله عنه وأرضاه .

سادساً : وأما افتراؤهم بأن حزنه دل على قلة صبره وعدم يقينه بالله فهذا باطل ولا يدل على انعدام الصبر المأمور به ، فإن الصبر على المصائب واجب بالكتاب والسنة ، ومع هذا فحزن القلب لا ينافي ذلك[4] وكذلك زعمهم أنه يدل على عدم يقينه بالله كذب وبهت ، فإن الأنبياء قد حزنوا ولم يكن ذلك دليلاً على عدم يقينهم بالله كما ذكر الله عن يعقوب وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ لما مات ابنه إبراهيم وقال : « **إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا**

---

(١) سورة الأحزاب ، آية : ١ .

(٢) انظر فضائل الصحابة ، للإمام أحمد : ٦٢/١ - ٦٣ .

(٣) منهاج السنة : ٢٦٢/٤ - ٢٦٣ .

(٤) دل على هذا قوله ﷺ « ... **ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا** ، وأشار إلى لسانه **أو يرحم** » .. الحديث . صحيح البخاري : ٢٢٦/١ - ٢٢٧ ، من حديث ابن عمر .

ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون »[1] ، وكذا قولهم أنه يدل على عدم رضاه بقضاء الله وقدره هو باطل أيضاً لما هو معلوم من حاله رضي الله عنه بقوة الإيمان وكونه أكمل الخلق إيماناً بعد الأنبياء والرسل .

سابعاً : وأما هذيانهم أن الحزن إن كان طاعة استحال النهي عنه ، وإن كان معصية ، فلا يدل على الفضيلة يجاب على هذا « أنه لم يدع أحد أن مجرد الحزن كان هو الفضيلة ، بل الفضيلة ما دل عليه قوله تعالى : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ الآية[2] فالفضيلة كونه هو الذي خرج مع النبي ﷺ في هذه الحال واختص بصحبته ، وكان له كمال الصحبة مطلقاً وقول النبي ﷺ له إن الله معنا وما يتضمنه ذلك من كمال موافقته للنبي ﷺ ومحبته وطمأنينته وكمال معونته للنبي ﷺ وموالاته ففي هذه الحال من كمال إيمانه وتقواه ما هو الفضيلة وكمال محبته ونصره للنبي ﷺ هو الموجب لحزنه إن كان حزن مع أن القرآن لم يدل على أنه حزن كما تقدم »[3].

فكل ما يسوقه الرافضة من الكلام على آية الغار محاولين بذلك الطعن على أبي بكر هو كلام باطل غير مقبول والآية على رغم أنوف الرافضة اشتملت على فضل الصديق وما وصل إليه من الكمال الإيماني والصدق اليقيني كما دلت دلالة واضحة أنه صحب الرسول ﷺ صحبة مودة وموالاة .

ومن مطاعنهم في حق الصديق : زعمهم أن النبي ﷺ أنفذه لأداء سورة براءة ثم أنفذ علياً وأمره برده وأن يتولى هو ذلك - ثم يقولون - ومن لايصلح لأداء سورة أو بعضها فكيف يصلح للإمامة المتضمنة لأداء الأحكام إلى جميع

---

(١) صحيح البخاري : ٢٢٦/١ ، من حديث أنس بن مالك .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٤٠ .

(٣) منهاج السنة : ٢٦٤/٤ .

الأمة »[1] .

والرد على هذا أنه افتراء محض ورد للمتواتر ، فإن الرسول ﷺ استعمل أبا بكر على الحج سنة تسع وما رده ولا رجع ، بل هو الذي أقام للناس الحج ، وكان علّي من جملة رعيته إذ ذاك يصلي خلفه ويسير بسيره ، وهذا مما لم يختلف فيه اثنان ، ولكن أردفه بعلّي لينبذ إلى المشركين عهدهم لأن عادتهم كانت جارية أن لا يعقد العقود ولا يحلها إلا المطاع ، أو رجل من أهل بيته ، فلم يكونوا يقبلون ذلك من كل أحد فبعث علياً ببراءة[2] .

قال أبو محمد بن حزم في صدد ذكره لفضائل أبي بكر رضي الله عنه : « واعترض علينا بعض الجهال ببعثة رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب خلف أبي بكر رضي الله عنهما في الحجة التي حجها أبو بكر وأخذ براءة من أبي بكر ، وتولى علّي تبليغها إلى أهل الموسم وقراءتها عليهم ، قال : وهذا من أعظم فضائل أبي بكر ، لأنه كان أميراً على علّي بن أبي طالب وغيره من أهل الموسم لا يدفعون إلا بدفعه ، ولا يقفون إلا بوقوفه ، ولا يصلون إلا بصلاته وينصتون إذا خطب وعلّي في الجملة كذلك ، وسورة براءة وقع فيها فضل أبي بكر رضي الله عنه وذكره فيها أمر الغار وخروجه مع النبي ﷺ ، وكون الله تعالى معهما فقراءة علي لها أبلغ في إعلان فضل أبي بكر على علّي وعلى سواه ، وحجة لأبي بكر قاطعة وبالله التوفيق »[3] .

وقال العلامة ابن القيم مبيناً أن الرسول ﷺ ولى أبا بكر إقامة الحج سنة تسع ، ومبيناً أقوال العلماء في حكمة إردافه الصديق بعلّي رضي الله عنهما ، قال رحمه الله : « وولى أبا بكر إقامة الحج سنة تسع ، وبعث في أثره علياً يقرأ على

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ٢٢١/٤ ، وانظر تفسير فرات الكوفي ، ص : ٥٤ . الميزان في تفسير القرآن : ١٦٢/٩ ، حق اليقين : ١٧٧/١ .

(٢) انظر منهاج السنة : ٢٢١/٤ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٥٣٩ .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ١٤٦/٤ .

الناس سورة « براءة » .

فقيل : لأن أولها نزل بعد خروج أبي بكر إلى الحج .

وقيل : بل لأن عادة العرب كانت أنه لا يحل العقود ويعقدها إلا المطاع أو رجل من أهل بيته .

وقيل : أردفه به عوناً له ، ومساعداً ، ولهذا قال له الصديق أمير أم مأمور ، قال : بل مأمور[1] ، وأما أعداء الله الرافضة فيقولون : عزله بعليّ وليس هذا ببدع من بهتهم ، وافترائهم » اهـ[2] .

ولقد صدق رحمه الله أن الرافضة ليسوا ببدع في البهت والافتراء ، فذلك متأصل فيهم منذ أن نبتت نابتتهم زمن الإمام زيد بن علي رحمه الله وأما زعمهم أن الإمامة العامة متضمنة لأداء جميع الأحكام إلى الأمة فهو زعم باطل « فالأحكام كلها قد تلقتها الأمة عن نبيها لا تحتاج فيها إلى الإمام إلا كما تحتاج إلى نظائره من العلماء وكانت عامة الشريعة التي يحتاج الناس إليها عند الصحابة معلومة ، ولم يتنازعوا زمن الصديق في شيء منها إلا واتفقوا بعد النزاع بالعلم الذي كان يظهره بعضهم لبعض ، وكان الصديق يعلم عامة الشريعة ، وإذا خفي منه الشيء اليسير سأل عنه الصحابة ممن كان عنده علم ذلك كما سألهم عن ميراث الجد فأخبره من أخبره منهم أن النبي ﷺ أعطاه السدس ولم يعرف لأبي بكر فتيا ولا حكم خالف نصاً »[3] ، فلا مطعن على الصديق رضي الله عنه ببعث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه خلفه في السنة التاسعة من الهجرة إلى الموسم بل إن ذلك يفيد المبالغة في إعلان فضل الصديق لأن السورة اشتملت على الثناء الإلـٰهي الكريم على صديق رسوله ورفيقه في الغار ، فكان من المناسب أن يكون إعلان هذا

---

(١) رواه النسائي في سننه : ٥/٢٤٧ - ٢٤٨ ، سنن الدارمي : ٢/٦٦ - ٦٧ ولفظه « أمير أم رسول ، قال : بل رسول أرسلني رسول الله ﷺ بـ « براءة » أقرؤها على الناس في مواقف الحج » .

(٢) زاد المعاد : ١/١٢٦ .

(٣) منهاج السنة : ٤/٢٢٢ .

الثناء في الحج الأكبر في أيام الموسم بلسان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي هذا نكسة واضحة لكل رافضي إلى يوم القيامة .

ومن مطاعنهم في حق الصديق أنهم يزعمون عدم حصول الإجماع على خلافته ويقولون بمنع الإجماع ويتعللون بأن جماعة « من بني هاشم لم يوافقوا على ذلك وجماعة من أكابر الصحابة كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وحذيفة وسعد بن عبادة وزيد بن أرقم وأسامة بن زيد وخالد بن سعيد بن العاص ، حتى أن أباه أنكر ذلك وقال : من استخلف على الناس فقالوا ابنك فقال : وما فعل المستضعفان إشارة إلى عليّ والعباس ، قالوا : اشتغلوا بتجهيز رسول الله ﷺ ورأوا ابنك أكبر سناً – ثم يقولون – وبنو حنيفة كافة لم يحملوا الزكاة إليه حتى سماهم أهل الردة وقتلهم وسباهم فأنكر عمر عليه ورد السبايا أيام خلافته »[1] .

* والرد على زعمهم هذا :

أن من له أدنى علم وخبرة عندما يسمع هذا الكلام يقطع بأن قائله من أجهل الناس ، ومن أجرأ الناس على البهتان ، فالرافضة أهل جهل وعمى ، وأهل جرأة على الكذب ، فبنو هاشم لم يمت منهم أحد إلا وقد بايع الصديق ، وأما الذين ينصون عليهم بأسمائهم من الصحابة وأنهم تخلفوا عن بيعة أبي بكر فهو كذب عليهم ، إذ بيعتهم للصديق ثم الفاروق أشهر من أن تنكر وأسامة بن زيد لم يسر بجيشه لمحاربة الروم حتى بايع أبا بكر ، وما تذكره الشيعة الرافضة من أن أبا قحافة أنكر استخلاف ابنه أبي بكر فهو باطل ولم يكن ابنه أسن الصحابة ، وإنما كان أصغر من النبي ﷺ بقليل ، والعباس أكبر من النبي ﷺ بثلاث سنين[2] لكن المأثور عن أبي قحافة أنه لما قبض نبي الله ﷺ ارتجت مكة فسمع

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ٢٢٧/٤ .

(٢) انظر منهاج السنة : ٢٣٠/٤ – ٢٣١ ، المنتقى للذهبي ، ص : ٥٤٤ – ٥٤٥ .

أبو قحافة ، فقال : ما للناس ؟ قالوا : قبض رسول الله ﷺ ، قال : أمر جلل فمن ولي بعده ، قالوا : ابنك ، قال : وهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة ؟ ، قالوا : نعم ، قال : لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع »[1] ، وأما زعمهم أن بني حنيفة لم يحملوا الزكاة إليه حتى سماهم أهل الردة وقتلهم وسباهم ، فيجاب على هذا البهتان بأن : « من أعظم فضائل أبي بكر عند الأمة أولهم وآخرهم أنه قاتل المرتدين وأعظم الناس ردة كان بنو حنيفة ، ولم يكن قتاله لهم على منع الزكاة ، بل قاتلهم على أنهم آمنوا بمسيلمة الكذاب ، وكانوا فيما يقال نحو مائة ألف والحنفية أم محمد بن الحنفية سرية علي كانت من بني حنيفة وبهذا احتج من جوز سبي المرتدات إذا كان المرتدون محاربين ، فإذا كانوا مسلمين معصومين فكيف استجاز عليّ أن يسبى نساءهم ويطأ من ذلك السبي وأما الذين قاتلهم على منع الزكاة فأولئك ناس آخرون ولم يكونوا يؤدونها وقالوا : لا نؤديها إليك ، بل امتنعوا من أدائها بالكلية ، فقاتلهم على هذا لم يقاتلهم ليؤدوها إليه وأتباع الصديق كأحمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرهما يقولون : إذا قالوا نحن نؤديها ولا ندفعها إلى الإمام لم يجز قتالهم لعلمهم بأن الصديق إنما قاتل من امتنع من أدائها جملة لا من قال : أنا أؤديها بنفسي – ولو عدت الرافضة – « من المتخلفين عن بيعة أبي بكر المجوس واليهود والنصارى لكان ذلك من جنس – عدهم – « لبني حنيفة بل كفر بني حنيفة من بعض الوجوه كان أعظم من كفر اليهود والنصارى والمجوس ، فإن أولئك كفار أصليون وهؤلاء مرتدون ، وأولئك يقرون بالجزية ، وأولئك لهم كتاب أو شبهة كتاب وهؤلاء اتبعوا مفترياً كذاباً ... وأمر مسيلمة مشهور في جميع الكتب التي يذكر فيها مثل ذلك من كتب الحديث والتفسير والمغازي والفتوح والفقه والأصول والكلام ، وهذا أمر قد خلص إلى العذارى في خدورهن ، بل قد أفرد الإخباريون لقتال

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى : ٣/١٨٤ ، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة : ٢/٢٤٧ .

أهل الردة كتباً سموها كتب الردة والفتوح كسيف بن عمر والواقدي وغيرهما يذكر فيها من تفاصيل أخبار أهل الردة وقتالهم ما يذكرون »[1] .

وأما زعمهم : « أن عمر أنكر قتال أهل الردة ورد عليهم سباياهم فهذا من أعظم الكذب والافتراء على عمر بل الصحابة كانوا متفقين على قتال مسيلمة وأصحابه ، ولكن كانت طائفة أخرى مقرين بالإسلام وامتنعوا عن أداء الزكاة فهؤلاء حصل لعمر أولاً شبهة في قتالهم حتى ناظره الصديق وبين له وجوب قتالهم فرجع إليه والقصة في ذلك مشهورة »[2] .

وأما قولهم إن عمر رضي الله عنه أنكر على الصديق سبي مانعي الزكاة ورد السبايا أيام خلافته ، فيقال لهم : هذا من الكذب الذي لا يخفى على من عرف أحوال المسلمين ، فإن مانعي الزكاة اتفق أبو بكر وعمر على قتالهم بعد أن راجعه عمر في ذلك كما هو ثابت في الصحيحين[3] ... لكن من الناس من يقول سبى أبو بكر نساءهم وذراريهم وعمر أعاد ذلك عليهم وهذا إذا وقع ليس فيه بيان اختلافهما ، فإنه قد يكون عمر كان موافقاً على جواز سبيهم ، لكن رد إليهم سبيهم كما رد النبي ﷺ على هوازن سبيهم بعد أن قسمه بين المسلمين ، فمن طابت نفسه بالرد وإلا عوضه من عنده لما أتى أهلهم مسلمين وطلبوا رد ذلك إليهم[4] ، وأهل الردة قد اتفق أبو بكر وعمر وسائر الصحابة على أنهم لا يمكنون من ركوب الخيل ولا حمل السلاح بل يتركون يتبعون أذناب البقر حتى يري الله خليفة رسوله والمؤمنين حسن إسلامهم ، فلما تبين لعمر حسن إسلامهم رد ذلك إليهم لأنه جائز »[5] .

---

(١) منهاج السنة : ٢٢٨/٤ ، وانظر المنتقي للذهبي ، ص : ٥٤٤ .

(٢) المصدر السابق : ٢٢٩/٤ ، وانظر المنتقي للذهبي ، ص : ٥٤٤ .

(٣) انظر صحيح البخاري : ١٩٦/٤ ، صحيح مسلم : ٥١/١ - ٥٢ .

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام : ٤٨٨/٢ - ٤٩١ .

(٥) منهاج السنة : ٢٣١/٣ - ٢٣٢ .

فإمامة الصديق من الأمور التي أجمعت عليها الأمة وما يردده الرافضة من الهذيان حول عدم الإجماع عليها لا يلتفت إليه ولا يعتد به .

ومن مطاعنهم في حق الصديق أنهم طعنوا عليه بقوله تعالى : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] .

ووجه طعنهم بهذه الآية أنهم يقولون : « أخبر بأن عهد الإمامة لا يصل إلى الظالم والكافر ظالم لقوله : ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2] ، قالوا : ولا شك في أن الثلاثة كانوا كفاراً يعبدون الأصنام ، إلى أن ظهر النبي ﷺ »[3] .

ويرد على هذا الافتراء من وجوه :—

أحدها : أن الكفر الذي يعقبه الإيمان لم يبق على صاحبه منه ذم ، فإن الإسلام يجب ما قبله وهذا معلوم بالاضطرار من الدين .

ثانياً : ليس كل من ولد على الإسلام بأفضل ممن أسلم بنفسه ، وإلا لزم أن يكون أفضل من الصحابة ، فقد ثبت بالنصوص المستفيضة أن خير القرون القرن الأول الذين بعث فيهم الرسول – ﷺ – ، وعامتهم أسلموا بأنفسهم بعد الكفر ، وهم أفضل بلا شك ممن ولد على الإسلام ، ولهذا قال أكثر العلماء أنه يجوز على الله أن يبعث نبياً ممن آمن بالأنبياء ولهذا قال تعالى : ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾[4] ، وقد قال شعيب : ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ﴾[5] .

ثالثاً : يقال لهم : قبل أن يبعث الله رسوله محمداً ﷺ لم يكن أحد مؤمناً

---

(١) سورة البقرة آية : ١٢٤ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٤ .

(٣) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ٢١٨/٤ . الميزان في تفسير القرآن : ٢٧٨/١ – ٢٧٩ .

(٤) سورة العنكبوت ، آية : ٢٦ .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ٨٩ .

من قريش لا صغير ولا كبير ، وإذا قيل عن رجالهم أنهم كانوا يعبدون الأصنام فصبيانهم كذلك ، فإن قالوا : كفر الصبي ليس مثل كفر البالغ ، يقال لهم : ولا إيمان الصبي مثل إيمان البالغ ، فالرجل يثبت له حكم الإيمان بعد الكفر وهو بالغ ، والصبي يثبت له حكم الكفر والإيمان وهو دون البلوغ ، والطفل بين أبويه الكافرين يجرى عليه حكم الكفر في الدنيا بالإجماع ، فإذا أسلم قبل البلوغ فهل يجري عليه حكم الإسلام قبل البلوغ على قولين للعلماء : بخلاف البالغ ، فإنه يصير مسلماً باتفاق فكان إسلام الثلاثة مخرجاً لهم من الكفر بإجماع المسلمين .

رابعاً : أن أسماء الذم الواردة في القرآن كالكفر والظلم والفسق لا تتناول إلا من كان مقيماً على ذلك ، وأما من صار مؤمناً بعد الكفر وعادلاً بعد الظلم براً بعد الفجور ، فهذا تتناوله أسماء المدح دون أسماء الذم باتفاق المسلمين ، فمن أسلم بعد كفره واتقى وآمن لم يجز أن يسمى ظالماً ، فقوله تعالى : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي : ينال العادل دون الظالم ، فإذا قدر أن شخصاً كان ظالماً ثم تاب ، وصار عادلاً تناوله العهد وصار ممدوحاً بآيات المدح والثناء كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾[2] .

خامساً : إن من قال إن المسلم بعد إيمانه كافر فهو كافر بإجماع المسلمين ، فكيف يقال : عن أفضل الخلق إيماناً إنهم كفار لأجل ما تقدم[3] .

ومما طعن به الرافضة على أبي بكر – رضي الله – عنه – : قول عمر – رضي الله – : « كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه » ، وكونها فلتة يدل على أنها لم تقع عن رأي صحيح ثم سأل وقاية

---

(١) سورة الانفطار ، آية : ١٣ ، المطففين ، آية : ٢٢ .

(٢) سورة الدخان ، آية : ٥١ .

(٣) انظر منهاج السنة : ٢١٨/٤ – ٢١٩ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٥٣٦ – ٥٣٧ .

شرها ، ثم أمر بقتل من يعود إلى مثلها ، وكان ذلك يوجب الطعن فيه »[1] .

والرد على هذا ، « أن لفظ عمر ما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس من خطبة عمر التي قال فيها : « ثم إنه قد بلغني أن قائلاً منكم يقول : « والله لو مات عمر بايعت فلاناً » ، فلا يغترن امرؤ أن يقول : إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة ، ألا وإنها قد كانت كذلك ، ولكن قد وقى الله شرها وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر ، من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا وإنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ وذكر الحديث »[2] .

ومعنى ذلك أنها وقعت فجأةً لم تكن قد استعددنا لها ، ولا تهيأنا لأن أبا بكر كان متعيناً لذلك فلم يكن يحتاج في ذلك إلى أن يجتمع لها الناس ، إذ كلهم يعلمون أنه أحق بها وليس بعد أبي بكر من يجتمع الناس على تفضيله واستحقاقه ، كما اجتمعوا على ذلك في أبي بكر فمن أراد أن ينفرد ببيعة رجل دون ملأ من المسلمين فاقتلوه ، وهو لم يسأل وقاية شرها بل أخبر أن الله وقى شر الفتنة بالاجتماع »[3] .

ومن مطاعنهم التي ألصقوها بالصديق - رضي الله عنه - زعمهم أنه قال : « أقيلوني فلست بخيركم ، ولو كان إماماً لم يجز له طلب الإقالة »[4] .

والرد على هذا من وجهين : -

الوجه الأول : يطالبون بصحة هذا إذ ليس كل منقول صحيح والقدح بغير الصحيح لا يصح .

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ٢١٦/٤ . الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٣٠٢/٢ .

(٢) صحيح البخاري : ١٧٩/٤ - ١٨٠ ، المسند : ٥٥/١ ، من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(٣) منهاج السنة : ٢١٦/٤ - ٢١٧ .

(٤) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ٢١٩/٤ . الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٢٩٤/٢ ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف : ٤٠٢/٢ - ٤٠٣ .

الوجه الثاني : لو صح هذا القول عن الصديق لم تجز معارضته بقول القائل الإمام لا يجوز له طلب الإقالة ، فإن هذه دعوى مجردة لا دليل عليها ، وأما تثبيت كون الصديق قاله والقدح في ذلك بمجرد الدعوى فهو كلام من لا يبالي ما يقول ، وقد يقال وهذا يدل على الزهد في الولاية والورع فيها وخوف الله أن لا يقوم بحقوقها ، وهذا يناقض ما يقوله الرافضة أنه كان طالباً للرياسة راغباً في الولاية[١] .

ومما طعنوا به على أبي بكر – رضي الله عنه – : زعمهم أنه تسمى بخليفة رسول الله ﷺ ، وأن النبي ﷺ لم يستخلفه[٢] .

والرد على هذيانهم هذا :

أنه خليفة رسول الله ﷺ على رغم أنف كل رافضي وجد على وجه الأرض إلى يوم القيامة ، ولو سمى نفسه بخليفة رسول الله ﷺ لصدق في ذلك ولقبله منه كل مسلم عرف قدره ومنزلته في هذه الأمة ، ولكنه رضي الله عنه لم يسم نفسه بهذا الاسم وإنما سماه به من أطلق الله عليهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس[٣] ، ومن أخبر الله عنهم أنهم صادقون بقوله : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[٤] .

فقد اتفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وجميع إخوانهم من الأنصار رضي الله عنهم على أن سموه خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم[٥] .

---

(١) منهاج السنة : ٢١٩/٤ .

(٢) انظر كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة : ١/ ٤ – ٥ ، وانظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٥/٢ . الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٢٩٩/٢ .

(٣) انظر المستدرك : ٧٩/٣ – ٨٠ .

(٤) سورة الحشر ، آية : ٨ .

(٥) منهاج السنة : ١٣٥/١ .

وأما قولهم أن النبي ﷺ لم يستخلفه ، يجاب على هذا أن النبي ﷺ وإن كان لم ينص عليه بالاسم إلا أنه أرشد الأمة إلى استخلافه بأمور عديدة من أقوال وأفعال وهمّ عليه الصلاة والسلام أن يكتب بذلك عهداً لكنه علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك ذلك ، فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه بياناً قاطعاً للعذر ، لكنه دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين ، وفهموا ذلك .

هنا حصل المقصود[1] ولا حاجة للنص عليه بعينه اكتفاءً بذلك فلا وجه لطعن الشيعة على أبي بكر بهذا وطعنهم عليه بهذا يعد من فضول الكلام .

ومما طعنوا به على أبي بكر : أنهم يقولون : « لما استتب له الأمر قطع لنفسه أجرة من بيت مال الصدقة كل يوم ثلاثة دراهم ، وهذا من أظهر الحرام فأكل الحرام تعمداً وخلافاً على الله ، وعلى رسوله ﷺ ، مصراً عليه غير نادم فيه ولا تائب عنه إلى أن مات بغير خلاف فيه وذلك أن أبواب أموال الشريعة معلومة كل باب منها مفروض من الله ومن رسوله - ﷺ - لقوم بأعيانهم لا يحل لأحد أن يأكل منه حبةً واحدةً حتى يصير ذلك في أيديهم »[2] .

والرد على هذا الافتراء :

أنه لا يصدر إلا ممن قل حياؤه وخبثت سيرته وسريرته ، وبلغ في الجهل ذروته ، فالصديق رضي الله عنه لم يفرض لنفسه ولا درهماً واحداً من بيت مال المسلمين ، وإنما خيار الأمة صحابة رسول الله ﷺ هم الذين فرضوا له شيئاً يسيراً من بيت مال المسلمين حتى يتفرغ لأمور المسلمين .

فقد أخرج ابن سعد بإسناده إلى عطاء بن السائب ، قال : لما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق ، وعلى رقبته أثواب يتجر بها ، فلقيه عمر بن

---

(١) المصدر السابق : ١/١٣٩ .

(٢) كتاب الاستغاثة : ١/١٧ .

الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، فقالا له : أين تريد يا خليفة رسول الله ؟ ، قال : السوق ، قالا : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ ، قال : فمن أين أطعم عيالي ... »[1] .

وهنا اتفق الصحابة وفي مقدمتهم عمر الفاروق وأمين هذه الأمة أبو عبيدة على تخصيص مبلغ معين للصديق ، ليتفرغ لشئون الخلافة ، وأقره جميعهم ولم يوجد من أنكر هذا فلو كان هذا حراماً ، فقد كان أبو الحسن رضي الله عنه أحد من أقروه وقدروه[2] ، فلا وجهة صحيحة للرافضة للطعن على أبي بكر ، بأنه هو الذي فرض لنفسه كل يوم ثلاثة دراهم .

ومما طعنوا به على الصديق : أنهم يزعمون أن رسول الله ﷺ قال : جهزوا جيش أسامة وكرر الأمر وكان فيهم أبو بكر وعمر وعثمان ولم ينفذ أمير المؤمنين لأنه أراد منعهم من الوثب على الخلافة بعده فلم يقبلوا منه »[3] .

والرد على هذا أنه باطل من وجوه :

الأول : أنهم يطالبون بصحة النقل إذ هذا من الأخبار التي ليس لها سند معروف ، ولم يصححه أحد من علماء النقل والاحتجاج بالمنقول لا يسوغ إلا بعد العلم بصحته وثبوته وإلا فيمكن أن يقول كل واحد ما شاء .

الثاني : أن هذا كذب باتفاق علماء النقل ، فلم يكن في جيش أسامة أبو بكر ولا عثمان ، وإنما قد قيل إنه كان عمر وقد تواتر عن النبي ﷺ أنه استخلف أبا بكر على الصلاة حتى مات وصلى أبو بكر رضي الله عنه الصبح يوم موته ، وقد كشف سجف الحجرة فرآهم صفوفاً خلف أبي بكر فسر

---

(١) الطبقات الكبرى ، ١٨٤/٣ .

(٢) انظر المصدر السابق : ١٨٤/٣ - ١٨٥ ، تاريخ الأمم والملوك : ٤٣٢/٣ .

(٣) انظر كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة : ٢٠/١ - ٢٣ ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٢٩٦/١ - ٢٩٩ ، منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ٢٢٠/٤ . حق اليقين في معرفة أصول الدين : ١٧٨/١ .

بذلك[1] ، فكيف يكون مع هذا قد أمره أن يخرج في جيش أسامة .

الثالث : لو أراد النبي ﷺ تولية عليّ لكان هؤلاء أعجز من أن يدفعوا أمره ولكان جماهير الأمة أطوع لله ولرسوله - ﷺ - من أن يدعوا أحداً يتوثب على من نص الرسول - ﷺ - لهم عليه .

الرابع : لو أراد توليته لكان أمره بالصلاة بالمسلمين أيام مرضه ، ولما كان يدع أبا بكر يصلي بهم[2] وبهذه الوجوه يبطل طعن الرافضة على الصديق بهذا فقد أنفذ رضي الله عنه جيش أسامة حيث الوجهة التي أرادها النبي ﷺ وزعمهم بأنه كان أحد أفراد هذا الجيش وتخلف وأن الرسول - ﷺ - لعن المتخلف كذب محض ، وتقول على الرسول ﷺ بما لم يقل به .

ومن مطاعنهم على أبي بكر - رضي الله عنه - أنه لم يعط فاطمة رضي الله عنها من تركة أبيها ﷺ ، حتى قالت : يا ابن أبي قحافة أنت ترث أباك ، وأنا لا أرث أبي ؟ ، واحتج أبو بكر على عدم توريثها بما رواه هو فقط من قوله ﷺ : « **نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نورث** » ، مع أن هذا الخبر مخالف لصريح قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾[3] فإنه عام للنبي وغيره ومخالف أيضاً لقوله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ ﴾[5] .

والرد على هذا :

---

(١) انظر صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٢/٢٣٥ ، وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

(٢) انظر منهاج السنة : ٤/٢٢٠ - ٢٢١ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٥٣٨ - ٥٣٩ ، مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٣) سورة النساء آية : ١١ .

(٤) سورة النمل ، آية : ١٦ .

(٥) انظر الاستغاثة في بدع الثلاثة لأبي القاسم أحمد بن علي الكوفي ١/٩ - ١٥ ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للعاملي : ٢/٢٨٢ - ٢٨٤ الطرائف في معرفة مذهب الطوائف لعلي بن موسى بن طاووس الحسنى الحسيني : ١/٢٤٧ وما بعدها . حق اليقين : ١/١٧٨ - ١٧٩ .

أن الصديق رضي الله عنه لم يمنع فاطمة رضي الله عنها من الإرث لأجل عداوة أو بغض لها والدليل على هذا عدم توريثه أمهات المؤمنين حتى ابنته ، والحامل له على هذا تمام التزامه بما سمعه من النبي ﷺ ومن ذلك ما روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أن فاطمة عليها السلام والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان أرضه من فدك وسهمه من خيبر ، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد في هذا المال** » الحديث[1] وهذا أمر كان معروفاً بين أزواجه المطهرات .

فقد روى البخاري بإسناده إلى عروة بن الزبير أنه قال : سمعت عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ تقول : أرسل أزواج النبي ﷺ عثمان إلى أبي بكر يسألنه ثمنهن مما أفاء الله على رسوله ﷺ ، فكنت أنا أردهن ، فقلت لهن : ألا تتقين الله ألم تعلمن أن النبي ﷺ كان يقول : « **لا نورث ما تركنا صدقة** » يريد بذلك نفسه ، إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال ، فانتهى أزواج النبي ﷺ إلى ما أخبرتهن » الحديث[2] ، فهذه إحدى الزوجات الوارثات للنبي ﷺ قد روت ما قاله أبو بكر ، ولو أن باقي أمهات المؤمنين لم يتذكرن ما ذكرتهن به عائشة لأنكرن قولها ، ومعنى هذا أنه أمر كان مقرراً عندهن ومعروفاً لديهن وزعم الشيعة أن الصديق رضي الله عنه تفرد برواية هذا الحديث زعم باطل ، فقد « وافقه على رواية هذا الحديث : عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، وعبد الرحمٰن بن عوف ، وطلحة ابن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو هريرة ، وعائشة — رضي الله عنهم أجمعين — ولو تفرد بروايته الصديق رضي الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له في ذلك »[3] . وأما دعواهم أن

(١) صحيح البخاري : ١٧/٣ .

(٢) صحيح البخاري : ١٧/٣ .

(٣) البداية والنهاية : ٣٢٢/٥ .

الحديث مخالف لآية المواريث وغيرها » فجهل عظيم لأن الخطاب في « يوصيكم » لما عدا النبي ﷺ ، فهذا الخبر مبين لتعيين الخطاب لا مخصص ، بل لو كان مخصصاً للآية فأي ضرر فيه ؟ ، فقد خصص من الآية الولد الكافر والرقيق والقاتل .

فالرافضة إذا دخلوا في مسألة لم يدخلوها بفهم وعلم ، وإنما يدخلونها بجهل وعدم فهم ومنها مسألة الميراث هذه .

قال العلامة ابن كثير : « وقد تكلمت الرافضة في هذا المقام بجهل وتكلفوا ما لا علم لهم به ، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ، وأدخلوا أنفسهم فيما لا يعنيهم ، وحاول بعضهم أن يرد خبر أبي بكر رضي الله عنه بأنه مخالف للقرآن حيث يقول الله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾[1] الآية ، وحيث قال تعالى إخباراً عن زكريا أنه قال : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[2] واستدلالهم بهذا باطل من وجوه : -

أحدها : أن قوله : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾ إنما يعني بذلك في الملك والنبوة ، أي : جعلناه قائماً بعده فيما كان يليه من الملك وتدبير الرعايا والحكم بين بني إسرائيل ، وجعلناه نبياً كريماً كأبيه ، وكما جمع لأبيه الملك والنبوة كذلك جعل ولده بعده وليس المراد بهذا وراثة المال لأن داود - كما ذكره كثير من المفسرين - كان له أولاد كثيرون يقال مائة فلم اقتصر على ذكر سليمان من بينهم ، لو كان المراد وراثة المال ؟ إنما المراد وراثة القيام بعده في النبوة والملك ولهذا قال تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ .

وأما قصة زكريا ، فإنه عليه السلام من الأنبياء الكرام ، والدنيا كانت عنده

---

(١) سورة النمل آية : ١٦ .

(٢) سورة مريم آية : ٥ - ٦ .

أحقر من أن يسأل الله ولداً ليرثه في ماله كيف ؟ ، وإنما كان نجاراً يأكل من كسب يده كما رواه البخاري[1] ولم يكن ليدخر فوق قوته حتى يسأل الله ولداً يرث عنه ماله - أن لو كان له مال - وإنما سأل ولداً صالحاً يرثه في النبوة والقيام بمصالح بني إسرائيل وحملهم على السداد .

الوجه الثاني : أن رسول الله ﷺ قد خص من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها ... فلو قدر أن غيره من الأنبياء يورثون وليس الأمر كذلك - لكان ما رواه - الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ - مبيناً لتخصيصه بهذا الحكم دون سواه .

الوجه الثالث : أنه يجب العمل بهذا الحديث والحكم بمقتضاه كما حكم به الخلفاء واعترف بصحته العلماء سواء كان من خصائصه أم لا ، فإنه قال : « **لا نورث ما تركنا صدقة** » ، أن يكون خبراً عن حكمه ، أو حكم سائر الأنبياء معه وهو الظاهر ، ويحتمل أن يكون إنشاء وصيته كأنه يقول : لا نورث لأن جميع ما تركناه صدقة ، ويكون تخصيصه من حيث جواز حمله ماله كله صدقة والاحتمال الأول أظهر ، وهو الذي سلكه الجمهور ، وقد يقوى المعنى الثاني - بما رواه - مالك وغيره - عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يقتسم ورثتي ديناراً ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة** »[2] ، وهو يرد تحريف من قال من الجهلة من طائفة الشيعة في رواية هذا الحديث : « **ما تركناه صدقة** » بالنصب - جعل - ما - نافية فكيف يصنع بأول الحديث وهو قوله لا نورث - ؟ وبهذه الرواية « **ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة** » ؟... والمقصود أنه يجب العمل بقوله ﷺ : « **لا نورث ما تركنا صدقة** » على كل تقدير احتمله اللفظ والمعنى ، فإنه مخصص لعموم آية

---

(١) لم أقف عليه في البخاري ، وإنما هو في صحيح مسلم : ١٨٤٧/٤ .

(٢) الموطأ : ٩٩٣/٢ ، صحيح البخاري : ١٨٨/٢ .

الميراث ومخرج له عليه السلام منها إما وحده أو مع غيره من إخوانه الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام »[1] .

فلا سبيل للرافضة ، للطعن على أبي بكر بقضية توريث فاطمة رضي الله عنها مما أفاء الله على رسوله من مال فدك والنضير وخيبر حيث : « إنه لما كان خليفة رسول الله ﷺ فهو يرى أن فرضاً عليه أن يعمل بما كان يعمله رسول الله ﷺ ويلي ما كان يليه رسول الله ﷺ ، ولهذا قال : « وإني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته »[2] ، وهذا هو الحكم المصحوب بالصواب والسداد ، وهو الحكم الذي ارتضته فاطمة رضي الله عنها وسلمت به عندما اعتذر لها الصديق بعذر يجب قبوله ، وهو ما رواه عن أبيها ﷺ في هذه القضية ، فقالت له : « فأنت وما سمعت من رسول الله ﷺ »[3] ، وهذا هو الصواب والمظنون بها وما يليق بأمرها وسيادتها وعلمها ودينها رضي الله عنها .

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الحكمة في عدم توريث الأنبياء كغيرهم من الناس ، فقال : « والفرق بين الأنبياء وغيرهم أن الله تعالى صان الأنبياء عن أن يورثوا دنيا لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وورثوها لورثتهم ، وأما أبو بكر الصديق وأمثاله فلا نبوة لهم يقدح فيها بمثل ذلك ، كما صان الله تعالى نبينا عن الخط والشعر صيانة لنبوته عن الشبهة وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة »[4] .

ومما هو جدير بالتنبيه عليه أن أئمة أهل البيت اعترفوا بصحة ما حكم به أبو بكر فيما أفاء الله به على رسوله - ﷺ - وأيدوه على ذلك ، فهذا علي رضي الله عنه « قد تولى الخلافة بعد ذي النورين عثمان » وصار فدك وغيرها تحت

---

(١) البداية والنهاية : ٣٢٥/٥ - ٣٢٧ .
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده : ١٠/١ .
(٣) المصدر السابق : ٤/١ .
(٤) منهاج السنة : ١٥٧/٢ - ١٥٨ .

حكمه ولم يعط منها شيئاً لأحد من أولاد فاطمة ، ولا من زوجات النبي ﷺ ولا ولد العباس ، فلو كان ذلك ظلماً وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه أفتراه يقاتل معاوية مع ما جرى في ذلك من الشر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليلاً من المال وأمره أهون بكثير[1] .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن الحافظ البيهقي روى بإسناده إلى فضيل بن مرزوق ، قال : قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر لحكمت بما حكم به أبو بكر في فدك[2] .

فالرافضة لو تفهموا الأمور على ما هي عليه لعرفوا للصديق فضله ، وقبلوا منه عذره ، كما قبلت ذلك منه سيدة نساء أهل الجنة فاطمة رضي الله عنها وغيرها من أهل البيت ، ولكن الرافضة طائفة لها النصيب الأوفر من الخذلان يتشبثون بالمتشابه ويعدلون عن الأمور المحكمة المقدرة عند أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء المعتبرين في سائر الأعصار والأمصار .

ومن مطاعنهم على أبي بكر – رضي الله عنه – أنهم يقولون : إنه درأ الحد عن خالد بن الوليد أمير الأمراء عنده ولم يقتص منه عندما قتل مالك بن نويرة مع إسلامه ونكح امرأته في تلك الليلة ولم تمض عدة الوفاة ويزعمون أن عمر أنكر هذا على أبي بكر[3] .

والرد على هذا الزعم :

أنه من أظهر الأدلة على جهل الرافضة بما حكته كتب التواريخ فخالد بن الوليد لم يقتل مالك بن نويرة إلا بعد أن أظهر له أنه ارتد عن الإسلام هو وأهله ،

---

(١) منهاج السنة : ٣/٢٣١ .

(٢) البداية والنهاية : ٥/٣٢٥ .

(٣) انظر كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة لأبي القاسم الكوفي : ١/٦ ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٢/٢٧٩ ، مقدمة مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول لمرتضى العسكري : ١/٤٤ . حق اليقين : ١/١٧٩ – ١٨٠ .

فقد أعلنوا سرورهم وضربوا بالدفوف وشتموا أهل الإسلام عند وفاة النبي ﷺ[1] ، بل إن مالك بن نويرة قال في حضور خالد عندما كان يؤنبه على متابعته سجاح وعلى منعه الزكاة ، وقال له : « ألم تعلم أنها قرينة الصلاة ، فقال مالك : إن صاحبكم كان يزعم ذلك ، فقال له خالد : أهو صاحبنا وليس بصاحبك »[2] ، فهذا التعبير مشعر بالكفر والردة بل ثبت أن مالكاً لما سمع بوفاة النبي ﷺ رد صدقات قومه عليهم ، وقال : قد نجوتم من مؤنة هذا الرجل »[3] .

وذكر أبو سليمان الخطابي أن المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ كانوا على صنفين :

صنف منهم ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا إلى الكفر .

والصنف الآخر هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة ، فأقروا بالصلاة وأنكروا الزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام ... إلى أن قال : وقد كان ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح بالزكاة ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على أيديهم في ذلك كبني يربوع فإنهم قد جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر رضي الله عنه فمنعهم مالك بن نويرة عن ذلك وفرقها فيهم »[4] .

فلما بلغ الصديق حال مالك هذا لم يوجب على خالد القصاص ولا الحد إذ لا موجب لهما ، فكيف يريد الرافضة بعد هذا من أبي بكر أن يقيد خالداً في رجل علم ارتداده ، وبان كفره .

---

(١) انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٣٨ .

(٢) البداية والنهاية : ٣٦٣/٦ ، وانظر تاريخ الأمم والملوك : ٢٨٠/٣ .

(٣) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٣٩ .

(٤) معالم السنن : ٣/٢ .

وأما زعمهم أن خالداً تزوج امرأة مالك بن نويرة من ليلته ولم تمض عدة الوفاة ، فهذا لم يثبت في كتاب معتبر ، بل الثابت في الروايات المعتبرة عند ابن جرير وابن كثير أن خالداً لم يتسر بهذه السبية إلا بعد انقضاء عدتها[1] .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى في صدد رده على ابن المطهر الحلي : « وأما ما ذكره من تزوجه بامرأته ليلة قتله ، فهذا مما لم يعرف ثبوته »[2] .

وأما قولهم : « إن عمر رضي الله عنه أنكر على أبي بكر عدم أخذ القود من خالد لمالك بن نويرة يقال لهم : « غاية هذا أن تكون مسألة اجتهاد كان رأي أبي بكر فيها أن لا يقتل خالداً ، وكان رأي عمر فيها قتله، وليس عمر بأعلم من أبي بكر لا عند أهل السنة ولا عند الشيعة ولا يجب على أبي بكر ترك رأيه لرأي عمر ، ولم يظهر بدليل شرعي أن قول عمر هو الراجح فكيف يجوز أن يجعل هذا عيباً لأبي بكر - ولا يجعله عيباً له - إلا من هو من أقل الناس علماً وديناً وليس عندنا أخبار صحيحة ثابتة بأن الأمر جرى على وجه يوجب قتل خالد »[3] ، ومما يعتذر به للفاروق رضي الله عنه أنه تأثر بما بلغهم من أن سرية خالد لما أذنوا للصلاة سمعوا أذاناً وإقامة صلاة من جهة مالك وأصحابه[4] لكن ثبت أن أخاه متمم بن نويرة اعترف بارتداده في حضور عمر مع شدة محبته له محبة تضرب بها الأمثال وفيه قال :

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... يطول اجتماع لم نبت ليلة معاً[5]

ثم إن عمر ندم على ما كان من إنكاره زمن الصديق[6] .

---

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك : ٢٧٨/٣ ، البداية والنهاية : ٣٦٣/٦ .

(٢) منهاج السنة : ١٣٠/٣ .

(٣) المصدر السابق : ١٢٩/٣ - ١٣٠ .

(٤) انظر تاريخ الأمم والملوك : ٢٧٨/٣ ، البداية والنهاية : ٣٦٣/٦ .

(٥) انظر أبياته في الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٣٥/٢ ، البداية والنهاية : ٣٦٣/٦ .

(٦) انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٤١ - ٢٤٢ .

فلا مسوغ للرافضة للطعن على الصديق بقصة خالد مع مالك بن نويرة إذ كان قتله خالد على ارتداده .

ومما طعن به الرافضة على أبي بكر : أنهم يقولون : « إنه أول من سمى المسلمين كفاراً ، وأن القوم كانوا متأولين في منع الصدقة ، وكانوا يزعمون أن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ خطاب خاص في مواجهة النبي ﷺ دون غيره وأنه مقيد بشرائط لا توجد فيمن سواه وذلك أنه ليس لأحد من التطهير والتزكية والصلاة على المتصدق ما للنبي ﷺ ومثل هذه الشبهة إذا وجدت كان مما يعذر فيه أمثالهم ويرفع به السيف عنهم وزعموا أن قتالهم كان عسفاً[1] .

قال الخطابي رحمه الله بعد أن ذكر هذيانهم هذا : « وهؤلاء الذين زعموا ما ذكرناه قوم لا خلاق لهم في الدين وإنما رأس مالهم البهت والتكذيب والوقيعة في السلف ، وقد بينا أن أهل الردة كانوا أصنافاً منهم من ارتد عن الملة ودعا إلى نبوة مسليمة وغيره ، ومنهم من ترك الصلاة والزكاة وأنكر الشرائع كلها وهؤلاء هم الذين سماهم الصحابة كفاراً ، ولذلك رأى أبو بكر رضي الله عنه سبي ذراريهم ، وساعده على ذلك أكثر الصحابة واستولد علي بن أبي طالب جارية من سبي بني حنيفة ، فولدت له محمد الذي يدعى ابن الحنفية ، ثم لم ينقض عصر الصحابة حتى أجمعوا على أن المرتد لا يسبي ، فأما مانعوا الزكاة منهم المقيمون على أصل الدين فإنهم أهل بغي و لم يسموا على الانفراد منهم كفاراً وإن كانت الردة قد أضيفت إليهم لمشاركتهم المرتدين في منع بعض ما منعوه من حقوق الدين وذلك أن الردة اسم لغوي وكل من انصرف عن أمر كان مقبلاً عليه فقد ارتد عنه وقد وجد من هؤلاء القوم الانصراف عن الطاعة ومنع الحق وانقطع عنهم اسم الثناء والمدح بالدين وعلق بهم الاسم القبيح لمشاركتهم القوم

(١) انظر الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف : ٤٣٣/٢ - ٤٣٤ .

الذين كان ارتدادهم حقاً ، وأما قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾[1] وما ادعوه من كون الخطاب خاصاً لرسول الله ﷺ فإن خطاب كتاب الله تعالى على ثلاثة أوجه : –

خطاب عام كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ الآية[2] وكقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾[3] .

وخطاب خاص للنبي ﷺ لا يشركه فيه غيره ، وهو ما أبين به من غيره بسمة التخصيص وقطع التشريك كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ﴾[4] وخطاب مواجهة للنبي ﷺ وهو وجميع أمته في المراد به سواء كقوله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾[5] وكقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[6] ونحو ذلك من خطاب المواجهة ، فكل ذلك غير مختص برسول الله ﷺ بل تشاركه فيه الأمة فكذا قوله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ فعلى القائم بعده ﷺ بأمر الأمة أن يحتذي حذوه في أخذها منهم ، وإنما الفائدة في مواجهة النبي ﷺ بالخطاب أنه هو الداعي إلى الله تعالى والمبين عنه معنى ما أراد ، فقدم اسمه في الخطاب ليكون سلوك الأمر في شرائع الدين على حسب ما ينهجه ويبينه لهم – إلى أن قال – فأما التطهير والتزكية والدعاء من الإمام لصاحب الصدقة فإن الفاعل فيها قد ينال ذلك كله بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فيها وكل ثواب موعود على عمل بر كان في زمنه ﷺ فإنه باق غير منقطع ، ويستحب للإمام وعامل الصدقة أن يدعو للمصدق

(١) سورة التوبة ، آية : ١٠٣ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٦ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٨٣ .

(٤) سورة الإسراء ، آية : ٧٩ .

(٥) سورة الإسراء ، آية : ٧٨ .

(٦) سورة النحل ، آية : ٩٨ .

بالنماء والبركة في ماله ويرجى أن يستجيب الله ذلك ولا يخيب مسألته » اهـ[1] .

فطعن الرافضة على الصديق بمقاتلته مانعي الزكاة باطل وساقط ليس عليه ذم بسبب ذلك ، وإنما يمدح على ذلك بل ويعد ذلك من مناقبه إذ ذلك « أدل دليل على شجاعته رضي الله عنه وتقدمه في الشجاعة والعلم على غيره ، فإنه ثبت للقتال في هذا الموطن العظيم الذي هو أكبر نعمة أنعم الله تعالى بها على المسلمين بعد رسول الله ﷺ واستنبط رضي الله عنه من العلم بدقيق نظره ورصانة فكره ما لم يشاركه في الابتداء به غيره ، فلهذا وغيره مما أكرمه الله تعالى به أجمع أهل الحق على أنه أفضل أمة رسول الله ﷺ وقد صنف العلماء رضي الله عنهم في معرفة رجحانه أشياء كثيرة مشهورة في الأصول وغيرها »[2] ولكن الرافضة قوم يجهلون هذا وغيره من فضائله رضي الله عنه وأرضاه وبسبب ما أصيبوا به من عمى البصيرة يقلبون المناقب مثالب .

ومما طعنوا به على الصديق – رضي الله عنه – أنه قال عند موته : « ليتني كنت سألت رسول الله ﷺ هل للأنصار في هذا الأمر حق وهذا يدل على شكه في صحة بيعة نفسه مع أنه الذي دفع الأنصار يوم السقيفة لما قالوا : منا أمير ومنكم أمير بما رواه عن النبي ﷺ : الأئمة من قريش »[3] .

والرد على هذا :

أما زعمهم أنه رضي الله عنه قال : ليتني سألت النبي ﷺ هل للأنصار في هذا الأمر حق ، فهذا من الكذب الواضح لأن المسألة كانت واضحة عنده وعند الصحابة لكثرة النصوص الواردة فيها عن النبي ﷺ ، وهذا يدل على بطلان هذا النقل ، ولو قدر صحته ففيه فضيلة لأبي بكر لأنه لم يكن يعرف النص

---

(١) معالم السنن للخطابي : ٥/١ – ٨ ، شرح النووي : ٢٠٣/١ – ٢٠٥ .

(٢) شرح النووي : ٢١١/١ – ٢١٢ .

(٣) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ٢١٩/٤ . الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للعاملي : ٣٠١/٢ .

واجتهد فوافق اجتهاده النص ثم من اجتهاده وورعه تمنى أنه يكون معه نص بعينه على الاجتهاد فهذا يدل على كمال علمه حيث وافق اجتهاده النص ويدل على ورعه حيث خاف أن يكون مخالفاً للنص فأي قدح في هذا .

وأما قولهم : إنه شك في صحة بيعة نفسه هذا مما يرمونه به كذباً وزوراً لم يصدر عن أي طائفة سوى الرافضة[1] .

ومن مطاعنهم على أبي بكر - رضي الله عنه - : « أنهم يزعمون أن النبي ﷺ لم يول أبا بكر وولى عليه »[2] .

والرد على هذا من وجوه :

الوجه الأول : أن هذا الزعم باطل حيث ولاه ولاية لم يشركه فيها أحد وهي ولاية الحج ، وقد ولاه غير ذلك .

الوجه الثاني : أن النبي ﷺ قد ولى من هو بإجماع أهل السنة والشيعة من كان عنده دون أبي بكر مثل عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وخالد بن الوليد فعلم أنه لم يترك ولايته لكونه ناقصاً عن هؤلاء .

الوجه الثالث : أن عدم ولايته لا يدل على نقصه ، بل قد يترك ولايته لأنه عنده أنفع له منه في تلك الولاية وحاجته إليه في المقام عنده وغنائه عن المسلمين أعظم من حاجته إليه في تلك الولاية ، فإنه هو وعمر كانا مثل الوزيرين له يقول كثيراً دخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر[3] فلا وجه للرافضة للطعن على أبي بكر بعدم تولية النبي ﷺ إياه إذ الثابت خلاف ما تقولوه .

وجاء في مختصر التحفة الاثنى عشرية في صدد تعداد مطاعن الرافضة في

---

(١) انظر منهاج السنة : ٢١٩/٤ - ٢٢٠ ، والمنتقى للذهبي ، ص : ٥٣٨ .

(٢) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ٢٢١/٤ . حق اليقين : ١٧٧/١ .

(٣) منهاج السنة : ٢٢١/٤ ، والحديث رواه البخاري في صحيحه : ٢٩٤/٢ .

حق الصديق ، قال : « ومنها أن النبي ﷺ لم يؤمر أبا بكر قط أمراً مما يتعلق بالدين ، فلم يكن حرياً بالإمامة » .

والجواب : أن هذا كذب محض تشهد على ذلك السير والتواريخ ، فقد ثبت تأميره لمقاتلة أبي سفيان بعد أحد ، وتأميره أيضاً في غزوة بني فزارة ، وتأميره في العام التاسع ليحج بالناس أيضاً ، ويعلمهم الأحكام من الحلال والحرام ، وتأميره أيضاً بالصلاة قبيل الوفاة إلى غير ذلك مما يطول ... ويجاب أيضاً على تقدير التسليم بأن عدم ذلك ليس لعدم اللياقة بل لكونه وزيراً ومشيراً على ما هي العادة » اهـ[1] .

ومن مطاعنهم على أبي بكر – رضي الله عنه – : ما ذكره صاحب كتاب « الاستغاثة » ، فقد قال فيه : « ومن بدعه أنه لما أراد أن يجمع ما تهيأ من القرآن صرخ مناديه في المدينة من كان عنده شيء من القرآن فليأتنا به ، ثم قال : لا نقبل من أحد منه شيئاً إلا بشاهدي عدل ، وإنما أراد هذا الحال لئلا يقبلوا ما ألفه أمير المؤمنين عليه السلام إذ كان ألف في ذلك الوقت جميع القرآن بتمامه وكماله من ابتدائه إلى خاتمته على نسق تنزيله ، فلم يقبل ذلك ، قالوا : لا نقبل القرآن من أحد إلا بشاهدي عدل ... إلخ »[2] .

والرد على هذا الكذب والزور :

يقال لهم : إما أن تقروا وتعترفوا بأن هذا القرآن الموجود بين الدفتين والذي هو في أيدي المسلمين يتعبدون الله به مطابق للقرآن الذي تزعمون أن علياً رضي الله عنه قام بجمعه في زمن الصحابة وحينئذ يكون طعنكم على الصديق بهذا في غير محله ، ويكون من اللغو الذي لا فائدة فيه .

وإما أن تقولوا إنه مخالف للقرآن الذي جمعه علي حسب قولكم وحينئذ

---

(١) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٤٠ – ٢٤١ .

(٢) الإستغاثة في بدع الثلاثة : ٢٠/١ .

عليكم أن تثبتوا هذه المخالفة بإبرازكم مصحف علي إذ طعنكم هذا تضمن أن علياً جمع قرآناً يختلف عن القرآن الموجود بأيدي المسلمين لكنهم يعلمون أنهم كاذبون في تقولهم هذا وهو بريء رضي الله عنه مما ينسبونه إليه ، فلم يكن له قرآن غير هذا القرآن الموجود بأيدي المسلمين والذي قام بجمعه إخوانه الخلفاء الثلاثة قبله ، وبه تعبد الله تعالى في محياه حتى أتاه اليقين وقرآنه هو قرآنهم لا غيره ، وقد أعلن رضي الله عنه رضاه على جمع الصديق لكتاب الله تعالى ، وهنأه بعظم الأجر بسبب جمعه للقرآن .

فقد قال رضي الله عنه : أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر ، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين[1] وبنص هذا الأثر فقد اعتبر عليّ رضي الله عنه جمع الصديق للقرآن الكريم مفخرة جليلة ومنقبة رفيعة له ، رضي الله عنه وأرضاه ، أما الشيعة الرافضة لما أصيبوا بالخذلان اعتبروا جمع الصديق للقرآن بدعة طعنوا بها عليه ، ومن هنا يعلم كل عاقل أن انتسابهم إلى أهل البيت ليس إلا ادعاءً وتقولاً ، فهم في واد وأهل البيت في واد ، ولقد أيد أهل السنة والجماعة ما قاله رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه نحو جمع الصديق للقرآن واعتبروا ذلك من أعماله الجليلة ومآثره الحميدة ، فهم أتباع أهل البيت على الحقيقة .

قال العلامة ابن كثير مشيداً بجمع الصديق للقرآن : « وهذا من أحسن وأجل وأعظم ما فعله الصديق رضي الله عنه ، فإنه أقامه الله تعالى بعد النبي ﷺ مقاماً لا ينبغي لأحد من بعده قاتل الأعداء من مانعي الزكاة والمرتدين والفرس والروم ونفذ الجيوش ، وبعث البعوث والسرايا ورد الأمر إلى نصابه بعد الخوف من تفرقه وذهابه وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القاريء من

---

(١) أورده الحافظ ابن كثير في كتابه فضائل القرآن ، ص : ١٦ ، وقال عقبه : هذا إسناد جيد ، كما أورده الحافظ في فتح الباري : ١٢/٩ ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ، ص : ٧٧ ، وعزاه لأبي يعلى .

حفظه كله ، وكان هذا من سر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1] فجمع الصديق الخير وكف الشرور رضي الله عنه وأرضاه »[2] .

ومن مطاعن الرافضة على صديق هذه الأمة أنهم يقولون : « إنه عهد بالخلافة إلى عمر ، ولم يترك الأمر شورى للمسلمين في اختيار الخليفة »[3] .

والرد على هذا الهراء :

يقال لهم : إن أبا بكر رضي الله عنه لم يعهد بالأمر من بعده للفاروق رضي الله عنه إلا لما يعلم من فضله ولما فيه من النصح والقوة على ما يقلده ، فلما وجد فيه ذلك منذ أسلم لم يكن يسعه في ذات الله ونصيحته لعباد الله أن يعدل بالخلافة من بعده إلى غيره ، وقد استقر عند الصديق رضي الله عنه أن الصحابة جميعاً يعرفون منه ما عرفه ولا يشكل عليهم من أمره شيء هنا عهد بالأمر من بعده لعمر رضي الله عنه ، فرضي المسلمون به إماماً لهم ولو خالطهم في أمره ارتياب أو شبهة لأنكروه ولعارضوه في ذلك ، بل كان مستقراً عندهم أنه الخليفة من بعده لأنه أفضل الناس بعد أبي بكر وعهد الصديق له بالخلافة إنما كان بمثابة الدليل لهم على أنه أفضلهم وأكملهم فتبعوه على ذلك مستسلمين له راضين به[4] رضي الله عنهم أجمعين » .

وأما طعنهم عليه بأنه لم يترك الأمر شورى للمسلمين ، فيقال لهم : أيها الغافلون : « إنما الشورى عند الاشتباه ، وأما عند الاتضاح والبيان فلا معنى للشورى – ألا ترونهم – رضوا به وسلموه وهم متوافرون »[5] .

---

(١) سورة الحجر ، آية : ٩ .

(٢) فضائل القرآن لابن كثير ، ص : ١٦ .

(٣) انظر كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة : ٢٢/١ ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٣٠٤/١ . الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف : ٤٠٢/٢ .

(٤) انظر الرد على الرافضة ، لأبي نعيم ، ص : ٢٧٤ .

(٥) انظر كتاب الإمامة والرد على الرافضة ، لأبي نعيم ، ص : ٢٧٨ .

وتسليمهم هذا لم يكن لرغبة أو رهبة ، وإنما لما « ثبت عن الرسول ﷺ من تفخيمه وجلالة ما ذكر من مناقبه في كمال علمه ، وتمام قوته وصائب إلهامه وفراسته ، وما قرن بشأنه من السكينة وغير ذلك من ورعه وخوفه وزهده ورأفته بالمؤمنين وغلظته وفظاظته على المنافقين والكافرين وأخذه بالحزم والحياطة وحسن الرعاية والسياسة وبسطه العدل ولم يكن يأخذه فى الله لومة لائم »[1] لهذه الصفات الحميدة كان أهلاً لأن تناط به الخلافة والنظر في شئون الأمة بعد الصديق رضي الله عنه .

وجاء في مختصر التحفة الاثنى عشرية في صدد الرد على طعن الشيعة الرافضة على أبي بكر أنه استخلف . وأنه باستخلافه خالف النبي ﷺ ما نصه قال : « ويجاب بأن النبي ﷺ أشار بالاستخلاف والإشارة إذ ذاك كالعبارة وفي زمن الصديق كثر المسلمون من العرب والعجم وهم حديثوا عهد بالإسلام ، وأهله ، فلا معرفة لهم بالرموز والإشارات ، فلا بد من التنصيص والعبارات حتى لا تقع المنازعات والمشاجرات وفي كل زمان رجال ولكل مقام مقال ، وأيضاً عدم استخلاف النبي ﷺ إنما كان بعلمه بالوحي بخلافة الصديق ، ولا كذلك الصديق إذ لا يوحى إليه ولم تساعده قرائن فعمل بالأصلح للأمة ونعم ما عمل ، فقد فتح الفاروق البلاد ورفع قدر ذوي الرشاد ، وأباد الكفار وأعان الأبرار »[2] فليس للرافضة أي وجه يدعمون به ما ذهبوا إليه من الطعن على أبي بكر بسبب أنه استخلف وليس لهم دافع على ذلك إلا ما تجيش به قلوبهم من الغل على خيار الصحابة .

* * *

(١) المصدر السابق ، ص : ٢٧٨ .

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٤٢ .

★ المبحث السادس ★

من مطاعنهم في حق الفاروق رضي الله عنه

لقد تناول الشيعة الرافضة ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمطاعن خاصة ألصقوها به .

فمنها وهو عمدة مطاعنهم : أنهم طعنوا عليه بما رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، فقال النبي ﷺ : « **هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده** » ، فقال عمر : إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : « **قوموا** » .

قال عبيد الله[1] : فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم »[2] .

وبلفظ آخر : اشتد برسول الله ﷺ وجعه ، فقال : « **ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً** » ، فتنازعوا ، ولا ينبغي عند نبي نزاع ، فقالوا : ما شأنه ؟ ، أهجر ؟ . استفهموه فذهبوا يردون عليه ، فقال : دعوني، فالذي أنا فيه

---

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله المدني ثقة فقيه ثبت من الثالثة مات سنة أربع وتسعين وقيل سنة ثمان وقيل غير ذلك . التقريب : ٥٣٥/١ .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١٣٢/٨ ، صحيح مسلم مع شرح النووي : ٩٥/١١ ، المسند : ٣٢٥/١ ، ٣٣٦ . وانظر حق اليقين في معرفة أصول الدين : ١٨١/١ - ١٨٢ .

خير مما تدعونني إليه ، وأوصاهم بثلاث ، قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، وسكت عن الثالثة ، أو قال فنسيتها »[1] .

لقد زعمت الشيعة الرافضة أنه يستفاد من هذا الحديث الطعن على عمر رضي الله عنه من وجوه : -

* **الأول** : أنه رد قول النبي ﷺ وأقواله كلها وحي لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[2] ورد الوحي كفر لقوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[3] .

والجواب على هذا الوجه يقال لهم : « على فرض تسليم أن هذا القول صدر من عمر وحده ، فإنه لم يرد قوله ﷺ وإنما قصد راحته ورفع الحرج عنه ﷺ في حال شدة المرض ، إذ كل محب لا يرضى أن يتعب محبوبه ولا سيما في المرض ، مع عدم كون ذلك الأمر ضرورياً ، ولم يخاطب بذلك الرسول ﷺ بل خاطب الحاضرين تأدباً وأثبت الاستغناء عن ذلك بقوله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[4] وقد نزلت هذه الآية قبل هذه الواقعة بثلاثة أشهر ، وقد انسد باب النسخ والتبديل والزيادة والنقصان في الدين فيمتنع إحداث شيء » .

ويرد عليهم أيضاً : بأنه لو كان قول عمر رضي الله عنه : « حسبنا كتاب الله » رداً للوحي ولقول الرسول للزم مثل ذلك في حق عليّ رضي الله

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١٣٢/٨ ، صحيح مسلم مع شرح النووي : ٨٩/١١ - ٩٤ .

(٢) سورة النجم ، آية : ٣ ، ٤ .

(٣) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٤٨ ، وانظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للعاملي : ٥/٣ ، والآية رقم (٤٤) المائدة .

(٤) سورة المائدة ، آية : ٣ .

عنه ، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه بإسناده إلى عليّ ، قال : إن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال : ألا تصليان ؟ ، فقلت : يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً ، ثم سمعته وهو مولّ يضرب فخذه وهو يقول : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[1] « فقد رد على قول الرسول - ﷺ - ولكن لما كانت القرائن الحالية دالة على صدقه واستقامته لم يلمه النبي ﷺ »[2].

وروى البخاري أيضاً : أن النبي ﷺ لما تصالح مع قريش في الحديبية ، كتب علي بن أبي طالب رضوان الله عليه بينهم كتاباً فكتب : « محمد رسول الله » ، فقال المشركون : لا تكتب محمد رسول الله لو كنت رسولاً لم نقاتلك ، فقال لعليّ : امحه ، فقال عليّ : ما أنا بالذي أمحاه فمحاه رسول الله ﷺ بيده »[3] ، فامتناع عليّ إنما كان لكمال إيمانه ، ولا يقال : إنه رد أمر رسول الله ﷺ وخالفه ، فإذا كان هذا يقال في حق عليّ فلأن يقال في حق الفاروق من باب أولى كيف وقد « اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره ، لأنه خشي أن يكتب ﷺ أموراً ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها ، لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها ، فقال عمر : حسبنا كتاب الله لقوله تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[4] وقوله ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[5] ، فعلم أن الله تعالى أكمل دينه ، فأمن الضلال على الأمة وأراد الترفيه على رسول الله ﷺ ، فكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه »[6].

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١٠/٣ .
(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٤٩ .
(٣) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٣٠٣/٥ .
(٤) سورة الأنعام ، آية : ٣٨ .
(٥) سورة المائدة ، آية : ٣ .
(٦) شرح النووي : ٩٠/١١ .

وأما زعمهم « أن أقوال الرسول كلها وحي فمردود لأن أقواله ﷺ لو كانت كلها وحياً فلم قال الله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[2]، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾[3] ، وقال تعالى في المعاتبة عن أخذ الفدية من أسارى بدر : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[4] ، وأيضاً يلزمهم أن علياً رضي الله عنه قد رد الوحي حين أمره النبي ﷺ بالتهجد ومحو اللفظ في كتابة صلح الحديبية مع قريش مع أنهم لا يقولون بذلك .

* **الوجه الثاني** : من وجوه الطعن التي انتزعوها من الحديث على عمر رضي الله عنه أنه قال : « أهجر » مع أن الأنبياء معصومون من هذه الأمور فأقوالهم وأفعالهم في جميع الأحوال والأوقات كلها معتبرة وحقيقة بالاتباع[5] .

والرد عليهم أن يقال لهم :

« من أين يثبت أن قائل هذا القول عمر ؟ ، مع أنه قد وقع في أكثر الروايات « قالوا بصيغة الجمع » استفهموه على طريق الإنكار ، فإن النبي – ﷺ – لا يتكلم بالهذيان البتة ، وكانوا يعلمون أنه ﷺ ما خط قط بل كان يمتنع صدور هذه الصنعة منه ﷺ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾[6] ولذا قالوا : فاسألوه ، وتحقيق ذلك أن الهجر في اللغة هو اختلاط الكلام بوجه غير مفهوم وهو على قسمين : –

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٤٣ .

(٢) سورة النساء ، آية : ١٠٥ .

(٣) سورة النساء : آية : ١٠٧ .

(٤) سورة الأنفال ، آية : ٦٨ .

(٥) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٥٠ ، وانظر الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لعلي بن موسى بن طاووس الحسني الحسيني : ٤٣٣/٢ – ٤٣٤ .

(٦) سورة العنكبوت ، آية : ٤٨ .

قسم لا نزاع لأحد في عروضه للأنبياء عليهم السلام وهو عدم تبيين الكلام لبحة الصوت وغلبة اليبس بالحرارة على اللسان ، كما في الحميات الحارة وقد ثبت بإجماع أهل السير أن نبينا ﷺ كانت بحة الصوت عارضة له في مرض موته ﷺ .

والقسم الآخر : جريان الكلام غير المنتظم أو المخالف للمقصود على اللسان بسبب الغشي العارض بسبب الحميات المحرقة ، في الأكثر .

وهذا القسم وإن كان ناشئاً من العوارض البدنية ، ولكن قد اختلف العلماء في جواز عروضه للأنبياء ، فجوزه بعضهم قياساً على النوم ، ومنعه آخرون ، فلعل القائل بذلك القول أراد القسم الأول يعني أنا نرى هذا الكلام خلاف عادته ﷺ ، فلعلنا لم نفهم كلامه بسبب وجود الضعف في ناطقته فلا إشكال »[1] .

* **الوجه الثالث** : من وجوه الطعن التي استنبطوها من الحديث على الفاروق رضي الله عنه ، أنهم قالوا : « إنه رفع الصوت وتنازع في حضرة النبي ﷺ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[2] .

والرد على هذا ، يقال لهم :

من أين ثبت أن عمر أول من رفع الصوت ؟ ، وعلى تقديره فرفع صوته إنما كان على صوت غيره من الحاضرين لا على صوت النبي ﷺ المنهي عنه في الآية ، والأول جائز ، والآية تدل عليه حيث قال : ﴿ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ ﴾ ، وقوله ﷺ في إحدى الروايات : « **قوموا عني** » من قبيل قلة الصبر العارضة

---

(١) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٥٠ .

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص : ٢٥٠ ، وانظر الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ٢/٤٣٣ ، والآية رقم (٢) من سورة الحجرات .

للمريض ، فإنه يضيق صدره إذا وقعت منازعة في حضوره وما يصدر من المريض في حق أحد لا يكون محلاً للطعن عليه مع أن الخطاب كان لجميع الحاضرين المجوزين والمانعين »[1] .

* **الوجه الرابع** : من أوجه الطعن التي انتزعوها من الحديث على الفاروق رضي الله عنه أنهم يقولون : « إنه أتلف حق الأمة إذ لو كتب الكتاب المذكور لحفظت الأمة من الضلالة ولم ترهم في كل واد يهيمون ووبال جميع ذلك على عمر »[2] .

والرد على هذا الوجه :

يقال لهم : « إنما يتحقق الإتلاف لو حدث حكم من الله تعالى نافع للأمة ومنعه عمر ، وقوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ الآية تدل على عدم الحدوث ، بل لم يكن الكتاب إلا لتأكيد ما بلغه »[3] . ولو كان الكتاب لأمر ديني ضروري لم يتركه لاختلافهم ، فإنه قد عاش بعد ذلك أياماً وحصل منه وصايا ، فدل عدم كتابة الكتاب في هذه الأيام على أن الذي أراد كتابته إنما هو تأكيد لا تأسيس .

قال الحافظ ابن حجر عند شرحه للحديث : « ودل أمره لهم بالقيام على أن أمره الأول كان على الاختيار ولهذا عاش ﷺ بعد ذلك أياماً ولم يعاود أمرهم بذلك ، ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم ، لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف ، وقد كان الصحابة يراجعونه في بعض الأمور ما لم يجزم بالأمر ، فإذا عزم امتثلوا »[4] .

---

(١) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) المصدر السابق ، ص : ٢٥١ ، وانظر الطرائف : ٤٣٣/٢ ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٣/٣ - ٧ ، حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبر : ١٨١/١ - ١٨٢ .

(٣) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٥١ .

(٤) فتح الباري : ٢٠٩/١ .

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى المقصود من الكتاب الذي كان قد عزم على كتابته لهم ، فقال : « وأما قصة الكتاب الذي كان رسول الله ﷺ يريد أن يكتبه ، فقد جاء مبيناً كما في الصحيحين[1] عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه : « **ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل ' أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** » وأما عمر فاشتبه عليه هل كان قول رسول الله ﷺ من شدة المرض أو كان من أقواله المعروفة ، والمرض جائز على الأنبياء ... والشك جائز على عمر فإنه لا معصوم إلا النبي ﷺ ، لا سيما وقد شك بشبهة ، فإن النبي ﷺ كان مريضاً فلم يدر أكلامه كان من وهج المرض كما يعرض للمريض ، أو كان من كلامه المعروف الذي يجب قبوله ولذلك ظن أنه لم يمت حتى تبين أنه قد مات[2] ، والنبي ﷺ قد عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة ، فلما رأى أن الشك قد وقع علم أن الكتاب لا يرفع الشك ، فلم يبق فيه فائدة ، وعلم أن الله يجمعهم على ما عزم عليه ، كما قال : « **ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** » . وقول ابن عباس إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب الكتاب يقتضي أن هذا الحائل كان رزية في حق من شك في خلافة الصديق أو اشتبه عليه الأمر ، فإنه لو كان هناك كتاب لزال هذا الشك ، فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية في حقه ولله الحمد ، ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضال باتفاق عامة الناس من علماء السنة والشيعة ، أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه ، وأما الشيعة القائلون بأن علياً كان هو المستحق للإمامة فيقولون إنه قد نص على إمامته قبل ذلك نصاً جلياً ظاهراً معروفاً وحينئذ فلم يكن يحتاج إلى كتاب ، وإن قيل إن

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٢٠٥/١٣ ، صحيح مسلم : ١٨٥٧/٤ ، واللفظ له .

(٢) انظر شدة دهشة الفاروق بموت الرسول ﷺ ، كتاب الطبقات لابن سعد : ٢٦٦/٢ - ٢٧٢ ، تاريخ الأمم والملوك : ٢٠٠/٣ - ٢٠١ ، الكامل : ٣٢٣/٢ - ٣٢٤ .

الأمة جحدت النص المعلوم المشهور فلأن تكتم كتاباً حضره طائفة قليلة أولى وأحرى ، وأيضاً : فلم يكن يجوز عندهم تأخير البيان إلى مرض موته ، ولا يجوز له ترك الكتاب لشك من شك فلو كان ما يكتبه في الكتاب مما يجب بيانه وكتابته لكان النبي ﷺ يبينه ويكتبه ولا يلتفت إلى قول أحد فإنه أطوع الخلق له ، فعلم أنه لما ترك الكتاب لم يكن الكتاب واجباً ولا كان فيه من الدين ما تجب كتابته حينئذ إذ لو وجب لفعله »[1] .

فقد تبين بما تقدم ذكره بطلان ما طعن به الرافضة على عمر – رضي الله عنه – من أجل الكتاب الذي أراد أن يكتبه ﷺ في مرض موته وأنه ما قصد منعه ولا رد أمره ﷺ ، وإنما قصد – رضي الله عنه – « التخفيف على رسول الله ﷺ حين غلبه الوجع ، ولو كان مراده ﷺ أن يكتب ما لا يستغنون عنه لم يتركه لاختلافهم ولا لغيره ، لقوله تعالى : ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[2] .

كما لم يترك تبليغ غير ذلك لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه وكما أمر في ذلك الحال بإخراج اليهود من جزيرة العرب وغير ذلك مما ذكره في الحديث ... وقد حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله أنه ﷺ أراد أن يكتب استخلاف أبي بكر رضي الله عنه ، ثم ترك ذلك اعتماداً على ما علمه من تقدير الله تعالى ذلك كما هم بالكتاب في أول مرضه حين قال : « **وارأساه** » ، ثم ترك الكتاب ، وقال : « **يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** »[3] ، ثم نبه أمته على استخلاف أبي بكر بتقديمه إياه في الصلاة »[4] .

ومن مطاعنهم في حق الفاروق – رضي الله عنه – أنهم يقولون : « إنه بلغ به الجهل إلى حيث لم يعلم بأن كل نفس ذائقة الموت ، وأنه يجوز الموت على

---

(١) منهاج السنة : ٣/١٣٥ – ١٣٦ .
(٢) سورة المائدة ، آية : ٦٧ .
(٣) سبق تخريجه قريباً .
(٤) شرح النووي : ١١/٩٠ – ٩١ .

رسول الله ﷺ ، فقال : والله ما مات حتى يقطع أيدي رجال وأرجلهم فقال له أبو بكر – رضي الله عنه – أما سمعت قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾[2] ، قال عمر : فلما سمعت ذلك أيقنت بوفاته ، وسقطت إلى الأرض ، وعلمت أنه قد مات ، وفي رواية أنه قال عند سماع الآية : كأني لم أسمعها»[3] .

والرد على هذا :

إنما حصل للفاروق عند وفاة المصطفى ﷺ إنما هو « من شدة دهشته بموت الرسول – ﷺ – وكمال محبته له ﷺ ، حتى لم يبق له في ذلك الحين شعور بشيء ، وكثيراً ما يحصل الذهول بسبب تفاقم المصائب وتراكم الشدائد لأن النسيان والذهول من اللوازم البشرية ، والنسيان حاصل حتى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد حصل لموسى عليه السلام وهو نبي معصوم من أولي العزم من الرسل أن نسي معاهدته لذلك العبد الذي آتاه الله رحمة من عنده ، وعلمه من لدنه علماً على عدم السؤال ثلاث مرات كما حكى الله لنا ذلك عنهما في سورة الكهف[4] ، وكما أخبرنا في حق آدم بقوله تعالى : ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[5] ، فأي ذنب للفاروق بدهشته من ذلك الأمر العظيم وهو وفاة سيد الأولين والآخرين ، وأي طعن عليه بسبب ما حصل له من فقد محبوبه ﷺ فالخسارة كل الخسارة لمن جعل عقله لعبة للشيطان يستجيب له في كل ما يملي له به[6] .

---

(١) سورة الزمر آية : ٣٠ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٤٤ .
(٣) حق اليقين في معرفة أصول الدين : ١٨٢/١ – ١٨٣ . الطرائف : ٤٥١/٢ – ٤٥٤ .
(٤) من الآية : ٦٥ – ٨٢ .
(٥) سورة طه ، آية : ١١٥ .
(٦) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٥٢ .

ومما طعنوا به على عمر - رضي الله عنه - أنهم يزعمون : « أن فاطمة رضي الله عنها وعظت أبا بكر في قضية فدك ، فكتب لها كتاباً بها وردها عليها فخرجت من عنده فلقيها عمر بن الخطاب فمزق الكتاب فدعت عليه بما فعله أبو لؤلؤة »[١] .

والرد على هذا الهراء :

أنه من الكذب الذي لا يشك فيه عالم ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث ولا يعرف له إسناد والصديق لم يحصل منه أنه كتب فدكاً لأحد لا لفاطمة ولا لغيرها ، ولا دعت على عمر ، وما فعله أبو لؤلؤة المجوسي فهو كرامة في حق عمر رضي الله عنه وهو أعظم من فعل ابن ملجم بعلي رضي الله عنه ، ومن فعل قتلة الحسين رضي الله عنه ، فإن أبا لؤلؤة كافر قتل عمر كما يقتل الكافر المؤمن وشهادته أعظم من شهادة من يقتله مسلم فإن قتيل الكافر أعظم درجة من قتيل المسلمين ، ثم إن قتل أبي لؤلؤة لعمر كان بعد وفاة فاطمة بمدة خلافة الصديق والفاروق إلا ستة أشهر فمن أين يعلم أن قتله كان بسبب دعاء حصل في تلك المدة والداعي إذا دعا على مسلم بأن يقتله كافر كان ذلك دعاء له لا عليه ، كما كان النبي ﷺ يدعو لأصحابه بنحو ذلك كقوله : « **يغفر الله لفلان فيقولون لو أمتعتنا به** » وكان إذا دعا لأحد بذلك استشهد[٢] - ثم أيضاً - « إن عمر لم يكن له غرض في فدك لم يأخذها لنفسه ولا لأحد من أقاربه وأصدقائه ولا كان له غرض في حرمان أهل بيت النبي ﷺ ، بل كان يقدمهم في العطاء على كل الناس ويفضلهم في العطاء على جميع الناس حتى أنه لما وضع الديوان للعطاء وكتب أسماء الناس ، قالوا : نبدأ بك ، قال : لا ، ابدؤا بأقارب رسول الله ﷺ وضعوا عمر حيث وضعه الله[٣] ، فبدأ ببني

---

(١) انظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٣٧/٣ .
(٢) انظر صحيح البخاري : ٤٨/٣ - ٤٩ ، صحيح مسلم : ١٤٢٨/٣ ، المسند : ٤٨/٤ .
(٣) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري : ٢١٠/٤ .

هاشم وضم إليهم بني المطلب فمن تكون هذه مراعاته لأقارب الرسول - ﷺ - وعترته أيظلم أقرب الناس إليه وسيدة نساء أهل الجنة ؟[1] ، لا يعتقد هذا إلا من أعمى الله قلبه واتبع هواه .

ومن مطاعنهم على الفاروق - رضي الله عنه - : أنهم يطعنون عليه بقولهم « إنه ابتدع التراويح في شهر رمضان ، ويكذبون على الرسول ﷺ أنه قال : (الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة) ، ويقولون : إن عمر اعترف بأنها بدعة »[2] .

ويرد على هذا الزور :

أنه قد ثبت أن الناس كانوا يصلون بالليل في رمضان على عهد النبي ﷺ وثبت أنه صلى بالمسلمين جماعة ليلتين أو ثلاثاً ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا ، فاجتمع أكثر منهم فصلى فصلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله ﷺ فصلّى بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال : « **أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها** » ، فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك »[3] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة[4] فيقول : « **من قام رمضان إيماناً**

---

(١) منهاج السنة : ١٣٧/٣ .

(٢) انظر كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة : ٣٤/١ - ٣٦ ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٢٦/٣ ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ٤٥٤/٢ ، منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ٢٢٤/٤ ، حق اليقين لعبد الله شبر : ١٨٦/١ .

(٣) صحيح البخاري : ٣٤٢/١ ، صحيح مسلم : ٥٢٤/١ .

(٤) معناه : لم يأمرهم أمر إيجاب وتحتيم وإنما أمرهم أمر ندب وترغيب .

واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » ، فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك ، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر على ذلك »[1] .

وخرج البخاري عن عبد الرحمٰن بن عبد القاري ، أنه قال : « خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون – يريد آخر الليل – ، وكان الناس يقومون أوله »[2] .

فهذا الاجتماع العام لما لم يكن قد فعل سماه الفاروق بدعة لأن ما فعل ابتداء يسمى بدعة في اللغة ، وليس ذلك بدعة شرعية ، فإن البدعة الشرعية التي هي ضلالة هي ما فعل بغير دليل شرعي كاستحباب ما لم يحبه الله وإيجاب ما لم يوجبه الله وتحريم ما لم يحرمه الله ، فلا بد مع الفعل من اعتقاد يخالف الشريعة ، وإلا فلو عمل الإنسان فعلاً محرماً يعتقد تحريمه لم يقل إنه فعل بدعة .

ويقال لهم أيضاً إن عمل الفاروق هذا : « لو كان قبيحاً منهياً عنه لكان علي – رضي الله عنه – أبطله لما صار أمير المؤمنين ، وهو بالكوفة ، فلما كان جارياً في ذلك مجرى عمر دل على استحباب ذلك ، بل روي عن علي أنه قال : « نور الله على عمر في قبره كما نور علينا مساجدنا »[3] .

وعن أبي عبد الرحمٰن السلمي أن علياً دعا القراء في رمضان فأمر رجلاً

---

(١) صحيح مسلم : ٥٢٣/١ ، وقوله : فتوفي رسول الله ﷺ ... إلخ من قول ابن شهاب . انظر صحيح البخاري : ٣٤٢/١ .

(٢) صحيح البخاري : ٣٤٢/١ .

(٣) ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ، ص : ١٣٧ ، وعزاه لابن عساكر .

منهم يصلي بالناس عشرين ركعة ، وكان علي يوتر بهم[1] .

وعن عرفجة الثقفي قال : « كان علي يأمر الناس بقيام شهر رمضان ويجعل للرجال إماماً وللنساء إماما ، قال عرفجة : « فكنت أنا إمام النساء »[2] رواهما البيهقي في سننه »[3] .

ومن هذا يتضح أن الفاروق – رضي الله عنه – لم يأت ببدعة ، وإنما أحيا سنة كان النبي ﷺ قد فعلها ، ثم تركها خشية أن تفرض على الأمة ، فيعجزوا عن القيام بها ، ولما رأى الفاروق أن علة المنع قد زالت بوفاة الرسول ﷺ أحيا سنة قيام رمضان حيث جمع الناس على إمام واحد رضي الله عنه وأرضاه .

ومما طعنوا به على عمر – رضي الله عنه – : أنهم يزعمون أنه حرم المتعتين متعة الحج ومتعة النساء مع أن كلتا المتعتين كانتا في زمنه ﷺ فنسخ حكم الله تعالى وحرم ما أحله[4] .

والرد على هذا الافتراء :

يقال لهم : أما متعة الحج وهي تأدية الإنسان أركان العمرة مع الحج في سفر واحد في أشهر الحج قبل الرجوع إلى بيته لم يحرمها الفاروق كما يزعمون ولم يمنعها قط ، وما يذكرون من رواية التحريم عنه فهي افتراء صريح عليه وإنما كان يرى رضي الله عنه إفراد الحج والعمرة أولى من جمعهما في إحرام واحد وهو القران أو في سفر واحد وهو التمتع .

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي : ٤٩٦/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٤٩٤/٢ .

(٣) منهاج السنة : ٢٢٤/٤ .

(٤) انظر كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة: ٣٦/١ – ٣٧، مقدمة مرآة العقول: ٢٢٠/١-٢٢١، ص:٢٧٣، وما بعدها، وانظر حق اليقين لعبد الله شبر: ١٨٣/١، منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة: ١٥٣/٢-١٥٤، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٤٥٧/٢-٤٦٣. الشيعة والتصحيح ص:١٠٩.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبيناً الغرض الذي من أجله أرشد الفاروق رضي الله عنه الناس من أنهم يأتون بالعمرة في غير أشهر الحج حيث قال : « وإنما كان مراد عمر رضي الله عنه أن يأمر بما هو أفضل ، وكان الناس لسهولة المتعة تركوا العمرة في غير أشهر الحج ، فأراد أن لا يعري البيت طول السنة ، فإذا أفردوا الحج اعتمروا في سائر السنة »[1] .

فهذا هو الذي اختاره عمر للناس ، فظن من غلط ممن لا فهم له أنه نهي عن متعة الحج ، وهذا هو شأن الرافضة لما حرموا الفهم والعلم غيروا ما قصده عمر في مسألة متعة الحج ، وزعموا أنه منع متعة الحج وهو بريء من هذا .

وأما زعمهم أنه حرم متعة النساء ، فهذا أيضاً محض افتراء عليه رضي الله عنه وأرضاه ، وأن حرمة متعة النساء ثابتة بدلالة الكتاب والسنة ، وإجماع أهل الحق من أهل السنة .

فأما دلالة الكتاب فمن ذلك أن الله تعالى حصر أسباب حل الوطء في شيئين هما : النكاح الصحيح ، وملك اليمين[2] لأن الاختصاص التام الحاصل بين المرء وزوجته لا يتحقق إلا بهذين العقدين ليحفظ الولد ويعلم الإرث ، قال تعالى في سياق ذكره لصفات عباده المؤمنين : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ ، وأعقب هذا في موضعين من كتابه بقوله : ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾[3] ، وفي هذا النص القرآني يتضح أن امرأة المتعة ليست بزوجة وإلا لتحققت لوازم الزوجية فيها من إرث وعدة وطلاق ونفقة وكسوة وغير ذلك ، وليست هي أيضاً بملك يمين ، وإلا لجاز بيعها وهبتها وإعتاقها .

---

(١) منهاج السنة : ١٥٥/٢ .

(٢) أما الرافضة فعندهم أسباب حل المرأة أربعة كما يقول ذلك ابن بابويه في كتاب « الاعتقاد » ، وهي : النكاح ، وملك اليمين ، والمتعة ، والتحليل ، نقلاً عن التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٢٨ .

(٣) سورة المؤمنون ، آية : ٥ - ٧ . سورة المعارج ، آية رقم (٢٩ - ٣٠) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبيناً أن الله قصر سبب حل الوطء في أمرين اثنين حيث قال : « والله تعالى إنما أباح في كتابه الزواج وملك اليمين وحرم ما زاد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ ، والمستمتع بها بعد التحريم ليست زوجة ولا ملك يمين فتكون حراماً بنص القرآن أما كونها ليست مملوكة فظاهر ، وأما كونها ليست زوجة فلانتفاء لوازم النكاح فيها ، فإن من لوازم النكاح كونه سبباً للتوارث ، وثبوت عدة الوفاة فيه والطلاق الثلاث وتنصيف المهر بالطلاق قبل الدخول وغير ذلك من اللوازم » اهـ[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾[2] ، فلو كانت المتعة جائزة لم يأمر بالاستعفاف في هذه الآية الكريمة ، فدلت على تحريمها ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ ﴾ إلى قوله ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[3] فلو جازت المتعة لما كان خوف العنت والحاجة إلى نكاح الإماء وإلى الصبر في ترك نكاحهن متحققاً[4] ، فدل هذا على تحريم نكاح المتعة .

وأما دعوى الشيعة أن قوله تعالى : ﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗ ﴾[5] دليل على المتعة[6] فغلط محض وزعمهم أن طائفة من السلف

---

(١) منهاج السنة : ١٥٧/٢ .

(٢) سورة النور ، آية : ٣٣ .

(٣) سورة النساء : آية : ٢٥ .

(٤) انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٢٨ .

(٥) من الآية رقم (٢٤) من سورة النساء .

(٦) انظر تفسير القمي : ١٣٦/١ .

قرأوا الآية هكذا : (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) فهو غلط أيضاً ، إذ ليس هذا من القراءة المتواترة ، وعلى تقدير ثبوت ذلك فتكون قراءة منسوخة بما جاء من النصوص في تحريم نكاح المتعة .

قال العلامة ابن تيمية : « فإن قيل ففي قراءة طائفة من السلف فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى ، قيل أولاً : ليست هذه القراءة متواترة ، وغايتها أن تكون كأخبار الآحاد ونحن لا ننكر أن المتعة أحلت في أول الإسلام ، لكن الكلام في دلالة القرآن على ذلك . الثاني : أن يقال : إن كان هذا الحرف نزل فلا ريب أنه ليس ثابتاً من القراءة المشهورة ، فيكون منسوخاً ويكون لما كانت المتعة مباحة ، فلما حرمت نسخ هذا الحرف ، أو يكون الأمر بالإيتاء في الوقت تنبيهاً على الإيتاء في النكاح المطلق وغاية ما يقال إنهما قراءتان وكلاهما حق والأمر بالإيتاء في الاستمتاع إلى أجل واجب ، إذا كان ذلك حلالاً وإنما يكون ذلك إذا كان الاستمتاع إلى أجل مسمى حلالاً ، وهذا كان في أول الإسلام ، فليس في الآية ما يدل على أن الاستمتاع بها إلى أجل مسمى حلال فإنه لم يقل وأحل لكم أن تستمتعوا بهن إلى أجل مسمى بل قال : ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ فهذا يتناول ما وقع من الاستمتاع سواء كان حلالاً أم وطء شبهة ولهذا يجب المهر في النكاح الفاسد بالسنة والاتفاق والمتمتع إذا اعتقد حل المتعة وفعلها فعليه المهر ، وأما الاستمتاع المحرم فلم تتناوله الآية ، فإنه لو استمتع بالمرأة من غير عقد مع مطاوعتها لكان زناً ولا مهر فيه ، وإن كانت مستكرهة ففيه نزاع مشهور »[1] .

ثم يقال أيضاً : إن الله تعالى بين قبل الآية التي يستدلون بها على جواز المتعة المحرمات بقوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾، ثم قال : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ ،

---

(١) منهاج السنة : ٢/١٥٥ - ١٥٦ .

أي : غير المحرمات المذكورة ، ولكن بشرط أن تبتغوا بأموالكم من المهور والنفقات ، فبطل بهذا الشرط تحليل الفروج وإعارتها ، فإنها منفعة محضة بلا حرج ، ثم قال : ﴿ مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾[1] يعني : في حال كونكم مخصصين أزواجكم بأنفسكم ومحافظين لهن لكي لا يرتبطن بالأجانب ولا تقصدوا بهن محض قضاء شهوتكم وصب مائكم واستبراء أوعية المني ، فبطلت المتعة بهذا القيد لأن الاحتياط والاختصاص لا يكون مقصوداً في المتعة أصلاً ، ثم فرع على النكاح قوله : ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ الآية ، يعني إذا قررتم الصداق في النكاح فإن تمتعتم به منهن بالدخول والوطء يلزمكم تمام المهر وإلا فنصفه ، فقطع هذه الآية عما قبلها وحملها على الاستئناف باطل صريح باعتبار العربية لأن الفاء تأبى القطع والابتداء ، بل تجعل ما بعدها مربوطاً بما قبلها ... وسياق قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا ﴾[2] الآية أيضاً : في باب النكاح يعني إن لم يستطع منكم أحد أن يؤدي مهر الحرائر ونفقتهن فلينكح الإماء المسلمات ، فحمل العبارة المتوسطة على المتعة بقطع الكلام من السياق والسياق تحريف صريح لكلام الله تعالى ، بل إن تأمل عاقل في سياق هذه الآية يجد حرمة المتعة صريحة لأن الله أمر فيها بالاكتفاء بنكاح الإماء في عدم الاستطاعة بطول الحرائر ، فلو كان أجل المتعة في الكلام السابق لما قال بعده : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا ﴾ لأن المتعة في صورة عدم الاستطاعة بنكاح الحرة ليست قاصرة على قضاء حاجة الجماع – ثم – أية ضرورة كانت داعية إلى تحليل نكاح الإماء بهذا التقييد والتشديد وإلزام الشروط والقيود وبالجملة إن هذه الآيات – المتقدم ذكرها – صريحة الدلالة على تحريم المتعة ، وقد تبين عدم دلالة الآية التي استدل بها الشيعة على مدعاهم بل على خلافه »[3] .

---

(١) سورة النساء ، من الآية : ٢٣– ٢٤ .

(٢) سورة النساء ، آية : ٢٥ .

(٣) مختصر التحفة الإثنى عشرية ، ص : ٢٢٩ – ٢٣٠ .

وأما دلالة السنة على تحريم المتعة ، فقد جاء فيها التصريح بتحريمها إلى يوم القيامة ، فمن ذلك ما رواه الإمام مسلم بإسناده إلى الربيع بن سبرة الجهني أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال : « **يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً** »[1] .

وروى أيضاً بإسناده إلى سبرة الجهني أن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة ، وقال : « **ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة ومن كان أعطى شيئاً فلا يأخذه** »[2] .

قال أبو محمد بن حزم : « ولا يجوز نكاح المتعة وهو النكاح إلى أجل وكان حلالاً على عهد رسول الله ﷺ ، ثم نسخها الله تعالى على لسان رسوله ﷺ نسخاً باتاً إلى يوم القيامة – إلى أن قال – ونقتصر من الحجة في تحريمها على خبر ثابت – وهو ما رويناه من طريق عبد الرزاق عن معمر عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز عن الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ فذكر الحديث ، وفيه : فقال سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يخطب ويقول : « **من كان تزوج امرأة إلى أجل فليعطها ما سمي لها ولا يسترجع مما أعطاها شيئاً ويفارقها فإن الله قد حرمها عليكم إلى يوم القيامة** » .

قال أبو محمد : ما حرم إلى يوم القيامة فقد أمنا نسخه[3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في صدد رده على الرافضي : « وأما ما ذكره من نهي عمر عن متعة النساء فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه حرم متعة النساء بعد الإحلال هكذا رواه الثقات في الصحيحين وغيرهما عن الزهري عن عبد الله

---

(١) صحيح مسلم : ١٠٢٥/٢ .

(٢) صحيح مسلم : ١٠٢٧/٢ .

(٣) المحلى لابن حزم : ١٤١/١١ ، ١٤٢ .

والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه قال لابن عباس رضي الله عنه لما أباح المتعة : إنك امروء تائه ، إن رسول الله ﷺ حرم المتعة ولحوم الحمر الأهلية عام خيبر[1] ، رواه عن الزهري أعلم أهل زمانه بالسنة وأحفظهم لها أئمة الإسلام في زمنهم مثل مالك ابن أنس وسفيان بن عيينة وغيرهما ممن اتفق على علمهم وعدلهم وحفظهم ولم يختلف أهل العلم بالحديث في أن هذا حديث صحيح يتلقى بالقبول ليس في أهل العلم من طعن فيه ، وكذلك ثبت في الصحيح أنه حرمها غزاة الفتح إلى يوم القيامة[2] .

وقد تنازع رواة حديث علي رضي الله عنه هل قوله عام خيبر توقيت لتحريم الحمر فقط ، أوله ولتحريم المتعة والأول قول ابن عيينة وغيره قالوا : إنما حرمت عام الفتح ، ومن قال بالآخر قال : إنها حرمت ثم أحلت وادعت طائفة ثالثة أنها أحلت بعد ذلك ثم حرمت في حجة الوداع والروايات المستفيضة المتواترة متواطئة على أنه حرم المتعة بعد إحلالها ، والصواب أنها بعد أن حرمت لم تحل وأنها لما حرمت عام فتح مكة لم تحل بعد ذلك ولم تحرم عام خيبر بل عام خيبر حرمت لحوم الحمر الأهلية ، وكان ابن عباس يبيح المتعة وأكل لحوم الحمر فأنكر علي بن أبي طالب ذلك عليه ، وقال له : إن رسول الله ﷺ حرم متعة النساء وحرم لحوم الحمر يوم خيبر[3] ، فقرن علي رضي الله عنه بينهما في الذكر لما روى ذلك لابن عباس رضي الله عنهما ، لأن ابن عباس كان يبيحهما ، وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه رجع عن ذلك لما بلغه حديث النهي عنهما »[4] .

---

(١) انظر صحيح مسلم : ١٠٢٧/٢ .
(٢) انظر صحيح مسلم : ١٠٢٥/٢ .
(٣) انظر صحيح البخاري في شرحه فتح الباري : ١٦٦/٩ - ١٦٧ .
(٤) منهاج السنة : ١٥٦/٢ ، وانظر معالم السنن للخطابي : ١٩١/٣ .

فالسنة دلت على تحريم المتعة دلالة صريحة وأنها حرمت إلى يوم القيامة .

وأما الإجماع على تحريم المتعة فقد نقله طائفة من أهل العلم ممن يعتمد على نقلهم .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : « واتفق العلماء على أن هذه المتعة كانت نكاحاً إلى أجل لا ميراث فيها وفراقها يحصل بانقضاء الأجل من غير طلاق ووقع الإجماع بعد ذلك على تحريمها من جميع العلماء إلا الروافض »[1] .

قال الخطابي رحمه الله تعالى : « تحريم المتعة كالإجماع بين المسلمين ... فلم يبق اليوم فيه خلاف بين الأئمة إلا شيئاً ذهب إليه بعض الروافض» اهـ[2] .

وقال القرطبي : الروايات كلها متفقة على أن زمن إباحة المتعة لم يطل وأنه حرم ثم أجمع السلف والخلف على تحريمها إلا من لا يلتفت إليه من الروافض »[3] .

فلا طريق للرافضة للطعن على الفاروق بزعمهم أنه هو الذي منع من متعة النساء إذ المنع منها وتحريمها تحريماً قاطعاً كان بنص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين كافة سلفاً وخلفاً حاشا الرافضة وخلافهم غير معتبر ولا يعتد به ، فالفاروق رضي الله عنه لم ينه عن المتعة اجتهاداً ، وإنما كان نهيه مستمداً من نهي الشارع .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : « فنهي عمر موافق لنهيه ﷺ – ثم قال : – وتمامه أن يقال : لعل جابراً ومن نقل عنه استمرارهم على ذلك بعده ﷺ إلى أن نهى عنها عمر لم يبلغهم النهي ، ومما يستفاد أيضاً : أن عمر لم ينه عنها اجتهاداً وإنما نهى عنها مستنداً إلى نهي رسول الله ﷺ ، وقد وقع التصريح عنه بذلك فيما أخرجه ابن ماجة من طريق أبي بكر بن حفص عن ابن عمر قال : لما ولي

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٨١/٩ .

(٢) معالم السنن : ١٩٠/٣ ، وانظر فتح الباري : ١٧٣/٩ .

(٣) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في الفتح : ١٧٣/٩ .

عمر خطب ، فقال : إن رسول الله ﷺ أذن لنا في المتعة ثلاثا ثم حرمها[1] .

وأخرج ابن المنذر والبيهقي من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : « صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ما بال رجال ينكحون هذه المتعة بعد نهي رسول الله ﷺ عنها »[2] .

فدعوى الرافضة على الفاروق أنه حرم المتعة دعوى بلا برهان وافتراء واضح ولا حجة لهم على حلها بتعلقهم باستمرار بعض الصحابة على القول بحلها ، وإنما كانوا على هذا القول قبل أن يبلغهم النهي فلما بلغهم النهي رجعوا عن هذا القول ، وإصرار الرافضة على حلها إنما هو اتباع للهوى وتنكب عما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، فهم متبعون للهوى في هذه المسألة ، ومخالفون لمعتقد أهل البيت فيها إذ أن أهل البيت يعتقدون أنها نسخت وحرمت إلى يوم القيامة ويعتبرون فعلها عين الزنا .

قال الحافظ بن حجر رحمه الله : « ولا يصح على قاعدتهم في الرجوع في المختلفات إلى علي وآل بيته ، فقد صح عن علي - رضي الله عنه - أنها نسخت ونقل البيهقي عن جعفر بن محمد أنه سئل عن المتعة فقال : « هي الزنا بعينه »[2] .

ومما طعنوا به على الخليفة الثاني - رضي الله عنه - : أنهم يفترون عليه بأنه عطل الحدود ويقولون إنه لم يحد المغيرة بن شعبة حد الزنا ولقن الرابع وهو زياد بن أبيه فتركها وحد الثلاثة وكيف يجوز له صرف الحد عن مستحقه[3] .

ويرد على هذا الهذيان :

---

(١) فتح الباري : ١٧٢/٩ - ١٧٣ .

(٢) فتح الباري : ١٧٣/٩ .

(٣) انظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٢١/٣ ، وانظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٣٨/٣ . حق اليقين في معرفة أصول الدين : ١٨٣/١ - ١٨٤ .

بأن جماهير العلماء على ما فعله عمر في قصة المغيرة وأن البينة إذا لم تكمل حد الشهود ، والذي فعله بالمغيرة كان بحضرة الصحابة رضي الله عنهم وأقروه على ذلك وعلي منهم ، والدليل على إقرار علي له أنه لما جلد الثلاثة الحد أعاد أبو بكرة القذف ، وقال والله لقد زنى فهم عمر بجلده ثانياً ، فقال له علي : إن كنت جالده فارجم المغيرة[١] يعني يكون تكراره للقول بمنزلة شاهد آخر فيتم النصاب أربعة فيجب رجمه فلم يحده عمر وهذا دليل على رضا علي بحدهم أولاً دون الحد الثاني ، وإلا كان أنكر حدهم أولاً كما أنكر الثاني ... وعمر رضي الله عنه من المتواتر عنه أنه كان لا تأخذه في الله لومة لائم ، حتى أنه أقام على ابنه[٢] الحد لما شرب بمصر بعد أن كان عمرو بن العاص ضربه الحد لكن كان ضربه سراً في البيت ، وكان الناس يضربون علانية ، فبعث عمر إلى عمرو يزجره ويتهدده لكونه حابى ابنه ، ثم طلبه فضربه مرة ثانية ، فقال له عبد الرحمٰن : مالك هذا ، فزجر عبد الرحمٰن ، وما روي أنه ضربه بعد الموت فكذب على عمر وضرب الميت لا يجوز ، وأخبار عمر المتواترة في إقامة الحدود وأنه كان لا تأخذه في الله لومة لائم أكثر من أن تذكر - ثم أيضاً يقال للرافضة - أي غرض كان لعمر في المغيرة بن شعبة ، وكان عمر عند المسلمين كالميزان العادل الذي لا يميل إلى ذا الجانب ولا ذا الجانب »[٣] .

وأما قولهم : إنه لقن الشاهد الرابع كلمة تدرأ الحد وهي أنه قال له : « أرى وجه رجل لا يفضح الله به رجلاً من المسلمين » فهذا كذب وبهتان من

---

(١) منهاج السنة : ١٣٨/٣ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٣٥١ - ٣٥٢ ، مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٢) يكنى بأبي شحمة وهو عبد الرحمٰن الأوسط . انظر قصة عبد الرحمٰن هذا في « الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير » لأبي عبد الله الجوزقاني : ١٩٣/٢ - ١٩٤ ، تنزيه الشريعة المرفوعة : ٢٢٠/٢ .

(٣) منهاج السنة : ١٣٨/٣ ، وانظر المنتقى للذهبي من : ٣٥١ - ٣٥٢ ، مختصر التحفة الاثنى عشرية : ٢٥٤ - ٢٥٥ .

أهل العدوان ، وإنما الثابت في التواريخ المعتبرة أن هذه الكلمة إنما قالها المغيرة في ذلك الحين كما هو حال الخصم مع الشهود ولا سيما إذا كان يترتب على الشهادة حكم موجب لهلاكه »[1] .

ومما طعنوا به على عمر – رضي الله عنه – : أنهم يزعمون أنه لم يحد قدامة بن مظعون على شربه الخمر لأنه تلا عليه ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا ﴾ الآية[2] ، فقال له عليّ – رضي الله عنه – ليس قدامة من أهل هذه الآية ، فلم يدر كم يحده ، فقال له أمير المؤمنين – رضي الله عنه – حده ثمانين إن شارب الخمر إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى[3] .

والرد على هذا الهذيان :

أنه من الكذب الواضح على الفاروق رضي الله عنه لأن علم عمر بن الخطاب بالحكم في مثل هذه القضية أبين من أن يحتاج إلى دليل ، فإنه قد جلد في الخمر غير مرة هو وأبو بكر قبله ، والمعروف من قصة قدامة ما رواه أبو إسحٰق الجوزجاني وغيره من حديث ابن عباس أن قدامة بن مظعون شرب الخمر فقال له عمر : ما يحملك على ذلك ، فقال : إن الله يقول : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ، الآية .. وإني من المهاجرين الأولين من أهل بدر وأحد ، فقال عمر : أجيبوا الرجل ، فسكتوا عنه ، فقال لابن عباس : أجبه ، فقال : إنما أنزلها الله عذراً للماضين لمن شربها قبل أن تحرم »[4] ، ثم سأل عمر عن الحد فيها ، فقال عليّ بن

---

(١) مختصر التحفة الاثنى عشرية : ٢٥٤ – ٢٥٥ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٩٣ .

(٣) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٤٨/٣ . وانظر الميزان : ١٣٥/٦ .

(٤) رواها عبد الرزاق في المصنف : ٢٤٠/٩ – ٢٤٣ ، وقصة قدامة أوردها أيضاً ابن العربي في أحكام القرآن : ٦٥٩/٢ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٧/٦ – ٢٩٩ .

أبي طالب : إذا شرب هذى وإذا هذى افترى فاجلده ثمانين جلدة ، فجلد عمر ثمانين ، ففيه أن علياً أشار بالثمانين وفيه نظر ، فإن الذي ثبت في الصحيح[1] أن علياً جلد أربعين عند عثمان بن عفان لما جلد الوليد بن عقبة وأنه أضاف الثمانين إلى عمر وثبت في الصحيح[2] أن عبد الرحمٰن بن عوف أشار بالثمانين ، فلم يكن جلد الثمانين مما استفاده عمر من علي ، وعلي قد نقل عنه أنه جلد في خلافته ثمانين فدل على أنه كان يجلد تارة أربعين ، وتارة ثمانين وروي عن علي أنه قال : « ما كنت لأقيم حداً على أحد فيموت فأجد في نفسي إلا صاحب الخمر فإنه لو مات لوديته لأن النبي ﷺ لم يسنه لنا »[3] .

ومما طعنوا به على عمر – رضي الله عنه – زعمهم : « أنه غير حكم الله في المنفيين يعني أنه ترك النفي لمن يشرب الخمر »[4] .

والرد على هذا البهتان :

أن التغيير لحكم الله إنما يكون بما يناقض حكم الله ، مثل إسقاط ما أوجبه الله وتحريم ما أحله الله ، والنفي في الخمر كان من باب التعزير يسوغ فيه الاجتهاد وذلك أن الخمر لم يقدر النبي ﷺ حدها لا قدره ولا صفته بل جوز فيه الضرب بالجريد والنعال وأطراف الثياب وعثكول[5] النخل بينما الضرب في حد القذف والزنا إنما يكون بالسوط ، وأما العدد في الخمر فقد ضرب الصحابة أربعين وضربوا ثمانين وصح أن علياً قال : وكل سنة[6] ، وقد قال العلماء : الزيادة على أربعين حد واجب وبه يقول أبو حنيفة ومالك وإحدى الروايتين عن

---

(١) انظر صحيح مسلم : ٣/١٣٣١ – ١٣٣٢ .

(٢) انظر المصدر السابق أيضاً : ٣/١٣٣١ .

(٣) منهاج السنة : ٣/١٤٩ ، المنتقى للذهبي ، ص : ٣٥٣ – ٣٥٤ ، وانظر الأثر عن علي في صحيح مسلم : ٣/١٣٣٢ .

(٤) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ٣/١٣٩ .

(٥) العثكول : العذق من أعذاق النخل الذي يكون فيه الرطب . النهاية في غريب الحديث : ٣/١٨٣ .

(٦) انظر صحيح مسلم : ٣/١٣٣٢ .

أحمد ، وقال الشافعي : الزائد تعزير وللإمام أن يفعله وأن يتركه بحسب المصلحة وكان الفاروق رضي الله عنه يحلق في الخمر وينفي وصح عن النبي ﷺ الأمر بقتل الشارب في الرابعة[1] ، واختلف في نسخه وكان علي يحد أكثر من الأربعين ، وثبت عنه أنه قال : ما أحد أقيم عليه الحد فيموت فأجد في نفسي إلا شارب الخمر ، فإنه لو مات لوديته فإنه شيء فعلناه بآرائنا[2] .

واستدل به على أن الزيادة من باب التعزير الذي يفعل بالاجتهاد[3] .

وبهذا يبطل طعن الرافضة على عمر رضي الله عنه بأنه غير حكم الله في المنفيين إذ النفي كان في شرب الخمر من باب التعزير الذي يجوز فيه الاجتهاد .

ومن مطاعنهم في حق الفاروق – رضي الله عنه – : أنهم يزعمون أنه كان لا يعلم بعض المسائل الشرعية التي هي في زعمهم شرط في الإمامة والخلافة ويذكرون قصصاً اخترعتها عقولهم يستدلون بها على ما يفترون من تلك القصص يقولون : إنه أمر برجم مجنونة شهد عليها بالزنا ، فقال له علي : أما علمت أن النبي ﷺ قال : « **رفع القلم عن المجنون حتى يفيق** » فقال : « لولا علي لهلك عمر »[4] .

والجواب على هذا :

* **أولاً** : أن قولهم إن عمر رضي الله عنه قال : « لولا علي لهلك عمر » هذه الزيادة ليست معروفة في هذا الحديث .

* **ثانياً** : إن عمر رضي الله عنه لا يخلو إما أن يكون غير عالم بجنونها وهذا

---

(١) انظر سنن الترمذي : ٤٥٠/٢ ، سنن ابن ماجة : ٨٥٩/٢ ، سنن الدارمي : ١٧٥/٢ – ١٧٦ . الأم للإمام الشافعي : ١٤٤/٦ .

(٢) انظر صحيح مسلم : ١٣٣٢/٣ .

(٣) منهاج السنة : ١٣٩/٣ ، المنتقى للذهبي ، ص : ٣٥٢ .

(٤) انظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ١٥/٣ ، منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٤٠/٣ ، حق اليقين : ١٨٥/١ .

لا يقدح في علمه بالأحكام ، أو كان عالماً بذلك ولكنه ذهل عنه ، أو اجتهد فله أسوة بغيره وما هو بمعصوم[(١)] .

وقد روى الإمام أحمد وغيره قصة هذه المرأة المجنونة عن أبي ظبيان الجنبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي بامرأة قد زنت ، فأمر عمر برجمها فانتزعها علي من أيديهم وردهم ، فرجعوا إلى عمر رضي الله عنه ، فقال : ما ردكم ، قالوا : ردنا علي رضي الله عنه ، قال : ما فعل هذا علي إلا لشيء قد علمه ، فأرسل إلي علي ، فجاء وهو شبه المغضب ، فقال : مالك رددت هؤلاء ، قال : أما سمعت النبي ﷺ يقول : « **رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يكبر ، وعن المبتلى حتى يعقل** » قال : بلى ، قال علي رضي الله عنه : فإن هذه مبتلاة بني فلان ، فلعله أتاها وهو بها ، فقال عمر : لا أدري ، قال : وأنا لا أدري فلم يرجمها[(٢)] .

فمن هذا يتبين أن عمر رضي الله عنه كان يعلم أن المجنونة لا ترجم ولكن لم يكن له علم بجنونها ، فلا يطعن عليه بهذا إلا من أصيب بالفتنة في قلبه .

ومن القصص التي يتشدقون بها ويقولون : إنها دلت على أن الفاروق كان قليل المعرفة ببعض المسائل الشرعية ، قالوا : إنه أمر برجم حامل ، فقال له علي : إن كان لك عليها سبيل ، فلا سبيل لك على ما في بطنها ، فأمسك وقال : « لولا علي لهلك عمر »[(٣)] .

والرد على هذه القصة :

إن كانت صحيحة فلا تخلو من أن يكون الفاروق رضي الله عنه لم يعلم بحملها فأخبره أبو الحسن بأنها حامل ، ولا ريب أن الأصل عدم العلم والإمام

---

(١) انظر منهاج السنة : ٣/١٤٠ ، وانظر المنتقى للذهبي : ص : ٣٥٣ .

(٢) المسند : ١/١٥٤ - ١٥٥ ، وانظر صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١٢/١٢٠ .

(٣) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ٣/١٣٩ ، وانظر حق اليقين : ١/١٨٥ .

إذا لم يعلم أن المستحقة للقتل أو الرجم حامل فعرفه بعض الناس بحالها كان هذا من جملة إعلامه بما يغيب عنه من أحوال الناس ، ومن جنس ما يشهد به عنده الشهود ، وهذا أمر لا بد منه مع كل أحد من الأنبياء والأئمة وغيرهم ، وليس هذا من الأحكام الكلية الشرعية ، وإما أن يكون عمر رضي الله عنه قد غاب عنه كون الحامل لا ترجم فلما ذكَّره علي ذكر ذلك ، ولهذا أمسك عن رجمها ، ولهذا لو كان رأيه أن الحامل ترجم لرجمها ، ولم يرجع إلى رأي غيره ، وقد مضت سنة النبي ﷺ في الغامدية لما قالت : يا رسول الله إني زنيت فطهرني ، وإنه ردها ، فلما كان الغد قالت : يا رسول الله لم تردني ؟ ، لعلك إن تردني كما رددت ما عزاً فوالله إني لحبلى ، قال : « **أما لا فاذهبي حتى تلدي** »[1] .

ولو قدر أنه خفي على عمر علم هذه المسألة حتى عرفه علي بذلك لم يقدح ذلك في علمه لأن عمر ساس المسلمين وأهل الذمة يعطي الحقوق ويقيم الحدود ويحكم بين الناس كلهم ، وفي زمنه انتشر الإسلام ، وظهر ظهوراً لم يكن قبله مثله وهو دائماً يقضي ويفتي ، ولولا كثرة علمه لم يطق ذلك فإذا خفيت عليه قضية من مائة ألف قضية ثم عرفها أو كان نسيها فذكرها فأي عيب في ذلك ... ثم يقال عمر رضي الله عنه قد بلغ من علمه وعدله ورحمته بذرية المسلمين أنه كان لا يفرض لصغير حتى يفطم ويقول يكفيه اللبن فسمع امرأة تكره ابنها على الفطام ليفرض له ، فأصبح فنادى في الناس أن أمير المؤمنين يفرض للفطيم والرضيع[2] وتضرر الرضيع كان بإكراه أمه لا بفعله هو لكن رأى أن يفرض للرضعاء ليمتنع الناس عن أذاهم فهذا إحسانه إلى ذرية المسلمين[3] .

ويقال للطاعنين عليه بهذه القضية إن كانت خفيت عليه فقد خفي على أبي الحسن رضي الله عنه من السنة أضعاف هذا وأدى اجتهاده إلى أن قتل يوم

---

(١) صحيح مسلم : ١٣٢٣/٣ ، الموطأ : ٨٢١/٢ .

(٢) انظر تاريخ عمر لابن الجوزي ، ص : ٨٤ - ٨٥ .

(٣) منهاج السنة : ١٣٩/٣ - ١٤٠ ، وانظر المنتقى للذهبي : ص ٣٥٢ .

الجمل وصفين نحو من تسعين ألفاً[1] فهذا أعظم خطئاً من خطأ عمر في قتل ولد زنا ولم يقتله ولله الحمد[2] .

وبهذا الرد يبطل ما نسبه الرافضة إلى عمر رضي الله عنه من أنه أمر برجم امرأة حامل ، فنهاه علي عن ذلك والمشهور أن هذه القصة لم تكن لعلي رضي الله عنه مع عمر ، وإنما كانت لمعاذ بن جبل كما روى ذلك ابن أبي شيبة في المصنف أن امرأة غاب عنها زوجها ثم جاء وهي حامل فرفعها إلى عمر فأمر برجمها ، فقال معاذ : إن يكن لك عليها سبيل فلا سبيل لك على ما في بطنها ، فقال عمر : احبسوها حتى تضع ، فوضعت غلاماً له ثنيتان فلما رآه أبوه قال : إبني ، فبلغ ذلك عمر ، فقال : عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ، « لولا معاذ هلك عمر »[3] .

لكن الرافضة لما كانوا أهل جهل والكذب فيهم أكثر من غيرهم ينسبون الآثار والأخبار إلى غير رواتها .

ومما طعنوا به على الفاروق – رضي الله عنه – : أنهم يقولون إنه أرسل إلى حامل يستدعيها فأسقطت خوفاً منه ، فقال له الصحابة : نراك مؤدباً ولا شيء عليك ، ثم سأل علياً ، فأوجب الدية[4] .

ويرد على هذه القصة : أنها من مسائل الاجتهاد التي تنازع فيها العلماء ، وكان عمر رضي الله عنه يشاور الصحابة رضي الله عنهم في الحوادث ، يشاور عثمان وعلياً وعبد الرحمٰن بن عوف وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس ، وهذا كان من كمال فضله وعقله ودينه ، فلهذا كان من أشد الناس رأياً وكان يرجع تارة إلى رأي هذا ، وتارة إلى رأي هذا ، وقد أتي بامرأة قد أقرت بالزنا ،

---

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك : ٥٣٩/٤ .
(٢) المنتقى للذهبي ، ص : ٣٥٢ .
(٣) المصنف : ٨٨/١٠ .
(٤) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٥٠/٣ . حق اليقين في معرفة أصول الدين : ١٨٥/١ .

فاتفقوا على رجمها ، وعثمان ساكت ، فقال : مالك لا تتكلم ، فقال : أراها تستهل به استهلال من لا يعلم أن الزنا محرم ، فرجع فأسقط الحد لما ذكر له عثمان ، ومعنى كلامه أنها تجهر به وتبوح به كما يجهر الإنسان ويبوح بالشيء الذي لا يراه قبيحاً ... وإذا كانت لا تعلمه قبيحاً كانت جاهلة بتحريمه والحد إنما يجب على من بلغه التحريم ، ولهذا من أتى شيئاً من المحرمات التي لم يعلم تحريمها لقرب عهده بالإسلام أو لكونه نشأ بمكان جهل لم يقم عليه الحد ولهذا لم يعاقب النبي ﷺ من أكل من أصحابه بعد تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود[1] وكذا لم يعاقب النبي ﷺ أسامة بن زيد لما قتل الرجل الذي قال : « لا إلٰه إلا الله » لأنه ظن جواز قتله لما اعتقد أنه قالها تعوذاً[2] ، وكذلك خالد بن الوليد لما قتل بني جذيمة لما قالوا صبأنا لما حصل له من التأويل[3] .

فلا وجهة مستقيمة للرافضة للطعن على عمر بهذه القصة ، إذ أنها مسألة مبنية على الخلاف والاجتهاد ومشاورة الفاروق رضي الله عنه للصحابة تزيد من قدره ورفعة شأنه ، وذلك من تمام فضله وكمال دينه وعقله رضي الله عنه وأرضاه .

ومما ذكروه من القصص التي يسوقونها للاستدلال بها على عدم إلمام الفاروق بالأحكام الشرعية أنهم يقولون : « تنازعت امرأتان في طفل ولم يعلم الحكم وفزع فيه إلي علي ، فاستدعى علي المرأتين ووعظهما فلم ترجعا ، فقال : ائتوني بمنشار ، فقالت المرأتان : ما تصنع به ، فقال : أقده بينكما نصفين ، فتأخذ كل واحدة نصفاً ، فرضيت واحدة ، وقالت الأخرى : ألله ألله يا أبا الحسن إن كان ولا بد من ذلك فقد سمحت لها به فقال علي : الله أكبر هو ابنك دونها ، ولو كان ابنها

---

(١) انظر صحيح البخاري : ٣٢٨/١ .

(٢) انظر صحيح مسلم : ٩٧/١ .

(٣) منهاج السنة : ١٥٠/٣ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٣٥٤ ، وانظر قصة خالد بن الوليد مع بني جذيمة . « فتح الباري » : ٥٦/٨ - ٥٨ .

لرقت عليه فاعترفت الأخرى أن الحق مع صاحبتها ، ففرح عمر ودعا لعليّ »[1] .

والرد على هذه القصة :

أنهم لم يذكروا لها إسناداً ولا يعرف صحتها ولا هناك أحد من أهل العلم ذكرها ولو كان لها حقيقة لذكروها ، ولا تعرف عن عمر وعليّ وإنما هي معروفة عن سليمان بن داود عليهما السلام .

فقد روى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب ، فذهب بابن إحداهما ، فقالت صاحبتها : إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك ، فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود ، فأخبرتاه ، فقال : ائتوني بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى ، قال أبو هريرة : والله إن سمعت بالسكين إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية »[2] .

فإن كان بعض الصحابة عليّ أو غيره سمعوها من النبي ﷺ كما سمعها أبو هريرة أو سمعوها من أبي هريرة فهذا غير مستبعد وهذه القصة فيها أن الله تعالى فهَّم سليمان من الحكم ما لم يفهمه داود كما قال تعالى : ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾[3] ، وكان سليمان قد سأل ربه حكماً يوافق حكمه ، ومع هذا فلا يحكم بمجرد ذلك بأن سليمان أفضل من داود عليهما السلام »[4] .

ومن قصصهم التي يذكرونها ويسوقونها للاستدلال على عدم معرفة الفاروق

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ٣/١٥٠ - ١٥١ .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٦/٤٥٨ ، صحيح مسلم : ٣/١٣٤٤ - ١٣٤٥ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٧٨ ، ٧٩ .

(٤) منهاج السنة : ٣/١٥١ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٣٥٥ .

لبعض الأحكام والمسائل الشرعية أنهم يزعمون « أنه أمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر فقال له عليّ : إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إن الله يقول : ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾[2] .

والرد على هذه القصة :

أنه يقال للطاعنين عليه بها : « إن عمر رَضي الله عنه كان يستشير الصحابة رضي الله عنهم ، فتارة يشير عليه عثمان بما يراه صواباً ، وتارة يشير عليه عليّ وتارة يشير عليه عبد الرحمٰن بن عوف ، وتارة يشير عليه غيرهم ، وبهذا مدح الله المؤمنين بقوله تعالى : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[3] والناس متنازعون في المرأة إذا ظهر بها حمل ولم يكن لها زوج ولا سيد ، ولا ادعت شبهة هل ترجم .

فمذهب مالك وغيره من أهل المدينة والسلف أنها ترجم ، وهو قول أحمد في إحدى الروايتين .

ومذهب أبي حنيفة والشافعي : لا ترجم وهي الرواية الثانية عن أحمد ، قالوا : لأنها قد تكون مستكرهة على الوطء أو موطوءة بشبهة أو حملت بغير وطء ، والقول الأول هو الثابت عن الخلفاء الراشدين ، فقد ثبت في الصحيحين أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – خطب الناس في آخر عمره ، وقال : « ... الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال أو النساء إذا قامت البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف »[4] ، فجعل الحبل دليلاً على ثبوت

---

(١) سورة الأحقاف ، آية : ١٥ .

(٢) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٥١/٣ ، كتاب الطرائف : ٤٧٢/٢ – ٤٧٣ ، والآية رقم (٢٣٣) من سورة البقرة .

(٣) سورة الشورى ، آية : ٣٨ .

(٤) صحيح البخاري : ١٨٠/٤ ، صحيح مسلم : ١٣١٧/٣ .

الزنا كالشهود ، وهكذا هذه القضية ... فلما كان معروفاً عند الصحابة أن الحد يقام بالحبل ، فلو ولدت المرأة لدون ستة أشهر أقيم عليها الحد ، والولادة لستة أشهر نادرة إلى الغاية والأمور النادرة قد لا تخطر بالبال ، فأجرى عمر ذلك على الأمر المعتاد المعروف في النساء كما في أقصى الحمل ، فإن المعروف من النساء أن المرأة تلد لتسعة أشهر[١] « كما وجد في النادر من حملت أربع سنين ومن حملت سبع سنين وفي حد ذلك نزاع بين العلماء »[٢] .

ومن القصص التي يسوقونها ويقولون إنها دلت على أن الفاروق رضي الله عنه كان لا يعرف بعض المسائل الشرعية أنه قال في خطبة له : « من غالى في مهر امرأة جعلته في بيت المال » ، فقالت له امرأة : كيف تمنعنا ما أعطانا الله في كتابه حين قال : ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾[٣] ، فقال : كل أحد أفقه من عمر حتى المخدرات[٤] .

ويرد عليهم أن هذه القصة لا تدل على ما تفهمونه معشر الرافضة وإنما « هي دليل على كمال فضله ودينه وتقواه ورجوعه إلى الحق إذا تبين له وأنه يقبل الحق حتى من امرأة ويتواضع له وأنه معترف بفضل الواحد عليه ولو في أدنى مسألة ، وليس من شرط الأفضل أن لا ينبهه المفضول لأمر من الأمور ، فقد قال الهدهد لسليمان : ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[٥] ، وقد قال موسى للخضر : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[٦] ، والفرق بين موسى والخضر أعظم من الفرق بين عمر وأشباهه من الصحابة ، و لم يكن هذا بالذي أوجب أن يكون الخضر قريباً من موسى فضلاً عن

---

(١) منهاج السنة : ٣/١٥١ - ١٥٢ .

(٢) المنتقى للذهبي ، ص : ٣٥٥ .

(٣) سورة النساء ، آية : ٢٠ .

(٤) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ٣/١٤٧ . الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف : ٢/٤٧١ .

(٥) سورة النمل آية : ٢٢ .

(٦) سورة الكهف آية : ٦٦ .

أن يكون مثله ، بل الأنبياء المتبعون لموسى كهرون ويوشع وداود وسليمان وغيرهم أفضل من الخضر ، وما كان عمر قد رآه فهو مما يقع مثله للمجتهد الفاضل ، فإن الصداق فيه حق لله تعالى ، ليس من جنس الثمن والأجرة فإن المال والمنفعة يستباح بالإباحة ولا يجوز النكاح بغير صداق لغير النبي ﷺ باتفاق المسلمين »[1] ، فلا وجهة صحيحة للرافضة توجب لهم الطعن على الفاروق بهذه القصة .

ومن مطاعنهم في حق الفاروق - رضي الله عنه - : أنهم يزعمون أنه كان يضطرب في الأحكام ويتقولون عليه بأنه قضى في مسألة الجد بمائة قضية[2] .

والجواب على هذا الزعم : « أن عمر رضي الله عنه أسعد الصحابة المختلفين في الجد بالحق فإن الصحابة في الجد مع الإخوة على قولين : -

* **أحدهما** : أنه يسقط الإخوة ، وهذا قول أبي بكر وأبي موسى وابن عباس وطائفة ، ومذهب أبي حنيفة وابن سريج من الشافعية وأبي حفص البرمكي من الحنابلة وهو الحق فإن نسبة بني الأخوة من الأب إلى الجد كنسبة الأعمام بني الجد إلى الجد ، وقد اتفق المسلمون على أن الجد أب والأب أولى من الأعمام ، فيجب أن يكون أبو الأب أولى من الإخوة ، وأيضاً فإن الإخوة لو كانوا لكونهم يدلون ببنوة الأب - بمنزلة الجد لكان أولادهم وهم بنو الإخوة كذلك ومعلوم أن الابن لما كان أولى من الجد كان ابنه بمنزلته ، وأيضاً : فإن الجدة كالأم فيجب أن يكون الجد كالأب ولأن الجد يسمى أباً ، وهذا القول هو إحدى الروايتين عن عمر .

---

(١) منهاج السنة : ١٤٧/٣ ، المنتقى للذهبي ، ص : ٣٥٣ .

(٢) انظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للعاملي : ٢٢/٣ ، وانظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٥٢/٣ .

* **القول الثاني** : إن الجد يقاسم الإخوة ، وهذا قول عثمان وعليّ وزيد وابن مسعود ، ولكن اختلفوا في التفضيل اختلافاً متبايناً ، والجمهور على مذهب زيد كمالك والشافعي وأحمد .

فإن كان القول الأول في مسألة الجد هو الصواب فهو قول لعمر ، وإن كان الثاني فهو قول لعمر وإنما نفذ قول زيد في الناس لأنه كان قاضي عمر وكان عمر ينفذ قضاءه في الجد لورعه ، لأنه كان يرى أن الجد كالأب مثل قول أبي بكر فلما صار جداً تورع وفوض الأمر في ذلك لزيد ، وقول القائل إنه قضى في الجد بمائة قضية ، إن صح هذا لم يرد به أنه قضى في مسألة واحدة بمائة قول ، فإن هذا غير ممكن ، وليس في مسائل الجد نزاع أكثر مما في مسألة الخرقاء أم / وأخت / وجد والأقوال فيها ستة[1] فعلم أن المراد به إن كان صحيحاً أنه قضى في مائة حادثة من حوادث الجد وهذا مع أنه ممكن لكن لم يخرج قوله عن قولين أو ثلاثة ، مع أن الأشبه أن هذا كذب ، فإن وجود جد وإخوة في الفريضة قليل جداً في الناس ، وعمر إنما تولى عشر سنين ، وكان قد أمسك عن الكلام في الجد وثبت عنه في الصحيح أنه قال : « ثلاث وددت أن رسول الله ﷺ كان بينهن لنا الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا »[2] ، ومن كان متوقفاً لم يحكم فيها بشيء[3] .

ومن مطاعنهم في حق الفاروق – رضي الله عنه – : أنهم يطعنون عليه بقولهم « إنه جعل الأمر شورى بعده ، وخالف فيه من تقدمه ، فإنه لم يفوض الأمر فيه إلى اختيار الناس ، ولا نص على إمام بعده بل تأسف على سالم مولى

---

(١) انظر هذه المسألة وأقوال العلماء فيها ، كتاب « العذب الفائض بشرح عمدة الفارض » للشيخ إبراهيم ابن عبد الله بن إبراهيم الفرضي : ١١٨/١ – ١١٩ .

(٢) انظر هذا الأثر عن عمر في صحيح مسلم : ٢٢٣٢/٤ .

(٣) منهاج السنة : ١٥٢/٣ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٣٥٥ – ٣٥٦ وانظر إرث الجد مع الإخوة وحالاته ، كتاب « العذب الفائض شرح عمدة الفارض » : ١٠٥/١ – ١٢٢ .

أبي حذيفة ، وقال : « لو كان حياً لم يختلجني فيه شك » وأمير المؤمنين علي حاضر وجمع بين الفاضل والمفضول ، ومن حق الفاضل التقدم على المفضول ، ثم طعن في كل واحد ممن اختاره للشورى ، وأظهر أنه يكره أن يتقلد أمر المسلمين ميتاً كما تقلده حياً ثم تقلده ميتاً بأن جعل الإمامة في ستة ثم ناقض فجعلها في أربعة ، ثم في ثلاثة ، ثم في واحد فجعل إلى عبد الرحمٰن بن عوف الاختيار بعد أن وصفه بالضعف والقصور ، ثم قال : إن اجتمع أمير المؤمنين وعثمان ، فالقول ما قالاه ، وإن صاروا ثلاثة فالقول قول الذي صار فيهم عبد الرحمٰن بن عوف لعلمه أن علياً وعثمان لا يجتمعان على أمر واحد ، وأن عبد الرحمٰن لا يعدل الأمر عن أخيه عثمان وهو ابن عمه ثم أمر بضرب أعناقهم إن تأخروا عن البيعة ثلاثة أيام مع أنهم عندهم من العشرة المبشرة بالجنة وأمر بقتل من خالف الأربعة منهم وأمر بقتل من خالف الثلاثة منهم عبد الرحمٰن ، وكل ذلك مخالف للدين ، وقال لعلي : إن وليتها وليسوا بفاعلين لتركبنهم على المحجة البيضاء ، وفيه إشارة إلى أنهم لا يولونه إياها ، وقال لعثمان : إن وليتها لتركبن آل بني معيط على رقاب الناس وإن فعلت لتقتلن ، وفيه إشارة إلى الأمر بقتله[1] .

والجواب على هذا الهذيان أنه :

بمجرد أن يقرأه الإنسان أو يسمعه يجد أنه لا يخرج عن قسمين :

إما كذب في النقل ، وإما قدح في الحق ، فإن منه ما هو كذب معلوم الكذب ، أو غير معلوم الصدق ، وما علم أنه صدق فليس فيه ما يوجب الطعن على عمر رضي الله عنه ، بل ذلك معدود من فضائله ومحاسنه التي ختم الله له بها عمله ، ولكن الرافضة لفرط جهلهم واتباعهم للهوى يقلبون الحقائق في المنقول والمعقول ، فيأتون إلى الأمور التي وقعت وعلم أنها وقعت فيقولون ما وقعت ،

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٥٨/٣ ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٢٢/٣ -٢٤ ، حق اليقين لعبد الله شبر : ١٨٨/١ ، وانظر الاحتجاج للطبرسي : ١٣٤/١ .

وإلى أمور ما كانت فيقولون كانت ، ويأتون إلى الأمور التي هي خير وصلاح ، فيقولون : هي فساد ، وإلى الأمور التي هي فساد فيقولون : هي خير وصلاح[(١)] ، فهم لا يعقلون عقل تفكر ولا يسمعون سماع تدبر وإلى بيان بطلان مطاعنهم التي تضمنها هذا النص السابق :

فطعنهم على الفاروق - رضي الله عنه : بأنه جعل الأمر شورى بعده وخالف فيه من تقدمه ... فجوابه :

أن يقال لهم : « إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان كثير المشاورة للصحابة فيما لم يتبين فيه أمر الله ورسوله ، فإن الشارع نصوصه كلمات جوامع وقضايا كلية وقواعد عامة يمتنع أن ينص على كل فرد من جزئيات العالم إلى يوم القيامة فلا بد من الاجتهاد في المعينات ، هل تدخل في كلماته الجامعة أم لا ، وهذا الاجتهاد يسمى تحقيق المناط وهو مما اتفق عليه الناس كلهم نفاة القياس ، ومثبته ، فإن الله إذا أمر أن يستشهد ذوا عدل فكون هذا الشخص المعين صالحاً لذلك أو راجحاً على غيره لا يمكن أن تدل عليه النصوص ، بل لا يعلم إلا باجتهاد خاص ... وعمر رضي الله عنه إمام وعليه أن يستخلف الأصلح للمسلمين ، فاجتهد في ذلك ورأى أن - الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض - أحق من غيرهم ، وهو كما رأى ، فإنه لم يقل أحد إن غيرهم أحق منهم ، وجعل التعيين إليهم خوفاً أن يعين واحداً منهم ، ويكون غيره أصلح لهم ، فإنه ظهر له رجحان الستة دون رجحان التعيين ، وقال : الأمر في التعيين إلى الستة يعينون واحداً منهم ، وهذا أحسن اجتهاد إمام عالم عادل ناصح لا هوى له رضي الله عنه ، وأيضاً : فقد قال تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[(٢)] ، وقال : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾[(٣)] فكان ما فعله من الشورى مصلحة وكان ما فعله

---

(١) انظر منهاج السنة : ١٥٩/٣ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ، ص : ٣٥٨ - ٣٥٩ .
(٢) سورة الشورى ، آية : ٣٨ .
(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٥٩ .

أبو بكر رضي الله عنه من تعيين عمر هو المصلحة أيضاً ، فإن أبا بكر تبين له من كمال عمر وفضله واستحقاقه للأمر ما لم يحتج معه إلى الشورى وظهر أثر هذا الرأي المبارك الميمون على المسلمين فإن كل عاقل منصف يعلم أن عثمان أو علياً أو طلحة أو الزبير أو سعداً أو عبد الرحمٰن بن عوف لا يقوم مقام عمر وكان تعيين عمر في الاستحقاق كتعيين أبي بكر في مبايعتهم له ... والفاروق رضي الله عنه رأى الأمر في الستة متقارباً فإنهم وإن كان لبعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض ، فلذلك المفضول مزية أخرى ليست للآخر ، ورأى أنه إذا عين واحداً فقد يحصل بولايته نوع من الخلل فيكون منسوباً إليه ، فترك التعيين خوفاً من الله تعالى ، وعلم أنه ليس واحد أحق بهذا الأمر منهم فجمع بين المصلحتين بين تعيينهم إذ لا أحق منهم وترك تعيين واحد منهم لما تخوفه من التقصير والله تعالى قد أوجب على العبد أن يفعل المصلحة بحسب الإمكان فكان ما فعله غاية ما يمكن من المصلحة »[1] .

ولا يقال إنه بجعله الأمر شورى بين الستة قد خالف به من تقدمه كما هو زعم الشيعة الرافضة ، لأن الخلاف نوعان :

خلاف تضاد ، وخلاف تنوع ، فالأول مثل أن يوجب هذا شيئاً ويحرمه الآخر ، والنوع الثاني : مثل القراءات التي يجوز كل منها ، وإن كان هذا يختار قراءة وهذا يختار قراءة ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « **أنزل القرآن على سبعة أحرف** »[2] ، وثبت أن عمر وهشام بن حكيم بن حزام اختلفا في سورة الفرقان ، فقرأها هذا على وجه وهذا على وجه آخر ، فقال لكليهما : هكذا أنزلت[3] ومن هذا الباب أنواع التشهدات[4] ، ومنه أيضاً جعل عمر رضي الله

(١) منهاج السنة : ١٦٢/٣ - ١٦٤ ، وانظر المنتقى ، ص : ٣٦٢ - ٣٦٤ .
(٢) رواه الترمذي في سننه : ٢٦٣/٤ ، من حديث أبي بن كعب .
(٣) المصدر السابق : ٢٦٤/٤ ، من حديث عمر .
(٤) منهاج السنة : ١٥٩/٣ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٣٥٩ .

عنه الأمر من بعده إلى الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ولا يعتبر بذلك مخالفاً لمن تقدمه .

وأما ما يروى من ذكر عمر لسالم مولى أبي حذيفة ، فقد علم أن الفاروق وغيره من الصحابة كانوا يعلمون أن الإمامة في قريش ، كما استفاضت بذلك السنن عن النبي ﷺ[1] ، وقد احتج بها المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة ، فكيف يظن بعمر أنه كان يولي رجلاً من غير قريش بل من الممكن أنه أراد أن يوليه ولاية جزئية أو يستشيره فيمن يولي ، ونحو ذلك من الأمور التي يصلح لها سالم مولى أبي حذيفة ، فإنه كان من خيار الصحابة[2] .

وأما زعمهم أنه جمع بين الفاضل والمفضول ومن حق الفاضل التقدم على المفضول ، فيقال لهم :

* **أولاً** : هؤلاء كانوا متقاربين في الفضيلة ، ولم يكن تقدم بعضهم على بعض ظاهراً كتقدم أبي بكر وعمر على الباقين ، ولهذا كان في الشورى تارة يؤخذ برأي عثمان وتارة يؤخذ برأي علي وتارة برأي عبد الرحمٰن وكل منهم له فضائل لم يشركه فيها الآخر ، ثم يقال لهم :

* **ثانياً** : وإذا كان فيهم فاضل ومفضول فلم يقولون إن علياً هو الفاضل وعثمان وغيره هم المفضولون ، وهذا القول خلاف ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار كما قال غير واحد من الأئمة ، منهم أيوب السختياني وغيره من قدم علياً على عثمان ، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ، وقد ثبت عن عبد الله بن عمر قال : كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان[3] ، وفي لفظ : « ثم ندع أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم »[4] ، فهذا إخبار عما كان عليه

---

(١) انظر صحيح مسلم : ١٤٥١/٣ - ١٤٥٢ ، المسند : ١٢٩/٣ .
(٢) منهاج السنة : ١٦٥/٣ ، المنتقى ، ص : ٣٦٨ .
(٣) انظر صحيح البخاري : ٢٨٩/٢ ، سنن أبي داود : ٥١١/٢ .
(٤) انظر صحيح البخاري : ٢٩٧/٢ ، سنن أبي داود : ٥١١/٢ .

الصحابة على عهد النبي ﷺ من تفضيل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ، وقد روي أن ذلك كان يبلغ النبي ﷺ فلا ينكره[1] ، وحينئذ فيكون هذا التفضيل ثابتاً بالنص ، وإلا فيكون ثابتاً بما ظهر بين المهاجرين والأنصار على عهد النبي ﷺ من غير نكير وبما ظهر لما توفي عمر فإنهم كلهم بايعوا عثمان بن عفان من غير رغبة ولا رهبة ، ولم ينكر هذه الولاية منكر منهم .

قال الإمام أحمد : لم يجتمعوا على بيعة أحد ما اجتمعوا على بيعة عثمان ، وسئل عن خلافة النبوة ، فقال : كل بيعة كانت بالمدينة وهو كما قال : فإنهم كانوا في آخر ولاية عمر أعز ما كانوا وأظهر ما كانوا قبل ذلك ، وكلهم بايعوا عثمان بلا رغبة بذلها لهم ولا رهبة ، فإنه لم يعط أحداً على ولايته لا مالاً ولا ولاية وعبد الرحمٰن الذي بايعه لم يوله ولم يعطه مالاً وكان عبد الرحمٰن من أبعد الناس عن الأغراض مع أن عبد الرحمٰن شاور جميع الناس ولم يكن لبني أمية شوكة ولا كان في الشورى منهم أحد غير عثمان ، مع أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا كما وصفهم الله – عز وجل – : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[2] .

وقد بايعوا النبي ﷺ على أن يقولوا الحق حيثما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، ولم ينكر منهم أحد ولاية عثمان ... فلولا علم القوم بأن عثمان أحقهم بالولاية لما ولوه وهذا أمر كلما تدبره الخبير ازداد به خبرة وعلماً ، ولا يشك فيه إلا من لم يتدبره من أهل العلم بالاستدلال ، أو من هو جاهل بالواقع أو بطريق النظر والاستدلال والجهل بالأدلة أو بالنظر يورث الجهل ، وأما من كان عالماً بما وقع وبالأدلة وعالماً بطريق النظر والاستدلال فإنه يقطع قطعاً لا يتمار فيه أن عثمان كان أحقهم بالخلافة وأفضل من بقي بعده »[3] .

---

(١) ذكره الحافظ في الفتح : ١٦/٧ ، وعزاه للطبراني .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٥٤ .

(٣) منهاج السنة : ١٦٥/٣ – ١٦٦ .

وأما زعمهم : أنه طعن في كل واحد ممن اختاره للشورى وأظهر أنه يكره أن يتقلد أمر المسلمين ميتاً كما تقلده حيًّا ثم تقلده بأن جعل الإمامة في ستة .

فالرد عليه : « أن عمر لم يطعن فيهم طعن من يجعل غيرهم أحق بالإمامة منهم بل لم يكن عنده أحق بالإمامة منهم كما نص على ذلك لكن بين عذره المانع له من تعيين واحد منهم وكره أن يتقلد ولاية معين ولم يكره أن يتقلد تعيين الستة لأنه قد علم أنه لا أحد أحق بالأمر منهم ، فالذي علمه وعلم أن الله يثيبه عليه ولا تبعة عليه فيه إن تقلده هو اختيار الستة والذي خاف أن يكون عليه فيه تبعة وهو تعيين واحد منهم تركه وهذا من كمال عقله ودينه رضي الله عنه ، وليس كراهته لتقلده ميتاً كما تقلده حياً لطعنه في تقلده حياً ، فإنه تقلد الأمر حياً باختياره ، وبأن تقلده كان خيراً له وللأمة ، وإن كان خائفاً من تبعة الحساب ، فقد قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾[1] .

قالت عائشة – رضي الله عنها – : يا رسول الله أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف أن يعاقب ، قال : « **لا يا بنت الصديق ، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه** »[2] ، فخوفه من التقصير في الطاعة من كمال الطاعة والفرق بين تقلده حياً وميتاً أنه في حياته كان رقيباً على نوابه متعقباً لأفعالهم يأمرهم بالحج كل عام ليحكم بينهم وبين الرعية ، فكان ما يفعلونه مما يكرهه يمكنه منعهم منه وتلافيه بخلاف ما بعد الموت ، فإنه لا يمكنه لا منعهم مما يكرهه ولا تلافي ذلك فلهذا كره تقلد الأمر ميتاً ، وأما تعيين الستة فهو عنده واضح بين لعلمه أنهم أحق الناس بهذا الأمر[3] .

---

(١) سورة المؤمنون ، آية : ٦٠ .

(٢) انظر الدر المنثور : ٦/١٠٥ .

(٣) منهاج السنة : ٣/١٦٧ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٢٧٠ .

وأما زعمهم أنه ناقض فجعلها في أربعة ثم في ثلاثة ثم في واحد فجعل إلى عبد الرحمٰن بن عوف الاختيار بعد أن وصفه بالضعف والقصور .

فالرد عليه : « أنه ينبغي لمن احتج بالمنقول أن يثبته أولاً وإذا قال القائل هذا غير معلوم الصحة لم يكن عليه حجة وعهد عمر بالأمر من بعده إلى الستة ثابت في صحيح البخاري[1] وغيره ، ليس فيه شيء من هذا بل يدل على نقيض هذا وأن الستة هم الذين جعلوا الأمر في ثلاثة ، ثم الثلاثة جعلوا الاختيار إلى عبد الرحمٰن بن عوف واحد منهم ليس لعمر في ذلك أمر »[2] .

وأما بيان بطلان افترائهم عليه : أنه قال : إن اجتمع علي وعثمان فالقول ما قالاه ، وإن صاروا ثلاثة فالقول قول الذي صار فيهم عبد الرحمٰن لعلمه أن علياً وعثمان لا يجتمعان على أمر وأن عبد الرحمٰن لا يعدل بالأمر عن أخيه عثمان وابن عمه .

فالرد عليه يقال لهم : من « الذي قال إن عمر قال هذا ، وإن كان قد قاله فلا يجوز أن يظن به أنه كان قصده ولاية عثمان محاباة له ومنع علي معاداة له ، فإنه لو كان قصده هذا لولى عثمان ابتداء ولم ينتطح فيها عنزان كيف والذين عاشوا بعده قدموا عثمان بدون تعيين عمر له ، فلو كان عمر عينه لكانوا أعظم متابعة له ، وطاعة ، سواء كانوا كما يقوله المؤمنون أهل دين وخير وعدل أو كانوا كما يقوله المنافقون الطاعنون فيهم أن مقصودهم الظلم والشر ، وعمر كان في حال الحياة لا يخاف أحداً ... فإذا كان في حياته لم يخف من تقديم أبي بكر والأمر في أوله والنفوس لم تتوطن على طاعة أحد معين بعد النبي ﷺ ولا صار لعمر أمر فكيف يخاف من تقديم عثمان عند موته ، والناس كلهم مطيعوه ، وقد تمرنوا على طاعته ، فعلم أنه لو كان له غرض في تقديم عثمان لقدمه ولم يحتج إلى هذه

---

(١) صحيح البخاري : ٢/٢٩٧ - ٢٩٩ .

(٢) منهاج السنة : ٣/١٦٨ ، المنتقى ، ص : ٣٧٠ .

الدويرة البعيدة ، ثم أي غرض يكون لعمر رضي الله عنه في عثمان دون علي وليس بينه وبين عثمان من أسباب الصلة أكثر مما بينه وبين علي لا من جهة القبيلة ولا من غير جهة القبيلة ، وعمر قد أخرج من الأمر ابنه ولم يدخل في الأمر ابن عمه سعيد بن زيد وهو أحد العشرة المشهود لأعيانهم بالجنة في حديث واحد[1] وهم من قبيلة بني عدي ولا كان يولي من بني عدي أحداً بل ولى رجلاً[2] منهم ثم عزله وكان رضي الله عنه باتفاق الناس لا تأخذه في الله لومة لائم فأي داع يدعوه إلى محاباة زيد دون عمر وبلا غرض يحصل من الدنيا ، فمن أقصى عشيرته وأمر بأن الدّين الذي عليه لا يوفى إلا من مال أقاربه ، ثم من مال بني عدي ، ثم من مال قريش ، ولا يؤخذ من بيت المال شيء ولا من سائر الناس فأي حاجة له إلى عثمان أو علي أو غيرهما ، حتى يقدمه وهو لا يحتاج إليه لا في أهله الذين يخلفهم ولا في دينه الذي عليه ، والإنسان إنما يحابي من يتولى بعده لحاجته إليه في نحو ذلك ، فمن لا يكون له حاجة لا إلى هذا ولا إلى هذا ، فأي داع يدعوه إلى ذلك لا سيما عند الموت وهو وقت يسلم فيه الكافر ويتوب فيه الفاجر[3] ولكن الرافضة قوم لا يفقهون .

وأما زعمهم : أن عمر – رضي الله عنه – علم أن عبد الرحمٰن – رضي الله عنه – لا يعدل الأمر عن أخيه وابن عمه ، « فهذا كذب بين على عمر وعلى أنسابهم فإن عبد الرحمٰن ليس أخاً لعثمان ، ولا ابن عمه ولا من قبيلته أصلاً بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية ، وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أمية ، فإن بني زهرة أخوال النبي ﷺ ومنهم عبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، الذي قال له النبي ﷺ : « **هذا خالي فليكرمن امرؤ**

---

(١) انظر سنن أبي داود : ٥١٥/٢ – ٥١٦ ، سنن الترمذي : ٣١١/٥ – ٣١٢ ، ٣١٥ – ٣١٦ .

(٢) هو النعمان بن عدي بن نضلة ، انظر قصة عزله في تاريخ عمر ، لابن الجوزي ، ص : ١٣٦ – ١٣٧ .

(٣) منهاج السنة : ١٦٨/٣ – ١٦٩ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٣٧١ .

خاله »[1] ، ولم يكن أيضاً : بين عثمان وعبد الرحمن مؤاخاة ولا مخالطة فإن النبي ﷺ لم يؤاخ بين مهاجري ومهاجري ، ولا بين أنصاري وأنصاري ، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار ، فآخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد ابن الربيع الأنصاري ، ولم يؤاخ قط بين عثمان وعبد الرحمن »[2] .

وأما بيان بطلان ما نسبوه إليه من أنه أمر بضرب أعناقهم إن تأخروا عن البيعة ثلاثة أيام ، فيقال لهم أولاً : من ذكر من أهل العلم أن هذا صحيح ؟ ، وأين النقل الثابت بهذا ؟ ، وإنما المعروف أنه أمر الأنصار أن لا يفارقوهم حتى يبايعوا واحداً منهم ، ثم يقال لهم : ثانياً هذا من الكذب على عمر ولم ينقل هذا أحد من أهل العلم بإسناد يعرف ولا أمر عمر قط بقتل الستة الذين يعلم أنهم خيار الأمة ، وكيف يأمر بقتلهم وإذا قتلوا كان الأمر بعد قتلهم أشد فساداً ، ثم لو أمر بقتلهم لقال ولوا بعد قتلهم فلاناً وفلاناً فكيف يأمر بقتل المستحقين للأمر ولا يولي بعدهم أحداً ، وأيضاً فمن الذين يتمكن من قتل هؤلاء ، والأمة كلها مطيعة لهم والعساكر والجنود معهم ولو أرادت الأنصار كلهم قتل واحد منهم لعجزوا عن ذلك ، وقد أعاذ الله الأنصار من ذلك ، فكيف يأمر طائفة قليلة من الأنصار بقتل هؤلاء الستة جميعاً ، ولو قال هذا عمر فكيف كان يسكت هؤلاء الستة ، ويمكنون الأنصار منهم ، ويجتمعون في موضع ليس فيه من ينصرهم ، ولو فرضنا أن الستة لم يتول واحد منهم لم يجب قتل أحد منهم بذلك بل يولي غيرهم وهذا عبد الله بن عمر كان دائماً تعرض عليه الولايات فلا يتولى ، وما قتله أحد ، وما آذاه أحد قط ، وما سمع قط أن أحداً امتنع من الولاية فقتل على ذلك »[3] .

وأما بيان بطلان افترائهم عليه بأنه أمر بقتل من خالف الأربعة وأمر بقتل

---

(١) جاء في سنن الترمذي : ٣١٣/٥ ، بلفظ « **هذا خالي فليرني امرؤ خاله** » .
(٢) منهاج السنة : ١٧٠/٣ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٣٧٣ .
(٣) منهاج السنة : ١٧٠/٣ – ١٧١ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٣٧٣ .

من خالف الثلاثة منهم عبد الرحمٰن ... إلخ .. المطاعن المذكورة في النص المتقدم ، فالجواب عليه يقال لهم : « هذا من الكذب المفترى ولو قدر أنه فعل ذلك لم يكن عمر قد خالف الدين بل يكون قد أمر بقتل من يقصد الفتنة كما قال النبي ﷺ : « **من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائناً من كان** »[1] ، والمعروف عن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقتل من أراد أن ينفرد عن المسلمين ببيعة بلا مشاورة لأجل هذا الحديث ، وأما قتل الواحد المتخلف عن البيعة إذا لم تقم فتنة فلم يأمر عمر بقتله مثل هذا ، ولا يجوز قتل مثل هذا – وما قالوا أنه أشار إلى قتل عثمان وإلى عدم تولية عليّ – « كذب بين على عمر ، فإن قوله لئن فعلت ليقتلنك الناس إخبار عما يفعله الناس ليس فيه أمر لهم بذلك وكذلك قوله لا يولونه إياها إخبار عما سيقع ليس فيه نهي لهم عن الولاية مع أن هذا اللفظ بهذا السياق ليس بثابت عن عمر بل هو كذب عليه »[2] .

وحسبنا هذه المطاعن مما تناول به الرافضة عمر الفاروق رضي الله عنه إذ هذه أهم مطاعنهم عليه ، وإلا فمطاعنهم في حق الفاروق كثيرة شحنوا بها كتبهم[3] ، وهي أكاذيب وأباطيل كلها من جنس ما تقدم ذكره في هذا المبحث ، وكلها براهين واضحة دلت على أن الطاعنين على الصحابة أهل اختلاف وافتراء لا يدرون ما يكتبون لا شرعاً ولا عادة نعوذ بالله من الخذلان .

* * *

---

(١) انظر سنن النسائي : ٧/٩٢ – ٩٣ .

(٢) منهاج السنة : ٣/١٧٢ – ١٧٣ .

(٣) انظر كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة لأبي القاسم الكوفي : ١/٢٣ – ٤٨ ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للعاملي : ٣/٧ – ٢٨ ، حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبر : ١/١٨١ – ١٨٩ ، كتاب مقدمة مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : ١/٢٢٠ وما بعدها .

★ المبحث السابع ★

من مطاعنهم في حق ذي النورين عثمان رضي الله عنه

لقد نقم الشيعة الرافضة على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بما لم ينقم به على أحد مثله واعتبروا ما نقموا به عليه مظالم ومناكير صدرت منه وأخذوا ينتقصونه بها اقتداء منهم بأوباش القبائل وأهل الفتنة الذين قادهم عبد الله بن سبأ اليهودي زمن خلافة عثمان رضي الله عنه حيث زين لهم الطعن في الولاة والخروج على الأئمة حتى وصلت بهم الجرأة البغيضة إلى أن اجتمعوا من الأمصار المختلفة وتوجهوا إلى المدينة وأدى خروجهم وتجمعهم إلى أن قتلوا ذا النورين رضي الله عنه وأرضاه ظلماً وعدواناً[1] .

فمن مطاعنهم عليه – رضي الله عنه – : ادعاؤهم عليه أنه ولى أمور المسلمين من لا يصلح للولاية حتى ظهر من بعضهم الفسوق ومن بعضهم الخيانة ، وقسم الولايات بين أقاربه وعوتب على ذلك مراراً فلم يرجع[2] .

والرد على هذا التخرص :

يقال لهم : لو نظرتم في كتب التواريخ والسير نظر العلماء المتبصرين لوجدتم أن الولاة الذين ولاهم عليّ رضي الله عنه خانوه وعصوه أكثر من خيانة عمال عثمان لعثمان رضي الله عنه ، بل بعضهم ترك علياً وذهب إلى معاوية وقد ولى عليّ زياد بن أبي سفيان أبا عبيد الله بن زياد قاتل الحسين وولى الأشتر النخعي وولى محمد بن أبي بكر وأمثاله هؤلاء لا يستريب من له أدنى عقل وعلم أن معاوية

---

(١) انظر تهذيب تاريخ دمشق : ٤٣١/٧ .

(٢) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ ، وانظر حق اليقين لعبد الله شبر : ١٨٩/١ ، كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة لأبي القاسم الكوفي : ٦٢/١ – ٦٣ .

ابن أبي سفيان كان خيراً من هؤلاء كلهم ، ومما يتعجب منه أن الشيعة ينكرون على عثمان ما يعلمون أن علياً كان أبلغ فيه من عثمان ، وهو زعمهم أن عثمان ولى أقاربه من بني أمية ومما هو معلوم أن علياً ولى أقاربه من قبل أبيه وأمه كعبد الله وعبيد الله ابني العباس فولى عبيد الله بن عباس على اليمن ، وولى على مكة والطائف قثم بن العباس ، وأما المدينة فقيل إنه ولى عليها سهل بن حنيف ، وقيل : ثمامة ابن العباس ، وأما البصرة فولى عليها عبد الله بن عباس ، وولى على مصر ربيبه محمد بن أبي بكر الذي رباه في حجره ، ثم إن الإمامية يدعون أن علياً نص على أولاده في الخلافة وولده على ولده الآخر ، وهلم جرا ، ومن المعلوم إن كان تولية الأقربين منكراً فتولية الخلافة العظمى أعظم من إمارة بعض الأعمال وتولية الأولاد أقرب إلى الإنكار من تولية بني العم ... ويقال لهم أيضاً : - « إن بني أمية كان رسول الله ﷺ يستعملهم في حياته واستعملهم بعده من لا يتهم بقرابة فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولا تعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله ﷺ أكثر من بني عبد شمس ، لأنهم كانوا كثيرين وكان فيهم شرف وسؤدد فاستعمل النبي ﷺ في غرة الإسلام على أفضل الأرض مكة عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ، واستعمل على نجران أبا سفيان بن حرب بن أمية ، واستعمل أيضاً : خالد بن سعيد بن العاص على صدقات بني مذجح وعلى صنعاء اليمن فلم يزل حتى مات رسول الله ﷺ واستعمل عثمان بن سعيد على تيماء وخيبر وقرى عرينة ، واستعمل أبان بن سعيد بن العاص على بعض السرايا ، ثم استعمله على البحرين ، فلم يزل عليها بعد العلاء بن الحضرمي حتى توفي النبي ﷺ ... فعثمان لم يستعمل إلا من استعمله النبي ﷺ ومن جنسهم ومن قبيلتهم ، وكذلك أبو بكر وعمر بعده ، فقد ولى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان بن حرب في فتوح الشام وأقره عمر ثم ولى عمر بعده أخاه معاوية وهذا النقل عن النبي ﷺ في استعمال هؤلاء ثابت مشهور عنه ، بل متواتر عند أهل العلم فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بني أمية بالنص الثابت عن النبي ﷺ أظهر

عند كل عاقل من دعوى كون الخلافة في واحد معين من بني هاشم بالنص ، لأن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالنقل وذاك صدق باتفاق أهل العلم بالنقل ، وأما بنو هاشم فلم يستعمل النبي ﷺ منهم إلا علياً على اليمن وجعفر على غزوة مؤتة مع مولاه زيد وابن رواحة[1] .

وأما بيان بطلان قولهم : حتى ظهر من بعضهم الفسوق ومن بعضهم الخيانة ، فيقال لهم : ظهور ذلك بعد الولاية لا يدل على كونه كان ثابتاً حين الولاية ، ولا على أن المولي علم ذلك ، وعثمان رضي الله عنه لما علم أن الوليد ابن عقبة شرب الخمر طلبه وأقام عليه الحد ، وكان يعزل من يراه مستحقاً للعزل ، ويقيم الحد على من يراه مستحقاً لإقامة الحد عليه .

وأما قولهم : إنه قسم المال بين أقاربه ، فهذا غايته أن يكون من موارد الاجتهاد ، فإن الناس تنازعوا فيما كان للنبي ﷺ في حياته هل يستحقه ولي الأمر بعده على قولين ، وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن سهم ذوي القربى هو لقرابة الإمام كما قاله الحسن وأبو ثور وأن النبي ﷺ كان يعطي أقاربه بحكم الولاية وسقط حق ذوي قرباه بموته كما يقول ذلك كثير من العلماء ، ثم لما سقط حقه بموته فحقه الساقط قيل : إنه يصرف في الكراع والسلاح والمصالح ، كما كان يفعل أبو بكر وعمر وقيل : إن هذا مما تأوله عثمان ، ونقل عن عثمان رضي الله عنه نفسه أنه ذكر هذا وأنه يأخذ بعمله وأن ذلك جائز وإن كان ما فعله أبو بكر وعمر أفضل ، فكان له الأخذ بهذا وهذا وكان يعطي أقرباءه مما يختص به فكان يعطيهم لكونهم ذوي قربى الإمام علىّ قول من يقول ذلك ، وبالجملة فعامة من تولى الأمر بعد عمر كان يخص بعض أقاربه إما بولاية وإما بمال وعليّ رضي الله عنه ولى أقاربه »[2] .

---

(١) منهاج السنة : ١٧٣/٣ - ١٧٦ .

(٢) منهاج السنة : ١٨٧/٣ - ١٨٩ ، المنتقى للذهبي ، ص : ٣٩٠ - ٣٩٢ .

وبهذا الرد تبين بطلان طعن الرافضة على عثمان بتوليته بني أمية إذ أنه كان متأسياً بالنبي ﷺ في استعمالهم ، وأيضاً : أبو الحسن لما تولى الخلافة كان أبلغ من عثمان في تولية أقاربه وكما أنه لا يلحق علياً رضي الله عنه طعن بسبب ما حصل من عماله كذلك عثمان رضي الله عنه وإلا فما الفرق ؟ .

ومما طعنوا به على عثمان - رضي الله عنه - : « أنه استعمل الوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر وصلى بالناس وهو سكران »[1] .

والرد على طعنهم بهذه القضية :

يقال لهم : إن عثمان رضي الله عنه طلبه وأقام عليه الحد بمشهد من علي ابن أبي طالب ، وقال لعليّ : قم فاضربه ، فأمر عليّ الحسن بضربه فامتنع وقال لعبد الله بن جعفر قم فاضربه فضربه أربعين ، ثم قال : أمسك ضرب رسول الله ﷺ أربعين وأبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل سنة وهذا أحب إليّ[2] ، فإذا أقام الحد برأي عليّ وأمره فقد فعل الواجب[3] .

قال أبو بكر بن العربي مبيناً بطلان طعن الرافضة على عثمان بتولية الوليد ابن عقبة : « وأما تولية الوليد بن عقبة فإن الناس على فساد النيات أسرعوا إلى السيئات قبل الحسنات ، فذكر الافترائيون أنه إنما ولاه للمعنى الذي تكلم به ، قال عثمان : ما وليت الوليد لأنه أخي ، وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله ﷺ وتوأمة أبيه والولاية اجتهاد ، وقد عزل عمر سعد بن أبي وقاص وقدم أقل منه درجة »[4] .

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ ، كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة : ٦٢/١ - ٦٣ ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٣٠/٣ ، حق اليقين في معرفة أصول الدين : ١٨٩/١ .

(٢) انظر الحديث في صحيح مسلم : ١٣٣١/٣ - ١٣٣٢ .

(٣) منهاج السنة : ١٨٨/٣ .

(٤) العواصم من القواصم ، ص : ٨٥ - ٨٨ .

ومن مطاعنهم في حق ذي النورين أنهم يقولون إنه استعمل سعيد بن العاص[1] على الكوفة وظهر منه ما أدى إلى أن أخرجه أهل الكوفة منها[2] .

والرد عليهم :

يقال لهم : « مجرد إخراج أهل الكوفة لا يدل على ذنب يوجب إخراجه فإن أهل الكوفة كانوا يقومون على كل وال ، فقد قاموا قبله على سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – وهو الذي فتح البلاد وكسر جنود كسرى وهو أحد أهل الشورى ، ولم يتول عليهم نائب مثله ، وقد شكوا غيره مثل عمار ابن ياسر والمغيرة بن شعبة وغيرهما ، وإذا قدر أنه أذنب ذنباً فمجرد ذلك لا يوجب أن يكون عثمان راضياً بذنبه ، وإنما يكون الإمام مذنباً إذا ترك ما يجب عليه من إقامة حد أو استيفاء حق أو اعتداء ونحو ذلك »[3] .

ومن مطاعنهم على عثمان – رضي الله عنه – : أنهم يقولون إنه ولي عبد الله ابن سعد بن أبي سرح[4] مصر حتى تظلم منه أهلها ، وكاتبه أن يستمر على

---

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي القرشي صحابي من الأمراء الولاة الفاتحين ربي في حجر عمر بن الخطاب وولاه عثمان الكوفة وهو شاب ، فلما بلغها خطب في أهلها فنسبهم إلى الشقاق والخلاف فشكوه إلى عثمان فاستدعاه إلى المدينة فأقام فيها إلى أن كانت الثورة عليه فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان فخرج إلى مكة فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة ، فعهد إليه بولاية المدينة فتولاها إلى أن مات وهو فاتح طبرستان ، وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان . اعتزل فتنة الجمل وصفين ولد سنة ثلاث وتوفي سنة تسع وخمسين هجرية . انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣٠/٥ – ٣٥ ، الإصابة : ٤٥/٢ – ٤٦ ، الأعلام : ١٤٩/٣ .

(٢) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ .

(٣) منهاج السنة : ١٨٨/٣ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٣٧٢ .

(٤) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري من بني عامر بن لؤي من قريش فاتح إفريقية وفارس بني عامر من أبطال الصحابة ، أسلم قبل فتح مكة وهو من أهلها وكان من كتاب الوحي للنبي ﷺ وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر ، وولي مصر سنة ٢٥هـ ، بعد عمرو ابن العاص ، فاستمر نحو ١٢ عاماً زحف خلالها إلى إفريقية بجيش فيه الحسن والحسين بن عليّ وعبد الله بن عباس وعقبة بن نافع ، ولحق بهم عبد الله بن الزبير فافتتح ما بين طرابلس الغرب إلى طنجة ودانت له إفريقية كلها ، وتوفي سنة سبع وثلاثين هجرية . انظر ترجمته في أسد الغابة : ١٧٣/٣ . =

ولايته سراً خلاف ما كتب إليه جهراً وأمر بقتل محمد بن أبي بكر[1] .

والرد على هذا الإفك :

أنه من الكذب على ذي النورين ، وقد حلف أنه لم يكتب شيئاً من ذلك[2] وهو الصادق البار بلا يمين ، وغاية ما قيل إن مروان كتب بغير علمه وأنهم طلبوا أن يسلم إليهم مروان ليقتلوه فامتنع ، فإن كان قتل مروان لا يجوز فقد فعل الواجب ، وإن كان يجوز ولا يجب فقد فعل الجائز وإن كان قتله واجباً فذا من موارد الاجتهاد ، فإنه لم يثبت لمروان ذنب يوجب قتله شرعاً ، فإن مجرد التزوير لا يوجب القتل .

وأما قولهم أنه أمر بقتل محمد بن أبي بكر ، فهذا من الكذب المعلوم على عثمان ، وكل ذي علم بحال عثمان وإنصاف له يعلم أنه لم يكن ممن يأمر بقتل محمد بن أبي بكر ، ولا أمثاله ، ولا عرف منه قط أنه قتل أحداً من هذا الضرب ، وقد سعوا في قتله ودخل عليه محمد فيمن دخل وهو لا يأمر بقتالهم ، دفعاً عن نفسه فكيف يبتدئ بقتل معصوم الدم ..... بل عثمان إن كان أمر بقتل محمد ابن أبي بكر هو أولى بالطاعة ممن طلب قتل مروان لأن عثمان إمام هدى وخليفة راشد يجب عليه سياسة رعيته ، وقتل من لا يدفع شره إلا بقتله ، وأما الذين طلبوا قتل مروان فقوم خوارج مفسدون في الأرض ، ليس لهم قتل أحد ولا إقامة حد ، وغايتهم أن يكونوا ظلموا في بعض الأمور ، وليس لكل مظلوم أن يقتل بيده كل من ظلمه ، بل ولا يقيم الحد ، وليس مروان أولى بالفتنة والشر من محمد بن أبي بكر ولا هو أشهر بالعلم والدين منه بل أخرج أهل الصحاح عدة أحاديث عن مروان وله قول مع أهل الفتيا ، ومحمد بن أبي بكر ليس بهذه المنزلة

= البداية والنهاية : ٣٤٠/٧ ، الإصابة : ٣٠٨/٢ - ٣٠٩ ، الأعلام : ٢٢٠/٤ - ٢٢١ .

(١) انظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ ، كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة ، ٦٠/١ - ٦١ .

(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك ، للطبري : ٣٥٦/٤ .

عند الناس[1] .

فمروان له منزلة عظيمة عند الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من أئمة الدين .

قال أبو بكر بن العربي : « مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة ، والتابعين ، وفقهاء المسلمين ، أما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدي روى عنه[2] ، وأما التابعون فأصحابه في السن ، وإن جازهم باسم الصحبة في أحد القولين[3] ، وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه واعتبار خلافته والتلفت إلى فتواه والانقياد إلى روايته ، وأما الفقهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم »[4] .

وما دام مروان بن الحكم تبوأ هذه المكانة ، فيستبعد أن يكون زور كتاباً على عثمان رضي الله عنه إلى ابن أبي سرح ليقتل البغاة ومحمد بن أبي بكر وقد رد عثمان رضي الله عنه بنفسه على البغاة فيما نسبوه إليه من أنه كتب إلى واليه بمصر يأمره بقتلهم وقتل محمد بن أبي بكر ، فلما رجع البغاة من طريقهم وكانوا قد اقتنعوا ببيان عثمان لهم فيما ادعوه عليه مما يعتقدونه مظالم ومناكير دخلوا عليه : « فقالوا كتبت فينا بكذا وكذا ، فقال : إنما هما اثنتان : أن تقيموا علي رجلين من المسلمين أو يميني بالله الذي لا إلٰه إلا هو ما كتبت ولا أمليت ولا علمت — ثم قال — : وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل وقد ينقش الخاتم على الخاتم[5] ، ولا يستبعد أن تزوير الكتب في إثارة البغي على الخليفة عثمان

---

(١) منهاج السنة : ١٨٨/٣ – ١٨٩ ، وانظر المنتقى ، ص : ٣٩٢ .

(٢) انظر الإصابة لابن حجر : ٤٥٥/٣ .

(٣) وفي مقدمة من روى عنه من كبار التابعين زين العابدين علي بن الحسين السبط نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة : ١٢٣/٢ ، ونص ابن حجر على كثير ممن روى عنه من التابعين ، انظر الإصابة : ٤٥٥/٣ .

(٤) العواصم من القواصم ، ص : ٨٩ – ٩٠ .

(٥) تاريخ الأمم والملوك : ٣٥٦/٤ ، وانظر العواصم من القواصم ، ص : ١٠٩ – ١١٠ .

رضي الله عنه كان من أسلحة البغاة استعملوه من كل وجه وفي جميع الأحوال ، فقد كذبوا أنهم تلقوا رسائل من الصحابة أرسلوها إلى الآفاق للقيام بالثورة على عثمان .

قال الحافظ ابن كثير : « وروى بن جرير من طريق محمد بن إسحاق عن عمه عبد الرحمٰن بن يسار أن الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر – أبو الأعور السلمي – على جمل لعثمان ، وذكر ابن جرير من هذا الطريق أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه – ثم قال مبيناً حكمه على مثل هاتين الروايتين : « وهذا كذب على الصحابة ، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم كما كتبوا من جهة عليّ وطلحة والزبير – إلى الخوارج كتباً مزورة عليهم أنكروها وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضاً ، فإنه لم يأمر به ولم يعلم به أيضاً »[١] .

فإذا كان أولئك البغاة المفسدون زوروا رسائل باسم الصحابة جميعاً فلا يشك عاقل أنهم من وراء تزوير الكتاب على عثمان ، وعلى مروان .

قال محب الدين الخطيب في تعليقه على كتاب العواصم من القواصم لابن العربي[٢] : « وقد ثبت أن الأشتر وحكيم بن جبلة تخلفا في المدينة عند رحيل الثوار عنها مقتنعين بأجوبة عثمان وحججه ، وفي مدة تخلف الأشتر وحكيم بن جبلة تم تدبير الكتاب وحامله للتذرع بهما في تجديد الفتنة ورد الثوار ، ولم يكن لأحد غير الأشتر وأصحابه مصلحة في تجديد الفتنة » . وبهذا الرد يبطل تعلق الرافضة بالطعن على عثمان بالكتاب المزعوم الذي يقولون إنه وجد مع راكب أو مع غلامه إلى ابن أبي سرح عامله بمصر .

ومن مطاعنهم على عثمان – رضي الله عنه – : « زعهم أنه ولى معاوية

---

(١) البداية والنهاية : ١٩٢/٧ .

(٢) العواصم من القواصم : ص ١٠٩ .

فأحدث من الفتن ما أحدث »[1] .

ويرد على هذا الزعم : « أن معاوية إنما ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما مات أخوه يزيد بن أبي سفيان ولاه عمر مكان أخيه واستمر في ولايته عثمان وزاده عثمان في الولاية ، وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة ، وكان رعيته يحبونه ... وإنما ظهر الإحداث من معاوية في الفتنة لما قتل عثمان ، ولما قتل عثمان كانت الفتنة شاملة لأكثر الناس لم يختص بها معاوية بل كان معاوية أطلب للسلامة من كثير منهم وأبعد من الشر من كثير منهم ، ومعاوية كان خيراً من الأشتر النخعي ، ومن محمد بن أبي بكر ومن عبيد الله بن عمر ، ومن أبي الأعور السلمي ، ومن بشر بن أرطاة وغير هؤلاء من الذين كانوا معه ومع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما »[2] .

قال أبو بكر بن العربي راداً على طعن الرافضة بتوليته معاوية حيث قال : « وأما معاوية فعمر ولاه وجمع له الشامات كلها ، وأقره عثمان بل إنما ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه ولى أخاه يزيد واستخلفه يزيد فأقره عمر لتعلقه بولاية أبي بكر لأجل استخلاف واليه له ، فتعلق عثمان بعمر وأقره ، فانظروا إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها ولن يأتي أحد مثلها أبداً بعدها »[3] .

ومما طعنوا به على ذي النورين – رضي الله عنه – : أنه ولى عبد الله بن عامر[4] البصرة ففعل من المناكير ....

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ ، كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة ، ص : ٦٣ .

(٢) منهاج السنة : ١٨٩/٣ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٣٩٣ .

(٣) العواصم من القواصم ، ص : ٨٠ – ٨١ .

(٤) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي أبو عبد الرحمٰن أمير فاتح ولي البصرة في أيام عثمان سنة ٢٩هـ ، وافتتح بلداناً كثيرة من بلاد فارس أيام إمارته على البصرة ، وقتل عثمان وهو ما زال والياً عليها ، وشهد وقعة الجمل مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وولاه معاوية البصرة بعد اجتماع الناس على خلافته ثم صرفه عنها فأقام بالمدينة ، وكانت ولادة عبد الله هذا سنة أربع وتوفي سنة تسع وخمسين هجرية . انظر ترجمته في كتاب الطبقات لابن سعد : ٤٤/٥ – ٤٩ ، الكامل لابن الأثير : =

ما فعل »[1] .

والجواب على هذا :

« أن عبد الله بن عامر له من الحسنات والمحبة في قلوب الناس ما لا ينكر وإذا فعل منكراً فذنبه عليه ، فمن قال : إن عثمان رضي بالمنكر الذي فعله »[2] ؟ .

قال أبو بكر بن العربي : « وأما عبد الله بن عامر بن كريز فولاه – كما قال – لأنه كريم العمات والخالات »[3] .

ومما نقموا به على عثمان – رضي الله عنه – : زعمهم أنه ولى مروان أمره وألقى إليه مقاليد أموره ، ودفع إليه خاتمه فحدث من ذلك قتل عثمان وحدث من الفتنة بين الأمة ما حدث[4] .

ويرد على هذا الزور :

يقال لهم : « إن قتل عثمان والفتنة لم يكن سببها مروان وحده بل اجتمعت أمور متعددة من جملتها أمور تنكر من مروان، وعثمان رضي الله عنه كان قد كبر وكانوا يفعلون أشياء لا يعلمونه بها، فلم يكن آمراً لهم بالأمور التي أنكرتموها عليه بل كان يأمرهم بإبعادهم وعزلهم، فتارة يفعل ذلك وتارة لا يفعل ذلك، ولما قدم المفسدون الذين أرادوا قتل عثمان وشكوا أموراً أزالها كلها عثمان حتى أنه أجابهم إلى عزل من يريدون عزله وإلى أن مفاتيح بيت المال تعطى لمن يرتضونه ، وأنه لا يعطي أحداً من المال إلا بمشورة الصحابة ورضاهم ، ولم يبق لهم طلب .

= ٥٢٦/٣ ، تهذيب التهذيب : ٢٧٢/٥ – ٢٧٤ ، الأعلام للزركلي : ٢٢٨/٤ .

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ ، وانظر حق اليقين لعبد الله شبر : ١٨٩/١ .

(٢) منهاج السنة : ١٨٩/٣ – ١٩٠ .

(٣) العواصم من القواصم ، ص : ٨٣ – ٨٤ .

(٤) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ ، وانظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٣١/٣ .

ولهذا قالت أم المؤمنين عائشة : « مصصتموه كما يمص الثوب ثم عمدتم إليه فقتلتموه »[1] .

ومن مطاعنهم في حق عثمان – رضي الله عنه – تقولهم عليه : « إنه كان يؤثر أهله بالأموال الكثيرة من بيت المال ، حتى إنه دفع إلى أربعة نفر من قريش زوجهم بناته أربعمائة ألف دينار ، ودفع إلى مروان ألف ألف دينار »[2] .

والرد على هذا :

يقال لهم : أولاً أين النقل الثابت بهذا نعم كان يعطي أقاربه عطاءاً كثيراً ، ويعطي غير أقاربه أيضاً ، وكان محسناً إلى جميع المسلمين ، وأما هذا الكثير فيحتاج إلى نقل ثابت .

ثم يقال لهم : ثانياً : هذا من الكذب البين ، فإنه لا عثمان ولا غيره من الخلفاء الراشدين أعطوا أحداً ما يقارب هذا المبلغ ومن المعلوم أن معاوية كان يعطي من يتألفه أكثر من عثمان ، ومع هذا فغاية ما أعطى الحسن بن علي مائة ألف أو ثلاثمائة ألف درهم ، وذكروا أنه لم يعط أحداً قدر هذا قط .

ثم يقال لهم : ثالثاً : كان له تأويلان في إعطائه أهل بيته ، وكلاهما مذهب طائفة من الفقهاء .

أحدهما : أنه ما أطعم الله لنبي طعمة إلا كانت طعمة لمن يتولى الأمر بعده ، وهذا مذهب طائفة من الفقهاء ، حيث قالوا : إن ذوي القربى في حياة النبي ﷺ ذوو قرباه وبعد موته هم ذوو قربى من يتولى الأمر بعده ، وقالوا : إن أبا بكر وعمر لم يكن لهما أقارب كما كان لعثمان ، فإن بني عبد شمس من أكبر

---

(١) منهاج السنة : ١٩٠/٣ ، وانظر قول عائشة في تاريخ خليفة بن خياط : ص ١٧٦ .

(٢) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ ، وانظر كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة : ٤٩/١ ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٣٢/٣ ، حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبر : ١٨٩/١ – ١٩٠ .

قبائل قريش ، ولم يكن من يوازيهم إلا بنو مخزوم ، والإنسان مأمور بصلة رحمه من ماله ، فإذا اعتقدوا أن ولي الأمر يصله من مال بيت المال ، مما جعله الله لذوي القربى ، استحقوا بمثل هذا أن يوصلوا من بيت المال ما يستحقونه لكونهم أولي قربى الإمام وذلك أن نصر ولي الأمر والذب عنه متعين وأقاربه ينصرونه ويذبون عنه ما لا يفعله غيرهم . هذا أحد التأويلين .

والتأويل الثاني : أنه كان يعمل في المال ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾[1] ، والعامل على الصدقة الغني له أن يأخذ بعمالته باتفاق المسلمين[2] ، فلا وجهة لطعن الرافضة على عثمان بأنه كان يؤثر أهل بيته بالأموال الكثيرة ، فإنه واضح البطلان بل ثبت عنه رضي الله عنه أن عطاءه لهم كان من ماله الخاص[3] .

ومما نقمت به الشيعة الرافضة على عثمان رضي الله عنه : أنهم يقولون إنه عمد إلى الصحف فألف منها هذا المصحف الذي في أيدي الناس وأحرق المصاحف الباقية ويزعمون أن هذا منكر واستخفاف بالدين ومحادة لرب العالمين مع أن ابن مسعود قد رووا في ترجيح قراءته أخباراً كثيرة مع أن هذا الفعل لو كان حسناً لفعله من قبله[4] .

يقال لهم : « إن جمع عثمان للقرآن الكريم يعد من حسناته العظمى ومناقبه الكبرى ، وإن كان وجد الصحف كاملة لكنه أظهرها ورد الناس إليها وقطع مادة الخلاف فيها ، وما ذلك إلا نفوذ لوعد الله بحفظ القرآن الكريم على يديه ، وقد بدأ بجمع القرآن وحفظه في الصحف من قبله أخواه الصديق والفاروق رضي الله

---

(١) سورة التوبة آية : ٦٠ .

(٢) منهاج السنة : ١٩٠/٣ - ١٩١ .

(٣) انظر تاريخ الأمم والملوك : ٣٤٧/٤ - ٣٤٨ ، وانظر مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٤) انظر الإستغاثة في بدع الثلاثة : ٥٢/١ - ٥٣ حق اليقين لعبد الله شبر : ١٩١/١ .

عنهما ، وذلك عندما استحر القتل يوم اليمامة بحفظة القرآن من الصحابة ، فقد أمر الصديق زيد بن ثابت بجمع القرآن فتتبعه من العسب[1] واللخاف[2] وصدور الرجال حتى أنه وجد خاتمة سورة التوبة مع خزيمة الأنصاري ، ولم يجدها مع أحد سواه وذلك من قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف بعد ذلك عند الصديق حتى قبضه الله ، ثم عند الفاروق حياته ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر[3] حتى قدم حذيفة بن اليمان على ذي النورين وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فحدثه حذيفة عن اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق[4] .

قال ابن شهاب : « وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت أنه سمع زيد بن ثابت قال : « فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها .. فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة الأنصاري ﴿ مِّنَ

---

(١) العسب : جمع « عسيب » أي : جريدة النخل وهي السعفة التي لا ينبت عليها الخوص . النهاية في غريب الحديث : ٢٣٤/٣ .

(٢) اللخاف ، جمع « لخفة » ، وهي حجارة بيض رقاق كانوا يكتبون عليها إذا تعذر الورق . النهاية في غريب الحديث : ٢٤٤/٤ .

(٣) انظر صحيح البخاري : ٢٢٥/٣ .

(٤) انظر حديث حذيفة هذا في صحيح البخاري من حديث أنس : ٢٢٥/٣ - ٢٢٦ .

﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ فألحقناها في سورتها في المصحف »[1] .

وأما ما روي أنه حرقها أو خرقها – وكلاهما جائز – إذا كان في بقائها فساد أو كان فيها ما ليس من القرآن ، أو ما ينسخ منه ، أو على غير نظمه فقد سلم في ذلك الصحابة كلهم[2] .

وقد روي عن ابن مسعود أنه تعتب لما أخذ منه مصحفه فحرق ، وتكلم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف وأمر أصحابه أن يغلوا مصاحفهم ، وتلا قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[3] ، فكتب إليه عثمان رضي الله عنه يدعوه إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه لما في ذلك من المصلحة وجمع الكلمة وعدم الاختلاف ، فأناب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة رضي الله عنهم أجمعين[4] .

هذا هو الموقف الحق الذي وقفه ابن مسعود عندما جمع ذو النورين القرآن الكريم ، فقد كان رضي الله عنه مطيعاً لإمامه الراشد موافقاً له غير مخالف ، ولكن الشيعة لما عميت بصائرهم وهم قوم لا عقول لهم حيث يجعلون المناقب مثالب ، وإلا فجمع عثمان للقرآن من أعظم مناقبه رضي الله عنه ، وقد بذل بهذا العمل جهداً عظيماً في خدمة الدين والعناية بالقرآن ، قد كانت كما تقدم مما تشرف بها عظيما الإسلام أبو بكر وعمر وأتمها ذو النورين بجمعه للقرآن وتثبيته وتوحيد رسمه ، وبهذا كان للخلفاء الثلاثة أعظم منة على المسلمين وبها حقق الله وعده في قوله – عز وجل – : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[5] .

---

(١) انظر حديث ابن شهاب هذا في المصدر السابق : ٢٢٦/٣ .
(٢) العواصم من القواصم ، ص : ٦٦ – ٧١ .
(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٦١ .
(٤) البداية والنهاية : ٢٣٧/٧ .
(٥) سورة الحجر آية : ٩ .

وقد زجر الإمام علي رضي الله عنه الناس الذين يعيبون على عثمان أنه حرق المصاحف المخالفة لما جمعه وبين أن عثمان لو لم يفعل ذلك لفعله ، فقد قال رضي الله عنه : « أيها الناس إياكم والغلو في عثمان تقولون حرق المصاحف ، والله ما حرّقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل »[1] .

وقد تولى رضي الله عنه الخلافة بعد الثلاثة ، فأمضى عملهم وأقر مصحف ذي النورين برسمه وتلاوته ، في جميع أمصار ولايته وبذلك انعقد إجماع المسلمين في الصدر الأول على أن ما قام به الخلفاء الثلاثة هو أعظم حسناتهم ، رضي الله عنهم أجمعين . فلا مسوغ للرافضة بالطعن على عثمان بسبب جمعه القرآن وتوحيده تلاوته ورسمه ، إذ ذلك لا يدعو إلى الطعن عليه وإنما يعد هذا طعناً أهل الحمق والخذلان ، وأما أهل العلم والإيمان فإنهم يعدون ذلك من مناقبه العظمى وخصاله الكبرى رضي الله عنه وأرضاه .

ومن مطاعنهم عليه – رضي الله عنه – أنهم : « يزعمون أن عبد الله بن مسعود كان يطعن عليه ويكفره ولما حكم ضربه حتى مات »[2] .

والرد على هذا :

أنه من الكذب البين على ابن مسعود ، فإن علماء النقل يعلمون أن ابن مسعود ما كان يكفر عثمان بل لما بويع عثمان بالخلافة قال ابن مسعود : « أمرنا خير من بقي ولم نأله »[3] .

---

(١) أورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : ٢٣٦/٧ .

(٢) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ ، وانظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٣٣/٣ ، حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبر : ١٩٠/١ ، كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة ، ٥١/١ – ٥٢ .

(٣) الطبقات لابن سعد : ٦٣/٣ ، وانظر المستدرك للحاكم : ٩٧/٣ ، والرد على الرافضة لأبي نعيم ، ص : ٣٠٧ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص : ١٥٤ .

ويروى أنه قال : « ولينا أعلاناً ذا فوق ولم نأل »[1] ، وكان عثمان في السنة الأولى من ولايته لا ينقمون منه شيئاً ، ولما كانت السنة الآخرة نقموا منه أشياء كان معذوراً فيها ، ومن جملة ذلك أمر ابن مسعود فإن ابن مسعود بقي في نفسه من أمر المصحف لما فوض عثمان كتابته إلى زيد دونه وأمر أصحابه أن يغسلوا مصاحفهم وجمهور الصحابة كانوا على ابن مسعود مع عثمان وكان زيد ابن ثابت قد انتدبه قبل ذلك الصديق والفاروق لجمع المصحف في الصحف ، فندب عثمان من ندبه الشيخان وكان زيد بن ثابت قد حفظ العرضة الأخيرة ، فكان اختيار تلك أحب إلى الصحابة فإن جبريل – عليه السلام – عارض النبي ﷺ بالقرآن في العام الذي قبض فيه مرتين[2] .. فكان ذو النورين في هذا على حق كما يعلم وكما يعلم سائر الصحابة مكانة ابن مسعود وعلمه وصدق إيمانه ، وكان أيضاً : على حق في أمره بغسل المصاحف الأخرى كلها ومنها مصحف عبد الله بن مسعود لأن توحيد كتابة المصحف على أكمل ما كان هو من أجل أعمال عثمان بإجماع الصحابة الكرام ، ولذلك كانوا معه دون ابن مسعود رضي الله عنهم جميعاً .

وأما زعمهم : أنه لما حكم ضرب ابن مسعود حتى مات ، « فهذا كذب باتفاق أهل العلم ، فإنه لما ولي أقر ابن مسعود على ما كان عليه من الكوفة إلى أن جرى من ابن مسعود ما جرى وما مات ابن مسعود من ضرب عثمان أصلاً »[3] .

قال أبو بكر بن العربي : « وأما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه فزور »[4] . فلا وجهة للرافضة بالطعن على عثمان بقصة ابن مسعود هذه فإنه لم

---

(١) منهاج السنة : ١٩١/٣ ، ومعنى قول ابن مسعود « ولم نأل » : أي : لم نقصر في اختيار الأفضل .
(٢) منهاج السنة : ١٩١/٣ .
(٣) المصدر السابق : ١٩٢/٣ .
(٤) العواصم من القواصم : ص ٦٣ .

يضربه عثمان ولم يمنعه عطاءه ، وإنما كان يعرف له قدره ومكانته ، كما كان ابن مسعود شديد الالتزام بطاعة إمامه الذي بايع له وهو يعتقد أنه خير المسلمين وقت البيعة ، لكن المبتدعة من أهل الرفض « غرضهم التكفير أو التفسيق للخلفاء الثلاثة بأشياء لا يفسق بها واحد من الولاة ، فكيف يفسق بها أولئك[1] رضي الله عنهم أجمعين .

ومن مطاعنهم على ذي النورين – رضي الله عنه – : أنهم يقولون : إنه ضرب عمار بن ياسر حتى صار به فتقاً ، وقد قال فيه النبي ﷺ (عمار جلدة ما بين عيني) ... وكان عمار يطعن عليه[2] .

والرد على هذه القصة :

أنها إفك واضح ولو حصل له ما ذكر ما عاش إلى أن قتل شهيداً في موقعة صفين[3] .

وقد ذكر ابن جرير الطبري : عن سعيد بن المسيب أنه كان بين عمار وعباس بن عتبة بن أبي لهب خلاف حمل عثمان على أن يؤدبهما عليه بالضرب[4] ، وهذا مما يفعله ولي الأمر في مثل هذه الأحوال قبل عثمان وبعده ، وكم فعل الفاروق مثل ذلك بأمثال عمار ومن هم خير من عمار بما له من حق الولاية على المسلمين[5] .

ولما بث السبئيون الإشاعات حول عمال عثمان وصاروا يرسلون الكتب

---

(١) منهاج السنة : ١٩١/٣ .

(٢) منهاج الكرامة مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ ، وانظر كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة : ٥٣/١ – ٥٤ ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٣٣/٣ ، حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبر : ١٩٠/١ .

(٣) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري : ٣٨/٥ – ٤٢ .

(٤) المصدر السابق : ٣٩٩/٤ .

(٥) المصدر السابق : ٢١٢/٤ .

من كل مصر إلى الأمصار الأخرى بالأخبار الكاذبة أشار الصحابة على عثمان بأن يبعث رجالاً ممن يثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليه بحقيقة الحال تناسى عثمان ما كان من عمار وأرسله إلى مصر ليكون موضع ثقته في كشف حالها فأبطأ عمار في مصر ، والتف حوله السبئيون ليستميلوه إليهم فتدارك عثمان وعامله على مصر هذا الأمر ، وجيء بعمار إلى المدينة مكرماً وعاتبه ذو النورين لما قدم عليه ، فقال له : على ما رواه الحافظ ابن عساكر : « يا أبا اليقظان قذفت ابن أبي لهب أن قذفك ... وغضبت عليّ أن أخذت لك بحقك وله بحقه ، اللهم قد وهبت ما بيني وبين أمتي من مظلمة اللهم إني متقرب إليك بإقامة حدودك في كل أحد ولا أبالي أخرج عني يا عمار ، فخرج ، فكان إذا لقي العوام نضح عن نفسه وانتفى من ذلك ، وإذا لقي من يأمنه أقر بذلك وأظهر الندم ، فلامه الناس وهجروه وكرهوه »(1) .

وأما دعواهم أن النبي ﷺ قال فيه : (عمار جلدة ما بين عيني) لا يعرف له إسناد(2) .

وزعمهم أنه كان يطعن على عثمان فعلى تقدير أنه حصل منه فليس جعل ذلك قدحاً في عثمان بأولى من جعله قدحاً في عمار ، وإذا كان كل واحد منهما مجتهداً فيما صدر منه يثيبه الله على حسناته ويغفر له خطأه ، وإن كان صدر من أحدهما ذنب فقد علمنا أن كلاً منهما ولي الله وأنه من أهل الجنة وأنه لا يدخل النار فذنب كل منهما لا يعذبه الله عليه في الدار الآخرة .

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية بياناً شافياً ما يجب على المسلم التزامه فيما جرى من كلام بين الصحابة لبعضهم بعضاً ، حيث قال رحمه الله : « وعثمان أفضل من كل من تكلم فيه ، هو أفضل من ابن مسعود وعمار وأبي ذر ومن

---

(1) تهذيب تاريخ دمشق : ٤٣٢/٧ .

(2) منهاج السنة : ١٩٤/٣ .

غيرهم من وجوه كثيرة ، كما ثبت ذلك بالدلائل الكثيرة ، فليس جعل كلام المفضول قادحاً في الفاضل بأولى من العكس ، بل إن أمكن الكلام بينهما بعلم وعدل وإلا تكلم بما يعلم من فضلهما ودينهما ، وكان ما شجر بينهما وتنازعا فيه أمره إلى الله ، لهذا أوصوا[1] بالإمساك عما شجر بينهم لأنا لا نسأل عن ذلك ... لكن إذا ظهر مبتدع يقدح فيهم بالباطل فلابد من الذب عنهم وذكر ما يبطل حجته بعلم وعدل ، وكذلك ما نقل من تكلم عمار في عثمان وقول الحسن فيه - أي في عمار - ، نقل أن عماراً قال : « لقد كفر عثمان كفرة صلعاء » فأنكر الحسن بن علي ذلك عليه وكذلك علي ، وقال له يا عمار : أتكفر برب آمن به عثمان ؟ .

قال شيخ الإسلام : وقد تبين من ذلك أن الرجل المؤمن الذي هو ولي لله قد يعتقد كفر الرجل المؤمن الذي هو ولي لله ويكون مخطئاً في هذا الاعتقاد ولا يقدح هذا في إيمان واحد منهما وولايته كما ثبت في الصحيح أن أسيد بن حضير قال لسعد بن عبادة بحضرة النبي ﷺ : « إنك منافق تجادل عن المنافقين »[2] ، وكما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لحاطب بن أبي بلتعة : « دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق » ، فقال النبي ﷺ : « **إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** »[3] ، فعمر أفضل من عمار ، وعثمان أفضل من حاطب بن أبي بلتعة بدرجات كثيرة وحجة عمر فيما قال لحاطب أظهر من حجة عمار ومع هذا فكلاهما من أهل الجنة ، فكيف لا يكون عثمان وعمار من أهل الجنة وإن قال أحدهما للآخر ما قال ، مع أن طائفة من العلماء أنكروا أن يكون عمار قال ذلك ، ثم قال شيخ الإسلام : وفي الجملة فإذا قيل إن عثمان ضرب ابن

(١) الضمير يعود إلى سلف الأمة وأئمتها .

(٢) انظر الحديث في صحيح مسلم : ٣١٢٤/٤ .

(٣) انظر المصدر السابق : ١٩٤١/٤ - ١٩٤٢ .

مسعود أو عماراً فهذا لا يقدح في أحد منهم فإنا نشهد أن الثلاثة في الجنة ، وأنهم من أكابر أولياء الله المتقين ، وإن ولي الله قد يصدر منه ما يستحق عليه العقوبة الشرعية فكيف بالتعزير ، وقد ضرب عمر بن الخطاب أبي بن كعب بالدرة لما رأى الناس يمشون خلفه ، فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ، قال : هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع[1] فإن عثمان أدب هؤلاء فإما أن يكون عثمان مصيباً في تعزيرهم لاستحقاقهم ذلك ويكون ذلك الذي عزروا عليه تابوا منه أو كفر عنهم بالتعزير وغيره من المصائب أو بحسناتهم العظيمة أو بغير ذلك ، وإما أن يقال كانوا مظلومين مطلقاً ، فالقول في عثمان كالقول فيهم وزيادة فإنه أفضل منهم ، وأحق بالمغفرة والرحمة ، وقد يكون الإمام مجتهداً في العقوبة مثاباً عليها وأولئك مجتهدون فيما فعلوه لا يأثمون به ، بل يثابون عليه لاجتهادهم مثل شهادة أبي بكرة على المغيرة فإن أبا بكرة رجل صالح من خيار المسلمين ، وقد كان محتسباً في شهادته معتقداً أنه يثاب على ذلك ، وعمر أيضاً : محتسب في إقامة الحد عليه مثاب على ذلك ، فلا يمتنع أن يكون ما جرى من عثمان في تأديب ابن مسعود وعمار من هذا الباب[2] ، فلا طريق للشيعة للطعن على عثمان بزعمهم أنه ضرب عماراً إذ أنهم يذكرون قصصاً غير ثابتة وحتى لو ثبت ذلك فللأئمة أن يؤدبوا رعيتهم إذا رأوا ذلك واجباً لهم ، فقد اقتص النبي ﷺ على نفسه وأقاد[3] ، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أدبا رعيتهما باللطم والدرة وأقادا من نفسيهما[4] ، وأما عثمان رضي الله عنه فنقم عليه ما لم ينقم على أحد منهم »[5] .

ومن مطاعنهم في حق ذي النورين – رضي الله عنه –: أنهم يقولون إن

(١) انظر كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم ، ص : ٣١٧ .
(٢) منهاج السنة : ١٩٢/٣ – ١٩٣ .
(٣) انظر مصنف عبد الرزاق : ٤٦٦/٩ ، وانظر الرد على الرافضة لأبي نعيم ، ص : ٣١٥ .
(٤) انظر كتاب الإمامة والرد على الرافضة ، ص : ٣١٦ – ٣١٧ .
(٥) انظر كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم ، ص / ٣١٥ .

النبي ﷺ طرد الحكم بن أبي العاص عم عثمان عن المدينة ومعه ابنه مروان ، فلم يزل هو وابنه طريدين في زمن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ، فلما ولي عثمان آواه ورده إلى المدينة ، وجعل مروان كاتبه وصاحب تدبيره مع أن الله قال : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية[1] .

والرد على طعنهم بهذه القصة :

يقال لهم : إن الحكَم بن أبي العاص كان من مُسلمة الفتح وكانوا ألفي رجل ومروان ابنه كان صغيراً إذ ذاك فإنه من أقران ابن الزبير والمسور بن مخرمة عمره حين الفتح سن التمييز ، إما سبع سنين أو أكثر بقليل أو أقل بقليل ، فلم يكن لمروان ذنب يطرد عليه على عهد النبي ﷺ ولم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة في حياة النبي ﷺ ، فإن كان قد طرده فإنما طرده من مكة لا من المدينة ، ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة ، وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه وقالوا ذهب باختياره وقصة نفي الحكم ليست في الصحاح ، ولا لها إسناد يعرف به أمرها ... وإذا كان النبي ﷺ قد عزر رجلاً بالنفي لم يلزم أن يبقى منفياً طول الزمان ، فإن هذا لا يعرف في شيء من الذنوب ولم تأت الشريعة بذنب يبقى صاحبه منفياً دائماً ... وقد كان عثمان شفع في عبد الله بن سعد بن أبي سرح فقبل ﷺ شفاعته فيه وبايعه[2] فكيف لا يقبل شفاعته في الحكم وقد رووا أن عثمان سأله أن يرده فأذن له في ذلك . ونحن نعلم أن ذنبه دون ذنب[3] عبد الله بن سعد ابن أبي سرح وقصة عبد الله ثابتة معروفة بالإسناد ، وأما قصة الحكم فإنما ذكرت

---

(١) انظر كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة ، ١/٥٠ – ٥١ ، منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ ، حق اليقين لعبد الله شبر : ١٨٩/١ ، والآية رقم (٢٢) من سورة المجادلة .

(٢) انظر ما جاء في شأن ابن أبي سرح ، الإصابة : ٣٠٨/٢ – ٣٠٩ .

(٣) انظر ما جاء في قصة نفيه . أسد الغابة : ٣٧/٢ ، سير أعلام النبلاء : ١٠٧/٢ – ١٠٨ ، الإصابة : ٣٤٤/١ – ٣٤٥ .

مرسلة ، وقد ذكرها المؤرخون الذين يكثرون الكذب فيما يروونه ، فلم يكن هناك نقل ثابت يوجب القدح فيمن هو دون عثمان ، والمعلوم من فضائل عثمان ومحبة النبي ﷺ له وثنائه عليه وتخصيصه بابنتيه وشهادته له بالجنة وإرساله إلى مكة ومبايعته له عنه وتقديم الصحابة له في الخلافة وشهادة عمر وغيره له بأن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راض وأمثال ذلك مما يوجب العلم القطعي بأنه من كبار أولياء الله المتقين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، فلا يدفع هذا بنقل لا يثبت إسناده ولا يعرف كيف وقع ويجعل لعثمان ذنب بأمر لا تعرف حقيقته[1] .

قال أبو محمد بن حزم مبيناً بطلان ما احتج به الرافضة على عثمان بقصة الحكم : « ونفي رسول الله ﷺ لم يكن حداً واجباً ولا شريعة على التأييد وإنما كان عقوبة على ذنب استحق به النفي والتوبة مبسوطة ، فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام وصارت الأرض كلها مباحة » اهـ[2] .

وقال أبو بكر بن العربي مبيناً جواب أهل العلم على من طعن على عثمان برده الحكم : « وقال علماؤنا في جوابه قد كان أذن له فيه رسول الله ﷺ ، وقال – أي عثمان – لأبي بكر وعمر ، فقالا له : إن كان معك شهيد رددناه ، فلما ولي قضى بعلمه في رده وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله ﷺ ولو كان أباه ولا لينتقض حكمه[3] ، وبرد أهل العلم تبين فساد وبطلان زعم الرافضة على عثمان بأنه خالف ما يقتضيه الشرع برده الحكم بعد نفيه .

ومن مطاعنهم في حق ذي النورين – رضي الله عنه – أنهم يقولون: إنه

---

(١) منهاج السنة : ٣/١٩٥ – ١٩٧ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٤/١٥٤ .

(٣) العواصم من القواصم ، ص : ٧٧ ، وانظر الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ، ص : ١٣١ – ١٣٤ .

ضيع الحدود فلم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان مولى عليّ وكان قد أسلم على يد عليّ رضي الله عنه ، ويزعمون أن علياً طلب من عثمان لما ولي الخلافة تسليمه عبيد الله بن عمر ليقيم عليه الحد فامتنع من ذلك[1] .

والرد على طعنهم بهذه القضية :

يقال لهم : « دعواكم أنه كان مولى لعليّ : هذا كذب لم يكن مولى لعليّ وإنما أسره المسلمون فمن عليه عمر فأعتقه وأسلم ولا سعي لعليّ في رقه ولا في عتقه ، ولما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان الذي قتله أبو لؤلؤة المجوسي مولى المغيرة بن شعبة وكان بينه وبين الهرمزان مجانسة ، وذكر لعبيد الله بن عمر أنه رؤي عند الهرمزان حين قتل وكان ممن اتهمَ بالمعاونة على قتل عمر ، وقد قال الفاروق لما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي مخاطباً ابن عباس كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثرا العلوج[2] بالمدينة ، فقال : إن شئت أن نقتلهم ، فقال : كذبت ، أبعد أن تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلتكم[3] فهذا ابن عباس وهو أفقه من عبيد الله بن عمر وأدين وأفضل بكثير يستأذن عمر في قتل علوج الفرس مطلقاً الذين كانوا بالمدينة لما اتهموهم بالفساد اعتقد جواز مثل هذا فكيف لا يعتقد عبيد الله بن عمر جواز قتل الهرمزان ، فلما قتله وبويع عثمان استشار الناس في قتله فأشار عليه طائفة من الصحابة بعدم قتله ، وقالوا له : قتل أبوه بالأمس ، ويقتل هو اليوم[4] فيكون في هذا فساد في الإسلام ، وكأنهم وقعت لهم شبهة في عصمة الهرمزان ، ولو قدر أنه معصوم الدم يحرم قتله لكن كان القاتل متأولاً ويعتقد حل قتله لشبهة ظاهرة صار ذلك شبهة تدرأ القتل عن القاتل ، كما أن

---

(١) انظر كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة : ١/٥٨ - ٥٩ ، وانظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ٣/١٧٣ ، حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبر : ١/١٩١ ، مقدمة مرآة العقول : ١/٤٨ .

(٢) العلوج جمع علج وهو الرجل من كفار العجم وغيرهم . النهاية في غريب الحديث : ٣/٢٨٦ .

(٣) صحيح البخاري : ٢/٢٩٨ .

(٤) انظر تاريخ الأمم والملوك في قصة مشاورة عثمان المهاجرين والأنصار في شأن عبيد الله بن عمر : ٤/٢٣٩ .

أسامة بن زيد لما قتل ذلك الرجل بعد ما قال لا إلـٰه إلا الله اعتقد أن هذا القول لا يعصمه عزره النبي ﷺ بالكلام ولم يقتله لأنه كان متأولاً[1] لكن الذي قتله أسامة كان مباحاً قبل القتل فشك في العاصم ، وإذا كان عبيد الله بن عمر متأولاً يعتقد أن الهرمزان أعان على قتل أبيه وأنه يجوز له قتله صارت هذه شبهة يجوز أن يجعلها المجتهد مانعة من وجوب القصاص ، وأيضاً فالهرمزان لم يكن له أولياء يطلبون بدمه وإنما وليه ولي الأمر وله القتل أو العفو أو الدية ، فعفا عثمان وترك الدية لآل عمر ، وإذا حقن عثمان دمه فلا يباح بحال[2] .

وأما دعواهم أن عثمان امتنع عن قتل عبيد الله بن عمر ، فهذا كذب وزور على عثمان رضي الله عنه ، وقول بالباطل وأن أحداً لم يطلب من عثمان ذلك لا عليّ ولا غيره .

قال أبو بكر بن العربي : « وأما امتناعه عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان ، فإن ذلك باطل ، فإن كان لم يفعل فالصحابة متوافرون والأمر في أوله وقد قيل : إن الهرمزان سعى في قتل عمر وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه[3] ، وكان قتل عبيد الله له ، وعثمان لم يل بعد ، ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقاً لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله ، وأيضاً : فإن أحداً لم يقم بطلبه وكيف يصح مع هذه الاحتمالات كلها أن ينظر في أمر لم يصح »[4] .

« ومن العجب أن دم الهرمزان المتهم بالنفاق والمحاربة لله ورسوله والسعي في الأرض بالفساد تقام فيه القيامة ودم عثمان يجعل لا حرمة له وهو إمام المسلمين

---

(١) انظر حديث أسامة في صحيح مسلم : ٩٦/١ - ٩٨ .

(٢) منهاج السنة : ١٩٩/٣ - ٢٠٢ .

(٣) انظر ثبوت تآمر الهرمزان مع أبي لؤلؤة المجوسي وجفينة النصراني على قتل عمر . تاريخ الطبري : ٢٤٠/٤ .

(٤) العواصم من القواصم ، ص : ١٠٧ - ١٠٨ .

المشهود له بالجنة الذي هو وإخوانه أفضل الخلق بعد النبيين »[1] .

فطعن الرافضة على عثمان بقصة عبيد الله بن عمر مع الهرمزان غير مستقيم ولا يقبل ولا له وجه يقويه إذ « من أعان على قتل عمر ولو بكلام وجب قتله وكان الهرمزان ممن ذكر عنه أنه أعان على قتل عمر بن الخطاب وإذا كان الأمر كذلك كان قتله واجباً ولكن قتله إلى الأئمة فافتات عبيد الله بقتله وللإمام أن يعفو عمن افتات عليه »[2] .

ومن مطاعنهم في حق ذي النورين – رضي الله عنه – : « أنهم يكذبون عليه بأنه نفى أبا ذر من المدينة ، وأخرجه منها إلى الربذة »[3] .

والرد على طعنهم عليه بهذه القضية :

أنه رضي الله عنه لم يفعل ما اختلقوه في هذه القصة ، وإنما أبو ذر هو الذي اختار أن يعتزل في الربذة ، فوافقه عثمان رضي الله عنه على ذلك وأكرمه وجهزه بما فيه راحته .

قال أبو بكر بن العربي : « وأما نفيه أبا ذر إلى الربذة فلم يفعل ، كان أبو ذر زاهداً وكان يقرع عمال عثمان ويتلو عليهم ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[4] ويراهم يتسعون في المراكب والملابس حين وجدوا فينكر ذلك عليهم ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم وهو غير لازم .

قال ابن عمر[5] وغيره من الصحابة : إن ما أديت زكاته فليس بكنز فوقع

---

(١) منهاج السنة : ٢٠٢/٣ .

(٢) منهاج السنة : ٢٠٢/٣ .

(٣) انظر كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة : ٥٥/١ – ٥٧ ، منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ .

(٤) سورة التوبة آية : ٣٤ .

(٥) انظر صحيح البخاري : ٢٤٤/٢ .

بين أبي ذر ومعاوية كلام بالشام[1] ، فخرج إلى المدينة فاجتمع الناس فجعل يسلك تلك الطرق ، فقال له عثمان : « لو اعتزلت » معناه : إنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس ، فإن للخلطة شروطاً وللعزلة مثلها[2] ومن كان على طريقة أبي ذر فحاله يقتضي أن ينفرد بنفسه ، أو يخالط ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام في الشريعة ، فخرج إلى الربذة زاهداً فاضلاً وترك جلة فضلاء وكل على خير وبركة وفضل وحال أبي ذر أفضل ولا تمكن لجميع الخلق ، فلو كانوا عليها لهلكوا فسبحان مرتب المنازل »[3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في صدد رده على طعن الرافضة على عثمان بقصة أبي ذر ، قال : « فالجواب أن أبا ذر سكن الربذة ومات بها لسبب ما كان يقع بينه وبين الناس ، فإن أبا ذر كان رجلاً صالحاً زاهداً ، وكان مذهبه أن الزهد واجب وأن ما أمسكه الإنسان فاضلاً عن حاجته فهو كنز يكوى به في النار ، واحتج على ذلك بما لا حجة فيه من الكتاب والسنة واحتج بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[4] ، وجعل الكنز ما يفضل عن الحاجة واحتج بما سمعه من النبي ﷺ وهو أنه قال : يا أبا ذر ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً يمضي عليه ثالثة وعندي منه دينار إلا ديناراً أرصده لدين وأنه قال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا »[5] .

ولما توفي عبد الرحمٰن بن عوف وخلف مالاً جعل أبو ذر ذلك من الكنز الذي يعاقب عليه وعثمان يناظره في ذلك حتى دخل كعب[6] ووافق عثمان فضربه

---

(١) انظر تاريخ الطبري : ٢٨٣/٤ .
(٢) لقد أحسن القول فيها أبو سليمان الخطابي في كتاب « العزلة » فليرجع إليه .
(٣) العواصم من القواصم ، ص : ٧٣ - ٧٥ .
(٤) سورة التوبة آية : ٣٤ .
(٥) انظر لفظ الحديث في صحيح البخاري : ٥٦/٣ ، صحيح مسلم : ٦٨٧/٢ - ٦٨٨ .
(٦) هو كعب الأحبار كما في تاريخ الطبري : ٢٨٤/٤ .

أبو ذر وكان قد وقع بينه وبين معاوية بالشام بهذا السبب وقد وافق أبا ذر على هذا طائفة من النساك .

وأما الخلفاء الراشدون وجماهير الصحابة والتابعين فعلى خلاف هذا القول ، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وليس فيما دون خمس ذود صدقة وليس فيما دون خمس أواق صدقة)[1] . فنفى الوجوب فيما دون المائتين ولم يشترط كون صاحبها محتاجاً إليها أم لا .

وقال جمهور الصحابة : الكنز هو المال الذي لم تؤد حقوقه ، وقد قسم الله تعالى المواريث في القرآن ، ولا يكون الميزان إلا لمن خلف مالاً وقد كان غير واحد من الصحابة له مال على عهد النبي ﷺ من الأنصار ، بل ومن المهاجرين وكان غير واحد من الأنبياء له مال وكان أبو ذر يريد أن يوجب على الناس ما لم يوجب الله عليهم ويذمهم على ما لم يذمهم الله عليه ، مع أنه مجتهد في ذلك مثاب على طاعته رضي الله عنه كسائر المجتهدين من أمثاله ، وقول النبي ﷺ ليس فيه إيجاب ، إنما قال : (ما أحب أن يمضي عليّ ثالثة وعندي منه شيء) فهذا يدل على استحباب إخراج ذلك قبل الثالثة لا على وجوبه ، وكذا قوله (المكثرون هم المقلون) دليل على أن من كثر ماله ، قلت حسناته يوم القيامة ، إذا لم يكثر الإخراج منه ، وذلك لا يوجب أن يكون الرجل القليل الحسنات من أهل النار ، إذا لم يأت كبيرة ولم يترك فريضة من فرائض الله ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقوم رعيته تقويماً تاماً فلا يعتدي لا الأغنياء ولا الفقراء ، فلما كان في خلافة عثمان توسع الأغنياء في الدنيا حتى زاد كثير منهم على قدر المباح في المقدار والنوع ، وتوسع أبو ذر في الإنكار حتى نهاهم عن المباحات وهذا من أسباب الفتن بين الطائفتين فكان اعتزال أبي ذر لهذا السبب ، ولم يكن لعثمان

---

(١) انظر صحيح البخاري : ٢٤٤/٢ ، صحيح مسلم : ٦٧٣/٢ - ٦٧٥ .

مع أبي ذر غرض من الأغراض »[1] .

فلو تفهم الشيعة الرافضة قصة أبي ذر من أساسها وبدايتها لعلموا أن أبا ذر هو الذي اختار سكنى الربذة ، وأن عثمان لم يأمره بالخروج من المدينة ، ولا نفاه إلى الربذة كما يزعمون ، ومما يؤيد هذا ما رواه الإمام البخاري في صحيحه بإسناده إلى زيد بن وهب قال : مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه ، فقلت له : ما أنزلك منزلك هذا ، قال : كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، قال معاوية : نزلت في أهل الكتاب ، فقلت : نزلت فينا وفيهم ، فكان بيني وبينه في ذاك وكتب إلي عثمان رضي الله عنه يشكوني فكتب إليّ عثمان أن أقدم المدينة ، فقدمتها فكثر عليّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك ، فذكرت ذاك لعثمان ، فقال لي : إن شئت تنحيت فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني هذا المنزل[2] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث : « وإنما سأله زيد بن وهب عن ذلك لأن مبغضي عثمان كانوا يشنعون عليه أنه نفى أبا ذر وقد بين أبو ذر أن نزوله في ذلك المكان كان باختياره »[3] .

وروى ابن جرير من حديث طويل عن يزيد الفقعسي[4] وفيه أن أبا ذر قال لعثمان : فتأذن لي في الخروج ، فإن المدينة ليست لي بدار ؟ فقال : أو تستبدل بها إلا شراً منها ، قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعاً ، قال : فانفذ لما أمرك به ، قال : فخرج حتى نزل الربذة فخط بها مسجداً وأقطعه عثمان صرمة[5] من الإبل وأعطاه مملوكين وأرسل إليه أن تعاهد المدينة حتى

---

(١) منهاج السنة : ١٩٨/٣ .

(٢) صحيح البخاري : ٢٤٤/٢ .

(٣) فتح الباري : ٢٧٤/٣ .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) الصرمة من الإبل ما بين العشرين والثلاثين . النهاية في غريب الحديث : ٢٧/٣ .

لا ترتد أعرابياً ففعل »[1] .

وقال الإمام الذهبي : « وأما أبو ذر فثبت عن عبد الله بن الصامت قال : قالت أم ذر : « والله ما سير عثمان أبا ذر إلى الربذة ، ولكن رسول الله ﷺ قال له : « **إذا بلغ البناء سلعاً فاخرج منها** »[2] .

وقال الحسن البصري : « معاذ الله أن يكون أخرجه عثمان »[3] .

وقال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى : « خرج أبو ذر إلى الربذة من قبل نفسه »[4] .

ففي ما تقدم كفاية في البرهان على كذب الرافضة على عثمان رضي الله عنه من أنه نفى أبا ذر إلى الربذة ، وأن أبا ذر خرج من المدينة إلى الربذة باختياره وأنه استأذن عثمان في ذلك ، فأذن له وأكرمه عثمان وجهزه بما يحتاج إليه حيث أقطعه صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين وأجرى عليه وأمره بتعاهد المدينة ففعل رضي الله عنه وعن عثمان وعن سائر الصحابة الكرام .

ومما نقموا به على عثمان - رضي الله عنه - : « أنه أخرج أبا الدرداء من بلاد الشام »[5] .

والرد على هذا :

أنه وقع بين أبي الدرداء ومعاوية كلام وكان أبو الدرداء زاهداً فاضلاً قاضياً - في دمشق[6] - فلما اشتد في الحق ، وأخرج طريقة عمر في قوم لم يحتملوها عزل عن القضاء ، فتوجه إلى المدينة ، وهذه كلها مصالح لا تقدح في

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٢٨٤/٤ .

(٢) انظر الحديث في تاريخ الطبري : ٢٨٤/٤ .

(٣) المنتقى ، ص : ٣٩٦ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك : ٢٨٤/٤ .

(٥) ذكر هذا ابن العربي في العواصم من القواصم ، ص : ٦٢ .

(٦) انظر الإصابة : ٤٦/٣ .

الدين ولا تؤثر في منزلة أحد من المسلمين بحال ، وأبو الدرداء وأبو ذر بريئان من كل نقص وعيب ، وعثمان بريء أعظم براءة وأكثر نزاهة ، فمن روى أنه نفى وروى سبباً فهو كله باطل »[1] ، فلا حجة للرافضة في طعنهم على عثمان رضي الله عنه بقصة أبي الدرداء ، فإنه رضي الله عنه أراد أن يحمل الناس على التزام سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولكنهم لا طاقة لهم عليها وهذا اجتهاد منه وهو مأجور عليه ، ولقد حاول معاوية أن يسير على طريقة عمر رضي الله عنه فسار على ذلك عامين ، ثم لم يستطع بعد .

فقد نقل الحافظ ابن كثير عن محمد بن سعد أنه قال : حدثنا عارم حدثنا حماد بن يزيد عن معمر عن الزهري : أن معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه ثم أنه بعد عن ذلك »[2] . فأبو الدرداء رضي الله عنه أراد أن يحمل قوماً على السير على طريقة عمر وهم غير مطيقين لذلك فعزل من ولاية القضاء لمصلحة أدركها عثمان رضي الله عنه وعزله لا يقدح في الدين ولا يؤثر في مكانته ولا مكانة أحد من المسلمين .

ومن الأمور التي نقمتها الرافضة على عثمان – رضي الله عنه – : أنهم يقولون : « إنه منع المراعي من الجبال والأودية وحماها »[3] .

والرد على هذا الهراء :

أن الحمى لم يكن ذو النورين ابتدأه ، فقد كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام ، فقد كان الرئيس منهم إذا نزل منزلاً مخصباً استعوى كلباً على مكان عال فإلى حيث انتهى صوته حماه من كل جانب ، فلا يرعى فيه غيره ، ويرعى هو مع غيره فيما سواه »[4] ، فلما جاء الإسلام نهى النبي ﷺ عن ذلك ،

---

(١) العواصم من القواصم ، ص : ٧٧ .

(٢) البداية والنهاية : ١٤٢/٨ .

(٣) كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة : ٥٠/١ ، حق اليقين لعبد الله شبر : ١٩١/١ .

(٤) فتح الباري : ٤٤/٥ .

واختص الحمى ببهائم الصدقة المرصدة للجهاد والمصالح العامة ، فقال ﷺ : « **لا حمى إلا لله ولرسوله** »[1] ، وورد أنه ﷺ حمى مكاناً يسمى « النقيع »[2] ، ومما هو معلوم أن الحال استمر في خلافة الصديق على ما كان عليه في زمن المصطفى ﷺ ، لأن الصديق لم يخرج عن شيء كان عليه الحال في عهده ﷺ على الرغم أن حاجة الجهاد إلى الخيل والإبل زادت عن قبل ، وفي زمن الفاروق اتسع الحمى فشمل « الشرف »[3] و « الربذة » وكان لعمر عامل على الحمى هو مولى له يدعى هنياً ، فقد جاء في صحيح البخاري من حديث زيد بن أسلم عن أبيه نص وصية عمر لعامله هذا على الحمى ، بأن يمنع نعم الأثرياء كعبد الرحمٰن بن عوف وعثمان بن عفان ، وأن يتسامح مع رب الغنيمة ورب الصريمة لئلا تهلك ماشيتهما »[4] ، وكما اتسع عمر رضي الله عنه في الحمى عما كان عليه زمن النبي ﷺ وأبي بكر لزيادة سوائم بيت المال في زمنه اتسع عثمان بعد ذلك لاتساع دولة الإسلام ، وازدياد الفتوح .

قال العلامة ابن العربي في صدد رده على الطاعنين عليه بمسألة الحمى ، قال : « وأما الحمى فكان قديماً فيقال إن عثمان زاد فيه لما زادت الراعية ، وإذا جاز أصله للحاجة إليه جازت لزيادة الحاجة » اهـ[5] .

فالذي أجازه النبي ﷺ لسوائم بيت المال ، ومضى عليه الشيخان يجوز مثله لبيت المال في زمن ذي النورين ، ويكون الاعتراض عليه اعتراضاً على أمر داخل في التشريع الإسلامي ، ولما أجاب عثمان على مسألة الحمى عندما دافع عن

---

(١) صحيح البخاري : ٥٣/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٥٣/٢ ، والنقيع في المدينة على عشرين فرسخاً منها . انظر : معجم البلدان : ٢٩٩/٥ ، فتح الباري : ٤٥/٥ .

(٣) قال ياقوت : وفي الشرف الربذة وهي الحمى الأيمن فما كان مشرقاً فهو الشريف وما كان مغرباً فهو الشرف . معجم البلدان : ٢٣٦/٣ .

(٤) انظر صحيح البخاري : ١٨٠/٢ .

(٥) العواصم من القواصم ، ص : ٧٢ - ٧٣ .

نفسه على ملأ من الصحابة أعلن أن الذين يلون له الحمى اقتصروا فيه على صدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع ، وأنهم ما منعوا ولا نحّوا منها أحداً ، وذكر عن نفسه أنه قبل أن يلي الخلافة كان أكثر العرب بعيراً وشاء ، ثم أمسى وليس له غير بعيرين لحجه ، وسأل من يعرف ذلك من الصحابة أكذلك ؟ ، قالوا : اللهم نعم »[1] .

ومما نقمته الشيعة الرافضة على عثمان – رضي الله عنه – : أنهم يقولون : « إنه أبطل سنة القصر في الصلوات أثناء السفر ، وقالوا إنه « مخالف للسنة ولسيرة من تقدمه »[2] .

والرد على طعنهم عليه بهذه المسألة :

يقال لهم : إن تركه القصر كان اجتهاداً منه رضي الله عنه ، إذ بلغه أن بعض الناس افتتنوا بالقصر في الصلاة ، حتى كانوا يفعلون ذلك في منازلهم فرأى رضي الله عنه أن السنة قد تؤدي إلى إسقاط الفريضة ، فترك القصر خشية أن يتذرع الناس بذلك ، وكان هذا في منى في موسم الحج سنة تسع وعشرين ، وقد عاتب عبد الرحمـٰن بن عوف عثمان في إتمامه الصلاة وهم في منى ، فاعتذر له عثمان بأن بعض من حج من أهل اليمن وجفاة الناس قالوا : في العام الماضي : إن الصلاة للمقيم ركعتان وهذا إمامكم عثمان يصلي ركعتين ، ثم قال عثمان لعبد الرحمـٰن بن عوف : وقد اتخذت بمكة أهلاً – أي : أنه صار في حكم المقيم لا المسافر – فرأيت أن أصلي أربعاً لخوف ما أخاف على الناس ، ثم خرج عبد الرحمـٰن بن عوف من عنده ، فلقي عبد الله بن مسعود وخاطبه في ذلك ، فقال ابن مسعود : « الخلاف شر قد بلغني أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابي أربعاً » ، فقال عبد الرحمـٰن بن عوف : « قد بلغني أنه صلى أربعاً فصليت

---

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري : ٣٤٧/٤ .

(٢) حق اليقين لعبد الله شبر : ١٩١/١ ، كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة : ٦٣/١ .

بأصحابي ركعتين ، وأما الآن فسوف يكون الذي تقول يعني : نصلي معه أربعاً »[1] .

ثم أيضاً يقال لهم : إن جماعة من العلماء قالوا : « إن المسافر مخير بين القصر والإتمام ، واختلف في ذلك الصحابة »[2] .

فقد روي عن جماعة منهم إتمام الصلاة في السفر ، منهم عائشة ، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها ، قالت : « الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرت صلاة السفر ، وأتمت صلاة الحضر » .

قال الزهري : فقلت لعروة : ما بال عائشة تتم ؟ ، قال : تأولت ما تأول عثمان »[3] .

وروى الإمام أحمد بسنده عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال : لما قدم معاوية حاجاً قدمنا معه مكة ، قال : فصلى بنا الظهر ركعتين ، ثم انصرف إلى دار الندوة ، قال : وكان عثمان حين أتم الصلاة إذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعاً أربعاً فإذا خرج إلى منى وعرفات قصر الصلاة ، فإذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة حتى يخرج من مكة فلما صلى بنا الظهر ركعتين نهض إليه مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان فقالا له : ما عاب أحد ابن عمك بأقبح ما عبته به ، فقال لهما : وما ذاك ، قال : فقالا له ألم تعلم أنه أتم الصلاة بمكة ، قال : فقال لهما ويحكما وهل كان غير ما صنعت قد صليتهما مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما قالا : فابن عمك قد كان أتمها ، وإن خلافك إياه له عيب ، قال : فخرج معاوية إلى العصر ، فصلاها بنا أربعاً »[4] .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٤/٢٦٨ .
(٢) انظر العواصم من القواصم ، ص : ٧٩ - ٨٠ .
(٣) صحيح البخاري : ١/١٩٢ .
(٤) المسند : ٤/٩٤ .

وكما هو ظاهر هذا الحديث أن معاوية رضي الله عنه كان يرى أن القصر رخصة وأن المسافر مخير بين القصر والإتمام ، ولذلك صلى العصر أربعاً .

فلا وجه للرافضة يسوّغ لهم الطعن على عثمان بإتمامه ما صلاه من الرباعية أثناء سفره للحج سنة ٢٩ ، إذ كان ذلك اجتهاداً منه حيث بلغه أن بعض الناس افتتنوا بالقصر ، وعمدوا إلى فعل ذلك في منازلهم فأداه اجتهاده رضي الله عنه إلى أن سنة القصر ربما أدت إلى إسقاط الفريضة فتركها سداً للذريعة وهو مأجور على هذا الاجتهاد أصاب أم أخطأ .

ومما طعن به الرافضة على عثمان – رضي الله عنه – أنهم يقولون : « إنه انهزم يوم حنين وفر يوم أحد وتغيب عن بدر وبيعة الرضوان »[1] .

والرد على طعنهم عليه بهذا :

يقال لهم : « أما طعنكم عليه بيوم حنين ، فإنه لم يبق إلا نفر يسير مع رسول الله ﷺ ولكن لم يجر في الأمر تفسير من بقي ممن مضى في الصحيح ، وإنما هي أقوال ، منهاأنه ما بقي معه إلا العباس وابناه عبد الله وقثم ، فناهيك بهذا الاختلاف وهو أمر قد اشترك فيه الصحابة وقد عفا الله عنه ورسوله فلا يحل ذكر ما أسقطه الله ورسوله والمؤمنون »[2] ، وأما طعنهم عليه بقولهم إنه فرَّ يوم أحد فيجاب عنه أيضاً : ، بأن الله – جل وعلا – عفا عنه وغفر له .

وأما تغيبه عن بدر ، فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة ، فقال له رسول الله ﷺ : « **إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه** » .

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان ، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان

---

(١) انظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٣٤/٣ ، منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ .

(٢) العواصم من القواصم لابن العربي ، ص : ١٠٣ – ١٠٤ .

إلى مكة ، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى « **هذه يد عثمان** » فضرب بها على يده ، فقال : « **هذه لعثمان** »[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في صدد رده على الرافضي : « يوم بدر غاب بأمر النبي ﷺ ليخلفه على ابنته ﷺ ، فضرب له النبي ﷺ بسهمه وأجره ، ويوم الحديبية بايع النبي ﷺ عثمان بيده ويد رسول الله ﷺ خير له من يد نفسه ، وكانت البيعة بسببه ، فإنه لما أرسله النبي ﷺ رسولاً إلى أهل مكة بلغه أنهم قتلوه ، فبايع أصحابه على أن لا يفروا وعلى الموت ، فكان عثمان شريكاً في البيعة ، مختصاً بإرسال النبي ﷺ له وطلبت منه قريش أن يطوف بالبيت دون رسول الله ﷺ وأصحابه ، فامتنع من ذلك ، وقال : حتى يطوف به رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يرسل عمر فأخبره أنه ليس له بمكة شوكة يحمونه ، وأن عثمان له بمكة بنو أمية وهم من أشراف مكة ، فهم يحمونه ، وأما التولي يوم أحد فقد عفا الله عن جميع المتولين فيه فدخل في العفو من هو دون عثمان ، فكيف لا يدخل هو فيه مع فضله وكثرة حسناته »[2] ، فلا وجه لطعن الشيعة الرافضة على عثمان بما حصل يوم حنين ، إذ أنه لم يرد تفصيل لمن بقي مع النبي ﷺ ذلك اليوم ، بل حصل في ذلك خلاف بين أهل العلم ، وما حصل من أنه فر يوم أحد فقد عفا الله عنه وغفر له ، هو وغيره ممن حصل منه ذلك ، وغيابه عن بدر إنما كان بأمر النبي ﷺ حيث خلّفه لتمريض رقية بنت رسول الله ﷺ التي كانت زوجة لعثمان حينذاك ولم يفته خير هذه الغزوة ، فقد ضرب له النبي ﷺ بأجره وسهمه فيها فكان كمن حضرها ، وبيعة الحديبية التي ينقم الرافضة على عثمان تغيبه عنها إنما كانت بسبب عثمان وانتصاراً له ، لما بلغ النبي ﷺ أن قريشاً قتلوه ، وقد كان لعثمان الشرف العظيم

---

(١) هذا ما رد به ابن عمر على أحد المصريين الطاعنين على عثمان بما ذكر . انظر صحيح البخاري : ٢٩٧/٢ .

(٢) منهاج السنة : ٢٠٦/٣ - ٢٠٧ .

في هذه البيعة ذلك أن يد الرسول ﷺ نابت عن يده في عقد البيعة عنه وجميع الصحابة بايعوا بأيدي أنفسهم إلا عثمان ، فإن أشرف يد في الوجود نابت عن يده في إعطاء بيعته ، ولو لم يكن لعثمان من الشرف في حياته كلها إلا مبايعة الرسول - ﷺ - عنه بيده يوم الحديبية لكفاه .

ومن مطاعنهم في حق ذي النورين - رضي الله عنه - أنهم يقولون : « إنه أحدث أذاناً يوم الجمعة زائداً على أذان الرسول ﷺ وهو بدعة محرمة حتى صار سنة يعمل به بعده إلى اليوم »[1] .

والرد على هذا الهراء :

« أن علياً رضي الله عنه كان أحد الموافقين على هذا الأذان في حياة عثمان وبعد قتله ، ولهذا لما صار خليفة للمسلمين لم يأمر بإزالته كما أمر بما أنكره من ولاية طائفة من عمال عثمان بل أمر بعزل معاوية وغيره ، ومعلوم أن إبطال هذه البدعة كان أهون عليه من عزل أولئك ومقاتلتهم ، ولو أزال ذلك لعلمه الناس ونقلوه ، فإن زعموا أن الناس كانوا لا يوافقونه على إزالتها يقال لهم : فهذا دليل على أن الناس وافقوا عثمان على استحبابها واستحسانها حتى الذين قاتلوا مع علي كعمار وسهل بن حنيف وغيرهما من السابقين الأولين وأكابر الصحابة لو أنكروا ذلك لم يخالفهم غيرهم وإن قدر أن في الصحابة من كان ينكر ذلك ، ومنهم من لا ينكره كان ذلك من مسائل الاجتهاد ولم يكن هذا مما يعاب به عثمان »[2] .

ومما طعنوا به على عثمان - رضي الله عنه - أنهم يزعمون : « أن كل الصحابة تبرؤوا من عثمان فكانوا بين قاتل له وراض بقتله ، ويزعمون أيضاً : أن

---

(١) انظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ ، حق اليقين في معرفة أصول الدين : ١٩٢/١ .

(٢) انظر منهاج السنة : ٢٠٤/٣ .

علياً سكت عن قتل عثمان ، ولم ينه عنه وسكوته دال على رضاه بقتله ، ويزعمون أيضاً : أنهم تركوه ملقى بعد قتله ثلاثة أيام بلا دفن »[1] .

والرد على هذا :

أنه كذب صريح وبهتان فضيح لا يخفى حتى على الصبيان ، فضلاً عن ذوي العرفان ، وما نشب القتال في موقعتي الجمل وصفين بين الصحابة وسقط فيهما الآلاف منهم إلا من أجل إقامة القصاص على قتلة عثمان .

والثابت في كتب التواريخ أن الصحابة كلهم لم يألوا جهداً في دفع البلوى عنه حتى استأذنوه في قتال المحاصرين له فلم يرض لهم بذلك وعزم عليهم أن لا يراق فيه محجم من دم .

فقد روى خليفة بن خياط بإسناده إلى زيد بن ثابت أنه قال لعثمان : هؤلاء الأنصار بالباب يقولون : إن شئت كنا أنصار الله مرتين ، فقال : « لا حاجة لي في ذلك كفوا »[2] .

وروى أيضاً بإسناده إلى عبد الله بن الزبير قال : قلت لعثمان : « إنا معك في الدار عصابة مستبصرة ينصر الله بأقل منهم ، فأذن لنا ، فقال : « أذكر الله رجلاً أهراق فيّ دمه ، أو قال : دماً » .

وروى بإسناده إلى عبد الله بن عامر بن ربيعة ، قال : كنت مع عثمان في الدار ، فقال : « أعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة إلا كف يده وسلاحه ، فإن أفضلكم عندي غناء من كف يده وسلاحه » .

وروى بإسناده إلى محمد بن سيرين ، قال : انطلق الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان كلهم شاكي السلاح حتى دخلوا الدار ، فقال عثمان :

---

(١) انظر حق اليقين في معرفة أصول الدين : ١٨٩/١ ، ١٩٢ ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٣٣/٣ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ، ص : ١٧٣ .

« أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم » .

وبإسناده أيضاً : إلى محمد بن سيرين قال : قال سليط بن سليط : « نهانا عثمان عن قتالهم ، ولو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها » .

وروى بإسناده إلى أبي هريرة قال : « قلت لعثمان : اليوم طاب الضرب معك » ، قال : « أعزم عليك لتخرجن »[1] .

وروى ابن سعد وغيره إلى زهدم الجرمي ، قال : خطب ابن عباس رضي الله عنه ، فقال : « لو أن الناس لم يطلبوا بدم عثمان لرجموا بالحجارة من السماء »[2] .

فهذه الآثار فيها تكذيب للشيعة الرافضة ، فيما يزعمون من أن الصحابة كلهم تبرؤوا من عثمان ، وكانوا راضين بقتله ، ولذلك لم ينصروه ولم ينكروا على محاصريه ولم يستعدوا لمدافعتهم ومقاتلتهم ، وكما هو واضح من هذه الآثار أنهم أنكروا وبذلوا أنفسهم للدفاع عن عثمان ومقاتلتهم ، ولكن أولئك المحاصرين له لم يظهروا قتله وإنما كانوا يظهرون المعيبة عليه ومع ذلك فلم يكن لهم أن يستبدوا برأي في أمرهم إلا بأمر من خليفتهم وأميرهم عثمان رضي الله عنه ، وكان يمنعهم من ذلك ويعزم عليهم أن لا يسفك قليل من الدم بسببه[3] .

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى : « ومن المعلوم بالمتواتر أن عثمان - رضي الله عنه - كان من أكف الناس عن الدماء ، وأصبر الناس على من نال من عرضه ، وعلى من سعى في دمه ، فحاصروه وسعوا في قتله ، وقد عرف إرادتهم لقتله ، وقد جاءه المسلمون من كل ناحية ينصرونه ويشيرون عليه بقتالهم ، وهو يأمر الناس بالكف عن القتال ويأمر من يطيعه أن لا يقاتلهم وروي أنه قال

---

(١) انظر هذه الآثار الخمسة في تاريخ خليفة بن خياط ، ص : ١٧٣ - ١٧٤ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٣/٨٠ ، الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم : ص ٣٣٣ .

(٣) انظر كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم : ص ٣٣١ .

لمماليكه : « من كف يده فهو حر » ، وقيل له : تذهب إلى مكة ، فقال : لا أكون ممن ألحد في الحرم ، فقيل له : تذهب إلى الشام ، فقال : لا أفارق دار هجرتي ، فقيل له : فقاتلهم ، فقال : لا أكون أول من خلف محمداً في أمته بالسيف ، فكان صبر عثمان حتى قتل من أعظم فضائله عند المسلمين »[1] .

وأما زعمهم : أن الصحابة كانوا بين قاتل له وراض بقتله ، فهذا كذب قبيح لم يقله أو يعتقده إلا إنسان من الرافضة أو ابتلي بمعلم منهم فالذين قتلوا عثمان لم يكن بينهم أحد من الصحابة ولله الحمد وإنما قتلته كانوا من أوباش القبائل ومن أهل الإفساد والفتن تأثروا بضلالات ابن سبأ اليهودي فقد روى خليفة بن خياط بسنده ، فقال : حدثنا عبد الأعلى بن الهيثم قال : حدثني أبي ، قال : قلت للحسن : أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار ؟ ، قال : لا ، كانوا أعلاجاً من أهل مصر »[2] .

قال أبو بكر بن العربي : « إن أحداً من الصحابة لم يسع عليه ولا قعد عنه ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفاً بلديين أو أكثر من ذلك ولكنه ألقى بيده إلى المصيبة »[3] .

قلت : لأنه رضي الله عنه اختار أخف الشرين وآثر أن يقتل هو خشية أن تتسع دائرة الفتنة ويعظم سفك دماء المسلمين ، ومع ذلك لم يحسن مبغضوا الصحابة جزاءه وإنما رموه بمفتريات كثيرة كان محجوجاً فيها بغير حجة ، وهنا يقال : للشيعة الرافضة بعد هذه الأخبار المتقدمة : أين تبرؤ الصحابة من عثمان ومن منهم كان بين قاتل له وراض بقتله ألا تستحيون من الرجم بالغيب كذباً وزوراً وبهتاناً .

---

(١) منهاج السنة : ٢٠٢/٣ - ٢٠٣ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ، ص : ١٧٦ .

(٣) العواصم من القواصم ، ص : ١٣٦ - ١٣٧ .

ويرد على زعمهم « أن علياً كان راضياً بقتل عثمان ، وسكوته دل على رضاه بقتله » .

يقال لهم : حاشا وكلا إن علياً صدر منه هذا أو كان هذا موقفه عندما قتل وأن هذا الموقف الذي يذكره الشيعة الرافضة عنه إنما هو من إفكهم واختلاقهم عليه إذ الثابت عنه لعن قتلة عثمان ، وبلغ به الحزن مبلغه عندما بلغه قتله وتبرأ من دمه ، فلقد ذكر ابن جرير الطبري : أن عائشة رضي الله عنها قالت يوم الجمل : « أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم وضج أهل البصرة بالدعاء ، وسمع علي بن أبي طالب الدعاء فقال : ما هذه الضجة ؟ ، فقالوا : عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم فأقبل يدعو ويقول : « اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم »[1] .

وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى قيس بن عباد قال : شهدت علياً رضي الله عنه يوم الجمل يقول كذا : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان ، وأنكرت نفسي وأرادوني على البيعة فقلت : والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ : « **ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة** » وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد « فانصرفوا ، فلما دفن رجع الناس إلي فسألوني البيعة ، فقلت : اللهم إني مشفق مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا : يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي »[2] .

وذكر الحافظ ابن كثير عن الربيع بن بدر عن سيار بن سلامة عن أبي العالية أن علياً دخل على عثمان فوقع عليه وجعل يبكي حتى ظنوا أنه سيلحق به » . وقال : وقال الثوري وغيره عن طاووس عن ابن عباس قال : قال علي يوم قتل

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٥١٣/٤ .
(٢) المستدرك : ١٠٣/٣ .

عثمان : « والله ما قتلت ولا أمرت ولكني غلبت »[1] .

فهذه الآثار الثابتة عن علي فيها بطلان ما ادعته الرافضة من أن علياً رضي الله عنه كان راضياً بقتل عثمان ، وأن قولهم هذا كذب وزور ، فقد تواترت الأخبار عن علي بخلافه .

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى : « وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي أنه تبرأ من دم عثمان ، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضي به ، ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث ولله الحمد والمنة ، وثبت عنه أيضاً : من غير وجه أنه قال : « إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[2] .

وثبت عنه أيضاً من غير وجه أنه قال : كان عثمان من الذين ﴿اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ﴾[3] .

وفي رواية أنه قال : « كان عثمان رضي الله عنه خيرنا وأوصلنا للرحم وأشدنا حباً وأحسننا طهوراً وأتقانا للرب عز وجل »[4] .

فهذا موقف علي رضي الله عنه من ذي النورين – رضي الله عنه – ومكانته عنده ، فإن موقفه منه كان موقفاً شريفاً كريماً ، لم تهتد الشيعة الرافضة لمعرفته ، ولذلك يطعنون في علي بما يظنونه مدحاً وما ذلك إلا لفرط جهلهم وعدم معرفتهم بما كان عليه السلف الصالح من الاحترام والإجلال لبعضهم بعضاً .

---

(١) البداية والنهاية : ٢١٢/٧ .

(٢) سورة الحجر آية : ٤٧ .

(٣) من الآية رقم (٩٣) من سورة المائدة .

(٤) البداية والنهاية : ٢١٢/٧ .

وأما زعمهم أن عثمان رضي الله عنه « ترك ملقي بعد قتله ثلاثة أيام بلا دفن » .

فهذا أيضاً : زور وبهتان ، فقد قال الزبير بن بكار : « بويع يوم الإثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وقتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة بعد العصر ، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء[1] يعني من نفس اليوم ، وذلك سنة خمس وثلاثين[2] ، وهذا القول هو الذي تطمئن إليه النفس ، وهو المظنون بالصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فإنه لا يدخل في عقل أي إنسان سلم من داء الرفض أنهم يتركون إمامهم ملقى دون دفن ثلاثة أيام مهما كانت قوة أولئك الفجرة الذين جاؤوا لحصاره وقتله ، فالصحابة كما وصفهم ربهم لا يخافون في الله لومة لائم ، وما ذكر من الأقوال غير هذا فإنه لا يؤمن أنها من دس الشيعة الرافضة ، الذي يقصدون منه التشنيع والطعن على خيار الأمة وحسبنا من مطاعن الشيعة على ذي النورين ما تقدم ذكره ولهم مطاعن فيه غير هذه المطاعن[3] وكلها أباطيل وأكاذيب مفتراة من جنس ما تقدم في هذا المبحث ، ومما يجدر التنبيه عليه أن مطاعنهم على الخصوص ليست قاصرة على الخلفاء الثلاثة بل اختلقوا مطاعن خاصة بكل واحد من العشرة[4] المبشرين بالجنة حتى علي رضي الله عنه ، ينسبون إليه قصصاً يظنونها مدحاً له وهي في الحقيقة عيب فيه ، وتنقص له من حيث لا يشعرون[5] ، وقد اقتصرت على رد مطاعنهم في

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة : ٤٥٩/٢ .

(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك : ٤١٥/٤ ، الكامل في التاريخ : ١٧٩/٣ ، البداية والنهاية : ١٨٦/٧ ، وما بعدها .

(٣) انظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٣٠/٣ - ٤٠ ، كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة : ٤٩/١ - ٦٣ ، منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٧٣/٣ ، حق اليقين : ١٨٩/١ - ١٩٥ .

(٤) انظر كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة : ٦٠/٢ وما بعدها .

(٥) من القصص التي يذكرونها ويظنونها مدحاً له وهي في الحقيقة طعن فيه وقذف له بالكذب والأساطير المفتراة ما حكاه نعمة الله الجزائري في ذكره سبب تحريم عمر المتعة حسب زعمه حيث قال : =

الخلفاء الثلاثة في هذه المباحث المتقدمة لأن الثلاثة يعتبرون صدر الأمة المحمدية وهم وعليّ الذين أمرنا باتباع سننهم والاقتداء بآثارهم ، وقد تبين مما تقدم أن مطاعنهم في الخلفاء الثلاثة كلها أكاذيب مفتراة لم يستقم لهم منها شيء وكلها منشؤها يرجع إلى أمرين اثنين : إما نقص العلم وإما نقص الدين[1] لا شيء غيرهما أعاذنا الله من الخذلان .

* * *

= « ويحكى في سبب تحريم عمر لمتعة النساء أنه قد طلب أمير المؤمنين عليه السلام إلى منزله ليلة ، فلما مضى من الليل جانب طلب منه أن ينام عنده فنام فلما أصبح الصبح خرج عمر من داخل بيته معترضاً على أمير المؤمنين عليه السلام ، بأنك قلت : إنه لا ينبغي للمؤمن أن يبيت ليلة عزباً إذا كان في البلد وها أنت هذه اليلة بت عزباً ، فقال أمير المؤمنين : وما يدريك أنني بت عزباً وأنا هذه الليلة قد تمتعت بأختك فلانة فأسرها في قلبه ، حتى تمكن من التحريم فحرّمها . الأنوار النعمانية : ٢/٣٢٠ ، ورحم الله السلف الصالح الذين وصفوهم بأنهم أكذب الطوائف وأنهم امتازوا على غيرهم بإمعانهم في ارتكاب هذه الكبيرة التي هي الكذب ، فهذا الرجل ساق هذه الحكاية بصيغة التمريض ، ويريد أن يمدح بها علياً ولكنه زل من حيث لا يدري ، فعليّ رضي الله عنه أحد الرواة لتحريم المتعة على عهد الرسول ﷺ ، وولي الخلافة ولم ينقل أحد من الناس أن المتعة كانت حلالاً في خلافته أو على الأقل أحد أفتى بجوازها في عهده ، لم يوجد من ذلك شيء ومعنى هذا أنها محرمة إلى يوم القيامة كما يعلم ذلك عليّ وعلمتها أمة محمد – ﷺ – وأجمعت على ذلك ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا الشيعة الرافضة .

(١) انظر منهاج السنة : ٣/١٤١ .

★ المبحث الثامن ★

من مطاعنهم في حق أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

لم تسلم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً من طعن الشيعة الرافضة ومن تنقصهم وعيبهم ، فقد استحوذ الشيطان عليهم وتمكن منهم وحملهم على أن قالوا فيهن قولاً عظيماً ، وأكثر ما طعنوا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما يدل على خبث قلوبهم وعلى فساد عقولهم وليكن البدء في هذا المبحث بما طعنوا به على عائشة رضي الله عنها ، ثم نذكر ما قالوه من الطعن فيهن عموماً .

فمن مطاعنهم على عائشة – رضي الله عنها – : أنهم لم يرضوا تسميتها أم المؤمنين وزعموا أن الذي سماها بهذا الاسم هم أهل السنة والجماعة قال ابن المطهر الحلي : « وسموها أم المؤمنين ولم يسموا غيرها بذلك الاسم »[(1)] .

والرد على هذا الهذيان :

أنه من البهتان الواضح الظاهر لكل إنسان ولا يصدر هذا الإنكار إلا من معاند لما في كتاب الله عز وجل ، « إذ من المعلوم أن كل واحدة من أزواج النبي ﷺ يقال لها أم المؤمنين ، عائشة وحفصة وزينب بنت جحش وأم سلمة وسودة بنت زمعة وميمونة بنت الحارث الهلالية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وصفية بنت حيي بن أخطب الهارونية رضي الله عنهن ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[(2)] ، وهذا أمر معلوم للأمة علماً عاماً ، وقد أجمع المسلمون على تحريم نكاح هؤلاء بعد موته – ﷺ – على غيره

---

(1) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٩٨/٢ .

(2) سورة الأحزاب ، آية : ٦ .

وعلى وجوب احترامهن فهن أمهات المؤمنين في الحرمة والتحريم ولسن أمهات المؤمنين في المحرمية ، فلا يجوز لغير أقاربهن الخلوة بهن ولا السفر بهن كما يخلو الرجل ويسافر بذوات محارمه »[١] .

فالله تبارك وتعالى هو الذي سمى عائشة وغيرها من أزواج النبي ﷺ بأمهات المؤمنين ، وليس أهل السنة والجماعة هم الذين سموا عائشة بأم المؤمنين كما يزعم ذلك الشيعة الرافضة إذ لما عميت بصائرهم عما دل عليه الكتاب وانضم إلى ذلك جهلهم ظنوا أن أهل السنة والجماعة هم الذين سموها بذلك الاسم ، ونسوا أن الله – جل وعلا – هو الذي أكرم نساء نبيه بهذه الخصيصة الشريفة والمنقبة الرفيعة حيث جعلهن أمهات لجميع المؤمنين ومن شدة حقد وغل الرافضة لعائشة رضي الله عنها حسدوها على هذه التسمية الربانية بل وصل البغض ببعض الشيعة الرافضة إلى أن عاند تسمية الله لها بهذا الاسم وسماها « بأم الشرور »[٢] مع أن من تفوه به هو الأحق بهذا الاسم وأهله ، أما عائشة رضي الله عنها فقد سماها الله « بأم المؤمنين » على رغم أنف كل شيعي رافضي وليمت بغيظه من لم يرتض لها هذا الاسم الإلهي .

ومما طعنوا به على عائشة – رضي الله عنها – : الحديث الذي رواه البخاري عنها رضي الله عنها أنها قالت : « ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟، فيقول: « **إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد**»[٣].

ووجه طعنهم عليها رضي الله عنها بهذا الحديث أنهم استنبطوا منه بأفهامهم

---

(١) منهاج السنة : ١٩٨/٢ – ١٩٩ .

(٢) انظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ١٦١/٣ .

(٣) صحيح البخاري : ٣١٥/٢ .

المعكوسة وقلوبهم المنكوسة « أنها حسدت خديجة لما سمعت النبي ﷺ يكثر من مدحها وثنى عليها ، ولذلك عاتبته كما يزعمون فاعتذر إليها بإحسان خديجة إليه وحسن صحبتها له »[1] .

والرد على هذا الاستنباط الباطل :

أن الباعث لعائشة رضي الله عنها على قولها في الحديث هو الغيرة كما صرحت هي بذلك لا الحسد ، كما يزعمه الشيعة الرافضة والغيرة كما هو معلوم جبلة في النساء ولا مؤاخذة على الأمور الجبلية الناشئة عن الغيرة ، فلو صدر قول أو فعل مخالف للشرع تتوجه الملامة للغيرة ، وقد ورد أن بعض أمهات المؤمنين غارت على أخرى حين أرسلت إلى رسول الله ﷺ طعاماً وكان النبي ﷺ إذ ذاك في بيت من غارت ، فكسرت قصعة الطعام وانصب الطعام على الأرض ، فقام النبي - ﷺ - بجمع الطعام ويقول (غارت أمكم) ، ولم يعاتبها ولم يوبخها على ذلك وإنما غاية ما أمرها به أن تبدلها إناء بدل إنائها[2] فكيف يسوغ بعد هذا للشيعة الرافضة أن يجعلوا أمهات المؤمنين هدفاً لسهام مطاعنهم نعوذ بالله من الخسران .

ومن مطاعنهم في حق عائشة - رضي الله عنها - ما ذكره ابن المطهر الحلي بقوله الذي خاطب به أهل السنة والجماعة حيث قال : « وأعظموا أمر عائشة على باقي نسوانه مع أنه عليه السلام كان يكثر من ذكر خديجة بنت خويلد ، وقالت له عائشة إنك تكثر ذكرها وقد أبدلك الله خيراً منها فقال : « **والله ما بدلت بها ما هو خير منها صدَّقتني إذ كذبني الناس ، وآوتني إذ طردني الناس ، وأسعدتني بمالها ورزقني الله الولد منها ولم أرزق من غيرها** »[3] .

---

(١) انظر كتاب الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لعلي بن موسى بن طاووس الحسني الحسيني : ٢٩١/١ .

(٢) انظر سنن النسائي : ٧٠/٧ - ٧١ ، المسند : ١٤٨/٦ ، ٢٧٧ ، سنن أبي داود : ٢٦٧/٢ .

(٣) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٨٢/٢ .

والرد على هذا اللغو :

يقال لهم : « إن أهل السنة والجماعة لم يجمعوا على أن عائشة رضي الله عنها أفضل أمهات المؤمنين ، لكن ذهب الكثير منهم إلى ذلك واحتجوا على ذلك بمثل قوله عليه الصلاة والسلام : « **فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام** »[1] ، وبمثل قوله ﷺ من حديث عمرو بن العاص أنه قال : قلت يا رسول الله أي النساء أحب إليك ؟ ، قال : « **عائشة** » ، قلت : ومن الرجال ؟ ، قال : « **أبوها** » ، قلت : ثم من ؟ ، قال : « **عمر وسمى رجالاً** »[2] .

أما قولهم أنه قال لخديجة : « **ما أبدلني الله خيراً منها** » إن صح فمعناه « ما أبدلني خيراً لي منها فإن خديجة نفعته في أول الإسلام نفعاً لم يقم غيرها فيه مقامها ، فكانت خيراً له من هذا الوجه لكونها نفعته وقت الحاجة وعائشة صحبته في آخر النبوة وكمال الدين ، فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن يدرك إلا أول النبوة ، فكانت أفضل لهذه الزيادة فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها ، وبلغت من العلم والسنّ ما لم يبلغه غيرها ، فخديجة كان خيرها مقصوراً على نفس النبي ﷺ لم تبلّغ عنه شيئاً ، ولم تنتفع بها الأمة كما انتفعت بعائشة ، ولأن الدين لم يكن قد كمل حتى تعلمه ويحصل لها من كمالاته ما حصل لمن علم وآمن به بعد كماله ، ومعلوم أن من اجتمع همه على شيء واحد كان أبلغ ممن تفرق همه في أعمال متنوعة ، فخديجة رضي الله عنها خير له من هذا الوجه لكن أنواع البر لم تنحصر في ذلك – ولهذا كان من الصحابة من هو أعظم إيماناً وأكثر جهاداً بنفسه وماله كحمزة وعليّ وسعد بن معاذ ، وأسيد ابن حضير وغيرهم – هم أفضل ممن كان يخدم النبي ﷺ وينفعه في نفسه أكثر

---

(١) صحيح البخاري : ٣٠٨/٢ ، صحيح مسلم : ١٨٩٥/٤ .

(٢) صحيح مسلم : ١٨٥٦/٤ .

منهم كأبي رافع وأنس بن مالك وغيرهما - ولسنا في صدد ذكر تفصيل الكلام في تفضيل عائشة وخديجة رضي الله عنهما - لكن المقصود هنا أن أهل السنة مجمعون على تعظيم عائشة ومحبتها وأن نساءه أمهات المؤمنين اللواتي مات عنهن كانت عائشة أحبهن إليه وأعظمهن حرمة عند المسلمين »[١] .

والذي يشذ عن هذا الذي أجمع عليه المسلمون فشذوذه هذا يدل على مرض قلبه بداء النفاق والعياذ بالله .

ومن مطاعنهم في حق عائشة رضي الله عنها : « زعمهم أنها أذاعت سر رسول الله ﷺ »[٢] .

والرد على هذا :

يقال لهم : لا شك أن الله جل وعلا قال في محكم كتابه : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٣] .

وقد جاء في صحيح البخاري من حديث عبيد بن حنين ، قال : سمعت ابن عباس يقول : « أردت أن أسأل عمر رضي الله عنه ، فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ ؟ ، فما أتممت كلامي حتى قال : عائشة وحفصة »[٤] .

وهنا يقال عن الشيعة الرافضة : أنهم عمدوا أولاً إلى نصوص القرآن التي فيها ذكر ذنوب ومعاصي بينة ، لمن نصت عنه من المتقدمين ، ثم يعمدون إلى تأويلها بأنواع التأويلات وأهل السنة يقولون : إن أصحاب الذنوب تابوا منها

---

(١) انظر منهاج السنة : ١٨٢/٢ - ١٨٣ .

(٢) انظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٨٤/٢ ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف : ٢٩٢/١ .

(٣) سورة التحريم آية : ٣ .

(٤) صحيح البخاري : ٢٠٦/٣ .

ورفع الله درجاتهم بالتوبة .

ويقال لهم ثانياً : بتقدير أن يكون هناك ذنب لعائشة وحفصة فيكونان قد تابتا منه ، هذا ظاهر بنص قوله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾[1] ، فدعاهما الله تعالى إلى التوبة ولا يظن بهما أنهما لم يتوبا مع ما ثبت من علو درجتهما ، وأنهما زوجتا نبينا في الجنة ، وأن الله خيرهن بين الحياة الدنيا وزينتها وبين الله ورسوله والدار الآخرة فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، ولذلك حرم الله على رسوله أن يستبدل بهن غيرهن وحرم عليه أن يتزوج عليهن واختلف في إباحة ذلك له بعد ذلك[2] ، ومات عنهن وهن أمهات المؤمنين بنص القرآن – ثم إن – الذنب يزول عقابه بالتوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة .

ويقال ثالثاً : إن المذكور عن أزواج النبي ﷺ كالمذكور عمن شهد له بالجنة من أهل بيته وغيرهم من الصحابة ، فإن علياً لما خطب ابنة أبي جهل على فاطمة ، وقام النبي ﷺ خطيباً فقال : « **إن بني المغيرة استأذنوني أن ينكحوا علياً ابنتهم وإني لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم إنما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها** »[3] ، فلا يظن بعلي رضي الله عنه أنه ترك الخطبة في الظاهر فقط ، بل تركها بقلبه وتاب بقلبه عما كان طلبه وسعى فيه .

وكذلك لما صالح النبي ﷺ المشركين يوم الحديبية وقال لأصحابه : « **انحروا واحلقوا رؤوسكم** » فلم يقم أحد فدخل مغضباً على أم سلمة ، فقالت : من أغضبك أغضبه الله ؟ ، فقال : « **ما لي لا أغضب وأنا آمر بالأمر فلا يطاع** »

---

(١) سورة التحريم ، آية : ٤ .

(٢) انظر الأقوال في ذلك أحكام القرآن لابن العربي : ١٥٧٠/٣ – ١٥٧١ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٢١٩ – ٢٢٠ .

(٣) صحيح البخاري : ٢٦٥/٣ .

فقالت : يا رسول الله أدع بهديك فانحره وأمر الحلاق فليحلق رأسك »[1] وأمر علياً أن يمحو اسمه فقال : والله لا أمحوك ، فأخذ الكتاب من يده ومحاه »[2] ، فمعلوم أن تأخر علي وغيره من الصحابة عما أمروا به حتى غضب النبي ﷺ ، إذا قال القائل : هذا ذنب كان جوابه كجواب القائل : إن عائشة أذنبت في ذلك فمن الناس من يتأول ويقول إنما تأخروا متأولين لكونهم كانوا يرجون تغيير الحال بأن يدخلوا مكة ، وآخر يقول : لو كان لهم تأويل مقبول لم يغضب النبي ﷺ بل تابوا من ذلك التأخير ورجعوا عنه مع أن حسناتهم تمحو مثل هذا الذنب وعلي داخل في هؤلاء رضي الله عنهم أجمعين[3] . وبهذا يبطل طعن الشيعة الرافضة على عائشة وحفصة رضي الله عنهما بأنهما أذاعتا سر رسول الله ﷺ كما يزعمون وأنه على تقدير ثبوته فقد أحدثا منه توبة لأن الله دعاهما إلى ذلك ولا يجوز لأحد أن يلوم أحداً ، أو يعيره بذنب قد تاب منه .

ومما طعنوا به على عائشة رضي الله عنها زعمهم :

« أن النبي ﷺ قال لها : إنك تقاتلين علياً وأنت ظالمة »[4].

والرد على هذا الاختلاق :

أنه لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة ولا له إسناد معروف وهو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة ، بل هو كذب قطعاً .

فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال ، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين ، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها[5].

---

(١) انظر الحديث في صحيح البخاري : ١٢٢/٢ ، المسند : ٣٣١/٤.

(٢) انظر الحديث في صحيح البخاري : ١٢٢/٢ ، صحيح مسلم : ١٤٠٩/٣ - ١٤١١ .

(٣) انظر السنة : ١٨٤/٢ - ١٨٥ ، وانظر مختصر التحفة الاثني عشرية : ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٤) انظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة: ١٨٣/٢، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: ١٦٤/٣.

(٥) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ١٨/٨. سير أعلام النبلاء : ١٧٧/٢ ، الدر المنثور : ٦٠٠/٦.

وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال ، فندم طلحة والزبير وعلي[1] رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال ، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم فإنه لما تراسل علي وطلحة والزبير وقصدوا الاتفاق على المصلحة وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة وكان علي رضي الله عنه غير راض بقتل عثمان ولا معيناً عليه كما كان يحلف فيقول « والله ما قتلت ولا مالأت على قتله »[2] وهو الصادق في يمينه فخشي القتلة أن يتفق علي معهم على إمساك القتلة ، فحملوا على عسكر طلحة والزبير فظن طلحة والزبير أن علياً حمل عليهم فحملوا دفعاً عن أنفسهم ، فظن علي أنهم حملوا عليه فحمل دفعاً عن نفسه فوقعت الفتنة بغير اختيارهم وعائشة راكبة لا قاتلت ولا أمرت بالقتال ، هكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار »[3] .

ومن مطاعنهم التي تناولوا بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : قولهم « إنها خالفت أمر الله في قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[4]، حيث خرجت في ملأ من الناس لتقاتل علياً على غير ذنب لأن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان »[5] .

والرد على هذا أنه باطل من وجوه :

الوجه الأول : أنها لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى ، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها كما لو خرجت للحج والعمرة أو

---

(١) قال رضي الله عنه يوم الجمل كما في مصنف ابن أبي شيبة : ٢٨٢/١٥ : « وددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة » .

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير : ٢١٢/٧ .

(٣) منهاج السنة : ١٨٥/٢ .

(٤) سورة الأحزاب ، آية : ٣٣ .

(٥) انظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٨٣/٢ ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف : ٢٩٣/١ ، مقدمة مرآة العقول لمرتضى العسكري ٥٠/١ ، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ١٦١/٣ ، الأنوار النعمانية : ٢١٥/٢ - ٢١٦ .

خرجت مع زوجها في سفر ، فإن هذه الآية نزلت في حياته ﷺ ، وقد سافر بهن بعد ذلك في حجة الوداع سافر بعائشة رضي الله عنها وغيرها وأرسلها مع عبد الرحمٰن أخيها وأردفها خلفه وأعمرها من التنعيم وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية ، ولهذا كن أزواج النبي ﷺ يحججن كما حججن في خلافة الفاروق ، وكان يوكل بقطارهن عثمان أو عبد الرحمٰن بن عوف وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزاً فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين ، فتأولت في هذا – واجتهدت والمجتهد إذا أصاب في اجتهاده كان له أجران– وإذا كان مخطئاً فالخطأ مغفور بالكتاب والسنة »[1].

قال العلامة ابن العربي مبيناً بطلان طعن الرافضة على عائشة بآية الأحزاب السابقة : « تعلق الرافضة – لعنهم الله – بهذه الآية على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، إذ قالوا : « إنها خالفت أمر الله وأمر رسوله ﷺ وخرجت تقود الجيوش وتباشر الحروب وتقتحم مآزق الحرب والضرب فيما لم يفرض عليها ولا يجوز لها ، ولقد حصر عثمان فلما رأت ذلك أمرت برواحلها فقربت لتخرج إلى مكة ، فقال لها مروان بن الحكم : يا أم المؤمنين أقيمي ها هنا وردي هؤلاء الرعاع عن عثمان ، فإن الإصلاح بين الناس خير من حجك .

وقال علماؤنا – رحمة الله عليهم – : « إن عائشة كانت نذرت الحج قبل الفتنة ، فلم تر التخلف عن نذرها وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب ، ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة ، وتهارج الناس ، ورجوا بركتها في الإصلاح وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت إلى الخلق وظنت هي ذلك ، فخرجت مقتدية بالله في قوله : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[2] ، وبقوله : ﴿ وَإِن

---

(١) منهاج السنة : ٢/١٨٥ – ١٨٦ ، وانظر مختصر التحفة الاثني عشرية : ٢٦٨ – ٢٦٩ .

(٢) سورة النساء آية : ١١٤ .

﴿طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾[1] ، والأمر بالإصلاح مخاطب به جميع الناس من ذكر وأنثى ، حر أو عبد ، فلم يرد الله بسابق قضائه ونافذ حكمه أن يقع إصلاح ، ولكن جرت مطاعنات وجراحات حتى كاد يفنى الفريقان ، فعمد بعضهم إلى الجمل فعرقبه ، فلما سقط الجمل لجنبه أدرك محمد بن أبي بكر عائشة ، فاحتملها إلى البصرة ، وخرجت في ثلاثين امرأة قرنهن عليّ بها حتى أوصلوها إلى المدينة ، برة تقية مجتهدة مصيبة ثابتة فيما تأولت مأجورة فيما تأولت وفعلت إذ كل مجتهد في الأحكام مصيب[2] ، وقد بينا في كتب الأصول تصويب الصحابة في الحروب ، وحمل أفعالهم على أجمل تأويل »[3] .

الوجه الثاني : أما زعمهم أنها خرجت في ملأ من الناس تقاتل علياً على غير ذنب فهذا كذب عليها فإنها لم تخرج لقصد القتال ، ولا كان أيضاً طلحة والزبير قصدهما القتال لعليّ ، ولو قدر أنهما قصدا القتال فهذا هو القتال المذكور في قوله تعالى : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾[4]، فجعلهم مؤمنين إخوة في الاقتتال، وإذا كان هذا ثابتاً لمن هو دون أولئك من المؤمنين فهم به أولى وأحرى .

الوجه الثالث : أما زعمهم أن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان ، فهذا أيضاً

---

(١) سورة الحجرات ، آية : ٩ .

(٢) هذا إذا كان المراد إصابة الأجر فهو صحيح لقوله ﷺ « **إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر** » وإن كان المقصود إصابة الحق ففيه نظر للحديث لأن فيه أصاب وأخطأ . والحديث رواه الشيخان . انظر صحيح البخاري : ٤/٢٦٨ ، صحيح مسلم : ٣/١٣٤٢ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي : ٣/١٥٣٥ - ١٥٣٦ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٤/١٨١ - ١٨٢ .

(٤) سورة الحجرات ، آية : ٩ - ١٠ .

من أظهر الكذب وأبينه ، فإن جماهير المسلمين لم يأمروا بقتله ولا شاركوا في قتله ، ولا رضوا بقتله ، فإن أكثر المسلمين لم يكونوا بالمدينة بل كانوا بمكة واليمن والشام والكوفة والبصرة ومصر وخراسان وخيار المسلمين لم يدخل واحد منهم في دم عثمان لا قتل ولا أمر بقتله ، وإنما قتله طائفة من المفسدين في الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن ، وكان عليّ رضي الله عنه يحلف دائماً : « إني ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله » ، ويقول : « اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل »[1] .

لكن الرافضة لم يهتدوا لمعرفة براءة عليّ ، من دم عثمان بل كذبوا عليه حيث قالوا « إنه كان راضياً بقتل عثمان » .

قال عبد الله شبر : « والعجب من المخالفين[2] أنهم يستدلون على حقية خلافة المشايخ بسكوت عليّ الدال على رضاه ، ولا يستدلون بسكوته عن قتل عثمان على رضاه »[3] .

وهذا من أظهر الكذب على عليّ رضي الله عنه من الشيعة الرافضة وقد قدمنا في المبحث الذي قبل هذا براءة عليّ من دم عثمان وعدم رضاه بذلك وأن الشيعة كاذبون مفترون عليه في أنه كان راضياً بقتله وهذا من طعنهم في علي رضي الله عنه .

ومما طعنوا به على عائشة – رضي الله عنها – : « زعمهم عليها أنها كانت في كل وقت تأمر بقتل عثمان وتقول : اقتلوا نعثلاً[4] قتل الله نعثلاً ولما بلغها

---

(١) انظر منهاج السنة : ٢/١٨٦ .

(٢) يقصد أهل السنة والجماعة .

(٣) حق اليقين في معرفة أصول الدين : ١/١٩٢ .

(٤) كان أعداء عثمان يسمونه نعثلاً تشبيهاً برجل من مصر كان طويل اللحية اسمه « نعثل » . النهاية في غريب الحديث : ٥/٧٩ – ٨٠ .

قتله فرحت بذلك »[1] .

والرد على هذا الزور :

يقال لهم : أولاً : أين النقل الصحيح الذي يثبت هذا عن عائشة .

ويقال ثانياً : إن المنقول عن عائشة يكذب ذلك ويبين أنها أنكرت قتله وذمت من قتله[2] . ودعت على أخيها محمد وغيره[3] لمشاركتهم في ذلك .

ويقال لهم ثالثاً : على سبيل الفرض إن واحداً من الصحابة عائشة أو غيرها قال في ذلك كلمة على وجه الغضب لإنكاره بعض ما ينكر ، فليس قوله حجة ولا يقدح في إيمان القائل ولا المقول له ، بل قد يكون كلاهما ولياً لله تعالى من أهل الجنة ، ويظن أحدهما جواز قتل الآخر بل يظن كفره وهو مخطيء في هذا الظن كما ثبت في الصحيحين عن عليّ وغيره في قصة حاطب بن أبي بلتعة وكان من أهل بدر والحديبية أن غلامه قال : يا رسول الله والله ليدخلن حاطب النار ، فقال له النبي ﷺ : « **كذبت إنه شهد بدراً والحديبية** »[4] .

وفي حديث عليّ أن حاطب كتب إلى المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ لما أراد غزوة الفتح فأطلع الله نبيه على ذلك ، فقال لعليّ والزبير : « **اذهبا حتى تأتيا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب** » فلما أتيا بالكتاب قال : « **ما هذا يا حاطب** » ، فقال : والله يا رسول الله ما فعلت هذا ارتداداً ولا رضا بالكفر ولكن كنت امرأ ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم بمكة قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ، فقال عمر رضي الله عنه : دعني أضرب

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٨٣/٢ ، وانظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٣٠/٣ ، ص ١٦٤ ، الأنوار النعمانية : ٢١٦/٢ .

(٢) انظر ما جاء في إنكارها قتل عثمان . تاريخ خليفة بن خياط ، ص : ١٧٥ - ١٧٦ .

(٣) انظر المصنف لابن أبي شيبة : ٢٧٧/١٥ ، تاريخ الطبري : ٥١٣/٤ .

(٤) الحديث في صحيح مسلم : ١٩٤٢/٤ من حديث جابر رضي الله عنه .

عنق هذا المنافق ، فقال : « **إنه شهد بدراً وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** » وأنزل الله تعالى فيه أول سورة الممتحنـــــة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾[1] الآيات ، وهذه القصة مما اتفق أهل العلم على صحتها ، وهي متواترة عندهم معروفة عند علماء التفسير وعلماء المغازي والسير والتواريخ وعلماء الفقه وغير هؤلاء ، وكان رضي الله عنه يحدث بهذا الحديث في خلافته بعد الفتنة ، وروى ذلك عنه كاتبه عبد الله بن أبي رافع ليبين لهم أن السابقين مغفور لهم ولو جرى منهم ما جرى ، وعثمان وطلحة والزبير أفضل باتفاق المسلمين من حاطب بن أبي بلتعة ، وكان حاطب مسيئاً إلى مماليكه وكان ذنبه في مكاتبته للمشركين وإعانتهم على النبي ﷺ وأصحابه أعظم من الذنوب التي تضاف إلى هؤلاء ومع هذا فالنبي ﷺ نهى عن قتله وكذب من قال إنه يدخل النار لأنه شهد بدراً والحديبية وأخبر بمغفرة الله لأهل بدر ، ومع هذا فقال عمر رضي الله عنه : « دعني أضرب عنق هذا المنافق » فسماه منافقاً واستحل قتله ، ولم يقدح ذلك في إيمان واحد منهما ولا في كونه من أهل الجنة »[2] .

وبهذا الرد يبطل زعم الرافضة أن عائشة كانت في وقت تأمر بقتل عثمان وتقول في كل وقت «اقتلوا نعثلاً» ولما بلغها قتله فرحت بذلك، وأن هذا من اختلاق الرافضة وأكاذيبهم عليها وكلمة «نعثل» لم تعرف إلا من ألسنة قتلة عثمان رضي الله عنه وأول من تفوه بهذه الكلمة منهم جبلة بن عمرو الساعدي وقد جاء بجامعة[3] في يده وقال مجاهراً بوقاحته مخاطباً عثمان رضي الله عنه : « يا نعثل والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوص جرباء ولأخرجنك إلى حرة النار »[4] .

---

(١) انظر الحديث في صحيح البخاري : ٣/٢٠٠ ، صحيح مسلم : ٤/١٩٤١ – ١٩٤٢ .

(٢) منهاج السنة : ٢/١٨٨ – ١٨٩ .

(٣) الجامعة : الغل يوضع في العنق .

(٤) تاريخ الأمم والملوك : ٤/٣٦٥ .

ولما تفوه بهذه الكلمة الخبيثة يوم الدار كانت عائشة رضي الله عنها حينذاك في مكة تلبي ربها عز وجل وتوجه قلبها إليه ولم تطرق هذه اللفظة سمعها إلا بعد رجوعها من مكة رضي الله عنها وأرضاها .

ومن مطاعنهم في حق عائشة رضي الله عنها : « أنهم يزعمون أنها سألت بعد أن قتل عثمان من تولى الخلافة ، قالوا : عليّ ، فخرجت لقتاله على دم عثمان - ثم يقولون - وأي ذنب كان لعليّ في ذلك »[1] .

والرد على هذا الزور :

يقال لهم : إن القول بأن عائشة وطلحة والزبير اتهموا علياً بأنه قتل عثمان وقاتلوه على ذلك كذب ظاهر وإنما طلبوا القتلة الذين كانوا تحيزوا إلى عليّ وهم يعلمون أن براءة عليّ من دم عثمان كبراءتهم وأعظم ، لكن قتلة عثمان كانوا قد أووا إليه فطلبوا قتل القتلة ، ولكن كانوا عاجزين عن ذلك هم وعليّ لأن القوم كانت لهم قبائل يذبون عنهم ، والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء فصار الأكابر رضي الله عنهم عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها وهذا شأن الفتن كما قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾[2] وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله - وأما قولهم - « فأي ذنب كان لعليّ في قتله » فهذا تناقض منهم - فإن الرافضة يقولون : « إن علياً كان ممن يستحل قتل عثمان وترى الإعانة على قتله من الطاعات والقربات ، فكيف يقول من هذا اعتقاده أي ذنب كان لعليّ على ذلك وإنما يليق هذا التنزيه لعليّ بأقوال أهل السنة لكن الرافضة من أعظم الناس تناقضاً »[3] .

ومن مطاعن الرافضة على عائشة - رضي الله عنها - « أنهم ينقمون عليها

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٨٣/٢ .

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٢٥ .

(٣) منهاج السنة : ١٩٢/٢

مرافقة طلحة والزبير لها عندما توجهت إلى البصرة للطلب بدم عثمان ، وقصد الإصلاح بين بنيها » .

قال ابن المطهر الحلي : « وكيف استجاز طلحة والزبير وغيرهما مطاوعتها على ذلك وبأي وجه يلقون رسول الله ﷺ مع أن الواحد منا لو تحدث مع امرأة غيره أو أخرجها من بيتها أو سافر بها كان أشد الناس عداوة له »[1] .

والرد على هذا الهذيان :

يقال لهم : هذا من تناقضكم وجهلكم معشر الرافضة ، فإنكم ترمون عائشة بالعظائم ثم منكم من يرميها بالفاحشة التي برأها الله منها[2] وأنزل بتبرئتها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ، والعجب من أمر هؤلاء فإنهم يعظمون عائشة في هذا المقام من أجل الطعن في طلحة والزبير ولا يعلمون أن طعنهم هذا إن كان متوجهاً إليهما ، فالطعن في علي بذلك أوجه ، فإن طلحة والزبير كانا معظمين لعائشة موافقين لها مؤتمرين بأمرها ، وهما وهي من أبعد الناس عن الفواحش والمعاونة عليها ، فإن جاز للروافض أن يقدحوا فيهما بقولهم : « بأي وجه يلقون رسول الله ﷺ مع أن الواحد منا لو تحدث مع امرأة غيره حتى أخرجها من منزلها وسافر بها ... إلخ ، كان للنواصب أن يقولوا : بأي وجه يلقى رسول الله ﷺ من قاتل امرأته وسلط عليها أعوانه حتى عقروا بها بعيرها وسقطت من هودجها وأعداؤها حولها يطوفون بها كالمسبية التي أحاط بها من يقصد سباءها ، ومعلوم أن هذا في مظنة الإهانة لأهل الرجل ... ولم يكن طلحة والزبير لا غيرهما من الأجانب يحملونها ، بل كان في المعسكر من محارمها مثل عبد الله بن الزبير ابن أختها ، وخلوته بها ومسه لها جائز بالكتاب والسنة والإجماع ، وكذلك سفر المرأة مع ذي محرمها جائز بالكتاب والسنة والإجماع ، وهي لم تسافر إلا مع ذي

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٨٣/٢ .

(٢) انظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ١٦٥/٣ .

محرمها ، وأما العسكر الذين قاتلوها فلولا أنه كان في العسكر محمد بن أبي بكر مد يده إليها لمد يده إليها الأجانب ، ولهذا دعت عائشة رضي الله عنها على من مد يده إليها ، وقالت : « يد من هذه أحرقها الله بالنار » ؟ ، فقال : « أي أخت في الدنيا قبل الآخرة » فقالت : « في الدنيا قبل الآخرة » فأحرق بالنار بمصر[1] .

وبهذا الرد يبطل طعن الرافضة على عائشة رضي الله عنها بمطاوعة طلحة والزبير لها وخروجهما معها إلى البصرة وأن طعنهم الذي يوجهونه إلى طلحة والزبير ينقلب ما هو أعظم منه في حق علي رضي الله عنه ، فإن قالوا إن علياً كان مجتهداً فيما فعل وأنه أولى بالحق من طلحة والزبير يقال لهم أيضاً : وطلحة والزبير كانا مجتهدين .

ومما طعنوا به على عائشة – رضي الله عنها – زعمهم : « أن عسكرها لما أتوا البصرة نهبوا بيت المال وأخرجوا عامل علي عثمان بن حنيف الأنصاري مهاناً مع أنه من صحابة رسول الله ﷺ »[2] .

والرد على هذا :

إن هذه الأمور لم تقع برضاء عائشة ولا علمت بهذا العمل حتى أنها لما علمت ما حصل في حق عثمان بن حنيف اعتذرت له واسترضته ، ومثل هذا العمل وقع من عسكر علي رضي الله عنه مع أبي موسى الأشعري ، فقد أحرقوا بيته ونهبوا متاعه لما دخلوا الكوفة ومنهم مالك الأشتر[3] .

وما حصل من هؤلاء وهؤلاء لا يسوّغ الطعن لا في عائشة ولا في علي

---

(١) منهاج السنة : ١٩٤/٢ – ١٩٥ ، وانظر خبر إحراق محمد بن أبي بكر . تاريخ خليفة بن خياط ، ص : ١٩٢ ، تاريخ الطبري : ١٠٤/٥ – ١٠٥ .

(٢) ذكر هذا الألوسي في مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٦٩ ، وانظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ١٦٤/٣ .

(٣) مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص : ٢٦٩ .

رضي الله عنهما ، فطعنهم على عائشة بهذا واضح البطلان .

ومن مطاعنهم في حق عائشة - رضي الله عنها - أنهم يقولون : « كيف أطاعها على خروجها إلى البصرة عشرات الآلاف من المسلمين وساعدوها على حرب علي ولم ينصر أحد منهم بنت رسول الله ﷺ لما طلبت حقها من أبي بكر ، ولا شخص واحد كلّمه بكلمة واحدة »[1] .

والرد على هذا :

يقال لهم : إن قولكم هذا من أعظم الحجج عليكم ، فإنه لا يشك عاقل أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يحبون النبي ﷺ ويعظمونه ويعظمون قبيلته وبنته أعظم من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولو لم يكن هو رسول الله ﷺ فكيف إذا كان هو رسول الله ﷺ الذي هو أحب إليهم من أهليهم وأنفسهم فلا يستريب عاقل أن قريشاً وغير قريش كانت تدين لبني عبد مناف وتعظمهم أعظم مما يعظمون بني تيم وعدي ولهذا لما مات رسول الله ﷺ وتولى أبو بكر قيل لأبي قحافة « مات رسول الله ﷺ » ، فقال : « حدث عظيم ، فمن ولي بعده ؟ » قالوا : ابنك ، قال : وهل رضيت بذلك بنوعبد مناف وبنو المغيرة ؟ قالوا : نعم ، قال : لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع »[2] .

فإذا كان المسلمون كلهم ليس فيهم من قال : إن فاطمة رضي الله عنها مظلومة ولا أن لها حقاً عند أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا أنهما ظلماها ولا تكلم أحد في هذا بكلمة واحدة ، دل ذلك على أن القوم كانوا يعلمون أنها ليست مظلومة ، إذ لو علموا أنها مظلومة لكان تركهم لنصرتها إما عجزاً عن نصرتها وإما إهمالاً وإضاعة لحقها ، وإما بغضاً فيها ، إذ الفعل الذي يقدر عليه

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٨٣/٢ ، وانظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ١٦١/٣ - ١٦٢ ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف : ٢٩٢/١ وما بعدها .

(٢) طبقات ابن سعد : ١٨٤/٣ ، الاستيعاب على حاشية الإصابة : ٢٤٧/٢ .

الإنسان إذا أراده إرادة جازمة فعله لا محالة ، فإذا لم يرده – مع قيام المقتضي لإرادته – فإما أن يكون جاهلاً به ، أو له معارض يمنعه من إرادته ، فلو كانت مظلومة مع شرفها وشرف قبيلتها وأقاربها وأن أباها أفضل الخلق وأحبهم إلى أمته وهم يعلمون أنها مظلومة ، لكانوا إما عاجزين عن نصرتها ، وإما أن يكون لهم معارض عارض إرادة النصر من بغضها ، وكلا الأمرين باطل ، فإن القوم ما كانوا كلهم عاجزين أن يتكلم واحد منهم بكلمة حق وهم كانوا أقدر على تغيير ما هو أعظم من هذا ، وأبو بكر لم يكن ممتنعاً من سماع كلام أحد منهم ولا هو معروفاً بالظلم والجبروت واتفاق هؤلاء كلهم مع توفر دواعيهم على بغض فاطمة مع قيام الأسباب الموجبة لمحبتها مما يعلم بالضرورة امتناعه »[1] .

فلا استقامة لطعن الشيعة الرافضة على عائشة رضي الله عنها بمن خرج معها من الصحابة إلى البصرة وأن دعواهم أن ذلك العدد من الصحابة الذي يذكرونه أنهم نصروا عائشة على حرب علي ولم ينصروا ابنته على طلب حقها كل ذلك كذب وتمحل فعائشة ومن معها لم يخرجوا لحرب علي وقتاله كما يزعم ذلك الرافضة ، وإنما كان خروج عائشة ومن معها لقصد الإصلاح بإقامة حد القصاص على قتلة عثمان ، ومن جهلهم أنهم يستدلون بأدلة هي حجة عليهم فعندما يقولون إن عشرات الآلاف كانوا مناصرين لها ولم ينصروا فاطمة لما طلبت حقها ولم يتكلم أحد منهم ولا بكلمة واحدة ، فهذا من أكبر الأدلة على أنها لم تهضم ولم تظلم مثقال حبة من خردل ، وما يذكره الرافضة من أنها ظلمت من قبل الصديق أو الفاروق كله من القول بالباطل الذي لا صحة له ولا ثبوت بحال من الأحوال ، ويكفينا هنا في هذا المبحث ما تقدم ذكره من مطاعنهم في أم المؤمنين ليعرف القارىء منزلة أم المؤمنين وحبيبة رسول رب العالمين عند الشيعة الرافضة وهي مطاعن كلها أكاذيب مختلقة وتقول عليها بما لم يثبت عليها أو يصدر

---

(١) منهاج السنة : ١٩٦/٢ .

منها رضي الله عنها وأرضاها .

وأما مطاعنهم على سبيل العموم في أمهات المؤمنين جميعاً فيكفي أن نسوق في ذلك روايتين : -

* **الأولى** : ما رواه الكشي : عن ابن عباس من حديث طويل وفيه : « لما هزم علي بن أبي طالب أصحاب الجمل ، بعث عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل وقلة العرجة ، قال ابن عباس : « فأتيتها وهي في قصر خلف في جانب البصرة ، قال : فطلبت الإذن عليها ، فلم تأذن ، فدخلت عليها من غير إذنها - وفيه أنه قال لها - : وما أنت إلا حشية[1] من تسع حشايات خلفهن بعده لست بأبيضهن لوناً ولا بأحسنهن وجهاً ، ولا بأرشحهن عرقاً ولا بأنضرهن ورقاً ولا بأطرئهن أصلاً ، قال ابن عباس : ثم نهضت وأتيت أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته بمقالتها وما رددت عليها ، قال علي : أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك »[2] .

* **الثانية** : قال الطبرسي : وروي عن الباقر « ع » أنه قال : لما كان يوم الجمل وقد رشق هودج عائشة بالنبل ، قال أمير المؤمنين « ع » : والله ما أراني إلا مطلقها فأنشد الله رجلاً سمع من رسول الله ﷺ يقول : « **يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي** » لما قام فشهد ؟ فقال : فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدريان فشهدوا : أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب « ع » « **يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي** » قال : فبكت عائشة حتى سمعوا بكاءها[3] ... الحديث .

هاتان الروايتان فيهما بيان موقفهم من نساء النبي الطاهرات المطهرات من

---

(١) الحشية : الفراش المحشو بغيره . انظر لسان العرب : ١٤/١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) رجال الكشي ، ص : ٥٧ - ٦٠ .

(٣) الاحتجاج للطبرسي : ١/١٦٤ .

كل رجس .

فالرواية الأولى التي هي رواية الكشي : تبين مكانة أمهات المؤمنين عند الشيعة الرافضة وهي كما نرى أنه لا مكانة لهن عندهم ، ولا قيمة لهن لديهم وأنهن بمنزلة الفراش المحشو بغيره فلا يكرمونهن ولا يحترمونهن .

والرواية الثانية التي هي رواية الطبرسي فيها بيان أنهم يعتقدون أن لعلي رضي الله عنه حق فصم عصمتهن من الرسول ﷺ وحاشا علياً وابن عباس أن يصدر عنهما ما ذكر في هاتين الروايتين وما ذكر فيهما إن هو إلا اختلاق وكذب وإفك عليهما ، فقد أجمع أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف وقد عرفوا بامتيازهم بكثرة الكذب »[1] ولذا فهم يكثرون من ذكر القصص التي فيها عيب وتنقص للصحابة ويوردونها بدون أسانيد ، ومن السهل على كل أحد أن يذكر ما شاء بدون إسناد ورحم الله عبد الله بن المبارك حيث قال : « الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء »[2] .

وهذا دأب الرافضة يكيلون المثالب في الصحابة بدون وازع ديني يردعهم ولا ضمير يؤنبهم ، وهذا لا يخفى على من يعرف ما لهم في هذا الباب من المصنفات وأن جميع مطاعنهم واعتراضاتهم على الصحابة من قبيل الهذيان نسأل الله العصمة من الضلالة والخذلان .

ونختم هذا المبحث بما يجب التنبيه عليه وهو أن مطاعن الشيعة الرافضة في الصحابة نوعان : —

* **أحدهما** : ما هو كذب إما كذب كله وإما محرف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرجه إلى الذم والطعن .

---

(١) انظر منهاج السنة : ١٣/١ .

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه : ١٥/١ ، شرح السنة للبغوي : ٢٤٤/١ .

* **النوع الثاني** : ما هو صدق وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها عن أن تكون ذنوباً وتجعلها من موارد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب ، وما قدر من هذه الأمور ذنباً محققاً فإن ذلك لا يقدح فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة منها التوبة الماحية ، ومنها الحسنات الماحية للذنوب ، فإن الحسنات يذهبن السيئات ، ومنها المصائب المكفرة ، ومنها دعاء المؤمنين بعضهم لبعض وشفاعة نبيهم فما من سبب يسقط به الذم والعقاب عن أحد من الأمة إلا والصحابة أحق بذلك ، فهم أحق بكل مدح ونفي كل ذم ممن بعدهم من الأمة »[1] .

* * *

(١) منهاج السنة النبوية : ١٩/٣ .

★ المبحث التاسع ★

آثار عن السلف في ذم الرافضة

بعد أن أسلفنا في المباحث السابقة ما بلغ إليه الرافضة من موقف سيء نحو خيار الأمة المحمدية وهم الصحابة الكرام عموماً وخصوصاً كما رأينا كذلك معتقدهم في أمهات المؤمنين الطيبات الطاهرات من كل رجس ودنس وعُلِم منه أنه موقف يدل على خبث معتقده وأنه مناف للإيمان بالنبي- ﷺ- والقرآن، وجدنا أن سلف هذه الأمة ذموا الرافضة بما وجد فيهم من صفات ذميمة سيئة مختلفة .

فمما ذمهم به السلف الصالح عليهم رحمة الله ورضوانه أنهم أجمعوا على أن الرافضة أكذب الطوائف وأن الكذب فيهم قديم وأنهم امتازوا بكثرة الكذب[1] فلم يقبلوا منهم الحديث ويردوا ما روي عنهم من الأحاديث لجرأتهم على الكذب .

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : قال أبو حاتم الرازي : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : قال أشهب بن عبد العزيز : سئل مالك عن الرافضة ، فقال : « لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون » .

وقال أيضاً : قال أبو حاتم الرازي حدثنا حرملة ، قال : سمعت الشافعي يقول : « لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضة » .

وقال مؤمل بن إهاب : سمعت يزيد بن هارون يقول : « نكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية إلا الرافضة فإنهم يكذبون »[2] .

---

(١) انظر منهاج السنة : ١٣/١ .

(٢) هذه الآثار الثلاثة أوردها شيخ الإسلام في المصدر السابق أيضاً : ١٣/١ . وانظر قول الشافعي في كتاب أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي : ١٤٥٧/٧ .

وروى مسلم رحمه الله في مقدمة صحيحه عن عليّ بن شقيق، قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول على رؤوس الناس: « دعوا حديث عمرو بن ثابت[1] فإنه كان يسب السلف »[2].

وقال يحيى بن معين رحمه الله في تليد بن سليمان المحاربي: « كذاب كان يشتم عثمان وكل من شتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ دجال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »[3].

وقال أبو العرب[4]: « من لم يحب الصحابة فليس بثقة ولا كرامة »[5].

وقال الإمام الذهبي في ترجمة إبان بن تغلب الكوفي بعد أن ذكر أنه ثقة وهو شيعي جلد، قال: « فلقائل أن يقول كيف ساغ توثيق مبتدع وحد الثقة العدالة والإتقان؟، فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة، وجوابه على ضربين:

فبدعة صغرى كغلو التشيع أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرُّق فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رُد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهذه مفسدة بينة، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والدعاء إلى ذلك فهذا النوع لا يحتج به ولا كرامة، وأيضاً: فما أستحضر الآن في هذا الضرب رجلاً صادقاً ولا مأموناً بل الكذب شعارهم والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذا حاله حاشا وكلا، فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم

---

(١) هو عمرو بن ثابت بن هرمز البكري أبو محمد ويقال أبو ثابت الكوفي من الثامنة. التقريب: ٦٦/٢، تهذيب التهذيب: ٩/٨ - ١٠.

(٢) مقدمة صحيح مسلم: ١٦/١.

(٣) تهذيب التهذيب: ٥٠٩/١.

(٤) هو: محمد بن أحمد بن تميم المغربي الإفريقي من أولاد أمراء المغرب توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة، انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ: ٨٩١/٣ - ٨٩٢.

(٥) هدي الساري، ص: ٣٨٩.

في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب علياً رضي الله عنه وتعرض لسبهم والغالي في زماننا وعُرْفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضاً : فهو ضال مفتر » اهـ[1] .

وليس أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد وحدهم هم الذين عرفوا امتياز الرافضة بأنهم أكذب الناس بل من أهل البيت من عرف فيهم ذلك .

فقد جاء نفر من الناس إلى عليّ بن الحسين فأثنوا عليه ، فقال : « ما أكذبكم وأجرأكم على الله عز وجل ، نحن من صالحي قومنا »[2] .

فهؤلاء النفر الذين جاءوا إلى هذا السيد الهاشمي هم من الرافضة فقد عرف أن ثناءهم عليه هم فيه كاذبون ، ولذلك وصفهم بأنهم أبلغ الناس في الكذب ومن أعظمهم جرأة على الله .

ومن فساد عقولهم وانتكاس قلوبهم أنهم يحبون الكذب على عليّ رضي الله عنه كما يحبون ويحرصون على إيقاع غيرهم في شَرَكهم هذا .

فقد ثبت عن الشعبي رحمه الله ، أنه قال : « ما رأيت أحمق من الخشبية[3] لو كانوا من الطير لكانوا رخماً ، ولو كانوا من البهائم لكانوا حمراً ، والله لو طلبت منهم أن يملؤوا هذا البيت ذهباً على أن أكذب على عليّ لأعطوني ووالله

---

(١) ميزان الاعتدال : ١/ ٥ - ٦ .

(٢) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، ص : ١٦٧ .

(٣) هم ضرب من الشيعة وسموا بالخشبية « لقولهم إنا لا نقاتل بالسيف إلا مع إمام معصوم فقاتلوا بالخشب » . منهاج السنة : ٨/١ .
وقد بين البلاذري وجه تسميتهم بهذا الاسم حيث قال : « وكان أصحاب المختار يسمون الخشبية لأن أكثرهم كانوا يقاتلون بالخشب ، ويقال : إنهم سموا الخشبية لأن الذين وجههم المختار إلى مكة لنصرة ابن الحنفية أخذوا بأيديهم الخشب الذي كان ابن الزبير جمعه ليحرق به ابن الحنفية وأصحابه فيما زُعِم ، ويقال : بل كرهوا دخول الحرم بسيوف مشهورة فدخلوه ومعهم الخشب ولم يسلوا سيوفهم من أغمادها » اهـ .
أنساب الأشراف : ٢٣١/٥ ، وانظر اللباب في تهذيب الأنساب : ٤٤٤/١ .

ما أكذب عليه أبداً »[1] .

كما وصفهم رحمه الله بأنهم أقل عقولاً في أهل الأهواء .

فقد قال : « نظرت في أهل الأهواء وكلمت أهلها فلم أر قوماً أقل عقلاً من الخشبية »[2] .

فالإمام الشعبي رحمه الله يعد من أخبر الناس بهم ، ووصفه لهم بهذه الأوصاف الذميمة إنما هو من واقع أحوالهم لأنه كان بينهم في الكوفة .

ومما يُذَمُّون به أن السلف كانوا يحمدون الله تعالى أن عصمهم من سوء معتقدهم .

فقد قال أبو العالية رحمه الله : « نعمتان لله عليّ لا أدري أيهما أفضل أو قال أعظم أن هداني للإسلام والأخرى أن عصمني من الرافضة »[3] .

والأمر كما قال رحمه الله تعالى فإن عدم الهداية لدين الإسلام والابتلاء بمذهب الرافضة كلاهما مهلكتان ، بل واحدة منهما سبب واصل إلى الشقاء .

ومما ذمهم به السلف أنهم شر الفرق وشر عصابة وجدت على وجه الأرض ولم يكونوا يجيزون شهادتهم .

فقد روى أبو عبد الله بن بطة عن عليّ رضي الله عنه ، قال : « تفترق هذه الأمة على نيف وسبعين فرقة شرها فرقة تنتحل حبنا وتخالف أمرنا »[4] .

وقال يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعي يقول : « أجيز شهادة أهل الأهواء كلهم إلا الرافضة ، فإنهم يشهدون بعضهم لبعض » .

---

(١) ذكره شيخ الإسلام في منهاج السنة : ٦/١ . أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي : ١٤٦١/٧ .

(٢) الشرح والإبانة لابن بطة : ص ١٦٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص : ١٤٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص : ١٦٩ .

وقال يونس أيضاً : « كان الشافعي يعيب على الروافض ويقول هم شر عصابة »[1] .

فانظر كيف وصفهم رابع الخلفاء الراشدين عليّ رضي الله عنه من خلال معرفته لهم ، وما عاناه في زمنه منهم ، فلقد حكم عليهم بأنهم شر فرق هذه الأمة وأنهم ينتحلون حب أهل البيت انتحالاً ليسوا صادقين فيه ، كما وصفهم الشافعي بأنهم أهل أهواء جميعهم وهم أهل جرأة في الشهادة حيث يشهد بعضهم لبعض زوراً وبهتاناً ، وأنهم شر جماعة وجدت على وجه الأرض .

ومن صفات الذم التي نيطت بهم أن السلف رحمهم الله كانوا يكرهون الزواج منهم كما يكرهون أكل ذبائحهم لاعتقادهم ردتهم ويزجرون ويعزرون من مشى في جنائزهم وكانوا لا يرون لهم غيبة بانتقاصهم ولو كان بيوم صوم أحدهم.

فقد قال طلحة بن مصرف رحمه الله تعالى : « الرافضة لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم لأنهم أهل ردة »[2] .

وقال سفيان بن عيينة لرجل : من أين جئت ، قال : من جنازة فلان ابن فلان ، قال : لا حدثتك بحديث أستغفر الله ولا تعد نظرت إلى رجل يبغض أصحاب رسول الله ﷺ فاتبعت جنازته »[3] .

فانظر إلى هذا الإمام الجليل القدر كيف عزر هذا الرجل بحرمانه تعليمه أحاديث رسول الله ﷺ بمجرد أنه شيَّع جنازة رافضي ، ونظر إليه ، وما ذلك إلا لشناعة مذهب الرافضة في أصحاب رسول الله ﷺ .

وقال زائدة بن قدامة الثقفي : قلت لمنصور[4]: «يا أبا عتاب اليوم الذي

---

(١) الأثران في مناقب الشافعي للرازي ، ص : ١٤٢ .

(٢) كتاب الشرح والإبانة لابن بطة ، ص : ١٦١ .

(٣) المصدر السابق ، ص : ١٥٩ أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي : ١٤٥٨/٧ .

(٤) هو منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي أبو عتاب الكوفي ، ثقة ، ثبت ، وكان لا يدلس ، من =

يصوم فيه أحدنا ينتقص فيه الذين ينتقصون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، قال : نعم »[1] .

ما أعظم ذب السلف رحمهم الله عن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين فهم يرون أن لا حرج على الصائم في انتقاصه الرافضة أعداء الصحابة بذكره معتقدهم السيء ، وبيان فساده ليحذره من يجهل شناعة الرافضة وقبحهم .

ومما ذمهم به السلف الصالح رحمهم الله أنهم أضعف الناس حجة وأنهم أعظم أهل الكلام وسخاً وقذراً ، وكان بعض السلف لا يجرؤ على حكاية فضائحهم عندما يكون في وضوء .

فقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام : « عاشرت الناس وكلمت أهل الكلام فما رأيت قوماً أوسخ وسخاً ولا أقذر قذراً ولا أضعف حجة ولا أحمق من الرافضة »[2] .

وروى أبو نعيم بإسناده إلى الحسن بن عمرو قال : قال لي طلحة بن مصرف : « لولا أني على وضوء لأخبرتك بما تقول الرافضة »[3] .

ومما ذُمَّ به الرافضة أن السلف كانوا يتركون السكنى في بلد يسب فيه أصحاب رسول الله ﷺ ، بل إن بعضهم قام ببيع داره ، فقد ذكر ابن بطة أن جرير بن عبد الله البجلي وعدي بن حاتم وحنظلة بن الربيع الكاتب خرجوا من الكوفة حتى نزلوا قرقيسيا[4] ، وقالوا : لا نقيم ببلدة يشتم فيها عثمان بن

= طبقة الأعمش ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة . التقريب : ٢٧٧/٢ .

(١) الشرح والإبانة ، ص : ١٦٣ . السنة للخلال ص : ٤٩٥ - ٤٩٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص : ١٦٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص : ١٦٤ ، وأبو نعيم في الحلية : ١٥/٥ . السنة للخلال ص : ٤٩٩ .

(٤) قرقيسياء : بلد على الخابور عند منصبه وهي على الفرات جانب منها على الخابور وجانب على الفرات فوق رحبة مالك بن طوق . مراصد الاطلا للبغدادي ١٠٨٠/٣ .

عفان »[1] .

وقال أحمد بن عبد الله بن يونس : « باع محمد بن عبد العزيز التيمي داره وقال : لا أقيم بالكوفة بلدة يشتم فيها أصحاب رسول الله ﷺ[2] .

فهؤلاء الأسلاف لم يطيقوا البقاء ببلدة يوجد فيها من ينال من خيار هذه الأمة أو يكن لهم بغضاً وغِلاً في قلبه .

ومما ذمهم به السلف الصالح اعتقادهم الباطل بالرجعة لأئمتهم وأعدائهم كما يزعمون قبل يوم القيامة لينتقم أولئك الأئمة من أعدائهم ويقيمون دولتهم كما يزعمون الرجعة للأنبياء لنصرة القائم ثم تقوم دولتهم المزعومة[3] ، وقد كذبهم السلف الصالح رحمهم الله في هذا الإفك ووبخوهم عليه .

فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عمرو الأصم، قال: قلت للحسن بن علي إن هذه الشيعة يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، قال : « كذبوا والله ما هؤلاء بشيعته، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله[4] .

وفي لفظ آخر من رواية عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده إلى عاصم بن ضمرة قال : قلت للحسن بن عليّ : إن الشيعة يزعمون أن علياً رضي الله عنه يرجع ، قال : « كذب أولئك الكذابون ، لو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه »[5] .

---

(١) الشرح والإبانة لابن بطة ، ص : ١٦٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر تفصيل اعتقادهم برجعة الأئمة ومن يرجع من الأنبياء والأوصياء عند خروج القائم ووروده إلى المدينة النبوية وإخراجه الشيخين من قبريهما وصلبه لهما ثم إحيائهما له إلى غير ذلك من الخبط في عقيدة الرجعة عندهم . الأنوار النعمانية : ٢/٨١ - ١٢٠ ، تفسير القمي : ١/٣١٢ - ٣١٣ ، تفسير العياشي : ٢/٢٥٩ - ٢٦٠ ، تفسير الكاشاني : ٢/٢٤٧ - ٢٤٩ .

(٤) المستدرك : ٣/١٤٥ ، وانظر كتاب الشرح والإبانة لابن بطة ، ص : ١٦٦ .

(٥) المسند : ١/٤٨ وهو من زيادات عبد الله على المسند وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٠/٢٢ ثم قال : عقبه : رواه عبد الله وإسناده جيد .

وذكر العلامة ابن كثير أن رجلاً جاء إلى الحسين بن عليّ فسأله : متى يبعث عليّ ، فقال : « يبعث والله يوم القيامة وتهمه نفسه »[1] .

وأخرج الحافظ بن عساكر أن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب قال لرجل من الرافضة : « والله لئن أمكننا الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم ثم لا نقبل منكم توبة ، فقال له رجل : لم لا تقبل منهم توبة ؟ ، قال : نحن أعلم بهؤلاء منكم ، إن هؤلاء إن شاءوا صدقوكم ، وإن شاءوا كذبوكم وزعموا أن ذلك يستقيم لهم في « التقية » ، ويلك إن التقية هي باب رخصة للمسلم إذا اضطر إليها وخاف من ذي سلطان أعطاه غير ما في نفسه يدرأ عن ذمة الله وليست باب فضل ، وإنما الفضل في القيام بأمر الله وقول الحق وايم الله ما بلغ من التقية أن يجعل بها لعبد من عباد الله أن يضل عباد الله »[2] .

هذه الآثار صادرة عن أئمة من أهل بيت النبوة الذين يزعم الرافضة أنهم شيعتهم ، نرى أنهم كذبوهم في عقيدة الرجعة ووبخوهم على استغلالهم رخصة التقية التي جعلها الله للمسلم إن اضطر إليها عند عدوه كما قال تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾[3] ، وقوله: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[4] ، فقد أخرجوها عن مدلولها الذي أراده الله واستعملوها في كل أحوالهم وأمورهم فهم يظهرون ما لا يبطنون ليضللوا بذلك على من لا يعرف حقيقتهم وصدق الحسن بن الحسن فيما قاله فيهم : « نحن أعلم بهؤلاء منكم إن هؤلاء إن شاءوا صدقوكم ، وإن شاءوا كذبوكم وزعموا أن ذلك يستقيم لهم في التقية » ، كلا لا يستقيم لهم ذلك وإنما يصبغون أنفسهم

---

(١) البداية والنهاية : ١٢٠/٩ .

(٢) تهذيب تاريخ دمشق : ١٦٨/٤ .

(٣) سورة آل عمران : آية ٢٨ .

(٤) سورة النحل آية : ١٠٦ .

بصبغة المنافقين الذين يسرون ما لا يعلنون نعوذ بالله من الخذلان .

ومن صفاتهم الذميمة التي حفظها لهم السلف ودونوها لهم أنهم أهل غدر وبخل ، فقد قال عبد القاهر البغدادي : « روافض الكوفة موصوفون بالغدر والبخل ، وقد سار المثل بهم فيهما حتى قيل : « أبخل من كوفي وأغدر من كوفي » والمشهور عنهم ثلاث غدرات : -

* **أحدها** : أنهم بعد قتل عليّ رضي الله عنه بايعوا ابنه الحسن ، فلما توجه لقتال معاوية غدروا به في ساباط المدائن فطعنه سنان الجعفي في جنبه فصرعه عن فرسه ، وكان ذلك أحد أسباب مصالحته معاوية .

* **والثاني** : أنهم كاتبوا الحسين بن علي رضي الله عنه ودعوه إلى الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية ، فاغتر بهم وخرج إليهم ، فلما بلغ كربلاء غدروا به وصاروا مع عبيد الله بن زياد يداً واحدة عليه ، حتى قتل الحسين وأكثر عشيرته بكربلاء .

* **والثالث** : غدرهم بزيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب بعد أن خرجوا معه على يوسف بن عمر[1] ثم نكثوا بيعته وأسلموه عند اشتداد القتال حتى قتل وكان من أمره ما كان »[2] .

ومن صفات الذم التي لزمتهم ووصمهم بها السلف أنهم كانوا لا يرون الصلاة خلفهم ولا يرون فرقاً بين الصلاة خلفهم وخلف اليهود والنصارى ولا يجيزون أحكام قضاتهم ، وكانوا يكفرون من اعتقد أن الصحابة كفروا .

قال الإمام البخاري رحمه الله : « نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت قوماً أضل في كفرهم من الجهمية وإني لأستجهل من لا يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم ، وقال : ما أبالي صليت خلف الجهمي

---

(١) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم أبو يعقوب الثقفي ، كان والي العراقين يومئذ لهشام بن عبد الملك . انظر وفيات الأعيان : ٧/١٠١ - ١١٢ .

(٢) الفرق بين الفرق ، ص : ٣٧ .

والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى »[1] .

وقال البغوي رحمه الله : « وكان أبو سليمان الخطابي لا يكفر أهل الأهواء الذين تأولوا فأخطأوا ويجيز شهادتهم ما لم يبلغ من الخوارج والروافض في مذهبه أن يكفر الصحابة أو من القدرية أن يكفر من خالفه من المسلمين فلا يرى الصلاة خلفهم ، ولا يرى أحكام قضاتهم جائزة ، ورأى السيف واستباحة الدم ، فمن بلغ منهم هذا المبلغ فلا شهادة له »[2] .

ومما هم موصومون به وهو عار عليهم وخزي وهو معدود من قبائحهم حرمانهم أنفسهم من الصلاة لأنهم لا يغسلون أرجلهم في الوضوء كما أمر الله ، وإنما يمسحون عليها[3] دون أن يغسلوها ، كما حرموا أنفسهم من إقامة الجماعة لبحثهم على إمام معصوم .

قال العلامة ابن الجوزي : « وقد حرموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم في الوضوء والجماعة لطلبهم إماماً معصوماً »[4] .

ومن صفاتهم الذميمة أنهم أهل حمق وجهالة ، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى صوراً من حماقاتهم الدالة على أنهم أهل جهل وضلالة حيث قال : « وأما سائر حماقاتهم فكثيرة جداً مثل كون بعضهم لا يشرب من نهر حفره يزيد مع أن النبي ﷺ والذين كانوا معه يشربون من آبار وأنهار حفرها الكفار ، وبعضهم لا يأكل من التوت الشامي ، ومعلوم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه كانوا يأكلون مما يجلب من بلاد الكفار من الجبن ويلبسون ما تنسجه الكفار بل غالب ثيابهم كانت من نسج الكفار ، ومثل كونهم يكرهون التكلم بلفظ

---

(١) شرح السنة للبغوي : ٢٢٨/١ . وانظر خلق أفعال العباد ، ص : ١٠ .

(٢) شرح السنة للبغوي : ٢٢٨/١ - ٢٢٩ .

(٣) انظر مخالفتهم في مسح الأرجل في الوضوء دون غسلها كما أمر الله . تفسير العياشي : ٢٩٧/١ - ٣٠٢ . تفسير الكاشاني : ٤٢٦/١ - ٤٢٨ ، الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري : ٣٣٤/٢ .

(٤) تلبيس إبليس ، ص : ١٠٠ .

العشرة ، أو فعل شيء يكون عشرة حتى في البناء لا ينون على عشرة أعمدة ولا بعشرة جذوع ونحو ذلك لكونهم يبغضون خيار الصحابة وهم العشرة المشهود لهم بالجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرحمٰن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين يبغضون هؤلاء إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ... وكذلك هجرهم لاسم أبي بكر وعمر وعثمان ولمن يتسمى بذلك حتى يكرهون معاملته ، ومعلوم أن هؤلاء لو كانوا من أكفر الناس لم يشرع أن لا يتسمى الرجل بمثل أسمائهم ، فقد كان في الصحابة من اسمه الوليد وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقنت في الصلاة ويقول : « **اللهم أنج الوليد بن الوليد بن المغيرة** »[1] وأبوه كان من أعظم الناس كفراً وهو الوحيد المذكور في قوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾[2] ، وفي الصحابة من اسمه عمرو وفي المشركين من اسمه عمرو بن عبد ود وأبو جهل اسمه عمرو بن هشام وفي الصحابة خالد بن سعيد ابن العاص من السابقين الأولين ، وفي المشركين خالد بن سفيان الهذلي وفي الصحابة من اسمه هشام مثل هشام بن حكيم وأبو جهل كان اسم أبيه هشاماً وفي الصحابة من اسمه عقبة مثل أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري وعقبة بن عامر الجهني ، وكان في المشركين عقبة بن أبي معيط ، وفي الصحابة علي وعثمان وكان في المشركين من اسمه علي مثل علي بن أمية بن خلف قتل يوم بدر كافراً ، ومثل عثمان بن طلحة قتل قبل أن يسلم ومثل هذا كثير فلم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنون يكرهون اسماً من الأسماء لكونه قد تسمى بها كافر من الكفار .... فعلم جواز الدعاء بهذه الأسماء سواء كان ذلك المسمى بها مسلماً أو كافراً أمر معلوم من دين الإسلام فمن كره أن يدعو أحداً بها كان من أظهر الناس مخالفة لدين الإسلام ، ثم مع هذا إذا تسمى الرجل عندهم باسم علي أو

---

(١) انظر الحديث صحيح البخاري : ١٧٨/١ ، صحيح مسلم : ٤٦٧/١ .
(٢) انظر جامع البيان للطبري : ١٥٢/٢٩ .

جعفر أو حسن أو حسين أو نحو ذلك عاملوه وأكرموه ولا دليل لهم في ذلك على أنه منهم والتسمية بتلك الأسماء قد تكون فيهم فلا يدل على أن المسمى من أهل السنة لكن القوم في غاية الجهل والهوى .

ومن حماقاتهم أيضاً : أنهم يجعلون للمنتظر عدة مشاهد ينتظرونه فيها كالسرداب الذي بسامرا الذي يزعمون أنه غائب فيه ومشاهد أخر وقد يقيمون هناك دابة إما بغلة وإما فرساً وإما غير ذلك ليركبها إذا خرج ويقيمون إما في طرفي النهار وإما في أوقات أخر من ينادي عليه بالخروج يا مولانا اخرج ويشهرون السلاح ولا أحد هناك يقاتلهم وفيهم من يقوم في أوقات دائماً لا يصلي خشية أن يخرج وهو في الصلاة ، فيشتغل بها عن خروجه وخدمته وهم في أماكن بعيدة عن مشهده ... يتوجهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية يطلبون خروجه ومن المعلوم أنه لو كان موجوداً وقد أمره الله بالخروج فإنه يخرج سواء نادوه أو لم ينادوه وإن لم يؤذن له فهو لا يقبل منهم وأنه إذا خرج فإن الله يؤيده ويأتيه بما يركبه وبمن يعينه وينصره لا يحتاج أن يوقف له دائماً من الآدميين من ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً والله سبحانه وتعالى قد عاب في كتابه من يدعو من لا يستجيب له دعاءه فقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[1] هذا مع أن الأصنام موجودة وكان يكون بها أحياناً شياطين تترائى لهم وتخاطبهم ومن خاطب معدوماً كانت حالته أسوأ من حال من خاطب موجوداً وإن كان جماداً فمن دعا المنتظر الذي لم يخلقه الله كان ضلاله أعظم من ضلال هؤلاء ، وإذا قال أنا أعتقد وجوده كان بمنزلة قول أولئك نحن نعتقد أن هذه الأصنام لها شفاعة عند الله فيعبدون ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ

---

(١) سورة فاطر آية : ١٣ - ١٤ .

عمر خطب ، فقال : إن رسول الله ﷺ أذن لنا في المتعة ثلاثا ثم حرمها[1] .

وأخرج ابن المنذر والبيهقي من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : « صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ما بال رجال ينكحون هذه المتعة بعد نهي رسول الله ﷺ عنها »[2] .

فدعوى الرافضة على الفاروق أنه حرم المتعة دعوى بلا برهان وافتراء واضح ولا حجة لهم على حلها بتعلقهم باستمرار بعض الصحابة على القول بحلها ، وإنما كانوا على هذا القول قبل أن يبلغهم النهي فلما بلغهم النهي رجعوا عن هذا القول ، وإصرار الرافضة على حلها إنما هو اتباع للهوى وتنكب عما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، فهم متبعون للهوى في هذه المسألة ، ومخالفون لمعتقد أهل البيت فيها إذ أن أهل البيت يعتقدون أنها نسخت وحرمت إلى يوم القيامة ويعتبرون فعلها عين الزنا .

قال الحافظ بن حجر رحمه الله : « ولا يصح على قاعدتهم في الرجوع في المختلفات إلى علي وآل بيته ، فقد صح عن علي – رضي الله عنه – أنها نسخت ونقل البيهقي عن جعفر بن محمد أنه سئل عن المتعة فقال : « هي الزنا بعينه »[2] .

ومما طعنوا به على الخليفة الثاني – رضي الله عنه – : أنهم يفترون عليه بأنه عطل الحدود ويقولون إنه لم يحد المغيرة بن شعبة حد الزنا ولقن الرابع وهو زياد بن أبيه فتركها وحد الثلاثة وكيف يجوز له صرف الحد عن مستحقه[3] .

ويرد على هذا الهذيان :

---

(١) فتح الباري : ١٧٢/٩ – ١٧٣ .

(٢) فتح الباري : ١٧٣/٩ .

(٣) انظر الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : ٢١/٣ ، وانظر منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة : ١٣٨/٣ . حق اليقين في معرفة أصول الدين : ١٨٣/١ – ١٨٤ .

بأن جماهير العلماء على ما فعله عمر في قصة المغيرة وأن البينة إذا لم تكمل حد الشهود ، والذي فعله بالمغيرة كان بحضرة الصحابة رضي الله عنهم وأقروه على ذلك وعلي منهم ، والدليل على إقرار علي له أنه لما جلد الثلاثة الحد أعاد أبو بكرة القذف ، وقال والله لقد زنى فهم عمر بجلده ثانياً ، فقال له علي : إن كنت جالده فارجم المغيرة[1] يعني يكون تكراره للقول بمنزلة شاهد آخر فيتم النصاب أربعة فيجب رجمه فلم يحده عمر وهذا دليل على رضا علي بحدهم أولاً دون الحد الثاني ، وإلا كان أنكر حدهم أولاً كما أنكر الثاني ... وعمر رضي الله عنه من المتواتر عنه أنه كان لا تأخذه في الله لومة لائم ، حتى أنه أقام على ابنه[2] الحد لما شرب بمصر بعد أن كان عمرو بن العاص ضربه الحد لكن كان ضربه سراً في البيت ، وكان الناس يضربون علانية ، فبعث عمر إلى عمرو يزجره ويتهدده لكونه حابى ابنه ، ثم طلبه فضربه مرة ثانية ، فقال له عبد الرحمٰن : مالك هذا ، فزجر عبد الرحمٰن ، وما روي أنه ضربه بعد الموت فكذب على عمر وضرب الميت لا يجوز ، وأخبار عمر المتواترة في إقامة الحدود وأنه كان لا تأخذه في الله لومة لائم أكثر من أن تذكر - ثم أيضاً يقال للرافضة - أي غرض كان لعمر في المغيرة بن شعبة ، وكان عمر عند المسلمين كالميزان العادل الذي لا يميل إلى ذا الجانب ولا ذا الجانب »[3] .

وأما قولهم : إنه لقن الشاهد الرابع كلمة تدرأ الحد وهي أنه قال له : « أرى وجه رجل لا يفضح الله به رجلاً من المسلمين » فهذا كذب وبهتان من

---

(١) منهاج السنة : ١٣٨/٣ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٣٥١ - ٣٥٢ ، مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص : ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٢) يكنى بأبي شحمة وهو عبد الرحمٰن الأوسط . انظر قصة عبد الرحمٰن هذا في « الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير » لأبي عبد الله الجوزقاني : ١٩٣/٢ - ١٩٤ ، تنزيه الشريعة المرفوعة : ٢٢٠/٢ .

(٣) منهاج السنة : ١٣٨/٣ ، وانظر المنتقى للذهبي من : ٣٥١ - ٣٥٢ ، مختصر التحفة الاثنى عشرية : ٢٥٤ - ٢٥٥ .

عليها أي دم كان فكيف بسائر الشجر الذي لم يصبه الدم »[1] .

فشيخ الإسلام رحمه الله تعالى بين للأمة جميعاً بهذا النص حماقاتهم وما اتصفوا به من الصفات الذميمة السيئة البغيضة في الإسلام كما أوضح رحمه الله أن هذه الخلال المبغوضة موجودة في مختلف فرق الشيعة الرافضة وحماقاتهم التي ذكرها رحمه الله فيها دلالة على أنهم أهل جهل يتبعون أهواءهم ويضربون صفحاً عن هدي الله ورسوله .

* * *

(١) منهاج السنة : ١/٩ - ١٢ .

○ الفصل الثاني ○

ردود أهل السنة على مطاعن الخوارج والنواصب في الصحابة



○ الفصل الثاني ○

ردود أهل السنة على مطاعن الخوارج والنواصب في الصحابة

*** وفيه مباحث : -**

المبحث الأول : نشأة الخوارج .

المبحث الثاني : التعريف بأهم فرق الخوارج .

المبحث الثالث : الرد على مطاعنهم في الصحابة .

المبحث الرابع : ذكر أحاديث وآثار تتضمن ذمهم .

المبحث الخامس : الرد على معتقد النواصب في الصحابة .

* * *



★ المبحث الأول ★

نشأة الخوارج

قبل أن أذكر بداية نشأة الخوارج وتطورهم، نذكر تعريف أهل العلم لهم :

فقد بين أبو الحسن الأشعري أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة الذين خرجوا على رابع الخلفاء الراشدين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبين أن خروجهم على عليّ هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم ، حيث قال رحمه الله تعالى : « والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على عليّ بن أبي طالب لما حكم »[1] .

وأما ابن حزم فقد بين أن اسم الخارجي يتعدى إلى كل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه وشاركهم في معتقدهم ، فقد قال : « ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجياً »[2] .

وأما الشهرستاني : فقد عرف الخوارج بتعريف عام اعتبر فيه الخروج على الإمام الذي اجتمعت الكلمة على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان ، حيث قال في تعريفه للخوارج : -

« كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً

---

(١) مقالات الإسلاميين : ٢٠٧/١ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ١١٣/٢ .

سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان »[1] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى معرفاً لهم : « والخوارج الذين أنكروا على عليّ التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم ، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة منهم »[2] .

وقال في تعريف آخر : « أما الخوارج فهم جمع خارجة ، أي : طائفة وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين[3] .

فالخوراج هم أولئك النفر الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم بعد موقعة صفين ولهم ألقاب أخرى عرفوا بها غير لقب « الخوارج » ومن تلك الألقاب : الحرورية[4] ، والشراة[5] ، والمارقة ، والمحكمة[6] ، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية »[7] .

وأما بداية نشأتهم فإنها كانت بعد حصول الاتفاق على التحكيم بين علي ومعاوية سنة سبع وثلاثين ، فقد أخرج الطبري من طريق سليمان بن يونس بن يزيد عن الزهري أن أهل الشام نشروا المصاحف حين كاد أهل العراق أن يغلبوهم ودعوا إلى ما فيها ، فهاب أهل العراقين ، فعند ذلك حكموا الحكمين ، فاختار

---

(١) الملل والنحل : ١١٤/١ .

(٢) هدى الساري مقدمة فتح الباري ، ص : ٤٥٩ .

(٣) فتح الباري : ٢٨٣/١٢ .

(٤) سموا بهذا الاسم ، لنزولهم بحروراء في أول أمرهم .

(٥) سموا شراة لقولهم : شرينا أنفسنا في طاعة الله ، أي : بعناها بالجنة .

(٦) سموا بهذا الاسم : لإنكارهم الحكمين ، وقولهم : لا حكم إلا لله .

(٧) مقالات الإسلاميين : ٢٠٧/١ .

أهل العراق أبا موسى الأشعري ، واختار أهل الشام عمرو بن العاص ، فتفرق أهل صفين حين حكم الحكمان وأنهما يجتمعان بدومة الجندل فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح ، فلما انصرف عليّ خالفت الحرورية وخرجت – وكان ذلك أول ما ظهرت – فآذنوه بالحرب وقالوا : لا حكم إلا لله »[1] .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير الطبري من طريق أبي رزين قال : لما كانت الحكومة بصفين وباين الخوارج علياً ، رجعوا مباينين له ، وهم في عسكر وعليّ في عسكر ، حتى دخل عليّ الكوفة مع الناس بعسكره ومضوا هم إلى حروراء في عسكرهم ، فبعث عليّ إليهم ابن عباس ، فكلمهم ، فلم يقع منهم موقعاً فخرج عليّ إليهم ، فكلمهم حتى أجمعوا هم وهو على الرضا ، فرجعوا حتى دخلوا الكوفة على الرضا منه ومنهم ، فأقاموا يومين أو نحو ذلك ، قال : فدخل الأشعث بن قيس وكان يدخل على علي ، فقال : إن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن كفرك ، فلما كان الغد الجمعة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، فخطب فذكرهم ومباينتهم الناس وأمرهم الذي فارقوه فيه ، فعابهم وعاب أمرهم ، قال : فلما نزل على المنبر تنادوا من نواحي المسجد لا حكم إلا لله ، فقال علي : حكم الله أنتظر فيكم ، ثم قال بيده هكذا يسكتهم بالإشارة وهو على المنبر حتى أتى رجل[2] منهم واضعاً أصبعيه في أذنيه وهو يقول : « لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين »[3] .

ففي هذين الخبرين تحديد لبداية بذرة الخوارج المارقين وأن أول خروجهم كان على علي رضي الله عنه ، بعد أن وافق على التحكيم واعتبروا التحكيم خطيئة تؤدي إلى الكفر مع أنهم هم الذين أكرهوا علياً رضي الله عنه على قبوله عندما رفع أصحاب معاوية رضي الله عنه المصاحف .

---

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك : ٥/٥٧ .

(٢) هو سعيد البكائي كما في تاريخ الطبري : ٥/٧٣ .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة : ١٥/٣١٢ – ٣١٣ ، تاريخ الأمم والملوك : ٥/٧٣ – ٧٤ .

« ولما بعث عليّ أبا موسى ومن معه من الجيش إلى دومة الجندل اشتد أمر الخوارج وبالغوا في النكير على علي وصرحوا بكفره فجاءه رجلان منهم وهما : زرعة بن البرج الطائيّ ، وحرقوص بن زهير السعدي ، فقالا : لا حكم إلا لله ، فقال علي : لا حكم إلا لله ، فقال له حرقوص ، تب من خطيئتك واذهب بنا إلى عدونا حتى نقاتلهم حتى نلقى ربنا ، فقال علي : قد أردتكم على ذلك فأبيتم ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهوداً وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾[1] ، فقال له حرقوص : ذلك ذنب ينبغي أن نتوب منه ، فقال علي : ما هو بذنب ولكنه عجز من الرأي ، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه ، فقال له زرعة بن البرج : أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله لأقاتلنك أطلب بذلك رحمة الله ورضوانه ، فقال علي : تبّاً لك ما أشقاك ، كأني بك قتيلاً تسفى عليك الريح ، فقال : وددت أن قد كان ذلك ، فقال له علي : إنك لو كنت محقاً كان في الموت تعزية عن الدنيا ، ولكن الشيطان قد استهواكم »[2] .

ولما رأوا عزم علي على إنفاذ الحكومة وبعثه أبا موسى الأشعري قرروا الانفصال عنه وتعيين أمير عليهم ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم قال : فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد ، إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن منكرين لهذه الأحكام الجائرة ، ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن المتاع بهذه الدنيا قليل وإن الفراق لها وشيك فلا تدعونكم زينتها أو بهجتها إلى

(١) سورة النحل آية : ٩١ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٧٢/٥ ، الكامل في التاريخ : ٣٣٤/٣ ، البداية والنهاية : ٣١١/٧ .

المقام بها ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[1].

فقال حمزة بن سنان الأسدي : « يا قوم إن الرأي ما رأيتم وإن الحق ما ذكرتم ، فولوا أمركم رجلاً منكم ، فإنه لابد لكم من عماد وسنان ومن راية تحفون بها ، وترجعون إليها فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائي – وكان من رؤوسهم – فعرضوا عليه الإمارة فأبى ، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى ، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى ، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسي فأبى وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها ، وقال : أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقاً من الموت »[2] .

واجتمعوا أيضاً في بيت زيد بن حصن الطائي السنبسي فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتلا عليهم آيات من القرآن ، منها قوله تعالى : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية[3] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ والآية التي بعدها وفيها ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ ، والآية التي في نهايتها ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[4] ، ثم قال : فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب ، وجاروا في القول والأعمال ، وأن جهادهم حق على المؤمنين ، فبكى رجل منهم يقال له : عبد الله بن شجرة السلمي ، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس وقال في كلامه :

---

(١) سورة النحل آية : ١٢٨ .

(٢) انظر تاريخ الطبري : ٧٤/٥ – ٧٥ ، الكامل في التاريخ : ٣٣٤/٣ – ٣٣٥ ، البداية والنهاية : ٣١٢/٧ .

(٣) سورة ص ، آية : ٢٦ .

(٤) الآيات رقم : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ من سورة المائدة .

اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمٰن الرحيم ، فإن أنتم ظفرتم وأطيع الله كما أردتم – أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره ، وإن فشلتم فأي شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته ؟[1] .

قال العلامة ابن كثير بعد أن ذكر ما أملاه الشيطان لهم بما تقدم ذكره : « وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم ، فسبحان من نوّع خلقه كما أراد وسبق في قدره العظيم ، وما أحسن ما قال بعض السلف[2] في الخوارج : إنهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾[3] .

والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال ، والأشقياء في الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين ، وتواطئوا على المسير إلى المدائن يملكوها على الناس ويتحصنوا بها ، ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هم على رأيهم ومذهبهم من أهل البصرة وغيرها – فيوافوهم إليها ، ويكون اجتماعهم عليها ، فقال لهم زيد بن حصن الطائي : إن المدائن لا تقدرون عليها ، فإن بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعونها منكم ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخى ولا تخرجوا من الكوفة جماعات ، ولكن اخرجوا وحداناً لئلا يفطن بكم فكتبوا كتاباً عاماً إلى من هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس ، ثم خرجوا يتسللون وحداناً لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوهم من الخروج ، فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأخوال والخالات وفارقوا سائر القرابات يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات ، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر

---

(١) البداية والنهاية : ٣١٢/٧ .

(٢) هذا الأثر مروي عن علي رضي الله عنه . انظر الدر المنثور للسيوطي : ٤٦٥/٥ .

(٣) سورة الكهف ، آية : ١٠٣ – ١٠٥ .

الموبقات والعظائم والخطيئات وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السموات الذي نصب العداوة لأبينا آدم ، ثم لذريته ما دامت أرواحهم في أجسادهم مترددات وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم ، فردوهم وأنبوهم ووبخوهم ، فمنهم من استمر على الاستقامة ، ومنهم من فرّ بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة ، وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافى إليهم من كانوا كتبوا إليه من أهل البصرة وغيرها ، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة »[1] .

هكذا كانت بداية نشأة الخوارج في أول أمرهم على هذا النحو المتقدم ذكره ومن أهل العلم من يرجع بداية نشأة الخوارج إلى زمن الرسول ﷺ ويجعل أول الخوارج ذا الخويصرة الذي اعترض على الرسول ﷺ في قسمة ذهب كان قد بعث به علي – رضي الله عنه – من اليمن في جلد مقروظ ، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبة في أديم مقروظ[2] لم تحصل من ترابها[3] ، قال : فقسمها بين أربعة نفر : بين عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وزيد الخيل والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء ، قال : فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال : « **ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء** » ، قال : فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة[4] كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار ، فقال : يا رسول الله اتق الله فقال : « **ويلك ! أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله** » ، قال : ثم ولى الرجل ، فقال خالد بن الوليد يا رسول الله ألا أضرب

(١) البداية والنهاية : ٣١٢/٧ – ٣١٣ .

(٢) أي : في جلد مدبوغ بالقرظ .

(٣) أي : لم تميز ولم تصف من تراب معدنها .

(٤) أي : مرتفع الجبهة .

عنقه ، فقال : « **لا ، لعله أن يكون يصلي** » ، قال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، فقال رسول الله ﷺ : « **إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس**[1] **ولا أشق بطونهم** ، **قال : ثم نظر إليه وهو مقف**[2] ، **فقال : إنه يخرج من ضئضئي**[3] **هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** » ، قال : أظنه قال « **لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود** »[4] .

قال العلامة ابن الجوزي عند هذا الحديث : « أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة التميمي ، وفي لفظ : أنه قال له : « اعدل » ، فقال : « **ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل** »[5] ، فهذا أول خارجي خرج في الإسلام وآفته أنه رضي برأي نفسه ، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -[6] » .

وممن أشار بأن أول الخوارج ذو الخويصرة : أبو محمد بن حزم[7] ، وكذا الشهرستاني فإنه قال في كتابه الملل والنحل[8] في صدد تعريفه للخوارج حيث قال : « وهم الذين أولهم ذو الخويصرة وآخرهم ذو الثدية » اهـ .

ومن العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه بإحداثهم الفتنة التي أدت إلى قتله رضي الله عنه ظلماً وعدواناً

---

(١) « **لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس** » أي : أفتش وأكشف ومعناه : أني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر .

(٢) أي : مول .

(٣) ضئضئي : هو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز وهو أصل الشيء .

(٤) صحيح البخاري : ٢٣٢/٢ ، صحيح مسلم : ٧٤٢/٢ .

(٥) انظر صحيح مسلم : ٧٤٠/٢ .

(٦) تلبيس إبليس ، ص : ٩٠ .

(٧) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل : ١٥٧/٤ .

(٨) ١١٦/١ .

وسميت تلك الفتنة التي أحدثوها بالفتنة الأولى .

قال شارح الطحاوية : « فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى »[1] .

وقد أطلق العلامة ابن كثير على الثوار الذين ثاروا على عثمان وقتلوه اسم الخوارج ، حيث قال في صدد ذكره لهم بعد قتلهم عثمان رضي الله عنه قال : « وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً » اهـ[2] .

والرأي الراجح في بداية نشأة الخوارج وتكونهم أنها كانت بانفصالهم عن جيش علي وخروجهم عليه بعد الاتفاق على التحكيم بينه وبين معاوية رضي الله عنهما وعلى الرغم من الارتباط القوي بين ذي الخويصرة وبين الخوارج فإن الخوارج لم يظهروا على شكل جماعي وطائفي إلا بعد حادثة التحكيم حيث فارقوا الجماعة وانحازوا إلى قرية من قرى الكوفة تسمى « حروراء » ، وعينوا لهم أميراً للقتال وأميراً للصلاة والاتجاه الخارجي الذي تمثل في تلك الجماعة التي خرجت على علي رضي الله عنه وانفصلت من جيشه قد وردت الإشارة إليه في أحاديث كثيرة سيأتي بيانها في « المبحث الرابع » من هذا الفصل ، وكلها أشارت إلى أوصافهم وذمهم والأمر بقتالهم ، وأما ذو الخويصرة فإن اعتراضه على الرسول ﷺ كان اعتراض فرد وليس اعتراض جماعة حتى يسمى خروجاً وإن اعتبر سلفاً للخوارج الذين يأتون من بعده فهناك فرق بين نزعة الاعتراض الفردي وبين الخروج على شكل جماعي له اتجاهه وآراؤه الخاصة كخروج الخوارج على علي رضي الله عنه .

وأما القول بأن نشأتهم بدأت بثورة الثائرين على عثمان رضي الله عنه فلا شك أن ما حدث كان خروجاً عن طاعة الإمام الحق إلا أن هذا الخروج لم يكن يتميز بأنه خروج جماعة لها عقائدها الواضحة وآراؤها المتميزة ، وإنما كان خروجاً

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، ص : ٥٩٣ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٠٧/٧ .

من قوم أهل جهل وبغي وتعنت وأهل ظلم وخيانة وافتراء ، ولذلك صمموا بعد استحواذ الشيطان عليهم على قتله رضي الله عنه ، ثم فروا من المدينة ودخلوا في صفوف المسلمين كأفراد منهم ، وانتقم الله منهم جماعات وفرادى في موقعتي الجمل وصفين وغيرهما . فنشأة الخوارج بدأت بتلك الجماعة الذين انفصلوا من جيش علي رضي الله عنه ، ثم لحق بهم ناس آخرون من أهل الكوفة والبصرة جماعات ووحداناً ، حتى اجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم بعد ذلك شوكة ومنعة كما تقدم قريباً .

* * *

★ المبحث الثاني ★

التعريف بأهم فرق الخوارج

لقد تشعبت الخوارج إلى فرق عدة بلغ بها بعض أهل العلم ممن كتب في الملل والنحل إلى عشرين فرقة[1] ، وعند النظر في هذه الفرق من خلال الكتب التي ألفت في الفرق يتضح أن الخلاف والنزاع بينها لم يكن في أمور مهمة تؤدي إلى تكوين جماعات مستقلة ، بل إن معظم نزاعهم كان يحصل في كثير من أحوالهم حول أمور فرعية ، ومن ذلك العدد الكثير الذي ذكر في تعداد فرقهم ، نذكر هنا أهم فرقهم المتمثلة في المحكمة الأولى ، والأزارقة ، والنجدات ، والصفرية ، والإباضية ، وما عداها من الفرق فهي متفرعة منها وداخلة فيها .

* المحكمة الأولى :

يقصد بالمحكمة الأولى أولئك الذين خرجوا على الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهم الذين أعلنوا شعار « لا حكم إلا لله » ، والتفوا حوله وقد اختلف في أول من نادى بهذا الشعار منهم ، فقيل : إنه عروة بن حدير[2] أخو مرداس الخارجي ، وقيل إن أول من نادى به يزيد بن عاصم المحاربي وقيل : إنه رجل من بني يشكر ، كان مع علي رضي الله عنه بصفين ، ولما

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ، ص : ٧٢ ، التبصير في الدين ، ص : ٤٥ .

(٢) هو عروة بن عمرة بن حدير التميمي ، من رجال النهروان ، وسيفه أول ما سل من سيوف أباة التحكيم ، وذلك أنه عاتب الأشعث بن قيس على رضاه بالتحكيم بين علي ومعاوية ، ولم يعبأ به الأشعث فشهر سيفه وضربه ، فأصاب عجز بغلته ، وحضر حرب النهروان ، وعاش إلى زمن معاوية وقتله زياد ابن أبيه سنة ثمان وخمسين ، انظر ترجمته في الكامل لابن الأثير : ٥١٧/٣ - ٥١٨ ، الكامل للمبرد : ١٢٨/٢ ، ١٦٥ ، الأعلام : ١٦/٥ - ١٧ .

اتفق الفريقان على التحكيم ركب وحمل على أصحاب علي ، وقتل منهم واحداً ، ثم حمل على أصحاب معاوية ، وقتل منهم واحداً ، ثم نادى بين العسكرين أنه بريء من علي ومعاوية ، وأنه خرج من حكمهم ، فقتله رجل من همدان ، ثم إن جماعة ممن كانوا مع علي رضي الله عنه في حرب صفين استمعوا منه ذلك الكلام واستقرت في قلوبهم تلك الشبهة ، ورجعوا مع علي إلى الكوفة ، ثم فارقوه ورجعوا إلى حروراء »[1] ، ولما استقروا في حروراء كانوا يعاملون من يخالفهم من المسلمين في رأيهم أبشع معاملة وأشد قسوة .

قال أبو الحسين الملطي واصفاً ما بلغوا إليه من ظلم وإجرام : « فأما الفرقة الأولى من الخوارج ، فهم المحكمة الذين كانوا يخرجون بسيوفهم فيمن يلحقون من الناس ، فلا يزالون يقتلون حتى يقتلوا وكان الواحد منهم إذا خرج للتحكيم لا يرجع حتى يقتل أو يقتل ، فكان الناس منهم على وجل وفتنة »[2] .

ومن أبشع جرائمهم وأفظعها قتلهم عبد الله بن خباب بن الأرت ، فقد روى الإمام أحمد بإسناده إلى حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم ، قال : دخلوا قرية فخرج عبد الله بن خباب ذعراً يجر رداءه ، فقالوا : لم ترع ، قال : والله لقد رعتموني ، قالوا : أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ ، قال : نعم ، قالوا : فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه ، قال : نعم ، سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ ، أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، قال : فإن أدركت ذاك فكن عبد الله المقتول ، قال أيوب : ولا أعلمه ، قال : ولا تكن عبد الله القاتل ، قالوا : أأنت سمعت هذا

---

(١) التبصير في الدين ، ص : ٤٥ - ٤٦ ، وانظر مقالات الإسلاميين : ٢٠٧/١ - ٢٠٩ ، الفرق بين الفرق ، ص : ٧٤ - ٧٥ ، تاريخ الأمم والملوك : ٧٢/٥ وما بعدها ، الكامل لابن الأثير : ٣٢٦/٣ وما بعدها ، مروج الذهب للمسعودي : ١٢٥/٣ .

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، ص : ٥١ .

من أبيك يحدثه عن رسول الله ﷺ ، قال : نعم ، قال : فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه ، فسال دمه كأنه شراك نعل ما امذقر[1] وبقروا أم ولده عما في بطنها »[2] .

وكان الذي تولى قتله منهم رجل يقال له : مسعر بن فدكي[3] .

وذكر عبد القاهر أن رجلاً منهم شد عليه يقال له : « مسمع » فجرى دمه فوق ماء النهر كالشراك إلى الجانب الآخر ، ثم إنهم دخلوا منزله وكان في القرية التي قتلوه على بابها ، فقتلوا ولده وجاريته أم ولده ، ثم عسكروا بنهروان[4] .

وقد بلغ علياً رضي الله عنه نبأ قتلهم عبد الله بن خباب وقتلهم الكثير من الأطفال والنساء ، وقد كان رضي الله عنه متأهباً للعودة إلى صفين لمقاتلة أهل الشام ، فرأى أن العودة لمقاتلة هؤلاء المفسدين أولى فكان في ذلك خيرة له ولأهل الشام فرجع إلى النهروان ، « فقاتلهم مقاتلة شديدة وكان عددهم اثنى عشر ألفاً فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة ، وما قتل من أصحاب علي إلا أقل من عشرة ، فانهزم اثنان منهم إلى عمان ، واثنان إلى كرمان واثنان إلى سجستان واثنان إلى الجزيرة ، وواحد إلى تل موزن[5] .

وظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع منهم[6] ، وقد انمحت بدعهم في بعض هذه الأماكن نهائياً ، وبعضها باقية فيها إلى اليوم .

---

(١) معناه أنه مر فيه كالطريقة الواحدة لم يختلط به ولذلك شبهه بالشراك الأحمر وهو سير من سيور النعل . اهـ . النهاية في غريب الحديث : ٢١٢/٤ .

(٢) المسند : ١١٠/٥ .

(٣) مقالات الإسلاميين : ٢١٠/١ .

(٤) الفرق بين الفرق ، ص : ٧٧ .

(٥) بلد قديم بين رأس عين وسروج وهو مبني بحجارة عظيمة سود ، قريب من حران – فتحه عياض ابن غنم سنة ١٧هـ . معجم البلدان : ٤٥/٢ ، وانظر مراصد الاطلاع للبغدادي : ٢٧٣/١ .

(٦) الملل والنحل: ١١٧/١، وانظر الفرق بين الفرق ، ص : ٨٠ – ٨١ ، التبصير في الدين ، ص: ٤٩ .

وأما زعمهم أنه ناقض فجعلها في أربعة ثم في ثلاثة ثم في واحد فجعل إلى عبد الرحمٰن بن عوف الاختيار بعد أن وصفه بالضعف والقصور .

فالرد عليه : « أنه ينبغي لمن احتج بالمنقول أن يثبته أولاً وإذا قال القائل هذا غير معلوم الصحة لم يكن عليه حجة وعهد عمر بالأمر من بعده إلى الستة ثابت في صحيح البخاري[1] وغيره ، ليس فيه شيء من هذا بل يدل على نقيض هذا وأن الستة هم الذين جعلوا الأمر في ثلاثة ، ثم الثلاثة جعلوا الاختيار إلى عبد الرحمٰن بن عوف واحد منهم ليس لعمر في ذلك أمر »[2] .

وأما بيان بطلان افترائهم عليه : أنه قال : إن اجتمع علي وعثمان فالقول ما قالاه ، وإن صاروا ثلاثة فالقول قول الذي صار فيهم عبد الرحمٰن لعلمه أن علياً وعثمان لا يجتمعان على أمر وأن عبد الرحمٰن لا يعدل بالأمر عن أخيه عثمان وابن عمه .

فالرد عليه يقال لهم : من « الذي قال إن عمر قال هذا ، وإن كان قد قاله فلا يجوز أن يظن به أنه كان قصده ولاية عثمان محاباة له ومنع علي معاداة له ، فإنه لو كان قصده هذا لولى عثمان ابتداء ولم ينتطح فيها عنزان كيف والذين عاشوا بعده قدموا عثمان بدون تعيين عمر له ، فلو كان عمر عينه لكانوا أعظم متابعة له ، وطاعة ، سواء كانوا كما يقوله المؤمنون أهل دين وخير وعدل أو كانوا كما يقوله المنافقون الطاعنون فيهم أن مقصودهم الظلم والشر ، وعمر كان في حال الحياة لا يخاف أحداً ... فإذا كان في حياته لم يخف من تقديم أبي بكر والأمر في أوله والنفوس لم تتوطن على طاعة أحد معين بعد النبي ﷺ ولا صار لعمر أمر فكيف يخاف من تقديم عثمان عند موته ، والناس كلهم مطيعوه ، وقد تمرنوا على طاعته ، فعلم أنه لو كان له غرض في تقديم عثمان لقدمه ولم يحتج إلى هذه

---

(١) صحيح البخاري : ٢/٢٩٧ - ٢٩٩ .

(٢) منهاج السنة : ٣/١٦٨ ، المنتقى ، ص : ٣٧٠ .

الدويرة البعيدة ، ثم أي غرض يكون لعمر رضي الله عنه في عثمان دون علي وليس بينه وبين عثمان من أسباب الصلة أكثر مما بينه وبين علي لا من جهة القبيلة ولا من غير جهة القبيلة ، وعمر قد أخرج من الأمر ابنه ولم يدخل في الأمر ابن عمه سعيد بن زيد وهو أحد العشرة المشهود لأعيانهم بالجنة في حديث واحد[1] وهم من قبيلة بني عدي ولا كان يولي من بني عدي أحداً بل ولى رجلاً[2] منهم ثم عزله وكان رضي الله عنه باتفاق الناس لا تأخذه في الله لومة لائم فأي داع يدعوه إلى محاباة زيد دون عمر وبلا غرض يحصل من الدنيا ، فمن أقصى عشيرته وأمر بأن الدّين الذي عليه لا يوفى إلا من مال أقاربه ، ثم من مال بني عدي ، ثم من مال قريش ، ولا يؤخذ من بيت المال شيء ولا من سائر الناس فأي حاجة له إلى عثمان أو علي أو غيرهما ، حتى يقدمه وهو لا يحتاج إليه لا في أهله الذين يخلفهم ولا في دينه الذي عليه ، والإنسان إنما يحابي من يتولى بعده لحاجته إليه في نحو ذلك ، فمن لا يكون له حاجة لا إلى هذا ولا إلى هذا ، فأي داع يدعوه إلى ذلك لا سيما عند الموت وهو وقت يسلم فيه الكافر ويتوب فيه الفاجر[3] ولكن الرافضة قوم لا يفقهون .

وأما زعمهم : أن عمر – رضي الله عنه – علم أن عبد الرحمٰن – رضي الله عنه – لا يعدل الأمر عن أخيه وابن عمه ، « فهذا كذب بين على عمر وعلى أنسابهم فإن عبد الرحمٰن ليس أخاً لعثمان ، ولا ابن عمه ولا من قبيلته أصلاً بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية ، وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أمية ، فإن بني زهرة أخوال النبي ﷺ ومنهم عبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، الذي قال له النبي ﷺ : « **هذا خالي فليكرمن امرؤ**

---

(١) انظر سنن أبي داود : ٢/٥١٥ – ٥١٦ ، سنن الترمذي : ٥/٣١١ – ٣١٢ ، ٣١٥ – ٣١٦ .

(٢) هو النعمان بن عدي بن نضلة ، انظر قصة عزله في تاريخ عمر ، لابن الجوزي ، ص : ١٣٦ – ١٣٧ .

(٣) منهاج السنة : ٣/١٦٨ – ١٦٩ ، وانظر المنتقى للذهبي ، ص : ٣٧١ .

الري فقاتل قطري بن الفجاءة، فانهزم إلى طبرستان ثم هرب في جملة من أتباعه إلى قومس عبيدة بن هلال اليشكري فتبعته جنود الحجاج حتى قتلته، وقطع الله دابر الأزارقة بقتل قطري فلم تجتمع لهم قوة بعد ذلك مثل ما كانت لهم من قبل »[1] .

* النجدات :

هؤلاء هم أتباع نجدة بن عامر الحنفي الذي يقال : إنه كان باليمامة حيث تخلف عن نافع بن الأزرق عند رجوعهم من مكة، وبينما هو في طريقه ليلحق بمعسكر نافع بن الأزرق التقى به من أخبره بما أحدثه نافع من الآراء التي منها « استباحة قتل أطفال مخالفيه، وحكمه على القعدة بالشرك »[2] وهنا قيل : إنه رجع إلى اليمامة، لما سمع بما أحدثه نافع وأعلن انفصاله عنه، وتبرأ منه وبويع له بالإمامة وأصبح أميراً على طائفة من الخوارج عرفوا بالنجدات[3] ، وصار لنجدة وأتباعه نفوذ واسع في كثير من البلدان شمل البحرين وشواطىء الخليج وامتد إلى عمان وبعض أجزاء اليمن[4] .

وقد أنكر نجدة على الأزارقة إكفارهم للقعدة منهم ممن لم يهاجروا إليهم، وحكم على نافع ومن قال بإمامته بالكفر[5] ، ويقال : إنه وجه كتاباً إلى نافع

= قطري بين الفجاءة يشكون من رجل كان قطري يقدمه عليهم، فلم يشكهم منه، فقال القوم لقطري : فإنا قد خلعناك وبايعنا عبد ربه الصغير، وانفصل إلى عبد ربه الصغير أكثر من شطرهم وجلهم من الموالي والعجم.
انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٤٠٣/١ ، مقالات الإسلاميين : ١٧١/١ - ١٧٢ .

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك : ٢٠٢/٦ ، وما بعدها، الكامل، لابن الأثير : ٣٧٤/٤ وما بعدها، مروج الذهب، للمسعودي : ١١٤/٣ وما بعدها، الفرق بين الفرق، ص : ٨٥ - ٨٦ ، التبصير في الدين، ص : ٥٠ - ٥١ .

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني : ١٢١/١ .

(٣) مقالات الإسلاميين : ١٧٤/١ ، الفرق بين الفرق، ص : ٨٧ ، الملل والنحل للشهرستاني : ١٢٣/١ .

(٤) انظر الفرق بين الفرق، ص : ٩٠ ، الكامل لابن الأثير : ٢٠١/٤ وما بعدها.

(٥) انظر الفرق بين الفرق، ص : ٨٧ .

ابن الأزرق أخذ عليه فيه تكفيره للقعدة مع أن الله عذرهم بقوله : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[1] ، وأنكر عليه أيضاً : استباحته قتل الأطفال لنهي النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك ، ولقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2] .

وتبودلت الكتب بين نجدة ونافع ، ولكن لم يقنع أحدهما الآخر[3] ومن الآراء التي عارض بها نجدة آراء نافع إجازته « التقية » واحتج بقوله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾[4] ، وبقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾[5] ، ومن ثم أجاز القعود ، ولكن الجهاد إذا أمكن فهو أفضل لقوله تعالى : ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[6] .

وذهب النجدات إلى أن الدين أمران : -

* **أحدهما** : معرفة الله تعالى ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام وتحريم دماء المسلمين[7] - والإقرار بما جاء من عند الله جملة فهذا واجب على الجميع والجهل به لا يعذر فيه .

* **والثاني** : ما سوى ذلك فالناس معذورون فيه ، إلى أن تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام ، وتدين النجدات بمبدأ العذر بالجهل في أحكام الفروع حتى سموا « بالعاذرية »[8] ، والذي دعاهم إلى ذلك أن جماعة منهم على رأسهم ابن

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٩١ .
(٢) سورة الزمر ، آية : ٧ .
(٣) انظر الكامل للمبرد : ٢٠٩/٢ - ٢١٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٣٧/٤ - ١٣٩ .
(٤) سورة آل عمران ، آية : ٢٨ .
(٥) سورة غافر ، آية : ٢٨ .
(٦) الملل والنحل : ١٢٥/١ ، والآية رقم (٩٥) من سورة النساء .
(٧) المقصود بالمسلمين عندهم الموافقون لهم في مذهبهم .
(٨) الملل والنحل : ١٢٤/١ ، وانظر الفرق بين الفرق ، ص ٨٩ .

نجدة نفسه بعث بهم إلى أهل القطيف فأصابوا غنائم وسبايا – على حد زعمهم – فأباحوا لأنفسهم نكاح السبايا قبل إخراج الخمس منها ، وقالوا : إن خرجت من نصيبنا فبها ، وإلا دفعنا من أموالنا مقابلها ، ولما بلغ الأمر نجدة وأصحابه اختلفوا ، فبعضهم اعتذر لمن قاموا به والبعض الآخر أنكره ، وكان نجدة مع الذين عذروا هؤلاء لجهلهم بحكم الله »[1] ، وهكذا صار الجهل بالحكم عند طائفة من النجدات عذراً .

وقد اختلف النجدات مع زعيمهم نجدة بن عامر الحنفي ، ونقموا عليه عدة أمور من بينها تعطيله حد الخمر ، وعدم عدله في قسم الفيء وتفريقه الأموال بين الأغنياء من أتباعه وحرمانه ذوي الحاجة منهم ، ومكاتبته عبد الملك بن مروان ، ويقال : إنه لما أحدث هذه الأحداث وعذر أتباعه بالجهالات استتابه أكثر أتباعه وطلبوا منه أن يعلن توبته في المسجد ، ففعل ذلك فندمت طائفة منهم على استتابته ، وانضموا إلى العاذرين ، وقالوا : إنه الإمام وله حق الاجتهاد ولا يجوز استتابته ، وطلبوا منه أن يتوب من توبته ، فاختلف أصحابه أيضاً : فكفرته طائفة لخلعه نفسه وكان من أشدهم عليه أبو فديك[2] الذي يقال : إنه وثب على نجدة فقتله ، وبويع له بالإمامة ، فأنكر أصحاب نجدة تصرف أبي فديك فتبرؤوا منه وتولوا نجدة وكتب أبو فديك إلى عطية بن الأسود الحنفي[3] يخبره بما اكتشفه من ضلال نجدة وقتله إياه ، وأنه أحق بالخلافة منه ، فكتب عطية إلى أبي فديك وطلب منه أن يأخذ له البيعة ممن قبله فأبى ذلك أبو فديك فبريء كل واحد منهما من صاحبه ، وصارت الدار لأبي فديك وتبعه بعض النجدات

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين : ١٧٥/١ ، الفرق بين الفرق ، ص : ٨٩ ، الملل والنحل : ١٢٣/١ .

(٢) اسمه عبد الله بن ثور ، زعيم فرقة الفديكية من الخوارج ، انظر مقالات الإسلاميين : ١٨٢/١ ، الفرق بين الفرق ، ص : ٨٨ .

(٣) زعيم فرقة العطوية من الخوارج ، انظر مقالات الإسلاميين : ١٧٦/١ ، الفرق بين الفرق ، ص : ٨٨ ، وانظر اللباب في تهذيب الأنساب : ٣٤٧/٢ ، التبصير في الدين ، ص : ٥٢ .

وظل البعض على الولاء لنجدة فصارت النجدات ثلاث فرق : النجدية ، والعطوية ، والفديكية[1] ، وكان هذا الخلاف بين النجدات من أعظم العوامل في تدمير هذه الفرقة حيث اضمحل أمرها وتلاشى أثرها .

* الصفرية :

لقد اختلف العلماء فيمن تنتسب إليه هذه الفرقة ، هل سموا بذلك نسبة إلى الصفرة إشارة إلى صفرة وجوههم من أثر ما تكلفوه من السهر والعبادة والزهد أم سموا بهذه التسمية نسبة إلى رجل معين كما نسبت الأزارقة والنجدات والإباضية ، والذين ذهبوا إلى هذا الرأي الأخير اختلفوا في الشخص الذي نسبت إليه هل هو عبد الله بن صفار التميمي ، أم زياد بن الأصفر ، أم المهلب بن أبي صفرة ، ولعل أصوب هذه الأقوال أن هذه الفرقة تنسب إلى عبد الله بن صفار التميمي[2] ، الذي كان مع نافع بن الأزرق في بداية أمره ، ثم انفصل عنه عندما حصل الخلاف والانشقاق بين قادة الخوارج[3] ، والصفرية كانت أقل شذوذاً وأقل غلواً من الأزارقة إذ أنهم خالفوهم في رأيهم تجاه القعدة ومرتكب الكبيرة ، فلم يكفروا القعدة كما ذهب الأزارقة ما داموا موافقين لهم في مذهبهم ولم يكفروا مرتكب الكبيرة على الإطلاق كما هو مذهب الأزارقة بل فرقوا بين الذنوب التي فيها حد مقرر كالزنا والسرقة والقذف والقتل العمد ، فهذه في رأيهم لا يتجاوز بمرتكبها الاسم الذي سماه الله بها زان ، وسارق ، وقاذف ، وقاتل عمد ، وليس صاحبه كافراً ولا مشركاً ، وكل ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم فهو

---

(١) انظر في شأن النجدات مقالات الإسلاميين : ١/١٧٤ – ١٧٦ ، الفرق بين الفرق ، ص : ٨٧ – ٩٠ ، الملل والنحل : ١/١٢٢ – ١٢٥ ، التبصير في الدين ص : ٥٢ – ٥٣ .

(٢) انظر الخلاف في شأن هذه النسبة ، لسان العرب : ٤/٤٦٤ – ٤٦٥ ، وانظر الصحاح للجوهري : ٢/٧١٥ ، القاموس : ٢/٧٣ ، اللباب في تهذيب الأنساب : ٢/٢٤٤ .

(٣) انظر كيف بدأ الخلاف بين رؤساء الخوارج . تاريخ الأمم والملوك : ٥/٥٦٦ – ٥٦٨ ، الكامل في التاريخ : ٤/١٦٥ – ١٦٨ .

كفر وصاحبه كافر[1] ، ولا يرى الصفرية أن دار مخالفيهم دار حرب ، كما لم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم ، ولا يقولون بخلودهم في النار و لم يجيزوا سبي الذرية والنساء ولهم آراء تفردوا بها في الشرك والكفر والبراءة .

فالشرك عندهم شركان : شرك هو طاعة الشيطان ، وشرك هو عبادة الأوثان ، والكفر كفران : كفر بإنكار النعم ، وكفر بانكار الربوبية ، والبراءة براءتان : براءة من أهل الحدود سنة ، وبراءة من أهل الجحود فريضة[2] .

و لم يسقط الصفرية عقوبة الرجم كما فعل الأزارقة ، وأجازوا التقية كالنجدات ولكن في القول دون العمل[3] . ويذكر عن بعضهم تزويج المسلمات[4] من كفار قومهم[5] في دار التقية دون دار العلانية[6] .

وقد تولى الصفرية المحكمة الأولى كعبد الله بن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير وأتباعهما وقالوا بإمامة أبي بلال مرداس الخارجي الذي خرج أيام يزيد ابن معاوية ناحية البصرة وقتلته جيوش عبيد الله بن زياد ورثاه عمران بن حطان الذي كان شاعراً ناسكاً وأصبح إماماً للصفرية بعد أبي بلال بقوله :

أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناس[7]

وقد قام الصفرية بثورات عديدة ناحية الشمال الأفريقي في عهد الأمويين ففي عهد هشام بن عبد الملك (٧١ - ١٢٥ هـ) خرج رجل منهم يسمى ميسرة المضفري بنواحي طنجة[8] واستطاع حمل البربر على الخروج عن طاعة

---

(١) الفرق بين الفرق ، ص : ٩١ ، وانظر الملل والنحل : ١٣٧/١ .
(٢) الملل والنحل للشهرستاني : ١٣٧/١ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) يقصدون الخارجيات .
(٥) يقصدون بكفار قومهم بقية المسلمين .
(٦) الملل والنحل : ١٣٧/١ .
(٧) انظر الفرق بين الفرق ، ص : ٩١ - ٩٣ .
(٨) طنجة : بلدة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهي مدينة قديمة بناؤها بالحجارة قائمة =

الخليفة الأموي واستطاع إخضاع سائر بلاد المغرب الأقصى جنوب طنجة حتى وصل إلى السوس[١] ، وبويع له بالخلافة وخاطبه البربر بأمير المؤمنين ، ثم اتهم بممالأة العرب وخلع من الإمارة ، وبويع مكانه خالد بن حميد الزناتي ولكن جيوش الخلافة تمكنت من إخماد حركة الصفرية سنة ثلاث وعشرين ومائة هجرية[٢] ، كما شهد العصر العباسي أيضاً : بعض الثورات الخارجية للصفرية ، ومن ضمنها : ثورتهم بناحية « مكناسة » في المغرب الأقصى بقيادة عيسى بن أبي يزيد الذي تجمع حوله الصفرية من بني مدرار واختطوا لأنفسهم مدينة سجلماسة[٣] سنة أربعين ومائة هجرية واقتطعوها لأنفسهم من ولاية القيروان ، وظل أبو يزيد أميراً نحواً من خمسة عشر عاماً ثم بويع من بعده لأبي القاسم بن سمكوا المكناسي الصفري الذي يقال : إنه كان يدين بالولاية للخليفة العباسي[٤] ، وكانت هناك ولاية خارجية صفرية تحت زعامة رجل يدعى أبو قرة الصنهاجي ، الذي استطاع محاصرة القيروان والاستيلاء عليها[٥] .

* الإباضية :

تنتسب الإباضية إلى عبد الله بن إباض بن تيم اللات بن ثعلبة التميمي من بني مرة بن عبيد رهط الأحنف بن قيس[٦] وقد اختلف أهل العلم في الوقت

= على البحر . معجم البلدان : ٤٣/٤ .

(١) السوس : بلد بالمغرب كانت الروم تسميها قمّونية ، وقيل : إنها كورة مدينتها طنجة . انظر معجم البلدان : ٢٨١/٣ .

(٢) انظر كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب : ٥٢/١ - ٩٣ ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى : ٩٧/١ .

(٣) سجلماسة : مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب . انظر معجم البلدان : ١٩٢/٣ .

(٤) انظر البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب : ١٥٦/١ ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى : ١١١/١ - ١١٢ .

(٥) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى : ١١٦/١ .

(٦) انظر ترجمة ابن إباض في الأعلام للزركلي : ١٨٤/٤ - ١٨٦ .

الذي خرج فيه عبد الله ، هذا فقد قرر العلامة ابن جرير الطبري إلى أنه كان مع نافع بن الأزرق ، وأنه انفصل عنه وكان هذا في سنة أربع وستين هجرية[1] .

وذهب الشهرستاني : إلى أن ابن إباض ظهر في زمن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية[2] .

والإباضية يذهبون إلى ما قرره ابن جرير الطبري ويقولون : إن ابن إباض ظهر في أيام معاوية وعاش إلى زمن عبد الملك بن مروان وكان في أول أمره مع نافع بن الأزرق ولكن اختلف معه وفارقه ورد عليه[3] .

قال محمد بن سعيد الأزدي في صدد ذكره لابن إباض « نشأ في زمان معاوية بن أبي سفيان ، وعاش في زمان عبد الملك بن مروان ، وكتب إليه السير المشهورة والنصائح المعروفة المذكورة »[4] .

ورغم ارتباط الإباضية بعبد الله بن إباض إلا أنهم يعتبرون المؤسس الحقيقي الأول لفرقة الإباضية هو جابر بن زيد[5] إذ أنه كان الإمام الأكبر وفقيههم ومفتيهم وهو الشخص الذي ظهر به فقه الإباضية بينما كان ابن إباض المسئول عن الدعوة والدعاة في شتى الأقطار[6] ، وإذا كان جابر بن زيد بهذه المنزلة

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٥/٥٦٦ - ٥٦٧ .

(٢) الملل والنحل : ١/١٣٤ .

(٣) انظر العقود الفضية في أصول الإباضية ، ص : ١٢١ - ١٢٢ .

(٤) الفرق الإسلامة من خلال الكشف والبيان لأبي سعيد محمد بن سعيد الأزدي القلهماني ، ص : ٢٩٤ .

(٥) هو جابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدي ثم الجوفي البصري مشهور بكنيته وهو تابعي فقيه من أهل البصرة أصله من عمان صحب ابن عباس وكان من بحور العلم ، نفاه الحجاج إلى عمان ، ولد سنة إحدى وعشرين ومات سنة ثلاث وتسعين هجرية . انظر ترجمته في حلية الأولياء : ٣/٨٥ - ٩٠ ، تذكرة الحفاظ : ١/٧٢ ، البداية والنهاية : ٩/١٠٤ ، تهذيب التهذيب : ٢/٣٨ .

(٦) انظر الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ، عوض محمد خليفات ، ص ٢٩ ، عمان في فجر الإسلام ، سيدة إسماعيل كاشف ، ص ٥٥ وما بعدها .

العلمية فلماذا نسبت الفرقة إلى ابن إباض و لم تنسب إليه ؟، للإجابة على هذا السؤال ذهب أحد الإباضية المعاصرين إلى أنه لا يدري السبب في عدم نسبة المذهب إلى جابر مع أنه أفقه وأعلم أهل زمانه ، وقد قيل : إن ابن إباض يصدر في كل شؤونه عن فتواه ولا يبت في أمر من الأمور إلا بمشورته ورضاه[1] ، بينما ذهب كاتب إباضي آخر في تفسير ذلك إلى أن نسبة المذهب إلى ابن إباض نسبة عرضية ، كان سببها بعض المواقف الكلامية والسياسية التي اشتهر بها ابن إباض وتميز بها ، فنسب المذهب الإباضي إليه ، و لم يستعمل الإباضية في تاريخهم المبكر هذه النسبة فكانوا يستعملون عبارة « جماعة المسلمين » أو « أهل الدعوة » وأول ما ظهر استعمالهم لكلمة « الإباضية كان في آخر القرن الثالث الهجري »[2] .

وللإباضية آراء تميزوا بها من بين فرق الخوارج ، فهم يقولون : « إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال ، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال ، وما سواه حرام ، وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة ويقولون إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم ، وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة ، وتوقفوا في أطفال المشركين وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضلاً ، واختلفوا في النفاق : أيسمى شركاً أم لا ، قالوا : إن المنافقين في عهد رسول الله ﷺ كانوا موحدين إلا أنهم ارتكبوا الكبائر فكفروا بالكبيرة لا بالشرك »[3] .

وأول بقعة نبتت عليها نابتة الإباضية البصرة ، ثم انتشروا في شمال أفريقيا ،

---

(١) انظر مختصر تاريخ الإباضية ، لأبي ربيع سليمان الباروني ، ص : ٢٤ .

(٢) أجوبة ابن فرحون ، ص : ٩ ، هامش (١) ، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية ، ص : ١٥ .

(٣) الملل والنحل : ١/١٣٤ - ١٣٥ ، وانظر الفرق بين الفرق ، ص : ١٠٣ - ١٠٤ ، التبصير في الدين ، ص : ٥٨ .

وفي الجزيرة ، واستطاعوا أن يكونوا لهم دولة في عمان استقلوا بها عن الدولة العباسية في عهد أبي العباس السفاح (١٣٢ - ١٣٦هـ) وامتد نفوذها إلى جزيرة زنجبار ولا تزال مبادىء الإباضية وأفكارهم هي السائدة في هذه الأماكن كما أقام الإباضية لهم دويلات في ليبيا والجزائر واستمروا في ليبيا مدة ثلاثة أعوام فقط من عام ١٤٠ - ١٤٤هـ ، وفي جبل نفوسة ثم في منطقة تاهرت ، اكتسب الإباضية ثقة البربر ، وتمكن عبد الرحمٰن بن رستم أحد الذين تعلموا على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة من إقامة دولة بني رستم والتي استمرت قرابة المائة والخمسين عاماً من عام (١٤٤ - ٢٩٦هـ) ، وكانت عاصمتها تاهرت مركزاً مهماً للدراسات وفقاً للمذهب الإباضي واستمرت - دولة بني رستم - حتى سقطت على يد الدولة « العبيدية الشيعية »[١] والإباضية هي إحدى فرق الخوارج التي لها وجود إلى الوقت الحاضر ، ووجودهم الآن يتمثل في دولة عمان بأكملها ، « وجنوب الجزائر - وادي ميزاب ، وجنوب تونس ، وشمال ليبيا - جبل نفوسة »[٢] ، فهذه الفرق المتقدم التعريف بها تعد أكبر فرق الخوارج الكبار .

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى : « وأصل قول الخوارج إنما هو قول الأزارقة والإباضية والصفرية والنجدية ، وكل الأصناف سوى الأزارقة والإباضية والنجدية فإنما تفرعوا من الصفرية »[٣] .

* * *

(١) انظر مختصر تاريخ الإباضية ، ص : ٢٧ - ٤٤ ، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية ، ص : ١٩ - ٢٠ ، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية ، ص : ١٧ ، وقد ذكر ياقوت الحموي نبذة عن عبد الرحمٰن بن رستم وعن تجمع الإباضية حوله . انظر معجم البلدان : ٩/٢ .

(٢) انظر الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ص : ٧٩ - ٨٠ ، العقود الفضية ص : ٢٣٧ - ٢٥١ ، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية ، ص : ١٧ .

(٣) مقالات الإسلاميين : ١٨٣/١ .

★ المبحث الثالث ★

الرد على مطاعنهم في الصحابة

لقد امتاز الخوارج عن الشيعة الرافضة بإثباتهم إمامة الصديق والفاروق رضي الله عنهما ، فهم يعتقدون أن إمامة أبي بكر وعمر إمامة شرعية ، لا شك في صحتها ولا ريب عندهم في شرعيتها ، وأن إمامتهما كانت برضى المؤمنين ورغبتهم ، وأنهما سارا على الطريق المستقيم الذي أمر الله به لم يغيرا ولم يبدلا حتى توفاهما الله تعالى على ما يرضيه من العمل الصالح والنصح للرعية وهذا الاعتقاد منهم حق وصدق ، فلقد كانا رضي الله عنهما كذلك ولا يشك في هذا إلا من فتن بمعتقد الرافضة ، وهذا المعتقد للخوارج تجاه الشيخين حالفهم فيه السداد والصواب ، وكانوا موفقين فيه لكنهم هلكوا فيمن بعدهما حيث قادهم الشيطان وأخرجهم عن الحق والصواب في اعتقادهم في عثمان وعلي رضي الله عنهما ، فلقد حملهم على إنكار إمامة عثمان رضي الله عنه في المدة التي نقم عليه أعداؤه فيها ، كما أنكروا إمامة علي أيضاً بعد التحكيم بل أدى بهم سوء معتقدهم إلى تكفيرهما وتكفير طلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عباس وأصحاب الجمل وصفين وقد وجه الخوارج إلى هؤلاء الأخيار من الصحابة طعناً عاماً يشملهم جميعاً ووجهوا إلى بعضهم طعناً على وجه الخصوص ، فطعنهم فيهم على وجه عام أنهم يعتقدون فيهم أنهم كفروا وقد دون أهل العلم هذا المعتقد السيء عنهم في كتبهم .

فقد قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى : « والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر وينكرون إمامة عثمان في وقت الأحداث التي نقم عليه.

من أجلها ، ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكم ، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم ويكفرون معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري[1] .

وقال المسعودي : « الذي يجمع الخوارج إكفارهم عثمان وعلياً ، والخروج على الإمام الجائر وتكفير مرتكب الكبائر والبراءة من الحكمين أبي موسى عبد الله ابن قيس الأشعري وعمرو بن العاص السهمي ، وحكمهما ، والبراءة ممن صوب حكمهما أو رضي به وإكفار معاوية وناصريه ومقلديه ومحبيه ، فهذا ما اتفقت عليه الخوارج من الشراة والحرورية »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وكان شيطان الخوارج مقموعاً لما كان المسلمون مجتمعين في عهد الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ، فلما افترقت الأمة في خلافة علي رضي الله عنه وجد شيطان الخوارج موضع الخروج فخرجوا وكفروا علياً ومعاوية ومن والاهما فقاتلهم أولى الطائفتين بالحق علي بن أبي طالب »[3] .

وقال الشهرستاني بعد تعداده لكبائر فرق الخوارج : « ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما ويقدمون ذلك على كل طاعة »[4] .

وقال في المحكمة الأولى : « وطعنوا في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي عدوها عليه وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين »[5] .

وقال في الأزارقة بعد أن ذكر أنهم يعتقدون كفر علي رضي الله عنه قال : « وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في

---

(١) مقالات الإسلاميين : ٢٠٤/١ .

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر : ١٢٥/٣ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٨٩/١٩ .

(٤) الملل والنحل : ١١٥/١ .

(٥) المصدر السابق : ١١٧/١ .

النار[1] .

وهذا المعتقد واضح البطلان بمجرد سماعه ، واعتقاده ضلال وغواية وترك للحق جانباً ، والخوارج استهواهم الشيطان بمعتقدهم هذا فكانوا له تبعاً فاعتقادهم كفر من تقدم ذكرهم من أصحاب رسول الله ﷺ باطل لأمور عدة : —

* **الأمر الأول** : أن الله تعالى أخبر بأنهم خير أمة أخرجت للناس ، وكذا رسوله ﷺ أخبر بأنهم أفضل أمته .

فقد قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[2] .

فقد نوه سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بأنهم خير أمة أخرجت للناس وذلك لقيامهم الكامل بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما ذلك إلا لما بلغوا إليه من كمال الإيمان وقوة اليقين ولأنهم حققوا صفات الخيرية المنوه عنها في هذه الآية ، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال : هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **خير الناس القرن الذي أنا فيه ، ثم الثاني ، ثم الثالث** »[4] .

« وإنما كان قرنه خير الناس لأنهم آمنوا به حين كفر الناس وصدقوه حين كذبوه ونصروه حين خذلوه وجاهدوا وآووا »[5] .

---

(١) الملل والنحل : ١٢١/١ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١١٠ .

(٣) المستدرك : ٢٩٤/٢ ، وقال عقبه : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبي ، وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٢٩٣/٢ .

(٤) صحيح مسلم : ١٩٦٥/٤ ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٥) فيض القدير للمناوي : ٤٧٨/٣ .

وأفراد الصحابة الذين يعتقد الخوارج المارقون كفرهم هم من الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ، وفي مقدمة من يتناوله هذا الثناء العالي الرفيع فهم من أهل الهجرة ومن الذين آمنوا بالنبي ﷺ حين كفر به الناس وهم من الذين جاهدوا معه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه ، فالآية والحديث فيهما شهادة الله ورسوله للصحابة عموماً بأنهم خير أمة محمد ﷺ .

* **الأمر الثاني** : شهادة الله لهم بالإيمان الحقيقي الثابت في مواضع كثيرة من كتابه العزيز .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[1] فكلمة ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ في هذه الآية أول ما ينطلق هذا اللفظ على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، إذ أنهم أول وأفضل من دخل في هذا الخطاب بلا نزاع ، لأنهم أول من خوطبوا به .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

ففي هذه الآية تذكير الله تعالى لنبيه بما أنعم عليه من تأييده له بالمؤمنين الذين هم المهاجرون والأنصار .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ ﴾[3] ولفظ المؤمنين في هذه الآية أول الداخلين فيه أصحاب رسول الله ﷺ ، إذ هم المقصودون بالخطاب حال النزول قبل سائر المؤمنين والصحابة الذين كفرهم الخوارج هم من الذين أيد الله بهم نبيه وأمره بتحريضهم على القتال ، ولكن لما

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٦٨ .

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٦٢ .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ٦٥ .

زاغ الخوارج عن الحق والهدى في شأن الصحابة أزاغ الله قلوبهم فلم يهتدوا إلى شهادة العليم الخبير بحقيقة الإيمان للصحابة الذين كفروهم أو تبرؤوا منهم .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[1] .

وهذه الآية تضمنت شهادة الله تعالى للمهاجرين والأنصار بأنهم أهل الإيمان حقاً ، وفي الآية إشارة إلى ما يدل على حقيقة إيمانهم حيث إنهم هجروا أوطانهم وتركوها لأعدائهم في الله - لله عز وجل - وجاهدوا بأموالهم حيث صرفوها في الكراع والسلاح وأنفقوها على المحاويج من المسلمين وباشروا القتال بأنفسهم واقتحام المعارك والخوض في لجج المهالك من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

وعندما يتدبر المسلم نصوص القرآن الكريم التفصيلية يجد شهادة الله تعالى فيه لأصحاب رسول الله ﷺ بالإيمان في مختلف المواقع والمواقف التي تفيد في مجموعها ما تفيده النصوص العامة من الشهادة لمجموعهم بالإيمان وتفيد بدلالتها أيضاً : أن تكفير الخوارج لطائفة منهم هو عين الضلال ، وعين المعاندة للأخبار القرآنية الإلٰهية ، قال تعالى منوهاً بشأن أهل بدر :

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَىٰٓۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[2] .

وقال عنهم في موضع آخر :

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٧٤ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٢٤ - ١٢٥ .

إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] .

وقال فيمن شهدوا أحداً :

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[3] .

وقال فيمن شهدوا صلح الحديبية وانقادوا لحكم الله ورسوله :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[4] .

فهذه الآيات فيها شهادة الله تعالى بالإيمان لأهل بدر وأهل أحد وأهل الحديبية ، وفيهم معظم من يعتقد الخوارج أنهم كفروا ، فلقد هلك الخوارج بنص هذه الآيات بحكمهم على طائفة من خيار الأمة بالكفر إذ أن – الباري جل وعلا – شهد لهم بحقيقة الإيمان والخوارج يكذبون الله في شهادته لهم بالإيمان وينسبون إليه الجهل ، إذ أنه يبعد أن يشهد الله تعالى بالإيمان لقوم وهو يعلم أنهم سيكفرون .

* **الأمر الثالث** : أن الرب تبارك وتعالى أخبر في محكم كتابه العزيز أنه رضي

---

(١) سورة الأنفال آية : ١١ – ١٢ .

(٢) سورة الأنفال آية : ١٧ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٢١ – ١٢٢ .

(٤) سورة الفتح آية : ٤ – ٥ .

عن الصحابة ورضوا عنه وأنه وعدهم بالخلود في الجنات والفوز العظيم .

قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(1) .

ففي هذه الآية صرح تعالى أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وهو دليل قرآني صريح في أن من يعتقد كفرهم فهو ضال مخالف لله جل وعلا حيث كفّر من رضي الله عنه ولا شك أن تكفير من رضي الله عنه مضادة له - جل وعلا - وتمرد وطغيان ، وهذه صفة الرافضة والخوارج المارقة .

وقال تعالى مبيناً فوزهم برحمته ورضوانه والنعيم المقيم في جناته : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾(2) .

فمن يجرؤ بعد هذا أن ينسبهم إلى الكفر ، اللهم إلا من كان له نصيب وافر من الخذلان ، وصار عبداً للشيطان بإخراجه نفسه من عبودية الرحمٰن .

وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(3) .

وفي هذه الآية أعلن الله رضاه عن جيش الإيمان الذين حضروا الحديبية من صحابة رسول الله ﷺ والذين كان منهم علي وطلحة والزبير ، وعثمان رضي الله عنه كان في مكة رسولاً لرسول الله ﷺ فبايع له النبي ﷺ وجعل يده بدلاً عن يده فكانت خيراً له من يده وما أحسن ما رد به عبد القاهر

---

(1) سورة التوبة آية : ١٠٠ .

(2) سورة التوبة آية : ٢٠ - ٢١ .

(3) سورة الفتح آية : ١٨ .

البغدادي على فرقة الخازمية[1] من الخوارج وهو رد صارم على كل من كفر طلحة والزبير وعلياً وعثمان رضي الله عنهم أجمعين ، فقد قال رحمه الله : « إن الخازمية خالفوا أكثر الخوارج في الولاية والعداوة وقالوا : إنهما صفتان لله تعالى وأن الله – عز وجل – إنما يتولى العبد الصالح على ما هو صائر إليه من الإيمان وإن كان في أكثر عمره كافراً ويرى منه ما يصير إليه من الكفر في آخر عمره وإن كان في أكثر عمره مؤمناً وإن الله تعالى لم يزل محباً لأوليائه ومبغضاً لأعدائه وهذا القول منهم موافق لقول أهل السنة في الموافاة غير أن أهل السنة ألزموا الخازمية على قولها بالموافاة أن يكون علي وطلحة والزبير وعثمان من أهل الجنة لأنهم أهل بيعة الرضوان الذي قال الله تعالى فيهم : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ ، وقالوا لهم إذا كان الرضا من الله تعالى عن العبد إنما يكون عن علمه أنه يموت على الإيمان وجب أن يكون المبايعون تحت الشجرة على هذه الصفة وكان علي وطلحة والزبير منهم ، وكان عثمان يومئذ أسيراً ، فبايع له النبيّ عليه السلام وجعل يده بدلاً عن يده وصح بهذا بطلان قول من أكفر هؤلاء الأربعة[2] .

فإخبار الله تعالى بأنه رضي عن الصحابة ورضوا عنه، وإخباره بأنه أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار وتبشيره لهم برحمته ورضوانه وأن لهم النعيم المقيم في الجنات من أعظم الأدلة الدالة على بطلان تكفير الخوارج لهم وأنهم أهل جهل وضلالة وأنهم باعتقادهم هذا سلكوا سبيل الشيطان وتركوا سبيل الرحمٰن إذ يبعد أن يعلن الله رضاه على قوم ويقضي لهم بالخلود في الجنة وقد سبق في علمه أنهم سيكفرون ما يعتقد هذا إلا من أصيب بالزيغ والخذلان ومكذب بآيات القرآن .

---

(١) الخازمية أتباع رجل يدعى خازم بن عليّ ، انظر ما جاء في شأن فرقة الخازمية . مقالات الإسلاميين : ١٧٩/١ ، التبصير في الدين ، ص : ٥٥ ، الفرق بين الفرق ، ص : ٩٤ – ٩٥ ، الملل والنحل للشهرستاني : ١٣١/١ .

(٢) الفرق بين الفرق ، ص : ٩٤ – ٩٥ .

* **الأمر الرابع** : أن الكفر بعيد الوقوع من قوم أخبر الله جل وعلا أنه بغّض إليهم الكفر والفسوق والعصيان وجعلهم راشدين .

قال تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾[2] .

فعند التأمل لهاتين الآيتين نجد في الآية الأولى أن الله تعالى أخبر بأن الكفر بعيد الوقوع من جيل الصحابة الكرام رضي الله عنهم حيث رباهم الله تربية فريدة لأنه أهَّلهم لحمل أمانة دين الإسلام حيث يقومون بتبليغ دعوة خاتم المرسلين إلى من بعدهم من الأمة المحمدية ، وقد فعلوا ذلك وقاموا به أتم قيام .

وأما الآية الثانية : فقد أخبر تعالى فيها أنه جعل الإيمان أحب الأشياء إليهم فلا يقع منهم إلا ما يوافقه ويقتضيه من الأمور الصالحة ، فاستحقوا بذلك أن يكونوا هم الراشدين ، كما نطقت بذلك الآية الكريمة .

فكيف يكفر أولئك الخيرة على زعم الرافضة والخوارج المارقة وعليهم تتلى آيات الله وفيهم رسوله ؟ ، بل كيف يكفرون وقد كرّه الله إليهم الكفر وجعلهم راشدين ؟ ، فلقد زاغ الخوارج الجهلاء بزعمهم كفر عثمان وعلي وطلحة والزبير وابن عباس وعائشة وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري ومعاوية وأصحاب الجمل وصفين من الصحابة الكرام رضي الله عنهم وليس هناك من تفسير لتكفيرهم هؤلاء الأخيار إلا التكذيب بالقرآن الذي أخبرنا الله فيه أنه وعد جميع الصحابة بالحسنى ، حيث قال جل وعلا : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٠١ .

(٢) سورة الحجرات ، آية : ٧ .

وَقَٰتَلُوا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[1] ، وبهذه الأمور الأربعة المتقدم ذكرها والتي استفدناها من آيات القرآن الكريم التي سقناها تبين بطلان تكفير الخوارج لمن قدمنا ذكرهم من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ولبعض فرق الخوارج مطاعن خاصة طعنوا بها على عثمان وعلي وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

فأما مطاعنهم على وجه الخصوص في ذي النورين عثمان ، فقد ذكر العلامة ابن جرير الطبري أن قبيصة بن عبد الرحمٰن الخثعمي كان يحدث أصحاب صالح بن مسرح التميمي[2] أن قصص صالح عنده وكان ممن يرى رأيهم فسألوه أن يبعث بالكتاب إليهم ففعل وقد كان من ضمن الكتاب قوله : « وولي المسلمين من بعده[3] عثمان فاستأثر بالفيء وعطل الحدود وجار في الحكم واستذل المؤمن وعزّز المجرم ، فسار إليه المسلمون فقتلوه فبريء الله منه ورسوله وصالح المؤمنين »[4] .

هذا الطعن في ذي النورين صادر من رجل يعد زعيماً لفرقة الصفرية من الخوارج وهذا الطعن ما هو إلا اختلاق فعثمان رضي الله عنه لم يستأثر بفيء ولم يعطل حداً من حدود الله ، بل أقام حدود الله مدة خلافته كما أمر الله حتى توفاه ربه وسار في الأمة بسيرة رسوله ﷺ والخليفتين قبله ، ولم يخرج رضي الله

---

(١) سورة الحديد ، آية : ١٠ .

(٢) هو صالح بن مسرح التميمي أحد زعماء الصفرية ، وأول من خرج فيهم كان كثير العبادة وكان يقيم في أرض دارا والموصل والجزيرة وله أصحاب يقرأ لهم القرآن ويعظهم فدعاهم إلى الخروج وإنكار الظلم وجهاد المخالفين لهم فأجابوه ، ووفد عليه شبيب بن يزيد فكان قائد جيشه ونشبت الوقائع بينه وبين أمير الجزيرة « محمد بن مروان » ، فقتل صالح بالقرب من الموصل ، قتله الحارث بن عميرة الهمداني سنة ٧٦ هجرية انظر ترجمته في تاريخ الطبري : ٢١٦/٦ وما بعدها ، الكامل ، لابن الأثير : ٣٩٣/٤ وما بعدها ، الأعلام للزركلي : ٢٨٣/٣ .

(٣) أي : بعد عمر .

(٤) تاريخ الأمم والملوك : ٢١٧/٦ .

عنه في حكمه قيد أنملة عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، حكم الأمة بالعدل ولم يخف في الله لومة لائم ، ولم يستذل مؤمناً ولم يعزز مجرماً كما تفوه بهذا هذا الخارجي الكذاب ، وإنما كانت خلافته عزاً للمؤمنين وذلاً للكافرين ، ولما أحس أهل الباطل من الفسقة الضالين الذين هم سلف هذا الخارجي الطاعن على عثمان بما ذكر لما أحسوا أنهم مقموعون ولنشر باطلهم غير مستطيعين تحزبوا أحزاباً وخرجوا من مصر والكوفة والبصرة تحت راية الشيطان حتى انتهوا إلى المدينة ، وأظهروا للناس أنهم يريدون الشكاية على عثمان من بعض المظالم حسب زعمهم ، فأظهروا ما لا يبطنون ، ثم غدروا حتى بلغ بهم الشر إلى أن قتلوا عثمان ظلماً وعدواناً ، فهؤلاء هم البغاة الظالمون المفسدون ، الذين يسميهم صالح بن مسرح بالمسلمين الذين ساروا إلى عثمان وقتلوه قتلهم الله ، وأما قوله : بريء الله منه ورسوله وصالح المؤمنين ، فهذا من جرأته على الكذب على - الرب جل وعلا - الذي زجر عليه بقوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾[1] ، فلا أظلم ممن يفتري على الله فيقال لهذا المفترى : متى بريء الله ورسوله من عثمان ؟ ، ومتى بريء منه صالح المؤمنين ؟ .

وعثمان كان من السابقين الأولين إلى الإسلام الذين جاء مدحهم والثناء عليهم بذلك في القرآن الكريم ، وأثنى عليه رسوله ﷺ وهو من الذين جاهدوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام في غزواته بغية إعلاء كلمة الله وكان على غاية من الكرم والإحسان زوجه المصطفى عليه الصلاة والسلام بثنتين من بناته ، فكان له صهر مكرم محمود وأعظم من هذا كله ، شهادة رسول الله ﷺ له بالجنة وهو حي يمشي على الأرض ولم يحضر بدراً بسبب تمريضه زوجته بنت رسول الله ﷺ ، فألحقه الله عز وجل - بالبدريين في أجره وسهمه ، فكان معدوداً فيهم ، ولما ولي الخلافة كانت له فتوحات في الإسلام عظيمة اعتز بها المسلم وذل بها

---

(١) سورة العنكبوت ، آية ـ ٦٨ .

الفاجر المنافق ، وكانت له سيرة في الإسلام هادية لم يتسبب في سفك دم ، جاءت فيه آثار صحاح أن الملائكة تستحي منه ، وأنه ومن اتبعه على الحق وقد حظي رضي الله عنه بموالاة صالح المؤمنين ومحبتهم له إلى قيام الساعة لم يبرؤوا منه كما زعم هذا الخارجي ، ولم يبرأ منه أو يذمه إلا من سفه نفسه ، وكل من ابتلي بذم الصحابة أو تنقصهم إنما ذلك لهوانه على الله وهذه حال الرافضة والخوارج المارقة .

وأما طعنهم في علي رضي الله عنه على الخصوص فإن المحكمة الأولى لما انفصلوا عن جماعة المسلمين وانحازوا إلى حروراء انتحلوا أموراً نقموا عليه بها ، وخطؤوه من أجلها ، ولما علم رضي الله عنه أنهم بعد انحيازهم عنه ينقمون عليه أشياء تلطف معهم ، وحاول أن يقنعهم بالرجوع إلى الصواب ، فبعث إليهم ابن عباس رضي الله عنه لمناظرتهم، ولما انتهى إليهم ابن عباس سألهم عن الأسباب التي دفعت بهم إلى مفارقة معسكر الخليفة ردوا عليه بأنهم نقموا عليه ثلاثة أمور هي:–

* **الأول** : أنه بقبوله « التحكيم » قد حكم الرجال في أمر الله الذي يقول عنه تعالى : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾[1] ، فأخطأ بهذا وكان ينبغي أن يستمر في مقاتلة أهل الشام حتى يظهر أمر الله .

* **الأمر الثاني** : أنه قاتل أصحاب « الجمل » وقتلهم وفي نفس الوقت لم يسبهم ولم يأخذ غنائمهم ، بل إنه نهى عن قتل مدبرهم والإجهاز على جريحهم وغنيمة أموالهم وذراريهم وقالوا : « إنه ليس في كتاب الله إلا مؤمن أو كافر ، فإن كان هؤلاء مؤمنين لم يحل قتالهم ، وإن كانوا كفاراً أبيحت دماؤهم وأموالهم .

* **الأمر الثالث** : أنه بقبوله « التحكيم » قد محا نفسه من إمرة المؤمنين وفي رأيهم الفاسد أنه إن لم يكن أميراً للمؤمنين فإنه أمير الكافرين وقد بين لهم ابن

---

(١) سورة يوسف ، آية : ٦٧ .

عباس خطأهم في هذه الآراء ، وأنهم لم يستنبطوا بهذه الأمور إلا الباطل وليس الحق .

وقد روى ابن عباس نص حديثه ومحاورته الخوارج بنفسه ، فقد جاء عنه رضي الله عنه أنه قال : « لما اجتمعت الحرورية يخرجون على عليّ ، قال : جعل يأتيه الرجل فيقول يا أمير المؤمنين القوم خارجون عليك ، قال : دعوهم حتى يخرجوا ، فلما كان ذات يوم قلت : يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة فلا تفتني حتى آتي القوم قال : فدخلت عليهم وهم قائلون فإذا هم مسهمة[١] وجوههم من السهر ، وقد أثر السجود في جباهم كأن أيديهم ثفن[٢] الإبل عليهم قمص مرحضة فقالوا : ما جاء بك يا ابن عباس ، وما هذه الحلة عليك ؟ ، قال : قلت : ما تعيبون مني فلقد رأيت رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من ثياب اليمنية ، قال : ثم قرأت هذه الآية ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[٣] ، فقالوا : ما جاء بك ؟ فقال : جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد ، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله ، جئت لأبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم ، قال بعضهم لا تخاصموا قريشاً فإن الله يقول : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[٤] ، فقال بعضهم : بلى فلنكلمنه قال : فكلمني منهم رجلان أو ثلاثة ، قال : قلت ماذا نقمتم عليه ؟ ، قالوا : ثلاثاً ، قلت : ما هن ؟ ، قالوا : حكم الرجال في أمر الله ، وقال الله ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ ، قال : فقلت هذه واحدة ، وماذا أيضاً ، قالوا : فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم ،

---

(١) مسهمة : يقال لونه يسهم : إذا تغير عن حاله لعارض . النهاية لابن الأثير : ٢/٢٢٩ .

(٢) جمع ثفنة بكسر الفاء ما ولي الأرض من كل ذات أربع إذا بركت كالركبتين وغيرهما أي : غلظت جلود أكفهم لطول السجود . النهاية في غريب الحديث والأثر : ١/٢١٥ - ٢١٦ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٣٢ .

(٤) سورة الزخرف ، آية : ٥٨ .

ولئن كانوا كافرين لقد حل قتالهم وسبيهم ، قال قلت : وماذا أيضاً ؟ ، قالوا : ومحا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين ؟ ، قال : قلت أرأيتكم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقض قولكم هذا أترجعون ؟ قالوا : وما لنا لا نرجع ؟ ، قال : قلت : أما حكم الرجال في أمر الله فإن الله قال في كتابه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾[1] وقال في المرأة وزوجها ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾[2] فصير الله ذلك إلى حكم الرجال فنشدتكم الله أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وإصلاح ذات بينهم أفضل أو في حكم أرنب ثمن ربع درهم وفي بضع امرأة قالوا : بلى ، هذا أفضل ، قال : أخرجت من هذه ؟ ، قالوا : نعم ، قال : فأما قولكم قاتل فلم يسب ولم يغنم أفتسبون أمكم عائشة ؟ ، فإن قلتم نسبها فنستحل منها ما نستحل من غيرها ، فقد كفرتم ، وإن قلتم ليست بأمنا ، فقد كفرتم ، فأنتم ترددون بين ضلالتين أخرجت من هذه ؟ ، قالوا : بلى ، قال : وأما قولكم محا نفسه من إمرة المؤمنين ، فأنا آتيكم بمن ترضون ، إن نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ : « **اكتب يا عليّ هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ** » فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو : وما نعلم أنك رسول الله ، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، قال رسول الله ﷺ : « **اللهم إنك تعلم أني رسولك ، امح يا عليّ واكتب : هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل ابن عمرو** » ، قال فرجع منهم ألفان وبقي بقيتهم فخرجوا فقتلوا أجمعين »[3] .

(١) سورة المائدة ، آية : ٩٥ .

(٢) سورة النساء آية : ٣٥ .

(٣) روى حديث ابن عباس هذا مع الخوارج عبد الرزاق في المصنف : ١٠/١٥٧ - ١٦٠ ، وأخرج أحمد بعضه . انظر المسند : ١/٨٦ ، ورواه بكامله ابن عبد البر في كتابه « جامع بيان العلم وفضله » : ٢/١٢٦ - ١٢٨ ، وابن الجوزي في تلبيس إبليس ، ص : ٩١ - ٩٣ ، وأورده الهيثمي في مجمع =

فلقد حجهم في هذه المناظرة بما لا مدفع فيه من الحجة ، فقد بين لهم خطأهم في آرائهم التي استنبطوها حسب أهوائهم ، وجعلوها مطاعن على عليّ رضي الله عنه ، فقد بين لهم أن الله شرع التحكيم في أمور هي أهون من حقن دماء المسلمين كحالة الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما ، كما أمر تعالى أن يحكم في الصيد بجزاء ﴿ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[1]، فمن أنكر التحكيم مطلقاً فقد خالف كتاب الله ، ثم ذكر لهم أن التحكيم في أمر أميرين لأجل حقن دماء المسلمين أولى من التحكيم في أمر الزوجين والتحكيم لأجل الصيد .

أما بالنسبة لطعنهم عليه بعدم سبيه أهل الجمل ، فقد بين لهم أنه كان من ضمن القوم المقاتلين في معركة « الجمل » أم المؤمنين عائشة ، فهل يسبي الخوارج أمهم أم ينكرون أنها أمهم ؟ ، فإن قالوا : إنها ليست بأمهم خرجوا من الإسلام ، وإن قالوا : إنهم يسبونها ، ويستحلون منها ما يستحلون من غيرها فإنهم يخرجون أيضاً : من الإسلام ، فهم مترددون بهذا بين ضلالتين ، لأن الله تعالى قال : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[2] .

وقد بين الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى منشأ غلط الخوارج في هذه المسألة حيث قال : « وموضع غلطهم ظنهم أن من كان مؤمناً لم يبح قتاله بحال ، وهذا مما ضل به من ضل من الشيعة حيث ظنوا أن من قاتل علياً كافر فإن هذا خلاف القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[3]

فأخبر سبحانه أنهم مؤمنون مقتتلون ، وأمر إن بغت إحداهما

= الزوائد : ٦/٢٣٩ – ٢٤١ ، وقال عقبه : « رواه الطبراني وأحمد بعضه ورجالهما رجال الصحيح » .

(١) سورة المائدة ، آية : ٩٥ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٦ .

(٣) سورة الحجرات ، آية : ٩ – ١٠ .

على الأخرى أن تقاتل التي تبغي فإنه لم يكن أمر بقتال أحدهما ابتداء ، ثم أمر إذا فاءت إحداهما بالإصلاح بينهما بالعدل ، وقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ فدل القرآن على إيمانهم وأخوتهم مع وجود الاقتتال والبغي ، وأنه يأمر بقتال الباغية ، حيث أمر الله به[1] .

وأما المشكلة الثالثة وهي قولهم إن علياً محا عن نفسه أمير المؤمنين فقد رد عليهم ابن عباس - رضي الله عنهما - بأنه ليس في هذا شيء يؤخذ على « عليّ » ، إذ أن الرسول عليه الصلاة والسلام الذي هو أفضل من « عليّ » محا عن نفسه صفة الرسالة التي هي منزلة أفضل من منزلة إمرة المؤمنين وذلك حين قال لعليّ : في صلح الحديبية : « **اكتب لهم كتاباً** » فكتب عليّ : (هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله) فقال المشركون : والله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فقال رسول الله ﷺ : « **اللهم إنك لتعلم أني رسول الله ، امح يا علي واكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله** » ، فوالله لرسول الله خير من عليّ وقد محا نفسه .

بهذه الحجج الواضحة القوية استطاع ابن عباس[2] أن يرد طائفة كبيرة

---

(١) مجموع الفتاوى : ١٩/٨٩ - ٩٠ .

(٢) وقد عزا بعض أهل العلم هذه المناظرة مع الخوارج إلى عليّ نفسه . انظر الفرق بين الفرق ، ص : ٧٨ - ٧٩ ، والبداية والنهاية : ٧/٣٠٥ ، ولعل علياً رضي الله عنه هو الذي قرر أصول هذه الأجوبة أولاً ، ثم أرسل ابن عباس بها ويؤيد هذا ما رواه الإمام أحمد وغيره من حديث عبد الله بن شداد أنه دخل على عائشة مرجعه من العراق ليالي قتل عليّ ، فقالت له : يا عبد الله بن شداد هل أنت صادقي عما أسألك عنه تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم عليّ رضي الله عنه . قال : وما لي لا أصدقك ، قالت : تحدثني عن قصتهم ، قال : فإن علياً رضي الله عنه لما كاتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من الناس فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة ، وأنهم عتبوا عليه ، فقالوا : انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى « اسم سماك الله تعالى به » ثم انطلقت فحكمت في دين الله فلا حكم إلا لله تعالى ، فلما أن بلغ علياً رضي الله عنه ما عتبوا عليه وفارقوه عليه فأمر مؤذناً فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن ، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ، ويقول : أيها =

من الخوارج إلى الحق والصواب .

ومن المطاعن الخاصة التي طعنوا بها على عليّ رضي الله عنه أن نافع بن الأزرق بعد أن أكفر علياً افترى على الله وقال : إن الله أنزل في شأن عليّ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾[1] ، وصوّب عبد الرحمٰن بن ملجم لعنه الله ، وقال : « إن الله تعالى أنزل في شأنه : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[2] ».

وقد شارك نافع بن الأزرق في هذا الافك والافتراء على الله « حفص بن أبي المقدام » زعيم الحفصية من الإباضية[3] .

والرد على هذا الزور :

يقال لهذين الخارجيين اللذين حرما فقه كتاب الله : « إن الله تعالى أنزل القرآن مفرقاً على رسوله ﷺ حسب الحوادث ، فقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن

= المصحف حدث الناس ، فناداه الناس ، فقالوا : يا أمير المؤمنين : ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق ، ونحن نتكلم بما روينا منه ، فماذا تريد ؟ ، قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله ، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل : ﴿ **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما** ﴾ ، فأمة محمد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل ، ونقموا عليّ أن كاتبت معاوية وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشاً ، فكتب رسول الله ﷺ : « **بسم الله الرحمٰن الرحيم** » ، فقال سهيل : لا تكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم ، فقال : « **كيف نكتب** » ؟ ، فقال : اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ : « **فاكتب محمد رسول الله** » ، فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك ، فكتب : « **هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشاً** » ، يقول الله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ ، فبعث إليهم عليّ عبد الله بن عباس رضي الله عنه ... الحديث . المسند : ٨٦/١ ، ورواه أبو يعلى في مسنده ٣٦٧/١ - ٣٧٠ ، وأورده ابن كثير في البداية : ٣٠٦/٧ - ٣٠٧ ، وقال : تفرد به أحمد وإسناده صحيح ، واختاره الضياء في المختاره ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٢٣٥/٦ - ٢٣٧ وقال : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٠٤ .

(٢) الملل والنحل : ١٢٠/١ ، والآية رقم (٢٠٧) من سورة البقرة .

(٣) مقالات الإسلاميين : ١٨٣/١ .

﴿يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ الآية نزلت في الأخنس بن شريق ، وهو حليف بني زهرة ، أقبل إلى النبي ﷺ إلى المدينة فأظهر له الإسلام ، وأعجب النبي ﷺ ذلك منه ، وقال : « إنما جئت أريد الإسلام عند رسول الله ﷺ فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ﴾[1] .

وقيل : « إنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم »[2] .

وأما الآية الثانية ، وهي : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ﴾ ، فإنها نزلت في صهيب بن سنان الرومي ، حيث تبعه نفر من قريش لما خرج مهاجراً إلى الله ورسوله ، فقالوا له : أتيتنا صعلوكاً حقيراً ، فكثر مالك عندنا فبلغت ما بلغت ، ثم تنطلق بنفسك ومالك ؟ والله لا يكون ذلك فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته ، ثم قال : يا معشر قريش ، لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً وايم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، فافعلوا ما شئتم ، فإن شئتم دللتكم على مالي وخليتم سبيلي ، قالوا : نعم ، ففعل ، فلما قدم على النبي ﷺ قال : « ربح البيع أبا يحيى ، ربح البيع » ، فنزل قول تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[3] .

وبهذا تبين أن سبب نزول هاتين الآيتين ليس كما افتراه نافع بن الأزرق وحفص بن أبي المقدام زعيم الحفصية من الإباضية في أنهما نزلتا في علي رضي الله

---

(١) جامع البيان للطبري : ٣١٢/٢ ، أسباب النزول للنيسابوري ، ص : ٣٩ ، لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ، ص : ٤٠ .

(٢) هذا القول مروي عن ابن عباس . انظر جامع البيان للطبري : ٣١٣/٢ ، تفسير ابن كثير : ٤٣٦/١ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢٢٨/٣ ، وانظر أسباب النزول للنيسابوري ، ص : ٣٩ ، لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ، ص : ٤٠ .

عنه ، وفي المخذول عبد الرحمٰن بن ملجم الخارجي . وليس هناك من دافع لنافع ابن الأزرق وحفص بن أبي المقدام لتأويلهما الآيتين بما تقدم ذكره إلا اتباع الهوى والبغض الذي امتلأ به قلوب الخوارج لعلي رضي الله عنه الذي قال فيه ﷺ أنه « **لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق** »[1] ، فالخوارج الذين يبغضون علياً لهم النصيب الأكبر من هذا الوعيد الذي يتعرض له من أبغض رابع الخلفاء الراشدين .

ومن المطاعن التي طعن بها الخوارج على عليّ رضي الله عنه على وجه الخصوص ما زعمه حفص بن أبي المقدام من أن قوله تعالى : ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ﴾[2] فقد زعم هذا الأفاك الأثيم أن علياً هو الحيران الذي ذكره الله في هذه الآية ، وأن أصحابه الذين يدعونه إلى الهدى أهل النهروان[3] .

والرد على هذا الإباضي الذي كان زعيم الحفصية من الإباضية .

أن تأويله الآية بهذا محض افتراء على الله وتقول عليه سبحانه بغير علم ، فالآية الكريمة لم تنزل في أحد على وجه خاص ، وإنما الآية كما قال إمام المفسرين بن جرير الطبري : مثل ضربه الله لجميع العباد إن هم كفروا بعد الإيمان ، فقد قال رحمه الله في معنى الآية : « مثلكم إن كفرتم بعد الإيمان كمثل رجل كان مع قوم على الطريق ، فضل الطريق فحيرته الشياطين واستهوته في الأرض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه إليهم يقولون : ائتنا فإنا على الطريق ، فأبى أن يأتيهم ، فذلك مثل من يتبعكم بعد المعرفة بمحمد ، ومحمد الذي يدعو إلى الطريق ، والطريق هو الإسلام[4] ، فالآية مثل ضربه الله للذي لا يستجيب لهدي الله وهو

---

(١) انظر الحديث في : صحيح مسلم : ٨٦/١ من حديث علي نفسه .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ٧١ .

(٣) مقالات الإسلاميين : ١٨٣/١ .

(٤) جامع البيان : ٢٣٦/٧ ، وانظر : الدر المنثور للسيوطي : ٢٩٦/٣ .

الرجل الذي أطاع الشيطان وعمل في الأرض بالمعصية وحاد عن الحق وضل عنه وهذا الوصف موجود في الخوارج المارقة الذين يتركون التأويل الحق لآيات الكتاب ويتعمدون إلى تأويلها بالباطل كما فعلوا في الآيات السابقة حيث افتروا على الله وأولوها على حسب أهوائهم ، وبما يتفق مع بغضهم فكذبوا على الله وقالوا : إنها نزلت في علي رضي الله عنه البار الراشد الذي حفظت لنا السنة المطهرة الكثير من مناقبه الشريفة التي أعلاها وأجلها أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، وهو أحد الأشخاص الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة بأعيانهم وقد تربى على يدي النبي ﷺ وفي بيت النبوة وشهد المشاهد كلها إلا غزوة تبوك ، فإن النبي ﷺ خلفه على المدينة نيابة عنه ﷺ ، فكيف يأتي بعد هذا أناس شهد لهم الرسول ﷺ بالمروق من الدين مروق السهم من الرمية ، ويضادون شهادته ﷺ بالجنة لطائفة من أصحابه ، ثم يأتون ويقولون : إنهم كفار وإنهم يخلدون في النار بناء على شبه قذف بها الشيطان في قلوبهم فثبتت فيها فضلوا بها عن سواء السبيل وسلكوا طريق الضالين الغاوين .

وأما طعن الخوارج على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فإن الشبيبية من الخوارج الذين هم أتباع شبيب بن يزيد الخارجي أنكروا عليها خروجها إلى البصرة ، ويزعمون أنها كفرت بمخالفتها قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[1].

والرد على طعن الشبيبية هذا :

يقال لهم : إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لم تخرج إلى البصرة لما قذفه الشيطان في قلوبكم من الشر وحملتم خروجها عليه ، وإنما كان خروجها لقصد الإصلاح ، رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم فيرعوا حرمة نبيهم ورجت المثوبة واغتنمت الفرصة وخرجت رضي الله عنها حتى بلغت الأقضية مقاديرها ،

(١) سورة الأحزاب ، آية : ٣٣ .

ثم إن فرقة الشبيبية من الخوارج لم ينكروا على غزالة أم شبيب الخارجي ومن خرج معها من النساء الخارجيات لمقاتلة جيوش الحجاج بن يوسف الثقفي[1] ولم يكفروهن بذلك ولم يتلوا عليهن الآية التي يستدلون بها على أن عائشة رضي الله عنها أخطأت في خروجها إلى البصرة ، فإن زعموا أن أولئك النسوة معهن محارم من أزواج وبنين وإخوة يرد عليهم بأن أم المؤمنين كان معها أخوها محمد بن أبي بكر وابن أختها عبد الله بن الزبير ، وهي أم المؤمنين بنص القرآن الكريم ، حيث قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[2] ، ولكنهم قوم حرموا الفقه في الدين فلم يهتدوا لما أراده الله من الأوامر الشرعية .

ولقد رد عبد القاهر البغدادي على طعن الشبيبية على أم المؤمنين عائشة – رضي لله عنها – بخروجها إلى البصرة ، حيث قال : « يقال لهم أنكرتم على أم المؤمنين عائشة خروجها إلى البصرة مع جندها الذي كل واحد منهم محرم لها لأنها أم جميع المؤمنين في القرآن وزعمتم أنها كفرت بذلك وتلوتم عليها قول الله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ فهلا تلوتم هذه الآية على غزالة أم شبيب ، وهلا قلتم بكفرها وكفر من خرجن معها من نساء الخوارج إلى قتال جيوش الحجاج ، فإن أجزتم لهن ذلك لأنه كان معهن أزواجهن أو بنوهن أو إخوتهن ، فقد كان مع عائشة أخوها عبد الرحمٰن وابن أختها عبد الله بن الزبير وكل واحد منهم محرم لها وجميع المسلمين بنوها وكل واحد محرم لها ، فهلا أجزتم لها ذلك على أن من أجاز منكم إمامة غزالة فإمامتها لائقة به وبدينه والحمد لله على العصمة من البدعة[3] .

فلقد وقف الخوارج من خيار الصحابة الذين تقدم ذكرهم موقفاً سيئاً

(١) انظر الفرق بين الفرق ، ص : ١١٢ – ١١٣ ، في شأن مقاتلة نساء الخوارج للحجاج .
(٢) سورة الأحزاب ، آية : ٦ .
(٣) الفرق بين الفرق ، ص : ١١٣ .

مشيناً حيث إنه موقف ممن شهد الله لهم بالإيمان وأخبر أنه رضي عنهم ورضوا عنه وأن لهم النعيم المقيم ، وأنهم أصحاب الفوز العظيم ، كما أخبر تعالى أنه وعدهم جميعاً بالحسنى وأخبر ﷺ أن من جاء بعدهم لا يدركهم في فضلهم ولو أنفق مثل أحد ذهباً ما يلغ مد أحدهم ولا نصيفه فلا يكفرهم بعد هذا أو يقدح فيهم إلا إنسان معاند لله مكذب له فيما أخبر به عنهم بما ذكر ، وهذه صفة من سفه نفسه وأنزلها منزلة الأخسرين أعمالاً ..

نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى ، ومن الغواية بعد الهداية ..

* * *

★ المبحث الرابع ★

ذكر أحاديث وآثار تتضمن ذمهم

لقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في ذم الخوارج المارقة وصفوا فيها بأوصاف ذميمة شنيعة جعلتهم في أخبث المنازل ، وكذا وردت بعض الآثار عن السلف تتضمن كذلك ذمهم وما سلكوه من الطريق المخالف لغير سبيل المؤمنين ، وسأذكر في هذا المبحث جملة من ذلك لبيان أن الخوارج أهل هوى وبدعة آثروا غرور الشيطان وتزيينه وأعرضوا عما اشتمل عليه كتاب الله من الهدى ، فلم يكن حظهم منه إلا مجرد تلاوته بالفم والحنجرة إذ بهما يتم تقطيع الحروف فلم تفقه قلوبهم ، ولا انتفعوا بما تلوا منه ، وقد وردت الإشارة إلى حالتهم هذه في الأحاديث التي وردت في ذمهم ووصمهم بأرذل الصفات .

فمن الأحاديث التي وردت الإشارة فيها إلى ذمهم :

ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً – إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم ، فقال : يا رسول الله اعدل ، فقال « **ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل** » ، فقال عمر : يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه ، فقال : « **دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم[1] يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[2] ينظر إلى** ....

---

(١) تراقيهم : جمع ترقوه ، وهي العظم بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان من الجانبين . النهاية في غريب الحديث والأثر : ١٨٧/١ .

(٢) الرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك. وقيل : هي كل دابة مرمية . النهاية : ٢٦٨/٢.

نصله[1] فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه[2] فما يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نضيه – وهو قدحه – فلا يوجد فيه شيء ، وقد سبق الفرث والدم[3] آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة[4] تدردر[5] ويخرجون على حين فرقة من الناس .

قال أبو سعيد : « فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن عليّ بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته »[6] .

وروى الشيخان أيضاً من حديث أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما « أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية هل سمعت النبي ﷺ يذكرها ؟ ، قال : لا أدري ما الحرورية ؟ ، سمعت النبي ﷺ يقول : « **يخرج في هذه الأمة – ولم يقل منها – قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم فيقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم – أو حناجرهم – يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في الفوقة[7] هل علق بها من الدم شيء** »[8] .

وروى البخاري من حديث يسير بن عمرو قال : قلت لسهل بن حنيف :

---

(1) النصل : هو حديدة السهم . انظر شرح النووي : ١٦٥/٧ .

(2) رصافه يقال : رصف السهم إذا شده بالرصاف وهو عقب يلوي على مدخل النصل فيه . النهاية : ٢٢٧/٢ .

(3) يعني : مر مراً سريعاً في الرمية لم يعلق به شيء من الفرث والدم . انظر شرح السنة للبغوي : ٢٢٦/١٠ .

(4) البضعة : القطعة من اللحم . النهاية في غريب الحديث : ١٣٣/١ .

(5) تدردر : أي : ترجرج تجيء وتذهب . النهاية في غريب الحديث : ١١٢/٢ .

(6) صحيح البخاري : ٢٨١/٢ ، صحيح مسلم : ٧٤٤/٢ ، ٧٤٥ .

(7) الفوقة : بضم الفاء ، هي : الحز الذي يجعل فيه الوتر . شرح النووي : ١٦٥/٧ .

(8) صحيح البخاري : ١٩٧/٤ ، صحيح مسلم : ٧٤٣/٢ – ٧٤٤ .

هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئاً ؟ ، قال : سمعته يقول - وأهوى بيده قبل العراق : « **يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية** »[1] .

ففي هذه الثلاثة الأحاديث ذم واضح لفرقة الخوارج ، فقد وصفهم ﷺ بأنهم طائفة مارقة ، وأنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد ، وأنهم يبالغون في الصلاة وقراءة القرآن لكنهم لا يقومون بحقوق الإسلام ، بل يمرقون منه بحيث يدخلون فيه ثم يخرجون منه سريعاً لم يتمسكوا منه بشيء ، كما اشتمل الحديث الأول في هذه الثلاثة الأحاديث أنهم يقاتلون أهل الحق ، وأن أهل الحق يقتلونهم وأن فيهم رجلاً صفة يده كذا وكذا ، وكل هذا وقع وحصل كما أخبر به ﷺ وفي قوله ﷺ : « **لا يجاوز تراقيهم** » احتمالان :

* **الأول** : يحتمل أنه لكونه لا تفقهه قلوبهم ويحملونه على غير المراد به .

* **الثاني** : يحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله[2] .

ومن صفاتهم الذميمة التي ذمهم بها الرسول ﷺ أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به ، وأنهم أصحاب عقول رديئة وضعيفة ، وأنهم عندما يقرءون القرآن يظنونه لشدة ما بلغوا إليه من سوء الفهم أنه لهم وهو عليهم .

فقد روى البخاري رحمه الله من حديث علي رضي الله عنه ، أنه قال : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثاً فوالله لأن أخر من السماء أحب إليّ من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **سيخرج قوم في آخر الزمان[3] أحداث** .

---

(١) صحيح البخاري : ١٩٨/٤ ، وانظر صحيح مسلم : ٧٥٠/٢ .

(٢) فتح الباري : ٦١٨/٦ ، وانظر ما قاله القاضي عياض في شرح النووي : ١٥٩/٧ .

(٣) قال الحافظ ابن حجر : المراد بآخر الزمان زمان خلافة النبوة فإن في حديث سفينة المخرج في السنن وصحيح ابن حبان وغيره مرفوعاً « **الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم تصير ملكاً** » ، وكانت قصة =

الأسنان[1] سفهاء الأحلام[2] يقولون من خير قول البرية[3] لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية »[4] .

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج ، فقال علي رضي الله عنه : أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يخرج قوم من أمتي[5] يقرءون القرآن ليس قرائتكم إلى قرائتهم بشيء ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية »[6] .**

وفي هذين الحديثين ذم للخوارج بأنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق ، فقد دل الحديث الأول على أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب[7] ، وأما هذا الحديث الذي هو حديث زيد بن وهب الجهني عن علي رضي الله عنه فقد أطلق الإيمان

= الخوارج وقتلهم بالنهروان في أواخر خلافة عليّ سنة ثمان وعشرين بعد النبي ﷺ بدون الثلاثين بنحو سنتين . فتح الباري : ٢٨٧/١٢ .

(١) صغار الأسنان . شرح النووي : ١٦٩/٧ ، وانظر النهاية : ٣٥١/١ .

(٢) أي : ضعفاء العقول . فتح الباري : ٦١٩/٦ .

(٣) « **يقولون من قول خير البرية** » أي : من القرآن كما في حديث أبي سعيد المتقدم « **يقرءون القرآن** » وكان أول كلمة خرجوا بها قولهم : لا حكم إلا لله وانتزعوها من القرآن وحملوها على غير محملها . فتح الباري : ٦١٩/٦ ، وانظر شرح النووي : ١٦٩/٧ .

(٤) صحيح البخاري : ٢٨١/٢ .

(٥) تقدم في حديث أبي سعيد « **يخرج في هذه الأمة** » ولم يقل منها ، وفي هذا الحديث « **يخرج قوم من أمتي** » ، فهنا يحتاج إلى الجمع بينهما . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله مبيناً وجه الجمع بين الحديثين : « المراد بالأمة في حديث أبي سعيد أمة الإجابة ، وفي رواية غيره أمة الدعوة . قال النووي : وفيه دلالة على فقه الصحابة وتحريرهم الألفاظ وفيه إشارة عن أبي سعيد إلى تكفير الخوارج وأنهم من غير هذه الأمة فتح الباري : ٢٨٩/١٢ ، وانظر شرح النووي على صحيح مسلم : ١٦٤/٧ .

(٦) صحيح مسلم : ٧٤٨/٢ .

(٧) فتح الباري : ٢٨٨/١٢ ، وانظر عمدة القاري : ٨٦/٢٤ .

فيه على الصلاة وكلا الحديثين دلا على أن إيمانهم محصور في نطقهم وأنه لا يتجاوز حناجرهم ، ولا تراقيهم ، وهذا من أبشع الذم وأقبحه لمن وصف به .

ومن الصفات القبيحة التي ذمهم بها عليه الصلاة والسلام أنهم بمروقهم من الدين لا يوفقون للعودة إليه ، وأنهم شر الخلق والخليقة ، فقد روى مسلم رحمه الله من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ « **إن بعدي من أمتي أو سيكون بعدي من أمتي قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق والخليقة** »[1] .

وروي من حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق قال : « **هم شر الخلق (أو من شر الخلق) يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق** »[2] .

ومن أخبر ﷺ عنه بهذه الصفة لا شك أنه من المهلكين البائسين الذين يحادون الله ورسوله ولهم الذلة والصغار في الدنيا قبل الآخرة .

ومن صفات الذم التي ذُمَّ بها الخوارج على لسان رسول الله ﷺ أنهم من أبغض الخلق إلى الله .

فقد جاء في صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا : لا حكم إلا لله ، قال عليّ : كلمة حق أريد بها باطل[3] إن رسول الله ﷺ وصف ناساً إني لأعرف صفتهم وهؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم ، « وأشار إلى حلقه » من أبغض خلق الله إليه منهم أسود إحدى

---

(١) صحيح مسلم : ٧٥٠/٢ .

(٢) صحيح مسلم : ٧٤٥/٢ .

(٣) معناه : أن الكلمة أصلها صدق . قال الله تعالى : ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ لكنهم أرادوا بها الإنكار =

يديه طبي شاة[1] أو حلمة ثدي ، فلما قتلهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئاً ، فقال : ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثاً ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه ، قال عبيد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول عليّ فيهم[2] .

ومن صفاتهم القبيحة التي كانت ذماً لهم على لسان رسول الله ﷺ أنهم حرموا من معرفة الحق والاهتداء إليه .

فقد روى مسلم رحمه الله في صحيحه من حديث أسير[3] بن عمرو عن سهل بن حنيف عن النبي ﷺ قال : « **يتيه قوم قبل المشرق محلقة رؤوسهم** »[4] .

قال النووي : قوله ﷺ « **يتيه قوم قبل المشرق** » أي : يذهبون عن الصواب ، وعن طريق الحق ، يقال : تاه إذا ذهب ولم يهتد لطريق الحق والله أعلم[5] .

ومن الصفات المذمومة التي تلبسوا بها وأخبر النبي ﷺ أنها واقعة فيهم أنهم يتدينون بقتل أهل الإسلام وترك عبدة الأوثان والصلبان .

فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري قال بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله ﷺ فقسمها

= على علي رضي الله عنه في تحكيمه . انظر شرح النووي : ١٧٣/٧ - ١٧٤ .

(١) يقال : لموضع الإخلاف من الخيل والسباع أطباء كما يقال : في ذوات الخف والظلف : خلف وضرع والمراد به هنا ضرع الشاة . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر : ١١٥/٣ ، وانظر شرح النووي : ١٧٤/٧ .

(٢) صحيح مسلم : ٧٤٩/٢ .

(٣) تقدم قريباً في حديث أن اسمه يسير بالياء المضمومة وفتح السين وهنا مثله إلا أنه بهمزة مضمومة وكلاهما صحيح يقال يسير وأسير . انظر شرح النووي : ١٧٤/٧ - ١٧٥ .

(٤) صحيح مسلم : ٧٥٠/٢ .

(٥) شرح النووي : ١٧٥/٧ .

رسول الله ﷺ بين أربعة نفر ... فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين[١] ناتئ الجبين[٢] ، محلوق الرأس فقال : اتق الله يا محمد ، قال : فقال رسول الله ﷺ **« فمن يطع الله أن عصيته أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني »** قال : ثم أدبر الرجل ، فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أن خالد بن الوليد ، فقال رسول الله ﷺ : **« إن من ضئضئي هذا قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد »**[٣] .

وفي هذا معجزة باهرة للرسول ﷺ حيث وقع منهم ما أخبر به ﷺ ، فإنهم كانوا يسلون سيوفهم على أهل الإسلام بالقتل وكانوا يغمدونها عن الكفار من اليهود والنصارى ، وكانوا يعظمون ظلمهم بل بلغ بهم سوء حالهم أن عنفوا أحدهم على تناوله حبة تمر من نخيل كتابي ، كما زجروا أحدهم ولاموه على قتله خنزيراً لمعاهد ، أما سفكهم دماء أهل الإسلام فإنهم يستحلون ذلك ويهونون أمره ، ولا يلومون عليه كقتلهم عبد الله بن خباب بن الأرت[٤] وغيره من المسلمين ، فإنهم فعلوا ذلك واستعرضوا الناس بالسيف دون أن يقول بعضهم لبعض هذا منكر .

ومن الصفات القبيحة التي كانت ذماً وعاراً مشيناً للخوارج أن الرسول ﷺ حرض على قتلهم إن هم ظهروا وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه لو أدركهم لأبادهم بالقتل إبادة عاد وثمود ، وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن من قتلهم له أجر عند الله تعالى يوم القيامة .

فقد روى الشيخان البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري

---

(١) مشرف الوجنتين : أي غليظهما والوجنتان تثنية وجنة والوجنة من الإنسان ما ارتفع من لحم خده .
(٢) ناتئ الجبين : أي بارز الجبين من النتوء وهو الارتفاع .
(٣) صحيح البخاري : ٢٣٢/٢ ، صحيح مسلم : ٧٤١/٢ - ٧٤٢ .
(٤) انظر مصنف ابن أبي شيبة : ٣٢٣/١٥ .

رضي الله عنه قال : بعث عليّ رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بذهيبة فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي وعيينة بن حصن الفزاري وزيد الطائي ثم أحد بني نبهان وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب فغضبت قريش والأنصار ، قالوا : يعطي صناديد[1] أهل نجد ويدعنا قال : (إنما أتألفهم) ، فأقبل رجل غائر العينين[2] مشرف الوجنتين ، ناتىء الجبين كث اللحية[3] محلوق ، فقال : اتق الله يا محمد ، فقال : « **من يطع الله إذا عصيت أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني** » فسأله رجل قتله أحسبه خالد[4] بن الوليد فمنعه ، فلما ولى قال : « **إن من ضئضئي هذا أو في عقب هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ... لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد** »[5] . وفي رواية لهما بلفظ قال : أظنه قال : « **لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود** »[6] .

وروى البخاري بإسناده إلى سويد بن غفلة قال : « قال عليّ رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخر من السماء أحب إلى من أن

---

(١) صناديد أهل نجد : أي ساداتها واحدها صنديد .

(٢) غائر العينين : أي أن عينيه داخلتان في محاجرهما لاصقتان بقعر العين .

(٣) كث اللحية : قال ابن الأثير : الكثاثة في اللحية أن تكون غير دقيقة ولا طويلة وفيها كثافة ، يقال : كث اللحية بالفتح ، وقوم كث بالضم . النهاية في غريب الحديث والأثر : ١٥٢/٤ .

(٤) جاء في صحيح البخاري : ١٩٨/٤ ، وكذا صحيح مسلم : ٧٤٤/٢ أن الذي سأل قتله عمر رضي الله عنه ، وقد جمع الحافظ بين الحديثين بأن كلاً منهما سأل ذلك وقد جاء في صحيح مسلم : ٧٤٣/٢ من حديث عمارة بن القعقاع فقام إليه عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ ، قال : (لا) ، قال ثم أدبر فقام إليه خالد سيف الله فقال : يا رسول الله ألا أضرب عنقه ، قال : (لا) ، فهذا نص في أن كلاً منهما سأل وقد استشكل سؤال خالد وذلك لأن بعث عليّ إلي اليمن كان عقب بعث خالد بن الوليد إليها والذهب المقسوم أرسله عليّ من اليمن كما في صدر حديث أبي سعيد ويجاب بأن علياً لما وصل إلى اليمن رجع خالد منها إلى المدينة فأرسل عليّ الذهب فحضر خالد قسمته . انظر فتح الباري : ٢٩٣/١٢ .

(٥) صحيح البخاري : ٢٣٢/٢ ، صحيح مسلم : ٧٤٢/٢ ، واللفظ للبخاري .

(٦) صحيح البخاري : ٧٤/٣ ، صحيح مسلم : ٧٤٢/٢ - ٧٤٣ .

أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول أهل البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة** »[1] .

وفي صحيح مسلم من حديث عليّ رضي الله عنه أنه قال : أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرؤن القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية** » ، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ لا اتكلوا عن العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي ، عليه شعرات بيض فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس[2] ، فسيروا على اسم الله ، قال سلمة بن كهيل : فنزلني زيد بن وهب منزلاً حتى قال : مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي فقال لهم ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها[3] فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء ، فرجعوا فوحشوا برماحهم[4] وسلوا السيوف ، وشجرهم الناس ....

---

(١) صحيح البخاري : ٢٨١/٢ ، وهو في مسلم : ٧٤٦/٢ - ٧٤٧ .

(٢) أغاروا في سرح الناس : السرح والسارح والسارحة الماشية ، أي : أغاروا على مواشيهم السائمة ، النهاية في غريب الحديث : ٣٥٨/٢ .

(٣) وسلوا سيوفكم من جفونها : أي : اخرجوها من أغمادها جمع جفن وهو الغمد . النهاية في غريب الحديث : ٢٨٠/١ .

(٤) فوحشوا برماحهم أي : رموا بها عن بعد منهم ودخلوا فيهم بالسيوف حتى لا يجدوا فرصة .

برماحهم[1] ، قال : وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان فقال عليّ رضي الله عنه : التمسوا فيهم المخدج[2] فالتمسوه فلم يجدوه ، فقام عليّ رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض ، قال : أخروهم فوجدوه مما يلي الأرض فكبر ثم قال : صدق الله وبلغ رسوله ، قال : فقام إليه عبيدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين آلله الذي لا إلـٰه إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ، فقال : إي والله الذي لا إلـٰه إلا هو ، حتى استحلفه ثلاثاً[3] وهو يحلف له[4] .

فهذه ثلاثة أحاديث اشتملت على ذم واضح للخوارج المارقة حيث حرض النبي ﷺ على قتلهم متى ظهروا كما ورد في هذه الأحاديث التنويه بعظيم أجر من قاتلهم عند الله تعالى ، وقد شرف الله رابع الخلفاء الراشدين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بمقاتلتهم وقتلهم إذ أن ظهورهم كان في زمنه رضي الله عنه وأرضاه على وفق ما وصفهم به رسول الله ﷺ من العلامات الموجودة فيهم ، فقد خرج رضي الله عنه إلى الخوارج بالجيش الذي كان قد هيأه للخروج إلى الشام فأوقع بهم بالنهروان ولم ينج منهم إلا دون العشرة ولم يقاتلهم رضي الله عنه حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم ، ولما أظهروه من الشر في أعمالهم وأقوالهم وحسبنا هنا من الأحاديث الواردة في ذم الخوارج ما تقدم ذكره إذ الأحاديث الواردة في ذمهم كثيرة قلما

---

(١) وشجرهم الناس برماحهم : أي مدوها إليهم وطاعنوهم بها ومنه التشاجر في الخصومة وسمي الشجر شجراً لتداخل أغصانه والمراد بالناس أصحاب عليّ . النهاية في غريب الحديث والأثر : ٤٤٦/٢ .

(٢) المخدج : بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الدال أي : ناقص اليد . شرح النووي : ١٧١/٧ ، النهاية : ١٣/٢ .

(٣) قال النووي : وإنما استحلفه ليسمع الحاضرين ويؤكد ذلك عندهم ويظهر لهم المعجزة التي أخبر بها رسول الله ﷺ ويظهر لهم أن علياً وأصحابه أولى الطائفتين بالحق وأنهم محقون في قتالهم . شرح النووي : ١٧٣/٧ .

(٤) صحيح مسلم : ٧٤٨/٢ - ٧٤٩ .

يخلو منها كتاب من كتب السنة المطهرة .

وأما الآثار الواردة عن السلف في ذم الخوارج فكثيرة جداً أيضاً نذكر طرفاً منها لبيان أن الخوارج اتصفوا بصفات ذميمة عابهم بها السلف رحمهم الله .

فمن الصفات التي ذمهم بها السلف أنهم قوم أصيبوا بالفتنة فعموا عن الحق وصموا فلا يسمعون حقاً ولا يهتدون إليه .

فقد روى عبد الرزاق عن معمر عمن سمع الحسن قال : لما قتل عليّ رضي الله عنه الحرورية قالوا : من هؤلاء يا أمير المؤمنين ، أكفار هم ؟ ، قال : من الكفر فروا ، قيل : فمنافقون ؟ ، قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً وهؤلاء يذكرون الله كثيراً ، قيل : فما هم ؟ ، قال : قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا[1] .

ومن الصفات الشنيعة التي شنع عليهم السلف بها أنهم كانوا يعتبرونهم من شرار خلق الله تعالى، حيث إنهم عمدوا إلى آيات من كتاب الله تعالى مقصود بها الكفار فجعلوها في المؤمنين، فقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يراهم شرار خلق الله وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين[2] .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن أبي غالب[3] قال : لما أتي برؤوس الأزارقة فنصبت على درج دمشق[4] جاء أبو أمامة رضي الله عنه ، فلما رآهم

---

(١) مصنف عبد الرزاق : ١٠/١٥٠ .

(٢) رواه البخاري تعليقاً في صحيحه : ٤/١٩٧ ، وقال الحافظ ابن حجر بعد ذكره لقول ابن عمر هذا : « وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار من طريق بكير بن عبد الله بن الأشج ، أنه سأل نافعاً كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية ؟ ، قال : كان يراهم شرار خلق الله انطلقوا إلى آيات الكفار فجعلوها في المؤمنين – ثم قال – سنده صحيح . اهـ . فتح الباري : ١٢/٢٨٦ .

(٣) قيل : اسمه حزور البصري . وقيل : سعيد بن الحزور ، وقيل : نافع . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب : ١٢/١٩٧ .

(٤) هذه الرؤوس مما كان بعث به المهلب بن أبي صفرة في عهد عبد الملك بن مروان . انظر تهذيب تاريخ دمشق : ٦/٤٢٠ .

دمعت عيناه ، ثم قال : كلاب النار كلاب النار ، هؤلاء لشر قتلى قتلوا تحت أديم السماء ، وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء ، قلت : فما شأنك دمعت عيناك ؟ ، قال : رحمة لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام ، قال : قلت أبرأيك قلت : كلاب النار ، أو شيء سمعته ؟ ، قال : إني إذاً لجريء بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ، ولا اثنتين ولا ثلاثاً فعدد مراراً ، ثم تلا : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ حتى بلغ ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] وتلا ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ﴾ حتى بلغ ﴿ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾[2] ، ثم أخذ بيدي فقال : أما إنهم بأرضك كثير فأعاذك الله تعالى منهم[3] .

وروى ابن أبي شيبة بإسناده إلى عمير بن إسحاق ، قال : ذكروا الخوارج عند أبي هريرة ، قال : « أولئك شرار الخلق »[4] .

ومن الصفات التي ذمهم بها السلف ووجدت فيهم أنهم كانوا يخشعون عند تلاوة المحكم من كتاب الله – عز وجل – ولكنهم كانوا يهلكون عند المتشابه منه .

فقد روى ابن أبي شيبة أيضاً : بإسناده إلى ابن عباس أنه ذكر ما يلقى الخوارج عند القرآن ، فقال : يؤمنون عند محكمه ويهلكون عند متشابهه[5] .

ومن الصفات التي ذمهم بها السلف ووجدوهم عليها أنهم « لما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٠٦ – ١٠٧ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٧ .

(٣) مصنف عبد الرزاق : ١٠/١٥٢ ، مصنف ابن أبي شيبة : ١٥/٣٠٧ – ٣٠٨ ، تهذيب تاريخ دمشق : ٦/٤٢٠ .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة : ١٥/٣٠٥ .

(٥) مصنف ابن أبي شيبة : ١٥/٣١٣ .

والخذلان ، فقد روى ابن أبي شيبة بإسناده إلى مصعب بن سعد قال : سئل أبي عن الخوارج ، قال : قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم »[1] .

ومما ذمهم به السلف رحمهم الله أنهم لما وقعوا في البدعة استدرجهم الشيطان شيئاً فشيئاً حتى بلغ بهم إلى أن استحلوا سفك دماء أهل الإسلام ، واجتمعوا على السيف وفتنوا بالاختلاف في الدين .

فقد روى عبد الرزاق في المصنف بإسناده إلى الحسن بن علي أنه قال : لرجل من الخوارج : ما الإسلام ؟ ، قال : شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله وحج البيت وصيام رمضان والغسل من الجنابة ، وذكر أشياء ، فقال الحسن : إنك لتقتل من هذا دينه .

وروى أيضاً بإسناده إلى أبي قلابة أنه قال : « ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا بها السيف »[2] .

وقال أيوب السختياني رحمه الله : « إن الخوارج اختلفوا في الإسلام واجتمعوا على السيف »[3] .

ومن الصفات التي تعد ذماً للخوارج وتشنيعاً عليهم أن السلف رحمهم الله كانوا يحمدون الله تعالى ، أن نجاهم مما وقع فيه الحرورية ، فقد روى عبد الرزاق بإسناده إلى أبي العالية الرياحي أنه قال : « إن عليّ لنعمتين ما أدري أيتهما أعظم أن هداني الله للإسلام ولم يجعلني حرورياً »[4] .

ومما شنع به السلف على الخوارج المارقة أنهم كانوا إذا استأذنوا عليهم في بيوتهم لم يأذنوا لهم بالدخول لشناعة بدعتهم ولقبح فعلهم مع أهل الإسلام ،

---

(١) المصدر السابق : ٣٢٥/١٥ ، كنز العمال : ٣٢٣/١١ .

(٢) هذا الأثر والذي قبله في مصنف عبد الرزاق : ١٥١/١٠ .

(٣) شرح السنة للبغوي : ٢٣٣/١٠ .

(٤) المصنف لعبد الرزاق : ١٥٣/١٠ .

واحترامهم لأهل الأوثان .

فقد روى ابن أبي شيبة بإسناده إلى غيلان بن جرير قال : « أردت أن أخرج مع أبي قلابة إلى مكة ، فاستأذنت عليه فقلت : أدخل ؟ ، قال : إن لم تكن حرورياً »[1] .

والآثار عن السلف في ذم الخوارج كثيرة وحسبنا في هذا المقام ما تقدم وكلها دلت على أن فرقة الخوارج من أهل البدع والبغي أشربت قلوبهم بحب الخروج على الولاة ومخالفة الجماعة وشق العصا واستحلال دماء أهل الإسلام وتكفيرهم والحكم عليهم بالخلود في النار ، ويسالمون عبدة الأوثان نعوذ بالله من الحيرة والشك والخذلان ...

* * *

(١) مصنف ابن أبي شيبة : ٣١٦/١٥ .

★ المبحث الخامس ★

الرد على معتقد النواصب في الصحابة

النواصب احدى طوائف أهل البدع التي أصيبت في معتقدها بعدم التوفيق للإعتقاد السديد في الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فقد زين لهم الشيطان اعتقاد عدم محبة رابع الخلفاء الراشدين وأحد الأئمة المهديين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وحملهم على التدين ببغضه وعداوته والقول فيه بما هو بريء منه كما تعدى بغضهم إلى غيره من أهل البيت كابنه الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره ، وقبل أن أذكر معتقد النواصب الذي جعلهم في ركب الفرق التي هلكت في شأن الصحابة الكرام أذكر تعريفهم ليعلم أنها فرقة غاب عنها قدر أهل بيت النبوة الذين في مقدمتهم علي رضي الله عنه والذي هو خير الأمة بعد الخلفاء الثلاثة قبله رضي الله عنهم أجمعين حيث نال شرف تربية الرسول ﷺ له ، ونال شرف الصحبة للنبي ﷺ منذ صغره ولما كبر كان شجاعاً مقداماً في محاربته الكفار والمشركين ، مع الرسول ﷺ ، وكذلك كان في حروب الردة مع الصديق رضي الله عنه ... وإلى تعريف فرقة النواصب :

جاء في القاموس : « وناصبه الشر أظهره له .... والنواصب والناصبية وأهل النصب المتدينون ببغضة علي رضي الله عنه لأنهم نصبوا له ، أي : عادوه »[1] .

وجاء في لسان العرب : ناصبه الشر والحرب والعداوة ، مناصبة أظهره له

---

(١) القاموس المحيط : ١٣٧/١ ، ١٣٨ . وانظر : تاج العروس : ٤٨٧/١ ، أساس البلاغة للزمخشري ، ص : ٦٣٥ .

ونصبه وكله من الانتصاب ... والنواصب : « قوم يتدينون ببغضة علي عليه السلام »[1] .

وفي كليات أبي البقاء الكفوي : « والنصب يقال أيضاً : لمذهب هو بغض علي بن أبي طالب وهو طرفي النقيض من الرفض »[2] .

فتبين من هذه التعاريف المتقدم ذكرها أن النصب هو بغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه والنيل منه والإنحراف عنه ، وسمي من كانت هذه صفته ناصبياً فالنصب كالرفض لأن الرفض هو بغض أصحاب رسول الله ﷺ والنيل منهم بالشتم والسب وكلاهما ضلال وابتعاد عن منهج الله في وجوب حب أصحاب رسول الله ﷺ ومعرفة سابقتهم في الإسلام ، وجهادهم بأنفسهم وأموالهم مع رسول الله ﷺ ونصرتهم له .

* معتقدهم السيء في الصحابة :

تبين من التعريف للنواصب أن من معتقدهم الفاسد تدينهم ببغض علي رضي الله عنه وأرضاه ، ولم يقفوا عند هذا الضلال الذي هو تدينهم ببغضه بل افتروا عليه وتنقصوه، حتى بلغ بهم سوء حالهم حتى رموه بالفسق ووصفوه بالظلم .

فقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى موقف الخوارج من علي رضي الله عنه ومعتقد النواصب فيه بعد أن بين أن الرافضة عاجزون عن رد مطاعن الفريقين فيه رضي الله عنه ، قال : « الخوارج الذين يكفرون علياً ، والنواصب الذين يفسقونه - يقولون - إنه كان ظالماً طالباً للدنيا وإنه طلب الخلافة لنفسه وقاتل عليها بالسيف وقتل على ذلك ألوفاً من المسلمين حتى عجز

---

(١) لسان العرب : ١/٧٦١ ، ٧٦٢ .

(٢) كليات أبي البقاء الكفوي ، ص : ٣٦١ ، وانظر هدى الساري مقدمة فتح الباري ، ص : ٤٥٩ .

عن انفراده بالأمر وتفرق عليه أصحابه وظهروا عليه فقاتلوه[1] .

كما يعتقدون أنه كان مخطئاً في حروبه ولم يكن مصيباً فيها[2] .

ثم إن النواصب تناولوا أيضاً : بالقول السيء الحسين بن علي رضي الله عنه حيث زعموا : « أن الحسين كان خارجياً ، وأنه كان يجوز قتله لقول النبي ﷺ : « **من أتاكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائناً من كان** » . رواه مسلم[3] .

وإلى بيان رد هذا المعتقد السيء :

فاعتقاد النواصب بغض عليّ وتدينهم به ضلال وجهالة ومخالف لما أراده الله ورسوله ممن جاء بعد الصحابة من وجوب تطهير قلوبهم من الغل والحقد عليهم ووجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم .

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[4] ففي هذه الآية بيان ما يجب للصحابة عموماً على من جاء بعدهم من المؤمنين ، فقد ندبهم الله إلى الدعاء والاستغفار لهم وإلى تطهير قلوبهم من الغل والحقد على الصحابة الكرام الذين منهم علي بن أبي طالب وابنه الحسين بن عليّ رضي الله عنهما ، بل إن علياً رضي الله عنه كان ممن لهم الصدارة في جيل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، فالنواصب الذين يبغضونه ويعاندونه معاندون للقرآن الذي وصى الله تعالى فيه عباده أن يقفوا من صحابة نبيه – ﷺ – الموقف الجميل وأن يقولوا فيهم القول الحسن .

---

(١) منهاج السنة النبوية : ١٦٢/١ .

(٢) انظر فتح الباري : ٥٤٣/١ .

(٣) ذكر معتقدهم هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة : ٢٥٦/٢ ، وانظر لفظ الحديث في صحيح مسلم : ١٤٧٩/٢ .

(٤) سورة الحشر ، آية : ١٠ .

وأما معاندتهم لما جاء في السنة المطهرة ومخالفتهم لها ودلالتها على خسران اعتقادهم في عليّ فأكثر من أن يحصى ، فقد عد النبي ﷺ حب عليّ علامة على إيمان من يحبه ، كما بين أن بغضه علامة واضحة على نفاق من يبغضه .

فقد روى الإمام مسلم بإسناده إلى عليّ رضي الله عنه أنه قال : « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق »[1] ، فهذا الوعيد يتناول كل من يبغض علياً رضي الله عنه كالخوارج والنواصب الذين لهم القسط الأكبر منه إذ هم أهلك الطوائف في أهل البيت ، إذ لم يعرفوا لعليّ رضي الله عنه قربه من رسول الله ﷺ وحب النبي عليه الصلاة والسلام له وما كان منه في نصرة الإسلام وسوابقه فيه ، فمن أبغضه دل ذلك على نفاقه وفساد سريرته والعياذ بالله ، فلا يبغض علياً رضي الله عنه أو غيره من أهل البيت إلا رجل متبع لهواه ومعتقد للباطل .

ومن الأحاديث التي خالفها النواصب والتي فيها الإشارة إلى خسرانهم وأنهم قوم هلكى بتدينهم ببغض عليّ أن المصطفى عليه الصلاة والسلام جعل حب عليّ رضي الله عنه حباً له وبغضه بغض له ﷺ .

فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى سلمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **من أحب علياً فقد أحبني ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني** »[2] ، فهذا الحديث فيه الحث على حب علي رضي الله عنه والتحذير من بغضه ، ووجوب محبته ، والنواصب مخالفون لحثه ﷺ على حب علي ، ولذلك وقعوا في المحظور الذي هو تحريم بغض علي وغيره من أهل البيت .

ومن الأحاديث التي أعرض الناصبة عنها صفحاً فلم يعملوا بها ولم يرعووا

---

(١) صحيح مسلم : ٨٦/١ .

(٢) المستدرك : ١٣٠/٣ ، وقال عقبه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي وأورده السيوطي في الجامع الصغير ، ورمز له بالصحة . انظر فيض القدير : ٣٢/٦ ، كما أورده الألباني في صحيح الجامع : ٢٢٨/٥ ، وقال عقبه : « صحيح » .

بما جاء فيها من تحريم بغض الصحابة ولم يحذروا ما جاء فيها من الوعيد ما رواه البخاري بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب** »[1] .

هذا الحديث نص في تحريم معاداة أولياء الله الذين آمنوا به واتقوه ولا يشك مسلم في أن في مقدمة أولياء الله الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين وعليّ رضي الله عنه واحد منهم بل هو ممن لهم الصدارة في الرعيل الأول رضي الله عنهم وأرضاهم، وفي هذا التهديد الشديد في الحديث يدخل النواصب لأن من كره من أحب الله خالف الله ، ومن خالف الله عانده ، ومن عانده كان من الهالكين .

ومن الأحاديث التي دلت على شناعة تدين النواصب ببغض أهل البيت أنهم لم يحفظوا وصية النبي ﷺ فيهم .

فقد روى الإمام مسلم رحمه الله بإسناده إلى زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال : « **أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به** » فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : « **وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي** »[2] .

فهذا التكرار في هذه الوصية بأهل بيته تعني الأمر بوجوب احترامهم وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم ومعرفة مكانتهم منه عليه الصلاة والسلام ولكن هذه الوصية لم يوفق للعمل بها إلا أهل السنة والجماعة العاملون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وحرم من العمل بها الرافضة والخوارج والنواصب حيث قابلوها بالمخالفة والعقوق .

أما الرافضة فقد غلوا في حب بعضهم بما يزري بهم ويتأذون به حيث

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١١/٣٤٠ .

(٢) صحيح مسلم : ٤/١٨٧٣ .

قالوا : فيهم من الغلو ما هم منه براء ، وأما الخوارج فكفروهم ، وأما النواصب فإنهم تجرؤوا على بغضهم وعداوتهم بالقول والفعل ، فخالفوا المصطفى ﷺ في وصيته ، وقابلوه بنقيض مقصوده وأمنيته ، فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها دلت على أن بغض النواصب لعليّ رضي الله عنه أو غيره من أهل البيت انحراف واضح عن كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - اللذين دلا على وجوب حبهم وذكرهم بالثناء الحسن والقول الجميل .

وأما طعنهم عليه « بالفسق » ورميهم إياه به فيرد على هذا الإفك بأنه باطل من وجهين : -

* **الوجه الأول** : أن عدالة عليّ رضي الله عنه ثابتة بنص القرآن الكريم الذي أخبر الله - عز وجل - فيه أنه أذهب الرجس عن أهل البيت وطهرهم تطهيراً ، وعليّ رضي الله عنه مقدم أهل بيت رسول الله ﷺ ، وأيضاً : الآيات القرآنية التي أخبر الله فيها بأن الصحابة الكرام كلهم عدول أو أنهم خير أمة أخرجت للناس ، أو الآيات التي شهد الله لهم فيها بحقيقة الإيمان أو الآيات التي أعلن الله فيها رضاه عنهم وأنهم رضوا عنه ، أو الآيات التي أخبر الله فيها بأنه وعدهم فيها بالحسنى ، أو أنه أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، فمثل هذه الآيات العامة التي تضمنت مدح الصحابة عموماً وأنه تعالى زكاهم بما وقر في قلوبهم من الصدق والوفاء لله ولرسوله - ﷺ - يدخل فيها أبو الحسن عليّ رضي الله عنه دخولاً أولياً ، إذ أنه أحد الأخيار الذين لهم الصدارة في مجتمع الصحابة الكرام الذين هم أفضل الخلق بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام، فرمي الناصبة له بالفسق معاندة منهم للرب - جل وعلا - وفي أخباره المتضمنة للمدح والثناء على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وقد تقدم ذكر الآيات التي فيها الإشارة إلى ما ذكر في غير موضع من هذه الرسالة[1] .

---

(١) انظر الآيات المشار إليها في ص : ٨٠٠ - ٨٠٦ و ص : ١١٥٩ من هذه الرسالة .

* **الوجه الثاني** : أن عدالته رضي الله عنه ثابتة بما ورد من فضائله في السنة المطهرة من شهادته ﷺ بأنه من أهل الجنة ، ومن أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، وأخبر ﷺ أنه منه بمنزلة هارون من موسى وأنه عليه الصلاة والسلام دعى الله تعالى أن يذهب الرجس عن أهل بيته ويطهرهم تطهيراً[1] وعليّ أحد أهل بيته ، بل هو مقدمهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الأحاديث التي فيها الإشارة إلى هذا الثناء الذي أشرنا إليه : « هذا الثناء على عليّ وإن كان له فيه شركاء إلا أن « في ذلك شهادة النبي ﷺ لعليّ بإيمانه باطناً وظاهراً ، وإثباتاً لموالاته لله ورسوله ووجوب موالاة المؤمنين له ، وفي ذلك رد على النواصب الذين يعتقدون كفره أو فسقه كالخوارج المارقين الذين كانوا من أعبد الناس كما قال النبي ﷺ فيهم : « **يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم** »[2] ، وهؤلاء يكفرونه ويستحلون قتله ، ولهذا قتله واحد منهم وهو عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي مع كونه كان من أعبد الناس » اهـ[3] .

وقال رحمه الله في موضع آخر في صدد حديثه على فضائل أبي الحسن رضي الله عنه : « وفيها من الفائدة إثبات إيمان علي وولايته والرد على النواصب الذين يسبونه ويفسقونه ويكفرونه ، ويقولون فيه من جنس ما يقوله الرافضة في الثلاثة كما أن في فضائل الثلاثة رداً على الروافض[4] .

وبهذين الوجهين المتقدمين تبين فساد طعن النواصب على عليّ « بالفسق »

---

(١) انظر ص : ٢٣٧ من هذه الرسالة ما جاء من فضائل عليّ رضي الله عنه .
(٢) انظر الحديث على اختلاف ألفاظه في صحيح مسلم : ٢/٧٤٣ - ٧٤٤ .
(٣) منهاج السنة النبوية : ٣/١١ - ١٢ .
(٤) منهاج السنة النبوية : ٤/٩١ .

فالرسول ﷺ شهد له بكمال إيمانه وصحة صدقه ويقينه ، كما تبين مما ذكر أن طعن النواصب عليه بالفسق سقوط وضلالة ومحادة له وغواية نعوذ بالله من الخذلان .

وأما طعنهم عليه بأنه كان ظالماً طالباً للدنيا فهذا من الاختلاق الواضح والزور البين ولو طلب منهم شاهد على هذا حكي في كتب التواريخ أو غيرها لم يقدروا على ذلك ، إذ سيرته رضي الله عنه أيام خلافته مثبتة في الكتب ، فقد كان رضي الله عنه عادلاً في حكمه سائراً على نهج رسول الله ﷺ ، وسار في رعيته ، سيرة إخوانه الثلاثة الخلفاء قبله ، لم يظلم أحداً ولم يخرج عن الحق قيد شعرة ، وكان رضي الله عنه زاهداً في الدنيا لم يلق لها بالاً شأنه في ذلك شأن إخوانه من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فقد كان همهم الآخرة قبل الدنيا ، ولذلك خرجوا من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله ونصرة لله ولرسوله - ﷺ - وشهد الله لهم بهذا في قوله : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[1]، وعليّ رضي الله عنه واحد ممن شملتهم هذه الشهادة الربانية والتزكية الإلهية لكن النواصب الذين ناصبوه العداوة لم يهتدوا إلى هذا ، ولذلك قالوا فيه غير الحق ولم يستندوا في ذلك على شيء سوى ما تجيش به قلوبهم من البغض والعداوة .

وأما طعنهم عليه بأنه طلب الخلافة لنفسه وقاتل عليها بالسيف وقتل على ذلك ألوفاً من المسلمين حتى عجز عن انفراده بالأمر ، وتفرق عليه أصحابه وظهروا عليه فقاتلوه » .

كل هذا من زخرف القول وباطل الكلام ، والرد عليه :

أنه بمجرد أن يسمعه المنصف الذي عرف سيرة الصحابة وأحوالهم وعرف

(١) سورة الحشر ، آية : ٨ .

لهم قدرهم يعلم أن الناصبة ظالمون بهذا القول لعليّ رضي الله عنه ، وأنهم افتروا عليه بما هو براء منه ، فعليّ رضي الله عنه لم يطلب الخلافة لنفسه ، ولم يقاتل عليها أحداً ، ولم يقتل أحداً من أجل أن يكون خليفة على المسلمين وإنما لما قتل الغوغاء والأراذل الذين تحزبوا من الأمصار عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يكن أحد أفضل ممن بقي بعد عثمان من عليّ رضي الله عنه ، فاجتمع أهل الحل والعقد من الصحابة الكرام على أن يكون هو الخليفة للمسلمين بعد عثمان ، ولما أرادوه للبيعة امتنع من إجابتهم إلى قبول الخلافة حتى ألحوا عليه في ذلك ، وكرروا قولهم له ، ولما رأى إصرارهم عليه في ذلك فر منهم إلى حائط بني عمرو بن مبذول وأغلق بابه فجاء الناس وطرقوا الباب ، وولجوا عليه ، وكان معهم طلحة والزبير ، فقالوا له : إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير ولم يزالوا به حتى أجاب(١) .

هكذا كانت الكيفية في مبايعته رضي الله عنه بالخلافة ، فلم يقاتل من أجلها لا بسيف ولا سهم ، والألوف الذين يزعمون أنه قتلهم من أجل أن يكون خليفة على المسلمين هذا من البهتان عليه ، وإنما القتال الذي حصل بين الصحابة في موقعتي الجمل وصفين كان قتال فتنة أوقد نارها بينهم قتلة عثمان ، والواجب على المسلم أن يعتقد أن ما جرى بين الصحابة من الاقتتال صدر منهم عن تأويل اجتهدوا فيه ، فمن كان منهم مصيباً كان له أجران ومن كان منهم مخطئاً فله أجر واحد وخطؤه مغفور(٢) .

وأما طعنهم عليه بأنه لم يكن مصيباً في حروبه ، فهذا مردود عليهم لظهور بطلانه وفساده بنص حديث رسول الله ﷺ ، فقد روى مسلم رحمه الله بإسناده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **تمرق**

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير : ٢٤٦/٧ ، تاريخ الأمم والملوك : ٤٣٢/٤ ، الكامل في التاريخ : ١٩٠/٣ - ١٩١ .

(٢) انظر العقيدة الواسطية مع شرحها لهراس ، ص : ١٧٣ - ١٧٥ ، وانظر مجموع الفتاوى : ٤٠٦/٣ ، عقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين : ٢٣ .

مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق »[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وفي هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق وأن علياً رضي الله عنه أقرب إلى الحق »[2] .

وروى البخاري رحمه الله تعالى من حديث خالد الحذاء عن عكرمة قال : قال لي ابن عباس ولابنه عليّ : انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه ، فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى ، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال : كنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار لبنتين لبنتين ، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول : « **ويح عمار تقتله الفئة الباغية ..** » الحديث[3] .

قال الحافظ ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث : « وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، وفضيلة ظاهرة لعليّ ولعمار ، ورد على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه »[4] .

وأما بيان فساد طعنهم على الحسين بن عليّ بأنه كان خارجياً يجوز قتله فقد رد على طعنهم هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ، فإنه قال بعد ذكره له : « إن الحسين قتل مظلوماً شهيداً ، وإن الذين قتلوه كانوا ظالمين معتدين وأحاديث النبي ﷺ التي يأمر فيها بقتال المفارق للجماعة لم تتناوله ، فإنه رضي الله عنه لم يفرق الجماعة ، ولم يقتل إلا وهو طالب للرجوع إلى بلده أو إلى الثغر ، أو إلى يزيد داخلاً في الجماعة معرضاً عن تفريق الأمة ولو كان طالب ذلك أقل الناس ، لوجب إجابته إلى ذلك فكيف لا تجب إجابة الحسين إلى ذلك ؟ ، ولو كان الطالب لهذه الأمور من هو دون الحسين لم يجز حبسه ولا إمساكه فضلاً عن أسره

---

(١) صحيح مسلم : ٧٤٥/٢ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٤٠٧/٣ .

(٣) صحيح البخاري : ٨٩/١ .

(٤) فتح الباري : ٥٤٣/١ .

وقتله » اهـ[1] .

وبعد ذكرنا لمعتقد الناصبة في أهل البيت والرد عليه تبين أنه معتقد ظاهر الفساد كما ظهر فساد كلام الرافضة في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولا يفوتني أن أنبه هنا إلى أن مذهب النصب ليس له بقعة أو جماعة يوجد فيها الآن في زمننا كما هو شأن مذهب الرافضة والإباضية من الخوارج وغيرهما من الفرق الأخرى كالزيدية والاسماعيلية الباطنية ، ومذهب النصب كان له وجود في زمن مبكر في دمشق ، فقد ذكر الإمام الذهبي عن الوزير بن حنزابه – بكسر الحاء – أنه قال : سمعت محمد بن موسى المأموني صاحب النسائي قال : سمعت قوماً ينكرون على أبي عبد الرحمٰن النسائي كتاب « الخصائص » لعلي رضي الله عنه ، وتركه تصنيف فضائل الشيخين ، فذكرت له ذلك فقال : دخلت دمشق والمنحرف بها عن علي كثير فصنفت كتاب « الخصائص » رجوت أن يهديهم الله تعالى ، ثم إنه صنف بعد ذلك فضائل الشيخين[2] ، وبعد أن كان مذهب النصب له وجود في دمشق ، فإنه تلاشى واضمحل حتى عدم نهائياً .

قال الذهبي رحمه الله تعالى : « كان النصب مذهباً لأهل دمشق في وقت كما كان الرفض مذهباً لهم في وقت وهو في دولة بني عبيد ، ثم عدم – ولله الحمد – النصب وبقي الرفض خفيفاً خاملاً » اهـ[3] .

وبعد أن عرفنا أن المراد « بالنواصب » عند أهل السنة هم الذين يبغضون علياً رضوان الله عليه وأهل بيته ويلعنونهم وأن هذه الفرقة لم يعد لها وجود الآن لكن كلمة « النواصب » عند الشيعة الرافضة يطلقونها على الذين يقدمون الشيخين أبا بكر وعمر في الخلافة علي علي وعلى من يبغضهم هم حيث يزعمون

---

(١) منهاج السنة النبوية : ٢/٢٥٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٩ .

(٣) ميزان الاعتدال : ١/٧٦ .

أنهم شيعة أهل البيت ليس أحد سواهم ولذا فالنواصب في اصطلاحهم وكما دونوا ذلك في كتبهم هم أهل السنة والجماعة في عرفهم .

فقد ذكر يوسف البحراني في كتابه : « الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة » أن ابن إدريس روى في مستطرفات السرائر في ما استطرف من كتاب مسائل الرجال ومكاتباتهم لمولانا أبي الحسن الهادي – عليه السلام – في جملة مسائل محمد بن علي بن عيسى ، قال : كتبت إليه أسأله عن الناصب هل أحتاج إلى امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت[1] واعتقاده بإمامتهما ؟ فرجع الجواب : من كان على هذا فهو ناصب – ثم قال – فرجع الجواب أن مظهر النصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام هو مجرد التقديم والقول بإمامة الأولين ... – إلى أن قال – « ومنها ما رواه الصدوق في كتاب العلل بسنده عن عبد الله بن سنان عن الصادق عليه السلام قال : « ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت – عليهم السلام – لأنك لا تجد رجلاً يقول : أنا أبغض محمداً وآل محمد صلى الله عليه وآله ، ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وأنكم من شيعتنا – ثم ساق روايتين نسب إحداهما إلى جعفر الصادق والأخرى إلى عليّ ومضمونهما كالروايتين السابقتين ، ثم قال : « ومن هذه الأخبار يعلم أن مظهر النصب والعداوة لهم – عليهم السلام – منحصر في أمرين : تقديم الجبت والطاغوت وإظهار العداوة للشيعة »[2] .

وقال حسين العصفور في كتابه « المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية » : « وأما تحقيق النصب فقد كثر فيه القيل والقال ، واتسع فيه

---

(١) يقصدون بالجبت والطاغوت الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما « قاتل الله الرافضة أنى يؤفكون » .

(٢) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة : ٣٦٠/١٠ ، مقدمة تفسير مرآة الأنوار للعاملي ، ص : ٣٠٨ ، وانظر المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية ، ص : ١٤٥ ، الأنوار النعمانية : ٣٠٧/٢ .

المجال - ثم ساق أخباراً نسبها إلى بعض الأئمة والتي تتضمن أن النصب على حسب زعمه تقديم غير عليّ عليه ، وبغض شيعة أهل البيت ، ثم قال عقبها : « وبالجملة أن من تأمل أحوالهم واطلع على بعض صفاتهم وطريقتهم في المعاشرة ظهر له ما قلناه ، فإنكاره مكابرة لما اقتضت العادة به بل أخبارهم - عليهم السلام - تنادي بأن الناصب هو ما يقال له سنياً » - ثم ذكر رواية عزاها إلى الكافي « عن أبي عبد الله عليه السلام - قال : ما تروي هذه الناصبة ؟ ، فقلت : جعلت فداك فيماذا ؟ ، فقال : في أذانهم وركوعهم وسجودهم ... الحديث - ثم قال - « ولا كلام في أن المراد بالناصبة فيه هم أهل التسنن » اهـ[1] .

وقال نعمة الله الجزائري : « وأما الناصبي وأحواله وأحكامه فهو مما يتم ببيان أمرين : -

(الأول) : في بيان معنى الناصب الذي ورد في الأخبار أنه شر من اليهودي والنصراني والمجوسي ، وأنه كافر نجس بإجماع علماء الإمامية فالذي ذهب إليه أكثر الأصحاب هو أن المراد به : من نصب العداوة لآل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتظاهر ببغضهم كما هو الموجود في الخوارج وبعض ما وراء النهر ، ورتبوا الأحكام في باب الطهارة والنجاسة والكفر والإيمان وجواز النكاح وعدمه على الناصبي بهذا المعنى .

وقد تفطن شيخنا الشهيد الثاني ... من الاطلاع على غرائب الأخبار فذهب إلى أن الناصبي هو الذي نصب العداوة لشيعة أهل البيت - عليهم السلام - وتظاهر بالوقوع فيهم ، كما هو حال أكثر مخالفينا في هذه الأعصار في كل الأمصار ، وعلى هذا فلا يخرج من النصب سوى المستضعفين منهم والمقلدين والبله والنساء ، ونحو ذلك وهذا المعنى هو الأولى . ويدل عليه ما رواه الصدوق في كتاب علل الشرايع بإسناد معتبر عن الصادق - عليه السلام - قال : ليس

---

(١) المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية ، ص ١٤٥ وما بعدها .

الناصب من نصب لنا أهل البيت لأنك لا تجد رجلاً يقول : أنا أبغض محمداً وآل محمد ، ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وأنكم من شيعتنا » ، وفي معناه أخبار كثيرة ، وقد روي عن النبي ﷺ : أن من علامة النواصب تقديم غير علي عليه ، وهذه خاصية شاملة لا خاصة ، ويمكن إرجاعها أيضاً إلى الأول ، بأن يكون المراد تقديم غيره عليه إنما نشأ من تقليد علمائهم وأسلافهم ، وإلا فليس لهم الاطلاع والجزم بهذا سبيل ويؤيد هذا المعنى أن الأئمة – عليهم السلام – وخواصهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله ، مع أن أبا حنيفة لم يكن ممن نصب العداوة لأهل البيت – عليهم السلام – ، بل كان له انقطاع إليهم ، وكان يظهر لهم التودد نعم كان يخالف آراءهم ويقول : قال علي : وأنا أقول ، ومن هذا يقوى قول السيد المرتضى وابن إدريس ... وبعض مشائخنا المعاصرين بنجاسة المخالفين كلهم ، نظراً إلى إطلاق الكفر والشرك عليهم في الكتاب والسنة فيتناولهم هذا اللفظ حيث يطلق ، ولأنك قد تحققت أن أكثرهم نواصب بهذا المعنى[1] .

هذه النقول الثلاثة من كتب متقدمي علماء الشيعة الرافضة ، وقد تبين منها أنهم يطلقون كلمة « النواصب على الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وقد حذا حذو المتقدمين منهم متأخروهم ، لأن الشيعة الرافضة ذرية بعضها من بعض آخرهم كأولهم ، لا فرق ، فهذا إمام العصر عندهم « الخميني » وجد في كلامه ما يدل على أنه جعل أهل السنة والجماعة في عداد النواصب فقد قال في كتابه « تحرير الوسيلة » .

« وأما النواصب والخوارج لعنهم الله تعالى فهما نجسان من غير توقف ذلك على جحودهما الراجع إلى إنكار الرسالة »[2] ، وطعن الشيعة الرافضة على أهل

---

(١) الأنوار النعمانية : ٣٠٦/٢ – ٣٠٧ .

(٢) تحرير الوسيلة : ١٠٢/١ .

السنة والجماعة لا يقف عند طعنهم عليهم بأنهم نواصب فحسب بل تجاوزوه إلى ما هو الأسوأ من القول حيث يقولون : إن كل من يعتقد إمامة الشيخين وتقديمهما على عليّ « فهو كافر حلال الدم والمال وأنه شر من اليهود والنصارى والمجوس »[1] .

قال نعمة الله الجزائري في صدد ذكره الأمر الثاني الذي يتبين به الناصبي في حد زعمه :

الأمر الثاني : في جواز قتلهم واستباحة أموالهم قد عرفت أن أكثر الأصحاب ذكروا للناصبي ذلك المعنى الخاص في باب الطهارات والنجاسات وحكمه عندهم كالكافر الحربي في أكثر الأحكام .. وأما على ما ذكرناه له من التفسير فيكون الحكم شاملاً كما عرفت روى الصدوق ... في العلل مسنداً إلى داود بن فرقد قال : قلت لأبي عبد الله ما تقول في قتل الناصب ؟ ، قال : حلال الدم لكني أتقي عليك ، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكي لا يشهد به عليك فافعل ، فقلت : فما ترى في ماله ؟ ، قال : خذه ما قدرت .

وروى شيخ الطائفة نور الله مرقده في باب الخمس والغنائم من كتاب التهذيب بسند صحيح عن مولانا الصادق عليه السلام ، قال : خذ مال الناصب حيثما وجدت وابعث إلينا بالخمس ، وروى بعده بطريق حسن عن المعلى ، قال : خذ مال الناصب حيث وجدت ، وابعث إلينا بالخمس .

قال ابن إدريس : الناصب المعني في هذين الخبرين أهل الحرب لأنهم ينصبون الحرب للمسلمين وإلا فلا يجوز أخذ مال مسلم ولا ذمي على وجه من الوجوه – ثم قال نعمة الله الجزائري – وللنظر فيه مجال : أما أولاً فلأن الناصبي

---

(١) انظر الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة : ١٠/٣٦٠ وما بعدها ، المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية ، ص : ١٤٥ ، وما بعدها الأنوار النعمانية : ٢/٣٠ ، مقدمة تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ، ص : ٣٠٨ .

قد صار في الإطلاقات : حقيقة في غير أهل الحرب ، ولو كانوا هم المراد لكان الأولى التعبير عنهم بلفظهم من جهة ملاحظة التقية لكن لما أراد عليه السلام - بيان الحكم الواقعي عبر بما ترى ، وأما قوله : لا يجوز أخذ مال مسلم فهو مسلم ولكن أنى لهم والإسلام ، وقد هجروا أهل بيت نبيهم المأمور بودادهم في محكم الكتاب بقوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[1] ، فهم قد أنكروا ما علم من الدين ضرورة وأما إطلاق الإسلام عليهم في بعض الروايات فلضرب من التشبيه والمجاز والتفاتاً إلى جانب التقية التي هي مناط هذه الأحكام وفي الروايات أن علي بن يقطين وهو وزير الرشيد قد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين ، وكان من خواص الشيعة ، فأمر غلمانه وهدموا سقف المحبس على المحبوسين فماتوا كلهم ، وكانوا خمسمائة رجل تقريباً ، فأراد الخلاص من تبعات دمائهم ، فأرسل إلى الإمام مولانا الكاظم عليه السلام ، فكتب عليه السلام إليه جواب كتابه بأنك لو كنت تقدمت إليّ قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم ، وحيث إنك لم تتقدم إليّ فكفر عن كل رجل قتلته منهم بتيس[2] ، والتيس خير منه .

وبعد هذا فغر نعمة الله الجزائري فاه وتفوه بما أمكنه من خبيث القول وقبيح الكلام ، حيث قال : « فانظر إلى هذه الدية الجزيلة التي لا تعادل دية أخيهم الأصغر وهو كلب الصيد فإن ديته عشرون درهماً ، ولا دية أخيهم الأكبر وهو اليهودي أو المجوسي فإنها ثمانمائة درهم ، وحالهم في الآخرة أخس وأنجس »[3] ، فهذا المفتري عبر عن موقفه وموقف الرافضة من أهل السنة والجماعة وهو موقف كما هو واضح متسم بأشد الحقد والعداوة والكراهية حيث إنه بين أن الرافضة قبحهم الله يعتقدون أن حكم أهل السنة والجماعة عندهم حكم

---

(١) سورة الشورى آية : ٢٣ .

(٢) التيس : الذكر من المعز إذا أتى عليه حول وقيل : الحول هو جدي . المصباح المنير : ٧٩/١ .

(٣) الأنوار النعمانية : ٢٠٧/٢ - ٢٠٨ .

الكافر الحربي يجوز قتلهم واستباحة أموالهم وأنه يجوز التحايل على قتلهم وابتزاز أموالهم بما يمكنهم من الوسائل والطرق الخبيثة كما بين أن منزلتهم عندهم أقل من منزلة الحيوان وأدنى من مرتبة اليهود والمجوس ولسنا في صدد تعداد مطاعن الشيعة الرافضة على أهل السنة والجماعة وإنما أشرنا إلى هذا ليتنبه كل مسلم وكل داعية إلى التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة والجماعة إلى خطورة ما يبيته ويكنه الشيعة الرافضة للفرقة الناجية من الشر والعداوة والكيد الخفي للدين وأهله وليعلم أيضاً : كل مسلم أن الشيعة الرافضة يقدمون اتباع الهوى ويتقولون على أهل الحق والعدل بغير بينة ولا هدى ، هذا ما حدا بنا إلى التنبيه إلى ما ذكر ولنرجع إلى إبطال ما نحن بصدده وهو بطلان نسبتهم « النصب » إلى أهل السنة والجماعة ، فنسبتهم إلى أئمة أهل البيت مثل جعفر الصادق رحمه الله من الروايات التي يذكرون فيها أن النواصب هم أهل السنة والجماعة ما هي إلا قطرة من بحر الكذب الذي يكيلونه على علماء أهل البيت ، ومما يبين أنهم مفترون كاذبون على أهل السنة في نسبتهم النصب إليهم أن أهل السنة هم الفرقة الوسط التي عرفت لأهل البيت حقهم من الاحترام والإكرام والتوقير وهم الذين حفظوا وصية المصطفى عليه الصلاة والسلام فيهم ، وأما الرافضة فإنهم غير صادقين فيما يزعمونه من الغلو في حب بعضهم ، وإنما غرضهم من ذلك التستر بأهل البيت لكي يروجوا ما يصبون إلى نشره من الأضاليل والأكاذيب والعقائد الفاسدة عند كل من لا يعرف حقيقتهم ، ولا جرأتهم على الكذب .

ومما يكذب دعواهم على أن كلمة « النواصب » تطلق على أهل السنة والجماعة أن كتب أهل السنة ولله الحمد زاخرة بذكر مناقب أهل البيت وزاخرة ببيان عقيدتهم الحقة نحوهم ، وأنهم متفقون على وجوب محبتهم واحترامهم وتحريم إيذائهم والإساءة إليهم وإلى ذكر بعض النصوص من كتب أهل السنة والجماعة التي تبين أنهم أسعد الناس بالأخذ بوصية المصطفى عليه الصلاة والسلام بأهل

بيته ، وأنهم حفظوه فيهم دون سواهم ، فهذا أبو بكر الصديق الذي ينسب الرافضة إليه ويكذبون عليه أنه ظلم أهل البيت حقهم يقول : فيما رواه عنه الشيخان في صحيحيهما : « والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي »[1] ، وروى البخاري في صحيحه بإسناده إلى أبي بكر رضي الله عنه أنه قال : « ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته »[2] .

وقال الفاروق رضي الله عنه مخاطباً العباس بن عبد المطلب : « والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب »[3] .

هذا موقف الشيخين من أهل بيت النبوة وهو موقف حب واحترام وإكرام ووصية بحفظهم وأن لا يتعرض لهم بأذى أو إساءة وهذا الموقف هو الواجب على كل أحد أن يقفه ويلتزم به تجاه أهل البيت إذ هو موقف أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعن سائر الصحابة أجمعين وقد وفق الله لهذا الموقف التابعين لهم بإحسان وهم أهل السنة والجماعة حيث تولوهم جميعاً وأجمعوا على حبهم وتبرؤوا من طريقة الروافض والنواصب وردوا على من طعن عليهم بأنهم قدموا على عليّ غير الثلاثة ، أو تسويته بمعاوية أو تقديمه عليه ، وقد حرر العقيدة النقية لأهل السنة والجماعة في أهل البيت كل من الإمامين الجليلين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله ، فقد قال العلامة ابن تيمية :

« أهل السنة يتولون جميع المؤمنين ويتكلمون بعلم وعدل ليسوا من أهل الجهل ولا من أهل الأهواء ويتبرؤون من طريقة الروافض والنواصب جميعاً ويتولون السابقين الأولين كلهم ويعرفون قدر الصحابة وفضلهم ومناقبهم ويرعون

---

(١) صحيح البخاري : ٣٠١/٢ ، صحيح مسلم : ١٣٨٠/٣ .
(٢) صحيح البخاري : ٣٠٢/٢ .
(٣) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره : ١٩٩/٦ .

حقوق أهل البيت التي شرعها الله لهم ولا يرضون بما فعله المختار ونحوه من الكذابين ولا ما فعله الحجاج ونحوه من الظالمين ويعلمون مع هذا مراتب السابقين الأولين فيعلمون أن لأبي بكر وعمر من التقدم والفضائل ما لم يشاركهما فيها أحد من الصحابة لا عثمان ولا عليّ ولا غيرهما، وهذا كان متفقاً عليه في الصدر الأول إلا أن يكون خلاف شاذ لا يعبأ به حتى أن الشيعة الأولى أصحاب عليّ لم يكونوا يرتابون في تقديم أبي بكر وعمر عليه»[1].

وقال أيضاً : « وكتب أهل السنة من جميع الطوائف مملوءة بذكر فضائله ومناقبه وبذم الذين يظلمونه من جميع الفرق ، وهم ينكرون على من سبه وكارهون لذلك ، وأهل السنة من أشد الناس بغضاً وكراهة لأن يتعرض له بقتال أو سب بل هم كلهم متفقون على أنه أجل قدراً وأحق بالإمامة وأفضل عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من معاوية وأبيه – كما أنه – أفضل ممن هو أفضل من معاوية رضي الله عنه ، فالسابقون الأولون الذين بايعوا تحت الشجرة كلهم أفضل من الذين أسلموا عام الفتح ، وفي هؤلاء خلق كثير أفضل من معاوية وأهل الشجرة أفضل من هؤلاء كلهم ، وعليّ أفضل منهم كلهم إلا الثلاثة فليس في أهل السنة من يقدم عليه أحداً غير الثلاثة ، بل يفضلونه على جمهور أهل بدر وأهل بيعة الرضوان وعلى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومافي أهل السنة من يقول إن طلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمٰن بن عوف أفضل منه بل غاية ما قد يقولون السكوت عن التفضيل بين أهل الشورى ، وهؤلاء أهل الشورى عندهم أفضل السابقين الأولين ، والسابقون الأولون أفضل من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا وهم على أصح القولين الذين بايعوا تحت الشجرة ، وقيل : من صلى إلى القبلتين وليس بشيء – إلى أن قال – فإذا كانت هذه مراتب الصحابة عند أهل السنة كما دل عليها الكتاب والسنة وهم متفقون على تأخر معاوية وأمثاله من مسلمة الفتح عمن أسلم بعد الحديبية وعلى تأخر هؤلاء عن السابقين الأولين أهل الحديبية وعلى أن البدريين أفضل من غير البدريين وعلى أن علياً أفضل جماهير هؤلاء – لم يقدم عليه أحد غير الثلاثة فكيف ينسب إلى أهل السنة تسويته

---

(١) منهاج السنة النبوية : ١٦٥/١ .

بمعاوية أو تقديم معاوية عليه »[1] .

وقال رحمه الله في موضع آخر : « ويحبون آل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ - حيث قال يوم غدير خم : « **أذكركم الله في أهل بيتي** »[2] . - إلى أن قال - ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل »[3] .

وقال العلامة ابن القيم في صدد ذكره للأسباب التي جعلت التأويل الباطل مقبولاً عند الناس : « السبب الثالث أن يعزو المتأول تأويله إلى جليل القدر نبيل الذكر من العقلاء أو من آل بيت النبي ﷺ ، أو من حصل له في الأمة ثناء جميل ولسان صدق ليحليه بذلك في قلوب الجهال ، فإنه من شأن الناس تعظيم كلام من يعظم قدره في نفوسهم حتى إنهم ليقدمون كلامه على كلام الله ورسوله ، ويقولون هو أعلم بالله منا ، وبهذا الطريق توصل الرافضة والباطنية والإسماعيلية والنصيرية إلى تنفيق باطلهم وتأويلاتهم حين أضافوها إلى أهل بيت رسول الله ﷺ لما علموا أن المسلمين متفقون على محبتهم وتعظيمهم ، فانتموا إليهم وأظهروا من محبتهم وإجلالهم ، وذكر مناقبهم ما خيل إلى السامع أنهم أولياؤهم ثم نفقوا باطلهم بنسبته إليهم فلا إلـٰه إلا الله ، كم من زندقة وإلحاد وبدعة قد نفقت في الوجود بسبب ذلك وهم براء منها ، وإذا تأملت هذا السبب رأيته هو الغالب على أكثر النفوس فليس معهم سوى إحسان الظن بالقائل بلا برهان من الله قادهم إلى ذلك ، وهذا ميراث بالتعصيب من الذين عارضوا دين الرسل بما كان عليه الآباء والأسلاف ، وهذا شأن كل مقلد لمن يعظمه فيما خالف فيه

---

(١) منهاج السنة النبوية : ٢٠٦/٢ - ٢٠٧ .

(٢) تقدم تخريجه قريباً .

(٣) العقيدة الواسطية مع شرحها لهراس ، ص : ١٧١ ، ١٧٣ ، وانظر كتاب « قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر » لصديق حسن خان ، ص : ١٠١ - ١٠٣ .

الحق إلى يوم القيامة[1] .

فقد تبين من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم أن أهل السنة والجماعة هم أسعد الأمة المحمدية بالحق نحو أهل البيت حيث إنهم يحبونهم جميعاً ويتولنهم وهم الذين حفظوا وصية النبي عليه الصلاة والسلام فيهم كما تبين من ذلك كذب الشيعة الرافضة في نسبتهم النصب إلى أهل السنة بل كلمة « النواصب » يصح إطلاقها على الشيعة الرافضة حيث إنهم يحبون بعض أهل البيت محبة غلو وتجاوز للحد ، وكما هو معلوم أن الزيادة في الحد تنقلب إلى الضد ، ولأنهم أيضاً يعادون بعض أهل البيت ولا يحبونهم ولا يتولونهم ، فادعاؤهم أنهم شيعة أهل البيت يكذبه موقفهم منهم ، فقد ابتلوا بالافراط في حب عليّ وبعض ذريته ، فكانت محبتهم بسبب ذلك عاراً عليهم وبواراً ، ولو صح التعبير لقلنا إن الشيعة الحقيقيين لأهل البيت هم أهل السنة والجماعة ، لأنهم هم الذين أحبوهم كما أمر الله ورسوله ، وأما الرافضة فهم أعداؤهم في الحقيقة ، لأن المحبة الخارجة عن الشرع الحائدة عن سنن الهدى هي العداوة الكبرى ، ومن هذه الجهة يكونون أشقاء للنواصب ..

* * *

(١) مختصر الصواعق المرسلة : ٩٠/١ .

الخاتمة



★ الخاتمة ★

لقد توصلت في رسالتي هذه التي بحثت فيها (عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم) إلى نتائج هي : -

١ - أن الصحابي عند أهل السنة والجماعة هو من لقي المصطفى ﷺ يقظة لا مناماً وآمن به ومات على الإسلام .

٢ - يثبتون جميع ما ورد في فضلهم من آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم ﷺ ، سواء كان هذا الفضل على وجه العموم ، أو على وجه الخصوص ، الكل يثبتونه ويؤمنون به ، ويسلمون به لأولئك الأطهار الذين اختارهم الله لصحبة نبيه - ﷺ - وجعلهم وزراء له ، فكانوا حملة رسالته من بعده ، وهم رضي الله عنهم وإن جمعهم شرف الصحبة لرسول الله ﷺ وشملهم هذا الفضل الكريم إلا أنهم متفاوتون في الفضل والدرجة .

٣ - أجمعوا على أن أفضل الخلق على الإطلاق بعد النبيين والمرسلين أبو بكر الصديق ثم يليه في هذه المرتبة العلية عمر الفاروق ، ثم ذو النورين عثمان ، ثم أبو السبطين عليّ رضي الله عنهم جميعاً ، ثم الستة بقية العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أصحاب أحد ، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية .

٤ - اتضح أن أهل السنة والجماعة هم أولى الناس بأهل بيت رسول الله ﷺ من حيث توليهم وموالاتهم ومحبتهم ، فقد كان لهم القسط الأكبر والحظ الأوفر من هذا ، أما دعوى الشيعة الرافضة في أنهم هم الذين اختصوا بموالاتهم فإنها دعوى بلا برهان ، ولا حظ لهم من ذلك ، إلا مبالغتهم في الغلو المذموم نحوهم ومعاداتهم من يحبهم أهل البيت إذ أهل البيت يحبون جميع الصحابة

ولا يكنون أي عداوة لأحد منهم رضي الله عنهم جميعاً .

٥ - أجمعوا على أن أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق لفضله وسابقته وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم ، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته ، ثم من بعده عمر رضي الله عنه لفضله وعهد أبي بكر إليه ، ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له ، ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه .

٦ - كل ما أورده أهل البدع من الأدلة التي يستدلون بها على أن الإمام بعد النبي ﷺ بلا فصل هو علي رضي الله عنه إنما هي شبه ساقطة معظمها من اختراعاتهم الباطلة ، وأن اعتقادهم في الإمامة على هذا النحو مبني على أحاديث موضوعة اختلقها الزنادقة الملاحدة إذ أنها مخالفة لما جاء عن رسول الله ﷺ وأهل بيته في ترتيب الخلافة الراشدة وأن علياً رضي الله عنه لم يدع شيئاً من ذلك وأنه بريء من كل ما تنسبه الرافضة إليه .

٧ - يعتقد أهل السنة والجماعة أن خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب كانت خلافة حقة ، وأنها جزء مكمل لخلافة النبوة التي أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام أن مدتها بعده ثلاثون سنة .

٨ - أن أهل السنة والجماعة هي الفرقة الوحيدة التي حالفها الصواب والسداد فيما يجب من الحق للصحابة على من جاء بعدهم ، فقد حفظوا فيهم وصية المصطفى ﷺ ، حيث اعتقدوا وجوب محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم وإنزالهم المنزلة التي أنزلهم الله فيها ، ولذلك سلمت قلوبهم من الغل عليهم ، وألسنتهم رطبة يذكرهم بالجميل من الترحم عليهم والاستغفار لهم ، ونشر محاسنهم ، والشهادة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة منهم .

٩ - أن الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول ، صغارهم وكبارهم ، ذكورهم وإناثهم من لابس الفتن ومن لم يلابسها ، حيث ثبتت عدالتهم بنص

الكتاب والسنة والإجماع والمعقول .

١٠ - أن ما وقع بين الصحابة من القتال والتشاجر يجب الإمساك عنه وعدم الخوض فيه ، والتتبع لكل تفصيلاته ، وأن ما نقل فيما شجر بينهم واختلفوا فيه فمنه ما هو باطل وكذب قد زيد فيه ونقص ، فلا يلتفت إليه ، وما كان صحيحاً يجب تأويله وحمله على أحسن المحامل ، لأن الثناء عليهم من الله سابق ، وما نقل من الكلام اللاحق فهو محتمل والمشكوك فيه والموهوم لا يبطل المحقق المعلوم .

١١ - أن الحروب التي دارت بين علي وبين بعض الصحابة الكرام رضي الله عنهم لم يكن الباعث عليها مطامع دنيوية ، أو شهوات نفسية ، وإنما كانت عن اجتهاد وتأويل ، للمصيب فيها منهم أجران ، أجر الاجتهاد وأجر الإصابة ، وللمخطيء منهم أجر واحد على اجتهاده ولا إثم عليه .

١٢ - أن سب الصحابة والتعرض لهم بعيبهم وتنقصهم والطعن في عدالتهم حرام بنص الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة ، وأن من أبغضهم جميعاً أو أكثرهم أو سبهم سباً يقدح في دينهم وعدالتهم ، فإنه يكفر بهذا ، لأن هذا يؤدي إلى إبطال الشريعة بكاملها ، أو أكثرها لأن الصحابة هم الناقلون لها ، وهم الواسطة بين النبي ﷺ ومن جاء بعدهم ، ومن اعتقد أنهم مجروحون وغير عدول ، فقد طعن في تلك الواسطة التي تلقت الشريعة عن المصطفى ﷺ ومن المستحيل أن تطمئن النفوس إلى شريعة نقلتها مطعون فيهم مجروحون ، وكذا يكفر من أبغض واحداً منهم لأمر يرجع إلى الصحبة ، أو النصرة لرسول الله ﷺ ، أو الجهاد معه ، إذ هذا يؤدي إلى إيذاء الرسول ﷺ وإيذاء الرسول كفر ومن كانت هذه حاله ، فدواؤه السيف ، إن لم يتب ويراجع ، وأما إذا كان البغض لأمر لا يرجع إلى الصحبة ولا إلى النصرة ، فحكم هذا أنه فاسق مبتدع يجب تأديبه ، وينكل به نكالاً شديداً ، لا يبلغ به القتل حتى يظهر التوبة ويرجع عن

طعنه في صحابة رسول الله ﷺ ويعرف لهم حقهم .

١٣ – أن من سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقذفها بما رماها به أهل الإفك ، فإنه كافر حيث كذب الله فيما أخبر به من براءتها وطهارتها رضي الله عنها ، وأن عقوبته أن يقتل مرتداً عن ملة الإسلام .

وكذلك من قذف غير عائشة من أمهات المؤمنين فهو في الحكم كقاذف عائشة رضي الله عنها ، ذلك لأن فيه عاراً وغضاضة على النبي ﷺ ، وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن من بعده .

١٤ – أن جميع ما يتناقله الشيعة الرافضة وأهل البدع في كتبهم من المطاعن العامة والخاصة في أصحاب رسول الله ﷺ لا يعرج عليها ولا كرامة ، فهي أباطيل وأكاذيب مفتراة إذ دأب الرافضة وأهل البدعة رواية الأباطيل ورد ما صح من السنة المطهرة .

١٥ – إن القرآن في عقيدة الشيعة الرافضة بُدِّل وحرف ونقص من قبل الصحابة حيث يزعمون أنه لم يجمعه كاملاً كما أنزل إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

١٦ – أن أئمة أهل البيت براء من عقيدة الشيعة الرافضة في خلافة النبوة والصحابة والقرآن ، إذ أنهم لم يخرجوا في اعتقادهم فيما ذكر عما قرره الله تعالى في كتابه وقرره رسوله ﷺ في سنته المطهرة وعما كان عليه سلف الأمة وأئمتها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ..

* * *

الفهــارس

□ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة □

م	الحديث	الصفحة
	○ أ ○	
١	– ائذن له وبشره بالجنة	٢٣٤
٢	– الأئمة من قريش	٥٠٥
٣	– ابني هذا سيد	٣٥٤
٤	– أتاني جبريل عليه السلام	٤٤١
٥	– أتدرون ما هذا ، قالوا : الله ورسوله أعلم	٤٨٨
٦	– اتق الله وأمسك عليك زوجك	٤٤٨
٧	– اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان	٢٣٣
٨	– أثم لكع	٢٥٥
٩	– أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه	٣٤٤
١٠	– أحسنتم أو أصبتم	٨١
١١	– أحسنوا إلى أصحابي	٨٤٤
١٢	– أخرجا ما تصرران	٣٨٦
١٣	– الأخوات مؤمنات	٤٦٨
١٤	– ادعوا لي أو ليت عندي رجلاً من أصحابي	٢٧٤
١٥	– ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً	٥٤١
١٦	– إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم	٥١١
١٧	– إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم ؟	٩٧٢

○ لا ○

* * *

□ فهرس الآثار □

○ لا ○

○ ى ○

* * *

□ فهرس الأعلام المترجم لهم □

○ ف ○

○ م ○

* * *

★ فهرس المراجع ★

١ – القرآن الكريم .

– أ –

٢ – الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن الأشعري ، ت (٣٣٠)هـ . ط . الجامعة الإسلامية سنة ١٩٧٥م .

٣ – الإباضية بين الفرق الإسلامية ، علي يحيى معمر ، مكتبة وهبة ، ط . أولى ، ١٣٩٦هـ .

٤ – الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير ، لأبي عبد الله الحسن بن إبراهيم الجوزقاني ، ت (٥٤٣)هـ ، تحقيق : عبد الرحمٰن الفريوائي ، طبع المطبعة السلفية ، بنارس ، الهند ط . أولى ، ١٤٠٣هـ .

٥ – أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، د . إبراهيم شعوط ، ط . المكتب الإسلامي ، ط . الخامسة ، سنة ١٤٠٣هـ .

٦ – ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة ، سعيد الأفغاني ، طبع دار الفكر ، بيروت ، ط . الثانية ، ١٣٨٩هـ .

٧ – ابن سبأ حقيقة لا خيال ، د . سعدي الهاشمي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط . أولى ، ١٤٠٦هـ .

٨ – إثبات الإمامة ، أحمد بن إبراهيم النيسابوري ، تحقيق : د . مصطفى غالب ، طبع دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط . أولى ، ١٤٠٢هـ .

٩ – الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ، للإمام بدر الدين الزركشي ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، طبع ، دار القلم ، بيروت .

١٠- أجوبة ابن خلفون ، لأبي يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي ، تحقيق : وتعليق عمرو خليفة النامي ، طبع : دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ط . أولى ، ١٣٩٤هـ .
١١- الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية ، للإمام محمود أفندي الحسيني الآلوسي ، المطبعة الحميدية ، بغداد .
١٢- الاحتجاج ، لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي ، ت (٥٥٨)هـ ، تعليقات وملاحظات : محمد باقر الموسوي الخرساني ، مطبعة - سعيد - مشهد المقدسة ، ١٤٠٣هـ .
١٣- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، لأبي الحسن علاء الدين بن بلبان الفارسي ، ت (٧٣٩)هـ ، تحقيق وتخريج شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط . أولى ، ١٤٠٨هـ .
١٤- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، علي بن محمد الماوردي ، ت (٤٥٠)هـ مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ط . الثالثة ، ١٣٩٣هـ .
١٥- الأحكام السلطانية ، لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء ، ت (٤٥٨)هـ ، تصحيح وتعليق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٤٠٣هـ .
١٦- الإحكام في أصول الأحكام ، لأبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي ، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط . أولى ، ١٤٠١هـ .
١٧- الإحكام في أصول الأحكام ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، ت (٤٥٦)هـ ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط . الثانية .
١٨- أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ت (٥٤٣)هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبع دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

١٩- أحكام القرآن ، لعماد الدين بن محمد الطبري ، المعروف بالكيا الهراسي ، ت (٥٠٤)هـ ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط . الثانية ، ١٤٠٥هـ .

٢٠- أحكام القرآن ، أحمد بن علي الرازي المعروف بالجصاص ، ت (٣٧٠)هـ ، طبع : دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٢١- إحياء علوم الدين ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، ت (٥٠٥)هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ .

٢٢- أخبار أصبهان ، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، ت (٤٣٠)هـ ، طبع الدار العلمية موري كيت ، دلهي ، الهند .

٢٣- أخبار القضاة ، لمحمد بن خلف بن حيان ، المعروف (بوكيع) ، ت : (٣٠٦)هـ ، طبع عالم الكتب ، بيروت .

٢٤- الاختصاص ، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ، الملقب بالمفيد ، طبع مكتبة الزهراء ، قم ، سنة ١٤٠٢هـ .

٢٥- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، لإمام الحرمين عبد الملك الجويني ، ت (٤٧٨)هـ ، طبع مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ط . أولى ، ١٤٠٥هـ .

٢٦- إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ ، نشر المكتب الإسلامي .

٢٧ -الإرشاد ، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد ، ت (٤١٣)هـ ، ط . كتاب فروشي ، إسلامية ، طهران ، ط ١٣٥١ شمسي .

٢٨- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، محمد بن علي الشوكاني ، ت (١٢٥٠)هـ ، طبع مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط . أولى ، ١٣٥٦هـ .

٢٩- أساس البلاغة ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ت (٥٣٨)هـ .

طبع دار صادر ، بيروت .
٣٠- أسباب النزول ، علي بن أحمد الواحدي ، (ت : ٤٦٨هـ) ، طبع دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
٣١- الاستغاثة في بدع الثلاثة ، لأبي القاسم علي بن أحمد بن موسى الكوفي ، ت (٣٥٢)هـ ، خال من تاريخ الطبع ومكانه .
٣٢- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء .
٣٣- الاستيعاب في أسماء الأصحاب على حاشية الإصابة ، لأبي عمر بن عبد البر القرطبي ، ت ٤٦٣هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٣٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ، ت ٦٠٦هـ ، طبع دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٣٥- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ، للإمام جلال الدين عبد الرحمٰن السيوطي ، ت ٩١١هـ ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ .
٣٦- الإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢هـ ، طبع دار الكتاب العربي ، بيروت .
٣٧- الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ، عوض محمد خليفات ، طبع وزارة التراث والإرشاد والثقافة ، ط . ثانية ، سلطنة عمان .
٣٨- أصول الدين ، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ، ت ٤٢٩هـ ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط . أولى ، ١٣٤٦هـ .
٣٩- أصول السرخسي ، للإمام أبي بكر محمد بن أحمد السرخسي ، ت ٤٩٠هـ ، تحقيق أبي الوفاء الأفغاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .
٤٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار.

الجكني الشنقيطي ، مطبعة المدني ، ١٣٨٦هـ .
٤١- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي ، ت : ٦٠٦هـ ، مراجعة وتحرير علي سامي النشار ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢هـ .
٤٢- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ت ٤٥٨هـ ، تصحيح أحمد محمد موسى ، الناشر : حديث أكادمي ، نشاط آباد فيصل آباد ، باكستان .
٤٣- الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة .
٤٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ، مراجعة وتقديم وتعليق : طه عبد الرؤوف سعد ، طبع مطابع الإسلام ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ .
٤٥- أعلام النبوة ، لعلي بن محمد الماوردي ، ت ٤٥٠هـ ، تقديم وشرح محمد شريف سكر ، طبع دار إحياء العلوم ، بيروت ، لبنان .
٤٦- أعيان الشيعة ، محسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .
٤٧- الاقتصاد في الاعتقاد ، لأبي حامد الغزالي ، ت ٥٠٥هـ ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، طبعة أولى ، ١٤٠٣هـ .
٤٨- الإكليل في استنباط التنزيل ، عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي ، ت : ٩١١هـ ، تحقيق : سيف الدين عبد القادر الكاتب ، طبع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٤٩- الإمام زيد بن علي ، محمد أبو زهرة ، طبع دار الندوة الجديدة ، بيروت ، لبنان .
٥٠- الإمام زيد بن علي المفترى عليه ، الشيخ صالح أحمد الخطيب ، طبع المكتبة الفيصلية .

٥١- الإمامة في ضوء الكتاب والسنة ، مهدي السماوي ، مكتبة المنهل ، الكويت ، طبعة أولى ، ١٣٩٩هـ .

٥٢- الإمامة والرد على الرافضة ، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ، ت ٤٣٠هـ ، تحقيق وتعليق : د . علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، طبع : مكتبة العلوم والحكم ، ط . أولى ، ١٤٠٧هـ .

٥٣- الإمامة وقائم القيامة ، مصطفى غالب ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان .

٥٤- الأم ، للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، ت : ٢٠٤هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٥٥- أنساب الأشراف ، لأبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري ، تحقيق : ماكس شلوسنجر ، القدس ، مطبعة الجامعة ، ١٩٣٨م .

٥٦- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني ، ت ٤٠٣هـ ، تحقيق : محمد زاهد الكوثري ، ط . الثانية ، مؤسسة الخانجي ، ١٣٨٢هـ .

٥٧- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي ، مطبعة السنة المحمدية ، ط . أولى ، ١٣٧٤هـ .

٥٨- الأنوار النعمانية ، لنعمة الله الموسوي الجزائري ، ت ١١١٢هـ ، مطبعة جاب ، تبريز ، إيران .

٥٩- الأنوار الوضية في العقائد الرضوية ، للشيخ حسين بن الشيخ محمد العصفور البحراني ، نشر مكتبة أهل البيت ، البحرين .

٦٠- أيام العرب في الإسلام ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط . الثانية ، ١٣٨٨هـ .

٦١- الباعث الحثيث ، شرح اختصار علوم الحديث ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، ت ٧٧٤هـ ، تحقيق أحمد شاكر ، طبع مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ط . الثانية ، ١٣٧٠هـ .

٦٢- بدائع الفوائد ، للإمام محمد بن أبي بكر ، الشهير بابن قيم الجوزية ، ت ٧٥١هـ ، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

٦٣- البداية والنهاية في التاريخ ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، ت ٧٧٤هـ ، تحقيق ومراجعة وتعليق وتصحيح : محمد عبد العزيز النجار ، مكتبة الأصمعي ، الرياض .

٦٤- البدر الطالع بمحاسن القرن التاسع ، محمد بن علي الشوكاني ، ت : ١٢٥٠هـ ، طبع مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط . أولى ، ١٣٤٨هـ .

٦٥- بذل المجهود في حل أبي داود ، خليل أحمد السهارنفوري ، ت : ١٣٤٦هـ ، مع تعليق الكاندهلوي ، طبع دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، توزيع : دار الإفتاء .

٦٦- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد ، تقديم وتعليق الحاج ميرزا محسن لو ه باغي ، منشورات الأعلمي ، طهران ، ١٤٠٤هـ .

٦٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ت ٨١٧هـ ، تحقيق : عبد العليم الطحاوي ، طبع : المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان .

٦٨- البرهان في تفسير القرآن ، هاشم الحسيني البحراني ، مؤسسة إسماعيليان ، قم ، إيران .

٦٩- بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ، للشيخ أحمد عبد الرحمٰن البنا الشهير بالساعاتي ، طبع دار الشهاب ، القاهرة .

٧٠- بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام ،

للقاضي حسين بن أحمد العمرشي ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، لبنان .

٧١- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، لابن عذاري المراكشي ، تحقيق : مجموعة من الباحثين ، طبع : دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٧٢- البيان والتحصيل ، لأبي الوليد بن رشد القرطبي ، ت ٥٢٠هـ ، تحقيق د . محمد حجي ، طبع : دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

ـ ت ـ

٧٣- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، طبع : دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٧٤- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ت : ٧٤٨هـ ، تحقيق : حسام الدين القدسي ، مطبعة القدس .

٧٥- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ت : ٣١٠هـ ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، طبع : دار سويدان ، بيروت ، لبنان .

٧٦- تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، ت : ٤٦٣هـ ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٧٧- تاريخ ابن خلدون ، عبد الرحمٰن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ، ت ٨٠٨هـ ، طبع مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٧٨- تاريخ الخلفاء ، تأليف عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي ، ت : ٩١١هـ ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .

٧٩- تاريخ خليفة بن خياط ، خليفة بن خياط ، ت : ٢٤٠هـ ، تحقيق : د . أكرم ضياء العمري ، ط . الثانية ، دار طيبة ، الرياض .

٨٠- تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٥م .

٨١- تاريخ عمر ، لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي الجوزي ، ت ٥٩٧هـ ، تقديم وتعليق أسامة عبد الكريم الرفاعي ، طبع دار إحياء علوم الدين ، دمشق .

٨٢- تاريخ مدينة دمشق ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر ، ت ٥٧١هـ ، تحقيق : مطاع الطربيشي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق .

٨٣- تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ت ٢٧٦هـ ، شرح ونشر أحمد صقر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، دار التراث ، القاهرة .

٨٤- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، للإمام أبي المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، طبع عالم الكتب ، ط . أولى ، ١٤٠٣هـ .

٨٥- التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر الطوسي ، المطبعة العلمية في النجف ، ١٣٧٦هـ ، ١٩٥٧م .

٨٦- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، ت ٥٧١هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٨٧- تجريد أسماء الصحابة للذهبي تصحيح صالحة عبد الحكيم شرف الدين - بومباى - ١٣٨٩هـ .

٨٨- تحرير الوسيلة ، لروح الله الموسوي الخميني ، منشورات مكتبة الاعتماد ، طهران ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٨٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، عبد الرحمٰن بن عبد الرحيم المباركفوري ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

٩٠ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ت ٥٩١هـ ، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
٩١ - تذكرة الحفاظ ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ت ٧٤٨هـ ، طبع دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٩٢ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
٩٣ - ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، أحمد الزاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية .
٩٤ - الترغيب والترهيب ، لزكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، ت ٦٥٦هـ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .
٩٥ - التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .
٩٦ - تفسير البيضاوي المسمى « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » ، لأبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي ، ت ٧٩١هـ ، دار الفكر ، ١٤٠٢هـ .
٩٧ - تفسير الخازن المسمى « لباب التأويل في معاني التنزيل » ، علي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن ، ت ٧٢٥هـ ، المكتبة التجارية الكبرى ، بمصر .
٩٨ - تفسير العياشي ، محمد بن مسعود بن عياش ، المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران ، إيران .
٩٩ - تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إبراهيم الكوفي ، المطبعة الحيدرية ، النجف .
١٠٠- تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، ت ٧٧٤هـ ، طبع : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ ، ١٩٧٠م .

١٠١- تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، قم ، إيران . الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .

١٠٢- التفسير القيم ، محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ، ت ٧٥١هـ ، جمع : محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ .

١٠٣- تفسير الكاشاني المسمى « الصافي في تفسير القرآن » ، لمحسن الفيض الكاشاني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٦م .

١٠٤- التفسير الكبير ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي ، المشهور بالفخر الرازي ، ت ٦٠٦هـ - طبع دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٠٥- تقدمة الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي ، ت ٣٢٧هـ ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٧١هـ ، ١٩٥٢م .

١٠٦- تلخيص الذهبي ، مطبوع بذيل المستدرك ، للإمام محمدي أحمد الذهبي ، ت ٧٤٨هـ ، دار الفكر .

١٠٧- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير ، لأبي الفرج عبد الرحمٰن ابن علي بن الجوزي ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ١٩٧٥م .

١٠٨- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، للقاضي أبي علي محمد بن الطيب الباقلاني ، ت ٤٠٣هـ ، تحقيق : أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

١٠٩- تلبيس إبليس ، لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي ، ت : ٥٩٧هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١١٠- تنبيه الولاة والحكام ، محمد أمين أفندي الشهير بابن عابدين ضمن.

مجموعة رسائله ، طبع عالم الكتب .
١١١- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي ، ت ٣٧٧هـ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .
١١٢- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ، لأبي الحسن علي ابن محمد بن عراق الكناني ، ت ٩٦٣هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .
١١٣- تنقيح المقال في علم أحوال الرجال ، عبد الله المامقاني ، خال من مكان الطبع وتاريخه .
١١٤- تهذيب الأسماء واللغات ، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، ت ٦٧٦هـ ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١١٥- تهذيب تاريخ دمشق ، عبد القادر بن بدران ، ت ١٣٤٦هـ ، دار المسيرة ، بيروت .
١١٦- تهذيب التهذيب ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العقسلاني ، ت ٨٥٢هـ ، طبع مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٥هـ .
١١٧- تهذيب خصائص الإمام علي ، للإمام أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي ، ت ٣٠٣هـ ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط . أولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م .
١١٨- تيسير التحرير ، للإمام محمد أمين ، المعروف بأمير باد شاه الحسيني طبع مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥١هـ .
١١٩- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، للشيخ سليمان بن عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب ، ت ١٢٣٣هـ ، مكتبة الرياض الحديثة .
١٢٠- تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، إهداء الجامعة الإسلامية.

بالمدينة المنورة ، ١٣٩٨هـ .

– ج –

١٢١- جامع الأصول من أحاديث الرسول ، للإمام أبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، ت ٦٠٦هـ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، نشر وتوزيع : إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض ، ١٣٧٠هـ .

١٢٢- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ، لأبي عمر يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي ، ت ٤٦٣هـ ، مطبعة العاصمة بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .

١٢٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ت : ٣١٠هـ ، طبع : مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨هـ - ١٩٣٨م .

١٢٤- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، لجلال الدين عبد الرحمٰن السيوطي ، ت ٩١١هـ ، مطبوع مع شرحه فيض القدير للمناوي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩١هـ ، ١٩٧٢م .

١٢٥- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ت ٦٧١هـ ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م .

١٢٦- الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم الرازي ، محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي ، ت ٣٢٧هـ ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .

١٢٧- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ، لأبي عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب الشهير بابن قيم الجوزية ، ت ٧٥١هـ ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .

— ح —

١٢٨- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لابن قيم الجوزية ، طبع دار الفكر ، بيروت .

١٢٩- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، يوسف بن أحمد البحراني ، ت ١١٨٦هـ .

١٣٠- حديث الثقلين وفقهه ، علي أحمد السالوس ، دار إصلاح للطباعة والنشر ، أبو ظبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٣١- الحركات الباطنية في الإسلام ، مصطفى غالب ، طبع : دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

١٣٢- الحسبة في الإسلام ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت ٧٢٨هـ ، المطبعة السلفية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ .

١٣٣- الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية ، محمد حسن الأعظمي ، طبع : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

١٣٤- حقوق آل البيت ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت : ٧٢٨هـ ، تحقيق : عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٣٥- حق اليقين في معرفة أصول الدين ، عبد الله شبر ، طبع دار الكتاب الإسلامي .

١٣٦- الحكومة الإسلامية ، لروح الله الخميني ، منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى .

١٣٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، ت ٤٣٠هـ ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

— خ —

١٣٨- الخصال المكفرة ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ت

٨٥٢هـ ، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، طبع إدارة الطباعة المنيرية ، نشر محمد أمين دمج ، بيروت ، ١٩٧٠م .

١٣٩- الخطط المقريزية ، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، ت ٨٤٥هـ ، مكتبة المثنى ، بغداد .

١٤٠- خلق أفعال العباد ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ت : ٢٥٦هـ ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، مكة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٩هـ .

ـ د ـ

١٤١ - إسلامية في الأصول الإباضية ، بكير سعيد أعوشت ، دار التضامن للطباعة ، القاهرة ، نشر مكتبة وهبة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

١٤٢ - دراسة حديث (نضر الله امرءاً ، سمع مقالتي) رواية ودراية عبد المحسن ابن حمد العباد ، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ .

١٤٣ - الدرر في اختصار المغازي والسير ، للحافظ يوسف بن عمر بن عبد البر النمري ، ت ٤٦٣ هـ ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ .

١٤٤ - در السحابة في مناقب القرابة والصحابة ، محمد بن علي الشوكاني ، ت : ١٢٥٠ هـ ، تحقيق ودراسة الدكتور : حسين بن عبد الله العمري ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

١٤٥ - دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على البوطي ، محمد ناصر الدين الألباني ، المطبعة العمومية بدمشق .

١٤٦ - دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ، جمع : د . محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .

١٤٧ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للإمام عبد الرحمٰن جلال الدين السيوطي ، ت ٩١١ هـ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .

١٤٨ – دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ت ٤٥٨ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

١٤٩ – الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون اليعمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٥٠ – الدين الخالص ، للسيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري ، تحقيق : محمد زهري النجار ، مكتبة الفرقان ، مصر .

١٥١ – ديوان ذي الرمة ، غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي توفي ١١٧ هـ . المكتب الإسلامي بيروت . ١٩٨٤م .

ـ ذ ـ

١٥٢– الذرية الطاهرة النبوية ، لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي ، ت ٣١٠هـ ، تحقيق وتخريج : سعد المبارك الحسن الدار السلفية ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م .

١٥٣– الذيل على طبقات الحنابلة ، لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الشهير – بابن رجب – ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

ـ ر ـ

١٥٤– رجال الكشي – المسمى – اختيار معرفة الرجال – محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي ، طبع : دانشكاه مشهد ، مركز تحقيقات ومطالعات – إيران ، ١٣٤٨هـ ، تحقيق : حسن المصطفوي .

١٥٥- الرد على الجهمية ، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق : زهير الشاويش ، طبع : المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م . بيروت .

١٥٦- الرسالة ، للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، ت ٢٠٤هـ ، بتحقيق : أحمد ابن محمد شاكر .

١٥٧- رسالة في الرد على الرافضة ، لأبي حامد محمد المقدسي ، ت ٨٨٨هـ ، تحقيق : عبد الوهاب خليل الرحمٰن ، الدار السلفية ، بومباي ، الهند ، طبعة أولى ، ١٤٠٣هـ .

١٥٨- رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، ت : ٣٨٦هـ ، مطبوعة مع شرحها الثمر الداني في تقريب المعاني ، للشيخ صالح بن عبد السميع الآبي الأزهري ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٥٩- الرسالة التدمرية . لشيخ الإسلام ابن تيمية توفي ٧٢٨هـ . تحقيق زهير الشاويش - المكتب الإسلامي ط ٢ ، ١٣٩١هـ .

١٦٠- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، للسيد محمد بن جعفر الكتاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ .

١٦١- الرقائق والحكايات ، لخيثمة بن سليمان الطرابلسي ، ت ٣٤٣هـ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري (ضمن مجموع بعنوان من حديث خيثمة بن سليمان) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، طبعة أولى ، ١٤٠٠هـ .

١٦٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي ، ت : ١٢٧٠هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

١٦٣- الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية ، لابن هشام ، لأبي القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ، ت : ٥٨١هـ ، طبع دار المعرفة .

١٦٤- الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ، لأبي عبد الله السيد محمد ابن إبراهيم الوزير ، ت ٨٤٠هـ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، نشره : قصي محب الدين الخطيب ، ١٣٨٥هـ .

١٦٥- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، محمد باقر الموسوي الخوانساري ، ت : ١٣١٣هـ ، تحقيق : أسد الله إسماعيليان ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

١٦٦- الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي ، ت : ٧٤٨هـ ، تحقيق : أبي عبد الله إبراهيم سعيد أبي إدريس ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .

١٦٧- رياض الصالحين ، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، ت ٦٧٦هـ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـ ، تحقيق وتخريج : عبد العزيز رباح ، أحمد يوسف الدقاق .

١٦٨- الرياض النضرة في مناقب العشرة ، لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م .

١٦٩- رسالة في الرد على الرافضة ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق : د . ناصر بن سعد الرشيد ، طبع : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة .

١٧٠- الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة ، للإمام يحيى بن أبي بكر العامري اليمني ، ت : ٨٩٣هـ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الثالثة .

— ز —

١٧١- زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي ، ت : ٥٩٣هـ ، طبع : المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

١٧٢- زاد المعاد في هدي خير العباد ،، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، ت ٧٥١هـ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وعبد القادر الأرنؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

— س —

١٧٣- سؤال في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ ، تحقيق : د . صلاح الدين المنجد ، طبع : دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان .

١٧٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني منشورات المكتب الإسلامي .

١٧٥- سنن أبي داود ، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني ، الطبعة الأولى ، ١٣٧١هـ ، مصطفى البابي الحلبي ، بمصر .

١٧٦- سنن ابن ماجة ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة ، ت ٢٧٥هـ ، دار إحياء التراث العربي ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

١٧٧- سنن الترمذي ، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، ت ٤٧٩هـ ، تحقيق : عبد الرحمٰن محمد عثمان ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، وطبع دار الاتحاد العربي .

١٧٨- سنن الدارمي ، لأبي عبد الله عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي ، ت ٢٥٥هـ ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١٧٩- السنن الكبرى ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، ت : ٤٥٨هـ ، طبع : دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
١٨٠- سنن النسائي ، للإمام أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، ت ٣٠٣هـ ، طبع ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
١٨١- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال ، ت ٣١١هـ ، دراسة وتحقيق الدكتور / عطية الزهراني ، دار الراية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .
١٨٢- السنة للإمام أحمد بن حنبل ، ت : ٢٤١هـ ، مكتبة ابن تيمية ، مصر .
١٨٣- السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق : أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١٨٤- سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ت ٧٤٨هـ ، طبع : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، تحقيق : الأرنؤوط ، مأمون الصاغرجي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
١٨٥- السير والمغازي ، لمحمد بن إسحاق الشهير بابن إسحاق ، ت ١٥١هـ ، تحقيق : الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر ، طبعة أولى ، ١٩٧٨م .
١٨٦- السيرة النبوية ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، ت : ٢١٣هـ ، تحقيق وضبط وشرح : مصطفى السقا وآخرين .
١٨٧- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، ت ٧٢٨هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

— ش —

١٨٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن

ابن منصور الطبري اللالكائي ، ت : ٤١٨هـ ، تحقيق : د . أحمد سعد حمدان الغامدي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض .
١٨٩- شرح ألفية العراقي المسماة « بالتبصرة والتذكرة » ، للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي ، ت ٨٠٦هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١٩٠- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، للشيخ محمد بن محمد مخلوف ، طبع : دار الفكر ، بيروت .
١٩١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، ت ١٠٨٩هـ ، طبع : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
١٩٢- شرح ابن القيم على سنن أبي داود ، المطبوع مع عون المعبود ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م .
١٩٣- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول ، للإمام أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي ، ت : ٦٨٤هـ ، تحقيق : عبد الرؤوف سعد ، دار الفكر للطباعة ، القاهرة .
١٩٤- شرح السنة ، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، ت ٥١٦هـ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، زهير الشاويش ، طبع : المكتب الإسلامي .
١٩٥- شرح العقيدة الطحاوية ، للعلامة محمد بن علي بن محمد الأذرعي ، ت ٧٩٢هـ ، خرج أحاديثها الشيخ : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩١هـ .
١٩٦- شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان ، مكتبة لينة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .
١٩٧- شرح كتاب الفقه الأكبر ، للملّا علي القاري الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٩٨- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، للقسطلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ .

١٩٩- شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ، ت ٦٧٩هـ ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م .

٢٠٠- شرح النووي على صحيح مسلم ، للإمام أبي زكريا / يحيى بن شرف النووي ، ت ٦٧٦هـ ، نشر وتوزيع : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض .

٢٠١- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، لعبيد الله محمد بن بطة العكبري ، ت ٣٨٧هـ ، تحقيق وتعليق : رضا بن نعسان معطي ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .

٢٠٢- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، لأبي الفضل عياض بن موس اليحصبي الأندلسي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٦٩هـ ، ١٩٥٠م .

٢٠٣- الشيعة في الميزان ، محمد جواد مغنية ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت .

٢٠٤- الشيعة والتصحيح ، موسى الموسوي ، طبع عام ١٤٠٨هـ - ١٩٧٨م .

— ص —

٢٠٥- الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت ٧٢٨هـ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبع : عالم الكتب ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

٢٠٦- الصحابة في نظر الشيعة الإمامية ، أسد حيدر ، نشر مطبوعات النجاح ، القاهرة .

٢٠٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، ت ٣٩٣هـ ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ .

٢٠٨- صحيح البخاري بحاشية السندي ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ت ٢٥٦هـ ، طبع : دار إحياء الكتب العربية ، لأصحابها مصطفى البابي الحلبي وشركاه .

٢٠٩- صحيح الجامع الصغير ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي .

٢١٠- صحيح سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

٢١١- صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ت : ٢٦١هـ ، تصحيح وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي طبع : دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، ط١ ، ١٣٧٤هـ .

٢١٢- الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ، علي بن يونس العاملي النباطي البياضي ، ت ٨٧٧هـ ، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ، تصحيح وتحقيق : محمد الباقر البهبودي .

٢١٣- صفة الصفوة ، لأبي الفرج بن الجوزي ، ت : ٥٩٧هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

٢١٤- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، أحمد بن حجر الهيتمي المكي ، ت ٩٧٤هـ ، مكتبة القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

— ض —

٢١٥- الضعفاء الكبير ، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي .

المكي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٢١٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، محمد عبد الرحمٰن السخاوي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .

ـ ط ـ

٢١٧- طبقات الحنابلة ، للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى ، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
٢١٨- طبقات خليفة بن خياط العصفري ، ت ٢٤٠هـ ، تحقيق : الدكتور أكرم ضياء العمري ، نشر : دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ .
٢١٩- طبقات الشافعية ، لأبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي ، ت : ٧٧١هـ ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطناجي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الأولى .
٢٢٠- طبقات فقهاء اليمن ، عمر بن علي بن سمرة الجعدي ، تحقيق : فؤاد سيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
٢٢١- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد كاتب الواقدي ، ت : ٢٣٠ ، طبع : دار بيروت للطباعة والنشر .
٢٢٢- طبقات المعتزلة ، أحمد بن يحيى بن المرتضى ، تحقيق : سوسنة ديفلد فلزر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ ، ١٩٦١م .
٢٢٣- طبقات المفسرين ، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ، ت ٩٤٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٢٢٤- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ، لعلي بن موسى بن طاووس الحسني الحسيني ، ت : ٦٦٤هـ ، مطبعة الخيام ، قم .

- ع -

٢٢٥- عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام ، سليمان بن أحمد العودة ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

٢٢٦- عقائد الإمامية ، محمد رضا المظفر ، مطبوعات النجاح ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩١هـ .

٢٢٧- العقود الفضية في أصول مذهب الإباضية ، سالم بن حمد بن سليمان ابن حميد الحارثي العماني الإباضي ، دار اليقظة العربية ، سوريا ، لبنان ، بدون تاريخ .

٢٢٨- عقيدة أهل السنة والجماعة ، محمد الصالح العثيمين ، طبع مركز شئون الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩هـ .

٢٢٩- عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، لشيخ الإسلام إسماعيل الصابوني ، ت ٤٤٩هـ ، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، إدارة الطباعة المنيرية ، نشر محمد أمين دمج ، بيروت ، ١٩٧٠م .

٢٣٠- العقيدة الطحاوية ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، ت ٣٢١هـ ، مطبوعة مع شرحها لابن أبي العز الحنفي ، طبع : المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩١هـ .

٢٣١- العقيدة الواسطية ، لمحمد خليل هراس ، طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

٢٣٢- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي التيمي القرشي ، ت ٥٩٧هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .

٢٣٣- عمان في فجر الإسلام ، سيدة إسماعيل كاشف ، وزارة التراث القومي

والثقافة ، سلطنة عمان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م .

٢٣٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، محمود بن أحمد بن موسى العيني ، ت ٨٥٥هـ ، طبع : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٢٣٥- عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي ، محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، ت : ٥٤٣هـ ، طبع : دار الفكر للطباعة ، بيروت .

٢٣٦- العبر في خبر من غبر ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ت : ٧٤٨هـ ، طبع : وزارة الأوقاف ، الكويت ، الطبعة الأولى .

٢٣٧- العذب الفائض شرح عمدة الفارض ، إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم ، أمر بطبعه الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود .

٢٣٨- العواصم من القواصم ، للقاضي أبي بكر بن العربي ، ت : ٥٤٣هـ ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، طبع : المطبعة السلفية ومكتبتها .

٢٣٩- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، محمد بن إبراهيم الوزير ، ت ٨٤٠هـ ، دار البشير ، عمان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٢٤٠- عون الباري لحل أدلة صحيح البخاري ، لأبي الطيب صديق حسن علي الحسيني القنوجي البخاري ، المطبعة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٢٤١- عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم آبادي ، ضبط وتحقيق : عبد الرحمٰن محمد عثمان ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ .

٢٤٢- عيون المعجزات ، حسين عبد الوهاب ، من منشورات الداودي ، قم ، المطبعة العلمية ، قم .

ـ غ ـ

٢٤٣- غاية الأماني في الرد على النبهاني ، محمود شكري بن عبد الله بن محمود الحسيني الألوسي ، ت : ١٢٧٣هـ ، طبعة قديمة ، خالية من مكان الطبع وتاريخه .

٢٤٤- الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، عبد الحسين الأميني النجفي دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٢٤٥- غريب الحديث ، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ، ت ٢٢٤هـ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٤٦- الغنية ، فهرست شيوخ القاضي عياض المغربي ، طبع : الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، تحقيق : محمد بن عبد الكريم .

٢٤٧- الغنية لطالبي طريق الحق ، عبد القادر الجيلاني ، طبع مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٥هـ .

٢٤٨- غياث الأمم في التياث الظلم ، عبد الملك الجويني ، ت ٤٧٨هـ ، تحقيق عبد العظيم الديب ، إدارة الشئون الدينية ، الدوحة ، ١٤٠٠هـ .

ـ ف ـ

٢٤٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢هـ ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، بترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٥٠- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، للشيخ أحمد عبد الرحمٰن البنا ، دار الشهاب ، القاهرة .

٢٥١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ، للإمام محمد بن علي الشوكاني ، ت : ١٢٥٠هـ ، طبع : دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٢٥٢- فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي ،

ت : ٩٠٢هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٢٥٣- الفتوحات الربانية على الأذكار النووية ، لمحمد بن علان ، ت : ١٠٥٧هـ ، طبع دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٢٥٤- الفرق الإسلامية من خلال الكشف والبيان ، لأبي سعيد محمد بن سعيد الأزدي المقلهماني ، تحقيق وتقديم : محمد بن عبد الجليل ، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية ، ١٩٨٤م .
٢٥٥- الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ، ت : ٤٢٩هـ ، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح ، مصر .
٢٥٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد بن حزم الظاهري ، ت : ٤٥٦هـ ، مكتبة الخانجي ، مصر .
٢٥٧- الفصول المهمة في تأليف الأمة ، لعبد الحسين الموسوي ، دار الزهراء ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السابعة ، ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م .
٢٥٨- فضائح الباطنية ، لأبي حامد الغزالي ، ت : ٥٠٥هـ ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت ، حولي .
٢٥٩- فضائل أبي بكر ، لأبي طالب محمد بن علي بن الفتح الحربي العشاري ، ت : ٤٥١هـ ، طبع المكتبة الدينية السلفية ، في ملتان ، الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٨هـ .
٢٦٠- فضائل الصحابة ، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، ت ٢٤١هـ ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .
٢٦١- فضائل الصحابة ، أحمد بن علي بن شعيب ، النسائي ، ت ٣٠٣هـ ، تحقيق : فاروق حماده ، طبع دار الثقافة ، الدار البيضاء .
٢٦٢- فضائل القرآن لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ، ت : ٧٧٤هـ ، نشر مكتبة الصحابة ، مصر .

٢٦٣- فهرس الفهارس ، لعبد الحي الكتاني ، دار الغرب الإسلامي .

٢٦٤- الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ، طبع : دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٢٦٥- فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الكتبي ، ت : ٧٦٤هـ ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر .

٢٦٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، عبد الرؤوف المناوي ، ت :   هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ ، ١٩٧٢م .

ـ ق ـ

٢٦٧- القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ت : ٨١٧هـ ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٢٦٨- قبس من هدي الإسلام ، للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ .

٢٦٩- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، لصديق حسن خان ، ت ١٣٠٧هـ ، تحقيق الدكتور : عاصم بن عبد الله القريوتي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

ـ ك ـ

٢٧٠- الكامل في التاريخ ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير ، ت : ٦٣٠هـ ، دار صادر ، بيروت .

٢٧١- الكامل في ضعفاء الرجال ، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ، ت : ٣٦٥هـ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ .

٢٧٢- الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني الرازي ، ت : ٣٢٨هـ ، المطبعة

الإسلامية ، طهران ، طبع ١٣٨٨هـ .

٢٧٣- كتاب الكبائر ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٥٥هـ .

٢٧٤- كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي ، مخطوط .

٢٧٥- كشف الأسرار لروح الله الخميني ، تقديم : د . محمد أحمد الخطيب ، دار عمار ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

٢٧٦- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى عبد الله الشهير بحاجي خليفة ، مكتبة المثنى ، بيروت .

٢٧٧- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، لنصير الدين الطوسي ، ت : ٧٧٢هـ ، مع شرحه للحلي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ، لبنان .

٢٧٨- الكفاية ، أحمد بن علي الخطيب ، ت : ٤٦٣هـ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ . نشر دار الكتاب العربي ، تحقيق وتعليق الدكتور أحمد عمر هاشم .

٢٧٩- كليات أبي البقاء الكفوي ، طبع بولاق ، القاهرة .

٢٨٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، للعلامة علاء الدين علي المتقي ابن حسام الدين الهندي البرهان فوري ، ت ٩٧٥هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٦م .

— ل —

٢٨١- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، محمد فؤاد عبد الباقي ، طبع : دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .

٢٨٢- لباب النقول في أسباب النزول ، جلال الدين السيوطي ، ت ٩١١هـ ، طبع : دار إحياء العلوم ، بيروت .
٢٨٣- اللباب في تهذيب الأنساب ، عز الدين ابن الأثير الجزري ، محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، ت : ٦٣٠هـ ، طبع : دار صادر ، بيروت .
٢٨٤- لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري . ت : ٧١١هـ ، طبع : دار صادر ، بيروت .
٢٨٥- لسان الميزان ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢هـ ، طبع : دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
٢٨٦- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، ت : ٦٢٠هـ ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة .
٢٨٧- لوامع الأنوار البهية ، شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة الرضية ، للشيخ محمد بن أحمد السفاريني ، ت ١١٨٨هـ ، المكتب الإسلامي ، مكتب أسامة .

— م —

٢٨٨- مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، طبع : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
٢٨٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تأليف علي بن أبي بكر الهيثمي ، ت : ٨٠٨هـ ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٢هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
٢٩٠- المجموع شرح المهذب ، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، ت :

٦٧٦هـ ، مطبعة الإمام بمصر .

٢٩١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، بمساعدة ابنه محمد ، تصوير عن الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ .

٢٩٢- مجمع النورين وملتقى البحرين ، تأليف أبي الحسن المرندي النجفي ت ١٣٤٩هـ - خال من مكان الطبع وتاريخه وهو موجود بمكتبة كراتشي العامة .

٢٩٣- المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية ، حسين العصفور ، ط . جمعية أهل البيت ، البحرين ، طبعة أولى ، ١٣٩٩هـ .

٢٩٤- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، محمد بن عمر الخطيب المعروف بالفخر الرازي ، ت : ٦٠٦هـ ، تعليق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الكتاب العربي ، طبعة أولى ، ١٤٠٤هـ .

٢٩٥- المحلي ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ت : ٤٥٦هـ ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، سنة ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .

٢٩٦- المختار الثقفي مرآة العصر الأموي ، علي حسن الخربوطلي ، سلسلة أعلام العرب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٢م .

٢٩٧- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ت ٦٦٦هـ ، طبع : دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٢٩٨- مختصر تاريخ الإباضية ، لأبي ربيع سليمان الباروني ، نشر مكتبة الاستقامة ، تونس ، المطبعة السلفية ، الطبعة الثانية .

٢٩٩- مختصر التحفة الاثنى عشرية ، للسيد محمود شكري الألوسي ، مكتبة إيشيق - استانبول ، تركيا ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

٣٠٠- مختصر سيرة الرسول ﷺ ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٢٠٦هـ ، بتحقيق : محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة .

٣٠١- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، تأليف الإمام بن قيم الجوزية ، اختصره محمد بن الموصلي ، مكتبة الرياض الحديثة .
٣٠٢- مختصر فتاوى ابن تيمية ، لبدر الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي ، ت ٧٧٧هـ ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ .
٣٠٣- مختصر منتهى الأصولي مع شرح القاضي عضد الملة والدين ، وعليه حواشي التفتازاني والجرجاني والهروي لابن الحاجب المالكي ، ت : ٦٤٦هـ ، مطبعة الفجالة الجديدة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
٣٠٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، للإمام ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، طبع السنة المحمدية ، القاهرة .
٣٠٥- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، محمد باقر المجلسي ، دار الكتب الإسلامية ، طهران .
٣٠٦- المراسيل ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، ت : ٢٧٥هـ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، طبعة أولى ، ١٤٠٨هـ .
٣٠٧- المرقاة شرح المشكاة ، علي بن سلطان محمد القاري ، المطبعة الميمنية ، مصر .
٣٠٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، ت : ٣٤٦هـ ، طبع دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط . أولى ، ١٤٠٢هـ .
٣٠٩- مسائل الإمام أحمد ، رواية ابنه عبد الله ، تحقيق زهير الشاويش ، طبع : المكتب الإسلامي .
٣١٠- المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الشهير بالحاكم ، ت : ٤٠٥هـ .
٣١١- المستصفى من علم الأصول ، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد

الغزالي ، ت : ٦٠٦هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
٣١٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ت ٢٤١هـ ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، طبع : دار المعارف بمصر ، بتحقيق : أحمد شاكر رحمه الله .
٣١٣- مسند أبي يعلى ، تأليف أحمد بن علي المثنى التميمي ، ت ٣٠٧هـ ، تحقيق : حسين سليم أسد ، طبع دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ .
٣١٤- مسند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، للإمام جلال الدين السيوطي ، ت ٩١١هـ ، تصحيح وتعليق : محمد غوث ، نشر الدار السلفية ، بومباي ، الهند ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ .
٣١٥- مسند الحميدي ، للإمام عبد الله بن الزبير الحميدي ، ت ٢١٩هـ ، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي ، نشر المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .
٣١٦- المسند من مسائل الإمام أحمد للخلال ، مخطوط .
٣١٧- مشكل الآثار ، لأبي جعفر الطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي ، ت : ٣٢١هـ ، الطبعة الأولى ، مؤسسة قرطبة ، الأندلس .
٣١٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، ت : ٧٧٠هـ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان .
٣١٩- المصنف في الأحاديث والآثار ، للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة ت : ٢٣٥هـ ، طبع : الدار السلفية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ ، بومباي ، الهند .
٣٢٠- المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، ت ٢١١هـ ، تحقيق : حبيب الرحمٰن الأعظمي ، طبع : المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ .

٣٢١- معالم التنزيل ، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ت : ٥١٦هـ ، مطبوع مع تفسير الخازن ، طبع المكتبة التجارية الكبرى ، مصر .
٣٢٢- معالم السنن ، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي ، ت ٣٨٨هـ ، المكتبة العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٣٥١هـ ، ١٩٨١م .
٣٢٣- معاني الأخبار ، لابن بابويه القمي الملقب بالصدوق ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم .
٣٢٤- معاني القرآن ، لأبي إسحاق إبراهيم بن السرِّي بن سهل الزجاج ، ت ٣١١هـ ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت .
٣٢٥- المعتمد في أصول الفقه ، لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء ، ت : ٤٥٨هـ ، تحقيق : د . وديع زيدان حداد ، طبع دار الشرق ، بيروت ، لبنان .
٣٢٦- معجم البلدان ، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي ، ت : ٦٢٦هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٣٢٧- معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية ، عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٣٢٨- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، ت : ٣٩٥هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .
٣٢٩- معرفة الصحابة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ، ت : ٤٣٠هـ ، تحقيق ودراسة : محمد راضي بن حاج عثمان ، طبع مكتبة الدار بالمدينة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .
٣٣٠- معرفة علوم الحديث ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله ، الحاكم النيسابوري ت : ٤٠٥هـ ، تحقيق السيد معظم حسين ، طبع دائرة المعارف العثمانية ،

حيدر آباد الدكن ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ .
٣٣١- المعرفة والتاريخ ، ليعقوب بن سفيان الفسوي ، ت : ٢٧٧هـ ، تحقيق د . أكرم ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ .
٣٣٢- المغازي ، محمد بن عمر بن واقد ، ت : ٢٠٧هـ ، تحقيق : مارسدن جونسو ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .
٣٣٣- مفتاح دار السعادة ، للإمام محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ، ت : ٧٥١هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٣٣٤- المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ت : ٥٠٢هـ ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
٣٣٥- المفصح في إمامة أمير المؤمنين ، لأبي جعفر الطوسي ، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين ، قم ، إيران .
٣٣٦- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، ت : ٣٣٠هـ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية .
٣٣٧- المقالات والفرق ، سعد بن عبد الله بن خلف الأشعري القمي ، ت : ٣٠١هـ ، تحقيق : محمد جواد مشكور ، مطبعة حيدري ، طهران ١٩٦٣م .
٣٣٨- المقدمة ، عبد الرحمٰن بن خلدون ، ت : ٨٠٨هـ ، دار القلم ، بيروت لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٤م .
٣٣٩- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن ، المعروف بابن الصلاح ، ت : ٦٤٢هـ ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٣٤٠- مقدمة تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ، لأبي الحسن بن محمد طاهر

النباطي العاملي القروي ، وهي مقدمة على تفسير البرهان للبحراني ، طبع المطبعة العلمية ، قم ، إيران ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٣هـ .
٣٤١- مقدمة مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، لمرتضى العسكري ، دار الكتب الإسلامية ، طهران .
٣٤٢- مناقب آل أبي طالب ، لأبي جعفر محمد بن علي بن شهراشوب ، ت : ٥٨٨هـ ، مؤسسة : انتشارات علامة - قم -
٣٤٣- مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي الفرج بن الجوزي ، تحقيق : لجنة إحياء التراث ، طبع دار الآفاق الجديدة ، ط٣ ، ١٤٠٢هـ .
٣٤٤- مناقب الإمام الشافعي ، فخر الدين الرازي ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، طبعة أولى ، ١٤٠٦هـ .
٣٤٥- مناقب الإمام الشافعي ، لأحمد بن الحسين البيهقي ، ت : ٤٥٨هـ ، تحقيق : أحمد صقر ، نشر : مكتبة دار التراث ، طبع : دار النصر طبعة أولى ، ١٣٩١هـ .
٣٤٦- المنتقى من منهاج الإعتدال ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي ، ت : ٧٤٨هـ ، طبع : مكتبة دار البيان ، حققه وعلق حواشيه : محب الدين الخطيب .
٣٤٧- منهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ، الشهير بابن تيمية ، ت : ٧٢٨هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٣٤٨- منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين ، مخطوط ، في مكتبة عارف حكمت بالمدينة ، رقم (٢٥٣) .
٣٤٩- منهاج الكرامة لابن المطهر الحلي ، ت : ٧٢٦هـ ، مطبوع مع منهاج السنة النبوية ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٣٥٠- الموضوعات ، لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي الجوزي ، ت : ٥٩٧هـ ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ .

٣٥١- الموافقات في أصول الأحكام ، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشهير بالشاطبي ، ت : ٧٩٠هـ ، دار الفكر ، ١٣٤١هـ .
٣٥٢- المواقف في علم الكلام ، للقاضي عبد الرحمٰن بن أحمد الأيجي نشر : عالم الكتب ، بيروت ، لبنان . ومكتبة المتنبي ، القاهرة ، ومكتبة سعد الدين ، دمشق .
٣٥٣- الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي ، ت : ١١٩هـ ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي ، طبع : دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٣٥٤- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ت : ٧٤٨هـ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
٣٥٥- الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، طبع منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، إيران .

ـ ن ـ

٣٥٦- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي ، ت : ٥٩٧هـ ، دراسة وتحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ .
٣٥٧- نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ت : ٨٥٢هـ ، سنة ١٤٠٦هـ .
٣٥٨- النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقية في مرحلة الكتمان ، عوض محمد خليفات ، الطبعة الأولى ، عمان ، ١٩٨٢م .
٣٥٩- النكت والعيون ، تفسير : علي بن حبيب الماوردي ، ت : ٤٥٠هـ ، مطابع مقهوي ، الكويت ، الطبعة الأولى .

٣٦٠- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، ت : ٦٠٦هـ ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناجي ، نشر : المكتبة الإسلامية ، لرياض الشيخ .

— هـ —

٣٦١- هدى الساري مقدمة فتح الباري ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ت : ٨٥٢هـ ، المطبعة السلفية ومكتبتها .

٣٦٢- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا البغدادي ، مكتبة المثنى ، بيروت .

— و —

٣٦٣- الوصية الكبرى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت : ٧٢٨هـ ، طبع : دار المطبعة السلفية ومكتبتها ، نشر : قصي محب الدين الخطيب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠١هـ .

٣٦٤- وفيات الأعيان ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، ت : ٦٨١هـ ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

— ي —

٣٦٥- كتاب : اليقين في إمرة أمير المؤمنين ، لابن طاووس ، المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف .

* * *

□ فهرس الموضوعات □

* * *